



مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



اشرافيية  
عليه السلام

www. **Ghaemiyeh** .com  
www. **Ghaemiyeh** .org  
www. **Ghaemiyeh** .net  
www. **Ghaemiyeh** .ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (عليه السلام)

كاتب:

محمد تقى شوشترى ( تسترى )

نشرت فى الطباعة:

دار بيروت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

# الفهرس

٥	الفهرس
٨	بهج الصباغه في شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (ع): المجلد ٨
٨	اشاره
٨	اشاره
١٠	الفصل الثالث والعشرون: في عتاباته عليه السلام لعماله و غيرهم و فيه حالات الاشعث و زياد و ابى موسى و أحوال ابن عباس و المنذر
١٠	١
١٤	٢
٣٩	٣
٤٣	٤
٤٦	٥
٤٩	٦
٦٠	٧
٨١	(٨)
٨٥	(٩)
٨٨	(١٠)
١١٤	(١١)
١٢٤	الفصل الرابع والعشرون: في حلفه عليه السلام و تعليمه إحلاف الظالم و تقبّته
١٢٤	اشاره
١٢٦	١
١٣٣	٢
١٤٤	٣
١٥٢	الفصل الخامس والعشرون: في شكايته عليه السلام من أهل عصره
١٥٢	اشاره
١٥٤	١

١٧٥	٢
١٩٦	٣
٢٠١	٤
٢٠٩	٥
٢١٤	٦
٢١٩	الفصل السادس والعشرون: في نقص الناس و اختلافهم و عجائب قلوبهم و صفه ارذالهم
٢١٩	اشاره
٢٢١	١
٢٢٩	٢
٢٣٠	٣
٢٤٣	٤
٢٥٦	٥
٢٥٨	٦
٢٦١	٧
٢٦٤	٨
٢٨٢	٩
٢٨٤	الفصل السابع والعشرون: في القضاء و القدر
٢٨٤	اشاره
٢٨٦	١
٣٠٠	٢
٣٠٤	الفصل الثامن والعشرون: في كلامه عليه السلام الجامع لمصالح الدين و الدنيا
٣٠٤	اشاره
٣٠٦	١
٣١٢	٢
٤٩١	٣
٤٨٦	فهرس المطالب



## بہج الصباغہ فی شرح نہج البلاغہ علی بن ابی طالب (ع): المجلد ۸

### اشارہ

سرشناسہ: شوشتری ، محمد تقی ، ۱۳۷۴ - ۱۲۸۲

عنوان و نام پدید آور: بہج الصباغہ فی شرح نہج البلاغہ [علی بن ابی طالب (ع)] / المصنف محمد تقی التستری

مشخصات نشر: دار امیر کبیر للنشر - بیروت - لبنان - ۱۳۷۶.

وضعیت فہرست نویسی: فہرست نویسی قبلی

عنوان دیگر: نہج البلاغہ

موضوع: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از ہجرت - ۴۰ ق. نہج البلاغہ -- نقد و تفسیر

شناسہ افزودہ: علی بن ابی طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از ہجرت - ۴۰ ق. نہج البلاغہ . شرح

ردہ بندی کنگرہ: BP۳۸/۰۲ / ش ۹

ردہ بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شمارہ کتابشناسی ملی: م ۷۲-۸۰۹

ص: ۱

### اشارہ



بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه [على بن ابى طالب (ع)]

المصنف محمد تقى التسترى

ص: ٢

## الفصل الثالث والعشرون: في عتابته عليه السلام لعماله و غيرهم و فيه حالات الاشعث و زياد و ابي موسى و احوال ابن عباس و المنذر

١

الكتاب (٥)

و من كتاب له ع إلى؟ أشعث بن قيس؟- عامل؟ أذربيجان؟:

وَ إِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمِهِ وَ لَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ- وَ أَنْتَ مُسْتَرْعَى لِمَنْ فَوْقَكَ- لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّتِهِ- وَ لَا تُخَاطِرَ إِلَّا- بَوثيقه- وَ فِي يَدَيْكَ مِئَالٌ مِنْ مِئَالِ اللَّهِ عَزَّ وَ جَلَّ وَ أَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ- وَ لَعَلِّي أَلَّا- أَكُونَ شَرًّا وَلَا تَكَّ لَكَ وَ السَّلَامُ أَقُولُ: رواه نصر بن مزاحم في ( صفيته نصر بن مزاحم- وقعه صفيين- ص ٢٠) و ابن قتيبه في ( خلفائه ابن قتيبه- الامامه و السياسة- ج ١ ص ٩١) و ابن عبد ربه في ( عقده ابن عبد ربه- العقد الفريد- ) مع زياده قبله، ففي الأول محمد بن عبيد الله عن الجرجاني قال لما بويع علي عليه السلام و كتب إلى العمال كتب إلى الأشعث مع زياد بن مرحب الهمداني- و الأشعث علي أذربيجان عامل لعثمان- و كان عمرو بن عثمان تزوج ابنه الأشعث قبل ذلك «أما بعد لولا هنات فيك كنت المقدم في هذا الأمر- قبل الناس، و لعل أمرك يحمل بعضه بعضا ان اتقيت الله، ثم انه كان من بيعه

ص: ٣

الناس اياى ما قد بلغك، و كان طلحه و الزبير ممن بايعانى، ثم نقضا بيعتى على غير حدث، و سارا إلى البصره، فسرت إليهما، فالتقينا، فدعوتهم إلى أن يرجعوا فيما خرجوا منه، فأبوا، فأبلغت فى الدعاء و أحسنت فى البقيه، و ان عملك ليس لك بطعمه - إلخ (١).

و مثله الثانى و الثالث مع اختلاف يسير، و زاد الاخير بعد «و أحسنت فى البقيا»: «و أمرت أن لا يذفف على جريح، و لا يتبع منهزم، و لا يسلب قتيل، و من ألقى سلاحه و اغلق بابه فهو آمن (٢).

قول المصنف: (و من كتاب له عليه السلام إلى الأشعث بن قيس) فى (الاستيعاب): الأشعث بن قيس بن معديكرب بن معاويه بن جبله بن عدى بن ربيعه بن معاويه بن الحارث الأصغر بن الحارث الأكبر بن معاويه بن ثور بن مرتع بن معاويه بن ثور بن غفير بن عدى بن مره بن ادد بن زيد الكندى - و كنده ولد ثور بن عفير (٣).

و مثله فى (ذيل الطبرى)، لكن زاد بين الحارثين معاويه، كما أنه استقطا مرتعا قبل ثور، و قال (ثور بن مرتع بن كنده و اسمه ثور) (٤) و مثل الذيل هشام الكلبى - على نقل الاسد - لكن قال: «ثور بن مرتع - و اسمه عمرو - بن معاويه بن ثور - و هو كنده بن عفير»، و نسب إلى الاستيعاب مثله لكن الذى وجدت ما عرفت (٥).

و كيف كان فى (الأغانى): تنازع عمرو بن معديكرب و الأشعث بن

ص: ٤

١-١ (١) وقعه صفين: ٢٠. [١]

١-٢ (٢) الامامه و السياسه ١: ٩١.

١-٣ (٣) الاستيعاب ١: ١٠٩. [٢]

١-٤ (٤) منتخب ذيل المذيل: ٤٤.

١-٥ (٥) اسد الغابه ١: ٩٧ و ٩٨. [٣]

قيس في شيء، فقال عمرو للأشعث: نحن قتلنا أباك و نكنا امك.

(و هو عامل آذربيجان) هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد)، و لكن في (ابن ميثم): «و هو عامله على آذربيجان» (١).

و كيف كان ففي (فتوح البلاذري): قال ابن الكلبي: ولى على بن أبي طالب عليه السلام آذربيجان سعيد بن ساريه الخزاعي، ثم الأشعث بن قيس الكندي و فيه عن مشايخ من أهل آذربيجان قالوا: قدم الوليد بن عقبه -أى فى زمن عثمان- آذربيجان و معه الأشعث بن قيس، فلما انصرف الوليد و لاه آذربيجان، فانتفضت فكتب إليه يستمده، فأمدته بجيش عظيم من أهل الكوفه، فتبع الأشعث حانا حانا، ففتحها على مثل صلح حذيفه و عتبه بن فرقد -إلخ (٢).

ثم ان (بلدان الحموى): نقل عن ابن المقفع فى معنى «آذربيجان» أقوالا -إلى أن قال- و قال «آذر» اسم النار بالبهلويه و «بايكان» معناه الحافظ و الخازن، فكأن معنى «آذربيجان» بيت النار أو خازن النار، و هذا أشبه بالحق، لان بيوت النار فى هذه الناحيه كانت كثيره (٣).

قلت: و يؤيده ما رواه البلاذري: ان المغيره لما قدم الكوفه من قبل عمر كان معه كتابا من عمر إلى حذيفه -و كان بنهاوند- بولايه آذربيجان، فأنفذ الكتاب إليه، فسار حذيفه حتى أتى أربيل -و هى مدينه آذربيجان و بها مرزبانها و إليه جبايه خراجها- فصالحه المرزبان عن جميع أهل آذربيجان على ثمانمائه ألف درهم -وزن ثمانيه- على

ص: ٥

١- ١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٣، و [١] شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٠، مثل المصريه.

٢- ٢) فتوح البلدان: ٣٢٣ و ٣٢٤. [٢]

٣- ٣) معجم البلدان ١: ١٢٨. [٣]

أن لا يقتلوا ولا يهدم بيت نار- إلخ (١).

قوله عليه السلام «و ان عملك ليس لك بطعمه» كان عثمان عود الأشعث كون عمله طعمه له.

ففى (تاريخ الطبرى)-بعد ذكر شراء مصقله سبى بنى ناجيه من عامله عليه السلام، و عتقه لهم بدون أخذ شىء منهم، و عجزه عن أداء ثمنهم-فقال مصقله لذهل بن الحارث: و الله ان أمير المؤمنين يسألنى هذا المال و الا أقدر عليه، أما و الله لو أن ابن هند هو طالبنى بها أو ابن عفان لتركها لى. ألم تر إلى ابن عفان حيث أطعم الأشعث من خراج آذربيجان مائه ألف فى كل سنه- إلخ (٢).

كما أنه جعل أكثر البلاد طعمه لأقاربه، فقال سعيد بن العاص لما كان واليا على الكوفه من قبل عثمان فى بعض الايام- و كتب به إلى عثمان-انما هذا السواد فطير لقريش. فقال له الأشر: أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز رماحنا بستانا لك و لقومك.

«و لكنه فى عنقك أمانه» يجب عليك ردها إلى أهلها «و أنت مسترعى لمن فوقك» الذى ولاك و جعلك راعيا فى بلد «ليس» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد)، و لكن فى (ابن ميثم) (و ليس) (٣) «لك أن تفتت» افتعال من الفوت، أى:

تسبق إلى شىء بدون مراجعه من فوقك «فى رعيه و لا تخاطر» أى: تقدم على عمل عظيم له خطر و قيمه «الا بوثيقه» و اطمينان بالنجاح.

«و فى يديك مال من مال الله عزّ و جلّ» ممّا جباه من الخراج «و أنت من خزّانه»

ص: ٦

١- ١) فتوح البلدان: ٣٢١. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ١٠٠: ٤، سنه ٣٨. [٢]

٣- ٣) لم توجد الواو فى شرح ابن أبى الحديد ٣٣: ١٤، و [٣] شرح ابن ميثم ٣٥٠: ٤. [٤]

هكذا في (المصريه)، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (١) (من خزاني).

«حتى تسلمه إلى» فأضعه موضعه «و لعلّي لا أكون شر ولا تك» ولآه عمر و عثمان قبل «لك» و زاد في روايه نصر «ان استقمت» (٢).

في (صفين نصر): لما كتب عليه السّلام إلى الأشعث قال لاصحابه: ان كتابه قد أوحشني و هو آخذني بمال آذربيجان، و أنا لاحق بمعاويه، فقالوا له: الموت خير لك من ذلك، أ تدع مصرك و جماعه قومك و تكون ذنبا لأهل الشام، فسار حتى قدم عليه عليه السلام- إلى أن قال- و مما قيل على لسانه:

أنا الرسول رسول الوصي عليّ المهذب من هاشم

رسول الوصي وصى النبي و خير البريه من قائم

وزير النبي و ذو صهره و خير البريه في العالم

له الفضل و سبق بالصالحات لهدى النبي به يأت

أجينا علينا بفضل له و طاعه نصح له دائم

فقيه حلیم له صوله كليث عرين بها سائم (٣)

٢

الخطبه (١٩)

و من كلام له عليه السّلام قاله للأشعث بن قيس و هو على منبر الكوفه يخطب، فمضى في بعض كلامه شيء اعترضه الأشعث فيه فقال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك. فخفف عليه السّلام إليه بصره ثم قال:

وَمَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي - عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ وَ لَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ - حَائِكُ ابْنُ

ص: ٧

١- ١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٤: ٣٣، و [١] شرح ابن ميثم ٤: ٣٥٠، [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) وقعه صفين: ٢١. [٣]

٣- ٣) وقعه صفين: ٢٤. [٤]

حَائِكِ مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ - وَ اللَّهِ لَقَدْ أَسْرَكَ الْكَفْرُ مَرَّةً وَ الْإِسْلَامُ أُخْرَى - فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدِهِ مِنْهُمَا مَا لَكَ وَ لَا حَسْبُكَ - وَ إِنَّ امْرَأً دَلَّ عَلَى قَوْمِهِ السَّيْفَ - وَ سِيَاقَ إِلَيْهِمْ الْحُتْفَ - لَحَرِيٌّ أَنْ يَمُقَّتَهُ الْمَأْقَرُبُ وَ لَا يَأْمَنُهُ الْأَبْعَدُ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: (و من كلام له عليه السلام قاله) هكذا في (المصريه) و كذا (ابن أبي الحديد) و لكن في نسخه ابن ميثم (خاطب به) (١).

(للأشعث) و في (ابن ميثم) (الأشعث) (٢). قال ابن أبي الحديد: اسمه كان معديكرب و كان أبدا أشعث الرأس، فغلب عليه الأشعث حتى نسي اسمه (٣).

(ابن قيس) قال ابن أبي الحديد: و يقال له الأشج لأنه شج في بعض حروبهم (٤) (و هو على منبر الكوفه يخطب) الناس (فمضى في بعض كلامه شيء) هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد)، و لكن في (ابن ميثم) (فمضى في كلامه شيء) (٥).

(اعترضه الأشعث و قال: يا أمير المؤمنين هذه عليك لا لك فخفض عليه السلام إليه بصره ثم قال ما يدريك) و في ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٦) (و ما يدريك).

«ما علي مما لي» قال ابن أبي الحديد: كان اعتراض الأشعث أنه عليه السلام لما خطب بعد انقضاء أمر الخوارج و ذكر أمر الحكمين قام رجل و قال: نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها، فما ندرى أي الأمرين أرشد. فصفق عليه السلام بإحدى يديه على الأخرى و قال: هذا جزاء من ترك العقده، و كان مراده عليه السلام هذا جزاؤكم إذ

ص: ٨

١-١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١:٢٩١ و [١] شرح ابن ميثم ١:٣٢٢، [٢] مثل المصريه.

٢-٢) ان كان الفعل «خاطب به» يجب ان يكون المفعول بلا حرف جر و لكن الفعل في نسختنا «قاله» كما في المصريه و المفعول «للأشعث» راجع شرح ابن ميثم ١:٣٢٢. [٣]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١:٢٩٢. [٤]

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ١:٢٩٢. [٥]

٥-٥) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١:٢٩١ و [٦] شرح ابن ميثم ١:٣٢٢، مثل المصريه.

٦-٦) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١:٢٩١ و [٧] شرح ابن ميثم ١:٣٢٢، مثل المصريه.

تركتم الرأى و الحزم، و أصررتم على اجابه القوم إلى التحكيم، فظن الأشعث أنه أراد هذا جزاى حيث تركت الرأى و الحزم و حكمت، فقال له عليه السلام هذه عليك لا لك. و تبعه ابن ميثم و الخوئى (١).

قلت: لو كان راجع مستند العنوان لما قال ما قال، ففى (الأغانى) فى اميه ابن الاسكر عن ابن عمار و الجوهرى عن ابن شبيه عن محمّد بن أبى رجاء عن إبراهيم بن سعد، قال عبد الله بن عدى بن الخيار: شهدت الحكمين ثم أتيت الكوفه و كانت لى إلى على عليه السلام حاجه، فدخلت عليه، فلما رآنى قال: مرحبا بك يا ابن ام قتال أ زائرا جئتنا ام لحاجه، فقلت: كلاهما جئت لحاجه، و أحببت أن أجدد بك عهدا، و سألته عن حديث فحدثنى على ألا أحدث به، فبينما أنا يوما بالمسجد فى الكوفه إذا هو عليه السلام متنكب قرنا له، فجعل يقول الصلاه جامعه و جلس على المنبر، فاجتمع الناس و جاء الأشعث فجلس، فقام عليه السلام و قال بعد الثناء: انكم تزعمون أن عندى من النبى صلى الله عليه و آله ما ليس عند الناس، ألا و انه ليس عندى الا ما فى قرنى هذا، ثم نكب كنانته، فأخرج منها صحيفه فيها «المسلمون تتكافأ دماؤهم، و هم يد على من سواهم، من أحدث حدثا أو آوى محدثا فعليه لعنه الله و الملائكه و الناس أجمعين».

فقال له الأشعث: هذه و الله عليك لا لك دعها تترحل، فخفض عليه السلام إليه بصره و قال: ما يدريك ما على مما لى، عليك لعنه الله و لعنه اللاعنين، حائكك ابن حائكك، منافق ابن منافق كافر ابن كافر، و الله لقد أسرك الاسلام مره و الكفر مره، فلا فداك من واحد منهما حسبك و لا مالك. ثم رفع إلى بصره فقال: يا عبد الله:

أصبحت قنا لراعى الضان يلعب بى ما ذا يريبك منى راعى الضان

ص: ٩



فقلت: بأبي أنت و أمي قد كنت و الله أحب أن اسمع هذا منك. قال: هو و الله ذلك. قال:

فما قيل لي بعدها من مقاله و لا عقلت مني جديد و لا درسا

و قال ابن أبي الحديد نفسه في شرح قوله عليه السلام «أما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم» روى أبو بكر الهذلي عن الزهري عن عبيد الله بن عدى بن الخيار بن نوفل بن عبد مناف قال: قام الأشعث إلى عليّ فقال: ان الناس يزعمون ان النبيّ صلّى الله عليه و آله عهد إليك عهدا لم يعهده إلى غيرك. فقال: انه عهد إلى ما في قرابه سيفي لم يعهد إلى غير ذلك. فقال الأشعث: هذه ان قتلها فهي عليك لا- لك، دعها ترحل عنك. فقال عليه السلام له: و ما علمك بما عليّ مما لي، منافق ابن كافر حائك ابن حائك، اني لا جد منك بنه الغزل». ثم التفت إلى عبيد الله بن عدى فقال: انك لتسمع خلافا و ترى عجبا، ثم انشد:

أصبحت هزأ لراعي الضأن اتبعه ما ذا يرييك مني راعي الضان (١)

ثم ان الخبر مجمل، لكن الظاهر ان مراد الأشعث بقوله «هذه عليك لا لك» انه عليه السلام لما قال عن النبيّ صلّى الله عليه و آله «من آوى محدثا» كان ممن آوى محدثا و هو قتله عثمان، فغضب عليه السلام بأنهم لم يكونوا محدثين، كيف و أحدهم عمار الميزان بين الحق و الباطل و قال: قتلناه لانه أراد أن يغير ديننا (٢)، فولى مثل الوليد صلى سكران بالناس الصبح أربعا و نزل القرآن بفسقه (٣)، و ولي ابن عامر الذي اباح النبيّ صلّى الله عليه و آله دمه، و منهم عمرو بن الحمق العابد الزاهد، و منهم محمد ابن أبي بكر العارف المجتهد، و انما عثمان أحدث أحداثا استحق بها

ص: ١٠

١-١ شرح ابن أبي الحديد ٤:٧٥. [١]

٢-٢ وقعه صفين: ٣٣٩. [٢]

٣-٣ النظر إلى الآيتين الحجرات: ٦ و السجده: ١٨.

القتل، و هذا من أوضح الواضحات عند جمهور المسلمين في زمان الصحابه و التابعين.

هذا، و اعتراضات الأشعث عليه عليه السلام كانت كثيره و لم تنحصر بما في الخبر، و منها ما رواه ابن بابويه: انه جاء رجل إلى أمير المؤمنين عليه السلام، فأقر بالسرقة، فقال له: ا تقرأ شيئاً من القرآن؟ قال: نعم سورة البقره. قال: قد وهبت يدك لسوره البقره. فقال الأشعث له: أ تعطل حدا من حدود الله؟ فقال له: و ما يدريك ما هذا إذا قامت البيئه فليس للامام أن يعفو و إذا أقر الرجل على نفسه فذاك إلى الامام ان شاء عفا و ان شاء قطع (١).

و منها ما رواه أبو الفرج في (مقاتله) عن موسى بن أبي النعمان أن الأشعث جاء إلى عليّ عليه السلام يستأذن عليه، فردده قنبر فأدعى أنفه، فخرج عليه السلام و هو يقول: ما لي و لك يا أشعث، أما و الله لو بعبد ثقيف تمرست لاقشعرت شعيراتك قيل: يا أمير المؤمنين و من عبد ثقيف؟ قال: غلام يليهم لا يبقى أهل بيت من العرب الا أدخلهم ذلاً. قيل: كم يلي و كم يمكث؟ قال: عشرين ان بلغها (٢).

و انما قال عليه السلام له «لو بعبد ثقيف تمرست» لأن الأشعث لم يدرك الحجاج، فقالوا مات بعده عليه السلام بأربعين يوماً، و انما تمرس ابن ابنه محمد ابن عبد الرحمن بالحجاج، فاقشعرت شعيراته و فوقه، و قصته في خروجه معروفه.

و منها ما رواه أبو الفرج في (مقاتله) أيضاً ان الأشعث دخل عليه عليه السلام فأغلظ له، فعرض له الأشعث بأن يفتك به، فقال له: أبا لموت تهددني فو الله

ص: ١١

١-١) اخرج الصدوق في الفقيه ٤:٤٤ ح ٩.

٢-٢) مقاتل الطالبيين: ٢٠. [١]

ما أبالي وقعت على الموت أو وقع الموت عليّ (١).

و روى ان ابن ملجم أتى إلى الأشعث في الليله ألتى أراد أن يفتكك بالإمام عليه السّلام و الأشعث في بعض نواحي المسجد، فسمع حجر بن عدى الأشعث يقول لابن ملجم: النجا النجا فقد فضحك الصبح. فقال له حجر: قتلته يا أعور و خرج مبادرا إليه عليه السّلام و سبقه ابن ملجم و ضربه (٢).

و روى المبرد: أن ابن ملجم بات تلك الليله عند الأشعث، و ان حجرا سمعه يقول لابن ملجم: فضحك الصبح، فلما قالوا قتل عليه السّلام قال: للاشعث:

قتلته يا أعور.

و قال: و يروى أن الذي سمع ذلك من الأشعث عفيف بن قيس أخوه و انه قال: لآخيه: عن امرئ كان هذا يا أعور (٣).

قلت: و لا تنافى بين الخبرين، و انه سمع ذلك من الأشعث حجر و أخوه و كل منهما قال: له: كنت دخيلا في دمه عليه السّلام.

و منها ما رواه المبرد في (كامله) و العياشى في (تفسيره) و أبو عبيد القاسم بن سلام في غريبه- و اللفظ للاول- قال: أتى الأشعث يتخطى رقاب الناس و عليّ عليه السّلام على المنبر، فقال له: غلبتنا عليك هذه الحمراء على قربك، فركض على عليه السّلام المنبر برجله، فقال صعصعه بن صوحان العبدي: ما لنا و لهذا- يعنى الأشعث- ليقولن أمير المؤمنين في العرب قولاً لا يزال يذكر.

فقال عليه السّلام: من يعذرني من هؤلاء الضياطره يتمرغ أحدهم على فراشه تمرغ الحمير، و يهجر قوم للذكر فيأمرني أن أطردهم، ما كنت أطردهم فأكون من الجاهلين، و الذي فلق الحبه و برأ النسمة ليضربنكم على الدين عودا

ص: ١٢

١- ١) مقاتل الطالبين: ٢٠. [١]

٢- ٢) مقاتل الطالبين: ٢٠. [٢]

٣- ٣) كامل المبرد ١٨٣: ٧. [٣]

كما ضربتموهم عليه بدءاً.

قال:المبرد:الضياطره جمع ضيطر و ضيطار،و هو الأحمر الفاحش.

و قال أبو عبيد«الحمراء»العجم و الموالى لأن الغالب على ألوانهم البياض و الحمرة،كما أن الغالب على العرب السمرة،و«الضياطره»الضخام الذين لا نفع عندهم و لا غناء (١).

و منها ما رواه(خلفاء ابن قتيبه)أنه عليه السّلام خطب بعد قتل الخوارج و حضّ الناس على حرب معاويه،فتخاذلوا فجعل يؤنّبهم و يشكو من تخاذلهم،فقام الأشعث فقال:فهلا- فعلت كما فعل عثمان.فقال عليه السّلام له:ويلك و كما فعل عثمان رأيتنى فعلت،عائذا بالله من شر ما تقول،و الله ان العذى فعل عثمان لمخزاه على من لا دين له و لا حجّه معه،فكيف و أنا على بينه من ربى و الحق معى،و الله ان امرأ يمكن عدوّه من نفسه فينهش عظمه و يسفك دمه لعظيم عجزه و ضعيف قلبه،أنت يا ابن قيس فكن ذلك،فأما أنا فو الله دون أن اعطى ذلك ضرباً بالمشرفى يطير له فراش الرأس و تطيح منه الأكف و المعاصم و تجدّ به الغلاصم و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء (٢).

و منها ما رواه الصدوق فى(توحيده)أنه عليه السّلام خطب بعد بيعه الناس له و قال:سلونى قبل أن تفقدونى،هذا سقط العلم،هذا لعاب النبى،هذا ما زنى النبى زقا فسلونى فان عندى علم الأولين و الآخرين-الى أن قال-فقام إليه الأشعث و قال:كيف تؤخذ الجزية من المجوس و لم ينزل عليهم كتاب و لم يبعث اليهم نبى؟فقال عليه السّلام:بلى يا أشعث قد أنزل الله عليهم كتاباً و بعث اليهم

ص:١٣

١-١) رواه المبرد فى الكامل ٤:٩٦،و العياشى فى تفسيره ١:٣٦٠ ج ٢٦٠،و أبو عبيد فى غريب الحديث ٣:٤٨٤، و [١]الثقفى فى الغارات ٢:٤٩٨. [٢]

٢-٢) الامامه و السياسه ١:١٥١. [٣]

رسولا حتى كان لهم ملك سكر ذات ليله فدعا بابنته الى فراشه-الخبر (١).

«عليك لعنة الله» وقد كان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعنه و سرت اللعنه فى أعقابه، فروى (الكافى): ان الباقر عليه السّلام قال لسدير: بلغنى عن نساء أهل الكوفه جمال و حسن تبعل، فابتغ لى امرأه ذات جمال فى موضع. فقال: قد أصبتها جعلت فداك، فلانه بنت فلان بن محمد بن الأشعث، فقال عليه السّلام: ان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعن أقواما، فجرت اللعنه فى أعقابهم الى يوم القيامه، و أنا أكره أن يصيب جسدى جسد أحد من أهل النار (٢).

و روى الكشى: ان رجلين من ولد الأشعث استأذنا على الصادق عليه السّلام، فلم يأذن لهما، فقيل له: ان لهما ميلا و موده. فقال عليه السّلام: ان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعن أقواما، فجرى اللعن فيهم و فى أعقابهم الى يوم القيامه (٣).

حتى ان مسجده كان ملعونا، ففى الكافى عن أبى جعفر عليه السّلام: ان بالكوفه مساجد ملعونه و مساجد مباركه-الى أن قال- و أما المساجد الملعونه فمسجد ثقيف و مسجد الأشعث-الخبر.

و عنه عليه السّلام: جددت أربعة مساجد بالكوفه فرحا لقتل الحسين عليه السّلام:

مسجد الأشعث، و مسجد جرير-الخبر.

و عن الصادق عليه السّلام: ان أمير المؤمنين نهى عن الصلاه بالكوفه فى خمسة مساجد: مسجد الأشعث، و مسجد جرير، و مسجد سماك، و مسجد شبث و مسجد التيم (٤).

«و لعنه اللاعنين» قال: ابن أبى الحديد: قال الطبرى فى (تاريخه): كان

ص: ١٤

[١-١] توحيد الصدوق: ٣٠٤ ح ١. [١]

[٢-٢] الكافى ٥: ٥٦٩ ح ٥٦. [٢]

[٣-٣] اختيار معرفة الرجال: ٤١٢ ح ٧٧٧. [٣]

[٤-٤] الكافى ٣: ٤٨٩ و ٤٩٠ ح ٣-١. [٤]

المسلمون يلعنون الأشعث، و يلعنه الكافرون أيضا و سبايا قومه (١).

«حائك ابن حائك» فى السير- كما قال ابن أبى الحديد فى موضع آخر- ان الأشعث خطب إليه عليه السّلام ابنته فزبره و قال: يا ابن الحائك أغرك ابن أبى قحافه (٢).

و فى (الأغانى): كان المغيره و الأشعث و جرير يوما متوافقين بالكناسه، فطلع عليهم اعرابى، فقال لهم المغيره: دعونى أحرکه. قالوا: لا تفعل، فان للاعراب جوابا يؤثر. قال: لا بد. قالوا: فأنت أعلم. فقال له: يا اعرابى هل تعرف المغيره؟ قال: نعم أعرفه أعور زانيا، فوجم ثم تجلد فقال: هل تعرف الأشعث قال: نعم ذاك رجل لا يعدى قومه لأنّه حائك ابن حائك.

قال ابن أبى الحديد: قال عليه السّلام للأشعث «حائك ابن حائك» لأن أهل اليمن يعيرون بالحيآكه، و ليس هذا ممّا يخص الأشعث. و من كلام خالد بن صفوان:

ما أقول فى قوم ليس فيهم إلا حائك برد، أو دابغ جلد، أو سائس قرد، ملكتهم امرأه، و أغرقتهم فأره، و دل عليهم هدهد (٣).

قلت: ان سلم ذلك فيه فلا يسلم فى أبيه، بل فيه أيضا، ففى (النهايه): قال الأشعث لعلى عليه السّلام: ما أحسبك عرفتنى. فقال: بلى و انى لأجد بنه الغزل منك- أى: ريح الغزل- رماه بالحيآكه.

قيل كان أبو الأشعث يولع بالنساجه، و فى حديث على عليه السّلام أيضا قال للأشعث «ان أبا هذا كان ينسج الشمال باليمين» الشمال جمع شمله أى: الكساء، و قوله عليه السّلام «الشمال بيمينه» من أحسن الألفاظ

ص: ١٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٢: ٥٤٨، سنه ١١، و [١] شرح ابن أبى الحديد ٢٩٦: ١. [٢]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٧٥: ٤. [٣]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٩٧: ١. [٤]

و أَلطَفها بلاغُه و فصاحه-إلخ (١).

و استشهاده بكلام خالد في غير محله، لأنه أراد الحائك حقيقه، لأنه قسّم عملهم الى ثلاثة أشياء: الحياكه و الدباغه و ساسه القرد.

و مما يؤيد إرادته الحائكيه حقيقه في الأشعث و أبيه أنه عليه السّلام لم يكن كباقي الناس لا- يبالون في أقوالهم عن تجاوز الحقيقه، و انه عليه السّلام طعن في أبي موسى الأشعري بكونه ابن حائك دون ان يجعله حائكا، مع كون أبي موسى أيضا من أهل اليمن، فأى استبعاد أن يكون الأشعث قبل هجرته كأبيه حائكا.

و كلامه عليه السّلام في أبي موسى ما رواه (المروج): أنه عليه السّلام لما بلغه يوم الجمل ان أبا موسى يثبط الناس عنه كتب إليه «اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذموما مدحورا، فما هذا بأول يومنا منك، و ان لك فينا لهنات و هنيات» (٢).

هذا، و أخذ بديع الزمان الهمداني لفظه عليه السّلام «حائك ابن حائك» في اظهاره توليه عليه السّلام فقال- كما في (تذكرة السبط)- مخاطبا له:

يا دار منتجع الرساله بيت مختلف الملائك

يا ابن الفواطم و العواتك و الترائك و الارائك

انا حائك- ان لم أكن مولى ولائك- و ان حائك (٣)

هذا، و أراد خالد القسري تصحيح نسبه في اليمن بكونه حائك ابن حائك، مع ان المشهور كون جدّه عبدا لأهل هجر، فروى أبو الفرج عن أبي عبيده: ان الفرزدق أتى خالد بن عبد الله القسري يستحمله في ديات حملها، فقال له خالد: ايه يا فرزدق كأني بك قد قلت: «آتى الحائك ابن الحائك، فأخذه»

ص: ١٦

١- ١) النهايه ١: ١٥٧ [١] ماده (بَن)، و ٢: ٥٠٢ ماده (شمل).

٢- ٢) مروج الذهب ٢: ٣٥٩. [٢]

٣- ٣) تذكره الخواص: ٣٤. [٣]

عن ماله ان اعطاني، أو أذمه ان منعني» فأنا حائك ابن حائك و لست أعطيك شيئا، فاذممني كيف شئت، فهجاه الفرزدق.

و صنعه الحياكه صنعه مذمومه، قال الجاحظ في رسالته الى الفتح بن خاقان: ان أصحاب الخلقان و السماكين و النخاسين و الحاكة في كل بلد و من كل جنس شرار خلق الله في المبيعه و المعامله، فعلمنا بذلك ان ذلك خلقه في هذه الصناعات، و بنيه في هذه التجارات، حتى صاروا من بين جميع الناس كذلك.

و نقل الخوئي عن السيد الجزائري عن البهائي حديثا في ذم الحاكة لم نقله لأنه ركيك لا يبعد اختلاقه (١).

و في (المعجم): قال أبو هلال العسكري:

اذا كان مالى من يلتقط العجم و حالى فيكم حال من حاك أو حجم

فأين انتفاعى بالاصاله و الحجى و ما ربحت كفى من العلم و الحكم

و في (عيون القتيبي): قال كعب لا تستشيروا الحاكة، فان الله سلبهم عقولهم، و نزع البركه من كسبهم.

و في (تفسير القمي) في قوله تعالى: «و هُزِّيْ إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلِهِ» (٢) و نقله الخوئي أيضا- ان النخلة كانت نخله يابسه، فاستقبل مريم الحاكة على بغال شهب- و كانت الحياكة أنبل صناعه ذاك اليوم- فقالت لهم: أين النخلة اليابسه، فاستهزءوا بها و زجروها، فقالت لهم: جعل الله كسبكم نزرا، و جعلكم في الناس عارا، ثم استقبلها قوم من التجار، فدلوها على النخلة اليابسه، فقالت

ص: ١٧

١- ١) شرح الخوئي ٣٧٣: ١.

٢- ٢) مريم: ٢٥. [١]



لهم: جعل الله البركة في كسبكم، و أخرج الناس اليكم (١).

و ذكروا ان رجلا قال للأعمش: ما تقول في الصلاة خلف الحائك؟ فقال:

لا بأس بها على غير الوضوء. قال: فما تقول في شهادته؟ فقال: تقبل مع شهاده عدلين.

هذا، و روى (الكافي) في باب كذبه أنه ذكر لأبي عبد الله عليه السلام أن الحائك ملعون، فقال: إنما ذاك الذي يحوك الكذب على الله و رسوله (٢).

«منافق ابن كافر» في (المناقب): روى عن الحسن عليه السلام ان الأشعث بنى في داره مأذنه، فكان اذا سمع الأذان من جامع الكوفة يصبح من على مأذنته:

يا رجل أنك لكاذب ساحر-يعنى أمير المؤمنين (٣).

و روى يحيى بن عيسى الرملى و قد نقله ابن أبى الحديد عند قوله عليه السلام «أما انه سيظهر عليكم رجل رحب البلعوم» عن الأعمش ان جريرا و الأشعث خرجا الى الجبان بالكوفة، فمر بهما ضب يعدو- و هما فى ذم على- فنادياه يا أبا حسل هلم يدك نبايعك بالخلافه، فبلغ علينا قولهما فقال: أما انهما يحشران يوم القيامة و أمامهما ضب (٤).

و فى (خلفاء ابن قتيبه) و غيره: قال أبو بكر فى احتضاره: و الله ما آسى إلا على ثلاث فعلتھن ليتنى كنت تركتھن و ثلاث تركتھن ليتنى فعلتھن- الى أن قال- ليتنى كنت حين أتيت بالأشعث أسيرا قتلته و لم استحيه، فانى سمعت منه و أراه لا يرى غيا و لا شرا إلا أعان عليه، و كان

ص: ١٨

١- ١) تفسير القمى ٢: ٤٩، و [١] شرح الخوئى ١: ٣٧٣. [٢]

٢- ٢) الكافي ٢: ٣٤٠ ح ١٠. [٣]

٣- ٣) مناقب السروى ٢: ٢٦٣.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٧٥. [٤]

أبو بكر عفا عنه و زوجه بنته (١).

و فى تاريخ الطبرى فى قصه التحكيم-قال الأشعث و أولئك الذين صاروا خوارج بعد فانا قد رضينا بأبى موسى. قال على: انكم عصيتمونى فى أول الأمر، فلا تعصونى الآن، انى لا أرى أن اولى أبا موسى. فقال الأشعث و نفران: لا نرضى إلا به، فانه كان يحذرنا ما وقعنا فيه. قال على: ليس أبو موسى لى بثقه قد فارقتى و خذل الناس عنى، و لكن هذا ابن عباس نوليه ذلك.

قالوا ما نبالى كنت أنت أم ابن عباس، لا نريد إلا رجلا هو منك و من معاويه سواء. فقال على: فانى أجعل الأشعث. فقال الأشعث. و هل نحن إلا- فى حكم الأشعث. قال على: و ما حكمه؟ قال الأشعث: ان يضرب بعضنا بعضا بالسيوف حتى يكون ما أردت و أراد، قال: فهل أبيتهم إلا أبا موسى. قالوا: نعم. قال:

فاصنعوا ما أردتم-الى أن قال-لما كتبت الصحيفة قال الاشر: لا صحبتنى يمينى و لا نفعتنى بعدها شمالى ان خط لى فى هذه الصحيفة اسم على صلح و لا- موادعه، أو لست على بينه من ربه و ضلال عدوى، أو لستم قد رأيتم الظفر لو لم تجمعوا على الخور. فقال له الأشعث: انك ما رأيت ظفرا و لا خورا هلم الينا، فانه لا رغبه بك عنا. فقال له الاشر: بلى و الله لرغبه بى عنك فى الدنيا للدنيا، و فى الآخره للآخره، و لقد سفك الله تعالى بسيفى هذا دماء رجال ما أنت عندى خيرا منهم و لا أحرم دما. فنظر الى الأشعث و كأنما قصع على أنفه الحمم (٢).

و يكفى فى نفاقه شركته فى دم أمير المؤمنين عليه السلام كما مر من

ص: ١٩

---

١ - ١) رواه ابن قتيبه فى الامامه و السياسه ١: ١٨، و [١] الطبرى فى تاريخه ٢: ٦١٩ سنة ١٣، و [٢] الجوهرى فى السقيفه: ٣٩ و [٣] غيرهم.

٢ - ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٣٦ و [٤] سنة ٣٧، ٣٩.

مساعدته ابن ملجم- كما ان ابنته جعده كانت قاتله الحسن عليه السّلام بسم أرسله اليها معاويه، و شرك ابنه محمّد بن الأشعث في دم مسلم بن عقيل قاتله فيمن قاتله، و أعطاه الأمان، و لم يدافع عنه حتى قتله ابن زياد، و شرك ابنه الآخر قيس بن الأشعث في دم الحسين عليه السّلام، مع انه كان ممن كتب إليه و دعاه، ثم شهد قتله و سلبه، ففى (تاريخ الطبرى): نادى الحسين عليه السّلام يوم الطف: يا قيس بن الأشعث و يا فلان و فلان ألم تكتبوا إليّ قد أينعت الثمار، و اخضرت الجناب، و طمت الحمام، و انما تقدم على جند لك مجند فأقبل؟ قالوا: لم نفعل.

قال: بلى و الله لقد فعلتم. ثم قال: اذ كرهتمونى دعونى انصرف الى مأمنى من الأرض. فقال له قيس بن الأشعث: أولاً تنزل على حكم بنى عمك، فانهم لن يروك إلا ما تجب. فقال له الحسين: أنت أخو أخيك أ تريد أن يطلبك بنو هاشم بأكثر من دم مسلم بن عقيل، لا و الله لا أعطيكم بيدي اعطاء الذليل (١).

و فيه: لما قتل الحسين عليه السّلام جاءت كنده بثلاثه عشر رأساً ممّن قتل مع الحسين الى عبيد الله، و صاحبهم قيس بن الأشعث (٢).

و فيه: و أخذ قيس بن الأشعث بعد قتل الحسين عليه السّلام قطيفته- و كانت من خز- و كان قيس يسمى بعد قيس قطيفه (٣).

و فى (المقاتل): كانت اخته جعده التى سمّت الحسن عليه السّلام تسمّى بعد مسمه الأزواج (٤).

و فى (تاريخ الطبرى)- فى قصه من قتله مصعب من أصحاب المختار بعد قتله- ثم مر عبد الرحمن بن محمّد بن الأشعث بعبد الله بن قراد من

ص: ٢٠

[١- ١] تاريخ الطبرى ٣٢٣: ٤، سنه ٦١. [١]

[٢- ٢] تاريخ الطبرى ٣٥٨: ٤، سنه ٦١. [٢]

[٣- ٣] تاريخ الطبرى ٣٤٦: ٤، سنه ٦١. [٣]

[٤- ٤] مقاتل الطالبين: ٤٨. [٤]

أصحاب المختار-و كان أخرج مكتفا فقال:قدموه اليّ أضرب عنقه.فقال له عبد الله:أنا على دين جدك الذى آمن ثم كفر ان لم أكن ضربت أباك بسيفى حتى فاظ (١).

«و الله لقد أسرك الكفر مره» قال ابن أبي الحديد:ذكر ابن الكلبي في (جمهره النسب):ان مرادا لما قتلت قيسا الأشج خرج الأشعث طالبا بثأره، فخرجت كنده متساندين على ثلاثة ألويه،على أحدها كبش بن هانى،و على الاخرى القشعم،و على أحدها الأشعث فأخطئوا مرادا و وقعوا على بنى الحارث بن كعب،فقتل كبش و القشعم و أسر الأشعث،ففدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربى بعده و لا قبله،فقال عمرو بن معديكرب الزبيدى:

فكان فداؤه ألفى بعير و ألفا من طريفات و تلد (٢)

قلت:و قبله.

و هم قتلوا بذات الجار قيسا و أشعث سلسلوا فى غير عقد

أتانا ثائرا بأبيه قيس فأهلك جيش ذلكم السمغد

و قال عمرو بن معديكرب أيضا كما فى أمالى القالى:

و الأشعث الكندى حين سمالنا من حضرموت مجنب الذكران

قاد الجياد على و جاها شزبا قب البطون نواحل الأبدان

حتى اذا أسرى و أوس دوننا من حضرموت الى قضيب يمان

أضحى و قد كانت عليه بلادنا محفوفه كحظيره البستان

فدعا فسومها و أيقن أنه لا شك يوم تسايف و طعان

لما رأى الجمع المصبح خيله مبهوثه ككواسر العقبان

ص:٢١

١- (١) تاريخ الطبرى ٤:٥٧١،سنه ٦٧. [١]

٢- (٢) نقله عنه ابن أبي الحديد فى شرحه ١:٢٩٣.

فزعوا الى الحصن المذاكى عندهم وسط البيوت يردن فى الأرسان

الى أن قال:

فأصيب فى تسعين من أشرفهم أسرى مصفده الى الأذقان

«و الاسلام أخرى» قال ابن أبى الحديد: ان النبى صلى الله عليه و آله لما قدمت كنده حجابا قبل الهجره، عرض نفسه عليهم، كما كان يعرض نفسه على أحياء العرب، فدفعه بنو وليعه- من بنى عمرو بن معاويه- و لم يقبلوه، فلما هاجر النبى و تمهدت دعوته، و جاءته وفود العرب، جاءه وفد كنده فيهم الأشعث و بنو وليعه فأسلموا، فأطعم النبى بنى وليعه من صدقات حضر موت- و كان قد استعمل زياد بن ليلى البياضى الأنصارى على الصدقات، فدفعها زياد اليهم فأبوا أخذها و قالوا: لا ظهر لنا، فابعث بها الى بلادنا على ظهر من عندك، فأبى زياد، و حدث بينه و بينهم شر كاد أن يكون حربا، فرجع منهم قوم الى النبى صلى الله عليه و آله و كتب زياد الى النبى يشكوهم.

و فى هذه الواقعة كان الخبر المشهور عن النبى صلى الله عليه و آله قال لبنى وليعه:

لتنتهن يا بنى وليعه أو لأبعثن عليكم رجلا عدل نفسى يقتل مقاتلتكم و يسبى ذراريكم. قال عمر: فما تمنيت الاماره إلا يومئذ و جعلت أنصب له صدرى رجا أن يقول هو هذا، فأخذ بيد على عليه السلام و قال: هو هذا. ثم كتب لهم كتابا الى زياد، فوصلوا إليه بالكتاب، و قد توفى النبى صلى الله عليه و آله، و طار الخبر بموته الى قبائل العرب، فارتدت بنو وليعه و غنت بغاياهم و خضبن أيديهن.

قال الطبرى: فأمر أبو بكر زيادا على حضر موت، و أمره بأخذ البيعه على أهلها و استيفاء صدقاتهم، فبايعوه إلا بنى وليعه، فلما خرج ليقبض الصدقات من بنى عمرو بن معاويه أخذ ناقه لغلام منهم يعرف بشيطان بن حجر- و كانت صفيه نفيسه اسمها شذره- فمنعه الغلام عنها و قال: خذ

غيرها، فأبى زياد ذلك و لَحَّ فاستغاث شيطان بأخيه، فقال لزياد: دعها و خذ غيرها، فأبى و لَحَّ الغلامان و لَحَّ زياد و قال لهما: لا تكونن شذره عليكما كالبسوس، فهتف الغلامان: يا لعمر و أنضام و نضطهد، ان الذليل من أكل في داره، و هتفا مسروق بن معديكرب فقال لزياد: اطلقها، فأبى فقال مسروق:

يطلقها شيخ بخديه الشيب ملمعا فيه كتلمع الثوب

ماض على الريب اذا كان الريب

ثم قام فأطلقها، فاجتمع الى زياد أصحابه، و اجتمع بنو وليعه و أظهروا أمرهم، فبيّتهم زياد و هم غارون، فقتل منهم جمعا كثيرا و نهب و سبى و لحق فلهم بالأشعث، فقال لا- أنصركم حتى تملكوني، فملكوه و توجوه كما يتوج الملك من قحطان، فخرج الى زياد في جمع كثيف، و كتب ابو بكر الى المهاجرين ابى اميه و هو على صنعاء أن يسير بمن معه الى زياد، فاستخلف و سار، فلقوا الأشعث و هزموه، و قتل مسروق و لجأ الأشعث و الباقون الى الحصن المعروف بالنجير، فحاصرهم المسلمون حصارا شديدا حتى ضعفوا، و نزل الأشعث ليلا الى المهاجر و زياد، فسألها الأمان على نفسه حتى يقدمها به على أبى بكر، فبرى فيه رأيه على أن يفتح لهم الحصن و يسلم إليهم من فيه، و قيل بل كان في الأمان عشره من أهل الأشعث- فأمناه و أمضيا شرطه، ففتح لهم الحصن، فدخلوه و استنزلوا كل من فيه، و أخذوا أسلحتهم، و قالوا للأشعث:

اعزل العشره، فعزلهم فتركوهم و قتلوا الباقين- و كانوا ثمانمائه- و قطعوا أيدي النساء اللاتي شمتن بالنبي، و حملوا الأشعث الى أبى بكر موثقا في الحديد هو و العشره، فعفا عنه و عنهم و زوجة اخته ام فروه بنت أبى قحافه- و كانت عمياء- فولدت للأشعث محمدا و اسماعيل و إسحاق، خرج الأشعث يوم البناء عليها الى سوق المدينة، فما مر بذات أربع إلا عقرها و قال للناس:

هذه وليمة البناء و ثمن كل عقيره فى مالى-إلخ (١).

وفى (أمثال الكرماني) فى عنوان «أولم من الأشعث»: ارتد الأشعث فى جملة أهل الردة، فأتى به أبو بكر أسيراً، فأطلقه و زوجته اخته رغبه منه فى شرفه، فخرج من عند أبى بكر و دخل السوق، فاخترط سيفه ثم لم تلقه ذات أربع إلا عرقبها من عقير و بقر و فرس، و مضى فدخل دارا من دور الأنصار، فصار الناس حشدا الى أبى بكر و قالوا: هذا الأشعث قد ارتد ثانيه، فبعث أبو بكر إليه فأشرف الى السطح و قال: يا أهل المدينة انى غريب ببلدكم و قد أولمت بما عرقت فليأكل كل انسان ما وجد و ليغد على من كان له قبلى حق، فلم يبق دار من دور المدينة إلا- دخلها من ذلك اللحم و لا- رؤى أشبه بيوم الأضحى من ذلك اليوم، فضرب أهل المدينة به المثل فقالوا «أولم من الأشعث»، و قال الأصمغ بن حرملة الليثى لأبى بكر فى مصاهرته هذه:

أتيت بكندى قد ارتد و انتهى الى غايه من نكث ميثاقه كفرا

فكان ثواب النكث احياء نفسه و كان ثواب الكفر تزويجه البكرا

و لو أنه رام الزيادة مثلها لأنكحته عشرا و اتبعته عشرا

فقل لأبى بكر لقد شنت بعدها قريشا و أخملت النباهه و الذكرا

أما كان فى تيم بن مره واحد تزوجه لو لا أردت به الفخرا

و لو كنت لما أن أتاك قتلته لأحرزتها ذكرا و قدمتها ذكرا

فأضحى يرى ما قد فعلت فريضه عليك فلا حمدا حويت و لا أجرا (٢)

قلت: و كانت وليمة جاهليه، و ما عقره ما أهل به لغير الله، و قد حكم أمير المؤمنين عليه السلام بحرمة مثله فى قضيه أبى الفرزدق التى كانت فى

ص: ٢٤

١-١) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٢٩٣:١-٢٩٦، و الطبرى فى تاريخه ٥٤٢:٢، سنه ١١.

٢-٢) مجمع الأمثال ٣٧٩:١. [١]

زمانه، و لم يتكلم في قضيه الأشعث تقيه من أبي بكر لأنه فعل ذلك في وليمه اخته.

و لما زوجه أبو بكر للمفاخره و أولم الأشعث بما فعل للمفاخره كانت نتيجة تلك المصاهره المشؤومه تولد قاتلين لابن رسول الله و سيد شباب أهل الجنه .

«فما فداك من واحده منهما ما لك و لا حسبك» قال ابن أبي الحديد: لا يريد عليه السلام به الفداء الحقيقي، فان الأشعث فدى في الجاهليه بفداء يضرب به المثل، فيقال «أعلى فداء من الأشعث»، و انما يريد عليه السلام ما دفع عنك الأسر مالك و لا حسبك (١).

قلت: انما المثل «أوفى فداه من الأشعث» و الأمثال لا تغير، ذكره العسكرى في (أمثاله)، و المراد به أسره الأول، و أما الثاني فقد عرفت أن أبا بكر جعل فداه تزويجه اخته، و انما في الثاني يضرب المثل بوليمته التي عرفت.

و انما قال عليه السلام (فما فداك من واحده منهما ما لك و لا حسبك) لأن ذوى الكمال يمنعهم كمالهم من أسرههم أو أخذ الفديه منهم.

و لقد أسر متمم بن نويرة، ففداه جمال أخيه مالك و مقاله، ففي الأغاني:

دخل متمم على عمر، فقال له عمر: ما أرى في أصحابك مثلك. فقال: أما و الله انى مع ذلك لأركب الجمل الثفال و اعتقل الرمح المثلوب، و لقد أسرتنى بنو تغلب فى الجاهليه، فبلغ ذلك أخى مالكا، فجاء ليفدينى منهم، فلما رآه القوم أعجبهم جماله، و حدثهم فأعجبهم حديثه، فأطلقونى له بغير فداء.

هذا، و فى (الأغاني): كان أعشى همدان ممن أغزاه الحجاج بلد الديلم

ص: ٢٥

(١ - ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٩٢: ١. [١]



و نواحى دستبى، فأسر فلم يزل أسيرا فى أيدي الديللم مدده، ثم ان بنتا للعلج اللى أسره هويته، فصارت إليه ليلا، فمكنته من نفسها، فأصبح و قد واقعها ثمانى مرات، فقالت له: أ هكذا تفعلون بنسائكم؟ قال: هكذا يفعل كلنا. فقالت له:

بهذا العمل نصرتم، أ فرأيت ان خلصتكم أ تصطفينى لنفسك. فقال لها: نعم و عاهدها، فلما كان الليل حلت قيوده، و أخذت به طرقا تعرفها، حتى خلصته و هربت معه، فقال شاعر من أسرى المسلمين:

فمن كان يفديه من الأسر ماله فهمدان تفديها الفداه ايورها

و فيه أيضا: أسر عتيبه بن الحارث بن شهاب يوم شعب جبله، فقيد فى القد، فكان يبول على قده حتى عفن، فلما دخل الشهر الحرام هرب، فأفلت منهم بغير فداء.

و فى تعليق السيرافى على كتاب سيبويه: ان ابن الصعق - و صعق جده قيل له الصعق لأنه كان يطعم الناس بتهامه، فهبت ريح، فسفت فى جفانه التراب، فشتمها، فرمى بصاعقه فقتلته - كان أسر و بره بن روماس الكلبى أخوا النعمان بن المنذر لأمه، فأرسل إليه النعمان ان يطلقه، فأبى حتى يحكم، فحكمه، فاحتكم مائه فرس و مائه بغير و مائه شاه و مائه سيف و مائه رمح و ألف قوس و ألف درع، فأرسل إليه بذلك فخلّى سبيله (١).

«و ان امرأ دل على قومه السيف و ساق اليهم الحتف» أى: الهلك «لحرى» أى:

جدير «ان يمقته» أى: يبغضه «الأقرب و لا يأمنه الأبعد» بعد عمله مع القريب بما أهلكه، أشار عليه السّلام بعمله مع قومه حيث فتح باب حصن النجير لزيد البياضى و المهاجر حتى قتلا من فيه.

و فى (الأغانى): لما انهزم ابن الأشعث و اسر أصحابه كان فيهم أعشى

ص: ٢٤

---

١-١) راجع ما نقله عنه ابن منظور فى لسان العرب ١٩٩: ١٠، ماده (صعق).

همدان،فأتى به الحجاج أنشده قصيده من أبياتها:

لقد شمت يا ابن الأشعث العام مصرنا فظلوا و ما لاقوا من الطير أسعدا

كما شاءم الله النجير و أهله بجدك من قد كان أشقى و أنكد

هذا،و(المصريه)اقتصرت على العنوان و فيها سقط،فان(ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخوئى و الخطيه)نقلوا بعد العنوان بيانا للسيد على ما تعرف (1).

قول المصنّف:(يريد عليه السّلام أنّه أسرف فى الكفر مره و فى الاسلام مره) هكذا فى(ابن أبى الحديد و الخوئى و الخطيه)،و لكن(ابن ميثم)خال عن هذا الكلام (2).و كيف كان فالمراد ان قوله«أسرك الكفر مره و الاسلام اخرى» مجاز و نظير قول الشاعر:

أشاب الصغير و أفنى الكبير كّر الغداه و مرّ العشى

(و أما قوله عليه السّلام)هكذا فى(ابن أبى الحديد و الخوئى و الخطيه)،و لكن فى (ابن ميثم)«أراد بقوله عليه السّلام» (3)(دل على قومه السيف فأراد به حديثا كان للأشعث مع خالد بن الوليد)هكذا فى(ابن أبى الحديد و الخوئى و الخطيه)، و لكن فى(ابن ميثم):«دل على قومه السيف ما جرى له مع خالد بن الوليد» (4).

«باليمامه غرّ فيه قومه»هكذا فى(ابن أبى الحديد و الخوئى و الخطيه)،

ص: ٢٧

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١:٢٩١،و [١]شرح ابن ميثم ١:٤٢٢،و [٢]شرح الخوئى ١:٣٧١.

٢-٢) المصدر السابق.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١:٢٩١،و [٣]شرح ابن ميثم ١:٣٢٢،و [٤]شرح الخوئى ١:٣٧١.

٤-٤) المصدر السابق.

و لكن فى (ابن ميثم) باليمامة فانه غر قومه و مكر بهم حتى أوقع بهم خالد (١)، من هنا الى آخره اتفق الجمع عليه.

و كيف كان فقال ابن أبى الحديد: لم يعرف فى التواريخ ان الأشعث جرى له باليمامة مع خالد هذا و لا شبهه، و أين كنده و اليمامة، كنده باليمن و اليمامة لبني حنيفه و لا أعلم من أين نقل الرضى هذا (٢).

و قال ابن ميثم: لم أقف على شىء من ذلك فى وقائع خالد باليمامة، و حسن الظن بالسيد يقتضى تصحيح نقله، و لعل ذلك فى وقعه لم أقف على أصلها، و نقله الخوئى و قرره (٣).

قلت: حسن الظن بالرضى بل علو مقامه يمنع من أن يختلق شيئاً و لا- يمنع من أن يحصل له و هم، فكان فى باله وقائع خالد باليمامة، فتوهم كونها مع الأشعث، و انما كانت مع مسيلمه الكذاب.

و قوله «و لعل ذلك فى وقعه لم أقف على أصلها» فى غير محله، فانه نظير أن يقال لك «فلا ن فى المدار الفلانيه» و دخلت و لم تره، فلا يبقى لك ريب فى عدم كونه فيها. نعم ابن ميثم من حيث أنه لم يكن مضطلعاً بالتاريخ ليس له إذا لم يقف على شىء أن يعترض من قبل نفسه، و عدم علمه لا يبطل علم آخر.

«و كان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار» و الأصل فى العرف شعر عنق الديك و الفرس.

و فى (الأغانى) فى قيس بن عاصم قال علان بن الحسن الشعوبى: بنو

ص: ٢٨

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٩١، و [١] شرح ابن ميثم ١: ٣٢٣، و شرح الخوئى ١: ٣٧١.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٩٦. [٢]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ١: ٣٢٥، و شرح الخوئى ١: ٣٧٥.

منقر قوم غدر، يقال لهم «الكوادن» و يلقبون أيضا أعراف البغال.

و فى (لطايف الثعالبى): أغره الناس فى الغدر عبد الرحمن بن محمّد بن أشعث بن قيس بن معديكرب، غدر عبد الرحمن بالحجاج لما ولّاه البلاد و خرج عليه و واقعه زهاء ثمانين وقعه، و كانت دائره السوء فى آخرها عليه، و غدر محمّد بن أشعث بأهل طبرستان و كان عبید الله ولّاه إياها، فصالح و عقد لهم، ثم عاد اليهم، فأخذوا عليه الشعاب و قتلوا ابنه أبا بكر و فضحوه.

و غدر الأشعث بنى الحارث بن كعب غزاهم، فأسروه، ففدى نفسه بمائتى بعير و أعطاهم مائه و بقيت عليه مائه، فلم يؤدها حتى جاء الاسلام، فهدم ما كان فى الجاهليه، و كان بين قيس بن معديكرب و مراد عهد الى أجل، فغزاهم فى آخر يوم من الأجل و كان ذلك يوم الجمعة و كان يهوديا، فقال: غدا السبت و لا يحل لى القتال، فقالتهم فقتلوه و مزقوا جيشه.

و غدر معديكرب بمهره و كان بينه و بينهم عهد، فغزاهم ناقضا للعهد، فقتلوه و شقوا بطنه، فملاؤه حصى.

قلت: ذكر فديه الأشعث هنا فى باب الخامس فى ذكر الاعرقين من كلّ طبقه هكذا، و قال فى باب الأول فى الأوائل: أول من مشى بين يديه الرجال و هو راكب الأشعث، و أسر مره، فافتدى بثلاثه آلاف ناقه، و هو أول من فادى بهذه الفديه، و الظاهر أصحيه الثانى لما مر من النقل عن (جمهره ابن الكلبي).

«و هو اسم للغادر عندهم» أى: عند قومه الذين كانوا أهل اليمن، ففى تاريخ الطبرى بعث بالأشعث الى أبى بكر مع السبى، فكان معهم يلعنه المسلمون و يلعنه سبايا قومه، و سمّاه نساء قومه عرف النار - كلام يمان يسمون به الغادر (1).

ص: ٢٩

و كما أن «عرف النار» اسم للغادر عند أهل اليمن، كذلك «كيسان» اسمه عند بني سعد بن تميم، فعن أبي عمرو بن العلاء: كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، وكانوا يسمون الغدر في الجاهلية «كيسان»، فقالوا فيهم:

إذا كنت في سعد و خالك منهم غريبا فلا يغرك خالك من سعد

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم الى الغدر أولى من شبابهم المرد

و كما أن قوم الأشعث كانوا يسمونه عرف النار على ما مر يسميه عليه السّلام عنق النار كما في الخبر، ففي (المناقب) في باب اخباره عليه السّلام بالغيب: روى ان الحسن بن علي عليه السّلام قال: كان أبي يسمى الأشعث «عنق النار» فسئل عن ذلك فقال: ان الأشعث اذا حضرته الوفاه دخل عليه عنق من النار ممدوده من السماء فتحرقه فلا يدفن إلا و هو فحمه سوداء، فلما توفي نظر سائر من حضر الى النار و قد دخلت عليه كالعنق الممدود حتى أحرقتة و هو يصيح بالويل و الثبور (1).

هذا، و روى (أمالي الصدوق و خصاله) في باب الأربعة عن جابر قال:

خطبنا على عليه السّلام ثم قال: ان قدام منبركم هذا أربعة رهط من أصحاب النبي صلي الله عليه و آله: أنس بن مالك، و البراء بن عازب، و الأشعث بن قيس الكندي، و خالد ابن يزيد البجلي. ثم أقبل على أنس فقال: ان كنت سمعت من النبي صلي الله عليه و آله يقول:

«من كنت مولاه فعلى مولاه» ثم لم تشهد لي فلا أماتك الله حتى يتليك ببرص لا تغطيه العمامه، و أما أنت يا أشعث فان كنت سمعت ذلك و لم تشهد لي فلا أماتك الله حتى يذهب بكريمتيك، و أما أنت يا خالد بن يزيد فان كنت سمعت و لم تشهد لي فلا أماتك الله إلا ميتة الجاهليه، و أما أنت يا ابن عازب فان كنت سمعت و لم تشهد لي فلا أماتك الله إلا حيث هاجرت. قال جابر: و الله لقد رأيت

ص: ٣٠

أنسا و قد ابتلى ببرص يغطيه بالعمامة فما تستره، و لقد رأيت الأشعث ذهبت كريمته و هو يقول «الحمد لله الذي جعل دعاء علي بالعمى في الدنيا، و لم يدع علي بالعذاب في الآخرة»، و أما خالد فانه مات، فأراد أهله أن يدفنوه، فسمعت بذلك كنده، فجاءت بالخييل و الابل، ففقرتها على باب منزله، فمات ميتة جاهليه، و أما البراء فولاه معاويه اليمن، فمات بها و منها هاجر».

و قلنا في كتابنا في الأحاديث المحرّفة و كتابنا في الرجال ان ابن بابويه و ان نقله في كتابين إلا أنه حرّف منه أو من أحد الرواه قبله في الثلاثه الأخيره، فان المدعو عليه بالعمى البراء بن عازب كما رواه العامه و الخاصه، و قد نسبه الى الأشعث، و انما الأشعث كان أعور الى موته، فقد عرفت من أخبار مساعدته لابن ملجم خطاب حجر و أخيه عفيف له بالأعور، و لم يبق بعده عليه السلام على الأصح إلا أربعين يوما (1).

ثم اذا كان شريكا في دمه عليه السلام و لم يبال بذلك و كان نفاقه متحققا كيف يحمد الله على عدم دعائه عليه السلام عليه بعذاب الآخرة، و انما رجع البراء بعد عماه إليه عليه السلام و قال بإمامته و حمد الله تعالى بذلك، و انما دعا عليه السلام على الأشعث بموت الجاهليه لعدم ايمانه، و الدليل عليه قوله فيه «فسمعت بذلك كنده، فجاءت بالخييل و الابل، ففقرتها على باب منزله» فكنده انما كانت قوم الأشعث، و حينئذ فكما كانت وليمته بعقر خيل و ابل من عمل الجاهليه، كذلك كان موته، و أى مناسبه لكنده بخالد البجلي.

و قلنا ثم ان خالد البجلي في الخبر محرف «جرير البجلي» لعدم وجود خالد بجلى في الصحابه، و ان عن (أنساب البلاذرى) روايه الخبر عن «جرير

ص: ٣١

البيجلي» (١)، ويشهد له ان في صدر الخبر عد البراء ثانيا و الأشعث ثالثا و البيجلي رابعا، فما ذكر ثانيا و ثالثا و رابعا لا بد أن يكون لهم كذلك فينطبق مع ما قلنا.

و يشهد لموته ميتة جاهلية ما في لطائف معارف الثعالبي: الأشعث أول من دفن في داره و لم ينقل الى موسم الموتى، و ذلك أنه لما مات لم يقدر على اخراجه و دفنه من كثره الزحام، و لم يقدر الحسن بن علي أن يدخل عليه، فدخل من بعض دور جيرانه و رأى الرجل ينزل عن دابته فيعقرها، و الآخر يجيء براحلتها فينحرها، فخاف الحسن أن يعقر الناس على قبره، فأمر بدفنه في داره. قلت: فقد عقروا على ميتة قبل دفنه، و ان صح ما نقل فأراد عليه السلام ان لا يزيدوا بعد على عملهم الشنيع اذا كان قبره خارجا.

٣

الكتاب (٧٨)

و من كتاب له عليه السلام إلى أبي موسى الأشعري جوابا في أمر الحكمين ذكره سعيد بن يحيى الأموي في كتاب المغازي:

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ - فَمِ الْوَأَمَّعِ الدُّنْيَا وَ نَطَقُوا بِالْهَوَى - وَ إِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هَذَا الْأَمْرِ مَنَزَلًا مُعْجَبًا - اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ - فَمِ الْوَأَمَّعِ أَدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحًا أَخَافُ أَنْ يَكُونُ عَلَقًا - وَ لَيْسَ رَجُلٌ فَمَاعِلَمٌ أَحْرَصَ عَلَيَّ جَمَاعَةً أُمَّه؟ مُحَمَّدٍ ص؟ - وَ أَلْفَتْهَا مِنِّي - أَبْتَغِي بِذَلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَ كَرَمَ الْمَأْبِ - وَ سَأْفِي بِالذِّي وَ أَيْتُ عَلَيَّ نَفْسِي -

ص: ٣٢

١-١) جاء الخبر في أنساب الأشراف ٢:١٥٦، و [١] فيه أنس بن مالك و البراء بن عازب و جرير بن عبد الله لا رابع لهم و جاء في مناقب السروي ٢:٢٧٩، نقلا عن البلاذري و غيره أنس و البراء و الأشعث و خالد بن يزيد.

وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحٍ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ - فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ - وَإِنِّي لَأَعْبُدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ -  
وَ أَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَضَلَّحَهُ اللَّهُ - فَدَعُ مَا لَا تَعْرِفُ - فَإِنَّ شَرَّ رَأَى النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقْوِيلِ الشُّوءِ - وَ السَّلَامُ قول المصنّف: (الى  
أبى موسى الأشعري جوابا فى أمر الحكّمين) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «أجاب به أبى موسى الأشعري عن كتاب كتبه إليه  
من المكان المذى اتعدوا فيه للحكومه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١)، و المكان الذى اتعدوا فيه للحكومه هو  
دومه الجندل، و هو المنصف بين العراق و الشام، كما قال الدينورى فى (أخباره).

(ذكره) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (و ذكر هذا الكتاب) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢) (سعيد بن يحيى  
الاموى) هو سعيد بن يحيى بن سعيد بن أبان ابن سعيد بن العاص بن اميه.

(فى كتاب المغازى) و يروى عن أبيه كتاب مغازى محمّد بن إسحاق، و يروى عنه مسلم و البخارى و البغوى، مات سنه (٢٤٩) كما  
يظهر من (تاريخ بغداد)، فيه و فى أبيه.

قوله عليه السّلام «فان الناس» الظاهر ان المصنّف أسقط صدر الكتاب «قد تغير كثير منهم عن كثير من حظهم فمالوا مع الدنيا و  
نطقوا بالهوى» أكثر الناس فى أكثر الأزمنه هكذا، قال تعالى: «و لَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ» (٣)، «و لَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَ  
الْإِنْجِيلَ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَ مِنْ تَحْتِ»

ص: ٣٣

١- ١) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٧٤، [١] لكن فى شرح ابن ميثم ٥:٢٣٥ [٢] مثل المصريه.

٢- ٢) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٧٤، [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ٥:٢٣٥ مثل المصريه.

٣- ٣) الصافات: ٧١. [٤]



«أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّهُ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ» (١)، «وَ أَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ» (٢)، «أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ وَ أَكْثَرُهُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ» (٣).

«و انى نزلت من هذا الأمر منزلا معجبا اجتمع به» أى:بذاك المنزل «أقوام أعجبتهم أنفسهم» فلا يقبلون نصح غيرهم و رأيه،و المراد الحال التى انتهى عليه السلام إليها مع أصحابه فى أمر الحكومه من الأشعث و الخوارج.

«فأنا أداوى منهم قرحا» قال الجوهري: قيل لامرئ القيس «ذو القرح» لأن ملك الروم بعث إليه قميصا مسموما،فتقرح منه جسده فمات.

«أخاف أن يكون» هكذا فى (المصريه)،و الصواب:(أن يعود) كما فى (ابن ميثم و الخطيه)و نسخه من ابن أبى الحديد (٤).

«علقا» أى:دما غليظا،أجبروه عليه السيّلام أولا على التحكيم،ثم على جعل أبى موسى حكما،فقبل منهم لاستصلاحهم،فكفروا و خرجوا عليه و كفروه .

«و ليس رجل -فاعلم-أحرص على امه» هكذا فى (المصريه)،و الصواب:

«على جماعه امه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«محمّد صلّى الله عليه و آله و ألفتها منى ابتغى بذلك حسن الثواب و كرم المآب» أى:

المرجع،و لاهتمامه عليه السيّلام على بقاء الامه على المله رضى يوم السقيفه بترك حقه لئلا يرتد الناس رأسا و يضمحل الاسلام كليه،و كيف لا يكون مهتما

ص: ٣٤

١- ١) المائدة: ٦٦. [١]

٢- ٢) آل عمران: ١١٠، و [٢]التوبه: ٨. [٣]

٣- ٣) المؤمنون: ٦٩ و ٧٠. [٤]

٤- ٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٧٤، [٥]لكن فى شرح ابن ميثم ٥:٢٣٥ مثل المصريه.

٥- ٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٧٤، [٦]لكن لفظ شرح ابن ميثم ٥:٢٣٦ «[٧]على الفه جماعه».

كذلك و هو كنفس النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بصريح القرآن (١) و استقرار الاسلام كان بمجاهداته و مساعيه بشهادة العيان .

«و سأفى بالذى وأيت» أى:وعدت «على نفسى» من قبول حكم الحكمين إذا حكما بحكم القرآن «و ان تغيرت عن صالح ما فارقتنى عليه» من الحكم بحكم الكتاب أو السنه القطعيه،ففى (الأخبار الطوال):كان فى كتاب عقد التحكيم «أخذ على عمرو بن العاص و عبد الله بن قيس عهد الله و ميثاقه و ذمته و ذمه رسوله ان يتخذا القرآن اماما،و لا يعدوا به الى غيره بما وجداه فيه مسطورا، و ما لم يجداه فى الكتاب رداه الى سنّه الرسول الجامعه،لا يتعمدان لها خلافا، و لا يبغيان فيها بشبهه».

«فان الشقى من حرم نفع ما أوتى من العقل و التجربه» فخدعه عمرو بن العاص و قال له:ما كنت أتقدمك فى الحكم و أنت أفضل منى.فقال أبو موسى:

حذرنى ابن عباس غدر عمرو فاطمأنت إليه .

«انى لأعبد» بفتح العين أى:الباء أى:آنف،قال الفرزدق.

و أعبد أن أهجو كليبا بدارم (٢)

«أن يقول» قال ابن أبى الحديد:و روى «ان قال» (٣)«قائل باطل» فى «و ان أفسد» قال ابن أبى الحديد:و روى «و يفسد» (٤)«امرا قد أصلحه الله،فدع» أى:اترك «ما لا تعرف» فأنه واجب على كل عاقل «فان شرار الناس طائرون» أى:

مستعجلون «اليك بأقاويل السوء» .

قال ابن أبى الحديد:قد أحسن من قال:

ص:٣٥

١-١ (١) تنظر الآيه ٦١ من سوره آل عمران.

٢-٢ (٢) أورده لسان العرب ٣:٢٧٥، [١]ماده(عبد).

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧٥:١٨. [٢]

٤-٤ (٤) المصدر السابق.

ان يسمعوا الخير يخفوه و ان سمعوا شرا اذاعوا و ان لم يسمعوا كذبوا

و من قال:

ان يسمعوا ريبه طاروا بها فرحا و ان ذكرت بخير عندهم دفنوا (١)

٤

الكتاب (٢٠)

و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه و هو خليفه عامله عبد الله بن عباس على البصره، و عبد الله عامل أمير المؤمنين عليه السلام يومئذ عليها و على كور الأهواز و فارس و كرمان:

وَ إِنِّي أَقْسِمُ بِاللَّهِ قَسِيماً صَادِقاً- لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً- لأشدنّ عليك شدّه تدعك قليل الوفير- ثقيل الظهر ضئيل الأمر و السلام أقول: رواه يعقوبى فى ( تاريخه يعقوبى- تاريخ يعقوبى- ج ٢ ص ٢٠٤) فقال: كتب على عليه السلام الى زياد و كان عامله على فارس: أما بعد، فان رسولى أخبرنى بعجب. زعم انك قلت له فيما بينك و بينه: ان الاكراد هاجت بك، فكسرت عليك كثيرا من الخراج، و قلت له: لا تعلم بذلك أمير المؤمنين. يا زياد و اقسم بالله أنك لكاذب، و لئن لم تبعث بخراجك لأشدن عليك شدة تدعك قليل الوفير ثقيل الظهر، الا ان تكون لما كسرت من الخراج محتملا. و نقل عن تاريخ ابن واضح ايضا (٢).

قول المصنّف: (و هو خليفه عامله عبد الله بن عباس على البصره) قد

ص: ٣٤

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٧٦. [١]

٢- ٢) رواه يعقوبى فى تاريخه ٢: ٢٠٤، و [٢] ابن واضح صاحب تاريخ هو يعقوبى نفسه و اشتبه الامر على الشارح حيث فرق بينه.

عرفت من روايه يعقوبى أن الكتاب إليه لما كان على فارس.

(و عبد الله عامل أمير المؤمنين يومئذ عليها و على كور الأهواز و فارس و كرمان) هكذا في (المصريه)، و لكن في (ابن ميثم) (و عبد الله عامل له يومئذ) إلخ مثلها و في (ابن أبي الحديد) (و عبد الله يومئذ خليفه أمير المؤمنين عليها و على كور الأهواز و فارس و كرمان و غيرها) (1) و في (الخطيه) (و عبد الله يومئذ عامل أمير المؤمنين عليها) إلخ.

و كيف كان، فكور بالضم فالفتح جمع كوره أى: المدينة، و المراد بالأهواز الخوزستان كلا بقريته اضافه «كور» اليها لا خصوص بلد سوق الأهواز، قال صاحب العين: الأهواز سبع كور بين البصره و فارس لكل كوره منها اسم، و يجمعهن الأهواز، و لا يفرد الواحد منها بهوز، و كور الأهواز:

سوق الأهواز، و رامهرمز، و ايندج، و عسكر مكرم، و تستر، و جنديسابور، و سوس، و سرق، و نهري، و مناذر، و كان خراجها ثلاثين ألف درهم، و كانت الفرس يقسط عليها خمسين ألف درهم (2).

و أما «فارس» ففي (البلدان): إقليم فسيح أول حدودها من جهه العراق أرجان، و من جهه كرمان أسير جان، و من جهه ساحل الهند سيراف، و من جهه السند مكران، و كورها المشهوره خمس، فأوسعها كوره اصطخر، ثم اردشير خره، ثم كوره دارابجرد، ثم كوره سابور، ثم قباد خره (3).

و أما «كرمان» ففي (المعجم): ناحيه كبيره شرقيها مكران، و غربيها فارس، و شمالها مفازه خراسان، و جنوبها بحر فارس، قال البشارى: كرمان

ص: ٣٧

١- ١) لفظ شرح ابن أبي الحديد ١٣٨: ١٥، [١] مثل المصريه بزياده «و غيرها» و لفظ شرح ابن ميثم ٣٩٩: ٤، و [٢] عبد الله خليفه أمير المؤمنين على البصره و الأهواز و فارس و كرمان.

٢- ٢) نقله عنه الحموى في معجم البلدان ٢٨٥: ١. [٣]

٣- ٣) معجم البلدان ٢٦٦: ٤. [٤]

إقليم يشاكل فارس في أوصاف، والبصره في أسباب، وخراسان في أنواع، لأنه قد تأخم البحر، واجتمع فيه البرد و الحر، والجوز و النخل، وكثرت فيه التمور و الأرتاب، و الأشجار و الثمار، و من مدنه المشهوره جيرفت، و موقان، و خييص، و بم، و السيرجان، و نرماسير، و بردسير، و بها يكون التوتيا، و يحمل الى جميع البلاد (١).

و كان زياد قبل كاتب أبي موسى أيام عمر، قال الجهشياري: استكتب ابو موسى زيادا، فكتب إليه عمر يستقدمه، فاستخلف زيادا على عمله، فكتب إليه يأمره بالقدوم عليه، فلما قدم عليه سأله عمن استخلف فأعلمه، فقال استخلفت غلاما حدثا. فقال: أنه ضابط لما ولي. فكتب إليه عمر يأمره بالقدوم عليه و الاستخلاف على العمل، فاستخلف زياد عمران بن حصين. فقال عمر:

لئن كان أبو موسى استخلف حدثا لقد استخلف الحدث كهلا. ثم دعا بزياد فقال له: ينبغي أن تكتب الى خليفتك، بما يجب أن يعمل به. فكتب إليه كتابا و دفعه الى عمر، فنظر فيه ثم قال: أعد، فكتب غيره، فقال له: أعد، فكتب الثالث، فقال عمر: لقد بلغ ما أردت في الأول، و لكنني ظننت أنه قد روى فيه، ثم بلغ في الثاني ما أردت، فكرهت أن أعلمه ذلك، و أردت أن أضع منه لثلا يدخله العجب.

و فيه: كان عمر يملئ على كاتب بين يديه، فكتب الكاتب غير ما قال عمر، فقال له زياد: قد كتب غير ما قلت، فنظر في الكتاب، فكان كما قال زياد، فقال له عمر: اني علمت هذا. فقال: رأيت رجعا فيك و خطه، فرأيت ما أحارت كفه غير ما رجعت به شفتك.

و فيه: قال عمر لزياد: هل أنت حامل كتابي الى أبي موسى في عزلك عن كتابته؟ قال: نعم ان لم يكن ذلك عن سخط. قال: ليس عن سخط. و لكني أكره

ص: ٣٨

أن أحمل فضل عقلك على الرعيه.

قوله عليه السّلام «و انى أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغنى انك خنت من فىء المسلمين» قال الجوهري: الفىء الخراج و الغنيمه «شينا صغيرا أو كبيرا» «و مَنْ يَعْلَلُ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ثُمَّ تُوفَى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (١) «لأشذن عليك» قال الجوهري: شدّ عليه أى: حمل عليه «شده» أى: حمّله «تدعك» أى: تتركك «قليل الوفى» قال ابن دريد: الوفى الغنى، قال حاتم الطائى:

و قد علم الأقبام لو أن حاتما أراد ثراء المال كان له وفر

«ثقل الظهر» يأخذه بما خان «ضئيل الأمر» أى: صغيره و نحيفه و خفيه.

هكذا، و نظير كتابه عليه السّلام الى زياد فى معنى الخيانه فى الفىء كتابه الى النعمان بن عجلان، فروى اليعقوبى ان النعمان ذهب بمال البحرين، فكتب عليه السّلام إليه «أما بعد فانه من استهان بالامانه، و رغب فى الخيانه، و لم ينزه نفسه و دينه، أدخل بنفسه فى الدنيا، و ما يشفى عليه بعد أمرّ و أبقى و أشقى و أطول، فخف الله، انك من عشيره ذات صلاح، فكن عند صالح الظن بك، و راجع ان كان حقا ما بلغنى عنك، و لا تقلبن رأبى فيك، و استنظف خراجك، ثم اكتب الى ليأتيك رأبى و أمرى انشاء الله. فلما جاءه كتابه عليه السّلام و علم أنه قد علم حمل المال، و لحق بمعاويه (٢).

٥

الكتاب (٢١)

و من كتاب له عليه السّلام إليه أيضا:

فَدَعَ الْإِشْرَافَ مُقْتَصِدًا - وَ اذْكَرَ فِي الْيَوْمِ غَدًا - وَ أَمْسِكَ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ

ص: ٣٩

١-١ (١) آل عمران: ١٦١. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٠١. [٢]

ضُرُورَتِكَ - وَ قَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ - أَ تَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللَّهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ - وَ أَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ - وَ تَطْمَعُ وَ أَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمَنُّعُهُ الضَّعِيفَ وَ الْأَرْمَلَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَيِّدِينَ - وَ إِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ وَ قَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ وَ السَّلَامُ أَقُولُ: رواه اليعقوبي اليعقوبي - تاريخ اليعقوبي - ج ٢ ص ٢٠٢ فقال: وجهه على رجلا الى بعض عماله مستحشا، فاستخف به فكتب إليه: أما بعد، فانك شتمت رسولى و زجرته و بلغنى انك تبخر، و تكثر من الأدهان و ألوان الطعام، و تتكلم على المنبر بكلام الصديقين، و تفعل اذا نزلت أفعال المحلين، فان يكن ذلك كذلك فنفسك أضرت، و أدبى تعرضت، و يحك ان الله تعالى يقول: العظمه و الكبرياء ردائى، فمن نازعنيهما سخطت عليه، بل ما عليك أن تدهن رفيها، فقد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله بذلك، و ما حملك أن تشهد الناس عليك بخلاف ما تقول على المنبر حيث يكثر عليك الشاهد، و يعظم مقت الله لك، بل كيف ترجو و أنت متهوع فى النعيم، جمعته من الأرملة و اليتيم، ان يوجب الله لك أجر الصالحين، بل ما عليك ثكلتك أمك لو صمت لله أياما، و تصدقت بطائفه من طعامك، فانها سيره الأنبياء و أدب الصالحين، أصلح نفسك، و تب من ذنبك، و اذِّ حقَّ الله عليك، و السلام (١).

و رواه ابن أبى الحديد فى موضع آخر، فقال: أخرج على عليه السلام سعدا مولاه الى زياد يحثه على حمل مال البصره الى الكوفه، و كان بين سعد و زياد ملاحاه، و عاد سعد فشكاه الى على عليه السلام، فكتب الى زياد: أما بعد فان سعدا ذكر أنك شتمته ظلما، و هددته و جبهته تجبرا و تكبرا، فما دعاك الى التكبر و قد قال النبى «الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه قصمه» و قد أخبرنى انك تكثر من الألوان المختلفه فى الطعام فى يوم واحد و تدهن كل يوم، فما عليك لو صمت

ص: ٤٠

لله أياما، و تصدقت ببعض ما عندك محتسبا، و أكلت طعامك مرارا قفارا، فان ذلك شعار الصالحين، أفتطمع- و أنت متمرغ في النعيم تستأثر به على الجار و المسكين و الضعيف و الفقير و الأرملة و اليتيم- أن يحسب لك أجر المتصدقين، و أخبرني أنك تتكلم بكلام الأبرار و تعمل عمل الخاطئين، فان كنت تفعل ذلك فنفسك ظلمت، و عملك أحبطت، فتب الى ربك يصلح لك عملك، و اقتصد في أمرك، و قدم الى ربك الفضل ليوم حاجتك، و ادهن غبا فاني سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: ادهنوا غبا و لا تدهنوا رقما.

فكتب زياد إليه عليه السلام ان سعدا قدم عليّ فأساء القول و العمل، فانتهرته و زجرته، و كان أهلا- لأ- أكثر من ذلك، و أما ما ذكرت من الاسراف و اتخاذ الألوان من الطعام و النعم، فان كان صادقا فأثابه الله ثواب الصالحين، و ان كان كاذبا فوفاه الله أشد عقوبه الكاذبين، و اما قوله اني أصف العدل و اخالفه الى غيره، فاني اذن من الأخسرين أعمالا، فخذ يا أمير المؤمنين بمقاله قلتها في مقام قمته «الدعوى بلا بينه كالسهم بلا نصل»، فان أتاك بشاهدي عدل، و الا تبين لك كذبه و ظلمه (١).

قول المصتف: (و من كتاب له عليه السلام إليه أيضا) هكذا في (المصريه و ابن ميثم) أي: زياد، و لكن في ابن أبي الحديد (الى زياد أيضا) (٢).

قوله عليه السلام «فدع الاسراف مقتصدا» «و لا تُبذِرْ تَبْذِيرًا إِنَّ الْمُبْذِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ» (٣).

«و اذكر في اليوم و غدا» «و لَتَنْظُرَنَّ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ» (٤).

ص: ٤١

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٩٦:١٦. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣٩:١٥، و [٢] شرح ابن ميثم ٤٠٠:٤. [٣]

٣-٣) الاسراء: ٢٦ و ٢٧. [٤]

٤-٤) الحشر: ١٨. [٥]



«و امسك من المال بقدر ضرورتك و قدم الفضل ليوم حاجتك» «يَسْتَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ» (١) «و ما تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ وَأَعْظَمُ أَجْرًا» (٢).

«أ تَرجو أن يعطيك الله أجر المتواضعين و أنت عنده من المتكبرين» «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (٣).

عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى الى داود: يا داود كما أن أقرب الناس من الله تعالى المتواضعون، كذلك أبعد الناس من الله المتكبرون (٤).

و المراد ان الله تعالى ليس كالناس، فانهم يعطون أجرا لأحد باسم عمل لم يعمله اما للالتباس عليهم و أما لهوى.

«و تطمع و أنت متمرغ في النعيم» استعاره من تمرغ الحمير في التراب «تمنعه الضعيف» عن تحصيل قوت «و الأرملة» المراه التي لا زوج لها «أن يوجب لك ثواب المتصدقين» جزافا.

ترجو النجاه و لم تسلك مسالكها ان السفينه لا تجرى على اليبس

«و انما المرء مجزى بما أسلف» ان خيرا فخير و ان شرا فشر «و قادم على ما قدم» «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُخَضَّرًا وَ مَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ» (٥).

٦

الحكمه (٤٧٦)

و قال عليه السلام لزياد بن أبيه- وَقَدْ اسْتَخْلَفَهُ؟ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ؟ عَلَيَّ

ص: ٤٢

١-١ (١) البقره: ٢١٩. [١]

٢-٢ (٢) المزمّل: ٢٠. [٢]

٣-٣ (٣) السجده: ١٨. [٣]

٤-٤ (٤) أخرجه الكليني في الكافي ٢: ١٢٣ ح ١١. [٤]

٥-٥ (٥) آل عمران: ٣٠. [٥]

فَارِسَ؟ وَ أَعْمَالِهَا- فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاءٌ فِيهِ عَنْ تَقْدِيمِ الْخَرَاجِ:

اسْتَعْمِلِ الْعِدْلَ وَ اخِذِرِ الْعَسْفَ وَ الْحَيْفَ- فَإِنَّ الْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ وَ الْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: (و قال عليه السلام لزياد بن أبيه و قد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس و أعمالها) في تاريخ الطبري لما قتل ابن الحضرمي بالبصره، و اختلف الناس على علي عليه السلام، طمع أهل فارس و أهل كرمان في كسر الخراج، فغلب أهل كل ناحيه على ما يليهم، و أخرجوا عمالهم.

و عن الشعبي قال: لما انتفض أهل الجبال، و طمع أهل الخراج في كسره، و أخرجوا سهل بن حنيف عامل علي عليه السلام على فارس، قال ابن عباس له عليه السلام:

اكفيك فارس، فقدم البصره و وجه زيادا الى فارس في جمع كثير، فوطأ بهم أهل فارس، فأدوا الخراج، ضرب بعضهم ببعض، فقتل بعضهم بعضا، و صفت له فارس، و فعل مثل ذلك بكرمان، و كانوا يقولون ما رأينا سيره أشبه بسيره كسرى من سيره هذا العربي في اللين، و المداراه، و العلم بما يأتي (1).

(في كلام طويل كان بينهما نهاء فيه عن تقديم الخراج) هكذا في (المصريه)، و الصواب: (عن تقديم الخراج) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (2). و من المضحك ان محشي (المصريه) فسّر التقديم بالزيادة، فزاد غلطا على غلط.

نهاء عليه السلام عن تقديم الخراج لأذن عمال عثمان كانوا يفعلون ذلك، قال ابن أبي الحديد: كانت عادة أهل فارس في أيام عثمان ان يطلب الوالي منهم خراج

ص: ٤٣

١- ١) تاريخ الطبري ٤: ١٠٥، سنة ٣٩. [١]

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ٢٠: ٢٤٥، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٥: ٤٦٦ مثل المصريه.

أملا-كهم قبل بيع الثمار على وجه الاستسلاف، أو لأنهم كانوا يظنون أن أول السنه القمريه هو مبدأ وجوب الخراج كأجره العقار، فكان ذلك يجحف بالناس و يدعو الى عسفهم و حيفهم (١).

قوله عليه السّلام «استعمل العدل» العدل عدلان: عدل في الشريعة، و عدل في السياسة، و مقصوده عليه السّلام الأول، إلا ان زيادا كان من أهل الثاني.

و عن المدائني: قدم زياد أيام معاويه البصره، و الفسق فيها فاش جدا، و أموال الناس منتهبه، و السياسه ضعيفه، فصعد المنبر ثم قال: فان الجاهليه الجهلاء و الضلاله العمياء، و الغى الموقد على أهله النار، ما فيه سفهاؤكم، و يشتمل عليه حلماؤكم، من الامور العظام، ينبت فيها الصغير، و لا- يتحاشى منها الكبير، كأنكم لم تقرأوا كتاب الله، و لم تسمعوا ما أعد من الثواب الكثير لأهل طاعته، و العذاب الأليم لأهل معصيته، في الزمن السرمد الذي لا يزول.

أ تكونون من طرفت عينه الدنيا، و سدت مسامعه الشهوات. لا تذكرن انكم أحدثتم في الاسلام الحدث الذي لم تسبقوا به، من ترككم الضعيف يقهر و يؤخذ ماله، و الضعيفه المسلوبه في النهار، هذا و العدد غير قليل. أ لم يكن منكم نهاء تمنع الغواه عن دلج الليل و غاره النهار، و كل امرىء منكم يذب عن سفيهه، صنيع لا- يخاف عاقبه، و لا يرجو معادا، ما أنتم بالحلماء، و قد اتبعتم السفهاء، فلم يزل بهم ما يرون من قيامكم دونهم حتى انتهكوا حرمة الاسلام، ثم أ طرقوا وراءكم كنوسا في مكانس الريب، حرم على الطعام و الشراب حتى أسويها بالأرض هدماء و إحراقا. انى رأيت آخر هذا الأمر لا يصلح إلا بما صلح به أوله. لين في غير ضعف، و شدّه في غير عنف، و أنا اقسام بالله لآخذنّ الولي بالولي، و الظاعن بالظاعن، و المقبل بالمدبر، و الصحيح منكم في نفسه

ص: ٤٤

بالسقيم، حتى يلقي الرجل أخاه فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم. ان كذبه المنبر تلفى مشهوره، فإذا تعلقتم عليّ بكذبه فقد حلت لكم معصيتي، من نقب عليه منكم فأنا ضامن لما ذهب منه، وإياكم و دلج الليل، فاني لا أوتي بمدلج إلاّ سفكت دمه. و قد أجلتكم بقدر ما يأتي الخبر الكوفه، و يرجع اليكم. إياكم و دعوى الجاهليه، فاني لا أجد أحدا دعا بها إلاّ قطعت لسانه، و قد أحدثتم احداثا، و قد أحدثنا لكلّ ذنب عقوبه، فمن غزق بيوت قوم غزقناه، و من حرّق على قوم حرّقناه، و من نقب على أحد بيتا نقبنا عن قلبه، و من نبش قبرا دفّناه فيه حيّا. كفوا عني أيديكم و ألسنتكم، أكفّ عنكم يدي و لساني، و لا يظهرن من أحد خلاف ما عليه عامتكم فاضرب عنقه، و قد كانت بيني و بين أقوام أحن فقد جعلت ذلك وراء اذني، و تحت قدمي، فمن كان منكم محسنا فليزد احسانا، و من كان مسيئا فليترع عن اساءته، اني لو علمت أن أحدكم قد قتله السلال من بغضي لم اكشف عنه قناعا، و لم أهتك له ستر حتى يبدي لي صفحته، فإذا فعل لم أنظره. رب مبتئس بقدمنا سيسر، و مسرور بقدمنا سيأس، انا أصبحنا لكم ساسه، و عنكم ذاده، بسلطان الله العذّي أعطانا، فلنا عليكم السمع و الطاعه فيما أحببنا، و لكم علينا العدل و الإنصاف فيما ولينا، فاستوجبوا عدلنا و فيئنا بمناصحتكم لنا، و اعلموا أني مهما قصرت عن شيء فلن أقصر عن ثلاث: لست محتجبا عن طالب حاجه منكم، و لا- حابسا عطاء، و لا مجمرا بعثا، و أدعوا الله بالصالح لأئمتكم فانهم ساستكم المؤدبون، و متى يصلحوا تصلحوا، فلا تشربوا قلوبكم بغضهم، فيشتدّ غيظكم، و يطول حزنكم، و أيم الله ان لي فيكم لصرعي كثيره، فليحذر كلّ امرئ منكم أن يكون من صرعاى.

فقام عبد الله بن الاهتم فقال: أشهد أيها الأمير، لقد أوتيت الحكمه و فصل

الخطاب. فقال: كذبت ذاك نبي الله داود.

فقام الأحنف فقال: انما الثناء بعد البلاء، و الحمد بعد العطاء، و أنا لا نشئ حتى نبئلى، و لا نحمد حتى نعطي، فقال زياد: صدقت.

فقام أبو بلال مرداس يهمس و يقول: أنبأنا الله بغير ما قلت «وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» (١) فسمعها زياد فقال: يا أبا بلال، إننا لا نبلغ ما نريد بأصحابك حتى نخوض اليهم الباطل خوفاً (٢).

و عن الشعبي: لما خطب زياد خطبته البتراء بالبصره و نزل سمع تلك الليله أصوات الناس يتحارسون، فقال: ما هذا؟ قالوا: ان البلد مفتونه، و ان المرأه من أهل المصر لتأخذها الفتیان الفساق فيقال لها: نادى ثلاثه أصوات، فان أجابك أحد و إلا فلا لوم علينا فيما نصنع. فغضب و قال: فقيم أنا و فيم قدمت؟ فلما أصبح أمر فنودى فى الناس، فاجتمعوا فقال: أيها الناس، انى قد تبئت بما أنتم فيه و سمعت ذروا منه، و قد أنذرتكم و أجلتكم شهرا مسير الرجل الى الشام، و مسيره الى خراسان، و مسيره الى الحجاز، فمن وجدناه بعد شهر خارجا من منزله بعد العشاء الآخرة قدمه هدر.

فانصرف الناس يقولون: هذا القول كقول من تقدمه من الامراء، فلما كمل الشهر دعا صاحب شرطته عبد الله بن حصين اليربوعى - و كانت رجال الشرطه معه أربعة آلاف - فقال له: هيىء خيلك و رجلك، فإذا صليت العشاء الآخرة و قرأ القارئ مقدار سبع آيات من القرآن، فسر و لا تلقين أحدا، عبيد الله بن زياد فمن دونه إلا جئتنى برأسه، و ان راجعتنى فى أحد ضربت عنقك.

فصبح على باب القصر تلك الليله سبعمائه رأس، ثم خرج الليله الثانيه فجاء

ص: ٤٤

[١-١] النجم: ٣٧ و ٣٨. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبى الحديد ٢٠٠: ١٦. [٢]

بخمسين رأساً، ثم خرج الليله الثالثه فجاء برأس واحد، ثم لم يجيء بعدها بشيء. و كان الناس اذا صلوا العشاء الآخره احضروا الى منازلهم شدا حثيثا، و قد يترك بعضهم نعاله (١).

«و احذر العسف» قال الجوهري: العسف الأخذ على غير الطريق «و الحيف» أي: الجور و الظلم «فان العسف يعود بالجلاء» أي: العسف بالناس يوجب جلاءهم عن وطنهم.

و في (تاريخ الطبري): كان خروج الحسن بن زيد الحسنى فى سنه (٢٥٠) و كان سببه ان المستعين أقطع محمّد بن عبد الله بن طاهر- لوقوع قتل يحيى بن عمر العلوى على يده- من صوافى السلطان بطبرستان، و فيها قطيعه كان بحدائها أرض لأهل تلك الناحيه فيها مرافقهم محتطبهم، و مراعى مواشيهم، و مسرح سارحتهم، صحراء ذات غياض و أشجار و كلاء، و عامل طبرستان يومئذ سليمان بن عبد الله أخوه، و كان المستولى على سليمان محمّد بن أوس البلخى الذى فرّق ولده و هم أحداث سفهاء فى مدن طبرستان، و وتر الديلم بدخوله أقرب بلادهم و سبيه و قتله منهم على غفله.

و بعث محمّد بن عبد الله بن طاهر، جابر بن هارون النصرانى أخا كاتبه لحيازه الصوافى، فحازها و حاز معها ما اتصل بها مما يرتفق به أهل تلك الناحيه- و رام حيازه كلار و سالوس ثغرى طبرستان من قبل الديلم- و كان محمّد و جعفر ابنا رستم المذكورين قديما بضبط تلك الناحيه ممن رامها من الديلم، و باطعام الناس بها، فأنكرا فعل جابر و استنهضا من فى ناحيتهما، فهرب جابر و لحق بسليمان، فأرسلوا الديلم، فأجابوهما و تعاقداهم و أهل كلار و سالوس على التعاون، فأرسلوا الى الحسن بن زيد بالرى و أشخصاه

ص: ٤٧

الى طبرستان، فوافاهم و قد صارت كلمه الديلم و أهل كلار على بيعته، و قتال سليمان و أخذه.

الى أن قال: فاجتمعت للحسن بن زيد مع طبرستان الرى الى حد همدان (١).

و فى وزراء الجهشيارى: صرف الرشيد الفضل بن يحيى عن خراسان و قلد على بن عيسى بن ماهان، لأنّه تعهد التكثير على الفضل، فقتل على بن عيسى وجوه أهل خراسان و ملوكها، و جمع أموالا جليله، فحمل الى الرشيد ألف بدره معموله من ألوان الحرير و فيها عشره آلاف ألف درهم، فلما وصلت إليه سر بها و أحضر يحيى بن خالد فقال: يا أبه أين كان الفضل عن هذا؟ فقال:

ان خراسان سبيلها أن يحمل اليها الأموال و لا تحمل منها، و الفضل أصلح نيات رؤسائها و استجلب طاعتهم، و على بن عيسى قتل صناديد أهل خراسان و طراختها و حمل أموالهم، و لو قصدت لدرب من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه أضعاف هذه و ستفق مكان كلّ درهم منها عشره، فثقل هذا القول منه على الرشيد، فلما نتقض أمر خراسان و خرج رافع بن الليث، احتاج الى النهوض اليها بنفسه حتى صار الى طوس يتذكر هذا الحديث و يقول: صدقنى و الله يحيى و نصح لى فلم أقبل منه، و الله لقد أنفقت مائه ألف ألف و ما بلغت شيئا.

و فيه: حمل الحجاج الى عبد الملك هديه و مالا عظيما و هو بجمص، فأبرز سريره و جمع الناس و كان فيمن حضر خالد بن عبد الله بن أسيد و أخوه اميه، فلما نظر الى الهديه و المال قال: هذه و الله الأمانه و الحزم و النصيحه - ثم أشار الى خالد - و قال: انى استعملت هذا على البصره، فاستعمل كلّ فاسق،

ص: ٤٨

(١ - ١) تاريخ الطبرى ٧: ٤٢٩ - ٤٣٣، سنه ٢٥٠. [١]

فجبي عشره و اختان تسعه و رفع الى هذا درهما، فدفع الى هذا من الدرهم سدسا، و استعملت هذا-يعنى أخاه-على خراسان و سجستان، فبعث الى بمفتاح من ذهب زعم أنه مفتاح مدينه و فيل و برذونين حطيمين، و استعملت الحجاج، ففعل كذا فاذا استعملتكم ضيعتم، و اذا عزلتكم قلتكم قطع أرحامنا.

فأراح خالد اراحه الفرس ثم قال: استعملتني على البصره و أهلها رجلا ن: مطيح مناصح، و مخالف مشايخ، فأما المطيع فاني جزيته بطاعته فازداد رغبه، و أما المخالف فاني داويت عداوته، و استللت ضغيتته، و حشوت صدره ودا، و علمت انى متى أصلح الرجال أجب الأموال، و استعملت الحجاج، فجبي لك المال، و كثر العداوه فى قلوب الرجال، فكأنك بالعداوه التى كثرها قد ثارت و أنفقت الأموال، و لا مال و لا رجال، فسكت عبد الملك، فلما هيج الجماجم جلس عبد الملك على باب ذى الاكارع و معه خاله يندب الناس الى الفريضة و يتأمل خالدا و يذكر قوله و يضحك.

«و الحيف» أى: الجور «يدعو الى السيف» قالوا: تراهن قيس بن زهير العبسى و حذيفه بن بدر الذيبانى على خطر عشرين بعيرا، و جعلنا الغايه مائه غلوه و المضمار أربعين ليله، و المجرى من ذات الاصاد، فأجرى قيس داحسا و الغبراء اسما فرسيه- و أجرى حذيفه الخطار و الحنفاء- اسما فرسيه فوضعت بنو فزاره- رهط حذيفه- كميننا على الطريق، فردوا الغبراء و لطموها- و كانت سابقه- فهاجت الحرب بين عبس و ذيبان أربعين سنه.

و فى (فتوح البلاذرى)- بعد ذكر أخذ سعيد بن عثمان من السغد رهنا من أبناء عظمائهم فى فتح سمرقند- مضى سعيد بالرهن حتى ورد بهم المدينه، فدفع ثيابهم و مناطقهم الى مواليه، و ألبسهم جباب الصوف، و ألزمهم



السقى و السوانى و العمل، فدخلوا عليه مجلسه، ففتكوا به ثم قتلوا أنفسهم (١).

و فى (تاريخ الطبرى) - بعد ذكر فتح ابن أبى سرح فى سنة (٢٧) إفريقيه - ما زال أهل إفريقيه من أسمع أهل البلدان الى زمان هشام، فدبّ اليهم أهل العراق، فقالوا لهم جنايه عمالكم. من أمر خلفائكم، فخرج ميسره منهم فى بضعه عشر انسانا على هشام و قالوا للأبرش أبلغ هشاما أن أميرنا يغزو بنا و بجنده، فإذا أصاب غنيمه نفلهم دوننا، و قال هم أحقّ به، فقلنا هو أخلص لجهادنا لا نأخذ منه شيئا ان كان لنا فهم منه فى حل، و ان لم يكن لنا لم نرده، و اذا حاصرنا مدينه قال تقدموا و آخر جنده، فقلنا تقدّموا، فوقيناهم بأنفسنا و كفيناهم، ثم انهم عمدوا الى ماشيتنا، فجعلوا يبقرونها عن السخال يطلبون الفراء البيض للخليفه، فيقتلون ألف شاه فى جلد، فقلنا ما أيسر هذا للخليفه، ثم انهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميله من نباتنا، فقلنا لم نجد هذا فى كتاب و لا سنه و نحن مسلمون، فأجبنا أن نعلم أ عن رأى الخليفه ذلك أم لا، فطال عليهم الجواب و نفدت نفقاتهم، فكتبوا أسماءهم فى رقا، ثم رجعوا الى إفريقيه، فخرجوا على عامل هشام، فقتلوه و استولوا على إفريقيه و بلغ هشاما الخبر و سأل عن النفر، فرفعت إليه اسماؤهم، فإذا هم الذين جاء الخبر أنهم صنعوا ما صنعوا (٢).

و فيه أيضا: و قتل فى سنة (١٠٢) يزيد بن أبى مسلم بإفريقيه، و سببه أنّه كان فيما ذكر عزم أن يسير بهم بسيره الحجاج فى أهل الأمصار الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمه، فأسلم بالعراق ممن ردّهم الى قراهم و رساتيقهم، و وضع الجزيه على رقابهم على نحو ما

ص: ٥٠

١- (١) فتوح البلدان: ٤٠٢. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٣: ٣١٣ سنة ٢٧. [٢]

كانت تؤخذ منهم و هم على كفرهم، فلما عزم على ذلك تأمروا فى أمره، فأجمع رأيهم على قتله، فقتلوه و ولوا على أنفسهم الوالى الذى كان عليهم قبل يزيد بن أبى مسلم -و هو محمد بن يزيد بن مولى الأنصار و كان فى جيش يزيد بن أبى مسلم- و كتبوا الى يزيد بن عبد الملك: انا لم نخلع أيدينا من الطاعة، و لكن يزيد بن أبى مسلم سامنا ما لا يرضى الله و المسلمون، فقتلناه و أعدنا عاملك السابق، فأقره يزيد (١).

و فى الأغانى: كان عمليق الطسمى أمر ألا تزوج بكر من جديس الى زوجها حتى يفتريها هو قبل زوجها، فلقوا من ذلك بلاء و ذل - حتى زوجت الشموس أخت الأسود المذى دفع الى جبل طى، فقتله طى و سكنوا الجبل بعده، فلما دخلت عليه و افتريها خرجت الى قومها فى دماؤها شاقه درعها من قبل و هى تقول:

لا أحد أذلّ من جديس أهكذا يفعل بالعروس

فقال أخوها الأسود -و كان سيدا مطاعا- لقومه: يا معشر جديس، ان هؤلاء القوم ليسوا بأعزّ منكم فى داركم، و قال لهم: انى اصنع للملك طعاما ثم أدعوهم جميعا، فإذا جاءوا يرفلون فى الحلل ثرنا الى سيوفنا و هم غارون فأهدناهم بها. قالوا: افعلى، فصنع طعاما كثيرا و خرج به الى ظهر بلدهم و دعا عمليقا و سأله أن يتغدى عنده هو و أهل بيته، فأجابهم و خرج إليه مع أهله يرفلون فى الحللى و الحلل، حتى اذا أخذوا مجالسهم و مدوا أيديهم الى الطعام أخذوا سيوفهم من تحت أقدامهم، فشد الأسود على عمليق فقتله و كلّ رجل منهم على جليسه حتى أماتوهم، فلما فرغوا من الاشراف شدوا على السفله فلم يدعوا منهم أحدا. و قال الأسود فى ذلك:

ص: ٥١

ذوقى بيغيك يا طسم مجلله فقد أتيت لعمري أعجب العجب

و فيه فى مقتل خالد بن جعفر بن كلاب-أغار خالد على رهط الحارث بن ظالم اليربوعى فى واد يقال له حراض،فقتل الرجال و الحارث يومئذ غلام و بقيت النساء-و كانت نساء بنى ذبيان لا يحلبن النعم-فلما بقين بغير رجال طفقن يدعون الحارث،فيشد عصاب الناقة،ثم يحلبنها و يبكين رجالهن و يبكى الحارث معهن-و أردف ذلك قتل خالد بن زهير بن جذيمه،قال:فمضى الحارث الى خالد و هو نائم،فضربه بالسيف حتى قتله.

و فى (المعجم):قال أبو سعيد الآبى فى (تاريخه):كان قابوس بن وشمكير أسرف فى القتل،و تجاوز الحد فى سفك الدماء و لم يكن يعرف حدا فى التأديب و إقامة السياسة غير ضرب الأعناق و اماته الأنفس،و كان يأتى ذلك فى الأقرب فالأقرب،و الأخص فالأخص من الجند و الحاشيه حتى أفنى جميعهم،و أتى على جلهم،و أذل الخيل و أصناف العسكر للرعيه، و جرأهم عليهم،و لم يتظلم أحد من أهل البلد من واحد من أكابر أهل عسكره إلا قتله،و أتى على نفسه من غير أن يتفحص عن الشكوى أ صحيحه أم باطله، فتبرم به عسكره و حاشيته و خافوا سطوته،فمشى بعضهم الى بعض، و تمالثوا عليه و تحالفوا،و خفى الأمر،لأنه كان خرج الى حصن بناه سمّاه شمر آباد و عزم القوم أن يتسلقوا عليه و يغتالوه و قد واطأهم على الأمر جميع من كان معه فى الحصن،فتعذر عليهم الصعود إليه و علموا أنه لو أصبح و عرف الخبر لم ينج منهم أحد،فنعوه الى الناس و ذكروا أنه قد قضى نجه، فانتهبت اصطبلاته و سيقت دوابه و بغاله و لم يقدر هو على مفارقه الموضع لاعواز الظهور التى تحمل و تنقل عليها خزائنه،و كان عنده وزيره أبو العباس الغانمى،فاتهمه بممالأه القوم،فأوقع به و قتله،فاستدعوا منوجهر ابنه

ص: ٥٢

و كتبوا إليه متى تأخر قدموا غيره، فبادر إليهم فقلدوه الأمر، و بلغ ذلك قابوس، فجمع أمراء الرستاق و فارق المكان، و صحبه طائفه من العرب و غيرهم من الجند، و خرج الى بسطام مع خزائنه و أسيابه، و تبعه ابنه منوجه مع العسكر، فحصره و امتنع هو عليه، ثم أمكن من نفسه عند الضروره، فقبض عليه و حمل الى بعض القلاع، و تقرر أمر ابنه و لقب بفلك المعالي. و كان أبوه يلقب شمس المعالي، ثم ورد الخبر بموته في جمادى الآخرة سنة (٤٠٣).

و ذكر انه اعتيل، و حمل تابوته الى جرجان، و دفن في مشهد عظيم كان بناه لنفسه و أنفق عليه الأموال العظيمة، و بالغ في تحصيله و تحصينه (١).

٧

الكتاب (٤٤)

و من كتاب له عليه السلام إلى زياد بن أبيه و قد بلغه أن معاوية كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه:

وَ قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ؟ كَتَبَ إِلَيْكَ - يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ وَ يَشْتَفِلُ عَرْبَكَ - فَاحْذَرُهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ - يَأْتِي الْمَرْءَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَ مِنْ خَلْفِهِ - وَ عَنْ يَمِينِهِ وَ عَنْ شِمَالِهِ - لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ وَ يَشْتَلِبَ عُرَّتَهُ - وَ قَدْ كَانَ مِنْ؟ أَبِي سُفْيَانَ؟ فِي زَمَنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ؟ فَلْتَهُ - مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ - وَ نَزَعَهُ مِنْ نَزَعَاتِ الشَّيْطَانِ - لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَ لَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ - وَ الْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدْفَعِ وَ النَّوْطِ الْمُدْبِذِ - فَلَمَّا قَرَأَ؟ زِيَادُ؟ الْكِتَابَ قَالَ - شَهِدَ بِهَا وَ رَبِّ؟ الْكَعْبَةِ؟ - وَ لَمْ تَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ؟ مُعَاوِيَةَ؟ قَالَ الرُّضَيْ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ «الْوَاغِلُ» هُوَ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَى الشَّرْبِ لِيَشْرَبَ

ص: ٥٣

(١ - ١) قال الشارح في الهامش: و هو المعروف في عصرنا ب«كئيب قابوس».

معهم و ليس منهم فلا يزال مدفعا محازرا. و«النوط المذبذب» هو ما يناط برجل الرّاكب من قعب أو قدح أو ما أشبه ذلك، فهو أبدا يتقلقل إذا حثّ ظهره و استعجل سيره. ؟ أقول: رواه (الاستيعاب -الاستيعاب- ج ١ ص ٥٧٠) مع اختلاف يسير (١). و قال ابن أبي الحديد: قال المدائني: لما كان زمن علي عليه السّلام ولىّ زيادا فارس أو بعض أعمال فارس، فضبطها ضبطا صالحا، و جبي خراجها و حماها، و عرف ذلك معاويه فكتب إليه: أما بعد فانه غرتك قلاع تأوى اليها ليلا، كما تأوى الطير الى وكرها، و أيم الله لو لا انتظاري بك ما الله أعلم به لكان لك منى ما قاله العبد الصالح:

«فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قَبْلَ لَهُمْ بِهَا وَ لَنُخْرِجَنَّهُمْ مِنْهَا أَدْلَهُ وَ هُمْ صَاغِرُونَ» (٢).

و كتب فى أسفل الكتاب شعرا من جملة:

تنسى أباك و قد شالت نعمته اذ يخطب الناس و الوالى لهم عمر

فلما ورد الكتاب على زياد قام فخطب الناس، و قال: العجب من ابن آكله الأكباد، و رأس النفاق، يهددنى و بينى و بينه ابن عم رسول الله، و زوج سيده نساء العالمين، و أبو السبطين، و صاحب الولاية و المنزلة و الاخاء فى مائة ألف من المهاجرين و الأنصار و التابعين لهم باحسان. أما و الله لو تخطى هؤلاء أجمعين إلى لوجدنى أحمر ضرابا بالسيف.

ثم كتب الى علي عليه السّلام و بعث بكتاب معاويه فى كتابه، فكتب إليه علي: أما بعد فانى قد وليتك ما وليتك و أنا أراك لذلك أهلا، و انه قد كان من أبى سفيان فلتة فى أيام عمر من أمانى التيه و كذب النفس، لم تستوجب بها ميراثا، و لم تستحق بها نسا، و ان معاويه كالشيطان الرجيم يأتى المرء من بين يديه

ص: ٥٤

١-١ (١) الاستيعاب ٥٧٠: ١.

٢-٢ (٢) النمل: ٣٧. [١]

و من خلفه و عن يمينه و عن شماله، فاحذرته ثم احذرته ثم احذرته (١).

قول المصنّف: (و من كتاب له عليه السّلام الى زياد بن أبيه و قد بلغه ان معاويه كتب إليه يريد خديعته باستلحاقه) ان معاويه كتب الى زياد لاستلحاقه مرتين، تاره في زمانه عليه السّلام كما مر و اخرى بعده، و استلحقه فصار بليه على شيعته.

قال ابن أبي الحديد: روى ابو جعفر محمد بن حبيب قال: كان على عليه السّلام قد ولى زيادا قطعه من أعمال فارس و اصطنعه لنفسه، فلما قتل على عليه السّلام بقي زياد في عمله، و خاف معاويه جانبه، و علم صعوبه ناحيته، و أشفق من ممالأته الحسن عليه السّلام، فكتب إليه: أما بعد فانك عبد قد كفرت النعمه، و استدعيت النقمه، و لقد كان الشكر أولى بك من الكفر، و ان الشجره لتصرف بعرقها، و تتفرع من أصلها، انك لا - ام لك بل لا أب لك قد هلكت و أهلكت، و ظننت انك تخرج من قبضتي، و لا ينالك سلطانى، هيهات ما كل ذى لب يصيب رأيه، و لا كل ذى رأى ينصح فى مشورته، أمس عبد و اليوم أمير خطه، ما ارتقاها مثلك يا ابن سميّه، و اذا أتاك كتابى هذا فخذ الناس بالطاعه و البيعه و اسرع الاجابه، فانك ان تفعل فدمك حقت و نفسك تداركت، و إلا اختطفتك بأضعف ريش و نلتك بأهون سعى، و أقسم قسما مبرورا ألا أوتى بك الا فى زماره تمشى حافيا من أرض فارس الى الشام، حتى اقيمك فى السوق، و أبيعك عبدا، و أردك الى حيث كنت فيه و خرجت منه.

فلما ورد الكتاب على زياد غضب غضبا شديدا و جمع الناس و صعد المنبر، فحمد الله ثم قال: ان ابن آكله الأكباد، و قاتله أسد الله، و مظهر الخلاف و مسير النفاق، و رئيس الأحزاب، و من أنفق ماله فى اطفاء نور الله، كتب الى

ص: ٥٥

يرعد و يبرق عن سحابه جفل لا ماء فيها، و عما قليل تصيرها الرياح قزعا، و الذى يدلنى على ضعفه تهدده قبل القدره، أ فمن اشفاق على ينذر و يغدر، كلال- و لكن ذهب الى غير مذهب، و قعقع لمن روى بين صواعق تهامه كيف أربهه، و بينى و بينه ابن بنت رسول الله، و ابن ابن عمه فى مائه ألف من المهاجرين و الأنصار. و الله لو اذن لى فيه أو ندبنى إليه لأريته الكواكب نهارا، و لأسعطته ما الخردل، دونه الكلام اليوم، و الجمع غدا، و الثوره بعد ذلك.

ثم نزل و كتب الى معاويه: أما بعد فقد وصل إلى كتابك يا معاويه و فهمت ما فيه، فوجدتك كالغريق يغطيه الموج، فيتشبث بالطحلب، و يتعلق بأرجل الضفادع طمعا فى الحياه. انما يكفر النعم و يستدعى النقم من حادّ الله و رسوله و سعى فى الأرض فسادا، فأما سبّك لى فلو لا علم لى يبهضنى عنك، و خوفى أن ادعى سفيها لأثرت لك مخازى لا يغسلها الماء، و أما تعييرك لى بسميه فإن كنت ابن سميّه فأنت ابن جماعه، و اما زعمك انك تخطبنى بأضعف ريش، و تتناولنى بأهون سعى، فهل رأيت بازيا يفرعه صغير القنابر، أم هل سمعت بذئب أكله الخروف، فامض الآن لطيتك، و اجتهد جهدك، فلست أنزل إلا بحيث تكره، و لا اجتهد إلا فيما يسوؤك و ستعلم أينا الخاضع لصاحبه الطالع إليه.

فلما ورد كتاب زياد على معاويه غمّه و بعث الى المغيره، فخلا به و قال له: انى أريد مشاورتك فى أمر أهمنى، فانصحنى فيه و اشر على برأى المجتهد و كن لى أكن لك، فقد خصصتك بسرى و آثرتك على ولدى. قال المغيره:

فما ذاك و الله لتجدنى فى طاعتك أمضى من الماء فى الحدور، و من ذى الرونق فى كف البطل الشجاع.

قال: يا مغيره ان زيادا قد أقام بفارس يكش لنا كشيئ الأفاعى، و هو

رجل ثاقب الرأى، ماضى العزيمه، جوال الفكره، مصيب اذا رمى، و قد خفت منه الآن ما كنت آمنه إذ كان صاحبه حيًا، و أخشى مما لأته حسنا، فكيف السبيل إليه، و ما الحيله فى اصلاح رأيه؟ قال المغيره: أنا له ان لم أمت، ان زيادا رجل يحب الشرف و الذكر و صعود المنابر، فلو لا- طفته المسأله و ألنت له الكتاب لكان لك أميل و بك أوثق، فاكتب إليه و انا الرسول، فكتب إليه: من معاويه بن أبى سفيان الى زياد بن أبى سفيان، أما بعد فان المرء ربما طرحه الهوى فى مطارح العطب، و انك للمرء المضروب به المثل، قاطع الرحم، و واصل العدو، حملك سوء ظنك بى و بغضك لى على ان عقت قرابتى، و قطعت رحمى، و بتت نسبى و حرمتى، حتى كأنك لست أخى، و ليس صخر بن حرب أباك و أبى، و شتان ما بينى و بينك، أطلب بدم ابن أبى العاص و أنت تقاتلنى، و لكن أدركك عرق الرخاوه من قبل النساء.

فكنت كتاركه بيضها بالعراء و ملحفه بيض اخرى جناحا

و قد رأيت أن أعطف عليك، و لا- اؤ اخذك بسوء سعيك، و ان أصل رحمك، و ابتغى الثواب فى امرك، فاعلم أبا المغيره لو خضت البحر فى طاعه القوم فتضرب بالسيف حتى ينقطع متنه لما ازددت منهم إلا بعدا، فان بنى عبد شمس أبغض الى بنى هاشم من الشفره الى الثور الصريع، و قد أوثق للذبح، فارجع الى أصلك، و اتصل بقومك، و لا تكن كالموصول يطير بريش غيره، فقد أصبحت ضال النسب، و لعمرى ما فعل بك ذلك إلا- اللجاج، فدعه عنك، فقد أصبحت على بينه من أمرك، و وضوح من حجتك، فان أحببت جانبى و وثقت بى فامر به بامر، و ان كرهت جانبى و لم تثق بقولى ففعل جميل لا على و لا لى.

فرحل المغيره بالكتاب حتى قدم فارس، فلما رآه زياد قربه و أدناه



و لطف به، فدفع إليه الكتاب، فجعل يتأمله و يضحك، فلما فرغ وضعه تحت قدمه ثم قال: حسبك يا مغيره، فانى أطلع على ما فى ضميرك، و قد قدمت من سفره بعيدة، فقم و أرح ركابك. قال: أجل. فدع عنك اللجاج، و ارجع الى قومك، و صل أخاك، و انظر لنفسك، و لا تقطع رحمك. قال زياد: انى رجل صاحب أناه، و لى فى أمرى رويه، فلا تعجل على و لا تبدأنى بشىء حتى أبدأك.

ثم جمع الناس بعد يومين أو ثلاثة، فصعد المنبر ثم قال: أيها الناس ادفعوا البلاء عنكم ما اندفع عنكم، و ارغبوا الى الله فى دوام العافيه لكم، فقد نظرت فى امور الناس منذ قتل عثمان و فكرت فيهم، فوجدتهم كالأصاحى فى كل عيد يذبحون، و لقد أفنى هذان اليومان يوم الجمل و يوم صفين ما ينيف على مائه ألف، كلهم يزعم أنه طالب حق و تابع امام و على بصيره من أمره، فان كان الأمر هكذا فالقاتل و المقتول فى الجنه كلا ليس كذلك، و لكن أشكل الأمر، و التبس على القوم، و انى لخائف أن يرجع الأمر كما بدأ، فكيف لامرئ بسلامه دينه، و قد نظرت فى أمر الناس، فوجدت أحمد العاقبتين العافيه، و سأعمل فى أموركم ما تحمدون عاقبته و مغبته، فقد حمدت طاعتكم.

ثم نزل و كتب جواب الكتاب: أما بعد فقد وصل كتابك يا معاويه مع المغيره و فهمت ما فيه، فالحمد لله الذى عزفك الحق، و ردك الى الصلته، و لست ممن يجهل معروفًا و لا يغفل حسبا، و لو أردت أن اجيبك بما أوجبتة الحجه، و احتمله الجواب لطال الكتاب، و كثر الخطاب، و لكنك ان كان كتابك هذا عن عقد صحيح و نيه حسنه، و أردت بذلك برا فستزرع فى قلبى موده و قبولًا، و ان كنت انما أردت مكيده و مكرا و فساد نيه فان النفس تأبى ما فيه العطب، و لقد قمت يوم قرأت كتابك مقاما يعبى به الخطيب المدره، فتركت من حضر لا أهل ورد و لا صدر كالمتحيرين بمهمه ضل بهم الدليل، و أنا على أمثال ذلك قدير.

و كتب فى أسفل الكتاب:

إذا معشرى لم ينصفونى وجدتنى ادافع عَنى الضيم ما دمت باقيا

و كم معشر أعيت قناتى عليهم فلاموا و ألفونى لدى العزم ماضيا

أدافع بالحلم الجهول مكيدة و اخفى له تحت العضاه الدواھيا

فان تدن منى أدن منك و ان تبين تجدنى اذا لم تدن منى ناھيا

فأعطاه معاويه جميع ما سأله، و كتب إليه بخط يده ما وثيق به، فدخل إليه الشام، فقربه و أدناه، و أقره على ولايته، ثم استعمله على العراق (١).

و فى (مروج المسعودى): قال أبو عبيده معمر بن المثنى: ان عليًا عليه السّلام كان ولى زيادا فارس حين أخرجوا منها سهل بن حنيف، فضرب زياد ببعضهم بعضا حتى غلب عليها، و ما زال ينتقل فى كورها حتى أصلح أمر فارس، ثم ولاء على اصطخر و كان معاويه يتهدده، ثم أخذ بسر بن أرطأه عبيد الله و عبادا ولديه، و كتب إليه يقسم ليقتلنهما ان لم يدخل فى طاعه معاويه، فقدم زياد على معاويه - و كان المغيره قد قال لزياد قبل قدومه - إرم الغرض الأقصى و دع عنك الفضول، فان هذا الأمر لا يمد إليه أحد يدا إلا الحسن بن على و قد بايع معاويه، فخذها لنفسك قبل التوطن.

قال له زياد: فأشر علىّ. قال: أرى ان تنقل أصلك الى أصله، و تصل جملك بحبله، و تعير الناس منك أذنا صمّاء. فقال زياد: يا ابن شعبه أغرس عودا فى غير منبته، و لا مدره فتحية، و لا عرق فيسقيه.

ثم ان زيادا عزم على قبول الدعوى، و أخذ برأى المغيره، و أرسلت إليه جويريه بنت أبى سفيان عن أمر أخيها، فأتاها، فأذن له و كشفت عن شعرها

ص: ٥٩

بين يديه و قالت: أنت أختي، أخبرني بذلك أبو مریم (١).

«و قد عرفت ان معاويه كتب اليك يستزل» أي: يطلب زله «لبك» أي: عقلك «و يستفل» من فللت السيف اذا ثلمت حدّه، و كلّ شيء رددت حده أو ثلمته فقد فللته.

«غربك» أي: حدك «فاحذره فانما هو الشيطان يأتي» المؤمن «هكذا في (المصريه)، و الصواب: «المرء» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«من بين يديه و من خلفه و عن يمينه و عن شماله» حكى تعالى عن الشيطان قال لربه تعالى: «لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَنْبِتَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» (٣).

فالشيطان ان لم يقدر أن يحمل أحدا على المخالفه عن طريق المعصيه حمله عليها عن طريق العباده، و كذلك كان معاويه يأتي خصومه عن طريق الوعيد و التهديد، فان لم يؤثر كان يأتيهم عن طريق التملق و التجبب كما فعل بزياد.

و قال ابن أبي الحديد قال شقيق البلخي: ما من صباح إلا قعد لى الشيطان على أربعه مراصد: من بين يدي، و من خلفي، و عن يميني، و عن شمالي، أما من بين يدي فيقول: لا تخف فان الله غفور رحيم، فأقرأ «وَ إِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى» (٤)، و اما من خلفي فيخوفني

ص: ٦٠

١-١) مروج الذهب ٣:٦. [١]

٢-٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧٧:١٦، [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٩٥:٥ [٣] المومن».

٣-٣) الاعراف: ١٦ و ١٧. [٤]

٤-٤) طه: ٨٢. [٥]

الضيعة على مخلفي، فأقرأ «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا» (١)، واما من قبل يميني فيأتيني من جهه الثناء، فأقرأ «وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (٢)، واما من قبل شمالي فيأتيني من قبل الشهوات، فأقرأ «وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ» (٣).

«ليقتحم» الاقتحام ارتكاب الشديد، قال تعالى: «فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ» (٤) وقال الشاعر:

أقول و الناقه بي تقحم و أنا منها مكلنتر معصم

ويحك ما اسم امها يا علمكم (٥)

قالوا:الناقه الناده تسكن اذا سميت امها،و الجمل الناد اذا سمى أبوه.

«غفلته و يستلب» افعال من السلب أى:يختلس «غرتة» و لعمر الله كان خال مؤمنى اخواننا كان كما وصفه عليه السلام شيطانا ثانيا يأتى المرء من بين يديه و من خلفه،و عن يمينه و عن شماله،ليقتحم غفلته،و يستلب غرتة،فقال خطيبهم فى (أول تاريخ بغداده):معاويه بن أبى سفيان ستر أصحاب النبىؐ، فاذا كشف الرجل السترا جترأ على ما وراءه.

و كيف كان فقال الجزرى فى (كامله)مع نصبه:لم يذكر الطبرى فى استلحاق معاويه لزياد حقيقه الحال،انما ذكر حكاية جرت بعد استلحاقه، و أنا أذكر سبب ذلك و كفيته فان من الامور المشهوره الكبيره فى الاسلام -و كان استلحاقه أول ما ردت به أحكام الشريعة علانيه،فان النبى صلى الله عليه و آله

ص:٦١

١-١ (١) هود:٦. [١]

٢-٢ (٢) الاعراف:١٢٨ و [٢]القصص:٨٣. [٣]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٧٨:١٦، و الآية ٥٤ [٤] من سوره سبأ.

٤-٤ (٤) البلد:١١. [٥]

٥-٥ (٥) أورده أساس البلاغه:٣٥٦، [٦]ماده(قحم)و لسان العرب ٤٦٤:١٢، [٧]ماده(قحم).

قضى بالولد للفراش، و للعاهر الحجر- و كان ابتداء حاله ان سميّه ام زياد كانت لدهقان زند رود بكسكر، فمرض الدهقان، فدعا الحرث بن كلده الطيب الثقفي، فعالجه فبرأ، فوهبه سميّه فولدت عند الحرث أبا بكره- و اسمه نفيح- فلم يقر به ثم ولدت نافعاً، فلم يقر به أيضاً، فلما نزل أبو بكره الى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حين حصر الطائف قال الحرث لناعف: أنت ولدي، و كان الحرث زوج سميّه من غلام له اسمه عبيد و هو رومي، فولدت له زيادا و كان أبو سفيان بن حرب سار في الجاهليه الى الطائف فنزل على خمار يقال له أبو مريم السلولي.

الى أن قال: فلما رأى معاويه أن يستميل زيادا باستلحاقه، و أحضر الناس و حضر من يشهد لزياد- و كان فيمن حضر أبو مريم- فقال له معاويه:

بم تشهد؟ قال: أنا أشهد ان أبا سفيان حضر عندي و طلب مني بغياً، فقلت له:

ليس عندي إلا- سميّه. فقال: ايتني بها على قدرها و و ضرها، فأتيته بها، فخلا معها، ثم خرجت من عنده و ان اسكتيها ليقطران منيا، فقال له زياد: مهلاً أبا مريم، انما بعثت شاهداً، و لم تبعث شاتماً، فاستلحقه معاويه (1).

و في (العقد): أول دعوى كان في الاسلام و اشتهر زياد بن عبيد دعوى معاويه، و كانت سميّه ولدت زيادا و أبا بكره و نافعاً، فكان زياد ينسب في قريش، و أبو بكره في العرب، و نافع في الموالي، فقال فيهم يزيد بن مفرغ:

ان زيادا و نافعاً و ابا بكره عندي من أعجب العجب

ان رجالاً ثلاثه خلقوا من رحم انثى مخالفي النسب

ذا قرشي فيما يقول و ذا مولى و هذا ابن عمه عربي

و في (الاستيعاب): كان أبو بكره يقول: انا من اخوانكم في الدين و ان

ص: ٦٢

[١- ١] كامل ابن الأثير ٤٤٣: ٣، سنة ٤٤. [١]

أبى الناس إلا ان تسبونى فأنا نفيح بن مسروح (١).

و فى (تاريخ الطبرى): آل أبى بكره ردهم المهدي فى سنه (١٦٠) من نسبهم فى ثقيف الى نفيح بن مسروح (٢). قلت: يفهم منه انهم انتسبوا الى الحرث بن كلده الثقفى حتى ردهم .

«و قد كان من أبى سفيان فى زمن عمر بن الخطاب فلتته» أى: فجأه «من حديث النفس» أى: الحكايه عن شخصه.

و فى (نسب قريش مصعب الزبيرى): المنذر بن الزبير هو الذى شهد على قول على عليه السلام فى زياد، قال: سمعت أبا سفيان بن حرب مقدم زياد من تستر من عند أبى موسى حين قدم على عمر و أمره أن يتكلم يخبر الناس بفتح تستر، فقام زياد فتكلم فأبلغ، فعجب الناس من بيانه و قالوا: ان ابن أبى عبيد لخطيب. قال على عليه السلام: فسمع ذلك أبو سفيان فأقبل على و قال: ليس بابن عبيد و أنا و الله أبوه ما أقره فى رحم امه غيرى. قلت: فما يمنعك عنه؟ قال: خوف هذا -يعنى عمر- فكان آل زياد يشكرون ذلك للمنذر، و كان المنذر منقطعاً الى معاويه، و أوصى معاويه أن يحضر غسله و أمر له بمال، فكتب يزيد الى عبيد الله، فدفعه إليه، و أقطعه الدار التى تنسب الى الزبير بكلاء البصره، و أقطعه منزلاً بالبصره، ثم بدا ليزيد فكتب الى عبيد الله يأمره بحبس ذلك المال عن المنذر و ان لا يدع المنذر يخرج من البصره، و ذلك حين خالفه عبد الله بن الزبير، فخاف ان يلحق بأخيه فيكون ذلك المال عوناً له، فأرسل إليه ابن زياد فأخبره الخبر و قال: قد أجلتلك ثلاثاً و خذ من وراء أجلي ما شئت، فانطلق المنذر قبل مكه و سار سيرا شديداً قال الراجز:

ص: ٦٣

١- ١) الاستيعاب ٢٣: ٤. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٣٦٣: ٦، سنه ١٦٠. [٢]

تركن بالرمل قياما حسرا لو يتكلمن اشتكين المنذرا

فكان مع أخيه حتى قتل في حصار الحصين بن نمير حصار ابن الزبير الأول. «و نزغته من نزغات الشيطان» في (الأساس): نزغته اذا طعنه و نخسه، و من المجاز «نزغته الشيطان» كأنه ينخسه ليحثه على المعاصي (1).

«لا يثبت بها نسب و لا يستحق بها ارث» قال الشاعر:

زياد لست أدري من أبوه و لكن الحمار أبو زياد

العرب تكنى الحمار بأبي زياد، و قال آخر:

حمار في الكتابه يدعيها كدعوى آل حرب في زياد

و في (تاريخ الطبري): ذكر علي بن سليمان ان أباه حدثه قال: حضرت المهدي و هو ينظر في المظالم، اذ قدم عليه رجل من آل زياد يقال له الصغدي بن سلم بن حرب، فقال له: من أنت؟ قال: ابن عمك. قال: أي ابن عمي أنت؟ فانتسب الي زياد، فقال له المهدي: يا ابن سميه الزانية متى كنت ابن عمي، و غضب و امر به، فوجيء في عنقه و اخرج -الي أن قال: فأمر المهدي بالكتاب الي هارون -والي البصره من قبله - أن يخرج آل زياد من قريش و ديوانهم و العرب.

الي أن قال: ثم ان آل زياد بعد ذلك رشوا الديوان حتى ردهم الي ما كانوا عليه. الي أن قال بعد ذكر نسخه كتاب المهدي في كون استلحاق معاويه لزياد علي خلاف كتاب الله و سنه رسوله: فلما وصل الكتاب الي محمد بن سليمان وقّع بانفاذه، ثم كلم فيهم، فكف عنهم، و قد كان كتب الي عبد الملك بن أيوب النميري بمثل ما كتب به الي محمد، فلم ينفذه لموضعه من قيس،

ص: ٦٤

١-١) أساس البلاغه: ٤٥٣، [١] ماده (نزغ).

و كراهته ان يخرج أحد من قومه الى غيرهم (١).

و فى العقد: لما طالت خصومه عبد الرحمن بن خالد بن الوليد و نصر بن الحجاج عند معاوية فى عبد الله بن حجاج مولى خالد أمر معاوية حاجبه أن يؤخر مجلسه حتى يحتفل، فجلس معاوية و قد تلفع بمطرف خز أخضر و أمر بحجر فأدنى منه و ألقى عليه طرف المطرف، ثم اذن لهما و قد احتفل المجلس فقال نصر: أخى و ابن أبى عهد إلى إته منه، و قال عبد الرحمن: مولاى و ابن عبد أبى و أمته ولد على فراشه. فقال معاوية: خذ هذا الحجر - و كشف عنه - فادفعه الى نصر، و قال: هذا مالك فى حكم النبى. فقال نصر: أ فلا أجريت هذا الحكم فى زياد. قال: ذاك حكم معاوية و هذا حكم النبى صلى الله عليه و آله.

و قال ابن أبى الحديد: قال الحسن البصرى: ثلاث كن فى معاوية لو لم تكن فيه إلا واحده منهن لكانت موبقه: ابتزازه على هذه الامه بالسفهاء حتى ابتزها أمرها، و قتله حجرا و يا ويله من حجر و أصحاب حجر، و استلحاقه زيادا مراغمه لقول النبى صلى الله عليه و آله الولد للفراش و للعاهر الحجر (٢).

و قال: روى الشرقى بن القطامى ان سعيد بن أبى سرح - مولى حبيب بن عبد شمس - كان من شيعه على عليه السلام، فلما قدم زياد الكوفه طلبه و أخافه، فأتى الحسن عليه السلام مستجيرا به، فوثب زياد على أخيه و ولده و امرأته، فحبسهم، و أخذ ماله، و نقض داره، فكتب الحسن الى زياد: عمدت الى رجل من المسلمين له مالهم و عليه ما عليهم، فهدمت داره، و أخذت ماله، و حبست أهله و عياله، فاذا أتاك كتابى هذا فابن له داره، و اردد عليه عياله، و ماله و شفعنى فيه فقد أجزته.

ص: ٦٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٣٦٣: ٦-٣٦٦ سنة ١٦٠. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٩٣: ١٦. [٢]



فكتب إليه زياد: من زياد بن أبي سفيان الى الحسن بن فاطمه: أما بعد فقد أتاني كتابك تبدأ فيه بنفسك قبلي، و أنت طالب حاجه، و أنا سلطان و أنت سوقه، و تأمرني فيه بأمر المطاع المسلط على رعيته، كتبت الي في فاسق آويته اقامه منك على سوء الرأى، و رضى منك بذلك، و أيم الله لا تسبقني به و لو كان بين جلدك و لحمك، و ان نلت بعضك غير رفيق بك و لا مرع عليك، و ان أحب لحم على ان آكله للحم الّذى أنت منه، فسلمه بجريته الي من هو أولى به منك، فان عفوت عنه لم أكن شفعتك فيه، و ان قتلته لم أقتله إلاّ لحبه أباك الفاسق.

فلما ورد الكتاب على الحسن عليه السّلام تبسم و كتب بذلك الي معاويه و جعل كتاب زياد عطفه - و كتب جواب زياد كلمتين لا ثالثه لهما «من الحسن بن فاطمه الي زياد بن سميّه، اما بعد فان رسول الله قال: الولد للفراش و للعاهر الحجر».

فلما قرأ معاويه كتاب زياد الي الحسن عليه السّلام ضاقت به الشام، و كتب الي زياد ان الحسن بن علي بعث إلي بكتابك إليه جوابا عن كتاب كتبه اليك في ابن سرح، فأكثر العجب منك، و علمت ان لك رأيين: أحدهما من أبي سفيان و الآخر من سميّه، فأما الّذى من أبي سفيان فحلم و حزم، و أما الّذى من سميّه فما يكون من رأى مثلها، من ذلك كتابك الي الحسن تشتم أباه و تعرض له بالفسق، و لعمري انك الأولى بالفسق من أبيه، فأما ان الحسن بدأ بنفسه ارتفاعا عليك، فان ذلك لا يضعك لو عقلت، و أما تسلطه عليك بالأمر، فحق لمثل الحسن أن يتسلط، و أما تركك تشفيعه فيما شفع فيه اليك، فحظ دفعته عن نفسك الي من هو أولى به منك، و أما كتابك الي الحسن باسمه و اسم امه و لا - تنسبه الي أبيه، فان الحسن ويحك من لا - يرمى به الرجوان و الي أي ام و كلته

لا ام لك، أما علمت انها فاطمه بنت رسول الله، فذلك أفخر له لو كنت تعقل، و كتب شعرا من جملته:

أما حسن فابن الذي كان قبله اذا سار الموت حيث يسير

و هل يلد الرئبال إلا نظيره و ذا حسن شبه له و نظير

و لكنه لو يوزن الحلم و الحجا بأمر لقالوا يذبل و ثبير

فإذا ورد عليك كتابي فخل ما في يدك لسعيد، و ابن له داره، و أردد عليه ماله و لا تعرض له (١).

و قال: كتبت عائشه الى زياد كتابا، فلم تدر ما تكتب عنوانه، ان كتبت زياد ابن عبيد أو ابن أبيه أغضبتة و ان كتبت زياد بن أبي سفيان أثمت، فكتبت من ام المؤمنين الى ابنها زياد، فلما قرأه ضحك، و قال: لقد لقيت من هذا العنوان نصبا (٢).

قلت: و في (فتوح البلاذري) - في انهار البصره و من نسبت إليه - قال ابو اليقظان: نسب نهر مره الى مره بن ابى عثمان مولى عبد الرحمن بن أبى بكر - و كان سرىا - سأل عائشه ان تكتب له الى زياد و تبدأ به فى عنوان كتابها، فكتبت له و عنونته «الى زياد بن أبى سفيان من عائشه ام المؤمنين»، فلما رأى زياد أنها قد كاتبته و نسبتة الى ابى سفيان سر بذلك و أكرم مره و أطفه و قال للناس: هذا كتاب ام المؤمنين إلى فى مره و عرض الكتاب عليهم ليقروا عنوانه، ثم اقطعه مائه جريب على نهر الابله و أمر فحفر لها نهرا فنسب إليه (٣).

«و المتعلق بها كالواغل» قال الجوهرى: الواغل فى الشراب مثل الوارش

ص: ٦٧

١-١ شرح ابن أبى الحديد ١٩٤:١٦. [١]

٢-٢ شرح ابن أبى الحديد ٢٠٤:١٦. [٢]

٣-٣ فتوح البلدان: ٣٥٤. [٣]

فى الطعام، قال إمرؤ القيس:

و اليوم فاشرب غير مستحقب اثما من الله و لا واغل

و قال ابن دريد:الواغل الداخل فى القوم و هم يشربون و لم يدع إليه، كما ان الوارش و الراشن الداخل الى القوم و هم يأكلون و لم يدع إليه.

«المدفع» قال الجوهري:المدفع بالتشديد الفقير و الذليل، لأن كلا يدفعه عن نفسه.و قال ابن دريد:الضيف المدفع الذى يتدافعه الحى فيحيله هذا على هذا، و رجل مدفع اذا دفع عن نفسه.

فى (الأغانى):كان الحجاج ينفى آل زياد من آل ابى سفيان و يقول:

آل أبى سفيان سته حمش و آل زياد رسح خدل

و معنى «سته»ضخم الاليه و مقابلها«الرسح»،و«الحمش»دقه الساق و مقابله«الخدل»و المراد أن السفينيين ذوو أستاة عظيمه،و أسوق دقيقه، و الزيايين بالعكس.

و فى (أنساب البلاذرى)قال عقيبه الأسدى:

نجار فهر ميين فى توسمهم لكن نجار زياد غير معروف

لستم قريشا و لكن أنتم نبط صهب اللحى و النواصى ضهيه الليف

فكان ابن زياد يذكر هذا البيت و يقول كذب ابن الفاعله (١).

«و النوط» قال الجوهري:كل ما علق من شىء فهو نوط،و فى المثل «عاط بغير أنواط»أى:يتناول و ليس هناك شىء معلق،و هذا نحو قولهم:«كالحادى و ليس له بعير»و«تجشأ لقمان من غير شبع»

ص:٦٨

«المذبذب» أى: المتحرك.

لما كتبوا الشهود على حجر كان فيهم «ابن بزيعه»، و هو شداد بن المنذر الذهلي، قال زياد: ألقوا هذا من الشهود، اما لهذا أب ينسب إليه، فقال:

ويلى على ابن الزانية، أو ليست أمه أعرف من أبيه، و الله ما ينسب إلا الى امه سميه.

و أتى زياد بعروه بن اديه- و هو أول من سل سيفه من الخوارج و كان نجا من النهروان- فسأله عن معاويه، فسبه سبًا قبيحا، ثم سأله عن نفسه، فقال: أو لك لزنیه، و آخرك لدعوه، و أنت بعد عاص لربك، فأمر زياد به فضربت عنقه. و لكن فى (أنساب البلاذرى): أمر فقطعوا يديه و رجله ثم امر بصلبه (١).

و فيه: كان عروه هرب فطلبه أشد طلب و جعل فيه جعلًا، فوجد فى سرب فى دار، فقرأ عبيد الله قصته أنا وجدنا عروه يشرب فى دار، فضحك و قال: كذبتم ليته كان يشرب. فقال له بعض من حضر: انما وجد بسرب (٢).

فى (البلاغات): أتى زياد بامرأه من الخوارج، فلما همّ بقتلها تسترت بثوبها، فقال لها زياد: أ تسترين و قد هتك الله سترك، و أهلكك و أهلك قومك.

قالت: أى و الله أ تستر و لكن الله أبدى عوره امك على لسانك إذ أقررت بأن أبا سفيان زنى بها.

و أتى عبيد الله بن زياد بامرأه من الخوارج، فقطع رجلا- لها، ثم قطع رجلها الاخرى و جذبها، فوضعت يدها على فرجها، فقال: لتسترينه. فقالت:

لكن سميه امك لم تكن تستره.

ص: ٦٩

١- ١) أنساب الأشراف ٤: [١] ق ٨٨٢ و ٨٩.

٢- ٢) أنساب الأشراف ٤: [٢] ق ٨٧٢.

و فى (شعراء ابن قتبيّه):لما هجا ابن مفرغ عباد بن زياد أخذه عبيد الله بن زياد، و سقاه الزبد فى النبيذ، و حملة على بعير، و قرن به خنزيره، و أمشاه بطنه مشيا شديدا، فكان يسيل ما يخرج منه على الخنزيره فتضىء، فكلما صاءت قال ابن مفرغ:

ضجّت سميه لما مسّها القرن لا تجزعى أنّ شرّ الشيمه الجزع

فطيف به فى أزقه البصره و جعل الناس يقولون له: اين چيست؟ أى: ما هذا؟ و هو يقول:

اين است نبيد است سميه رو سفيد است

فلما ألح عليه ما يخرج قيل لعبيد الله انه يموت، فأمر به فانزل و اغتسل، فلما خرج من الماء قال:

يغسل الماء ما فعلت و قولى راسخ منك فى العظام البوالى

و فى (العقد):قال زياد ما هجيت بيت أشد علىّ من قول الشاعر:

فكّر ففى ذاك ان فكّرت معتبر هل نلت مكرمه إلا بتأمير

عاشت سميه ما عاشت و ما علمت ان ابنها من قريش فى الجماهير

و فى (الاستيعاب) فى زياد:دخل بنو اميه على معاويه و فيهم عبد الرحمن بن الحكم أيام استلحق زيادا، فقال له عبد الرحمن: يا معاويه لو لم تجد إلا الزنج لاستكثرت بهم علينا-يعنى على بنى أبى العاص-قله و ذلّه. فقال معاويه لأخيه مروان: أخرج عنّا هذا الخليع، أ لم يبلغنى شعره فىّ و فى زياد:

ألا أبلغ معاويه بن صخر لقد ضاقت بما تأتى اليدان

أ تغضب ان يقال أبوك عفّ و ترضى أن يقال أبوك زان

فأشهد أن رحمك من زياد كرحم الفيل من ولد الاتان

و قال لمروان: لا أرضى عنه حتى يأتي زيادا فيترضى عنه، فأتاه و أنشده:

اليك أبا المغيره تبت مما جرى بالشام من جور اللسان

زياد من أبا سفيان غصن تهادى ناضرا بين الجنان

أراك أبا وعمّا و ابن عمّ فما أدري بعيني من تراني

و أنت زياد في آل حرب أحبّ إلي من وسطى بناني

فكتب له رضى، فأخذه و ذهب به الى معاويه، فلما قرأه قال: قبح الله زيادا أ لم يتنبه له إذ قال:

و أنت زياد في آل حرب (١) و الى قول عبد الرحمن ينظر من قال في ابن أبي دؤاد كما في (تاريخ بغداد):

الى كم تجعل الاعراب طرا ذوى الارحام منك بكلّ واد

تضم على لصوصهم جناحا لتثبت دعوه لك في أباد

فأقسم ان رحمك في أباد كرحم بنى اميه من زياد

أى: في كونه كرحم الفيل من ولد الاتان.

و في (تاريخ الطبرى) بعد ذكر أمر عبيد الله بن زياد بقتل مسلم قال مسلم لعبيد الله: أما و الله يا ابن زياد لو كانت بينى و بينك قرابه ما قتلتنى (٢).

و فيه في دخول أهل بيت الحسين عليه السلام مجلس يزيد قال ابو مخنف:

ثم دعا يزيد بالنساء و الصبيان فأجلسوا بين يديه، فرأى هيئه قبيحه فقال: قبح الله ابن مرجانه لو كانت بينه و بينكم رحم أو قرابه ما فعل

ص: ٧١

١- (١) الاستيعاب ١: ٥٧٠ و ٥٧٣ و ٥٧٤. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٤: ٢٨٣ سنة ٦٠. [٢]

هذا بكم ولا بعث بكم هكذا (١).

و في (الوفيات): خرج المأمون يوما من باب البستان ببغداد، فصاح به رجل بصرى انى تزوجت بامرأه من آل زياد و ان أبا الرازى فرّق بيننا و قال:

هى امرأه من قريش. فكتب إليه: بلغنى ما كان من الزياديه و خلعتك اياها إذ كانت من قريش، فمتى تحاكت اليك العرب فى أنسابها، و متى و كلتك قريش يا ابن اللخناء بأن تلصق بها من ليس منها، فخل بين الرجل و امرأته، فلئن كان زياد من قريش انه لابن سميّه بغى عاهره لا يفتخر بقرباتها، و لا يتناول بولادتها، و لئن كان ابن عبيد لقد باء بأمر عظيم إذ ادعى الى غير أبيه بحظ تعجله، و ملك قهره .

(فلما قرأ زياد الكتاب) هكذا فى (المصريه و ابن ميثم)، و لكن فى (ابن أبى الحديد و الخطيه) (كتابه) (٢).

قول المصنّف: (قوله عليه السلام الواغل) هكذا فى (المصريه)، و لكن فى (ابن ميثم و الخطيه): «قوله كالواغل المدفّع الواغل» و فى (ابن أبى الحديد) «الواغل» (٣).

(هو الذى يهجم على الشرب) بالفتح جمع شارب، كصحب جمع صاحب (ليشرب معهم و ليس منهم فلا يزال مدفعا محازرا).

و فى (تاريخ الطبرى) أقبل مالك و عقيل - و هما اللذان صارا نديمى جديمه يريد انه من الشام، فلما كانا ببعض الطريق نزلا منزلا و معهما قينه لهما يقال لها أم عمرو، فقدمت اليهما طعاما، فينما هما يأكلان إذ أقبل فتى

ص: ٧٢

١- (١) تاريخ الطبرى ٤:٣٥٣ سنة ٦١. [١]

٢- (٢) كذا فى شرح ابن ميثم ٥:٩٦، و لفظ شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٧٧ [٢] مثل المصريه.

٣- (٣) راجع شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٧٧، و [٣] شرح ابن ميثم ٥:٩٨.

عريان شاحب قد تلبد شعره، و طالت أظفاره، و ساءت حاله- و هو عمرو بن عدى ابن اخت جذيمه الذى استطارته الجبن، فضرب له جذيمه فى الآفاق لا- يقدر عليه- فجاء حتى جلس ناحيه منهما، فمد يده يريد الطعام، فناولته القينه كراعا، فأكلها، ثم مد يده اليها، فقالت تعطى العبد الكراع فيطمع فى الذراع- فذهبت مثلا- ثم ناولت الرجلين من شراب كان معها و أوكت زقها، فقال عمرو بن عدى:

صددت الكأس عنا ام عمرو و كان الكأس مجراها اليمينا

و ما شر الثلاثة ام عمرو بصاحبك الذى لا تصبحينا

فسأله مالك و عقيل من أنت؟ فعزّف نفسه، فقالا: ما كنا لنهدى لجذيمه هديه أنفـس منه- إلخ (١).

(و النوط المذبذب هو ما يناط) أى: يعلق (برحل الراكب من قعب). قال الجوهري: القعب قدح من خشب مقعر- إلخ. و فى المثل: «أتاك ريان بقعب من لبن» (٢).

(أو قدح) قال الجوهري: واحد الأقداح التى للشرب (أو ما أشبه ذلك) من الأمتعه.

(فهو أبدا يتقلقل اذا حث طهره و استعجل سيره) و المراد حال العدو و شبهه، قال حسان:

و أنت دعى نيط فى آل هاشم كما نيط خلف الراكب القدح الفرد

و يقال للدعى العربى من القوارير و ابن الزئبق و الملتصق، قال بشار فى عمرو الباهلى:

ص: ٧٣

١- ١) تاريخ الطبرى ١: ٤٤٢. [١]

٢- ٢) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١: ٤٢ و الزمخشري فى المستقصى ١: ٣٧. [٢]



أُرفق بعمره و إذا حرّكت نسبته فانه عربي من قوارير

و قال آخر:

و تنقل من والد الى والد فكان امك أو أباك الزئبق

و قال أبو فراس:

أيها المدعى سليما سفاها لست منها و لا قلامه ظفر

انما أنت ملصق مثل واو ألصقت في الهجاء ظلما بعمره

(٨)

الكتاب (٤٣)

و من كتاب له عليه السلام إلى مصقله بن هبيرة الشيباني - و هو عامله على أردشير خرّه -:

بَلَّغْنِي عَنْكَ أَمْرًا إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسِيخَطْتَ إِلَهَكَ - وَ أَعْضَبْتَ إِمَامَكَ - أَنْتَ تَقْسِمُ فِيءِ الْمُسْلِمِينَ - الَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَ خِيُولُهُمْ وَ أُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ - فِيمَنْ اعْتَمَاكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ - فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَ بَرَأَ النَّسِمَةَ - لَئِنْ كَانَ ذَلِكَ حَقًّا - لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا وَ لَتَخَفَنَّ عِنْدِي مِيزَانًا - فَلَا تَسِيْتِيهِنَّ بِحَقِّ رَبِّكَ - وَ لَا تُصَيِّلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحَقِّ دِينِكَ - فَتَكُونَ مِنَ الْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا - أَلَا وَ إِنَّ حَقَّ مَنْ قَبْلَكَ وَ قَبْلَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - فِي قِسْمِهِ هَذَا الْفَيْءِ سَوَاءٌ - يَرُدُّونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَ يَصُدُّونَ عَنْهُ أَقُولُ: رواه يعقوبى مع جوابه، ففى ( تاريخه يعقوبى - تاريخ يعقوبى - ج ٢ ص ٢٠١ ): كتب على عليه السلام الى مصقله - و بلغه أنه يفرق و يهب أموال اردشير خره و كان عليها - أما بعد، فقد بلغنى عنك أمر أكبرت أن أصدقه، انك تقسم فىء المسلمين فى قومك، و من اعتراك من السأله و الأ-حزاب و أهل الكذب من الشعراء، كما تقسم الجوز، فوالذى فلق الحبة و برأ النسمة لافتش عن ذلك تفتيشا شافيا، فإن وجدته حقا لتجدن

ص: ٧٤

بنفسك عليّ هواناً، فلا تكوننّ من الخاسرين أعمالاً، الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا، وهم يحسبون أنّهم يحسنون صنعا.

فكتب مصقله إليه عليه السّلام: أما بعد، فقد بلغني كتاب أمير المؤمنين، فليسأل ان كان حقّاً فليعجل عزلي بعد نكالي، و كل مملوك لي حر، و علي أيام ربيعه و مضر ان كنت رزأت من عملي ديناراً و لا- درهماً و لا- غيرهما منذ وليته الي أن ورد علي كتاب أمير المؤمنين، و لتعلمن أن العزل أهون علي من التهمة. فلما قرأ كتابه قال: ما أظن أبا الفضل إلّا صادقاً (١).

و نقل عن (تاريخ ابن واضح) روايته و رواه (أنساب اشرف البلاذري- أنساب الأشراف- ج ٢ ص ١٦٠ البلاذري) في عنوان القول في ما كتبه عليه السّلام الي ولاته (٢).

و مر في فصل اخباره عليه السّلام بالغيب قوله في مصقله- لما كان اشترى سبي بني ناجيه من عامله و أعتقهم و لم يؤد الثمن و هرب الي معاويه- قبح الله مصقله، فعل فعل الساده، و فر فرار العبيد- إلخ (٣).

قول المصنّف: (الي مصقله) قال البلاذري: ولى معاويه مصقله طبرستان، فأخذوا عليه المضائق، فهلك مع جيشه، فضرب به المثل فقالوا:

حتى يرجع مصقله من طبرستان (٤).

(و هو عامله في أردشير خرّه) قال الحموي: أردشير خرّه اسم مركب معناه بهاء اردشير، و هي من أجل كور فارس، و منها مدينه شيراز (٥).

ص: ٧٥

- 
- ١- ١) تاريخ يعقوبى ٢:٢٠١. [١]
  - ٢- ٢) رواه البلاذري في أنساب الأشراف ٢:١٦٠، و [٢] اما تاريخ ابن واضح فهو نفس كتاب تاريخ يعقوبى.
  - ٣- ٣) مر في العنوان ١٠ في فصل أخباره (ع) بالملاحم و هو الفصل التاسع.
  - ٤- ٤) فتوح البلدان: ٣٣٠. [٣]
  - ٥- ٥) معجم البلدان ١:١٤٦. [٤]

و في (أنساب البلاذري): و كان على أردشير خزّه من قبل ابن عباس (١).

قوله عليه السلام «بلغني عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت الهك و أغضبت امامك» «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» (٢) «وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ» (٣) «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ» (٤) «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا» (٥) «وَلَا تَكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيمًا» (٦)، و البلاذري بدل «فقد اسخطت الهك و أغضبت امامك».

«فقد أتيت شيئاً ادا» (٧).

«انك» ليس في نسخه ابن ميثم (٨) «تقسم فيء المسلمين» قال الجوهري:

الفىء: الخراج و الغنيمه «الذى حازته» قال الجوهري: من ضم الى نفسه شيئاً فقد حازه «رماحهم و خيولهم» أى: حازوه بهما «و أريقت عليه دماؤهم فيمن اعتماك» هكذا في (المصريه)، و لكن في ثم «اعتماك»، و نسبه ابن أبى الحديد الى روايه (٩)، و المعنى واحد. قال الجوهري: و اعتميت الشىء اخترته، و هو قلب الاعتيام.

«من أعراب قومك» و في (أنساب البلاذري) بدله «من أعراب بكر بن وائل» (١٠).

ص: ٧٦

١-١ (١) انساب الاشراف ١٦٠:٢. [١]

٢-٢ (٢) الانفال: ٥٨. [٢]

٣-٣ (٣) يوسف: ٥٢. [٣]

٤-٤ (٤) الحج: ٣٨. [٤]

٥-٥ (٥) النساء: ١٠٧. [٥]

٦-٦ (٦) النساء: ١٠٥. [٦]

٧-٧ (٧) انساب الأشراف ١٦٠:٢. [٧]

٨-٨ (٨) توجد في نسختنا من شرح ابن ميثم ٩٤:٥. [٨]

٩-٩ (٩) كذا في شرح ابن أبى الحديد ١٧٥:١٦، [٩] لكن لفظ شرح ابن ميثم ٩٤:٥ [١٠] مثل المصريه.

١٠-١٠ (١٠) انساب الأشراف ١٦٠:٢. [١١]

و في (المروج): استبد سعيد بن العاص لما كان واليا على الكوفة من قبل عثمان بالأموال و قال بعض الايام- و كتب به الى عثمان-  
انما هذا السواد فطير لقريش، فقال له الاشر: أ تجعل ما أفاء الله علينا بظلال سيوفنا و مراكز رماحنا بستانا لك و لقومك (١).

«فو الذي فلق الجبهه» و في بعض الأدعيه «يا فائق الحب و النوى» (٢).

«و برأ» أي: خلق «النسمه» أي: الإنسان، و زاد البلاذري: «و أحاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا» (٣).

«لئن كان ذلك حقا لتجدن بك» هكذا في (المصريه و ابن ميثم)، و نقله ابن أبي الحديد: «لك» و نسب «بك» الى روايه (٤).

«على هوانا و لتخفن عندي ميزانا» و في (عيون ابن قتيبه): كان زياد اذا ولى رجلا قال له: خذ عهدك و سر الى عملك، و اعلم  
انك مصروف الى رأس سنتك، و انك تصير الى أربع خلال فاختر لنفسك: انا ان وجدناك أمينا ضعيفا استبدلنا بك لضعفك  
و سلمتك من معرفتنا أمانتك، و ان وجدناك خائنا قويا استهنا بقوتك و أحسنا على خيانتك أدبك، فأوجعنا ظهرك و أثقلنا  
غرمك، و ان جمعت علينا الحرمين جمعنا عليك المضرين، و ان وجدناك أمينا قويا رددناك في عملك و رفعنا لك ذكرك و  
كثرتنا مالك و أوطانا عقبك.

«فلا تستهن» أي: لا تستخف «بحق ربك» فلا حق فوق حقه «و لا تصلح دنياك بمحق» أي: محو «دينك» فتكون كمن محا نفيسا  
بخسيس «فتكون من الأخسرين أعمالا» «أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت»

ص: ٧٧

١-١ (١) مروج الذهب ٢:٣٣٧. [١]

٢-٢ (٢) رواه ابن الأثير في النهاية ٣:٤٧١، [٢] ماده (فلق).

٣-٣ (٣) انساب الأشراف ٢:١٦٠. [٣]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٧٥، و [٤] شرح ابن ميثم ٥:٩٤. [٥]

«تَجَارَتْهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» (١).

و فى روايه اليعقوبى و البلاذرى زياده «الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (٢) «قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ هُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا» (٣).

«ألا و ان حق من قبلك و قبلنا من المسلمين فى قسمه هذا الفىء سواء» فيه اشاره الى كون عمل عمر فى تفضيل الأشراف على خلاف الشريعة (يردون عنده و يصدررون عليه) و لا يمكن تبديله و تغييره.

(٩)

الكتاب (٤٠)

و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ - إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسِيخَطْتَ رَبِّكَ - وَ عَصَيْتَ إِمَامَكَ وَ أَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ - بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ - وَ أَكَلْتَ مَا تَحْتَ يَدَيْكَ فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ - وَ اعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ اللَّهِ أَكْثَرُ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ أَقُولُ: جعله عقد ابن عبد ربه - العقد الفريد - ابن عبد ربه كتابه عليه السلام الى ابن عباس فيما اشتهر عنه من الخيانة لما كان فى البصرة، و جعل ما نقله بعد فى العنوان الآتى كتابه عليه السلام إليه بعد رحلته من البصرة الى مكة. فقال: روى أبو مخنف عن سليمان بن أبى راشد عن عبد الرحمن بن عبيد ان ابن عباس مر على أبى

ص: ٧٨

[١ - ١] البقره: ١٦. [١]

[٢ - ٢] تاريخ اليعقوبى ٢: ٢٠٢، و [٢] انساب الأشراف ٢: ١٦١. [٣]

[٣ - ٣] الكهف: ١٠٣ و ١٠٤. [٤]

الأسود فقال له: لو كنت من البهائم كنت جملا و لو كنت راعيا ما بلغت. فكتب أبو الأسود الى علي عليه السّلام: ان الله جعلك واليا و مؤتمنا و راعيا مسئولا، و قد بلوناك فوجدناك عظيم الأمانه ناصحا للامه توفر لهم فيأهم و تكفّ نفسك عن دنياهم، فلا تأكل أموالهم و لا ترتشى بشيء في أحكامهم، و ابن عمك قد أكل ما تحت يديه من غير علمك فلم يسعني كتمانك ذلك.

قال: فكتب عليه السّلام إليه: أما بعد فمثلك نصح الإمام و الامه و والى علي الحق و فارق الجور، و قد كتبت لصاحبك بما كتبت إلى فيه و لم أعلمه بكتابك الي، فلا تدع اعلامي ما يكون بحضرتك مما النظر فيه للامه صلاح، فانك بذلك جدير و هو حق و اجب لله عليك.

و كتب عليه السّلام الى ابن عباس: اما بعد، فقد بلغني عنك أمران كنت فعلته فقد أسخّطت الله و أخزيت امانتك و عصيت امامك و خنت المسلمين، بلغني انك خربت الأرض و أكلت ما تحت يدك، فارفع الي حسابك و اعلم ان حساب الله أعظم من حساب الناس.

و في (أنساب البلاذري): قالوا و استعمل علي عليه السّلام عبد الله بن عباس على البصره، و استعمل أبا الأسود على بيت مالها، فمر ابن عباس بأبي الأسود إلخ مثله (1).

قول المصنّف: (و من كتاب له عليه السّلام الى بعض عمّاله) قد عرفت من (مستنده) أن المراد به ابن عباس كالعنوان الآتي، الا ان الكلام في صحته، و لعله لذا أجمله المصنّف مع انك عرفت في أوّل الكتاب ان ابن ميثم لم ينقله رأسا.

قوله عليه السّلام «أما بعد فقد بلغني» بكتابه أبي الأسود، و لم يذكره عليه السّلام لثلا

ص: ٧٩

يوجب تشديد العداوه بينهما.

«عنك أمر ان كنت فعلته فقد أسخطت ربك و عصيت إمامك و أخزيت أمانتك» في (عيون ابن قتيبه): دخل مالك بن دينار على بلال بن أبي بردة و هو أمير البصره، فقال له: انى قرأت فى بعض الكتب عن الله تعالى: أيا راعى السوء دفعت اليك غنما سمانا سحاحا، فأكلت اللحم، و شربت اللبن، و ائتممت بالسمن، و لبست الصوف، و تركتها عظاما تتقعقع.

و فيه أيضا: فى كتاب ابرويز الى ابنه: اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانه كعقوبتك على الكثير منها، فاذا لم يطمع منك فى الصغير لم يجترىء عليك فى الكبير.

و فيه أيضا: قال ابرويز لصاحب بيت ماله: انى لا احتملك على خيانه درهم، و لا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم، لأنك انما تحقن بذلك دمك، و تعمّر به أمانتك، فانك ان خنت قليلا خنت كثيرا، و احترس من الخصلتين:

النقصان فيما تأخذ، و الزيادة فيما تعطى .

«بلغنى أنك جردت الأرض» أى: أكلتها كالجراد تأكل نبت الأرض من جردت الجراد الأرض، و به سمى الجراد.

«فأخذت ما تحت قدميك و أكلت ما تحت يديك» لا يخفى لطف الكلام.

و فى (العيون): ذكر اعرابى رجلا خائنا فقال: ان الناس يأكلون أماناتهم لقما، و ان فلانا يحسوها حسوا.

و ولى حارثه بن بدر، فسرق، فكتب إليه أنس الدؤلى:

أحار بن بدر قد وليت ولايه فكن جرذا فيها تخون و تسرق

و قدم بعض عمال السلاطين من عمل، فدعا قوما فأطعمهم و جعل يحدثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال تعالى: «سَمَاعُونَ»

«فارفع الى حسابك و اعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس» و في (العيون):قدم معاذ بعد وفاه النبي صلى الله عليه و آله من اليمن على أبي بكر فقال له:ارفع حسابك.فقال:احسابان حساب من الله و حساب منكم،لا ألى لكم عملا أبدا.

(١٠)

الكتاب(٤١)

و من كتاب له عليه السلام إلى بعض عماله:

أَمَا بَعِيدُ فَبِأَنِّي كُنْتُ أَشْرَكَكَ فِي أَمَانَتِي - وَ جَعَلْتُكَ شِعْمَارِي وَ بَطَانَتِي - وَ لَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي -  
لِمَوَاسَاتِي وَ مُوَازَرَتِي وَ أَدَاءِ الْأَمَانَةِ إِلَيَّ - فَلَمَّا رَأَيْتَ الزَّمَانَ عَلَى ابْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلَبَ - وَ الْعُدُوَّ قَدْ حَرَبَ وَ أَمَانَةَ النَّاسِ قَدْ خَزَيْتَ -  
وَ هَذِهِ الْأُمَّةَ قَدْ فَتَكَتْ وَ شَعَرَتْ - قَلْبِيَتْ لِابْنِ عَمِّكَ ظَهَرَ الْمَجَنِّ - فَفَارَقْتَهُ مَعَ الْمُفَارِقِينَ وَ خَذَلْتَهُ مَعَ الْخَاذِلِينَ - وَ خُتِنْتَهُ مَعَ  
الْخَائِنِينَ - فَلَا ابْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ وَ لَا الْأَمَانَةَ أَدَيْتَ - وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ اللَّهُ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ - وَ كَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيْتِهِ مِنْ رَبِّكَ -  
وَ كَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هَذِهِ الْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ - وَ تَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ - فَلَمَّا أَمَكَّنْتَكَ الشَّدَّةَ فِي خِيَانَةِ الْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ الْكُرَّةَ - وَ  
عَاجَلْتَ الْوُتْبَةَ وَ اخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمْ - الْمَصُونَةَ لِأَرَامِلِهِمْ وَ أَيْتَامِهِمْ - اخْتِطَافَ الذُّبِّ الْأَزْلَ دَامِيَةَ الْمِعْزَى الْكَسِيرَةَ -  
فَحَمَلْتَهُ إِلَى؟ الْحِجَازِ؟ رَحِيبَ الصَّدْرِ بِحَمْلِهِ - غَيْرَ مُتَيَأَّمٍ مِنْ أَخْذِهِ - كَأَنَّكَ لَا أَبَا لَعْنِيرِكَ - حَادَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تَرَانًا مِنْ أَبِيكَ وَ  
أُمَّكَ - فَسَبَّحَانَ اللَّهُ أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ - أَوْ مَا تَخَافُ نِقَاشَ الْحِسَابِ -

ص: ٨١



أَيُّهَا الْمَعِيدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي الْأَلْبَابِ - كَيْفَ تُسَبِّغُ شَرَابًا وَ طَعَامًا - وَ أَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَامًا وَ تَشْرَبُ حَرَامًا - وَ تَبْتَاعُ  
الْإِمْيَاءَ وَ تَنْكِحُ النِّسَاءَ - مِنْ مِيَالِ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمُجَاهِدِينَ - الَّذِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ هَيْدِهِ الْأَمْوَالَ - وَ أَحْرَزَ بِهِمْ  
هَيْدِهِ الْبِلَادَ - فَاتَّقِ اللَّهَ وَ ارْزُقْ إِلَى هَوْلَاءِ الْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ - فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنِي اللَّهُ مِنْكَ - لَأُعْذِرَنَّ إِلَيَّ اللَّهُ فِيكَ - وَ  
لَأُضْرِبَنَّكَ بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا - إِلَّا دَخَلَ النَّارَ - وَ اللَّهُ لَوْ أَنَّ؟ الْحَسَنَ؟ وَ؟ الْحُسَيْنَ؟ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ - مَا كَانَتْ  
لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ وَ لَا - ظَفِرًا مِنِّي بِإِرَادِهِ - حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَ أُزِيحَ الْبَاطِلَ عَنْ مَظْلَمَتَيْهِمَا - وَ أَقْسِمُ بِاللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ - مَا  
يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي - أَتُرْكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي فَضَحَّ رُؤُودًا - فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى وَ دُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى -  
وَ عَرِضْتُ عَلَيْكَ أَعْمَالِكَ بِالْمَحَلِّ - الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمَ فِيهِ بِالْحُسْرَى - وَ يَتَمَنَّى الْمُضْئِيعُ فِيهِ الرَّجْعَةَ « وَ لَا تَحِينَ مَنَاصٍ » أَقُولُ: هَذَا  
الكتاب على فرض صحه نسبه إليه عليه السلام جمع من المصنف بين كتابين منه عليه السلام الى ابن عباس لما لحق بالحجاز  
على ما يظهر من خبري ( عقد ابن عبد ربه - العقد الفريد - ابن ربه ) و رجال الكشي الكشي - اختيار معرفه الرجال - ص ٦٠ ح ١١٠  
( و تذكره سبط ابن الجوزي - تذكره الخواص - ص ١٥١ و ١٥٢ سبط ابن الجوزي ) .

ففي الأول: قال سليمان بن أبي راشد عن عبد الله بن عبيد عن أبي الكنود قال: كنت من أعوان عبد الله بالبصره، فلما كان من أمره  
ما كان أتيت علياً عليه السلام فأخبرته، فقال « وَ اتُّلِّ عَلَيْهِمْ نَبَأُ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسِلْخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ »  
(١) ثم كتب معي إليه: أما بعد فاني كنت أشركتك

ص: ٨٢

فى أمانتى و لم يكن من أهل بيتى رجل أوثق عندى منك بمواساتى و مؤازرتى بأداء الامانه، فلما رأيت الزمان قد كلب على ابن عمك و العدو قد حرد و أمانه الناس قد خرجت و هذه الأمه قد فتنت، قلبت لابن عمك ظهر المجن ففارقته مع القوم المفارقين و خذلته أسوء خذلان و خنته مع من خان، فلا ابن عمك آسيت و لا الامانه إليه أديت، كأنك لم تكن على بينه من ربك، و انما كنت خدعت امه محمد عن دنياهم و غدرتهم عن فيثهم، فلما أمكنتك الفرصه فى خيانه الامه أسرعت الغدره و عاجلت الوثبه، فاخترت ما قدرت عليه من أموالهم و انفلت بها الى الحجاز، كأنك انما حزت على أهلك ميراثك من أبيك و امك، سبحان الله أو ما تؤمن بالمعاد، أما تخاف الحساب، أما تعلم انك تأكل حراما و تشرب حراما و تشتري الاماء و تنكحهن بأموال اليتامى و الأرامل و المجاهدين فى سبيل الله التى أفاء الله عليهم، فاتق الله و أد الى القوم أموالهم، فانك ان لم تفعل و أمكننى الله منك لا عذرنا الى الله فيك، فو الله لو ان الحسن و الحسين فعلا مثل الذى فعلت ما كانت لهما عندى هواده و لما تركتهما حتى آخذ الحق منهما.

و السلام.

فكتب إليه ابن عباس: فقد بلغنى كتابك تعظم على أمانه المال الذى أصبت من بيت مال البصره، و لعمري ان حقى فى بيت مال الله أكثر من الذى أخذت.

فكتب إليه على عليه السلام: أما بعد فان العجب كل العجب منك اذ ترى لنفسك فى بيت مال الله أكثر مما لرجل من المسلمين، قد أفلحت ان كان تمنيك الباطل و ادعاءك ما لا يكون ينجيك من الاثم و يحل لك ما حرم الله عليك عمرك انك لأنت البعيد، قد بلغنى أنك اتخذت مكه و طنا و ضربت بها عطنا تشتري المولدات من المدينه و الطائف تختارهن على عينك و تعطى بها مال غيرك،

ص: ٨٣

و انى أقسم بالله ربى و ربك ربّ العزه ما أحب أن ما أخذت من أموالهم لى حلالا أدعه ميراثا لعقبى فما بال اغتباطك به تأكله حراما،ضح رويدا فكأنك قد بلغت المدى و عرضت عليك أعمالك بالمحل الذى ينادى فيه المغتر بالحسره و يتمنى المضيع التوبه و الظالم الرجبه.

فكتب إليه ابن عباس: و الله لئن لم تدعنى من أساطيرك لأحملنه الى معاويه يقاتلك به.

فكفّ عنه على عليه السلام.

و فى الثانى: ذكر شيخ من أهل اليمامه عن معلى بن هلال عن الشعبى قال: لما احتمل عبد الله بن عباس بيت مال البصره و ذهب به الى الحجاز كتب إليه على عليه السلام: أما بعد فانى كنت أشركتك فى أمانتى، و لم يكن أحد من أهل بيتى فى نفسى أو ثوق منك لمواساتى و مؤازرتى و اداء الامانه الى، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب، و العدو عليه قد حرب، و أمانه الناس قد عزت، و هذه الامور قد فشت، قلبت لابن عمك ظهر المجن، و فارقت مع المفارقين، و خذلته أسوأ خذلان الخاذلين، فكأنك لم تكن تريد الله بجهدك، و كأنك لم تكن على بينه من ربك، و كأنك انما كنت تكيد امه محمد على دنياهم و تنوى غرتهم، فلما أمكنتك الشده فى خيانه امه محمد أسرع الوثبه و عجلت العدو، فاخطفت ما قدرت عليه اختطاف الذئب الازل رميه المعزى الكثير، كأنك لا- أبا لك جررت الى أهلك تراثك من أبيك و امك، سبحان الله، أو ما تؤمن بالمعاد، أو ما تخاف سوء الحساب، أو ما يكبر عليك أن تشتري الاماء و تنكح النساء بأموال الأرامل و المهاجرين الذين أفاء الله عليهم هذه البلاد؟ أردد الى القوم أموالهم، فو الله لئن لم تفعل ثم امكننى الله منك لأعذرن الله فيك، فو الله لو أن حسنا و حسينا فعلا مثل الذى فعلت لما كان لهما عندى فى ذلك هواده و لا

لواحد منهما عندي رخصه، حتى آخذ الحق و ازيح الجور عن مظلومها.

فكتب إليه ابن عباس: أتاني كتابك تعظم عليّ اصابه المال الذي أخذته من بيت مال البصره، و لعمرى ان لي بيت مال الله أكثر مما أخذت.

فكتب إليه على عليه السلام: أما بعد فالعجب كلّ العجب من تزيين نفسك أن لك في بيت مال الله أكثر مما أخذت، و أكثر مما لرجل من المسلمين. فقد أفلحت إن كان تمنيك الباطل و ادعاؤك ما لا يكون ينجيك من الاثم، و يحل لك ما حرم الله عليك -عمر ك الله- أنك لأنت العبد المهتدى اذن! فقد بلغني أنك اتخذت مكه و طنا و ضربت بها عطنا، تشتري مولدات مكه و الطائف، تختارهن على عينك و تعطى فيهن مال غيرك، و اني لاقسم بالله ربي و ربك ربّ العزه ما يسرنى أن ما أخذت من أموالهم لي حلال أدعه لعقبى ميراثا، فلا غرور أشدّ من اغتباطك تأكله. رويدا رويدا، فكأن قد بلغت المدى و عرضت على ربك في المحل الذي يتمنى (فيه المجرم) الرجعه و المضيع التوبه، كذلك و ما ذلك و لات حين مناص.

فكتب إليه ابن عباس: فقد أكثرت على، فوالله لئن ألقى الله بجميع ما في الأرض من ذهبها و عقيانها أحب اليّ من أن ألقى الله بدم رجل مسلم (١).

و في الثالث: و لما مضى ابن عباس الى مكه كتب عليه السلام إليه: اما بعد فاني أشركتك في أمانتي، و لم يكن أحد من أهل بيتي أوثق في نفسي منك لمؤازرتي و أداء الامانه الي، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد حرب، و العدو قد كلب، و أمانه الناس قد خربت، و الامه قد افتتت، قلبت لابن عمك ظهر المجن بمفارقه مع المفارقين و خذلانه مع الخاذلين، و اختطفت ما قدرت عليه من مال الامه اختطاف الذئب فارده المعزى، أما توقن بالمعاد و لا تخاف ربّ

ص: ٨٥

العباد، أما يكبر عليك أنك تأكل الحرام و تنكح الحرام و تشتري الاماء بأموال الأرامل و الايتام، أردد الى المسلمين أموالهم، و الله لئن لم تفعل لاعدرن الله فيك، فان الحسن و الحسين لو فعلا ما فعلت لما كان لهما عندى هواده.

فكتب إليه ابن عباس: حقى فى بيت المال أكثر مما أخذت منه.

فكتب إليه على عليه السلام العجب العجب من تزيين نفسك لك أنك أخذت أقل مما لك، و هل أنت إلا رجل من المسلمين، و قد علمت بسوابق أهل بدر و ما كانوا يأخذون غير ما فرض لهم، و كفى بك أنك اتخذت مكه و طنا و ضربت بها عطنا، تشتري من مولدات الطائف و مكه و المدينه ما تقع عليه عينك و تميل إليه نفسك، تعطى فيهن مال غيرك، و انى أقسم بالله ما احب أن ما أخذت من أموالهم حلالا أدعه بعدى ميراثا، فكان قد بلغت المدى و عرضت عليك أعمالك غدا بالمحل الأعلى الذى يتمنى فيه المضيع التوبه و الخلاص و لات حين مناص.

فكتب إليه ابن عباس: لأن ألقى الله بكل ما على ظهر الأرض و بطنها أحب الئى من أن ألقاه بدم امرئ مسلم.

فكتب إليه على عليه السلام: ان الدماء التى أشرت إليها قد خضتها الى ساقيك، و بذلت فى اراققتها جهدك، و وضعت باباحتها حظك، و تقشعت عنها فتياك، و اذ لم تستحى فافعل ما شئت (١).

و نقله القتيبي فى عيونه مرفوعا فى باب خيانات العمال، فقال: و وجدت فى كتاب لعلى عليه السلام الى ابن عباس حين أخذ من مال البصره ما أخذ: انى اشركتك فى أمانتى و لم يكن رجل من أهلى أو ثقت منك فى نفسى، فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب و العدو قد حرب، قلبت لابن عمك ظهر المجن

ص: ٨٦

(١- ١) تذكره الخواص: ١٥١ و ١٥٢. [١]

بفراقه مع المفارقين و خذ لانه مع الخاذلين، و اختطفت ما قدرت عليه من أموال الامه اختطاف الذئب الازل داميه المعزى.

قال: و فى الكتاب: وضح رويدا فكأن قد بلغت المدى و عرضت عليك أعمالك بالمحل الذى به ينادى المغتر بالحسره و يتمنى المضيع التوبه و الظالم الرجعه.

و فى ( أنساب البلاذرى - أنساب الاشراف - ج ٢ ص ١٧٤ البلاذرى): قالوا لما قدم ابن عباس مکه ابتاع من جبيره مولى بنى كعب من خزاعه ثلاث مولدات: حورا و فوز و شادن بثلاثه آلاف دينار، فكتب إليه على بن أبى طالب: أما بعد فانى كنت اشركتك - إلی الخ (١) -.

قول المصنّف: (و من كتاب له عليه السّلام الى بعض عماله) قال ابن أبى الحديد اختلفوا فى المكتوب إليه: فقال الأكثر انه ابن عباس، و رووا فى ذلك روايات و استدلوا بألفاظ من الكتاب، كقوله: «اشركتك فى أمانتى، و جعلتك بطانتى و شعارى، و انه لم يكن فى أهلى رجل أوثق منك» و قوله: «رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب» و هذه كلمه لا تقال إلا لمثله، فأما غيره من افناء الناس فان عليًا كان يقول له: «لا أبا لك» و قوله: «أيها المعدود عندنا من اولى الألباب» و قوله: «لو أن الحسن و الحسين» فهذا يدل على ان المكتوب إليه قريب ان يجرى مجراهما.

و قد روى أرباب هذا القول ان ابن عباس كتب إليه جواب هذا الكتاب: فقد أتانى كتابك تعظّم على ما أصبت - الى أن قال - كتب عليه السّلام فقد أفلحت أن كان تمنيك الباطل و ادعاك ما لا يكون ينجيك من المأثم، و يحل لك المحرم، انك لأنت المهتدى السعيد اذن - الى أن قال - و أخرج الى المسلمين من أموالهم، فعما قليل تفارق من ألفت، و تترك ما جمعت، و تغيب فى صدع من الأرض غير

ص: ٨٧

موسد و لا ممهد،قد فارقت الأحباب،و سكنت التراب،و واجهت الحساب،غنيا عمًا خلقت،فقيرا الى ما قدمت.

و قال الآخرون:هذا لم يكن،و لا فارق عبد الله علينا عليه السّلام و لا خالفه،و لم يزل أميرا على البصره الى أن قتل على،قالوا:و يدل على ذلك ما رواه ابو الفرج الاصبهاني من كتابه الذى كتبه الى معاويه من البصره لما قتل على عليه السّلام و قد ذكرناه قبل،قالوا و كيف يكون ذلك و لم يخذعه معاويه و لم يجره الى جهته، فقد علمتم كيف اختدع كثيرا من عماله عليه السّلام و استمالهم إليه بالأموال،فمالوا و تركوا علينا،فما بال معاويه و قد علم النبوه التى حدثت بينهما لم يستمل ابن عباس و لا اجتذبه الى نفسه،و كل من قرأ السير و عرف التواريخ يعرف مشاقه ابن عباس لمعاويه بعد وفاه على عليه السّلام فيما كان يلقاه من قوارع الكلام و شديده،و ما كان يثنى به عليه عليه السّلام،و يذكر خصائله و فضائله،و يصدع به من مناقبه و مآثره،فلو كان بينهما غبار أو كدر لما كان الأمر كذلك،بل كانت الحال بالضد.

قال:و قد أشكل علىّ أمر هذا الكتاب،فان أنا كذبت النقل و قلت هذا كلام موضوع عليه عليه السّلام خالفت الرواه،فانهم قد اطبقوا على روايه هذا الكلام عنه و قد ذكر فى أكثر كتب السير،و ان صرفته الى عبد الله صدنى عنه ما أعلم من ملازمته لطاعته عليه السّلام فى حياته،و ان صرفته الى غيره لم أعلم الى من أصرفه،فانا فى هذا الموضوع من المتوقفين (١).

قلت:المصنّف أيضا كأنه توقف حيث قال هنا:و فى كتاب قبله قد ذكرناه فى العنوان السابق«و من كتاب له عليه السّلام الى بعض عماله»و لم يقل«الى ابن عباس»،مع أنّه رأى ان من نقل الكتابين عيّنهما فى عبد الله.

ص: ٨٨

كما أن ظاهر ابى زيد التوقف، ففى (تاريخ الطبرى): قال ابو زيد: زعم أبو عبيده ان ابن عباس لم يبرح من البصره حتى قتل على عليه السلام، فشخص الى الحسن، فشهد الصلح بينه و بين معاويه. قال أبو زيد: ذكرت ذلك لأبى الحسن فأنكره، و زعم ان عليًا قتل و ابن عباس بمكه، و ان الذى شهد الصلح عبيد الله (١)، فتراه اقتصر على نقل قول ابى عبيده و أبى الحسن، و لم يفت بشىء و جعل قول كل منهما زعما.

و كيف كان فيقال فى جواب ابن أبى الحديد أنه قاعده عقليه اذا تعارض العقل و النقل يقدم العقل، فإذا كان معلوما ملازمته لطاعه أمير المؤمنين عليه السلام فى حياته، و استماله معاويه مع انتهازه الفرصه فى مثل ذلك، نقطع بأن النقل باطل، و قد ابطال النقل بما قلنا عمرو بن عبيد أيضا.

ففى (غرر المرتضى) قال أبو عبيده: دخل عمرو بن عبيد على سليمان بن على العباسى، فقال له سليمان: أخبرنى عن قول على فى ابن عباس:

يفتينا فى القمله و القميله و طار بأموالنا فى ليله

فقال له عمرو: كيف يقول على هذا و ابن عباس لم يفارق عليًا عليه السلام حتى قتل و شهد صلح الحسن، و أى مال يجتمع فى بيت مال البصره مع حاجه على عليه السلام الى الأموال و هو يفرغ بيت مال الكوفه كل خميس و يرشه، و قالوا أنه كان يقبل فيه، فكيف يترك المال يجتمع بالبصره، و هذا باطل (٢).

و من أين اتفق النقل عليه، فقد عرفت فى سابقه ان الأصل فيه روايه أبى مخنف عن جمع، مع أنه روى أيضا كونه بالبصره لما قتل عليه السلام، و لحوقه بالحسن بالكوفه، ففى المقاتل: لما خطب الحسن عليه السلام فى صبيحه وفاه أبيه

ص: ٨٩

١-١) تاريخ الطبرى ٤:١٠٩ سنة ٤٠. [١]

٢-٢) أمالى الشريف المرتضى و هو كتاب الغرر ٢:١٢٣ المجلس ١٢.



قال أبو مخنف عن رجاله: قام ابن عباس بين يديه، فدعا الناس الى بيعته، فاستجابوا له وقالوا: ما أحبه الينا و أحقه بالخلافه فبايعوه، ثم نزل عن المنبر، و دس معاويه رجلا من حمير الى الكوفه و رجلا من بنى القين الى البصره يكتبان إليه بالأخبار.

الى أن قال: و كتب عبد الله بن العباس من البصره الى معاويه: أما بعد فانك و دسك أخا بنى قين الى البصره تلتمس من غفلات قريش مثل الذى ظفرت من يمانيتك لكما قال اميه بن اشكر:

لعمرك انى و الخزاعى طارقا كنعجه غار حفرها تتحفر

أثارت عليها شفره بكراعها فظلت بها من آخر الليل تنحر

شمت بقوم من صديقك أهلكوا أصابهم يوم من الدهر أعسر

فأجابه معاويه: اما بعد فان الحسن بن على قد كتب الى بنحو ما كتبت - إلخ (١).

و أما روايه الكشى للكتاب بسند آخر عرفته فنسخه كتابه مصحفه مختلطة سندا و متنا بحيث لا يوجب الاعتماد على ما تفرد به كما برهنا عليه فى الرجال كخبر آخر رواه، فقال روى على بن يزداد الصائغ الجرجانى عن عبد العزيز بن محمد بن عبد الأعلى الجزرى عن خلف المخزومى البغدادى عن سفيان بن سعيد عن الزهرى عن الحرث: استعمل على عليه السلام على البصره عبد الله بن العباس، فحمل كل ما فى بيت مال البصره و لحق بمكه و ترك عليا، و كان مبلغه ألفى ألف درهم، فصعد على عليه السلام المنبر حين بلغه ذلك فبكى و قال: هذا ابن عم النبى فى علمه و قدره يفعل مثل هذا فكيف يؤمن من كان

ص: ٩٠

دونه،اللهم انى قد مللتهم و اقبضنى اليك غير عاجز و لا ملول (١)-مضافا الى مجهوليه رواته.

و أما ما فى نسخنا من مقاتل ابى الفرج فى ترك عبيد الله بن العباس عسكر الحسن عليه السّلام و لحوقه بمعاويه،خطبهم قيس بن سعد بن عباده فقال:

ان هذا و أباه و أخاه لم يأتوا بيوم خير-الى أن قال-و أن أخاه ولأّمه على عليه السّلام على البصره،فسرق مال الله و مال المسلمين،فاشترى به الجوارى و زعم ان ذلك له حلال إلخ (٢).فالظاهر كونه من تصرف المحشين أخذنا من تلك الأخبار المتقدمه،فخطب بالمتن،بدليل ان ابن أبى الحديد نقل عند عنوان النهج«و من وصيته للحسن»جميع كلام ابى الفرج و ليس فيه أثر من ذلك،بل اقتصر على أن قيسا خطبهم،فثبتهم و ذكر عبيد الله،فنال منه ثم أمرهم بالصبر (٣)-و لم يذكر ذلك فى تاريخ آخر.

مع ان يعقوبى روى ان ابن عباس تصرف مقدارا من بيت المال،فكتب أمير المؤمنين عليه السّلام برده فرده،و هذا لفظه:و كتب أبو الأسود-و كان خليفه ابن عباس بالبصره-الى على عليه السّلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشره آلاف درهم،فكتب إليه يأمره بردها،فامتنع،فكتب يقسم له بالله لتردنها،فلما ردها أورد أكثرها كتب عليه السّلام إليه:أما بعد،فان المرء يسره درك ما لم يكن ليفوته،و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه،فما أتاك من الدنيا فلا تكثير به فرحا، و ما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعا،و اجعل همك لما بعد الموت (٤).

و مثله نقل سبط ابن الجوزى عن السدى و أبى اراكه،فروى مسندا عن

ص: ٩١

١-١) اختيار معرفه الرجال: ٦٠ ح ١٠٩.

٢-٢) مقاتل الطالبيين: ٤٢. [١]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ٤٢، و [٢] قد لخص كلام ابى الفرج.

٤-٤) تاريخ يعقوبى ٢٠٥: ٢. [٣]

المأمون عن آباءه عن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانْتِفَاعِي بِكَلَامِ كَتَبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ إِلَيَّ، كَتَبَ: سَلَامٌ عَلَيْكَ، أَمَا بَعْدَ فَاِنَّ الْمَرْءَ يَسُوؤُهُ فَوْتَ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَدْرِكُهُ وَ يَسْرُهُ دَرَكٌ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ-إِلَى أَنْ قَالَ- وَ قَدْ رَوَى السَّدَى هَذَا عَنْ أَشْيَاخِهِ وَ قَالَ عَقِيْبِهِ: كَأَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ نَزَغَ بَيْنَ ابْنِ عَبَّاسٍ وَ بَيْنَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَدَهُ ثُمَّ عَادَ إِلَى مَوَالِيَتِهِ- وَ سَبَبِهِ أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَ لِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ الْبَصْرَةَ-إِلَى أَنْ قَالَ بَعْدَ ذِكْرِ الْكُتُبِ الْمَذْكُورَةِ-ثُمَّ نَدِمَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ اعْتَذَرَ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ قَبِلَ عَذْرَهُ، وَ قِيلَ إِنَّهُ عَادَ إِلَى الْكُوفَةِ (١).

وَ رَوَاهُ أَعْتَمُ الْكُوفِي فِي (تَارِيخِهِ) بِطَرِيقٍ آخَرَ، فَقَالَ: مَا مَعْنَاهُ أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ لِيَّ ابْنَ عَبَّاسٍ لَمَّا كَانَ مِنْ قَبْلِهِ عَلَى الْبَصْرَةِ الْمَوْسِمَ، فَطَلَبَ ابْنَ عَبَّاسٍ زِيَادًا وَ أَبَا الْأَسْوَدِ وَ قَالَ لَهُمَا: اسْتَخْلِفْكَمَا عَلَى الْبَصْرَةِ حَتَّى أَرْجِعَ- وَ جَعَلَ أَبَا الْأَسْوَدِ عَلَى الصَّلَاةِ بِالنَّاسِ وَ زِيَادًا، عَلَى الْخِرَاجِ، فَوَقَعَ بَيْنَهُمَا بَعْدَ خُرُوجِ ابْنِ عَبَّاسٍ تَنَافُرًا، فَهَجَا أَبُو الْأَسْوَدِ زِيَادًا، فَلَمَّا رَجَعَ ابْنُ عَبَّاسٍ شَكَاهُ زِيَادٌ وَ قَرَأَ عَلَيْهِ أَهَاجِيَهُ فِيهِ، فَغَضِبَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَ سَبَّ أَبَا الْأَسْوَدِ، فَاحْتَالَ أَبُو الْأَسْوَدِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ عَمَّكَ خَانَ فِي بَيْتِ الْمَالِ، فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى ابْنِ عَبَّاسٍ: بَلَّغْنِي عَنْكَ أُمُورَ اللَّهِ أَعْلَمَ بِهَا وَ هِيَ غَيْرُ مَنْتَظَرَةٍ مِنْكَ، فَارْتَدَّ إِلَى بِمَقْدَارِ بَيْتِ الْمَالِ. فَأَجَابَهُ أَنَّ ذَلِكَ بَاطِلٌ، وَ أَنِّي أَعْلَمُ مِنْ كُتُبِ الْيَكِّ وَ لَا أَتَصَدَّى بَعْدَ ذَلِكَ لِعَمَلٍ- وَ اعْتَزَلَ فِي بَيْتِهِ- فَكَتَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ: لَا تَكُنْ وَاجِدًا مِمَّا كَتَبْتَ الْيَكِّ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَانَ مِنْ اعْتِمَادِي عَلَيْكَ، وَ تَبَيَّنَ لِي أَنَّ مَا كَتَبُوا إِلَيَّ فِيكَ بَاطِلٌ، فَارْجِعْ إِلَى عَمَلِكَ.

فلما وصل الكتاب الى ابن عباس سر و اشتغل بعمله.

و قد عرفت انكار عمرو بن عبيد لذلك بكونه خلاف الدرايه و بطلان خبر

ص: ٩٢

رووا أنه عليه السّلام قال: «يفتينا في القملة و النملة، و طار بأموالنا في ليله»، ثم كيف يقول عليه السّلام: «يفتينا»، فهل كان ابن عباس يفتيه عليه السلام، و كيف يقول: «و طار بأموالنا»، فان تلك الأموال كانت من بيت المال لا ماله.

و قد أنكره ابو عبيده، ففي (تاريخ الطبري) قال أبو عبيده: ان ابن عباس لم يبرح من البصره حتى قتل على عليه السّلام، فشخص الى الحسن عليه السّلام، فشهد الصلح بينه و بين معاويه، ثم رجع الى البصره و ثقله بها، فحمله و ما لا من بيت المال قليلا و قال هي أرزاقى (1).

و بالجمله النقل فيه مختلف و متعارض، و خبر الخصم خلاف العقل و الدرايه، فأى عبره بمثله من الروايه حتى يقول ابن أبي الحديد ان كذبت النقل و قلت هذا كلام موضوع خالفت الرواه، و كم من روايات لهم مخالفه للدرايات.

و منها: كون زيد بن حارثه أميرا على جعفر الطيار (2)، فكيف تصح مع كونها على خلاف العقل، فأين جلال جعفر و أين زيد، مع انه يكذبها أشعار حسان و غيره.

و منها: ان أمير المؤمنين عليه السّلام خطب بنت أبي جهل، و ان النبي صَلَّى الله عليه و آله غضب لذلك (3)، فانها مخالفه لما علم بالتواتر من عدم مخالفه أمير المؤمنين للنبي طرفه عين، فيعلم بقضيه العقول أن جميعها مجعول.

و الوجه في جعل خبر تأمير زيد دفع الطعن عن تأمير النبي صَلَّى الله عليه و آله ابنه اسامه على ابى بكر و عمر، و في جعل خبر خطبه بنت أبي جهل دفع الطعن عن فاروقهم في اغضابه النبي غير مره يوم صلاته صَلَّى الله عليه و آله على ابن ابى، و يوم

ص: ٩٣

(١ - ١) تاريخ الطبري ١٠٩: ٤، سنه ٤٠. [١]

(٢ - ٢) رواه الواقدي في المغازي ٧٥٦: ٢، و ابن سعد في الطبقات ٢: ق ٩٢١، و ابن هشام في السيره ٧: ٤، و الطبري في تاريخه ٣١٩: ٢ سنه ٨.

(٣ - ٣) رواه البخاري في صحيحه ١٨٩: ٢ و ٣٠٣ و ٢٦٥: ٣ و مسلم في صحيحه ١٩٠٢: ٤ - ١٩٠٤ ٩٣ - ٩٦.

الحديبه، و يوم وصيته صَلَّى اللهُ عليه و آله و نسبه الى الهجر، فوضعوا ذلك دفعا للطعن عن فاروقهم و لم يبالوا بورود الطعن على النبي على فرض صحته، فإذا كان النبي سخط من ذلك يكون الطعن عليه حيث أنه لم يرض بما في شريعته و بما أنزله تعالى عليه في كتابه في قوله: «فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَى وَ ثُلَاثَ وَ رُبَاعَ» (١). كما ان الوجه في جعل خبر ابن عباس دفع الطعن عن عمر في عدم توليته لأقارب النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله في الظاهر لثلاث- يأخذوا الخمس من الغنائم، و في الباطن لثلاث يوجب ذلك انتقال الأمر اليهم، ففي العقد الفريد: قال أبو بكر بن أبي شيبة: كان ابن عباس من أحب الناس الى عمر و كان يقدمه على الأكابر من الصحابه و لم يستعمله قط، فقال له يوما: كدت أستعملك و لكن أخشى أن تستحل الفيء على التأويل، فلما صار الأمر الى علي عليه السلام استعمله على البصره، فاستحل الفيء على تأويل قوله تعالى: «وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَى» (٢) استحله من قرابته من الرسول.

و في (المروج): ان عمر أرسل الى ابن عباس و قال له: ان عامل حمص هلك، و كان من أهل الخير، و هم قليل و قد رجوت ان تكون منهم، و في نفسى منك شيء لم أره منك و أعيانى ذلك، فما رأيك في العمل؟ قال: لن أعمل حتى تخبرني بالذي في نفسك. قال: و ما تريد من ذلك؟ قال: أريده فان كان شيء أخاف منه على نفسى خشيت منه عليها الذي خشيت، و ان كنت بريئا من مثله علمت أنى لست من أهله، فقبلت عملك هنالك، فاني قلما رأيت أو ظننت شيئا إلا عاينته. فقال: يا ابن عباس ان يأتي علي الذي هو آت و أنت في عملك فتقول هلم

ص: ٩٤

[١ - ١] النساء: ٣. [١]

[٢ - ٢] الانفال: ٤١. [٢]

الينا و لا هلم اليكم دون غيركم.

الى أن قال: قال له عمر فأشر عليّ. قال: أرى أن تستعمل صحيحا منك صحيحا لك (١).

ثم الظاهر ان الجعل كان بعد وفاه ابن عباس زمان المروانيين، و لم يجترئوا على جعل مثله فى حياته بدليل أنه لم ينقل طعن أحد فيه بذلك، مع كون معاويه و خواصه بصدد الطعن عليه و على باقى بنى هاشم بما استطاعوا، بل نرى ان ابن عباس طعن فى عمّال معاويه بالخيانة، و انه و باقى عمّال أمير المؤمنين عليه السّلام من أمثاله كانوا فى غاية رعايه الأمانه.

فروى ابن عبد ربه الّذى روى خبر خيانتته فى كتاب أجوبه (عقده) أنه اجتمعت قريش الشام و الحجاز عند معاويه و فيهم ابن عباس -و كان جريئاً على معاويه حقاراً له- فبلغه عنه بعض ما غمّه، فقال معاويه: رحم الله أبا سفيان و العباس كانا صفيين دون الناس، فحفظت الميت فى الحى و الحى فى الميت، استعملك عليّ يا ابن عباس على البصره، و استعمل أخاك عبيد الله على اليمن، و استعمل أخاك قثما على المدينه، فلما كان من الأمر ما كان هنا تكم ما فى أيديكم، و لم أكشفكم عمّا وعت غرائركم، و قلت: آخذ اليوم و اعطى غدا مثله، و قلت: ان بدأ اللؤم يضر بعاقبه الكرم و لو شئت لأخذت بحلاقيمكم و قيأتكم ما أكلتم، و لا يزال يبلغنى عنكم ما لا تبرك له الا بل، و ذنوبكم الينا أكثر من ذنوبنا اليكم، خذلتكم عثمان بالمدينه و قتلتم أنصاره يوم الجمل و حاربتمونى بصفيين، و لعمري لبنو تيم و عدى أعظم ذنوبا منّا اليكم إذ صرفوا عنكم هذا الأمر و سنوا فيكم هذه السنه، فحتى متى أغضى الجفون على القذى و أسحب الذبول على الأذى و أقول لعل و عسى.

ص: ٩٥

١-١) مروج الذهب ٣٢١: ٢. [١]

فتكلم ابن عباس الى ان قال:و لكن من هنا أباك بأخاء أبي أكثر ممن هنا أبي بأخاء ابيك،نصر ابي أباك في الجاهليه و حقن دمه في الاسلام.

و أما استعمال على عليه السّلام إيانا فلنفسه دون هواه،و قد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك،منهم ابن الحضرمي على البصره فقتل،و بسر بن ارطأه على اليمن فخان،و حبيب بن مره على الحجاز فرد،و الضحّاك بن قيس الفهري على الكوفه فحصب،و لو طلبت ما عندنا لو قينا أعراضنا،و ليس الذي يبلغك عتّا بأعظم من الذي يبلغنا عنك،و لو وضع أصغر ذنوبكم على مائه حسنه لمحققها،و لو وضع أدنى عذرنا على مائه سيئه اليكم لحسنها،و أما خذلاننا عثمان فلو لزمنا نصره لنصرناه،و أما قتلنا أنصاره يوم الجمل فعلى خروجهم مما دخلوا فيه،و أما حربنا إيّاك بصفين فعلى ترك الحق و ادعائك الباطل،و اما اغراؤك ايانا بتيم و عدى فلو أردناها ما غلبونا عليها،و سكت، فقال في ذلك ابن أبي لهب:

كان ابن حرب عظيم القدر في الناس حتى رماه بما فيه ابن عباس

ما زال يهبطه طورا و يصعده حتى استقاد و ما بالحقّ من باس

لم يتركن خطه مما يذللّه الاكواه بها في فروه الراس

و أما ما قاله ابن أبي الحديد في ترجمه ابن الزبير-خطب ابن الزبير فقال:ان ها هنا رجلا قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره،يزعم ان متعه النساء حلال من الله و رسوله،يفتى في القملة و النمله،و قد احتمل بيت مال البصره بالأمس،و ترك المسلمين يرتضخون النوى-الى أن قال في جواب ابن عباس له-أما حملي المال فانه كان مالا جبيناه و أعطينا كلّ ذي حقّ حقه و بقيت بقيه دون حقنا في كتاب الله فأخذنا بحقنا،و أما المتعه فاسأل امك اسماء عن بردى

عوسجه. فمع ارساله خبر دخيل، فان أسماء لم تكن زوجه الزبير متعه بل دواما، وانما كان ابن الزبير طعن في ابن عباس بمتعه الحج لكون عمر نهى عنها، فرد عليه ابن عباس بما قال من ان أباه و امه حجًا تمتعا و تمتع أبوه من امه بعد عمره (١).

و المسعودى روى الخبر بدون ذكر من بيت المال، كما أنه قال: قال ابن الزبير «يفتون في المتعه» ثم حملها على متعه الحج لكون نكاح أسماء دواما، ورد على من حملة على متعه النساء. و بالجمله خبر خطبه ابن الزبير لم يكن فيه اسم من بيت المال كمتعه النساء (٢).

و كيف كان فالعنوان كلامه عليه السلام كان أم لا نشرحه لكونه من النهج.

«أما بعد فاني كنت أشركتك في أمانتي» قال ابن أبي الحديد: سمى عليه السلام الخلفه كما سمى الله تعالى التكليف أمانه في قوله «إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ» (٣).

قلت: بل كما سمى الله تعالى الخلفه أيضا أمانه في قوله ذاك، ففسر عترته عليهم السلام «انا عرضنا الأمانه» بالخلفه، و قوله «وَ حَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا» (٤) بالمتصددين لها بغير حق (٥).

«و جعلتك شعاري» الشعار ما ولى الجسد من الثياب «و بطانتي» أى:

وليجتي.

ص: ٩٧

١- ١) شرح ابن ابى الحديد ١٢٩: ٢٠٠.

٢- ٢) مروج الذهب ٣: ٨١. [١]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٦٨: ١٦. و الآيه ٧٢ [٢] من سوره الأحزاب.

٤- ٤) الاحزاب: ٧٢. [٣]

٥- ٥) رواه الصفار فى البصائر: ٩٦ ح ٣، و [٤] ابن طاوس فى سعد السعود: ١٢٢، عن الباقر (ع) و الكلينى فى الكافى ١: ٤١٣ ح ٢، و

[٥] الصفار فى البصائر: ٩٦ ح ٢، و [٦] الصدوق فى معانى الأخبار: ١١٠ ح ٢، و محمد بن العباس فى تفسيره عنه تأويل الآيات

٢: ٤٧٠ ح ٤٠ عن الصادق (ع) و الصدوق فى المعانى: ١١٠ ح ٣، و العيون ١: ٢٣٨ ح ٦٦ [٧] عن الرضا (ع).



«و لم يكن رجل من أهلى» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «و لم يكن فى أهل رجل» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١).

«أوثق منك فى نفسى لمواساتى و مؤازرتى» و الوزر الملجأ، و الأصل فيه الجبل، قال الشاعر:

و أخوان اتخذتهم دروعا فكانوها و لكن للأعداى

و خلتهم سهاما صائبات فكانوها و لكن فى فؤادى

و قالوا قد صفت منا قلوب لقد صدقوا و لكن من ودادى

«و اداء الأمانه الى فلما رأيت الزمان على ابن عمك قد كلب» من «كلب الشتاء» اشتد برده، و قال الشاعر:

لما رأت أبلى قلت حلوبتها و كل عام عليها عام تجتنب

«و العدو قد حرب» من حرب الرجل: اشتد غضبه، و قال ثابت قطنه:

و صار كلّ صديق كنت آمله الباعلى ورثّ الجبل من جارى

«و أمانه الناس قد خزيت» أى: ذلت و هانت «و هذه الامه قد فتكت» أى:

تجرات على «و شغرت» أى: يدعيها كلّ أحد، من «بلده شاغره برجلها» اذا لم تمتنع من غاره أحد، و قد عرفت ان (العقد) رواه «و هذه الامه قد فتنت».

و فى الخبر المستفيض ان النبىّ صلّى الله عليه و آله قال له: «ان الامه ستغدر بك بعدى» (٢).

«قلبت لابن عمك ظهر المجن» أى: الترس، و قلب ظهر المجن كناية عن الحرب مع من تحارب عنه.

ص: ٩٨

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٦٧: ١٦، و [١] شرح ابن ميثم ٨٧: ٥ و ٨٨. [٢]

٢- ٢) أخرجه جمع منهم الحاكم فى المستدرک ١٤٠: ٣ و ١٤٢، و البخارى فى تاريخه ١: ق ١٧٤٢، و الخطيب فى تاريخ بغداد ٢١٦: ١١.

و في (كامل المبرد): كتب الحجاج الى المهلب في حرب الخوارج: انك اقبلت على جبايه الخراج و تركت قتال العدو، و انى وليتك و ارى مكان عبد الله بن حكيم المجاشعي، و عباد بن الحصين الحبطي، و اخترتك و أنت من أهل عمان، ثم رجل من الأزد فالقهم يوم كذا في مكان كذا، و الا أشرعت اليك صدر الرمح.

فكتب إليه المهلب: ورد عليّ كتابك تزعم انى اقبلت على جبايه الخراج و تركت قتال العدو، و زعمت انك وليتنى، و أنت ترى مكان عبد الله و عباد، و لو وليتهما لكانا مستحقين لذلك في فصلهما و غنائهما و بطشهما، و اخترتنى و أنا رجل من الأزد، و لعمري ان شرا من الأزد لقبيله تنازعها ثلاث قبائل لم تستقر في واحده منهن، و زعمت انى ان لم ألقهم في يوم كذا في مكان كذا أشرعت إليّ صدر الرمح، فلو فعلت لقلبت اليك ظهر المجن (١).

«ففارقتهم مع المفارقين و خذلتهم مع الخاذلين و خنتهم مع الخائنين» قال البحتري:

حاربتنى الأيام حتى لقد أصبح حربى من كنت أعتد سلمى

أيضا:

و كنت أرى عاصما عاصما من الخطب أهرب أعضاله

و في (العقد): لما أراد عبد الله المسير من البصره دعا أخواله بنى هلال بن عامر بن صعصعه ليمنعوه، فجاء الضحاك بن عبد الله الهلالي، فأجاره و معه رجل منهم يقال له رزين بن عبد الله - و كان شجاعا بئسا - فقالت بنو هلال: لا غنى بنا عن هوازن، و قالت هوازن: لا غنى بنا عن بنى سليم، ثم أتتهم قيس، فلما رأى اجتماعهم له حمل ما كان في بيت مال البصره و كان فيما

ص: ٩٩

زعموا ستة آلاف ألف، فجعله في الغرائر، فحدثني الأزرق يشكري قال:

سمعت أشياخنا من أهل البصرة قالوا: لما وضع المال في الغرائر ثم مضى به تبعته الأحماس كلها بالطف على أربع فراسخ من البصرة فواقعوه، فقالت لهم قيس: والله لا تصلوا إلينا و عين منا تطرف. فقال ضمرة و كان رئيس الأزد:

و الله ان قيسا لاخواننا في الاسلام، و جيراننا في الدار، و أعواننا على العدو، ان العدى يذهبون به لورد عليكم لكان نصيبكم منه الأقل، و هم خير لكم من المال.

قالوا: فما ترى؟ قال: انصرفوا عنهم. فقال بكر بن وائل و عبد القيس: نعم الرأي رأى ضمرة و اعتزلوهم، فقالت بنو تميم: و الله لا نفارقهم و نقاتلهم عليه، فقال الأحنف: أنتم و الله أحق ألا- تقاتلوهم، و قد ترك قتالهم من هو أبعد رحما منكم، قالوا: و الله لنقاتلنهم. فقال: و الله لا نشايعكم على قتالهم و انصرف عنهم- إلى أن قال- حتى قدموا الحجاز، فنزل مكة فجعل راجز لابن عباس يسوق له في الطريق و يقول:

صبحت من كاظمه القصر الخرب مع ابن عباس بن عبد المطلب

و جعل ابن عباس يرتجز و يقول:

آوى إلى أهلك يا رباب آوى فقد حان لك الأياب

و يقول:

و هن يمشين بنا هميسا ان يصدق الطير نك لميسا

فقيل له أمثلك يرفث في هذا الموضع. قال: انما الرفث ما يقال عند النساء -إلخ .

«فلا ابن عمك آسيت و لا الأمانة أديت» كتب ابراهيم الصولى إلى ابن الزيات:

و كنت أخى باخاء الزمان فلما نبا صرت حربا عوانا

ص: ١٠٠

و كنت أذم اليك الزمان فأصبحت فيك أذم الزمانا

و كنت أعدك للنائباتها أنا أطلب منك الأمانا

«و كأنك لم تكن الله تريد بجهادك، و كأنك لم تكن على بينه من ربك، و كأنك انما كنت تكيد هذه الامه عن دنياهم، و تنوى غرتهم عن فيئهم، فلما امكنتك الشده» بالفتح أى: الحمله «فى خيانه الامه أسرعت الكره» قال ابن أبى الحديد: لا يجوز أن يقال الكره إلا بعد فره، فكأنه لما كان مقلعا فى ابتداء الحال عن التعرض لأموالهم كان كالفار عنها، فلذلك قال: «أسرعت الكره» (١).

قلت: على ما قاله «فلان كرار غير فرار» ليس بصحيح، و انما ما قال معنى «كر بعد ما فر» لا معنى مطلق الكره، قال فى القاموس: كثر عليه عطف، و الكره الحمله كالكبرى كبرى - إلخ (٢). و قال امرؤ القيس فى وصف فرسه:

مكر مفتر مقبل مدبر معا كجلمود صخر حطه السيل من عل

أى: يصلح للكر و الفر «و عاجلت الوثبه و اختطفت» أى: استلبت «ما قدرت عليه من أموالهم المصونه لأراملهم» قال ابن السكيت: الأرامل المساكين من رجال و نساء «و أيتامهم اختطاف الذئب» و لاختطافه كثيرا سمي خاطفا «الأزل» أى: الخفيف الوركين، و فى المثل «هو أسمع من الذئب الأزل» (٣)، قال الجوهري: و السمع الأزل الذئب الارسح يتولد بين الذئب و الضبع، و هذه الصفه لازمه له كما يقال «الضبع العرجاء».

«داميه» اختلف فى الدم هل أصله دمو بالتحريك كما قال بعضهم، أو دمی بالسكون كما قال سيبويه لجمعه على دماء، فيكون مثل ظبى و ظباء،

ص: ١٠١

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٦٩: ١٦. [١]

٢- ٢) القاموس المحيط ١٢٥: ٢ و ١٢٦، [٢] ماده (كز).

٣- ٣) أورده لسان العرب ٣٠٨: ١١، [٣] ماده (زلل).

و دلو و دلاء، أو دمی بالتحريك كما قال المبرد لكون تثنيته دميان (١).

«المعزى» أى: المعز، قال سيبويه: معزى مذكر ملحق بدرهم، و قال الفراء: مؤنثه و يشهد له وصفه (٢) «الكسيره فحملته الى الحجاز» أى: مكه «رحيب الصدر بحمله غير متأثم من أخذه» .

دخل اعرابى على هشام فقال له: عطنى. فقال له: كفى بالقرآن واعظا، ثم أخذ فى قراءه سوره المطففين الى قوله تعالى: «يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ» (٣). ثم قال له: هذا جزء من يطفف فى الكيل و الميزان، فما ظنك بمن أخذه كله.

«كأنك لا- أبا لغيرك حدرت» أى: أنزلت «الى» هذا فى (المصريه) و نسخه ابن أبى الحديد، و فى (ابن ميثم و الخطيه) «على» (٤) «اهلك تراثا» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: «تراثك» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥) «من أبيك و امك» فى حليته «فسبحان الله أما تؤمن بالمعاد» «يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمَلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَ مَا عَمَلَتْ مِنْ سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَ بَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا» (٦) (أو ما تخاف نقاش الحساب) أى: استقصاءه و به فسر قوله تعالى: «وَ يَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ» (٧).

«أيها المعدود كان عندنا من ذوى الألباب» الذين لا يلتفتون الى القشريات،

ص: ١٠٢

١- ١) رواه عنهما ابن منظور فى لسان العرب ١٤: ٢٦٨، [١] ماده (دمى).

٢- ٢) رواه عنهما ابن منظور فى لسان العرب ٥: ٤١٠ و ٤١١، [٢] ماده (معز).

٣- ٣) المطففين: ٦. [٣]

٤- ٤) لفظ شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٦٧، و [٤] شرح ابن ميثم ٥: ٨٨ «[٥] الى».

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ١٦٧، و [٦] شرح ابن ميثم ٥: ٨٨. [٧]

٦- ٦) آل عمران الرعد: ٣٠. [٨]

٧- ٧) (٧): ٢١.

قال الشاعر:

حسبتك لب الجود بذلا و همه فأدخلت فيما كنت أحسبه و هنا  
و كنت كما قدرت لب سماحه و لكن كلب الجوز اذ فارق الدهنا

و قال آخر:

بالله يا ناقض العهود من بعدك من أهل ودنا نتق

«كيف تسيغ» قال الجوهري: يقال ساغ الشراب يسوغ أى: سهل مدخله فى الحلق، و سغته أسوغه و أسیغه يتعدى و لا يتعدى-إلخ، و تبعه (القاموس) (١).

و قال ابن دريد: ساغ لى الشراب يسوغ اذا سهل لك شربه، و أسغته اذا شربته، و مثله الأساس (٢)، و الصواب: ما قال الأخيران. و عليه فتسيغ بضم التاء، قال تعالى: «وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ» (٣) و مقتضى كلام الأولين جواز الفتح.

«شرابا و طعاما و أنت تعلم أنك تأكل حراما و تشرب حراما» كمن يسيغ شرابا و طعاما و هو يعلم أنه يأكل و يشرب مسموما .

«و تبتاع الاماء» فى خبر (العقد) المتقدم: فلما نزل مكة اشترى من عطاء ابن جبير مولى بنى كعب ثلاث مولدات حجازيات، يقال لهن شادن و حوراء و فتون بثلاثة آلاف دينار.

«و تنكح النساء من مال اليتامى و المساكين و المؤمنين و المجاهدين الذين أفاء الله عليهم هذه الأموال و أحرز بهم هذه البلاد» روى (الاستبصار) أن الصفار كتب الى أبى محمد عليه السلام: رجل اشترى ضيعة أو خادما بمال أخذه من قطع

ص: ١٠٣

١-١) صحاح اللغة، و [١] القاموس المحيط ١٠٨: ٣، [٢] ماده (سوغ).

٢-٢) جمهره اللغة، و [٣] أساس البلاغه: ٢٢٤ ماده (سوغ).

٣-٣) ابراهيم: ١٧. [٤]

الطريق أو من سرقة، هل يحل له ما يدخل عليه من ثمره هذه الضيعة، أو يحل له أن يطاء هذا الفرج الذي اشتراه من سرقة أو قطع الطريق؟ فوق: لا خير في شيء أصله حرام، ولا يحل له استعماله (١).

«فاتق الله و أردد الى هؤلاء القوم أموالهم، فانك ان لم تفعل ثم امكنني الله منك لا عذرنا الى الله فيك، ولأضربنك بسيفي الذي ما ضربت به أحدا إلا دخل النار» قال شباب التستري بالفارسيه و أجاد:

قضا ز قهر خدا چون كه گشت آستن بيك شكم دو پسر زاد ذو الفقار و سقر

هذا، و في (الطبري) في غزوه احد: قال طلحه بن عثمان صاحب لواء المشركين: يا معشر أصحاب محمد، انكم تزعمون ان الله يعجلنا بسيفكم الى النار، و يعجلكم بسيفنا الى الجنة، فهل منكم أحد يعجله الله بسيفي الى الجنة، أو يعجلني بسيفه الى النار. فقام إليه على عليه السلام فقال: و الذي نفسي بيده لا افارقك حتى اعجلك بسيفي الى النار، أو تعجلني بسيفك الى الجنة، فضربه، فقطع رجليه، فسقط، فانكشفت عورته، فقال: انشدك الله و الرحم يابن عم، فتركه فكبر النبي صلى الله عليه و آله - الخ (٢).

«و الله لو ان الحسن و الحسين فعلا مثل الذي فعلت ما كانت لهما عندي هواده» أي: صلح و ميل «و لا ظفرا مني بإرادته» .

هذا نظير ما روى أن النبي صلى الله عليه و آله قال: لو سرت فاطمه لقطعته يدها.

ففي (المناقب) عن صحيح الدار قطنى: أمر النبي صلى الله عليه و آله بقطع لص فقال:

قدمته في الاسلام و تأمره بالقطع. فقال: لو كانت ابنتي فاطمه، فسمعت

ص: ١٠٤

١- ١) الاستبصار ٦٧: ٣ ح ٢، و التهذيب ١٣٨، ٧ ح ٨٥.

٢- ٢) تاريخ الطبري ١٩٤: ٢، سنة ٣. [١]

فحزنت، فنزل جبرئيل بقوله تعالى: «لَيْتُنْ أَشْرَكَتَ لِيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ» (١)، فحزن النبي فنزل: «لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا» (٢)، فتعجب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ ذَلِكَ فَنَزَلَ جِبْرَائِيلُ وَقَالَ: لَوْ كَانَتْ فَاطِمَةُ حَزَنْتَ مِنْ قَوْلِكَ فَهَذِهِ آيَاتٌ لِمُوَافَقَتِهَا (٣).

«حتى أخذ الحق منهما و أزيل» هكذا في (المصريه)، و الصواب: «و ازيح» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤) و ان كانا بمعنى.

«الباطل عن مظلمتهم، و أقسم بالله رب العالمين ما يسرني ان ما أخذته من أموالهم حلال لي أتركه ميراثا لمن بعدى» فيكون حسابه على و التمتع به لغيري .

«فضح رويدا» قال الجوهرى: ضح رويدا أى: لا تعجل، قال زيد الخيل:

و لو أن نصرا أصلحت ذات بينها لضحّت رويدا عن مطالبها عمرو

و نصر و عمر ابنا قعين بطنان من بنى أسد.

و في (النهايه) ان العرب كانوا يسيرون في ظعنهم، فاذا مروا ببقعه من الأرض فيها كلاء و عشب قال قائلهم: ألا- ضحوا رويدا، أى: ارفقوا بالابل حتى يتضحى، أى: تنال من هذا المرعى - إلخ (٥).

و في (أمثال العسكرى): ضح رويدا، أى: ارفق بالأمر، و ضح من الضحى، و هو ارتفاع النهار، و أصل المثل في رعى الابل ضحى، و الضحى للابل بمنزله الغداء للإنسان.

ص: ١٠٥

١- ١) الزمر: ٨١.

٢- ٢) الأنبياء: ٢٢. [١]

٣- ٣) مناقب السروى ٣: ٣٢٤.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٨، و [٢] شرح ابن ميثم ٨٩: ٥. [٣]

٥- ٥) النهايه ٣: ٧٦، [٤] ماده (ضح).



و في (أمثال الميداني): ضح رويدا، ضح أمر من التضحيه، أي: لا- تعجل في ذبحها، ثم استعير في النهي عن العجله في الأمر، و يقال: ضح رويدا لم ترع، أي: لم تفرع، و يقال: ضح رويدا يدرك الهيجاء حمل، يعنى حمل بن بدر، قال زيد الخيل:

فلو أن نصرأ أصلحت ذات بينها لضحت رويدا عن مطالبها عمرو

و لكن نصرأ ارتعت و تخاذلت و كانت قديما من خلائقها الغفر (١)

«فكأنك قد بلغت المدى» أي: نهايه أجلك و انقضاء أيامك «و دفنت تحت الثرى» أي: التراب «و عرضت عليك أعمالك» «و كل إنسان أَلزَمناه طائرُهُ فِي عُنُقِهِ وَ نُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا إِقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» (٢).

«بالمحل العذى ينادى الظالم فيه بالحسره» «أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسِيرَتِي عَلَيَّ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ» (٣) «و يتمنى المضيع فيه» أخذت المصريه «فيه» عن ابن أبي الحديد، و ليست في (ابن ميثم) (٤) «الرجعه» «أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعِذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَكُلُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ» (٥).

«و لات حين مناص» و الأصل فيه قوله تعالى: «كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنَادَوا وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ» (٦).

ص: ١٠٦

[١- ١] مجمع الأمثال ١: ٤١٩. [١]

[٢- ٢] الاسراء: ١٣ و ١٤. [٢]

[٣- ٣] الزمر: ٥٦. [٣]

[٤- ٤] شرح ابن أبي الحديد ١٦: ١٦٨، و [٤] شرح ابن ميثم ٥: ٨٩. [٥]

[٥- ٥] الزمر: ٥٨. [٦]

[٦- ٦] ص: ٣. [٧]

و من كتاب له عليه السلام إلى المنذر بن الجارود العبدى و قد خان فى بعض ما ولاه من أعماله:

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ صِيْلَاحَ أَبِيكَ غَرَنِي مِنْكَ- وَ ظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ- وَ تَسِيلُكَ سَبِيلَهُ- فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِيَ إِلَيَّ عَنْكَ لَا تَدْعُ لِهَوَاكَ انْقِيَاداً- وَ لَا- تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عِتَاداً- تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ- وَ تَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعِهِ دِينِكَ- وَ لَيْنُ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقّاً- لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَ شَسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ- وَ مَنْ كَانَ بِصَهِّ فِتْيِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَيِّدَ بِهِ نَعْرَ- أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ- أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانِهِ أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانِهِ- فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هَذَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَالَ؟ الرضى؟ و؟ المنذر؟- هذا هو الذى قال فيه؟ أمير المؤمنين ع؟- إنه لنظار فى عطفيه مختال فى برديه- تفال فى شراكيه أقول: رواه اليعقوبى اليعقوبى-تاريخ اليعقوبى- ج ٢ ص ٢٠٣ مع زيادات و اختلاف، فقال: و كتب على عليه السلام الى المنذر بن الجارود و هو على اصطخر: أما بعد، فان صلاح أبيك غرنى منك، فإذا أنت لا تدع انقيادا لهواك أزرى ذلك بك. بلغنى انك تدع عملك كثيرا، و تخرج لاهيا متنزها، تطلب الصيد، و تلعب بالكلاب، أقسم لئن كان حقا لنشينك فعلك، و جاهل أهلك خير منك، فأقبل إلى حين تنظر فى كتابى. فأقبل، فعزله و أغرمه ثلاثين ألفا، ثم تركها لصعصعه بعد أن أحلفه عليها فحلف، و ذلك ان عليا دخل على صعصعه يعوده و قال له: انك ما علمت حسن المعونه خفيف المؤمنه.

فقال صعصعه: و أنت و الله يا أمير المؤمنين بذات الله عليم، و ان الله فى صدرك عظيم. فقال له على: لا تجعلها ابهه على قومك ان عادك امامك. قال: لا و لكنه من

من الله على ان عادنى أهل البيت و ابن عم رسول رب العالمين. فقال له صعصعه: هذه ابنه الجارود تعصر عينيها كل يوم لحسبك أخاها المنذر، فأخرجه و أنا أضمن ما عليه من أعطيات ربيعه. فقال عليه السلام له: و لم تضمنها و زعم لنا أنه لم يأخذها، فليحلف و نخرجه. فقال له صعصعه: أراه و الله سيحلف. فقال عليه السلام: و أنا و الله أظن ذلك، أما أنه نظار في عطنيه، مختال في برديه، تفال في شراكيه، فليحلف بعد أو ليدع. فحلف، فحلفي سييله. و نقل عن تاريخ ابن واضح أيضا (١).

قول المصنّف: (و من كتاب له عليه السلام الى المنذر بن الجارود العبدى) أى:

المنسوب الى عبد القيس، قال ابن أبى الحديد: قال أبو عبيده فى تاجه: لعبد القيس ست خصال فاق بها العرب: منها أسود العرب بيتا، و أشرفهم رهطا الجارود هو و ولده. و منها أشجع العرب حكيم بن جبله، قطعت رجله يوم الجمل، فأخذها بيده و زحف على قاتله، فضربه بها حتى قتله و هو يقول:

يا نفس لا تراعى ان قطعت كراعى

ان معى ذراعى

فلا يعرف فى العرب أحد صنع صنيعه، و منها أعبد العرب هرم بن حيان صاحب أويس القرنى، و منها أجود العرب عبد الله بن سوار بن همام، غزا السند فى أربعة آلاف، ففتحها و أطعم الجيش كلّه ذاهبا و قافلا، فبلغه ان رجلا من الجيش مرض، فاشتهدى خبيصا، فأمر باتخاذ الخبيص لأربعة آلاف انسان، فأطعمهم حتى فضل، و تقدم اليهم ألا يوقد أحد منهم نارا لطعام فى عسكره مع ناره. و منها أخطب العرب مصقله بن رقيه به يضرب المثل، فيقال أخطب من مصقله، و منها أهدى العرب فى الجاهليه، و أبعدهم نفرا و أثرا فى

ص: ١٠٨

---

١- ١) رواه اليعقوبى فى تاريخه ٢٠٣: ٢، و [١] تاريخ ابن واضح هو نفس كتاب تاريخ اليعقوبى. [٢]

الأرض في عدوه، وهو دعيميس الرمل كان يعرف بالنجوم هدايه، وكان أهدي من القطا، يذفن بيض النعام في الرمل مملوا ماء ثم يعود إليه فيستخرجه (١).

قلت: لم يذكر في أخطبهم صعصعه فلم يكن أحد أخطب منه. وكيف كان فكما كان مصقله خطيبا كان أبناه كرز و رقبه أيضا خطيبين كما في معارف ابن قتيبه، قال: وكان لكرز خطبه يقال لها العجوز.

«وقد خان في بعض ما ولّاه من أعماله» هكذا في (المصريه)، و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): «وقد كان استعمله على بعض النواحي فخان الأمانه»، و زاد الأول «في بعض ما ولّاه من أعماله» (٢). وكيف كان فقد عرفت من روايه اليعقوبى أنه عليه السلام استعمله على اصطخر.

قوله عليه السلام «أما بعد فان صلاح أبيك» قال أبو عمر في استيعابه قال ابن إسحاق: قدم الجارود بن عمرو في سنه عشر على النبي صلى الله عليه وآله وفد عبد القيس و كان نصرانيا، فأسلم و حسن اسلامه (٣).

قال ابن أبي الحديد: قال أبو عبيده قال عمر: لو لا انى سمعت النبي يقول:

ان هذا الأمر لا يكون إلا في قريش لما عدلت بالخلافه عن الجارود-الخبر (٤).

قلت: قول عمر في الجارود مما قال عليه السلام فيه: «فمنى الناس لعمر الله بخبط و شماس و تلون و اعتراض» (٥)، فتاره يقول فيه هكذا و اخرى يعمل معه شططا، فرووا ايضا ان عمر كان قاعدا و الدره معه و الناس حوله إذ أقبل

ص: ١٠٩

١- ١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرحه ١٨:٥٦.

٢- ٢) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١٨:٥٤، [١] لكن في شرح ابن ميثم ٥:٢٣٧ مثل المصريه.

٣- ٣) الاستيعاب ١:٢٤٨. [٢]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٨:٥٦. [٣]

٥- ٥) رواه الشريف الرضى في نهج البلاغه ١:٣٣، [٤] ضمن الخطبه الشفشقيه.

الجارود، فقال رجل: هذا سيد ربيعه، فسمعها عمر و من حوله و سمعها الجارود، فلما دنا منه خفقه بالدره، فقال: ما لي و لك؟ قال: ويلك سمعتها؟ قال:

و سمعتها فمه؟ قال: خشيت أن تخالط القوم و يقال هذا أمير، فأحببت أن اطأطأء منك (١).

و اختلف في اسمه و اسم أبيه، و الجوهري قال: بشر بن عمرو، و اختلفوا في وجه تلقيبه بالجارود، ففي الاستيعاب: قيل له الجارود لأنه أغار في الجاهلية على بكر بن وائل، فأصابهم فجردهم، و قد ذكر ذلك الفضل العبدى في شعره فقال:

و دسناهم بالخيل من كل جانب كما جرد الجارود بكر بن وائل (٢)

و في (الصحيح): سُمي الجارود لأمنه فر بابله الى أخواله بنى شيبان و بابله داء، ففشا ذلك الداء في ابل أخواله فأهلكها، و فيه قال: «كما جرد الجارود بكر بن وائل» و لا يبعد صحه الثاني، و شيبان أخوال الجارود أيضا من بكر بن وائل، فالشعر لا ينافيه.

ثم ان الأول قال الشعر للفضل العبدى (٣)، و قال ابن دريد: الشعر للمفضل النكري، إلا أنه لا تنافى بين النكري و العبدى، لأن نكره من عبد القيس، و الفضل و المفضل أحدهما تصحيف الآخر.

و كيف كان فقال ابن دريد: قتل بفارس بعقبه الطين شهيدا، و في الاسد:

و قيل ان عثمان بن أبي العاص بعث الجارود في بعث الى ساحل فارس، فقتل بموضع يعرف بعقبه الجارود (٤).

ص: ١١٠

١- ١) رواه ابن أبي الحديد في شرحه ١٢: ٧٣.

٢- ٢) الاستيعاب ١: ٢٤٨. [١]

٣- ٣) الاستيعاب ١: ٢٤٨، و لفظه أيضا «المفضل».

٤- ٤) اسد الغابه ١: ٢٤١. [٢]

«ما» هكذا في (المصريه)، و هي زائده لخلو غيرها عنها (١)، و لأنه لا معنى لها «غرّني منك و ظننت أنك تتبع هديه» أي: سيرته، و في الخبر: «و اهدوا هدى عمار» (٢). «و تسلك سبيله» .

«فإذا أنت فيما رقي» أي: رفع «إلى عنك لا تدع لهواك انقيادا» و هو شر خصله قال تعالى: «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (٣) «و لا تبقى لآخرتك عتادا» أي: عده «تعمّر دنياك بخراب آخرتك» فتكون من الذين قال تعالى فيهم: «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ» (٤).

«و تصل عشيرتك بقطيعه دينك» كما كان عثمان، قال تعالى: «قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَ أَبْنَاؤُكُمْ وَ إِخْوَانُكُمْ وَ أَزْوَاجُكُمْ وَ عَشِيرَتُكُمْ وَ أَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَ تِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَ مَسَاكِينُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَ رِسُولِهِ وَ جِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ» (٥).

«و لئن كان ما بلغني عنك حقا لحمل» هكذا في (المصريه)، و الصواب:

«لجمل» كما في غيرها (٦) «أهلك» قال عليه السّلام: «جمل أهلك» لأنه أهون جمل يستعمله كلّ أحد، و قال ابن أبي الحديد: يضرب المثل بالجمل في الهوان، قال الشاعر:

لقد عظم البعير بغير لب و لم يستغن بالعظم البعير

يصرفه الصبي بكل وجه و يحبسه على الخسف الجرير

ص: ١١١

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٥٤: ١٨، و [١] شرح ابن ميثم ٢٢٧: ٥. [٢]

٢- ٢) رواه ابن الأثير في النهاية ٢٥٣: ٥، [٣] ماده (هدا).

٣- ٣) الجاثية: ٢٣. [٤]

٤- ٤) البقره: ٨٦. [٥]

٥- ٥) التوبه: ٢٤. [٦]

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ٥٤: ١٨، و [٧] شرح ابن ميثم ٢٢٧: ٥. [٨]

و تضربه الوليده بالهراوى فلا غير لديه و لا نكير

(١) و هو كما ترى، لأن كلامه عليه السّلام فى مقام و الشعر فى مقام، فان الشاعر انما أراد أن يقول ان الطول و العرض فى الجسم ليس بمغن اذا لم يكن قرينا بلب كالبعير الطويل العريض، فهو مثل للانسان ذى الجسم بلا عقل.

و كيف كان فمثل جمل الأهل فى الهوان بغير الاستقاء، و من أمثالهم «أذل من بعير سانيه» (٢) و أيضا «سير السوانى سفر لا ينقطع» (٣). قال الجوهرى: السانيه الناضحه، و هى الناقه التى يستقى عليها.

«و شسع نعلك خير منك» و نظير كلامه عليه السّلام فى الجمع بين الجمل و النعل فى الهوان قول الطرماح:

قبيلته أذلّ من السوانى و أعرف للهوان من الخصاف

-الخصاف النعل، و فى التشبيه بالنعل فقط قول البعيث:

و كل كليى صفيحه وجهه أذل على مس الهوان من النعل

و كما يضرب المثل فى الهوان بجمل الأهل و شسع النعل، كذلك يضرب بحمار الأهل و الوتد، قال الشاعر:

ان الهوان حمار الأهل يعرفه و الحر ينكره و الحره الأجد

و لا يقيم بدار الذل يعرفها إلا الأذلان غير الأهل و الوتد

هذا على الخسف معكوس برمته و ذا يشج فلا يرثى له أحد

و يضرب المثل بشسع النعل أيضا للمرأة فى سهوله انفصالها بالطلاق، فرووا أنه عليه السّلام قال للنبيّ صلّى الله عليه و آله فى عائشه لما رميت: «ان هى إلا شسع نعلك» (٤).

ص: ١١٢

١- (١) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٥٨. [١]

٢- (٢) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١:٢٨٢، و [٢] الزمخشري فى المستقصى ١:١٣٢. [٣]

٣- (٣) أورده الميدانى فى مجمع الأمثال ١:٣٤٢. [٤]

٤- (٤) رواه ابن أبى الحديد فى شرحه ٩:١٩٤.

«و من كان بصفتك فليس بأهل أن يسد به ثغر أو ينفذ به أمر» فان سداد الثغور و انفاذ الامور انما يكونا بالرجال اللاتقين، قال العرجي:

أضاعوني و أى فتى أضاعوا ليوم كريبه و سداد ثغر

«أو يعلى له قدر» فان اعلاء القدر انما يكون لرجال متسلطين على هواهم لا مقهورين له.

«أو يشرك فى أمانه أو يؤمن على خيانه» هكذا فى (المصريه)، و نقله ابن أبى الحديد «على جبايه» من جبايه الخراج، و قال: نقله الراوندى «على خيانه» و لم يرو الروايه الصحيحه التى ذكرناها (١). قلت: و ابن ميثم (٢) أيضا مثل الراوندى و نسخه بخط المصنف، و عليه «على» بمعنى مع كقوله تعالى «و يُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ» (٣).

«فأقبل إلى حين يصل إليك كتابى هذا ان شاء الله» ان شاء الله قيد «يصل» لا «أقبل».

قول المصنّف: (قال الرضى) هكذا فى (المصريه) و ليس الكلام من المصنف بل من ابن أبى الحديد، لخلو (ابن ميثم و الخطيه) عنه (٤) (و المنذر) هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (و المنذر بن الجارود) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥) (هذا هو الذى قال فيه أمير المؤمنين) الحق مع المصنف من كون القائل فى المنذر ما يأتى هو عليه السلام فى المنذر، و توهم الجاحظ أن القائل فى المنذر صعصعه، فقال فى بيانه: وصف صعصعه

ص: ١١٣

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٥٤ و ٥٨، و [١] شرح الراوندى ٢:٢٤٩.

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٥:٢٢٧ و ٢٢٨. [٢]

٣- ٣) الانسان: ٨. [٣]

٤- ٤) يوجد الكلام فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٥٤، و [٤] شرح ابن ميثم ٥:٢٢٧.

٥- ٥) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٨:٥٤، [٥] لكن فى شرح ابن ميثم ٥:٢٢٧ [٦] مثل المصريه.



المنذر عند على كرم الله وجهه، فقال: «أما والله أنه مع ذلك لنظّار في عطفيه، تفال في شراكيه، تعجبه حمرة برديه» (١).

(أنه لنظّار في عطفيه) قال الجوهري: عطفوا الرجل جانباه من لدن رأسه الى وركيه.

و كونه نظارا في عطفيه كناية عن كبره كقوله تعالى «ثَانِي عِطْفِهِ» (٢).

و نظيره في الكناية عن الكبر قولهم «فلان يضرب أصدره و أزدريه».

قال المبرد في كامله: لا يتكلم منه بواحد. و قولهم «فلان ينفض مذوريه» أي:

ناحيته، قال: و الكل وصف الخيلاء (٣).

(مختال في برديه) قد عرفت أن الجاحظ بدله بقوله «تعجبه حمرة برديه»، إلا ان يعقوبي نقله كالمتن (٤). قال الجوهري: الخال و الخيلاء، و الخيلاء الكبر، تقول منه اختال، و قال العجاج: «و الخال ثوب من ثياب الجهال».

و في (الكافي): أوصى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله رجلا من تميم، فقال له: إِيَّاكَ وَ اسبال الازار و القميص، فان ذلك من المخيله، و الله لا يحب المخيله (٥).

(تفال) في الصحاح: التفل شبيه بالبزق و هو أقل منه، أوله البزق، ثم التفل، ثم النفث، ثم النفح. (في شراكيه) أي: شراكي نعله.

ثم ان (المصريه و ابن أبي الحديد) اقتصرنا في كلام المصنف على ما

ص: ١١٤

١-١ (١) البيان و التبيين ١:١٢٢ و ٣:١١٢. [١]

٢-٢ (٢) الحج: ٩. [٢]

٣-٣ (٣) كامل المبرد ٢:٤٣.

٤-٤ (٤) البيان و التبيين ١:١٢٢ و ٣:١١٢، و تاريخ يعقوبي ٢:٢٠٤. [٣]

٥-٥ (٥) الكافي ٦:٤٥٦ ح ٥. [٤]

مر، و زاد ابن ميثم (يعنى انه ينفض التراب من شراكه اذا اصابهما الغبار) (١).

هذا، و فى الخبر: ما لبس النعل السوداء أحد إلا اختال فيها (٢).

و المنذر بن الجارود هذا هو الذى أتى بكتاب الحسين عليه السلام إليه لما كتب إليه فيمن كتب إليه من أشراف البصره يدعوهم الى نصرته-الى ابن زياد مع رسوله عليه السلام فقتله ابن زياد.

ففى (تاريخ الطبرى): كتب الحسين عليه السلام مع مولى لهم يقال له سليمان، كتب بنسخه الى رءوس الأخماس بالبصره مالك بن مسمع البكرى، و الأحنف بن قيس، و المنذر بن الجارود، و مسعود بن عمرو، و قيس بن الهيثم، و عمرو بن عبيد الله بن معمر، فجاءت منه نسخه واحده الى أشرافها «أما بعد فان الله اصطفى محمدا صلى الله عليه و آله على خلقه، و أكرمه بنبوته، و اختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، و قد نصح لعباده، و بلغ ما ارسل به، و كنا أهله و أولياءه و أوصياءه، و ورثته، و أحق الناس بمقامه فى الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا، و كرهنا الفرقة، و أحببنا العافية، و نحن نعلم أنا أحق بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه-الى أن قال- و قد بعثت رسولى اليكم بهذا الكتاب، و أنا أدعوكم الى كتاب الله و سنه نبيه صلى الله عليه و آله، فان السنه قد امتت و البدعه قد احييت، و ان تسمعوا قولى و تطيعوا أمرى أهدكم سبيل الرشاد» فكل من قرأ الكتاب من أشراف الناس كتبه غير المنذر بن الجارود، فإنه خشى بزعمه أن يكون دسيسا من قبل عبيد الله، فجاءه بالرسول من العشيهِ التى يريد فى صبيحتها أن يسبق الى الكوفه و اقرأه كتابه، فقدم الرسول،

ص: ١١٥

١-١) راجع شرح ابن أبى الحديد ١٨:٥٤، و [١] شرح ابن ميثم ٢٢٧:٥.

٢-٢) اخرجه الكلينى فى الكافى ٦:٤٦٥ ح ١. [٢]

فضرب عنقه، وكفاه بذلك خزيا (١).

هذا، وفي الأغاني: كان الفرزدق في حلقه في المسجد الجامع و فيها المنذر بن الجارود، فقال المنذر للفرزدق من الذي يقول:

وجدنا في كتاب بني تميم أحق الخيل بالركض المعار

فقال له الفرزدق: الذي يقول:

لشارب قهوه و خدين زير و عبدى لسوته يخار

وجدنا الخيل في أبناء بكر و أفضل خيلهم خشب وقار

فخجل المنذر حتى ما قدر على الكلام.

و ذكر عتابه عليه السلام لكميل في فصل آداب الحرب (٢).

ص: ١١٤

---

١-١) تاريخ الطبري ٤:٣٦٥ سنة ٦٠. [١]

٢-٢) ذكر في العنوان ١٣ من الفصل الثامن والأربعين.

## الفصل الرابع والعشرون: في حلفه عليه السّلام و تعليمه إحلاف الظالم و تقيّته

أشاره

ص: ١١٧



وَ قَالَ ع: لَا وَ الَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلِهِ دَهْمَاءَ - تَكْشِرُ عَنْ يَوْمٍ أَعَزَّ مَا كَانَ كَذَا وَ كَذَا «لا و الذى» الذى يظهر من استعمالات لغه العرب فى مثل كلامه عليه السّلام من كون الجواب منفيا لزوم زياده لا فى أول القسم إيذانا بكون الجواب منفيا، قال تعالى: «فَلَا وَ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ» (١) و قالوا:

قسم العرب «لا بذى تسلّم ما كان كذا و كذا». قال ابن السكيت: و تأويله: لا و الله الذى يسلمك ما كان كذا و كذا (٢). و قال الجوهري: قولهم «لا و الذى أخرج النار من الوثيمه» أى: من الصخره (٣). و فى تنبيه البكرى على أوهام القالى تقول

ص: ١١٩

[١] - (١) النساء: ٦٥. [١]

[٢] - (٢) عن لسان العرب ٦٢: ٢٦١، [٢] ماده (سلم).

[٣] - (٣) صحاح الجوهري ٥: ٢٠٤٨. [٣]

العرب «لا و الذى أخرج قافيه من قوب» صوابه «قوبا من قافيه» أى: فرخا من بيضه (١)، و قال الشاعر:

فلا و أبيك ابنه العامرى لا يدعى القوم أنى أفر

و قال ابن نهشل:

فلا و أبيك لا أنساك حتى تجاوب هامتى فى القبر هاما

و قال أعرابى أغير على إبله، كما فى (العيون) (٢):

لا و الذى أنا عبد فى عبادته لو لا شماته أعداء ذوى إحن

ما سرنى أن إبلى فى مباركها و أن شينا قضاه الله لم يكن

ولد عبل فى بخيل:

صدق أليته إن قال مجتهدا لا و الرغيف فذاك البر من قسمه (٣)

و قال جبان:

لا و الذى منع الأبصار رؤيته ما يشتهى الموت عندى من له إرب

و قال اميه بن حرثان:

فلا و أبيك ما باليت وحدى

و قال عوف التيمى:

فلا و أبيك لا تكفى سهيلا (٤)

و قال عبد الله بن يزيد عامل ابن الزبير على الكوفه فى سليمان بن صرد و أصحابه لما طلبوا بدم الحسين عليه السلام: لا و الذى

هو ربهم لا يقتلهم

ص: ١٢٠

١-١) التنبيه على أوهام أبى القالى فى أماليه: ٤١ و ٤٢. [١]

٢-٢) عيون الأخبار ١١٤: ٣. [٢]

٣-٣) عيون الأخبار ٣٦: ٢، و [٣] فيه «... إذ قال مجتهدا...» و ٢٤٦: ٣، و فيه «إن...» و انظر ديوان أبى تمام، باب الهجاء، قافيه الميم.





عدوهم حتى تشتد شوكتهم (١).

وقال المختار لما دعا الناس إلى بيعته: فلا و الذي جعل السماء سقفا محفوظا و الأرض فجاجا سبلا ما بايعتم بعد بيعه علي عليه السلام و آل علي بيعه أهدي منها (٢).

و في خبر نفي عمر لنصر بن الحجاج و لأبي ذؤيب ابن عم نصر- لافتتان النساء بجمالهما-قال عمر لنصر: لا و الله لا تساكنني بأرض أنابها، و لأبي ذؤيب: لا و الذي نفسي بيده لا تجامعني بأرض أبدا (٣).

و في خبر أبي طلحة الأنصاري الذي و كله عمر باجراء دستوره في سته الشورى إلى ثلاثة أيام فإن لم يقبلوه يضرب أعناقهم: لا و الذي ذهب بنفس محمد لا أزيدكم على الأيام الثلاثة التي أمر بها عمر (٤).

و كان عمرو بن العاص وصف البحر لعمر فقال له: راكب البحر كدود على عود، فلما استأذنه لغزو البحر قال: لا و الذي بعث محمدا لا أحمل فيه مسلما أبدا (٥).

و في (أذكيا ابن الجوزي) عن أعرابي قال: أسرت طي شابا، فقدم أبوه و عمه ليفدياه، فاشتروا عليهما في الفداء و لم يرضوا بما أعطى أبوه، فقال: لا و الذي جعل الفرقدين يصبجان و يمسيان على جبل طي لا أزيدكم على ما أعطيتكم، ثم انصرف مع أخيه و قال له: لقد ألقيت إلى ابني كلمه لئن كان فيه خير لينجون، فما لبث أن جاء و طرد قطعه من أبلهم- كان قال له الزم الفرقدين

ص: ١٢١

١-١) تاريخ الطبري ٥:٥٩٣، [١] أحداث سنة ٦٥هـ، طبعه دار سويدان، بيروت.

٢-٢) تاريخ الطبري ٦:٣٢، [٢] أحداث سنة ٦٦هـ، طبعه دار سويدان، بيروت.

٣-٣) عيون الأخبار ٤:٢٤.

٤-٤) العقد الفريد ٥:٣٠. [٣]

٥-٥) تاريخ الطبري ٤:٢٥٨-٤:٢٥٩، [٤] أحداث سنة ٢٨هـ.

على جبل طى، فإنهما طالعان عليه و لا يغيبان عنه (١).

كما أن المفهوم من استعمالاتها فى مثل قوله تعالى: «تَاللَّهِ تَفْتِيؤُا تَذَكُّرُ يُوْسُفَ» (٢) حذف «لا» من الجواب المنفى المستقبل، كقول امرئ القيس:

فقلت يمين الله أبرح قاعدا و لو قطعوا رأسى لديك و أوصالى (٣)  
و قول الهذلى:

تا لله يبقى على الأيام ذو حيد بمشمخر به الظيان و الآس (٤)

و قول رجل نزل على امرأه من بنى ثعلبه بن يربوع:

فإنى امرؤ أعطيت ربى أليه أرى زانيا ما لاح لى وضح الفجر  
و قول ليلى الأخيليه فى رثاء توبه:

فتا لله تبنى بيتها أم عاصم على مثله إحدى الليالى الغوابر (٥)  
أيضا:

فأقسمت أبكى بعد توبه هالكا و أحفل من نالت صروف المقادر (٦)

و قول عتاب بن ورقاء الشيبانى للمأمون:

آليت أشرب راحا ما حج لله ركب (٧)

و بالجملة: فى كلام العرب خصوصيات لم يتبه على كثير منها أئمه

ص: ١٢٢

---

١- (١) الأذكياء لابن الجوزى: ١٠١، طبعه دار الكتب العلميه.

٢- (٢) يوسف: ٨٥. [١]

٣- (٣) ديوان امرئ القيس: ١٤١.

٤- (٤) لسان العرب ٤: ٤٢٩ [٢] ط. دار صادر-بيروت.

٥- (٥) الأغانى ١١: ٢٣٠، و [٣] فيه «على مثله اخرى الليالى الغوابر»، و قال المصحح فى هامشه: (فى الا-صول: «احدى الليالى» و التصويب من منتهى الطلب). و هذا البيت من القصيده الرائيه المعروفه ليلى الاخيليه فى رماء توبه و كان عاشقا لها.

٦-٦) الأغانى ١١:٢٣١. [٤]

٧-٧) راجع معجم الادباء ١٢:٨١، و [٥] فى هامشه «التقدير: لا أشرب».

الأدب كما ها هنا، و منها استعمال السمع بمعنى الإسماع إذا جاء مع الداع، كقول عمرو ابن معديكرب:

أمن ريحانه الداعى السميع

(١) و فى (النهج) «دعا إليها أسمع داع» (٢).

و منها عدم مجيء فاعل «ما راعنى» إلا جملة بعد «إلا»، و تبه عليه المغنى، كقوله:

و ما راعنى إلا يسير بشرطه و عهدى به قينا يفش بكير (٣)

«أمسينا منه فى غبر» أى: بقايا.

«ليله دهماء» أى: مظلّمه سوداء.

«تكشّر» من كشر البعير عن نابه، أى: كشف عنها، و «كشّر الرجل» بدت منه الأسنان.

«عن يوم أغر» أى: أبيض.

«ما كان كذا و كذا» .

قال ابن أبى الحديد بعد العنوان: هذا الكلام إما أن يكون قاله عليه السّلام على جهة التّفؤّل، أو أن يكون إخبارا بغيب، و الأوّل أوجه (٤).

قلت: ليس بتّفؤّل، و لا إخبارا بالغيب، بل يمينا على نفى وقوع شيء معهود فيما مضى، و إنما كان محتملا للإخبار عن غيب لو كان بلفظ: «ما يكون كذا و كذا».

ص: ١٢٣

١ - ١) لسان العرب، طبع دار إحياء التراث العربى بتحقيق و تنسيق على شيرى ٣٦٥: ٦، ماده (سمع)، و فيه: ا من ريحانه الداعى السميع يورقنى و أصحابى هجوع؟

٢ - ٢) نهج البلاغه ٢٢٢: ١، [١] من الخطبه ١١٤.

٣ - ٣) مغنى اللبيب: ٥٥٩، و [٢] شواهد المغنى ٨٤٠: ٢. [٣]

٤ - ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٦٨: ١٩. [٤]

و كيف كان، فأخذ حلفه عليه السّلام إسماعيل بن عبد الله، فحلف لرجل في آخر يوم من شعبان، فقال: «لا و الذي أنا في غُبر يوم عظيم منه و تلقاء ليله تفتت عن أيام عظام ما كان ما بلغك هكذا».

هذا، و في الخبر: إنّ يمين النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله كان «لا و مقلب القلوب» (١)، و قالوا:

كان حكيم بن حزام إذا اجتهد في يمينه قال: «لا و الذي نَجاني يوم بدر» (٢).

و في (تاريخ يعقوبي): كان شيث و قومه إذا أراد أحدهم أن يحلف قال:

«لا و دم هايل» (٣).

هذا، و من حلف الأخطل و جرير ما في (العقد): إنّ جريرا وفد على عبد الملك و عنده الأخطل، فقال عبد الملك للأخطل: أ تعرفه؟ قال: لا. قال: هذا جرير. فقال الأخطل له: و الذي عزّفتني أعيار أمك ما عرفتك. فقال له جرير:

و الذي أعمى بصيرتك و أدام خزيتك لقد عرفتك بسيماك سيما أهل النار (٤).

و الظاهر كون قول الأخطل «أعيار أمك» إشارة إلى اشتها جرير بابن المراغه.

٢

الحكمه (٢٥٣)

و كان عليه السّلام يقول:

أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ - بَأَنَّهُ بَرِيٌّ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِهِ - فَإِنَّهُ إِذَا

ص: ١٢٤

١- ١) أخرجه البخارى ٢٧٦، ١٤٨، ١٤٧: ٤، و الترمذى ١١٣: ٤ ح ١٥٤٠، و [١] النسائى ٧: ٢، و ابن ماجه ٦٧٦: ١ ح ٢٠٩٢، و الدارمى ١٨٧: ٢، و مالك: ٤٨٨، و مسند زيد: ٢١٩، و أحمد ٢٥: ٢-١٢٧، ٦٨، ٦٧، ٢٦).

٢- ٢) فى اسد الغابه ٢: ٤١، و [٢] الإصابه ١: ٣٤٩، و [٣] الذى مجأنى...

٣- ٣) تاريخ يعقوبى ١: ٨. [٤]

٤- ٤) فى العقد الفريد ١٤٨: ٦، ... [٥] قال الأخطل: و الذى أعمى رأيك يا جرير ما عرفتك! قال له جرير: و الذى أعمى بصيرتك....

حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوجِلَ - الْعُقُوبَةُ وَ إِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاخِرْ - لِأَنَّهُ قَدْ وَحَدَّ اللَّهُ تَعَالَى أَقُولُ: في (مروج المسعودي): قال الفضل بن الربيع: صار إلى عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، فقال: إن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي قد أرادني على الشيعة له، فجمع الرشيد بينهما، فقال الزبير لموسى: سعيتم علينا و أردتم نقض دولتنا. فالتفت إليه فقال: و من أنتم؟ فغلب الرشيد الضحك حتى رفع رأسه إلى السقف حتى لا يظهر منه، ثم قال موسى للرشيد: هذا الذي يشنع على بالخروج خرج و الله مع أخى محمد بن عبد الله بن الحسن على جدك المنصور، و هو القائل من أبيات:

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافة فيكم يا بني حسن

في شعر طويل، و ليس سعائته حبا لك، و لا مراعاة لدولتك، و لكن بغضا لنا جميعا أهل البيت، و لو وجد من ينتصر به علينا جميعا لكان معه، و قد قال باطلا، و أنا مستحلفه، فإن حلف إنى قلت ذلك فدمى لك حلال. فقال الرشيد:

احلف له يا عبد الله. فلما أراه موسى على اليمين تلكأ و امتنع، فقال له الفضل:

لم تمتنع و قد زعمت أنفا أنه قال لك ما ذكرته؟ قال: أحلف. قال له موسى: قل «تقلدت الحول و القوه دون حول الله و قوته إلى حولي و قوتي إن لم يكن ما حكيت عنه حقا»، فحلف له. فقال موسى: الله أكبر حدثني أبي عن جدّي عن جدّه علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه و آله قال: ما حلف أحد بهذه اليمين و هو كاذب إلا عجل الله له العقوبة قبل ثلاث، ما كذبت و لا كذبت و ها أنا في قبضتك، فإن مضت ثلاثة أيام و لم يحدث علي عبد الله بن مصعب حادث فدمى لك حلال.

فقال الرشيد للفضل: خذ بيد موسى فليكن عندك حتى أنظر في أمره.

قال الفضل: فو الله ما صليت العصر من ذلك اليوم حتى سمعت الصراخ

من دار عبد الله بن مصعب، فأمرت من يتعرف خبره، فعرفت أنه قد أصابه الجذام وأنه قد تورم و اسودّ، فصرت إليه، فوالله ما كدت أعرفه، لأنه قد صار كالزرق العظيم، ثم اسودّ حتى صار كالفحم، فصرت إلى الرشيد، فعرفته خبره، فما انقضى كلامي حتى أتى خبر وفاته، فبادرت بالخروج وأمرت بتعجيل أمره، والفراغ منه وتوليت الصلاة عليه، فلما دلّوه في حفرة لم يستقرّ فيها حتى انخسفت به، وخرجت منه رائحته مفرطه التنن، فرأيت أحمال شوك تمر في الطريق، فقلت: عليّ بألواح ساج، فطرحت على موضع قبره، ثم طرح التراب عليها، وانصرفت إلى الرشيد، فعرفته الخبر، فأكثر التعجب، وأمرني بتخليه موسى، وأن أعطيه ألف دينار، وأحضره وقال له: لم عدلت عن اليمين المتعارفه بين الناس؟ قال: لأننا روينا عن جدنا عليّ عليه السلام أنه قال: من حلف بيمين مجّد الله تعالى فيها استحي الله من تعجيل عقوبته، وما من أحد حلف بيمين كاذبه نازع الله فيها حوله وقوته إلا عجل الله له العقوبه قبل ثلاث.

قال المسعودي: وقيل إنّ صاحب هذا الخبر هو يحيى بن عبد الله أخو موسى (١).

و روى أبو الفرج و ابن بابويه كون صاحب القصة يحيى، فروى الأول في (مقاتله) - و نقله ابن أبي الحديد أيضا - أنّ يحيى بن عبد الله بن الحسن لما أمّنه الرشيد بعد خروجه بالديلم و صار إليه بالغ في إكرامه، فسعى به بعد مدّه عبد الله بن مصعب الزبيرى إلى الرشيد - و كان يبغضه - و قال له: إنّه عاد يدعو إلى نفسه سرا، و حسن له نقض أمانه، فأحضره و جمع بينه و بين عبد الله بن مصعب لينظره فيما رفعه إليه، فجبّه ابن مصعب بحضره الرشيد، و ادّعى عليه الحركة في الخروج، فقال يحيى للرشيد: أ تصدّق هذا عليّ و هو

ص: ١٢٤

[١- ١] مروج الذهب ٣: ٣٤٠-٣٤٢. [١]

ابن عبد الله ابن الزبير الذي أدخل أباك عبد الله و ولده الشعب، و أضرهم عليهم النار حتى خلّصه أبو عبد الله الجدلي صاحب عليّ عليه السّلام منه عنوه، و هو الذي ترك الصلاه على النبيّ صلّى الله عليه و آله أربعين جمعه في خطبته، فلما التاث عليه الناس قال: إنّ له أهيل سوء إذا صلّيت عليه أو ذكرته أتلعوا أعناقهم و اشربوا لذكراه، فأكره أن أسرّهم أو أقرّ أعينهم، و هو الذي كان يشتم أباك و يلصق به العيوب و حسى و دكّ كبده، و لقد ذبحت بقره يوما لأبيك فوجد كبدها سوداء قد نقتت فقال عليّ ابنه: أما ترى كبد هذه يا أبة. فقال: هكذا يا بنى ترك ابن الزبير كبد أبيك، ثم نفاه إلى الطائف، فلما حضرته الوفاة قال لعليّ: يا بنى إذا متّ فألحق بقومك من بنى عبد مناف بالشام، و لا تقم في بلد لابن الزبير فيه إمرة، فاختر له صحبه يزيد بن معاوية على صحبه عبد الله بن الزبير، و والله إن عداوه هذا لنا جميعا سواء، و لكنّه قوى عليّ بك، و ضعف عنك، فتقرّب بي إليك ليظفر منك بي بما يريد إذ لم يقدر على مثله منك، و ما ينبغي لك أن تسوّغه على ذلك فيّ، فإن معاوية بن أبي سفيان - و هو أبعد نسبا منك إلينا - ذكر يوما الحسن بن عليّ عليه السّلام، فسبّه، فساعده عبد الله بن الزبير، فانتهره معاوية، فقال له ابن الزبير: إنّما ساعدتك. فقال معاوية: إنّ الحسن لحمى آكله و لا أوكله، و مع هذا فهو الخارج مع أخى محمد على أبيك المنصور، و القائل لأخى في قصيده طويله يحترّض فيها أخى و يمدحه، منها:

لا عزّ ركنا نزار عند سطوتها إن أسلمتك و لا ركنا ذوى يمن

أ لست أكرمهم عودا إذا انتسبوا يوما و أظهرهم ثوبا من الدرر

و أعظم الناس عند الناس منزله و أبعد الناس من عيب و من وهن

قوموا ببيعتكم ننهض بطاعتنا إن الخلافه فيكم يا بنى حسن

إلى أن قال:

ص: ١٢٧



و تنقضى دوله أحكام قاداتها فينا كأحكام قوم عابدى وثن

فطالما قد بروا بالجور أعظمتنا برى الصناعات قدام النبع بالسفن

فتغير وجه الرشيد عند سماع هذا الشعر، و تغَيَّظ على ابن مصعب، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذى لا إله إلا هو، و بأيمان البيعه أن هذا الشعر ليس له، و أنه لسديف، فقال يحيى: و الله ما قاله غيره و ما حلفت كاذبا و لا صادقا قبل هذا، و إن الله عزّ و جلّ إذا مجده العبد فى يمينه فقال «و الله الطالب الغالب الرحمن الرحيم» استحى أن يعاقبه، فدعنى أحلفه بيمين ما حلف بها أحد قط كاذبا إلا عوجل.

قال: فحلفه، قال: قل: «برئت من حول الله و قوته، و اعتصمت بحولى و قوتى، و تقلدت الحول و القوه من دون الله، استكبارا على الله و استعلاء عليه و استغناء عنه إن كنت قلت هذا الشعر»، فامتنع، فغضب الرشيد و قال للفضل بن الربيع: ما له لا يحلف إن كان صادقا؟ فهذا طيلسانى علىّ و هذه ثيابى لو حلفنى بهذه اليمين أنها لى لحلفت، فوكر الفضل عبد الله برجله - و كان له فيه هوى - و قال له: احلف و يحك، فجعل يحلف و وجهه متغير و هو يردد، فضرب يحيى بين كتفيه و قال له: يا ابن مصعب قطعت عمرك لن تفلح بعدها أبدا. فما برح عن موضعه حتى عرض له أعراض الجذام، استدارت عينه و تفقأ وجهه، و قام إلى بيته، فتشقق لحمه، و انتثر شعره، و مات بعد ثلاثه أيام، فلما جعل فى القبر انخسف به حتى خرجت منه غبره شديده، و جعل الفضل يقول: التراب التراب فيطرح، و هو يهوى حتى سقف بخشب و طمّ عليه، فكان الرشيد بعد ذلك يقول للفضل: ما أسرع ما أديل ليحيى من ابن مصعب (١).

و روى (عيون ابن بابويه) عن علىّ بن محمد النوفلى قال: استحلف

ص: ١٢٨

(١ - ١) مقاتل الطالبين: ٣١٥-٣١٨، [١] شرح ابن أبى الحديد ٩١: ١٩-٩٤. [٢]

الزبير بن بكار رجل من الطالبين على شىء بين القبر والمنبر، فحلف فبرص، فأنا رأيتُه و بساقيه و قدميه برص كثير، و كان أبوه بكار قد ظلم الرضا عليه السلام فى شىء، فدعا عليه السلام عليه، فسقط فى وقت دعائه عليه من قصر، فاندقت عنقه.

و أما عبد الله بن مصعب فإنه مزق عهد يحيى بن عبد الله بين يدي الرشيد و قال له: أقتله، فإنه لا أمان له. فقال يحيى للرشيد: خرج مع أخى بالأمس - و أنشده أشعارا له فأنكرها - فحلفه يحيى بالبراءة و تعجيل العقوبة، فحم من وقته و مات بعد ثلاث، و انخسف قبره موات (١).

و كيف كان، ففعل ذلك قبله الصادق عليه السلام، أحلف من سعى به إلى المنصور بيمين البراءة، فعجل الله له النقمه، ففى (فصول ابن الصباغ المالكي) عن الفضل بن الربيع قال: حج المنصور سنة (١٤٧) و قدم المدينة، فقال لأبى:

ابعث إلى جعفر بن محمد من يأتينا به سعيًا، قتلنى الله إن لم أقتله، فتغافل ربيع عنه، فأعاد عليه فى اليوم الثانى و أغلظ له، فأرسل، فلما حضر قال له: إنه أرسل إليك بما لا دافع له غير الله، و إنى أتخوفه عليك. فقال: لا حول و لا قوة إلا بالله، فلما أدخل عليه قال له: يا عدو الله! اتخذك أهل العراق إماما يجوبون إليك زكاه أموالهم، تلحد فى سلطاني و تبتغى لى الغوائل! إن فلانا أخبرنى عنك بما قلت. فقال: أحضره، فأحضره و قال له: أحق ما حكيت لى عن جعفر؟ قال: نعم.

قال عليه السلام: فاستحلفه، فبدر الرجل و قال: و الله الذى لا إله إلا هو - و أخذ يعدد صفاته تعالى - فقال عليه السلام: ليحلف بما أستحلفه و يترك يمينه هذا. فقال له المنصور: أحلفه بما تختار. فقال عليه السلام له: قل: «برئت من حول الله و قوته، و التجأت إلى حولى و قوتى لقد فعل جعفر كذا و كذا». فامتنع الرجل، فنظر إليه المنصور نظر منكر، فحلف بها، فما كان بأسرع من أن ضرب برجله الأرض،

ص: ١٢٩

و قضى ميتا مكانه فى المجلس. فقال المنصور: جزوا برجله و أخرجه لعنه الله، ثم قال: لا- عليك يا أبا عبد الله أنت البرىء الساحة- إلى أن قال- فقال الربيع له عليه السّلام: منعت الساعى بك أن يحلف يمينه، و أحلفته أنت تلك اليمين. فقال: إن فى يمينه بتوحيد الله و تمجيده يؤخر العقوبه عنه، و أحببت تعجيلها عليه، فأحلفته بما سمعت، فأخذ الله لوقته (١).

و روى (الكافى) عن صفوان الجمال قال: حملت أبا عبد الله عليه السّلام الحمله الثانيه إلى الكوفه و المنصور فيها، فلما أشرف على الهاشميه مدينه المنصور نزل من الراحله، و ركب بغله شهباء، و لبس ثيابا بيضا، فلما دخل على المنصور قال له: تشبّهت بالأنبياء؟! فقال عليه السّلام: و أنى تبعدنى من أبناء الأنبياء؟ فقال المنصور: لقد هممت أن أبعث إلى المدينه من يعقر نخلها، و يسبى ذريتها. فقال عليه السّلام: و لم؟ فقال: رفع إلى أنّ مولا-ك المعلى بن خنيس يدعو إليك، و يجمع لك الأموال. فقال عليه السّلام: و الله ما كان كذا. فقال المنصور: لست أرضى إلا بالطلاق و العتاق، و الهدى و المشى. فقال عليه السّلام أبا لأنداد من دون الله تأمرنى أن أحلف. من لم يرض بالله فليس من الله فى شىء. فقال له المنصور: أفتتفقّه على.

فقال: و أنى تبعدنى من الفقه و أنا ابن النبى؟ فقال: فإنى أجمع بينك و بين من سعى بك. قال: فافعل. فجاء الرجل و قال له عليه السّلام: و الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهاده الرحمن الرحيم لقد فعلت. فقال عليه السّلام: ويلك تمجد الله، فيستحى من تعذيبك، و لكن قل: «برئت من حول الله و قوته، و ألجأت إلى حولى و قوتى»، فحلف بها الرجل، فلم يستتمها حتى وقع ميتا، فقال له المنصور: لا أصدّق عليك بعده (٢).

ص: ١٣٠

١- (١) الفصول المهمه: ٢٢٥-٢٢٦. [١]

٢- (٢) الكافى ٣، ٤٤٥: ٦. [٢]

هذا، و في (الطبري): حجّ الوليد بن عبد الملك، و حجّ محمد بن يوسف من اليمن، و حمل هدايا للوليد، و فقالت أم البنين للوليد: اجعل لي هدايا محمد بن يوسف، فأمر بصرفها إليها، فأرسلت رسلها إليه فيها، فأبى و قال: حتى ينظر إليها الوليد، فيرى رأيه - و كانت هدايا كثيرة - فقالت للوليد: إنك أمرت بها أن تصرف إليّ و لا حاجه لي بها. قال: و لم؟ قالت: بلغني أنّه غصبها الناس، و كلّفهم عملها و ظلمهم، فحملها إلى الوليد، فقال له: بلغني أنك أصبتها غصبا.

قال: معاذ الله، فأمر، فاستحلف بين الركن و المقام خمسين يمينا أنه ما غصب شيئا منها، و لا ظلم أحدا فيها، و لا أصابها إلا من طيب. فحلف، فقبلها الوليد و دفعها إلى أم البنين، فمات محمد بن يوسف باليمن، أصابه داء تقطّع منه (١).

و في (نسب قريش مصعب الزبيرى): إنهم بنو عبد مناف خدّاش العامرى بقتل عمرو بن علقمة بن عبد المطلب بن عبد مناف - و كان أجيرا لخدّاش - خرج معه إلى الشام، ففقد خدّاش جبلا، فضرب عمرا بعصا، فمرض منها، فكتب إلى أبي طالب بخبره، فمات منها، فتحاكموا فيه إلى الوليد بن المغيرة، فقضى أن يحلف خمسون رجلا من بنى عامر بن لؤى عند البيت «ما قتله خدّاش»، فحلفوا إلا حويطب بن عبد العزى، فإن أمّه افتدت يمينه، فيقال:

إنّه ما حال عليهم الحول حتى ماتوا كلهم إلا حويطبا، و انقرض أولاد خدّاش (٢).

و في (وزراء الجهشيارى): - في تحالف الأمين و المأمون في الكعبة ألا يتناكثا - إن جعفر البرمكى طالب الأمين أن يقول: خذلنى الله إن خذلت

ص: ١٣١

١ - ١) تاريخ الطبرى ( [١] تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، طبع بيروت) ٤٩٨: ٦.

٢ - ٢) نسب قريش: ٤٢٤، و [٢] نقل المصنّف لا يخلو من تصرف. لأبى عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيرى (١٥٦ - ٣٦ هـ ق). (بتحقيق إلفى بروفنسال - طبعه دار المعارف للطباعة و النشر).

المأمون ففعل، و لما خرج الأمين من البيت قال للفضل بن الربيع: أجد في نفسي أن أمرى لا يتم. فقال له: و لم ذاك - أعز الله الأمير - قال: لأننى كنت أحلف و أنا أنوى الغدر. فقال له: سبحان الله أ فى هذا الموضوع؟ فقال له: هو ما قلت لك (١).

هذا، و فى بعض كتب الأدب: إن أعرابيين اختصما إلى بعض الولاة فى دين لأحدهما، فجعل المدعى عليه يحلف بالطلاق و العتاق، فقال المدعى: دعنى من هذه الايمان، و احلف بما أقول لك. قل: «لا يترك الله لى خفا يتبع خفا، و لا ظلما يتبع ظلما، و حتى من أهلى و مالى حتّ الورق من الشجر، إن كان لك قبلى هذا الحق»، فلم يحلف، و أعطاه حقه. و الخفّ: كناية عن الإبل، و الظلف: كناية عن البقر و الشاه.

و فى (يتيمه الثعالبي): قال أبو إسحاق الصابى: طلب منى رسول سيف الدولة، - و كان قدم إلى الحضرة - شيئا من شعرى، و ذكر أن صاحبه رسم له ذلك، فدافعته أياما، ثم ألح على وقت خروجه، فأعطيته هذه الأبيات:

إن كنت خنتك فى الأمانه ساعه فدممت سيف الدولة المحمودا

و زعمت أن له شريكا فى العلى و جحدته فى فضله التوحيدا

قسما لو أنى حالف بغموسها لغريم دين ما أراد مزيدا

فلما عاد الرسول إلى الحضرة أخرج إلى كيسا بختم سيف الدولة مكتوبا عليه اسمى و فيه ثلاثمئة دينار (٢).

و فى (الأغانى): قال محمد بن سلام: أنشدنى ابن قنبر لنفسه:

ص: ١٣٢

---

١ - ١) انظر الوزراء و الكتاب ( [١] أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشياري) بتصحيح و تحقيق عبد الله اسماعيل الصاوى، ط القاهرة: ١٧٥.

٢ - ٢) يتيمه الدهر للثعالبي ٢٣: ١. [٢]

صرمتنى ثم لا كلمتنى أبدا إن كنت خنتك فى حال من الحال

و لا اجترمت الذى فيه خيانتكم و لا جرت خطره منه على بالى

فقلت له و أنا أضحكك: يا هذا! لقد بالغت فى اليمين. فقال: هى عندى كذاك و إن لم تكن عندك كما هى عندى (١).

و فى (الطبرى): غنى علويه بدمشق المأمون:

برئت من الإسلام إن كان ذا الذى أتاك به الواشون عنى كما قالوا

و لكنهم لما رأوك سريعه إلى تواصلوا بالنميمة و احتالوا

فقال له: لمن هذا الشعر؟ فقال: لقاضى دمشق. فقال: يا أبا إسحاق اعزله، فما كنت أولى رقاب المسلمين من يبدأ فى هزله بالبراءه من الإسلام.

ثم قال: يا علويه لا تقل: «برئت من الإسلام» قل:

حرمت منى منك إن كان ذا الذى أتاك به الواشون عنى كما قالوا (٢).

و قالوا: كان بعض أهل البصره يتشيع و يوافقه على مذهبه رجل، فأودعه مالا، فجحده، فاضطرَّ إلى أن قال لمحمد بن سليمان و سأله أن يحضره و يحلفه بحق على عليه السلام، ففعل ذلك. فقال الرجل: أعزَّ الله الأمير، هذا الرجل صديقى، و هو أعزَّ على، و أجلَّ من أن أحلف بالبراءه من مختلف فى ولايته و إيمانه، و لكننى أحلف له بالبراءه من المتفق على إيمانهما و ولايتهما أبى بكر و عمر. فضحك محمد بن سليمان، و التزم المال، و خلى عن الرجل.

و فى (الأذكياء) عن غلام ابن المزوق البغدادي: زوّجنى مولاي جاريه أحببتها حبا شديدا، و أبغضتني بغضا شديدا، و كنت أحتمل تنافرها إلى أن أضجرتني. فقلت لها يوما: أنت طالق ثلاثا إن خاطبتني بشيء إلا خاطبتك

ص: ١٣٣

١-١) الأغاني لأبى الفرج ١٦٥:١٤-١٦٦.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٨:٦٥٦ [١] تحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم، ط بيروت، بتصرف.

بمثله، فقد أفسدك احتمالي لك. فقالت في الحال: «أنت طالق ثلاثا بتاتا» فأبليت و لم أدر ما اجيها به خوفا أن أقول لها مثل ما قالت، فتصير بذلك طالقا مني، فارشدت إلى أبي جعفر الطبري، فأخبرته بما جرى، فقال: أقم معها بعد أن تقول لها «أنت طالق ثلاثا إن أنا طلقتك» فتكون وفيت بيمينك و لم تطلقها و لا تعاود الأيمان (١).

قلت: و هذا على مذهب العامه.

و في (أخبار حكماء القفطى): لما تقرّر الصلح بين عضد الدوله و ابن عمه بختيار عزّ الدوله، تقدّم بختيار إلى أبي إسحاق الصابى بإنشاء نسخته يمين فأنشأها و استوفى فيها الشروط حق الاستيفاء فلم يجد عضد الدوله مجالا فى نكثها، و ألزمته الضروره الحلف بها، فلما عاد إلى العراق و ملكها حبس الصابى مده طويله (٢).

هذا، و كما علّم أمير المؤمنين عليه السّلام الناس إحلاف الظالم كذلك علمهم إحلاف الأخرس، قال الصادق: سئل أمير المؤمنين عليه السّلام عن حلف الأخرس فقال: الحمد لله الذى لم يخرجنى من الدنيا حتى بيّنت للامه جميع ما تحتاج إليه. ثم قال: إيتونى بمصحف. فاتى به فقال للأخرس: ما هذا، فرفع رأسه إلى السماء -أشار إلى انه كتاب الله تعالى- ثم قال: إيتونى بوليه فاتى بأخ له فأقعه إلى جنبه ثم قال: يا قنبر علىّ بداوه و صحيفه فاتاه بهما ثم قال لأخى الأخرس قل لأخيك بينك و بينه إنه علىّ، فتقدم إليه بذلك، ثم كتب عليه السّلام «و الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب و الشهاده الرحمن الرحيم الطالب الغالب الضار النافع المهلك المدرك الذى يعلم السرّ و العلانيه إنّ فلان بن فلان المدعى ليس

ص: ١٣٤

١- ١) الأذكياء لابن الجوزى: ١١٢، نقله المصنّف بتصرف.

٢- ٢) إخبار العلماء بأخبار الحكماء: ٥٤، (جمال الدين أبو الحسن على بن القاضى يوسف القفطى) المتوفى سنة (٦٤٤).

له قبل فلان بن فلان-يعنى الأخرس-حقّ ولا-طلبه بوجه من الوجوه،ولا-بسبب من الأسباب،ثم غسله و أمر الأخرس أن يشربه،فامتنع.فألزمه الدين (١).

و كذا إحلاف أهل الكتاب،فروى (الكافى):أنّه عليه السّلام استحلف يهوديّا بالتوراه التى انزلت على موسى عليه السّلام (٢)،لكن فى طريقه السكونى العامى.

وفى (الصحيح)عن الصادق عليه السّلام:لا يحلف اليهودى و لا النصرانى و لا المجوسى بغير الله،إن الله تعالى يقول: «فَأَحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ» (٣).

و يمكن حمل ذاك الخبر على جواز إحلاف الكتابى بكتابه إذا كان ارتداعه به أكثر من ارتداعه بالحلف به تعالى.

«احلفوا الظالم» إلى «عوجل العقوبه» هكذا فى (المصريه) (٤) و ليست كلمه «العقوبه» فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«و إذا حلف» إلى «لم يعاجل لأنّه قد وحّد الله تعالى» هكذا فى (المصريه) (٦) و الصواب:«سبحانه» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٧).

٣

الخطبه (٢٧٢)

و قال عليه السّلام:

لَوْ قَدِ اسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِصِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ

ص: ١٣٥

١- ١) من لا يحضره الفقيه ٣:٦٥-٦٦، ح ٢، و التهذيب ٣:١٩٦، ح ٨٦.

٢- ٢) الكافى ٣، ٤٥١:٧. [١]

٣- ٣) الكافى ٤، ٤٥١:٧. و [٢] الآية ٤٨ من سوره المائده. [٣]

٤- ٤) نهج البلاغه ٣:٢٠٩، الحكمه ٢٥٣. [٤]

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٩١، [٥] هكذا-ابن ميثم، الطبعه الحجرية ٣:٤٩٦.

٦- ٦) نهج البلاغه ٣:٢٠٩، الحكمه ٢٥٣. [٦]

٧- ٧) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٩١، [٧] هكذا-ابن ميثم ٣:٤٩٦، السطر الخامس [٨] هكذا.



هكذا في (المصريه) (١) و(ابن أبي الحديد) (٢) و لكن في (ابن ميثم) (٣) «في هذه المداحض» و هو أصح.

و كيف كان فقال ابن أبي الحديد: لسنا نشك أنه عليه السلام كان يذهب في الأحكام الشرعيه و القضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابه، نحو قطعه السارق من رءوس الأصابع، و بيعه امهات الأولاد، و غير ذلك، و إنما كان يمنعه من تغيير أحكام من تقدّمه اشتغاله بحرب البغاه و الخوارج، و إلى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها، و لهذا قال لقضاته:

«أقضوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعه» (٤).

قلت: تمثيله بقطع السارق من رءوس الأصابع و بيع امهات الأولاد في غير محله، فإنّ مذهبه عليه السلام و مذهب عترته إبقاء الابهام و قطع باقى الأصابع فى السارق، و أما امهات الأولاد فعدم جواز بيعهن إلا إذا مات مواليهن و كان ثمنهن دينا و لم يخلفوا شيئا سواهن.

و قوله «كان يمنعه من التغيير اشتغاله بحرب البغاه» فى الجملة صحيح، و قد قالت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب لمعاويه كما فى (بلاغات أحمد بن أبى طاهر البغدادي) فيما قالت له: «و دعانا أمير المؤمنين عليه السلام إلى أخذ حقنا الذى فرض الله لنا فشغل بحربك عن وضع الامور مواضعها» (٥)، إلا أنّ الأصل و الحقيقه كون أصحابه عليه السلام غير عارفين به، فلو لم تكن البغاه لم يتمكن عليه السلام أيضا من تغيير ما أراد، فروى (روضه الكافى) عن سليم بن قيس

ص: ١٣٦

١-١) نهج البلاغه ٣:٢١٩. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٦١، هكذا.

٣-٣) ابن ميثم ٣:٤٩٩، و [٢] فيه «من هذه المداحض».

٤-٤) شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٦١، [٣] هكذا.

٥-٥) بلاغات النساء [٤] لأحمد بن أبى طاهر البغدادي: ٢٩، طبعه النجف الأشرف سنة ١٣٦١ هـ

الهلالى أنه عليه السّلام خطب فقال: سمعت النّبىّ -صلى الله عليه وآله يقول: «كيف أنتم إذا لبستكم فتنه يربو فيها الصغير و يهرم فيها الكبير، يجرى الناس عليها و يتخذونها سنّه، فإذا غير منها شيء قيل قد غيرت السنّه و قد أتى الناس منكرا» ثم أقبل عليه السّلام بوجهه و حوله ناس من أهل بيته و خاصته و شيعة -إليهم و قال: قد عملت الولاة قبلى أعمالا - خالفوا فيها النّبىّ متعمدين لخلافه، ناقضين لعهدّه مغيّرين لسنّته، و لو حملت الناس على تركها و حوّلتها إلى مواضعها و إلى ما كانت فى عهد النّبىّ لتفرّق عنى جندى حتى أبقي وحدى، أو مع قليل من شيعة الذين عرفوا فضلى و فرض إمامتى من كتاب الله و سنّه رسوله.

أ رأيتم لو أمرت بمقام إبراهيم عليه السّلام فرددته إلى الموضع الذى وضعه فيه النّبىّ، و رددت فدك إلى ورثه فاطمه، و رددت صاع النّبىّ كما كان، و أمضيت قطائع أقطعها النّبىّ لأقوام لم تمض لهم و لم تنفّذ، و رددت دار جعفر إلى ورثته و هدمتها من المسجد، و رددت قضايا من الجور قضى بها، و نزعت نساء تحت رجال بغير حق فرددتهن إلى أزواجهن و استقبلت بهن الحكم فى الفروج و الاحكام، و سببت ذرارى بنى تغلب، و رددت ما قسم من أرض خيبر، و محوت دواوين العطاء، و أعطيت كما كان النّبىّ يعطى بالسوية، و لم أجعلها دولة بين الأغنياء، و ألقيت المساحه، و سوّيت بين المناكح، و أنفذت خمس الرسول كما أنزل الله و فرضه، و رددت مسجد النّبىّ إلى ما كان عليه، و سدّدت ما فتح من الأبواب و فتحت ما سدّ منه، و حرّمت المسح على الخفّين، و حددت على النيذ، و أمرت بإحلال المتعتين، و أمرت بالتكبير على الجنائز خمس تكبيرات، و ألزمت الناس الجهر بسم الله الرحمن الرحيم، و أخرجت من أدخل مع النّبىّ ممّن كان أخرج، و أدخلت من أخرج بعد النّبىّ، و حملت الناس على حكم القرآن فى الطلاق، و أخذت الصدقات على أصنافها و حدودها، و رددت

الوضوء و الغسل و الصلاة إلى موافقتها و شرائعها و مواضعها، و رددت أهل نجران إلى مواضعهم، و رددت سيابا فارس و سائر الامم إلى كتاب الله و سنه نبيه، إذن لتفرقوا عني. و الله لقد أمرت الناس ألا يجتمعوا في شهر رمضان إلا في فريضة، و أعلمتهم أن اجتماعهم في النوافل بدعه، فتنادى بعض أهل عسكري ممن يقاتل معي: يا أهل الإسلام غيّرت سنه عمر، ينهانا عن الصلاة في شهر رمضان تطوعا.

إلى أن قال: و ما لقي أهل بيت نبي من أمته ما لقينا بعد نبينا صلى الله عليه و آله، و الله المستعان على من ظلمنا (١).

و روى الجوهري في (سقيفته) - و قد نقله ابن أبي الحديد (٢) في موضع آخر - عن محمد بن إسحاق قال: سألت أبا جعفر محمد بن علي قلت: أ رأيت عليا عليه السلام حين ولي أمر الناس كيف صنع في سهم ذوى القربى؟ قال: سلك بهم طريق أبي بكر و عمر. قلت: و كيف و لم و أنتم تقولون؟ قال: أما و الله ما كان أهله يصدرون إلا عن رأيه. فقلت: فما منعه؟ قال: كان يكره أن يدعى عليه مخالفه أبي بكر و عمر (٣).

و روى أيضا في (زيادات سقيفته) - و قد نقله ابن أبي الحديد (٤) في موضع آخر - عن سهل الساعدي قال: مشيت وراء علي عليه السلام حيث انصرف من عند عمر في الشورى، و العباس يمشى في جانبه، فسمعتة يقول للعباس:

ذهبت منا و الله - أي: الخلافة - فقال له العباس: كيف علمت؟ قال: ألا - تسمعه - أي: عمر - يقول كونوا في الجانب الذى فيه عبد الرحمن و سعد و ابن عمر؟

ص: ١٣٨

١-١ (١) الكافي ٥٨: ٨-٦٢ ح ٢١. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٣١: ١٦، و [٢] فيه: «أ رأيت عليا عليه السلام حين ولي العراق و ما ولي من أمر الناس...».

٣-٣ (٣) السقيفة للجوهري: ١١٥. [٣]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٥٠: ٩-٥١، [٤] نقله مع فرق يسير.

و عبد الرحمن نظير عثمان و هو صهره فإذا اجتمع هؤلاء فلو أن الرجلين الباقيين كانا معي لم يغنيا عني شيئاً، دع إنّي لست أرجو أحدهما و مع ذلك فقد أحب عمر أن يعلمنا أن لعبد الرحمن عنده فضلاً علينا، لا، لعمر الله ما جعل الله ذلك لهم علينا كما لم يجعل لأولادهم على أولادنا، أما و الله لئن لم يمّت عمر لأذكرنه ما أتى إلينا قديماً و لأعلمنه سوء رأيه فينا و ما أتى إلينا حديثاً، و لئن مات-و ليموتن- ليجمعن هؤلاء القوم على أن يصرفوا هذا الأمر عنا، و لئن فعلوها-و ليفعلن- ليرؤنى حيث يكرهون، و الله ما بى رغبه فى السلطان و لا حب الدنيا، و لكن لإظهار العدل و القيام بالكتاب و السنه. ثم التفت فرآنى وراءه فعرفت انه قد ساءه ذلك، فقلت: لا ترع أبا حسن! لا و الله لا يسمع أحد ما سمعت منك ما اصطحبنا، فو الله ما سمعه منى أحد حتى قبض عليه السلام (١).

و روى (شورى عوانه) عن الشعبي قال: خرج المقداد من غد بيعه عثمان فلقى عبد الرحمن بن عوف فأخذ بيده و قال له: إن كنت أردت بما صنعت وجه الله فأثابك الله ثواب الدنيا و الآخرة، و إن كنت إنما أردت الدنيا فأكثر الله مالك. فقال عبد الرحمن: اسمع رحمك الله اسمع. قال: لا أسمع و الله، و جذب يده من يده و مضى حتى دخل على عليّ عليه السلام فقال: قم فقاتل حتى نقاتل معك. قال عليّ: فبمن أقاتل رحمك الله، و أقبل عمّار ينادى:

يا ناعى الإسلام قم فانه قد مات عرف و بدا نكر

أما و الله لو أن لى أعوانا لقاتلتهم، و الله لئن قاتلتهم واحد لأ-كوننّ له ثانياً. فقال عليّ عليه السلام: «يا أبا اليقظان! و الله لا أجد عليهم أعواناً، و لا أحب أن أعرضكم لما لا تطيقون»، و بقى عليّ فى داره و عنده نفر من أهل بيته و ليس السقيفه

ص: ١٣٩

يدخل إليه أحد مخافه عثمان (١).

و المأمون مع استقرار سلطنته الوسيعة أراد إعلان حليته المتعه و نشر لعن معاويه فما قدر، فكيف كان عليه السلام يقدر مع تلك السلطنه المترزله المحدوده حتى قال عليه السلام «إن هي إلا الكوفه أقبضها و أبسطها» (٢).

و قال الكراجكى فى (كتاب تعجبه): و من العجب أنهم قالوا إذا كان أبو بكر و عمر و عثمان تركوا كثيرا من الأحكام و أظهروا البدع فى الاسلام فلم لم يغير ذلك أمير المؤمنين عليه السلام لما انتهى الأمر إليه بعد عثمان؟ أو لا يرون أنه عليه السلام نهاهم عن الجماعه فى صلاه نوافل شهر رمضان ففرقوا عنه و صاحوا و اعمراه نهيتنا عن سنه عمر بن الخطاب، فإذا كانت هذه حاله معهم فى النهى عن أمر يعلمون أن عمر ابتدعه، و يتحققون أن النبى صلى الله عليه و آله نهى عنه و أنكره، و يجعلون البدعه من عمر سنه، فكيف لو غير عليه السلام أكثر من هذا، بل لو غير بدعهم كلها و جاهر بمخالفتهم فى الامور التى استحدثوها؟ فكيف ينكر تقيته منهم و هذه حاله معهم؟ أم لم يسمعوا قوله عليه السلام «أما و الله لو ثبت لى الوساده لحكمت بين أهل التوراه بتوراتهم، و بين أهل الإنجيل بإنجيلهم، و بين أهل الفرقان بفرقانهم حتى ينطق كل كتاب و يقول: يا رب اقضى على فينا بقضائك، و قوله: «أما و الله لو ثبت قدماى لغيرت امورا كثيره» (٣).

و روى محمد بن يعقوب فى (كافيه) عن معمر بن يحيى قال: سألت أبا جعفر عليه السلام عما يروى الناس عن على عليه السلام فى أشياء من الفروج لم يكن يأمر بها و لا ينهى عنها إلا أنه ينهى عنها نفسه و ولده، فقلت: و كيف يكون ذلك؟ قال:

ص: ١٤٠

١-١ (١) السقيفه: ٨٧. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ١: ٦٠ [٢] من الخطبه ٢٥ و فيه «ما هي...».

٣-٣ (٣) التعجب: ٢٤. [٣]

قد أحلتها آيه و حرمتها آيه اخرى. قلت: فهل يصير إلا أن يكون إحداهما قد نسخت الاخرى أو هما محكمتان جميعا ينبغي أن يعمل بهما؟ فقال: قد بين لكم إذ نهى نفسه و ولده عنها. قلت: ما منعه أن يبين ذلك للناس؟ فقال: خشى ألا يطاع، و لو أن عليا ثبتت له قدماء أقام كتاب الله و الحق كله (١).

و روى عن منصور بن حازم قال: كنت عند أبي عبد الله عليه السلام فأتاه رجل فسأله عن رجل تزوج امرأه فماتت قبل أن يدخل بها، أ يتزوج بأمرها؟ فقال: قد فعله رجل منا فلم ير به بأسا. فقلت له: جعلت فداك ما تفخر الشيعة إلا بقضاء علي عليه السلام في هذه الشمخية التي أفتاها ابن مسعود أنه لا بأس بذلك، ثم أتى عليا فقال له: من أين أخذتها؟ قال: من قوله تعالى: «وَرَبَابِكُمْ اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ مِنْ نِسَائِكُمُ اللَّاتِي دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَمَا لَكُمْ تَكُونُوا دَخَلْتُمْ بِهِنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ» (٢)، فقال علي: إن هذه مستثناه و آيه «وَأُمَّهَاتُ نِسَائِكُمْ» (٣) مرسله.

إلى أن قال: فقلت لأبي جعفر: ما تقول أنت فيها؟ فقال: تخبرني أن عليا قضى بها و تسألني ما تقول فيها (٤)؟ و روى عن سيف بن عميرة قال: مرَّ أمير المؤمنين عليه السلام برجل يصلّي الضحى في مسجد الكوفة، فغمز جنبه بالدره و قال: نحررت صلاة الأوابين نحررك الله قال: فأتركها؟ فقال: «أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى عِبْدًا إِذَا صَلَّى» (٥). قال أبو عبد الله عليه السلام و كفى بإنكار علي عليه السلام نهيا (٦).

و روى (الفقيه) عن ابن عباس قال: كتب إلي علي عليه السلام في سته إخوه

ص: ١٤١

١- ١) الكافي ٥: ٥٥٦، ٨. [١]

٢- ٢) النساء: ٢٣. [٢]

٣- ٣) النساء: ٢٣. [٣]

٤- ٤) الكافي ٥: ٤٢٢، ٤. [٤]

٥- ٥) العلق: ٩ و ١٠. [٥]

٦- ٦) الكافي ٣: ٤٥٢، ٨. [٦]

و جدّ أن اجعله كأحدهم و امح كتابي. قال: فجعله عليّ عليه السّلام سابعاً، و قوله «و امح كتابي» كره أن يشنع عليه بالخلاف علي من تقدمه (١).

و روى (غارات الثقفى) فى آخر عنوانه الثانى «فى غنىّ و باهله» مسنداً عن الحارث بن حصيره عن أصحابه عن عليّ عليه السّلام قال: «أدعوا لى غنىّا و باهله و حيّا آخر قد سمّاهم فليأخذوا اعطياتهم، فو الذى فلق الحبه و برأ النسمة ما لهم فى الإسلام نصيب، و إنى لشاهد لهم فى منزلى عند الحوض و عند المقام المحمود أنهم أعدائى فى الدنيا و الآخرة، و لئن ثبتت قدماى لأردنّ قبيله إلى قبيله و لأبهرجنّ ستين قبيله ما لهم فى الإسلام من نصيب» ثم قال: و عن يوسف بن كليب عن يحيى بن سالم عن عمرو بن عمير عن أبيه عنه مثله (٢).

ص: ١٤٢

---

١-١) الفقيه ٤:٢٠٨ ح ٢٩.

٢-٢) الغارات ١:٢٠-٢٢. [١]

## الفصل الخامس و العشرون: فى شكايته عليه السلام من أهل عصره

اشاره

ص: ١٤٣





و من خطبه له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّا قَدْ أَضْيَبْنَا فِي دَهْرِ عُنُودٍ وَ زَمَنِ كُنُودٍ يُعِيدُ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئًا - وَ يَزِدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُورًا - لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلَّمْنَا وَ لَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا - وَ لَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَهُ حَتَّى تَحُلَّ بِنَا - فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَضْيَافٍ - مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الفَسَادَ إِلَّا مَهَانَهُ نَفْسِهِ وَ كَلَالَةَ حُدِّهِ - وَ نَضَةَ يَضُ وَ فِرَّهُ - وَ مِنْهُمْ الْمُضْطَلُّ لِسَيِّئِهِ وَ الْمُعْلَنُ بِشَرِّهِ - وَ الْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَ رَجَلِهِ - قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَ أَوْبَقَ دِينَهُ - لِحُطَامِ يَنْتَهزُهُ أَوْ مِقْنَبٍ يَقُودُهُ - أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُهُ - وَ لَبِئْسَ الْمُتَجَرُّ أَنْ تَرَى الدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا - وَ مِمَّا عِنْدَ اللَّهِ عَوَضًا - وَ مِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الآخِرَةِ - وَ لَا يَطْلُبُ الآخِرَةَ بِعَمَلِ الدُّنْيَا - قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخِصِهِ - وَ قَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَ شَمَّرَ مِنْ تَوْبِهِ - وَ زَخَرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ - وَ اتَّخَذَ سِتْرَ اللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى الْمَعْصِيَةِ - وَ مِنْهُمْ مَنْ أَبْعَدَهُ عَنِ

طَلَبَ الْمَلِكِ ضُؤْلَهُ نَفْسِهِ- وَ انْقِطَاعُ سَبِيهِ فَقَصَرَتْهُ الْحَالُ عَلَى حَالِهِ- فَتَحَلَّى بِاسْمِ الْقِنَاعِ- وَ تَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ الزَّهَادَةِ- وَ لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ فِي مَرَاحٍ وَ لَا مَغْدَى- وَ بَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ الْمَرْجِعِ- وَ أَرَاقُ دُمُوعِهِمْ خَوْفُ الْمَحْشَرِ- فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ نَادٍ- وَ خَوَائِفِ مَقْمُوعٍ وَ سَيَاكِتِ مَكْعُومٍ- وَ دَاعٍ مُخْلِصٍ وَ ثَكْلَانِ مُوَجِّعٍ- قَدْ أَخْمَلَتْهُمْ التَّقِيَّةُ وَ شَجَلَتْهُمْ الدَّلَّةُ- فَهُمْ فِي بَحْرِ أُحْيَاجٍ- أَفْوَاهُهُمْ ضَامِرَةٌ وَ قُلُوبُهُمْ قَرِيحَةٌ- وَ قَدْ وَعَظُوا حَتَّى مَلُّوا- وَ قَهَرُوا حَتَّى ذُلُّوا وَ قَتَلُوا حَتَّى قَلُّوا- فَلَتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ- أَضْيَغَرٌ مِنْ حُثَالِهِ الْقَرِظِ- وَ قُرَاضِهِ الْجَلْمِ- وَ اتَّعَظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ- قَبِيلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ- وَ ارْزُقُوهَا دَمِيمَةً- فَإِنَّهَا رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ قَالَ الْمَصْنُفُ: هَذِهِ الْخُطْبَةُ رُبَّمَا نَسَبَهَا مِنْ لَا عِلْمَ لَهُ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَ هِيَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَدِي لَا يَشْكُ فِيهِ، وَ أَيْنَ الذَّهَبُ مِنَ الرُّغَامِ، وَ الْعَذْبُ مِنَ الْأَجَاجِ، وَ قَدْ دَلَّ عَلَى ذَلِكَ الدَّلِيلُ الْخَرِيَّتِ، وَ نَقَدَهُ النَّاقِدُ الْبَصِيرُ عَمْرُو بْنُ بَحْرِ الْجَا حَظْ، فَإِنَّهُ ذَكَرَ هَذِهِ الْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ الْبَيَانِ وَ التَّبْيِينِ، وَ ذَكَرَ مِنْ نَسَبِهَا إِلَى مَعَاوِيَةَ ثُمَّ قَالَ: هِيَ بِكَلَامِ عَلِيِّ أَشْبَهُ، وَ بِمَذْهَبِهِ فِي تَصْنِيفِ النَّبَاسِ وَ بِالْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْقَهْرِ وَ الْإِذْلَالِ، وَ مِنَ التَّقِيَّةِ وَ الْخَوْفِ أَلِيْقُ. قَالَ: وَ مَتَى وَجَدْنَا مَعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ الزَّهَادِ وَ مَذَاهِبِ الْعِبَادِ.

«أصبحنا في دهر عنود» عند عن الطريق: عدل. لابن لنكك البصرى:

نحن و الله في زمان غشوم لو رأينا في المنام فزعنا

يصبح الناس فيه من سوء حال حق من مات منهم ان يهنا

(١) «و زمن كنود» رجل كنود: كافر النعمه، و أرض كنود: لا تنبت شيئاً. لابن لنكك البصرى:

يا زمانا ألبس الأحرار ذلاً و مهانه لست عندى بزمان إنما أنت زمانه

(٢) قال البحترى:

و خلّفتى الزمان على أناس و جوههم و أيديهم حديد

لهم حلل حسنّ فهن بيض و أخلاق سمجن فهن سود

و أخلاق البغال فكلّ يوم يعنّ لبعضهم خلق جديد

و أكثر ما لسائلهم لديهم إذا ما جاء قولهم تعود

و وعد ليس يعرف من عبوس انقباضهم أو وعد أم وعيد

اناس لو تأملهم ليبد بكى الخلف الذى يشكو ليبد (٣)

«يعد فيها المحسن مسيئاً» «الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ» .

(٤)

«و يزداد الظالم فيه عتواً» «و نُحَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا» (٥).

«لا ننتفع بما علمنا» فى (الكافى) عنه عليه السلام: العالم العامل بغيره كالجاهل

ص: ١٤٧

١- ١) انظر معجم الأدباء لياقوت الحموى ١٩:٧. [١]

٢- ٢) انظر معجم الادباء ١٩:٩، و [٢]الشعر هكذا: يا زمانا البس الأبح رار ذلاً- و مهانه لست عندى بزمان إنما أنت زمانه

(الزمانه: العاهه و تعطيل القوى). (هامش المعجم).

٣- ٣) ديوان البحترى ١٢:٢-١٣ طبعه دار صعب، بيروت.

٤- ٤) التوبه: ٧٩. [٣]

٥- ٥) الاسراء: ٦٠. [٤]

الذى لا يستفيق من جهله، بل قد رأيت أن الحجة عليه أعظم (١).

«و لا نسأل عمّا جهلنا» أيضا: وإنّ طلب العلم أوجب عليكم من طلب المال، إنّ المال مقسوم مضمون لكم، قد قسمه عادل بينكم و ضمنه، و سيفى لكم، و العلم مخزون عند أهله و قد أمرتم بطلبه (٢).

«و لا نتخوف قارعه حتى تحلّ بنا» القارعه: الشديده من الشدائد، و لذا سميت بها القيامة. و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: شيتنى قوارع القرآن (٣).

«فالناس على أربعة أصناف» المراد الناس المذمومون .

«منهم من لا- يمنع الفساد إلاّ مهانه نفسه» هكذا فى (المصريه) (٤)، و الصواب: «منهم من لا- يمنع الفساد فى الأرض إلاّ مهانه نفسه» كما فى (ابن أبى الحديد) و غيره (٥). و مهانه نفسه: حقرتها. و «الفساد» منصوب بنزع الخافض.

قالوا: لما أرادوا البيعه لمروان بعد يزيد قام روح بن زنباع فقال:

تذكرون عبد الله بن عمر و صحبته و لكنه رجل ضعيف مهين و ليس مثله بصاحب الامه (٦).

«و كلاله حدّه» من كلّ السيف: إذا لم يقطع.

«و نضيض وفره» من نضّ الماء: سال قليلا قليلا، و سقاء أوفر: لم ينقص من أديمه شىء، و هذا الصنف هم الأكثرون من الناس، و فى طبعهم الفساد فى

ص: ١٤٨

١- ١) الكافي ١: ٤٥، ح ٦. [١]

٢- ٢) الكافي للكلىنى ١: ٣٠، ح ٤، [٢] بتقطيع.

٣- ٣) نقله بهذا اللفظ الزمخشري فى الأساس: ٣٦٣ ماده (قرع)، لكن المشهور غير هذا اللفظ.

٤- ٤) نهج البلاغه ١: ٧٣، [٣] من الخطبه ٣٢، و فيه «منهم من لا يمنعهم...».

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ٢: ١٧٦ و [٤] ابن ميثم الطبع الحجرى ٢: ١٤٥، و فيه «منهم من لا يمنع من الفساد فى الأرض».

٦- ٦) تاريخ الطبرى ٥: ٥٣٦، [٥] أحداث سنه ٦٤هـ، طبعه دار سويدان، بيروت.

الأرض، إلا أن مهانه نفسه و قله ماله تمنعانه ممّا في باطنه، فإن صار يوماً ذا مكنه و رياسه يظهر مكنونه و يعلم خبثه، كالحجاج في أول أمره لما كان معلماً بالطائف و آخره لما لحق بعبد الملك .

«و منهم المصلت لسيفه» أي: المجرد له من غمده. خرج عبد الله بن علي على المنصور في أهل خراسان، فخشى ألا يناصره فأمر صاحب شرطته فقتل منهم نحواً من سبعة عشر ألفاً، و قتل مصعب بن الزبير من المستسلمين من عسكر المختار سبعة آلاف صبوا، فقال له ابن عمر: أنت القاتل سبعة آلاف من أهل القبلة في غداه واحده؟! عس ما استطعت. فقال مصعب: إنهم كانوا كفره سحره- سموهم كفره سحره لما طالبوا بدم ابن بنت نبيهم صلى الله عليه و آله- فقال له ابن عمر: و الله لو قتلت عدتهم غنما من تراث أبيك لكان ذلك سرفاً (١).

«و المعلن بشره» في الخبر: شر الناس من أكرمه الناس اتقاء شره (٢).

«و المجلب عليهم بخيله و رجله» و الاجلاب كذلك كناية عن صرف غايه جهده، و الخيل: الفرسان و الرجل: الرجاله، قال تعالى في الشيطان «وَ اسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَ اجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَ رَجْلِكَ» (٣).

«قد اشترط نفسه» أي: أعذها و جعل لها علامه يعرفونه بها.

«و أوبق دينه» أي: أهلكه.

«لحطام ينتهزه» أي: يغتنمه، و الحطام: ما تكسر من اليبس.

«أو مقنب يقوده» في (الصحيح) المقنب: ما بين الثلاثين إلى الأربعين من الخيل (٤).

ص: ١٤٩

١- ١) تاريخ الطبري ١١٢: ٦-١١٣، [١] احداث سنه ٦٧هـ، طبعه دار سويدان، بيروت.

٢- ٢) الكافي ٣٢٦: ٢-٣٢٧، ح ٢ و ٤، بتصرف.

٣- ٣) الاسراء: ٦٤. [٢]

٤- ٤) الصحيح ٢٠٦: ١. [٣]

روى (اسد الغابه) عن ابن حاطب أنه ذكر ابن الزبير فقال: طالما حرص على الاماره. أتى النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله بلص فأمر بقتله، فقيل له: إنه سرق. فقال: اقطعه.

ثم أتى به بعد إلى أبي بكر وقد سرق - وقد قطعت قوائمه - فقال: ما أجد لك شيئا إلا ما قضى فيك النبي يوم أمر بقتلك، فانه كان أعلم بك، ثم أمر بقتله أغيلمه من أبناء المهاجرين أنا فيهم. فقال ابن الزبير: أمروني عليكم فأمرنا علينا ثم انطلقنا به فقتلناه (١).

«أو منبر يفرعه» أي: يصعده، للفرزدق في فقيمي صار أميرا:

بكي المنبر الشرقي إذ قام فوقه خطيب فقيمي قصير الدوارح (٢)

و في (ديوان البحتری) في مدح المعتز و هجو المستعين:

بكي المنبر الشرقي إذ خار فوقه على الناس ثور قد تدلت غباغه (٣)

و في (المروج): لما ولى سعيد بن العاص الكوفه بعد الوليد بن عقبه الذي صلى الصبح أربعا في سكره، أبا أن يصعد المنبر حتى يغسل، و قال: إن الوليد كان رجسا نجسا (٤).

«و لبئس المتجر أن ترى الدنيا لنفسك ثمنا، و ممّا عند الله عوضا» «بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله» (٥)، «أولئك الذين اشتروا الحياة الدنيا بالآخرة فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون» (٦).

«و منهم من يطلب الدنيا بعمل الآخرة و لا يطلب الآخرة بعمل الدنيا» في

ص: ١٥٠

١-١ (١) أسد الغابه ٣٢٢: ١. [١]

٢-٢ (٢) لسان العرب ٢: ٢٦٧، طبعه ايران، [٢] نشر أدب الحوزه، ماده (درج).

٣-٣ (٣) ديوان البحتری ٩٠: ١، طبعه دار صعب، بيروت.

٤-٤ (٤) مروج الذهب ٢: ٣٣٦. [٣]

٥-٥ (٥) البقره: ٩٠. [٤]

٦-٦ (٦) البقره: ٨٦. [٥]

(الكافي) عن الصادق عليه السلام: من أراد الله بالقليل من عمله أظهره الله له أكثر مما أراد، و من أراد الناس بالكثير من عمله في تعب من بدنه و سهر من ليله أبى الله تعالى إلا أن يقلله في عين من سمعه (١).

و في (المروج): أظهر ابن الزبير الزهد في الدنيا و العباده مع الحرص على الخلافه و قال: انما بطنى شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا، و أنا العائد بالبيت و المستجير بالرب، و كثرت أذيته لبني هاشم مع شحّه بالدنيا على سائر الناس، فقال أبو حره:

لو كان بطنك شبرا قد شبت و قد أفضلت فضلا كثيرا للمساكين

فيا راكبا إما عرضت فبلغن كبير بنى العوام إن قيل من تعنى

تخبر من لاقيت أنك عائد و تكثر قتلا بين زمزم و الركن

تخبرنا أن سوف تكفيك قبضه و بطنك شبر أو أقل من الشبر

و أنت إذا ما نلت شيئا قضمته كما قضمت نار الغضا حطب السدر (٢)

«قد طامن من شخصه» أى: سكن منه «و قارب من خطوه» فى (الصحاح) الخطوه بالضم ما بين القدمين (٣).

ص: ١٥١

١-١ (الكافي ٢: ٢٩٦، ح ١٣). [١]

٢-٢ (مروج الذهب ٣: ٧٥ و [٢] البيت الأخير لفيروز الديلمى لأبى مره.

٣-٣ (الصحاح للجوهري ٦: ٢٣٢٨). [٣]



«و شَمَّر من ثوبه» أى: رفع منه. فى خبر (الكافى): رأى سفيان الثورى الصادق عليه السّلام فى المسجد الحرام و عليه ثياب حسان، فقال له ما لبس النّبىّ و على مثل هذا اللباس. فقال: كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى زمان قتر مقتر، و كان يأخذ لقتره و إقتاره، و إن الدنيا بعد ذلك أرخت عز اليها، فأحق أهلها بها أبرارها ثم تلا «قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَ الطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ» (١)، و نحن أحق من أخذ منها ما أعطاه الله، غير أنى يا ثورى ما ترى على من ثوب إنما ألبسه للناس، ثم اجتذب يد سفيان فجَرَّها إليه ثم رفع الثوب الأعلى و أخرج ثوبا تحت ذلك على جلده غليظا- و قال: ألبسه لنفسى و ما رأيت له للناس- ثم جذب ثوبا على سفيان أعلاه غليظ خشن و داخل ذلك ثوب لين و قال: لبست هذا الأعلى للناس و لبست هذا لنفسك تسرّها (٢).

و فى (البيان): ان الحسن عليه السّلام قال: إن قوما جعلوا تواضعهم فى ثيابهم، و كبرهم فى صدورهم، حتى لصاحب المدرعه أشد فرحا بمدرعه من صاحب المطرف بمطرفه (٣). و لبعضهم:

يرى الناس الهيئه كالمسيح بن مريم و فى ثوبه المسيح او هو اغدر

أغرّكم منه تقلص ثوبه و ذلك حبّ تحتة الفخّ فاحذروا (٤)

«و زخرف من نفسه للأمانه» أى: زين و مؤه.

و فى خبر (الكافى): بينا يطوف الصادق عليه السّلام إذ جذب عياد بن كثير البصرى ثوبه و قال له: تلبس مثل هذا اللباس مع المكان الذى أنت فيه من على عليه السّلام فقال: كان على فى زمان يستقيم له ما لبس فيه، و لو لبست مثل ذلك

ص: ١٥٢

١- ١) الأعراف: ٣٢. [١]

٢- ٢) الكافى ٤٤٢: ٦، ح ٨. [٢]

٣- ٣) البيان و التبيين ١٥١: ٣، و [٣] فيه «...حتى لصاحب المدرعه بمدرعه أشد فرحا من...».

٤- ٤) أى الشيطان:..

اللباس لقال الناس: هذا مرء مثل عباد (١).

«و اتخذ ستر الله ذريعه إلى المعصيه» «يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَ لَا يَسْتَحْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَ هُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّنُونَ مَا لَا يَرْضَى مِنَ الْقَوْلِ وَ كَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا» (٢).

و قال عليه السلام: لا تبدين عن واضحه و قد عملت الأعمال الفاضحه، و لا يأمن البيات من عمل السيئات (٣).

«و منهم من أبعد عن طلب الملك ضؤوله نفسه» أى: حقارتها «و انقطاع سببه» أى: وسيلته و وصلته «فقصر به الحال على حاله» أى: لم يقدر على طلب اماره لضؤولته .

«فتحلّى باسم القناعه» أى: جعل اسم القناعه حليه له .

«و تزين بلباس أهل الزهاده» أى: جعل لباس أهل الزهاده زينه له.

و أنت بالليل لا حريم له و بالنهار على سمت ابن سيرين (٤).

«و ليس من ذلك فى مراح و لا- مغدى» كنايه عن أنه ليس من الزهد و القناعه فى شىء، كما أن قولهم «ما ترك فلان من أبيه مغدى و لا مراحا» (٥) كنايه عن كمال شباهته به، و المراد بالصنف الأخير الذى ذكره عليه السلام: الصوفيه الضالّه المضلّه كعمرو بن عبيد و الثورى .

«و بقى رجال» غير الأصناف المذمومين، و هم الذين لا أثر لسوء الزمان فيهم لكونهم عارفين بالله تعالى و بجلاله، و بفناء هذه الدنيا، و أنهم

ص: ١٥٣

١- ١) الكافي ٤: ٤٤٣، ح ٩. [١]

٢- ٢) النساء: ١٠٨. [٢]

٣- ٣) أخرجه الكافي ٢: ٢٦٩، ح ٥. [٣]

٤- ٤) ربيع الأبرار ١: ٨١٢، و [٤] البيت لموسى العجلي.

٥- ٥) انظر لسان العرب (٥) [٥] دار احياء التراث العربى، بتحقيق و تنسيق على شيرى) ٥: ٣٦٣، ماده (روح).

لدار أخرى و هم شيعة عليه السلام.

«غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذَكَرَ الْمَرْجِعَ» وَ قُلُوبُهُمْ وَجَلَّ أَنْتَهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ» (١).

«و أراق دموعهم خوف المحشر» أي: صَبَّهَا.

روى الكشي، أن أبا ذر بكى من خشية الله حتى اشتكى عينيه فخافوا عليهما فقبل له: لو دعوت الله في عينيك. فقال: إني عنهما لمشغول و ما عناني أكثر. فقبل له: و ما شغلك عنهما؟ قال: العظيتمان: الجنة و النار (٢).

«فهم بين شريد ناد» الشريد: الطريد، و نادّ من «ندّ» إذا انفرد و ذهب على وجهه.

روى الطبرى عن إسحاق الهمداني قال: اجتمع نفر بالكوفة يطعنون على عثمان - من أشرف أهل العراق - مالك الأشر، و ثابت بن قيس النخعي، و كميل ابن زياد الأزدي، و عروه بن الجعد، و عمرو بن الحمق الخزاعي، فكتب سعيد بن العاص إلى عثمان يخبره بأمرهم، فكتب إليه أن سيّرهم إلى الشام و ألزمهم الدروب (٣).

و روى خبرا آخر عن الواقدي و زاد فيهم صعصعة بن صوحان، و فى خبره، أن معاوية كتب إلى عثمان بعد تسيير سعيد لهم إلى الشام: إني لست آمن إن أقاموا وسط أهل الشام أن يغروهم بسحرهم فارددهم إلى مصرهم.

فكتب عثمان إلى معاوية بردهم إلى سعيد بالكوفة، فكتب سعيد إلى عثمان يضح منهم، فكتب عثمان إليه أن سيّرهم إلى عبد الرحمن بن خالد بن الوليد

ص: ١٥٤

١-١) المؤمنون: ٦٠. [١]

٢-٢) الكشي: ٢٨ ح ٥٤.

٣-٣) تاريخ الطبرى ( [٢] تحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم، طبع بيروت) ٤: ٣٢٦، نقله المصنّف بتصرف.

بحمص، و كتب عثمان إلى الأشر و أصحابه: إني سِيرتكم إلى حمص فإذا أتاكم كتابي هذا فانصرفوا إليها فانكم لستم تألون الاسلام و أهله شرا. فلما قرأ الأشر الكتاب قال: اللهم أسوأنا نظرا للرعيه و أعملنا فيهم بالمعصيه فعجل له النقمه (١).

و روى الواقدي عن صهبان مولى الأسلميين قال: رأيت أبا ذر يوم أدخل على عثمان فقال له عثمان: أنت الذى فعلت و فعلت. فقال له أبو ذر:

نصحتك فاستغششتني، و نصحت صاحبك فاستغششني. قال عثمان: كذبت.

و لكنك تريد الفتنة، قد أنغلت الشام علينا- إلى أن قال- قال عثمان: أشيروا على في هذا الشيخ الكذاب، أضربه أو أحبسه أو أقتله. فإنه قد فرق جماعه المسلمين، أو أنفيه من أرض الإسلام؟ فتكلم على عليه السلام- و كان حاضرا- فقال:

أشير عليك بما قال مؤمن آل فرعون «وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُشْرِفٌ كَذَابٌ» (٢) فأجابه عثمان بجواب غليظ، و أجابه على بمثله... (٣).

و روى الجوهري في (سقيفته) عن ابن عباس قال: لما خرج أبو ذر إلى الربذه أمر عثمان فنودي في الناس: الا يكلم أحد أبا ذر و لا يشيعه، و أمر مروان أن يخرج به، فخرج به، و تحاماه الناس إلا عليا عليه السلام- إلى أن قال- فقال أبو ذر له عليه السلام: إنني ثقلت على عثمان بالحجاز كما ثقلت على معاويه بالشام، و كره عثمان أن أجاور أخاه و ابن خاله- يعنى الوليد بن عقبه و ابن عامر- بالمصريين- يعنى الكوفه و البصره- فأفسد الناس عليهما فسيرني إلى بلد

ص: ١٥٥

١- (١) تاريخ الطبرى ٣٢٥:٤-٣٢٦. [١]

٢- (٢) غافر: ٢٨. [٢]

٣- (٣) شرح نهج البلاغه لابن أبى الحديد ٥٦:٣، و ٢٥٩:٨، [٣] طبعه القايره بتحقيق محمد أبى الفضل إبراهيم).

ليس لى به ناصر و لا دافع إلا الله، و الله ما أريد إلا الله صاحباً و لا أخشى مع الله وحشه (١).

«و خائف مقموع» أى: منذل، روى الواقدى أن ابن مسعود لما قدم المدينة دخلها ليله جمعه، فقال عثمان: أيها الناس! قد طرقكم الليله دويبه- إلى أن قال- و صاحت عائشه: يا عثمان! أقول هذا لصاحب النبي - صلى الله عليه و آله؟ فقال لها: اسكتي.

ثم قال لابن زمعه: أخرجته إخراجاً عنيفاً، فأخذه ابن زمعه فاحتمله حتى جاء به باب المسجد فضرب به الأرض فكسر ضلعا من أضلاعه، فقال ابن مسعود: قتلنى ابن زمعه الكافر بأمر عثمان (٢).

«و ساكت مكعوم» من كعمت البعير، إذا جعلت فى فمه شيئاً تشده به، فى (تاريخ يعقوبى) عن بعضهم قال: دخلت مسجد النبي - صلى الله عليه و آله فرأيت رجلاً جاثياً على ركبته يتلهف تلهف من كأن الدنيا كانت له فسلبها و هو يقول:

و اعجبا لقريش و دفعهم هذا الأمر عن أهل بيتهم و فيهم أول المؤمنين بالله و ابن عم رسول الله، أعلم الناس بالله و أفقههم فى دين الله و أعظمهم عناء فى الاسلام و أبصرهم بالطريق، و أهداهم للصراط المستقيم، و الله لقد زووها عن الهادى المهتدى الطاهر النقى و ما أرادوا اصلاحاً للامه و لا صواباً فى المذهب، و لكنهم آثروا الدنيا على الآخرة فبعدا و سحقاً للقوم الظالمين.

فدنوت منه فقلت: من أنت يرحمك الله؟ و من هذا الرجل؟ فقال: أنا المقداد بن عمرو، و هذا الرجل على بن أبى طالب. فقلت: ألا تقوم بهذا الأمر فأعينك عليه؟ فقال: يا ابن أخى إن هذا الأمر لا يجزى فيه الرجل و لا الرجلان. فخرجت فلقيت

ص: ١٥٦

١- ١) السقيفه و فدك للجوهري: ٧٦-٧٧. [١]

٢- ٢) أورده ابن أبى الحديد فى شرحه لنهج البلاغه ٣: ٤٣ و ٤٤، و نقله المصنف بتصرف.

أبا ذر فذكرت له ذلك فقال: صدق أخى المقداد ... (١).

«وداع مخلص» أى: للفرج من شرّ الجبابره، فكان الناس أيام عثمان و استيلاء بنى اميه عليهم ينتظرون بالغير انتظار المجذب المطر و يدعون الله تعالى بإخلاص خاص للخلاص .

«و ثكلان موجه» كان عثمان سجن ضابطا أبا عمير بن ضابئ حتى مات فى سجنه، و لما أرادوا دفن عثمان أقبل عمير -و عثمان موضوع على باب- فنزا عليه و كسر ضلعا منه و قال له: سجنت أبى حتى مات (٢).

«قد أخلتكم التقية» كان عبد الله بن شداد الليثى يقول: وددت ان أترك فأحدت بفضائل عليّ بن أبى طالب عليه السّلام و أن عنقى ضربت بالسيف (٣).

«و شملتهم الذله» فكان عثمان و بنو اميه اتخذوا عباد الله خولا كما أخبر به النبىّ صلّى الله عليه و آله (٤)، و يبيعهم زياد أيام امارته .

«فهم فى بحر أجاج» أى: ملح مرّ .

«أفواههم ضامزه» فى (الصحاح) ضمز: إذا سكت و لم يتكلم، و كذلك البعير إذا أمسك جرّته فى فيه و لم يجتّر (٥).

«و قلوبهم قرحه» فى نقض (عثمانيه الاسكافى): أن بنى اميه كانوا لا يألون جهدا فى طول ما ملكوا أن يخملوا ذكر عليّ و ولده عليهم السّلام، و يطفئوا نورهم و يكتنموا فضائلهم و مناقبهم و سوابقهم، و يحملوا على سبهم و لعنهم

ص: ١٥٧

١- (١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٦٣. [١]

٢- (٢) انظر تاريخ الطبرى ٤: ٤١٤، [٢] فى وقائع سنه ٣٥ هـ. ق.

٣- (٣) سير اعلام النبلاء ٣: ٤٨٨-٤٨٩، طبعه بيروت، مؤسسه الرساله.

٤- (٤) أخرجه الحاكم فى المستدرک ٤: ٤٧٩، و أبو لیلی فى مسنده، عنه المطالب العالیه ٤: ٣٣٢ ح ٤٥٣١، و مصعب الزبيرى فى نسب قريش: ١٠٩، و [٣] غيرهم.

٥- (٥) الصحاح ٣: ٨٨٢، [٤] بدون كلمه «إذا».

على المنابر، فلم يزل السيف يقطر من دمائهم مع قله عددهم و كثره عدوهم، فكانوا بين قتيل و أسير، و شريد و هارب، و مستخف ذليل، و خائف مترقب، حتى أن الفقيه و المحدث و القاص و المتكلم ليتقدم إليه و يتوعد بغايه الإيعاد و أشد العقوبه ان لا يذكروا شيئاً من فضائلهم و لا يرخصوا لأحد أن يطيف بهم، و حتى بلغ من تقيه المحدث أنه إذا ذكر حديثاً عن عليّ عليه السلام كنى عن ذكره فقال: قال رجل من قريش. و فعل رجل من قريش و لا يذكر علياً و لا يتفوه باسمه، ثم رأينا جميع المتخلفين قد حاولوا نقض فضائله، و وجهوا الحيل و التأويلات نحوها- من خارجي مارق، و ناصبي حنق، و نابت مستبهم، و ناشيء معاند، و منافق مكذب و عثمانى حسود- يعترض فيها و يطعن، و معتزلى قد نظر فى الكلام و أبصر علم الاختلاف، و عرف الشبه و مواضع الطعن و ضروب التأويل، قد التمس الحيل فى إبطال مناقبه، و تأوّل مشهور فضائله، فمره يتأوّلها بما لا يحتمل، و مرّه يقصد أن يضع من قدرها بقياس منتقض. قال: و لا- يزداد مع ذلك إلا- قوه و رفعه و وضوحا و استناره... و ذلك من آيات الله تعالى فيه عليه السلام و فى أهل بيته (١).

«و قد وعظوا حتى ملّوا» مثل امامهم. و فى (الطبرى) عن كثير بن عبد الله الشعبى قال: لما زحفنا إلى قتل الحسين خرج إلينا زهير بن القين على فرس له ذنوب شاك فى السلاح فقال: يا أهل الكوفه نذار لكم من عذاب الله نذار. إن حقا على المسلم نصيحه أخيه المسلم، و نحن حتى الآن إخوه و على دين واحد و مله واحده ما لم يقع بيننا و بينكم السيف، و أنتم للنصيحه منّا أهل، فإذا وقع السيف انقطعت العصمه، و كُنّا أمّه و أنتم أمّه- إلى أن قال- فناداه رجل: إن أبا عبد الله يقول: أقبل. فلعمري لئن كان مؤمن آل فرعون نصح لقومه و أبلغ

ص: ١٥٨

فى الدعاء، لقد نصحت لهؤلاء و أبلغت لو نفع النصح و الإبلاغ (١).

«و قهروا حتى ذلوا» فكان زياد من قبل معاويه، و الحجاج من قبل عبد الملك يقتلان الشيعة تحت كل حجر و مدر، و يسملان أعينهم، و يقطعان أيديهم و أرجلهم، و يخزبان دورهم، و يكبلانهم بالأصفاد، و يدفنانهم أحياء .

«و قتلوا حتى قلوبا» قتلوا جمعا منهم فى الجمل، و جمعا منهم فى صفين، و قتلوا من قدروا منهم بأى وسيله، فقتلوا محمد بن أبى بكر فى مصر إحراقا و قتلوا الأشر فى قلزم بالسم دسيسه.

فى (الكشى) ارتد الناس بعد قتل الحسين عليه السلام إلا ثلاثة: أبو خالد الكابلى، و يحيى ابن ام الطويل... (٢).

و فى (خلفاء ابن قتيبه): ان الحسين عليه السلام كتب إلى معاويه: أ لست قاتل حجر و أصحابه العابدين المختبين الذين كانوا يستفظعون البدع و يأمرؤن بالمعروف و ينهون عن المنكر، فقتلتهم ظلما و عدوانا من بعد ما أعطيتهم الموائيق الغليظه و العهود المؤكده جرأه على الله و استخفافا بعهده؟ أ و لست بقاتل عمرو بن الحمق الذى أخلقتة العباده و اصفرت لونه، فقتلتة من بعد ما أعطيتة من العهود ما لو أعطيتة العصم نزلت من شعف الجبال؟ أ و لست المدعى زيادا فى الاسلام فزعمت أنه ابن أبى سفيان و قد قضى رسول الله صلى الله عليه و آله أن الولد للفراش و للعاهر الحجر، ثم سلطته على أهل الاسلام يقتلهم و يقطع أيديهم و أرجلهم من خلاف و يصلبهم على جذوع النخل؟ سبحان الله يا معاويه! لكأنك لست من هذه الامه و ليسوا منك، أو لست قاتل الحضرمى الذى كتب فيه زياد: انه على دين على، و دين على هو دين ابن عمه صلى الله عليه و آله الذى

ص: ١٥٩

١- (١) تاريخ الطبرى ٤٢٦:٥-٤٢٧. [١]

٢- (٢) الكشى: ١٢٣ ح ١٩٤.



أجلسك مجلسك الذى أنت فيه، ولو لا- ذلك كان أفضل شرفك و شرف آباءك تجشم الرحلتين رحله الشتاء و الصيف، فوضعها الله عنكم بنا منه منا عليكم... (١).

و روى المفيد أنه عليه السّلام أخبر جويريه بن مسهر بقطع زياد يده و رجله، ثم صلبه على جذع نخل طويل، و أخبر ميثما بصلب ابن زياد له على باب عمرو بن حريث عاشر عشره و أقربهم من المطهره-أى: الأرض لقصر جذعه- و كونه أول من ألجم فى الاسلام، و أخبر رشيد الهجرى بقطع زياد يده و رجله و لسانه و صلبه، و أخبر كميلا بقتل الحجاج له بضرب عنقه، و أخبر ميثما بقتل الحجاج له ذبحا فوق الجميع كما أخبر عليه السّلام (٢).

«فلتكن الدنيا فى أعينكم أصغر» هكذا فى (المصريه) (٣) و (ابن أبى الحديد) (٤) و لكن فى (ابن ميثم و الخطيه) «فلتكن الدنيا أصغر فى أعينكم» (٥).

«من حثاله القرظ» الحثاله: الردىء من كل شىء بحيث يسقط، و القرظ:

ورق السلم يدبغ به .

«و قراضه الجلم» القراضه: ما سقط بالقرض، أى: القطع، و الجلم الذى يجر به.

أمر عليه السّلام- بعد ذكر كون أهل الدنيا و هم أعداؤه كما شرح و أهل الآخره و هم شيعته كما وصف- بكون الدنيا عند طالبى النجاه كتلك الحثاله و القراضه فى قلبه القيمه و عدم الرغبه، حيث إنّ ذلك دليل على

ص: ١٦٠

١-١ (١) الإمامه ١:١٨١. [١]

٢-٢ (٢) الارشاد: ١٧٠ و ١٧٢. [٢]

٣-٣ (٣) نهج البلاغه ١:٧٥. [٣]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢:١٧٥. [٤]

٥-٥ (٥) ابن ميثم ٢:١٤٥، [٥] هكذا (الطبع الحجرى).

عدم قدرها عند الله تعالى.

و في الخبر: لو كان للدنيا عند الله تعالى قدر بقدر جناح بعوضه ما أعطى الكافر منها شربه ماء (١)، و قد كانت الدنيا عنده عليه السلام أهون من عراق خنزير في يد مجذوم، و من عفته عنز (٢).

«و اتعظوا بمن كان قبلكم قبل أن يتعظ بكم من بعدكم» فكل من كان له لب رأى من وقت صار مميزا تلعب الدنيا بمن كان جديا في هواها، و تقلبها بمن كان مطمئنا بها، فيعرف أن عملها معه عملها معهم، حيث إن ذلك مقتضى طبعها .

«و ارفضوها ذميمه» أى: أتركوها مذمومه، يجوز في العين من «و ارفضوها»-و هو الفاء-الضم و الكسر.

في (الكششى): قال أبو ذر: من جزى الله عنه الدنيا خيرا فجزاه الله عنى بعد رغبى شعير أ تغدى بأحدهما و أ تعشى بالأخرى، و بعد شملتى صوف أتزر بأحدهما، و أرتدى بالآخر شرا (٣).

«فانها رفضت» هكذا في (المصريه) (٤) و الصواب: «قد رفضت» كما في (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥).

«من كان أشغف بها منكم» يجوز كون «أشغف» بالعين و الغين كما في قوله تعالى «قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا» (٦) و يقال شغفه الحب: إذا بلغ شغافه،

ص: ١٦١

١- ١) أخرج هذا الحديث الحاكم في المستدرک ٤:٣٠، و [١] ابن ماجه فى سننه ١٣٧٧:٢ ح ٤١١٠.

٢- ٢) أشار به إلى ما جاء فى نهج البلاغه فى الخطبه: ٣، و الحكمة: ٢٣٦.

٣- ٣) الكششى: ٢٨ ح ٤٥.

٤- ٤) نهج البلاغه ١:٧٥.

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ٢:١٧٥، ابن ميثم ٢:١٤٥، فيه «فانها قد رفضت يوسف».

٦- ٦) ٣٠:١.

و الشغاف غلاف القلب، و هو جلده دونه كالحجاب.

في (الجهشياري): قال المنصور للمهدى ابنه: عزمت عليك ان أوليك الأمر و أردته إليك، فخرج المهدى مستبشرا إلى وزيره أبي عبيد الله فقال له: انما سبرك بما عرض عليك، فلما عرف ذلك المنصور قال له: كيف فهمت أنى قلته سبرا له؟ قال: لاني سمعتك تقول: انى لأستيقظ بالليل فأدعو بالكتب فأضعها بين يدي و ادعو بالجاريه فأمرها أن تمرخ ظهرى بالدهن، فتفعل ذلك و أنا مقبل على كتبي و تدبيرى، فعلمت أنك لا تدع شيئا يكون موقعه منك هذا الموقع و تؤثر به غيرك فقال له: أصبت و أحسنت (١).

و لما خرج عليه محمد بن عبد الله الحسنى بالمدينه قال: لو خرج على صاحب القبر- يعنى النبيّ صلى الله عليه و آله- أقتله.

قال الشريف «أقول» هكذا في (المصريه) (٢) و كله زائد.

أقول رأسا و قال الشريف: جعله من النهج و انما يصح من الشراح «هذه» هكذا في (المصريه) (٣) و الصواب: و هذه كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤) «الخطبه نسبها من لا- علم له إلى معاويه» و منهم ابن قتيبه في (عيونه) (٥) و ابن عبد ربه في (عقده) (٦).

«و هي من كلام أمير المؤمنين الذى لا شك فيه» بشهادته متنه.

«و اين الذهب من الرغام» بالفتح التراب.

«و العذب» الماء الطيب.

ص: ١٦٢

١- ١) الوزراء و الكتاب للجهشياري: ٩١-٩٢. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ١: ٧٥.

٣- ٣) نهج البلاغه ١: ٧٥. [٢]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٥، [٣] ابن ميثم ٢: ١٤٥، [٤] هكذا.

٥- ٥) عيون الأخبار لابن قتيبه ٢: ٢٣٧ و ٢٣٨.

٦- ٦) العقد الفريد لابن عبد ربه ٤: ١٧٦. [٥]

«من الاجاج» الماء الملح المر .

«و قد دل على ذلك الدليل الخريّ» أي: الحاذق .

«و نقده الناقد البصير» من نقدت الدراهم: إذا أخرجت منها الزيف.

«عمرو بن بحر الجاحظ» لقب الرجل بالجاحظ لنتوء مقله عينيه، قال الحموي في (ادبائه): صار الجاحظ إلى منزل بعض اخوانه فاستأذن عليه فخرج إليه غلام أعجمي فقال: من أنت؟ قال الجاحظ: فدخل الغلام: فقال الجاحظ: سمعها الجاحظ، فقال صاحب الدار للغلام: أنظر من الرجل، فخرج و سأل عن اسمه. فقال: أنا الحدقي -لأن حدقته كانت ناتئة عن محجر العين و لذلك لقب- فدخل الغلام فقال: «الحلقى»، و سمعها الجاحظ فصاح به في الباب: زدنا إلى الأول- يريد أن قوله الجاحظ مكان الجاحظ أسهل عليه من «الحلقى» مكان «الحدقي» (١).

و المصنّف و إن وصف الجاحظ هنا بما قال لنقده الخطبه إلا أنّ الرجل كان مخلطاً، فكما صنّف كتاب (العباسيه)- و كشف فيه عن حقائق- صنّف كتاب (العثمانيه) و كتاب (المروانيه) و أتى فيهما بما كشف عن خافيه من نصبه و عداوته لله و لرسوله.

قال المسعودي في (مروجه): صنّف الجاحظ كتابا استقصى الحجاج فيه عند نفسه، و عضده بالأدله فيما تصور من عقله، ترجمه بكتاب (العثمانيه) يحلّ فيه عند نفسه فضائل عليّ عليه السّلام و مناقبه طلباً لإماتة الحق و مضاده أهله «و الله مُتِمُّ نُورِهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» (٢)، ثم لم يرض بهذا حتى أعقب

ص: ١٤٣

١- ١) معجم الادباء لياقوت الحموي ١٥: ٨٥، [١] نقله عن المرزباني و نقل المصنّف لم يخل عن التصرف.

٢- ٢) الصف: ٨. [٢]

بتصنيف كتاب آخر فى امامه المروانيه (١)، و نقض كتابه جمع من العامه منهم أبو جعفر الاسكافى -و لله دره- فقد بين فى نقضه مخازيه و فضحه و ذكر مساويه، و أظن ان الرجل -أى: الجاحظ- كان راعيا لسلطان وقته، و أنه صنف (عباسيته) زمان المأمون المنصف الطالب للحقائق، و أراد نشر حليته المتعه ناقما على عمر فى تحريمه ما أحل الله، و صنف (عثمانيته) زمان المتوكل الذى كان ناصيبا و يقرب الامويه و من كان هواه هواهم و أراد كرب قبر الحسين، و الا كان الرجل زنديقا لا عقيدته له أصلا و مع نصبه كان وضاعا.

قال المسعودى فى (التنبيه و الإشراف): كان الجاحظ يؤلف الكتاب الكثير المعانى الحسن النظم، فينسبه إلى نفسه فلا يرى الأسماع تصغى إليه، و لا- الايرادات تيمم نحوه، ثم يؤلف ما هو أنقص منه رتبه و أقل فائده، ثم ينحله عبد الله بن المقفع، أو سهل بن هارون، أو غيرهما من المتقدمين، و من طارت أسماؤهم فى المصنفين، فيقبلون على كتبها، و يسارعون إلى نسخها (٢).

قلت: و أظن ان الكتاب المعروف بكتاب (آداب ابن المقفع) أحد مصاديق ما قاله المسعودى فى (التنبيه) من كونه للجاحظ و نسبه إلى ابن المقفع، فابن المقفع كان ملحدا ظاهرا و باطنا فأين هو من مثل ذاك الكتاب، و الكتاب كتاب من كان واردا فى علم التوحيد و آداب النبى صلى الله عليه و آله و الأئمه ظاهرا مثل الجاحظ و ان كان باطنا مثل ابن المقفع.

فانه ذكر هذه الخطبه فى كتاب (البيان و التبيين) ذكر فيه خطبا لأمير المؤمنين عليه السلام ثم خطبه لابن مسعود، ثم خطبه لعنه بن

ص: ١٤٤

١- ١) مروج الذهب ٢٣٧: ٣. [١]

٢- ٢) التنبيه و الاشراف: ٦٦. [٢]

غزوان ثم ذكر هذه (١).

«و ذكر من نسبها إلى معاوية» فقال: خطبه لمعاوية رواها شعيب بن صفوان و زاد فيها اليعقوبي و غيره قالوا: لما حضرت معاوية الوفاه قال لمولى له: من بالباب؟ قال: نفر من قريش يتباشرون بموتك. فقال: و يحكك و لم؟ قال: لا أدري. قال: فو الله ما لهم بعدى إلا الذي يسوؤهم، و أذن للناس فدخلوا فحمد الله و أثنى عليه و أوجز ثم قال: أيها الناس قد أصبحنا في دهر عنود ... (٢).

ثم قال و هي بكلام على أشبهه و بمذهبه في تصنيف الناس و بالأخبار) هكذا في (المصريه) (٣) و الصواب: «و في الأخبار» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤).

عما هم عليه - إلى آخر ما تقدم. قال الجاحظ: و في هذه ضروب من العجب منها ان هذا الكلام لا يشبه السبب الذي من أجله دعاهم معاوية، و منها ان هذا المذهب في تصنيف الناس و في الأخبار عنهم و عما هم عليه من القهر و الاذلال و من التقية و الخوف أشبه بكلام علي عليه السلام و بمعانيه و بحاله منه بحال معاوية و منها اننا لم نجد معاوية في حال من الحالات يسلك في كلامه مسالك الزهاد، و لا يذهب مذاهب العباد و إنما نكتب لكم و نخبر بما سمعناه (٥).

قلت: ما ذكره شواهد قطعيه على كذب دعوى شعيب المذكور، و يفهم من روايته أنه ناصبي و ضاع مثل سيف الذي يكثر الطبرى عنه في أسانيده بقوله: كتب إلى السري عن شعيب عن سيف. و الله يفضح المفتعل بذكر سبب

ص: ١٤٥

١-١) البيان و التبيين للجاحظ ٢: ٥٨ و ٥٩. [١]

٢-٢) البيان و التبيين للجاحظ ٢: ٥٨ و ٥٩. [٢]

٣-٣) نهج البلاغه ١: ٧٦، و [٣] فيه «ثم قال هي...» بدون الواو.

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ١٧٦، [٤] ابن ميثم (الطبع الحجري) ٢: ١٤٥، هكذا.

٥-٥) البيان و التبيين للجاحظ ٢: ٦١، و [٥] نقله المصنف ختصرف.

و من خطبه له عليه السلام في ذكر المكايل:

عِيَادَ اللَّهِ إِنَّكُمْ وَمَا تَأْمُلُونَ- مِنْ هَذِهِ الدُّنْيَا أَثَوِيَاءُ مُوجَلُونَ- وَ مَيَدِينُونَ مُقْتَضُونَ أَجَلَ مُنْقُوصٍ- وَ عَمَلٌ مَحْفُوظٌ- فَرَبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٍ وَ رَبَّ كَادِحٍ خَاسِرٍ- وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنِ لَا يَزْدَادُ فِيهِ الْخَيْرُ إِلَّا إِذْبَارًا- وَ الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا- وَ الشَّيْطَانُ فِي هَلَاقِكِ النَّاسِ إِلَّا أَلَمًا- فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ- وَ عَمَّتْ مَكِيدَتُهُ وَ أَمَكَنْتْ فَرِيَسَتُهُ- اضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتُمْ مِنَ النَّاسِ- فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا يُكَابِدُ فَقْرًا- أَوْ غَيِّبًا يَدُلُّ نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا- أَوْ بِخِيَالًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللَّهِ وَفْرًا- أَوْ مُتَمَرِّدًا كَانَّ بِأُذُنِهِ عَنِ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَفْرًا- أَيْنَ أَخْبَارُكُمْ وَ صِلْحَاؤُكُمْ- وَ أَخْرَارُكُمْ وَ سِمْحَاؤُكُمْ- وَ أَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ- وَ الْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ- أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا- عَنْ هَذِهِ الدُّنْيَا الدِّيَّةِ- وَ الْعَاجِلِ الْمُنْغَصَةِ- وَ هَلْ خُلِفْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالِهِ- لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ- اسْتِضِيءَا لِقَدْرِهِمْ وَ ذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ- فَ «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ»- ظَهَرَ الْفُسَادُ فَلَا مُنْكَرَ مُعَيَّرٍ- وَ لَا زَاجِرَ مُزْدَجِرٍ- أَفَبِهَذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللَّهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ- وَ تَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَاءِهِ عِنْدَهُ- هَيْهَاتَ لَا- يُخْدَعُ اللَّهُ عَنْ جَنَّتِهِ- وَ لَا تَنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ- لَعَنَ اللَّهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ النَّارِكِينَ لَهُ- وَ النََّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: (و من خطبته عليه السلام في ذكر المكايل) هكذا في

(المصريه) (١) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢) «و من خطبه له في ذكر المكايل و الموازين» ثم قال ابن أبي الحديد: و لست أرى في هذه الخطبه ذكرا للمكايل و الموازين، اللهم إلاّ- أن يكون قوله: «و أين المتوزعون في مكاسبهم»، أو قوله: «ظهر الفساد» و دالتهما على الموازين و المكايل بعيده (٣).

و قال الخوئي: و قد يقال: إنّ ذلك ابتداء على ما هو دأب السيد و عادته في الكتاب من التقطيع و الالتقاط، فلعله أسقط ما اشتمل على ذكر المكايل و الموازين، و لا يبعد أن يكون ذكر عنده تطفيف الناس في المكايل و الموازين، فنخطب بهذه الخطبه نهيًا لهم عن ذلك المنكر (٤).

قلت: و هو أيضا بعيد كحمل ابن أبي الحديد، لأنه لو كان كما قال لقال:

«و من جمله خطبه كانت في ذكر المكايل و الموازين» و لم يكن يعبر بما هو ظاهر في الاشتمال عليهما فعلا.

و أقول: و لا يبعد أن يكون قوله: «المكايل» محرف «المكايد» لقربهما خطأ و يكون ذكر «الموازين» ان صحت نسخه ابن أبي الحديد و ابن ميثم من اضافات المحشين بمناسبة «المكايل» خلطت بالمتن، و اشتمال الخطبه على ذكر كيد الشيطان و مكاييد أتباعه من قوله عليه السّلام: «و عمت مكيدته»، و قوله: «هل تبصر الا فقيرا يكابد فقرا» إلى آخر ما ذكره، واضح.

قوله عليه السّلام «عباد الله انكم و ما تأملون من هذه الدنيا» أي: إنكم مع ما تأملون من الخلود في هذه الدنيا و بقاء الأموال.

«أثوياء مؤجلون» أي: مقيمون بأجال معينه شابا و كهلا و شيخا، فليس

ص: ١٦٧

١- ١) نهج البلاغه ١٥: ٢، و [١] فيه: و من خطبه له عليه السّلام...

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٤: ٨، [٢] ابن ميثم: ١٩٠، و [٣] فيه: «و من كلام له عليه السّلام في ذكر المكايل و الموازين».

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٦: ٨. [٤]

٤- ٤) شرح الخوئي ٤٦: ٤.



الأمر كما تأملون من الخلود «يا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن تَرَابٍ ثُمَّ مِّن نُطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عَلَقَةٍ ثُمَّ مِّن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّبَيِّنٍ لَّكُمْ وَنُقِرُّ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشَدَّكُمْ وَ مِنْكُمْ مَّن يَتُوفَّىٰ وَ مِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ الْعُمَرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مَن بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا» (١)، «إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ» (٢) وقال: «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَقْدِمُونَ» (٣) وقال: «إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا» (٤) أى: أنفاسهم .

«و مدنيون مقتضون» أى: مقرضون مطالبون بردّ الديون، فليس الأمر كما تأملون من بقاء الأموال فى أيديكم، قال تعالى: «و لَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ تَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٥) وقال الأفوه الأودى فى المعنيين:

إِنَّمَا نَعْمَهُ قَوْمٍ مَّتَعَهُ وَ حَيَاةَ الْمَرْءِ ثَوْبٌ مُّسْتَعَارٌ (٦)

و قال البحرى:

أصاب الدهر دوله آل وهب و نال الليل منها و النهار

أعارهم رداء العزّ حتى تقاضاهم فردّوا ما استعاروا (٧)

و فى (الطبرى): لما قتل عبد الملك مصعبا و دخل الكوفه أمر بطعام كثير

ص: ١٦٨

١-١ (١) الحج: ٥. [١]

٢-٢ (٢) غافر: ٣٩. [٢]

٣-٣ (٣) الاعراف: ٣٤. [٣]

٤-٤ (٤) مريم: ٨٤. [٤]

٥-٥ (٥) الانعام: ٩٤. [٥]

٦-٦ (٦) الشعر و الشعراء: ١٢٩، طبعه بيروت، [٦] دار الكتب العلميه.

٧-٧ (٧) ديوان البحرى ١٩٩: ٢، طبعه بيروت، دار صعب.

فصنع، و أمر به إلى الخورنق و أذن إذنا عاما، فدخل الناس، فأخذوا مجالسهم، فدخل عمرو بن حريث المخزومي، فقال له عبد الملك: إلى و على سريري، فأجلسه معه، ثم جاءت الموائد، فأكلوا، فقال عبد الملك: ما ألدّ عيشنا لو أن شيئا يدوم و لكننا كما قال الأول:

و كل جديد يا أميم إلى بلى و كل امرئ يوما يصير إلى كان

في (الطبرى): فلما فرغ من الطعام طاف عبد الملك في القصر... ثم أتى مجلسه فاستلقى و قال:

اعمل على مهل فإنك ميت و اكدهح لنفسك أيها الانسان

فكأن ما قد كان لم يك إذ مضى و كأن ما هو كائن قد كان (١)

أيضا: شهد سليمان بن عبد الملك جنازه بدابق قد دفنت في حقل، فجعل سليمان يأخذ من تلك التربه فيقول: ما أحسن هذه التربه ما أطيبها، فما أتى عليه جمعه- أو كما قال- حتى دفن إلى جنب ذلك القبر (٢).

أيضا: لبس سليمان بن عبد الملك ثيابا خضرا من خزّ و نظر في المرآه فقال: أنا و الله الملك الشاب، فخرج إلى الصلاه فصلّى بالناس الجمعه، فلم يرجع حتى وعك فلما ثقل عهد (٣).

«أجل منقوص» فكلما تنفس نفسا خطا خطوه إلى قبره.

و عن الحسن: يا ابن آدم إنما أنت عدد، فإذا مضى يوم فقد قضى بعضك.

«و عمل محفوظ» «و كل صغير و كبير مُسْتَطَرٌّ» (٤)، «ما يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا»

ص: ١٦٩

[١-١] تاريخ الطبرى ١٦٧:٦. [١]

[٢-٢] تاريخ الطبرى ٥٤٩:٦. [٢]

[٣-٣] تاريخ الطبرى ٥٤٧:٦. [٣]

[٤-٤] القمر: ٥٣. [٤]

«لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» (١)، «وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا» (٢).

«فربّ دائب» من الدأب، و الدائبان الليل و النهار.

«مضيع» يعنى إذا كان الاجل ينقص دائما و العمل يحفظ كله فربّ ساع جاد يكون مضيعا لعمره و أيام مهلته، لأنه يجعل سعيه و جده فى أمر دنياه الفانيه، قال تعالى: «بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي غَمْرَةٍ مِنْ هَذَا وَ لَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ حَتَّى إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِمْ بِالْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْأَرُونَ لَا تَجْأَرُوا الْيَوْمَ إِنَّكُمْ مِنْنا لَا تُنصِرُونَ قَدْ كَانَتْ آيَاتِي تُتلى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ آعْقَابِكُمْ تُنكصُونَ» (٣).

«و رب كادح خاسر» الكادح: الساعى الجاد، فإذا كان كدحه لغير عقباه يكون خاسرا «يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَمِمَّا مِنْ أُوْتَىٰ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَ يُنْقَلَبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَ أَمَّا مَنْ أُوْتَىٰ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَ يُصَلَّىٰ سَعِيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَىٰ إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ» (٤).

قال ابن أبى الحديد: و مثل قوله عليه السلام:

«فربّ دائب مضيع، و ربّ كادح خاسر» قول الشاعر:

إذا لم يكن عون من الله للفتى فأكثر ما يجنى عليه اجتهاده

و مثله:

ص: ١٧٠

١-١ (١) ق: ١٨.

٢-٢ (٢) كهف: ٤٩. [١]

٣-٣ (٣) المؤمنون: ٦٣-٦٦. [٢]

٤-٤ (٤) الانشقاق: ٦-١٥. [٣]

إذا لم يكن عون من الله للفتى أتته الرزايا من وجوه الفوائد (١)

قلت: لا ربط لهما بقوله عليه السلام هذا مطلقاً، وإنما هما نظير قوله: تذلل الأمور للمقادير حتى يكون الحتف في التدبير (٢).

«و قد أصبحتم في زمن لا يزداد الخير فيه إلا إداراً، والشرّ إلا إقبالا» لأنّ من تقدم عليه من الثلاثة كانوا أهل دنيا، وربّوا الناس -لا سيما الأخير- بطريقه لم يتمكن هو عليه السلام من اصلاحهم لعدم بسط يده، وقيام طلحه و الزبير و عائشه عليه في البصره و معاويه و باقى بنى أميه في الشام في قبالة، فكان الخير يزداد اديارا و الشرّ إقبالا.

روى محمد بن يعقوب في (روضته) مسندا عن الأصمغ قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام ابن عمر و ولد أبى بكر و سعد بن أبى وقاص يطلبون منه التفضيل لهم، فصعد المنبر و قال: أيها الناس لا يقولن رجال قد كانت الدنيا غمرتهم فاتخذوا العقار و فجّروا الأنهار و ركبوا أفره الدواب و لبسوا ألين الثياب فصار ذلك عليهم عارا و شنارا إن لم يغفر لهم الغفار، إذا ما منعتم ما كانوا فيه يخوضون و صيرتهم إلى ما يستوجبون فيفقدون ذلك فيسألون و يقولون: ظلمنا ابن أبى طالب و حرمانا- إلى أن قال- يسلم الله عليكم قوما فينتقم لى منكم، فلا دنيا استمتعتم بها و لا آخره صرتم إليها، فبعدا و سحقا لأصحاب السعير (٣).

قلت: سنّ التفضيل لهم -على خلاف كتاب الله تعالى و سنه رسوله- عمر ثم عثمان و عودهم عثمان الترف أيضا، فلم يرضوا بخلافته عليه السلام و تخلفوا عن

ص: ١٧١

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ٨: ٢٤٥. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه، الحكمة ١٥. [٢]

٣-٣ (٣) روضه الكافى ٣٦٠-٣٦٢، و نقله بتصرف.

نصرته، فعاقبهم الله بالخلافه السفينيه ثم المروانيه.

و في (الطبرى): قام الحسين عليه السلام بنذى حسم- إلى أن قال- «ألا ترون أن الحق لا يعمل به و أن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن فى لقاء الله محققا، فإننى لا أرى الموت إلا سعادة و لا الحياه مع الظالمين إلا برما». فقام زهير و قال لأصحابه: تكلمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تكلم. فقال: قد سمعنا يا ابن رسول الله مقاتلك، و الله لو كانت الدنيا لنا باقيه و كُنّا فيها مخلدين الا أن فراقها فى نصرك و مواساتك لآثرنا الخروج معك على الإقامه فيها. قال فدعا عليه السلام له خيرا (١).

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام: إن الشمس لتطلع و معها أربعه أملاك:

ملك ينادى يا صاحب الخير أتم و أبشر، و ملك ينادى يا صاحب الشر انزع و أقصر، و ملك ينادى أعط منفقا خلفا لا آت ممسكا تلفا، و ملك ينضحها بالماء و لو لا ذلك اشتعلت الأرض (٢).

هذا، و للخالدى فى بغداد:

بغداد صار خيرها شرّا صيرها الله مثل سامرا

«و الشيطان فى هلاك الناس إلا- طمعا» فكان من يوم رجمه طامعا فى اهلاكهم حيث قال لله تعالى: «لَأَفْعِدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ثُمَّ لَأَتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمَانِهِمْ وَ عَنْ شَمَائِلِهِمْ وَ لَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ» (٣) و قال له أيضا: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلِصِينَ» (٤) و قد قال تعالى: «و لَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ»

ص: ١٧٢

١- ١) تاريخ الطبرى ٤٠٤: ٥. [١]

٢- ٢) الكافى ٤٢، ١. [٢]

٣- ٣) الأعراف: ١٧، ١٦. [٣]

٤- ٤) الحجر: ٣٩-٤٠. [٤]

«فَاتَّبِعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

«فهذا أوان قويت عدته» لمساعدته شياطين الإنس له .

«وعمت مكيدته» للعالم و الجاهل و العام و الخاص .

«و امكنت فريسته» و لا سيما بالنساء فإنهنّ فخّه، و النظر سهم مسموم من سهامه.

و في (تاريخ بغداد): قال أبو الفرج الرستمي البغدادي: سمعت المحترق البصري يقول: رأيت إبليس في النوم فقلت: كيف رأيتنا عزفنا عن الدنيا و لذاتها و أموالها فليس لك إلينا طريق؟ فقال: كيف رأيت ما استملت فيه قلوبكم باستماع السماع و من شره الاحداث (٢).

و في (الحليه) عن وهب بن منبه ان رجلا من بنى إسرائيل صام سبعين أسبوعا يفطر في كل سبعة أيام يوما و هو يسأل الله تعالى أن يريه كيف يغوى الشيطان الناس، فلما أن طال ذلك عليه و لم يجب قال: لو أقبلت على خطيئتي و ما بيني و بين ربي لكان خيرا لي، فأرسل تعالى إليه ملكا و قال: أرسلني تعالى إليك و هو يقول: ان كلامك هذا الذي تكلمت به أعجب إليّ ممّا مضى من عبادتك و قد فتح بصرك فانظر، فإذا أحبوله لإبليس قد أحاطت بالأرض و إذا ليس أحد من بنى آدم إلا و حوله شياطين مثل الذباب، فقال: أي رب من ينجو من هذا؟ قال: الورع اللين (٣).

«اضرب بطرفك حيث شئت من الأرض» الطرف: العين، أي: استعمل عينك بقدر ما ترى من أطراف الأرض، قال شاعر:

ص: ١٧٣

١-١ (١) سبأ: ٢٠. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ بغداد ٤٢٩: ١٤. [٢]

٣-٣ (٣) حليه الاولياء ٣٢: ٤، و نقله المصنف بتصرف و تلخيص.

أقلب الطرف تصعيدا و منحدرًا فما أقابل إنساني بإنسان

«هل» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: (فهل) كما في الثلاثة (٢).

«تبصر إلا فقيرا يكابد فقرا» كأبي دلامه و امرأته أم دلامه، دخل الرجل على المهدي و قال له: ماتت امرأته و خلفت صغارًا، و دخلت المرأه على الخيزران و قالت لها: مات زوجها و خلف صغارًا، فأخذ كل منهما بهذا الكيد قدرا (٣).

و في الخبر: من فتح على نفسه باب مسأله، فتح الله عليه باب فقر، و انه لو علم الناس ما في السؤال لما سأل أحد أحدًا، و إن من سأل و عنده قوت ثلاثه أيام لقي الله يوم القيامة و لا لحم لوجهه (٤)، و ان المؤمن و الشيعة لا يمكن أن يكونا من أهل السؤال. و قال المعري:

قالوا فلان جيد فأجبتهم لا تكذبوا ما في البريه جيد

فغنيهم نال الغناء ببخله و فقيرهم بصلاته يتصيد

(٥) «أو غنيا بدّل نعمه الله كفرا» «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنْكُمْ تُكَذِّبُونَ» (٦)، و «إِنَّ»

ص: ١٧٤

١- (١) نهج البلاغه ١٦: ٢. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٤: ٨، [٢] ابن ميثم (الطبع الحجري): ١٩٠، السطر ٣٣ هكذا.

٣- (٣) الأغاني ٢٥٥: ١٠. [٣]

٤- (٤) هذا تأليف ثلاثه أحاديث أخرجها الكليني ١٩: ٤، ح ٢ و ٢٠، ح ٢، و [٤] عقاب الأعمال: ٣٢٥، ح ١.

٥- (٥) في لزوم ما لا يلزم ١: ٤٤٥، طبعه سوريه-دمشق، دار طلاس. ورد البيتان هكذا: قالوا فلان جيد لصديقه لا يكذبوا ما في البريه جيد فأميرهم نال الإماره بالخنا و تقيهم بصلاته يتصيد

٦- (٦) الواقعة: ٨٢. [٥]

«اللَّهُ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ» (١)، «فَكَفَرْتُ بِأَنْعَمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ» (٢)، «لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ» (٣).

«أو بخيلا اتخذ البخل بحق الله وفرا» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: من منع حقا لله عز و جل أنفق في باطل مثليه (٤).

و عن الباقر عليه السلام: ان الله تعالى يبعث يوم القيامة ناسا من قبورهم، مشدوده أيديهم إلى أعناقهم لا يستطيعون أن يتناولوا بها قيد أنمله، معهم ملائكة يعيرونهم تعبيراً شديداً، يقولون: هؤلاء الذين منعوا خيراً قليلاً من خير كثير، هؤلاء الذين أعطاهم الله فمنعوا حق الله في أموالهم (٥).

و عن الصادق عليه السلام في قوله تعالى «سَيَطُوقُونَ مَا بَخَلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (٦) ما من أحد يمنع من زكاه ماله شيئاً إلا جعل الله عز و جل ذلك يوم القيامة ثعباناً من نار، مطوقاً في عنقه، ينهش من لحمه حتى يفرغ من الحساب (٧).

و عنه عليه السلام: ما أدى أحد الزكاه فنقصت من ماله، ولا منعها أحد فزادت في ماله (٨).

ص: ١٧٥

[١-١] الرعد: ١١. [١]

[٢-٢] النحل: ١١٢. [٢]

[٣-٣] إبراهيم: ٧. [٣]

[٤-٤] الكافي للكليني ٣: ٥٠٦ ح ٢١. [٤]

[٥-٥] الكافي للكليني ٣: ٥٠٦ ح ٢٢. [٥]

[٦-٦] آل عمران: ١٨٠. [٦]

[٧-٧] الكافي للكليني ٣: ٥٠٢ ح ١. [٧]

[٨-٨] الكافي للكليني ٣: ٥٠٤ ح ٦. [٨]



و عنه عليه السّلام: ملعون ملعون مال لا يزكى (١).

و عن النبيّ صلّى الله عليه وآله: ما محقّ الاسلام محقّ الشحّ شىء. ثم قال: إنّ لهذا الشحّ ديباً كديب النمل، و شعباً كشعب الشوك (٢).

و عن أمير المؤمنين عليه السّلام: إذا لم يكن لله في عبد حاجه، ابتلاه بالبخل (٣).

و عنه عليه السّلام قال لرجل قال: الشحيح أعذر من الظالم: كذبت، إن الظالم قد يتوب و يستغفر و يرد الظلامه على أهلها، و الشحيح إذا شحّ منع الزكاه و الصدقه، و صله الرحم، و قرى الضيف، و النفقه فى سبيل الله و أبواب البر، و حرام على الجنه أن يدخلها شحيح (٤).

«أو متمرداً كأنّ باذنه عن سماع المواعظ و قرأ» أى: ثقلاً، قال تعالى «و لو أنّنا نزلنا إليهم الملائكە و كلمهم الموتى و حشّرنا عليهم كلّ شىء قبلاً ما كانوا ليؤمنوا» (٥).

و فى (تفسير القمى): قال أبو ذر: بشر المتكبرين بكىّ فى الصدور، و سحب على الظهور.

«أين خياركم و صلحاءكم» لبعضهم:

ذهب الرجال فما أحسن رجالاً و أرى الإقامة بالعراق ضلالاً (٦).

«و أحراركم» هكذا فى (المصريه) (٧) و الصواب: (و أين أحراركم)

ص: ١٧٦

١- ١) الكافى للكلىنى ٣: ٥٠٥ ح ١٣. [١]

٢- ٢) الكافى للكلىنى ٤: ٤٥ ح ٥. [٢]

٣- ٣) الكافى للكلىنى ٤: ٤٤، ١ ح ٢. [٣]

٤- ٤) الكافى ٤: ٤٤، ١ ح ٢. [٤]

٥- ٥) الأنعام: ١١١. [٥]

٦- ٦) هذا البيت لابن المولى الشاعر، أنظر تاريخ بغداد ٦: ٣٣٠. [٦]

٧- ٧) نهج البلاغه ٢: ١٦، من الخطبه ١٢٩.

«و سمحاؤكم» أي: أجوادكم.

و في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: ان الله عزّ و جلّ جعل للمعروف أهلا- من خلقه حبّ إليهم فعالة، و وجه لطالب المعروف الطلب إليهم، و يسّر لهم قضاءه كما يسّر الغيث للأرض المجدبه، ليحييها و يحيى به أهلها، و إن الله عزّ و جلّ جعل للمعروف أعداء من خلقه بغض إليهم المعروف و بغض إليهم فعالة، و حظر على طلاب المعروف الطلب إليهم، و حظر عليهم قضاءه، كما حرّم الغيث على الأرض المجدبه، ليهلكها و يهلك أهلها، و ما يعفوا الله أكثر (٢).

و في (الأغانى): قال الأصمعي: مرّ أسماء بن خارجة الفزاري على الفرزدق- و هو يهنا بعيرا له لنفسه- فقال له: يا فرزدق! كسد شعرك و اطرحتك الملوكة فصرت إلى مهنة إبلتك فقد أمرت لك بمائه بعير. فقال الفرزدق يمدحه: الأبيات (٣).

و قال أبو عبيدة: دخل الفرزدق على بلال بن أبي موسى فأنشده قصيده. فقال له بلال: هلكت و الله أين مثل شعرك في سعيد و العباس بن الوليد؟- و سمى قوما آخرين- فقال: جئني بحسب مثل أحسابهم حتى أقول فيك كقولي فيهم، فغضب بلال حتى دعى له بطشت فيه ماء بارد فوضع يده فيه حتى سكن .

«و أين المتورعون في مكاسبهم» في (الكافي): قال النبيّ: صلّى الله عليه و آله: إنّ أخوف ما أخاف على أمتي من بعدى هذه المكاسب الحرام، و الشهوه الخفيّة، و الربا.

ص: ١٧٧

١- ١) في نسختنا من شرح ابن أبي الحديد ٢٤٤: ٨ «و [١] احراركم»، و في شرح ابن ميثم: ١٩٠، «و اين احراركم».

٢- ٢) الكافي للكليني ٢، ٢٥: ٤. [٢]

٣- ٣) راجعها في الأغانى لأبي الفرج الاصفهاني ٣٦٢: ٢١.

وقال الصادق عليه السّلام: إذا اكتسب الرجل مالا من غير حلّه ثم حجّ فلّبي، نودي «لا لبيك و لا سعديك»، وإن كان من حله فلّبي، نودي «لبيك و سعديك».

وقال عليه السّلام: كسب الحرام يبين في الذريه.

وقال عليه السّلام في قوله تعالى «وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنَّ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنْثُورًا» (١) فقال: إن كانت أعمالهم لأشدّ بياضا من القباطي، فيقول تعالى لها:

كوني هباء، و ذلك انهم إذا شرع لهم الحرام أخذوه (٢).

في (الحليه): قالت أخت بشر الحافي لأحمد بن حنبل: إننا نغزل بالليل و معاشنا منه، و ربما يمرّ بنا مشاعل بنى طاهر-ولاه بغداد- و نحن على السطح فنغزل في ضوءها الطاقه و الطاقتين أفتحله لنا أم تحرمه؟ فقال: لا عدمتكم يا آل بشر، لا أزال أسمع الورع الصافي من قبلكم (٣).

«و المتزهون في مذاهبهم» في (الكافي) قيل للصادق عليه السّلام: فلان و فلان و فلان يسألونك الدعاء. فقال: و ما لهم. قيل: حبسهم المنصور. فقال: و ما لهم و ما له؟ قيل: استعملهم فحبسهم. فقال: و ما لهم و له، أ لم أنهمهم؟ أ لم أنهمهم؟ أ لم أنهمهم؟ هم النار. هم النار. ثم قال: اللهم اجدع عنهم سلطانه. قال ابن مهاجر: فانصرفنا عن مكه فسألنا عنهم فإذا هم قد أخرجوا بعد ذلك الكلام بثلاثه أيام.

وقال الصادق عليه السّلام-بعد ذكر سؤال زراره عن الدخول في أعمال الظلمه-: متى كانت الشيعة تسأل عن أعمالهم؟ إنما كانت الشيعة تقول: نأكل من طعامهم و نشرب من شرابهم و نستظل بظلمهم، متى

ص: ١٧٨

١- (١) الفرقان: ٢٣. [١]

٢- (٢) الكافي للكلينى ١٢٤: ٥-١٢٦ ح ١ و ٣ و [٢] ٤ و ١٠.

٣- (٣) حليه الأولياء ٣٥٣: ٨، طبعه بيروت، دار الكتاب العربى.

كانت الشيعة تسأل عن هذا؟ (١) وفي (النجاشي): حكى بعض أصحابنا أنّ صفوان بن يحيى كلفه رجل حمل دينارين إلى أهله بالكوفة، فقال: إن جمالي مكريه و أنا أستاذن الاجراء (٢).

«أليس قد ظعنوا جميعا عن هذه الدنيا الدنيه» الظعن في مقابل الإقامه، قال تعالى «يَوْمَ ظَعْنُكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ» (٣).

«و العاجله المنغصه» أي: المكدره العيش .

«و هل خلفتم إلا في حثاله» في (الصحاح) الحثاله: كأنه الرديء من كل شيء (٤)، و لأبى الأسود:

ذهب الرجال المقتدى بفعالهم و المنكرون لكل أمر منكر

و بقيت في خلف يزكى بعضهم بعضا ليدفع معور عن معور (٥)

و للبيغاء:

و شاع البخل في الأشياء حتى يكاد يشح بالريح الهبوب

فكيف نخص باسم العيب شيئا و أكثر ما نشاهده معيب

و لعبد الحميد الكاتب:

ترحل ما ليس بالقافل و أعقب ما ليس بالزائل

فلهفى على الخلف النازل و لهفى على السلف الراحل

أبكى على ذا و أبكى لذا بكاء مؤلّهه تاكل

ص: ١٧٩

١-١) الكافي للكلىنى ١٠٥:٥-١٠٧، ح ٢ و ٨. [١]

٢-٢) النجاشى: ١٤٠.

٣-٣) النحل: ٨٠. [٢]

٤-٤) الصحاح للجوهرى ١٦٦٩:٤.

٥-٥) انظر معجم الادباء ٣٨:١٢. [٣]

تبكى من ابن لها قاطع و تبكى على ابن لها واصل

فليست تفتتر عن عبره لها فى الضمير و من هائل

و للبيد:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و بقيت فى خلف كجلد الأجر

يتأكلون مغاله و خيانه و يعاب قائلهم و ان لم يشغب (١)

و قال البحترى:

و خلّفتنى الزمان على أناس و جوههم و أيديهم حديد

لهم حلل حسنّ فهنّ بيض و أخلاق سمجن فهنّ سود

و أخلاق البغال فكل يوم يعنّ لبعضهم خلق جديد

و أكثر ما لسائلهم لديهم إذا ما جاء قولهم تعود

و وعد ليس يعرف من عبوس انقباضهم أو وعد أو وعيد؟

أناس لو تأملهم ليبد بكى الخلف الذى يشكو ليبد (٢)

و لبعضهم فى قتل ابن حازم:

فقد بقيت كلاب نابحات و ما فى الأرض بعدك من زئير

و لبعضهم:

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم و هم الكرام الساده الأشراف

و بقيت فى خلف كأن جوههم خبز الشعير إذا علاه جفاف

أيضا:

زمانى كله ضيم و ضمير و ناس كلهم ديم و دام

و ما فيهم سوى نحر لئيم شحاح الزند ما فيه ضرام

---

١-١) ديوان لبيد بن ربيعه العامري: ٣٤، طبعه بيروت، دار صادر.

٢-٢) ديوان البحتري ١٢: ٢-١٣، طبعه بيروت، دار صعب.

و أعراض لها جيها حلال و أموال لراجيها حرام

أيضا:

فسد الزمان فما ترى إلا ذبابا أو دبابا

هذا يصول و ان يصب لم يأل عقرا و انتهابا

و يحوم ذاك على أذاك فلا تزال به مصابا

و في (البيان): قال أبو ذر: كان الناس ورقا لا شوكة فيه، فصاروا شوكا لا ورق فيه (١).

في (المستجد) عن الشافعي قال: كان بمصر رجل عرف بأن يجمع للفقراء، فولد لبعضهم ولد. قال: فجنّت إليه فقلت: ولد لي مولود و ليس معي شيء. فقام معي و دخل على جماعه فلم يفتح عليه بشيء، فجاء إلى قبر رجل كان يعرفه و جلس عنده، و قال: رحمك الله كنت تفعل و تصنع، و اني درت اليوم و طلبت جماعه في شيء لمولود فلم يتفق لي شيء. ثم قام و أخرج دينارا فكسره نصفين و ناولني نصفه، و قال: هذا دين عليك إلى أن يفتح الله لك بشيء، فأخذه و انصرفت و أصلحت ما اتفق لي به، فرأى تلك الليله ذلك الشخص صاحب القبر في منامه، و هو يقول: قد سمعت جميع ما قلت و ليس لنا إذن في الجواب، و لكن احضر منزلي و قل لأولادي يحفرون مكان الكانون و يخرجون قبره فيها خمسمائه دينار فاحملها إلى هذا الرجل، فلما كان من الغد تقدّم إلى منزل الميت و قصّ القصه فقالوا له: اجلس، و حفروا الموضع و أخرجوا الدنانير و جاءوا بها فوضعوها بين يديه. فقال: هذا ما لكم. فقالوا: هو يتسخّ ميتا و نحن لا نتسخّ أحياء؟! و الله لا تمسكنا منها بشيء، فلما ألحوا

ص: ١٨١

---

١ - ١) البيان و التبيين ٢: ٢٢٥، و أيضا [١] قد أورد الجاحظ نظير هذا الكلام عن أبي الدرداء هكذا: «و قال أبو الدرداء: كان الناس ورقا لا شوكة فيه و هم اليوم شوكة لا ورق فيه»، البيان و التبيين ٣: ١٢٧. [٢]

عليه حمل الدنانير إلى الرجل صاحب المولود و ذكر له القصة، فأخذ منها ديناراً فكسره نصفين فأعطاه النصف الذي أقرضه، و حمل النصف الآخر و قال: هذا يكفيني. و تصدق بالباقي على الفقراء (١).

«لا تلتقى بدمهم الشفتان استصغارا لقدرهم و ذهابا عن ذكرهم» للبحترى فى ابن الجرجانى:

و أثقل من أهجو على مغمر أظل باسفا فى هجوه أهجى (٢)

و له أيضا فى طماس:

و إذا عدت على طماس عيبه لم أرض الحاظى و لا أنفاسى (٣)

فى (الأذكياء): قيل لأبى العيناء: هل بقى من يلقى؟ قال: نعم فى البئر (٤).

قلت: حمل (يلقى) المجهول من اللقاء على الالقاء، و لدعبل:

أما الهجاء فدقّ عرضك دونه و المدح عنك - كما علمت - جليل

فاذهب فأنت عتيق عرضك إنه عرض عززت به و أنت ذليل (٥)

و لآخر:

اللؤم أكرم من وبر و والده و اللؤم أكرم من وبر و ما ولدا

قوم إذا ما جنى جانبيهم أمنوا من لؤم أحسابهم أن يقتلوا قودا

أيضا:

ص: ١٨٢

١ - (١) المستجاد: ١٧٦-١٧٧.

٢ - (٢) ديوان البحترى ٨٤: ٢، طبعه بيروت، دار صعب.

٣ - (٣) وردت مقطوعه على نفس الورن و القافيه و فى هجاء طماس، ديوان البحترى ٢٢٤: ٢، و لكن لم يرد البيت المذكور فيها.

٤ - (٤) الأذكياء لابن الجوزى ١١٢، و ليست كلمه (هل) فيه.

٥ - (٥) انظر كتاب «شعر دعبل بن على الخزاعى» للدكتور عبد الكريم الاشر: ٤١٢، و فيه «... فاذهب فانت طليق عرضك...»، نقله عن

أدب النديم ٢٥، و تاريخ دمشق ٣، ورقه ٢٩ ظ...



لو كان يخفى على الرحمن خافيه من خلقه خفيت عنه بنو اسد

و في (كنايات الجرجاني): تعرّض رجل لموسى بن عبد الله الحسنى و سبّه، فقال موسى متمثلاً:

تمنت -و ذاكم من سفاهه رأيها لا هجوها لما هجتني- محارب

معاذ الإله إننى بعشيرتى و نفسى عن ذاك المقام لراغب

هذا، و حيث إنّ الانسان قد لا يذم الخصم المذموم لردالته واقعا، قد يترك ذم الخصم الشريف بادعاء أنّه رذل، فقالوا: كان مالك بن إبراهيم بن مالك الأشتر النخعي و الورد بن عبد الله السعدى مّمن خرجا مع يزيد بن المهلبّ على يزيد بن عبد الملك، و كان الورد خرج مع ابن الأشعث أيضا، فطلب الأمان من مسلمه بن عبد الملك أمير جيش أخيه، فاستشفع للورد ابن اخى مسلمه و ختنه و أوقفه عنده للعفو، فشتمه مسلمه، فقال: صاحب خلاف و شقاق، و نفاق و نفار فى كل فتنه، مرّه مع حائك كنده، و مرّه مع ملاح الأزدي، ما كنت بأهل أن تؤمن. ثم قال له: انطلق. و استشفع ابن رستم الحضرمى لابن الأشتر، فأوقفه بين يديه و قال له: هذا مالك بن إبراهيم بن مالك الأشتر. فقال له مسلمه: انطلق. فقال له ابن رستم: لم لا تشتمه كما شتمت صاحبه. قال:

أجلتكم عن ذلك و كنتم أكرم على من أصحاب الآخر و أحسن طاعه. قال ابن رستم لمسلمه: فإنّه أحبّ إلينا أن تشتمه، فهو و الله أشرف أبا و جدّا من الورد و أسوأ أثرا فى أهل الشام منه. فكان ابن رستم يقول بعد أشهر: ما تركه إلا حسدا من أن يعرف صاحبا فأراد ان يرينا أنه قد حقره .

«فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون» هذا الاسترجاع فى غايه الارتفاع هنا، لأنّه دالّ بالالتزام على أن صيروره الناس الأحياء إلى كذا و كذا مصيبه معنويه عظيمه جدا، و ينبغى الاسترجاع منها .

«ظهر الفساد فلا منكر متغير» هكذا في (المصريه) (١)، و لكن في (ابن أبي الحديد) (مغير) (٢)، فهو الصحيح.

و في (البيان): قال النبي ﷺ «آله: إن قوما ركبوا سفينه في البحر فاققسموا فصار لكل رجل منهم موضع، فنقر رجل منهم موضعه بفأس، فقالوا له: ما تصنع؟ فقال: هو مكاني، أصنع فيه ما شئت، فإن أخذوا على يديه نجا و نجوا، و إن تركوه هلك و هلكوا.

و في (الطبري): قام الحسين عليه السلام بذي حسم فقال: أ لا ترون أن الحق لا يعمل به و أن الباطل لا يتناهى عنه، ليرغب المؤمن في لقاء الله محققا فإنني لا أرى الموت إلا شهادة و لا الحياه مع الظالمين إلا برما» (٣).

و فيه أيضا خطب الحسين عليه السلام أصحابه و أصحاب الحر بالبيضة فقال:

أيها الناس! إن رسول الله ﷺ عليه و آله قال: من رأى سلطانا جائرا مستحلا لحرم الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسوله، يعمل في عباده بالإثم و العدوان، فلم يغير عليه بفعل و لا قول، كان حقا على الله أن يدخله مدخله. ألا و إن هؤلاء قد لموا طاعه الشيطان، و تركوا طاعه الرحمن، و أظهروا الفساد، و عطلوا الحدود، و استأثروا بالفىء، و أحلوا حرام الله و حرموا حلاله، و أنا أحق من غير، و قد أتتني كتبكم و رسلكم أتكم لا- تسلموني و لا- تخذلوني، فإن تمتمت على بيعتكم تصيبوا رشدكم، فأنا الحسين بن عليّ و بن فاطمه بنت رسول الله، نفسي مع أنفسكم، و أهلي مع أهليكم، فلکم في أسوه، و إن لم تفعلوا و نقضتم عهدكم و خلعتم بيعتي من أعناقكم، فلعمري ما هي

ص: ١٨٤

١-١) نهج البلاغه ٢:١٧، [١] من الخطبه ١٢٩.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٨:٢٤٤، الخطبه ١٢٩.

٣-٣) تاريخ الطبري ٥:٤٠٤. [٢]

منكم بنكر، لقد فعلتموها بأبي و أخي و ابن عمي مسلم، و المغرور من اغترّ بكم، فحظكم أخطأتم، و نصيبكم ضيَعتم، و من نكث فإنما ينكث على نفسه... (١).

و روى بعض المقاتل: أنه عليه السلام كتب بهذا إلى سليمان بن صرد و جماعه معه كانوا كتبوا إليه دعوه.

«و لا- زاجر مزدجر» ازدجر: يأتي لازما و متعديا، و هنا لازم ففي (الصحاح) الزجر المنع و النهي، يقال زجره و ازدجره فانزجر و ازدجر (٢).

قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: إذا أمتى توأكلت الأمر بالمعروف و النهي عن المنكر فليأذنوا بوقاع من الله.

و قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: كيف بكم إذا فسدت نساؤكم، و فسق شبانكم و لم تأمروا بالمعروف، و لم تنهوا عن المنكر؟ فقيل له: و يكون ذلك يا رسول الله؟ فقال:

و شرّ من ذلك، كيف بكم إذا أمرتم بالمنكر و نهيتم عن المعروف؟ فقيل له:

و يكون ذلك يا رسول الله؟ قال: نعم، و شرّ من ذلك، إذا رأيتم المعروف منكرا و المنكر معروفا (٣).

«أ فبهذا تريدون أن تجاوروا الله في دار قدسه و تكونوا أعز أوليائه عنده» كاليهود الذين كانوا يقولون: نحن أولياء الله و أحبّاءه.

قال يحيى بن معاذ: عمل كالسراب، و قلب من التقوى خراب، و ذنوب بعدد الرمل و التراب، ثم تطمع في الكواعب الأتراب؟ هيهات، أنت سكران بغير شراب.

ص: ١٨٥

١-١ (١) تاريخ الطبري ٤٠٣:٥. [١]

٢-٢ (٢) الصحاح للجوهري ٦٦٨:٢. [٢]

٣-٣ (٣) الكافي ٥٩:٥ ح ١٣ و ١٤. [٣]

«هيهات لا- يخذع الله عن جنته» «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهِدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ» (١)، «أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزَلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ» (٢).

«و لا تنال مرضاته إلا بطاعته» «وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُمْ مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا» (٣).

«لعن الله الآمرين بالمعروف التاركين له» «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» (٤).

«و الناهين عن المنكر العاملين به» «وَ مَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ» (٥).

و في (الحليه) عن النبي ﷺ عليه و آله: يجاء بالأمر يوم القيامة فيلقى في النار فيطحن فيها كما يطحن الحمار بطاحونته، فيقال له: أ لم تكن تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر؟ قال: بلى، و لكن لا أفعله (٦).

٣

الخطبه (٢٢٨)

وَ اعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْكُمْ فِي زَمَانٍ - الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ - وَ اللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ - وَ اللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ - أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ -

ص: ١٨٦

[١- ١] آل عمران: ١٤٢. [١]

[٢- ٢] البقره: ٢١٤. [٢]

[٣- ٣] الحجرات: ١٤. [٣]

[٤- ٤] البقره: ٤٤. [٤]

[٥- ٥] هود: ٨٨. [٥]

[٦- ٦] حليه الأولياء ١١٢: ٤، و فيه: «...بلى و لكن لم أكن أفعله».

مُضِيَّ طَلْحُونَ عَلَى الْأَذْهَانِ فَتِيَاهُمْ عِيَارٌ - وَ شَائِبُهُمْ آثِمٌ وَ عِيَالُهُمْ مُنَافِقٌ - وَ قَارِنُهُمْ مُمَادِقٌ لَا يُعْظَمُ صِيغِيهِمْ كَبِيرُهُمْ - وَ لَا يُعُولُ غَنِيَّهُمْ فَقِيرُهُمْ «و اعلموا رحمكم الله» الخطاب فيه لأصحابه.

«أنكم في زمان القائل فيه بالحق قليل» عن الصادق عليه السلام: ما ناصح الله عبد مسلم في نفسه فأعطى الحق منها و أخذ الحق لها إلا أعطى خصلتين: رزقا من الله تعالى يقنع به، و رضى عن الله ينجيّه.

و عن الباقر عليه السلام: المؤمن الذى إذا رضى لم يدخله رضاه فى إثم و لا باطل، و إذا سخط لم يخرجّه سخطه من قول الحق، و إذا قدر لم تخرجه قدرته إلى التعدى و إلى ما ليس له بحق (١).

و حكى تعالى عن داود «وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَّا هُمْ» (٢) و قله قول الحق بمقدار غلبه سلطان الباطل، فكلما كانت أكثر كان أقل.

و فى (الطبرى): بلغ المغيره - و كان أميراً على الكوفة من قبل معاوية - أن صعصعه بن صوحان يعيب عثمان و يكثر ذكر على عليه السلام و يفضّله، فدعاه و قال له: اياك أن يبلغنى عنك أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، و اياك أن يبلغنى عنك أنك تظهر شيئا من فضل على علانيه، فإنك لست بذاكر من فضل على شيئا أجهله، بل أنا أعلم بذلك، و لكن هذا السلطان قد ظهر و قد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيرا مما أمرنا به، و نذكر الشىء الذى لا نجد بدا منه، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّه، فإن كنت ذاكرا فضيله فاذاكرها

ص: ١٨٧

١ - ١) أخرجه الكليني فى الكافي ١٢، ٢٢٤: ٢. [١]

٢ - ٢) ص: ٢٤.

بينك و بين أصحابك و فى منازلكم سرّاً، و أمّا علانيه فى المسجد فإنّ هذا لا يحتمله السلطان لنا و لا يعذرنا فيه. فكان يقول له: نعم أفعل، ثم يبلغه عنه أنه قد عاد إلى ما نهاه عنه... (١).

«و اللسان عن الصدق كليل» من كلّ السيف: نبا.

فى (الكافى): قال النبىّ صلّى الله عليه و آله: ما يزال العبد يصدق حتى يكتبه الله صدّيقاً، و لا يزال العبد يكذب حتى يكتبه الله كذّاباً.

و قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لا يجد عبد طعم الإيمان حتى يترك الكذب هزله و جدّه.

و قال الباقر عليه السّلام: الكذب هو خراب الإيمان.

و قال عليه السّلام: جعل تعالى للشر أقفالا، و مفاتيح تلك الأقفال الشراب، و الكذب شرّ من الشراب.

و قال عليه السّلام: أول من يكذب الكذاب الله عزّ و جلّ، ثم الملكان اللذان معه، ثم هو يعلم أنه كاذب (٢).

«و اللازم للحقّ دليل» لفره الناس عن الحق، و هو سبب عدم استحكام أمر سلطنته عليه السّلام، لأنه كان ملتزماً الحق فى أقواله و أعماله، فتركوه يوم السقيفه لتتمّره فى ذات الله تعالى، كما قالت الصدّيقه عليها السّلام (٣)، و لم يبايعوه يوم الشورى لعدم قبوله سنّه صدّيقهم و فاروقهم، و هجروه أيام قيامه لتسويته بين الأشراف و غيرهم .

«أهله معتكفون على العصيان» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السّلام قال:

ص: ١٨٨

١- ١) تاريخ الطبرى ١٨٨: ٥-١٨٩، طبعه بيروت، [١] دار سويدان.

٢- ٢) الكافى للكلىنى ٣٣٨: ٢-٣٤٠ ح ١١، ٤، ٣، ٢. [٢]

٣- ٣) رواه الجوهرى فى السقيفه: ١١٨، و [٣] ابن بابويه فى معانى الأخبار: ٣٥٥، و ابن رستم فى الدلائل: ٤٠.

إذا أخذ القوم في معصية الله تعالى فإن كانوا ركباناً كانوا من خيل إبليس، وإن كانوا رجالة كانوا من رجالاته (١).

«و مصطلحون على الإدهان» روى (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال: ما أقر قوم بالمنكر بين أظهرهم لا يعيرونه إلا أو شك أن يعمهم الله بعقاب من عنده.

وقال عليه السلام: قال النبي صلى الله عليه وآله: سيأتي على أمتي زمان تخبث فيه سرائرهم، وتحسن فيه علانيتهم طمعا في الدنيا، لا يريدون به ما عند الله تعالى، يكون أمرهم رياء لا يخالطهم خوف، يعمهم الله بعقاب، فيدعونه دعاء الغريق، فلا يستجاب لهم (٢).

الإدهان: المصانعة، قال تعالى «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» (٣).

«فتاهم عارم» أي: شرس سيئ الخلق.

«و شائبهم آثم» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: الرجم في القرآن: إذا زنى الشيخ و الشيخة فارجموهما البتة فانهما قضيا الشهوه (٤).

وقال الشاعر:

سواء كأسنان الحمار فلا ترى لذي شبيه منهم على ناشيء فضلا

«و عالمهم منافق» في (عقاب الأعمال) عن الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه وآله:

سيأتي على أمتي زمان لا يبقى من القرآن إلا رسمه، و من الإسلام إلا اسمه، يسمون به و هم أبعد الناس منه، مساجدهم عامره و هي خراب من الهدى، فقهاء ذلك الزمان شرّ فقهاء تحت ظل السماء، منهم خرجت

ص: ١٨٩

١-١) عقاب الأعمال: ٣٠١ ح ٥.

٢-٢) عقاب الأعمال: ٣١٠ ح ١ و ٣٠١ ح ٣.

٣-٣) القلم: ٩. [١]

٤-٤) الكافي ١٧٧: ٧ ح ٣. [٢]

الفتنة و إليهم تعود (١).

«و قارئهم مماذق» الأصل في المذق: اللبن الممزوج بالماء. قال الجوهري:

و منه «فلان يمدق الود» إذا لم يخلصه، فهو مَذَّق و مماذق (٢).

في (العقاب) عن الصادق عليه السلام: إن علياً عليه السلام قال: إن في جهنم رحي تطحن، أ فلا تسألوني ما طحنها؟ فقيل: ما طحنها يا أمير المؤمنين؟ فقال: العلماء الفجرة، و القراء الفسقة، و الجبابرة الظلمة، و الوزراء الخونة، و العرفاء الكذبة (٣).

و قال شاعر:

تصوّف كي يقال له أمين و ما يعنى التصوّف و الأمانة

.....و لكن اراد به الطريق إلى الخيانة

«لا يعظّم صغيرهم كبيرهم» من جوامع كلمات النبي ﷺ عليه و آله: ليس منّا من لم يرحم صغيرنا و يوف حق كبيرنا (٤).

و في (ثواب الأعمال): قال النبي ﷺ عليه و آله: من عرف فضل شيخ كبير فوقه لسنته آمنه الله من فرع يوم القيامة. و قال: من تعظيم الله إجلال ذى الشبيه المؤمن (٥).

«و لا يعول غنيهم فقيرهم» «و لَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ» (٦).

هذا، و روى عن النبي ﷺ عليه و آله: يأتي على الناس زمان و جوههم و جوه

ص: ١٩٠

١-١) عقاب الأعمال: ٣٠١ ح ٤.

٢-٢) الصحاح للجوهري ١٥٥٣: ٤. [١]

٣-٣) عقاب الأعمال: ٣٠٢ ح ١.

٤-٤) أخرجه الكافي ١٦٥: ٢ ح ٢، [٢] عن الصادق عليه السلام لا عن النبي ﷺ عليه و آله.

٥-٥) ثواب الأعمال: ٢٢٤ ح المدثر ١.

٦-٦) ٤٤.



الآدميين و قلوبهم قلوب الشياطين، سفاكين للدماء لا يرعون عن قيح، إن بايعتهم أربوك، و إن ائمتهم خانوك، صبيهم عارم، و شائبهم شاطر، و شيخهم لا يأمر بمعروف و لا ينهى عن منكر، السنه فيهم بدعه و البدعه فيهم سنه، و ذو الأمر منهم غاو، فعند ذلك يسلط الله عليهم شرارهم فيدعو خيارهم فلا يستجاب لهم (١).

٤

خطبه (٤١)

و من خطبه له عليه السلام:

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ وَ لَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْفَى مِنْهُ - وَ لَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعِ - وَ لَقَدْ أَضَيَّ بَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْعُدْرَ كَيْسًا - وَ نَسِيَ بِهِمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ - مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ - قَدْ يَرَى الْحَوْلُ الْقَلْبَ وَجَهَ الْحِيلَةِ وَ دُونَهَا مَانِعٌ - مِنْ أَمْرِ اللَّهِ وَ نَهْيِهِ - فَيَدْعُهَا رَأَى عَيْنٍ بَعِيدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا - وَ يَنْتَهِزُ فُرْصَةَ تَهَا مِنْ لَأ - حَرِيحَهُ لَهُ فِي الدِّينِ «ان الوفاء توأم الصدق»  
التوأم: أصله ولد تضعه امه مع آخر في بطن.

قال الخليل: هو فوعل، لأن أصله و وأم، فأبدل من الاولى تاء كما في (تولج) بالفتح (٢).

ذكر عليه السلام صفتين شريفتين: الوفاء و الصدق، و جعلهما توأمين لأن كلا منهما شعبه من الآخر، فالوفاء بالعهد صدق عملي، و منشؤهما واحد و هو شراف النفس، فكأنهما كما قيل:

ص: ١٩١

١ - ١) جامع الأخبار: ٣٥٥، ٩٩٢. باختلاف يسير، [١] مؤسسه آل البيت عليهم السلام - قم، مجمع الزوائد ٧: ٢٨٦، باختلاف يسير، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢ - ٢) لسان العرب لابن منظور ٦٢٨، ٦٢: ١٢، [٢] ماده (تأم، و أم).

رضيحي لبان ثدى أم تحالفا بأسحم داج عوض لا يتفرق

و الصدق شرافه معلوم، و يكفى فيه قوله تعالى: «و كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» (١)، «يَوْمَ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ» (٢)، و الوفاء مثله. و قال صلى الله عليه و آله:

بعثت بوفاء العهد مع البرّ و الفاجر.

و فى (تنبيه المسعودى): ذكر أبو عبيده معمر بن المثنى فى كتابه الموسوم ب(الديباج) أوفياء العرب، فعّد السموأل بن عاديا الغسانى، و الحارث بن ظالم المرى، و عمير بن سلمى الحنفى. و لم يذكر هانيا، و هو أعظم العرب وفاء، و أعزّهم جوارا، و أمنعهم جارا، لأنه عزّض نفسه و قومه للحتوف، و نعمهم للزوال، و حرّمهم للسبى، و لم يخفر أمانته، و لا ضيع وديعته (٣).

و فى (أمثال الكرمانى): يقال «أوفى من الحرث بن ظالم»، كان من وفائه أنّ عياض بن ديهث مر برعاء الحرث و هم يسقون، فسقى فقصر رشأوه فاستعار من أرشييه الحرث فوصل رشأه فأروى إبله، فأغار عليه بعض جشم النعمان فاطردوا إبله، فصاح عياض يا «حار»! يا جارا! فقال له الحرث:

و متى كنت جارك؟ قال: وصلت رشائى برشائك فسقيت إبلى و أغير عليها، أ فلا تشدّ ما و هى من أديمك؟- يريد أن الحرث قتل خالد بن جعفر بن كلاب فى جوار الأسود ابن المنذر- فقال الحرث: هل تعدون الحلبة إلى نفسى؟ فأرسلها مثلا- أى: إنك لا تهلك إلا نفسى إن قتلتها- فتدبر النعمان كلمته فردّ على عياض أهله و ماله، و قال الفرزدق فى ذلك، يضرب مثلا لسليمان بن

ص: ١٩٢

١-١ (١) التوبه: ١١٩. [١]

٢-٢ (٢) المائده: ١١٩. [٢]

٣-٣ (٣) التنبيه و الاشراف: ٢٠٩. [٣]

عبد الملك حين وفي ليزيد ابن المهلب:

لعمري لقد أوفى -و زاد وفاؤه على كل حال جار آل المهلب

كما كان أوفى إذ ينادى ابن ديهث و صرتمه كالمغنم المنتهب

فقام أبو ليلى إليه ابن ظالم و كان متى ما يسئل السيف يضرب (١)

و يقال «أوفى من الحرث بن عباد» أسر عدى بن ربيعة فى يوم قرضه و لم يعرفه، فقال له: دلنى على عدى. فقال له: إن أنا دللتك عليه تؤمننى؟ قال:

نعم. فقال: أنا عدى، فخلاه و قال:

لهف نفسى على عدى و قد أشعب للموت و احتوته اليدان (٢)

«و أوفى من السموأل» استودعه امرؤ القيس لما أراد الخروج إلى قيصر دروعا، فلما مات امرؤ القيس غزاه ملك من ملوك الشام، فتحرز منه السموأل فأخذ الملك ابنا له -و كان خارجا من الحصن- فصاح به: هذا ابنك فى يدى و امرؤ القيس ابن عمى و من عشيرتى، فإن دفعت إلى الدروع و إلا - ذبحت ابنك. قال: أجنلى. فأجله، فجمع أهل بيته و نساءه فشاورهم فكل أشار إليه أن يدفع الدروع و يستنقذ ابنه، فأشرف عليه و قال: ليس إلى دفع الدروع سبيل، فاصنع ما أنت صانع، فذبح الملك ابنه و هو مشرف ينظر إليه، ثم انصرف الملك بالخبيه فوافى السموأل بالدروع الموسم فدفعها إلى ورثه امرىء القيس و قال:

ص: ١٩٣

١- ١) مجمع الأمثال للميدانى ٣٧٦-٢: ٣٧٧. [١]

٢- ٢) مجمع الأمثال للميدانى ٣٧٨: ٢. [٢]

وفيت بأدرع الكندي إنني إذا ما خان أقوام وفيت

و قالوا إنه كنز رغب و لا و الله أغدر ما مشيت

بنى لى عاديا حصنا حصينا و بئرا كلما شئت استقيت (١)

«عاديا»:جده.

«أوفى من عوف بن محلم و ابنته خماعة»غزا مروان القرظ-سمي بالقرظ لأنه كان يغزو اليمن و هى منابت القرظ-بكر بن وائل فقصوا أثر جيشه فأسره رجل منهم و هو لا يعرفه،فأتى به امه فقالت له:إنك لتختال بأسيرك كأنك جئت بمروان القرظ.فقال لها مروان:و ما ترتجين من فدائه؟قالت:مئة بعير.قال:ذلك لك على أن تؤديني إلى خماعة بنت عوف بن محلم،و كان السبب فى ذلك أن خماعة كانت امرأه لىث بن مالك،و لما مات لىث أخذت بنو عبس ماله و أهله،و كان الذى أصاب أهله خماعة عمرو بن قارب و ذؤاب بن أسماء،فسألها مروان القرظ من أنت؟قالت:خماعة بنت عوف،فانتزعها من عمرو و ذؤاب-لأنه كان رئيس القوم-و قال لها:غطى وجهك حتى أردك إلى أبيك،و قيل:اشتراها منهنما بمائه من الإبل،فحملها إلى عكاظ،فلما انتهى إلى منازل بنى شيبان قالت:هذه منازل قومي و هذه قبه أبى.قال:فانطلقى إلى أبيك،و قال:

رددت على عوف خماعة بعد ما خلاها ذؤاب غير خلوه خاطب

فمضت به إلى خماعة و كان عمرو بن هند وجد على مروان فى أمر فآلى أن لا يعفو عنه حتى يضع يده فى يده،فبعث عمرو إلى عوف أن يأتيه به، فقال:قد أجارته ابنتى و ليس إليه سبيل.فقال عمرو:قد آليت كذا و كذا.فقال

ص:١٩٤

عوف: يضع يده فى يدك على أن تكون يدى بينهما، فأجابه عمرو إلى ذلك (١).

«و لا أعلم جنه أوقى منه» الجنه-بالضم- ما يوقيك عن الأسلحه.

قال الخوئى فى الأثر: ان النعمان بن المنذر قد جعل له يومين يوم بؤس من صادفه فيه قتله، و يوم نعيم من لقيه فيه أحسن إليه و أغناه، و كان رجل من طى قد خرج ليطلب الرزق لأولاده، فصادفه النعمان فى يوم بؤسه، فعلم الطائى أنه مقتول فقال: حيا الله الملك! إن لى صبيه صغارا و لم يتفاوت الحال بين قتلى أول النهار و آخره، فإن رأى الملك أن أوصل إليهم هذا القوت و أوصى بهم أهل المروه من الحى ثم أعود. فقال النعمان: فإن يضمّنك رجل إن لم ترجع قتلناه، و كان شريك بن عدى نديم النعمان. فقال: أنا أضمنه، فمضى الطائى مسرعا و صار النعمان يقول لشريك: جاء وقتك فتأهب للقتل.

فقال: ليس على سبيل حتى يأتى المساء، فلما قرب المساء قال: تأهب. قال: هذا شخص قد لاح مقبلا، فلما قرب إذا هو الطائى قد اشتد فى عدوه. و قال: خشيت أن ينقضى النهار قبل وصولى، مر بأمرك أيها الملك. فأطرق النعمان ثم رفع رأسه فقال: ما رأيت أعجب منكما، أما أنت يا طائى فما تركت فى الوفاء مقاما لأحد يفتخر به، و أما أنت يا شريك، فما تركت لكريم سماحه يذكر بها فى الكرماء، فلا أكون أنا ألام الثلاثه، ألا و إنى رفعت يوم بؤسى عن الناس بوفاء الطائى و كرم شريك (٢).

قلت: و فى (الطبرى) فى وقائع (٥٨) حبس ابن زياد فىمن حبس مرداس بن اديه، فكان السجنان يرى عبادته و اجتهاده و كان يأذن له فى الليل فىنصرف، فإذا طلع الفجر أتاه حتى يدخل السجن، و كان صديق لمرداس يسامر ابن

ص: ١٩٥

١- ١) مجمع الأمثال للميدانى ٣٧٥:٢-٣٧٦. [١]

٢- ٢) شرح الخوئى ٢:٤٩.

زياد، فذكر ابن زياد ليله الخوارج، فعزم على قتلهم إذا أصبح فانطلق صديق مرداس إلى منزل مرداس، فأخبرهم وقال: أرسلوا إليه في السجن فليعهد فإنه مقتول فسمع ذلك مرداس وبلغ الخبر صاحب السجن، فبات بليته سوء إشفاقاً من أن يعلم الخبر مرداس فلا يرجع، فلما كان الوقت الذي كان يرجع فيه إذا به قد طلع فقال له السجنان: هل بلغك ما عزم عليه الأمير؟ قال: نعم. قال: ثم غدوت؟ قال: نعم و لم يكن جزاؤك مع احسانك أن تعاقب بسببي، وأصبح عبيد الله فجعل يقتل الخوارج ثم دعا بمرداس، فلما حضر وثب السجنان -و كان ظئراً لعبيد الله- فأخذ بقدمه ثم قال: هب لي هذا. وقص عليه قصته، فوهبه له وأطلقه (١).

«و لا يغدر» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (و ما يعذر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«من علم كيف المرجع» أي: كيف مرجع الغادر في الدنيا من الخزي و في الاخره من العقاب، أما خزي الدنيا ففي (وزراء الجهشياري): لما قوى أمر بني العباس قال مروان بن محمد لعبد الحميد كاتبه: إننا نجد في الكتب أن هذا الأمر زائل عنا لا محاله، و سيضطر إليك هؤلاء -يعني بني العباس- فصر إليهم فإنني أرجو أن تتمكن منهم فتنفغنني في مخلفي و في كثير من أسبابي. فقال له:

و كيف لي بأن يعلم الناس أن هذا عن رأيك و كلهم يقول إنني غدرت و سرت إلى عدوك، و الذي أمرتني به أنفع الأمرين لك و أقبحهما لي، و أنشد:

أسرّ و فاء ثم أظهر غدره فمن لي بعذر يوسع الناس ظاهره (٤)

ص: ١٩٤

١-١) تاريخ الطبري ٣١٣:٥، [١] نقله المصنف بتصرف.

٢-٢) نهج البلاغه ٨٨:١، من الخطبه ٤١.

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ٣١٢:٢، ابن ميثم (الطبع الحجري) ١٥٨:٢، هكذا في السطر الخامس.

٤-٤) الوزراء و الكتاب للجهشياري: ٥١. [٢]

و في (أمثال الكرمانى): نزل أنيس بن مرداس السلمى فى صرم من بنى سليم بعثيه بن الحارث، فشدّ على أموالهم فأخذها و ربط رجالها حتى افتدوا، فقال العباس بن مرداس أخوه:

كثر الضجاج و ما سمعت بغادر كعتيبه بن الحارث بن شهاب

جلت حنظله الدناءه كلها و دنست آخر هذه الأحقاب (١)

و أما عقاب الآخره ففى (الكافى) قال أمير المؤمنين عليه السّلام: لو لا كراهيه الغدر لكنت من أدهى الناس، ألا إنّ كلّ غدره فجره و كلّ فجره كفره، ألا و ان الغدر و الفجور و الخيانه فى النار (٢). و زاد النهج: و لكل غادر لواء يعرف به يوم القيامه (٣).

و عن (غارات الثقفى): ذكر المغيره بن شعبه عند علىّ عليه السّلام فقال: و ما المغيره؟ إنما كان إسلامه لفجره و غدره بنفر من قومه، فهرب، فأتى النّبىّ صلّى الله عليه و آله كالعائذ بالإسلام، و الله ما رئى عليه منذ ادّعى الإسلام خضوع و لا خشوع (٤).

و فى (النهج) قال عليه السّلام فى مروان لما أخذ أسيرا و كلّمه الحسنان عليهما السّلام فى أن يبّاعه: لا حاجه لى فى بيعته إنّها كفّ يهوديه لو بايعنى بكفه لغدر بسبته، أما إنّ له إمراه كلعقه الكلب أنفه، و هو أبو الأكبش الأربعة، و ستلقى الامه منه و من ولده يوما أحمر (٥).

و فيه أيضا قال عليه السّلام للأشعث: و ان امرأ دلّ على قومه السيف، و ساق إليهم

ص: ١٩٧

١-١) مجمع الأمثال للكرمانى: ٤٤٠. [١]

٢-٢) الكافى للكلينى ٢: ٣٣٨، ٦. [٢]

٣-٣) نهج البلاغه [٣] ٢: ٢٠٦، من الخطبه رقم ٢٠٠.

٤-٤) الغارات للثقفى ٢: ٥١٦، و [٤] فيه: خضوعا و لا خشوعا (بالنصب).

٥-٥) نهج البلاغه ١: ١٢٠، الخطبه رقم ٧٣. [٥]

الحتف، لحرى أن يمقته الأقرب، و لا يأمنه الأبعد.

قال الرضى: و كان قومه بعد ذلك يسمونه «عرف النار»، و هو اسم للغادر عندهم (١).

«و لقد أصبحنا فى زمان قد اتخذ أكثر أهله الغدر كيسا» عن عمرو بن العلاء كانت بنو سعد بن تميم أغدر العرب، و كانوا يسمون الغدر فى الجاهليه كيسان فليل فيهم:

إذا كنت فى سعد و خالك منهم غريبا فلا يغرك خالك من سعد

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أولى من شبابهم المرد (٢)

و قال الأخطل فى نابغه بنى جعده:

قبيله يرون الغدر مجدا و لا يدرون ما نقل الجفان

قالوا: أشار إلى قتل ورد و الرقاد الجعدين لشراويل الجعفى غدرا، و قال آخر:

إذا أشرف المعجان ركب بدت له بيوت بنى ورد مجاورها الغدر

و فى (مقاتل أبى الفرج): قال أبو إسحاق: سمعت معاويه بالنخيله يقول:

ألا إن كل شىء أعطيته الحسن بن على تحت قدمى هاتين. قال أبو إسحاق:

و كان و الله غدارا (٣).

هذا، و فى (عيون ابن بابويه) عن محمد بن يحيى الصولى: إن العباس بن الأحنف خال جدّه قال فى جدّته لأبيه المسّماه بغدر:

ص: ١٩٨

١- ١) نهج البلاغه ١: ٥٢ و ٥٣، [١] من الخطبه ١٩، و لم يكن فيه كلام السيد الرضى رضى الله عنه، و وجدناه فى نهج البلاغه

[٢] بتحقيق الدكتور صبحى الصالح: ٦٢.

٢- ٢) لسان العرب ١٢: ٢٠١، بتحقيق على [٣] شيرى.

٣- ٣) مقاتل الطالبين لأبى الفرج الاصبهانى: ٤٥.



«و نسبهم أهل الجهل فيه إلى حسن الحيله، ما لهم قاتلهم الله قد يرى الحَوْل القلب» الحَوْل بتشديد الواو: البصير بتحويل الامور.

«وجه الحيله و دونه مانع من أمر الله و نهيهِ فيدعها، رأى عين بعد القدره عليها و ينتهز» أى: يغتنم.

«فرصتها من لا حريجه» اسم مصدر لقولهم «تخرج فلان» إذا فعل فعلا يخرج به من الحرج، أى: الإثم و الحرام.

«له فى الدين» فى زيارته عليه السّلام الغديرية «و كم من أمر صدك عن إمضاء عزمك فيه التّقى، و اتبع غيرك فى مثله الهوى، فظن الجاهلون أنك عجزت عما إليه انتهى، ضلّ و الله الظانّ لذلك و ما اهتدى، و لقد أوضحت ما أشكل من ذلك لمن توهم و امترى، بقولك- صلّى الله عليك- «قد يرى الحَوْل القلب وجه الحيله و دونه حاجز من تقوى الله فيدعها رأى عين و ينتهز فرصتها من لا حريجه له فى الدين» صدقت، و خسر المبطلون (٢).

٥

من الخطبه (٩٩)

و منها:

وَ ذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُومِهِ - إِنَّ شَهِدَ لَمْ يُعْرِفْ وَ إِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقِدْ - أَوْلِيكَ مَصَابِيحَ الْهُدَى وَ أَعْلَامَ السَّرَى -  
لَيْسُوا بِالْمَسَابِيحِ وَ لَا الْمَذَابِيحِ الْبُدْرِ - أَوْلِيكَ يَفْتَحُ اللَّهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ - وَ يَكْشِفُ عَنْهُمْ ضُرَاءَ نِقْمَتِهِ - أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ  
زَمَانٌ - يُكْفَأُ فِيهِ

ص: ١٩٩

١- ١) عيون الصدوق ١٧٧: ٢. [١]

٢- ٢) البحار ٣٦٥: ١٠٠. [٢]

الإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَى الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ - أَيُّهَا النَّاسُ - إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يُجُورَ عَلَيْكُمْ - وَلَمْ يُعَذِّبْكُمْ مِنْ أَنْ يَتَّبِعَكُمْ - وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ - «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» (١) قال الشريف قوله عليه السَّلام «كل مؤمن نومه» أراد به الخامل الذكر القليل الشر، و«المساييح» جمع مسياح، وهو الذى يسبح بين الناس بالفساد و النمام و«المذايع» جمع مذياع، وهو الذى إذا سمع لغيره بفاحشه أذاعها و نوه بها، و«البذر» جمع بذور، وهو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقته.

أقول: و رواه أبو عبيد القاسم بن سلام فى (غريبه أبو عبيد القاسم بن سلام-غريب الحديث-ج ٢ ص ١٤٥، دار الكتب العلميه، بيروت) مع اختلاف يسير (٢).

(و منها) هكذا فى (المصريه) (٣) و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤) (منها) و هو الصحيح و إن كان العطف فيه- لكونه ثانيا- صحيحا.

«و ذلك زمن» هكذا فى (المصريه) (٥) و الصواب: زمان كما فى الثلاثه (٦).

«لا- ينجو فيه الا كل مؤمن نومه» فى (نهايه ابن الأثير): فى حديث على عليه السَّلام «انه ذكر آخر الزمان و الفتن ثم قال: خير أهل ذلك الزمان كل مؤمن نومه» النومه بوزن الهمزه، الخامل الذى لا يؤبه له، و قيل الغامض فى الناس الذى لا يعرف الشر و أهله، و قيل النومه بالتحريك الكثير النوم، و أما الخامل الذى لا- يؤبه به، فهو بالتسكين، فمن الاول حديث ابن عباس قال لعلى عليه السَّلام: ما النومه؟

ص: ٢٠٠

١- (١) المؤمنون: ٣٠. [١]

٢- (٢) غريب الحديث ١٤٥: ٢، [٢] دار الكتب العلميه، بيروت.

٣- (٣) نهج البلاغه ١: ١٩٨، من الخطبه رقم ١٠٣.

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ٧: ١٠٩، و ابن ميثم (الطبع الحجرى): ١٥٦، هكذا.

٥- (٥) نهج البلاغه ١: ١٩٨، من الخطبه رقم ١٠٣.

٦- (٦) شرح ابن أبى الحديد ٧: ١٠٩، و ابن ميثم (الطبع الحجرى هكذا): ١٥٦.

قال:الذى يسكت فى الفتنة فلا يبدو منه شىء (١).

«ان شهد لم يعرف و ان غاب لم يفتقد» هو تفسير للمراد من «النومه».

و عن الصادق عليه السلام:طوبى لعبد نومه،عرف الناس فصاحبهم ببدنه و لم يصاحبهم فى أعمالهم بقلبه،فعرفهم فى الظاهر و لم يعرفوه فى الباطن .

«أولئك مصايح الهدى» المصباح:السراج . «و أعلام السرى» فى (النهايه):

فى حديث جابر قال له:ما السرى يا جابر؟أى:ما أوجب مجيئك فى هذا الوقت «السرى»:السير بالليل (٢).

«ليسوا بالمسايح»فى (النهايه):فى الخبر«لا سياحه فى الاسلام»ساح فى الأرض يسبح سياحه:إذا ذهب فيها،و أصله من السبح،و هو الماء الجارى المنبسط على الأرض،أراد مفارقه الأمصار،و قيل أراد الذين يسبحون فى الأرض بالشرّ و النميمه و الإفساد بين الناس،و منه حديث على عليه السلام «ليسوا بالمسايح البذر» أى:الذين يسعون بالشرّ و النميمه،و قيل:هو من التسيح فى الثوب،و هو أن يكون فيه خطوط مختلفه (٣).

«و المذايع البذر»فى (النهايه)فى ذاع:فى حديث على عليه السلام فى وصف الأولياء«ليسوا بالمذايع البذر»المذايع جمع مذيع من أذاع الشىء إذا أفشاه،و قيل أراد الذين يشيعون الفواحش،و هو بناء مبالغه.و فى «بذر»فى حديث فاطمه عليها السلام عند وفاه النبى قالت لعائشه:«إنى إذن لبذره»البذر الذى يفشى السرّ و يظهر ما يسمعه،و منه حديث على عليه السلام «ليسوا بالمذايع البذر»جمع بذور،و يقال:بذرت الكلام بين الناس

ص:٢٠١

١-١) النهايه ١٣١:٥، ( [١]نوم).

٢-٢) النهايه ٣٦٤:٢، ( [٢]سرى).

٣-٣) النهايه ٤٣٢:٢، ( [٣]يسح).

كما تبذر الحبوب» أي: أفضيته و فرقه (١).

و في (الكافي) عن الباقر عليه السلام قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: يا معشر من أسلم بلسانه و لم يسلم بقلبه! لا تتبعوا عثرات المؤمنين، فإنه من تتبع عثرات المسلمين تتبع الله عثراته، و من تتبع الله عثراته يفضحه (٢).

«أولئك يفتح الله لهم أبواب رحمته، و يكشف عنهم ضرّاء نعمته» في (الكافي) عن الباقر عليه السلام: إن الله ليدفع بالمؤمن من الواحد عن القرية الفناء.

و عن الصادق عليه السلام: قيل له إذا نزل العذاب بقوم يصيب المؤمنين؟ قال: نعم و لكن يخلصون بعده (٣).

«أيها الناس سيأتي عليكم زمان يكفأ فيه الاسلام كما يكفأ الإناء بما فيه» في (النهاية): في الحديث «لا تسأل المرأة طلاق أختها لتكتفي ما في إناؤها» هو تفتعل من «كفأت القدر» إذا كببتها لتفرغ ما فيها، يقال «كفأت الإناء و أكفأته» إذا كبته و إذا أملتته. و هذا تمثيل لإماله الضرّه حقّ صاحبها من زوجها إلى نفسها إذا سألت طلاقها (٤).

«أيها الناس! إن الله» هكذا في (المصريه) (٥) و الصواب: (ان الله تعالى) كما في الثلاثة (٦) «قد أعاذكم من أن يجور عليكم» و ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ (٧)، «إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَ لَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ» (٨)، «وَ مَا أَصَابَكُمْ مِنْ»

ص: ٢٠٢

١-١ (١) النهاية ١٧٤:٢ و ١١٠:١. [١]

٢-٢ (٢) الكافي ٣٥٥،٤:٢. [٢]

٣-٣ (٣) الكافي ٢٤٧،١:٢ و ٣:٣. [٣]

٤-٤ (٤) نهج البلاغه ١٩٨:١، من الخطبه رقم ١٠٣.

٥-٥ (٥) النهاية ١٨٢:٤، (كفأ).

٦-٦ (٦) شرح ابن أبي الحديد ٧:١١٠، و [٤] ابن ميثم (الطبع الحجري): ١٥٦، هكذا.

٧-٧ (٧) فصلت: ٤٦. [٥]

٨-٨ (٨) يونس: ٤٤. [٦]

«مُصِيبِهِ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَ يَغْفُوا عَنْ كَثِيرٍ» (١).

«و لم يعذكم من أن يبتليكم» «أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (٢).

«و قد قال جل من قائل: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ وَ إِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ» (٣) و الآية التي ذكرها عليه السَّلام في سورة المؤمنون و الآية بعد ذكر قصه نوح. فقوله تعالى: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ» إشاره إلى ما ذكر في قصه نوح، قال تعالى: «خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (٤) «وَ بَلَوْنَا هُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَ السَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» (٥).

«قال الشريف» هكذا في (المصريه) (٦) و ليس في (الخطيه المصححه) أصلا و بدله (ابن أبي الحديد) بقول: «قال الرضى» و لعله إنشاء منه (٧).

(قوله عليه السَّلام «و كل مؤمن نومه» أراد به الخامل الذكر القليل الشر) لو قيل «الذى لا يعرف الشر» كان أحسن .

(و المساييح: جمع مسياح و هو الذى يسبح بين الناس بالفساد و النمام) قد عرفت أن الأصل فيه سيح الماء أو تسيح الثوب .

(و البذر: جمع بذور و هو الذى يكثر سفهه و يلغو منطقه) قال ابن أبى

ص: ٢٠٣

١-١ (١) الشورى: ٣٠. [١]

٢-٢ (٢) العنكبوت: ٢ و ٣. [٢]

٣-٣ (٣) المؤمنون: ٣٠. [٣]

٤-٤ (٤) الملك: ٢. [٤]

٥-٥ (٥) الاعراف: ١٦٨. [٥]

٦-٦ (٦) نهج البلاغه ١: ١٩٨، من الخطبه رقم ١٠٣.

٧-٧ (٧) شرح ابن أبى الحديد ١١٠: ٧. [٦]

الحديد: بذور كصبور الذى يذيع الأسرار، وليس كما قال الرضى (١).

قلت: قد عرفت أنه من «بذرت الكلام كما تبذر الحبوب»، وحينئذ فما قاله المصنف ليس بذلك البعد. هذا ولو كان المصنف نقل هذا فى فصل غريبه كان أنسب.

٦

الخطبه (١١٣)

و من كلام له عليه السلام:

فَلَا أَمْوَالَ يَبْدُلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا - وَلَا أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا - تَكْرُمُونَ بِاللَّهِ عَلَى عِبَادِهِ - وَلَا تُكْرِمُونَ اللَّهَ فِي عِبَادِهِ - فَاعْتَبِرُوا بِزُورِكُمْ مِمَّا زَلَّ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ - وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصِيَالِ إِخْوَانِكُمْ «فلا- أموال ببدلتموها للذى رزقها» (و أنفقوا من ما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق و أكن من الصالحين) (٢).

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى أبى عليه السلام فقال: أخبرنى عن قوله تعالى «فى أموالهم حق معلوم للسائل و المحرّم» (٣) ما هذا الحق المعلوم؟ قال عليه السلام: هو الشىء يخرج الرجل من ماله إن شاء أكثر و إن شاء أقل على قدر ما يملك، يصل به رحماً، و يقرى به ضيفاً، و يحمل به كلاً، أو يصل به أخاً له فى الله، أو لناثبه تنوبه. فقال: الله أعلم حيث يجعل رسالته.

و عن البزنطى قال: قال الرضا عليه السلام: إن صاحب النعمه على خطر أنه تجب

ص: ٢٠٤

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١١٠: ٧. [١]

٢- ٢) المنافقون: ١٠. [٢]

٣- ٣) المعارج: ٢٤- ٢٥. [٣]

عليه حقوق لله، والله إنه لتكون عليّ النعم من الله تعالى، فما زال عليّ منها و جل -و حرك يده- حتى أخرج من الحقوق التي تجب لله عليّ فيها. قلت: جعلت فداك! أنت في قدرك تخاف هذا؟ قال: نعم. فأحمد ربي على ما منّ به عليّ.

و عن الصادق عليه السلام: إن الله تعالى فرض للفقراء في أموال الأغنياء فريضه لا يحمدون إلا بأدائها، وهي الزكاة، و بها حقنوا دماءهم، و بها سموا المسلمين، و لكنه تعالى فرض في أموال الاغنياء حقوقا غير الزكاة، فقال: «و الَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ لِلسَّائِلِ وَ الْمَحْرُومِ» فالحق المعلوم غير الزكاة، و قال تعالى «و أَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا» (١)، و هذا غير الزكاة، و قال تعالى أيضا:

«و أَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَ عَلَانِيَةً» (٢). و الماعون أيضا غير الزكاة، و هو القرض يقرضه، و المتاع يعيره و المعروف يصنعه، و مما فرض الله عزّ و جلّ في المال غير الزكاة «و الَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ» (٣).

و في الخبر: إن الدينار و الدرهم أهلكا من كان قبلكم و هما مهلكاكم (٤).

و في الخبر: يا ابن آدم! ما من يوم جديد إلا- و يأتي فيه برزقك من عندي، و ما من ليلة إلا و يأتي الملائكة من عندك بعمل قبيح، خيري إليك نازل و شرك إلى صاعد.

و في (الحليه) عن وهب بن منبه أن سائحا وردنا- أي: تبيعا- له كان يأتي طعامهما في كل ثلاثة أيام مره، فإذا هما لم يأتها طعام إلا لأحدهما فقال الكبير لردنه لقد أحدث أحدنا حدثا منع به برزقه فتذكر ما صنعت. قال الردن:

ما صنعت شيئا، ثم تذكر فقال: بلى قد جاءنا مسكين إلى الباب فأجفت الباب

ص: ٢٠٥

١-١ (١) المزمّل: ٢٠. [١]

٢-٢ (٢) الرعد: ٢٢. [٢]

٣-٣ (٣) الكافي ٣: ٤٩٨-٥٠٢ ح ٨ و ١١ و [٣] ١٩. و الآية ٢١ من سورة الرعد. [٤]

٤-٤ (٤) الكافي ٢: ٣١٦ ح ٦. [٥]

فى وجهه. فقال الكبير: من ثم آتينا فاستغفرا فجاءهما رزقهما بعد كما كان يأتيهما (١).

«و لا أنفس خاطرتم بها للذى خلقها» و الناس يخاطرون بأنفسهم للملوك و الامراء فكيف لا يخاطرون بها لخالقها و هى ملكه، و هو أمر قبيح كعدم بذل المال لرازقه، فيكون حاله حال من ينكر خالقيته و رازقته.

و فى (الحليه) عن وهب: قال تعالى لموسى عليه السلام: و عزّتى يا ابن عمران لو أن هذه النفس التى وكرتها فقتلتها اعترفت لى ساعه من ليل أو نهار بأنى لها خالق أو رازق لأذقتك فيها طعم العذاب، و لكنى عفوت عنك أنها لم تعترف لى ساعه أنى لها خالق أو رازق (٢)، و قد قال تعالى «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ عِدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِمِيعَتِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٣).

و بعد كونه تعالى هو المشتري و الثمن الجنه و كتاب البيع التوراه و الانجيل و القرآن فى كون المعامله بتلك المثابه التى هى الفوز العظيم الذى ينبغى الاستبشار بها يكون الراغب عن تلك المعامله بالبخل بالمال و النفس اللذين هما عاربه عندك على مالكما موردا للملامه و فى غايه اللآمه، و لذا قال عليه السلام ما قال توبيخا .

«تكرمون بالله على عباده و لا تكرمون الله فى عباده» و هو أيضا قبيح عقلا كعدم بذل المال و النفس للرازق و الخالق، بل من يكرم على العباد لله يكون

ص: ٢٠٦

١-١) حليه الأولياء ٤:٥٧.

٢-٢) حليه الأولياء ٤:٦٠.

٣-٣) التوبه: ١١١. [١]



إكرامه لله في عباده ألزم عليه ممن لا يكرم بالله، ووجه خطابه عليه السلام للذين كانوا يدعون منزله لأنفسهم بكونهم صحابه النبي صلى الله عليه وآله كطلحه و الزبير و سعد و نظرائهم، و يطرد في جميع طبقات الاشراف.

و في (عيون أخبار الرضا عليه السلام) قال: إنا أهل البيت و جب حقنا برسول الله، فمن أخذ به صلى الله عليه وآله حقا و لم يعط من نفسه مثله فلا حق له (١).

و عن الصادق عليه السلام: كان علي بن الحسين لا يسافر إلا مع رفقته لا يعرفونه، و يشترط عليهم أن يكون من مساعدي الرفقة فيما يحتاجون إليه، فسافر مره مع قوم، فرآه رجل، فعرفه، فقال لهم، أتدرون من هذا؟ قالوا: لا. قال: هذا علي بن الحسين عليهما السلام، فوثبوا إليه و قبلوا يده و رجله و قالوا: يا ابن رسول الله، أردت أن تصلينا نار جهنم، لو بدرت منا إليك يد أو لسان أما كنا هلكنا إلى آخر الدهر، فما الذي يحملك على هذا؟ فقال: إني سافرت مره مع قوم يعرفونني، فأعطوني بالنبي صلى الله عليه وآله ما لا أستحق، فإني أخاف أن تعطوني مثل ذلك، فصار كتمان أمرى أحب إلي (٢).

«فاعتبروا بنزولكم منازل من كان قبلكم» في (صفين نصر) في مسيره عليه السلام إلى صفين: ثم مضى نحو ساباط حتى انتهى إلى مدينه (بهر سير) و إذا رجل من أصحابه يقال له جرير بن سهم بن طريف من بنى مالك بن ربيعه ينظر إلى آثار كسرى و هو يتمثل بقول ابن يعقوب التميمي:

جرت الرياح على مكان ديارهم فكأنهم كانوا على ميعاد

فقال عليه السلام: أ فلا قلت: «كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَاتٍ وَ عُيُونٍ وَ زُرُوعٍ وَ مَقَامٍ كَرِيمٍ وَ نَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ كَذَلِكَ وَ أَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ»

ص: ٢٠٧

[١- ١] عيون أخبار الرضا عليه السلام ٢: ٣٢٨ ح ٩. [١]

[٢- ٢] أخرجه ابن بابويه، في عيون أخبار الرضا ٢: ١٤٣ ح ١٣. [٢]

«السَّمَاءُ وَ الْمَأْرُضُ وَ مَا كَانُوا مُنْظَرِينَ» (١) ان هؤلاء كانوا وارثين فأصبحوا موروثين، إن هؤلاء لم يشكروا النعمه فسلبوا دنياهم بالمعصيه، إياكم و كفر النعم لا تحل بكم النقم (٢).

و قال ابن أبى الحديد: أن الأصل فى قوله عليه السّلام قوله تعالى «وَ سَيَكُونُ فِي مَسَاكِنِ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ وَ تَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَ ضَرَبْنَا لَكُمْ الْأَمْثَالَ» (٣).

«و انقطاعكم عن أوصل اخوانكم» و الظاهر أن المراد اعتبروا بانقطاعكم عن إخوانكم الذين كانوا فى كمال الوصل معكم ليلا و نهارا كما تعتبرون بمساكن من كان قبلكم، و الحاصل: اعتبروا بآثار المتقدمين عليكم و بأشخاص المعاشرين معكم، و إنكم لا بد أن تسلكوا مسلكهم و تهلكون كمهلكهم.

و مرت شكايته عليه السّلام من قریش فى ١٨-٨، فى الإمامه الخاصه.

ص: ٢٠٨

١- ١) الدخان: ٢٥-٢٩. [١]

٢- ٢) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٢. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٨٢: ٧-٢٨٣. و الآيه ٤٥ [٣] من سوره إبراهيم.

## الفصل السادس والعشرون: في نقص الناس و اختلافهم و عجائب قلوبهم و صفه اذالهم

اشاره

ص: ٢٠٩



و قال عليه السلام:

الأقويل محفوظه و السرائر مبلوه - و «كل نفس بما كسبت رهينه» - و الناس منقوضون مداخلون إلا من عصم الله - سائلهم متعنت و مجيبهم متكلف - يكاد أفضلهم رأياً - يرده عن فضل رأيه الرضا و السخط - و يكاد أضلهم عوداً تنكؤه اللحظه - و تستحيله الكلمه الواحده معاشر الناس اتقوا الله - فكم من مؤمل ما لا يبلغه و بان ما لا يسكنه - و جامع ما سوف يتركه - و لعله من باطل جمعه و من حق منعه - أصابه حراماً و احتمل به آثاماً - فباء بوزره و قدم على ربه أسفاً لا هفاً - قد «حسرت الدنيا و الآخرة ذلك هو الخسران المبين» «الأقويل محفوظه» «و لقد خلقنا الإنسان و نعلم ما توسوس به نفسه»

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ. إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدًا. مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ. وَجَاءَتْ سَيِّكْرُهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ. وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ. وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ (١).

«و السرائر مبلوه» فى الدنيا و الآخرة، أما الدنيا فعن الصادق عليه السلام: ما من عبد يسرّ خيرا فذهبت الأيام حتى يظهر الله له خيرا، و ما من عبد يسرّ شرا فذهبت الأيام حتى يظهر الله له شرا (٢). و أما الآخرة فقوله تعالى «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» (٣) أى: تكشف «هنا لك تبلى كل نفس ما أسلفت و رُدوا إلى الله مؤلاهم الحق و ضلّ عنهم ما كانوا يفترون» (٤).

«و كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» «هو عين قوله تعالى: «كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ» (٥) و فى التفسير: مرهونه، كل نفس مأخوذة بعملها فى النار (٦).

«و الناس منقوصون مدخولون» فى عقولهم كغش يدخل فى الذهب و الفضة.

و قال النبى صلى الله عليه و آله: الناس كابل منه لا تكاد تجد فيها راحله (٧).

و فى الديوان و نسب إلى دعبل أيضا:

ص: ٢١٢

١- ١) ق: ١٦-٢٢.

٢- ٢) الكافى ٢: ٢٢٤ ح ١٢، [١] منشورات المكتبة الإسلاميه، طهران.

٣- ٣) الطارق: ٩. [٢]

٤- ٤) يونس: ٣٠. [٣]

٥- ٥) المدثر: ٣٨. [٤]

٦- ٦) مجمع البيان ٣٦١: ١٠.

٧- ٧) سنن ابن ماجه ١٣٢١: ٢ ح ٣٩٩٠.

ما أكثر الناس لا بل ما أقلهم و الله يعلم أنى لم أقل فندا

إنى لأفتح عيني حين أفتحها على كثير و لكن لا أرى أحدا (١)

و فى شرحه الفارسي:

دم جمعى كه بصورت مردمند و به حقيقت حيوان بى دمند

«إلا من عصم الله» (وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى الْآخَرِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ) (٢).

فى (عيون القتيبي): كان بين حاتم طى و أوس بن حارثة أطف ما يكون بين اثنين، فقال النعمان بن المنذر لجلسائه: و الله لأفسدن ما بينهما. فقالوا: لا. تقدر على ذلك. قال: بلى فقلما جرت الرجال فى شىء إلا بلغت، فدخل عليه أوس فقال له: ما الذى يقول حاتم؟ قال: و ما يقول؟ قال: يقول: إنه أفضل منك و أشرف. قال: أبيت اللعن، صدق و الله لو كنت أنا و أهلى و ولدى لحاتم لانهبنا فى مجلس واحد، ثم خرج و هو يقول:

يقول لى النعمان- لا من نصيحه أرى حاتما فى قوله متطاولا

له فوقنا باع كما قال حاتم و ما النصح فيما بيننا كان حاولا

ثم دخل عليه حاتم و قال له مثل مقالته لأوس قال: صدق. أين عسى أن أقع من أوس، له عشره ذكور أحسنهم أفضل منى، ثم خرج و هو يقول:

يسألنى النعمان كى يسترنلى و هيهات لى أن استضام فأصرعا

كفانى نقصا أن أضمم عشيرتى بقول أرى فى غيره متوسعا

فقال النعمان: ما سمعت بأكرم من هذين الرجلين (٣).

ص: ٢١٣

١- ١) انظر كتاب «شعر دعبل بن على الخزاعى» للدكتور عبد الكريم الاشرى: ١٢١، نقله عن العقد ٣٢٥: ١.

٢- ٢) ص: ٢٤.

٣- ٣) عيون الأخبار ٢٣: ٢-٢٤، [١] نقله بتصرف.

و روى (الروضة) عن الصادق عليه السّلام: الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة، فمن كان له في الجاهلية أصل فله في الاسلام أصل (١).

«سائلهم متعنت» أى: يريد ايقاع مجيبه فى العنت، أى: المشقه و يظهر زلته و جهله.

و فى السير: قال رجل من العمال لأعرابى: ما أحسبك تعرف كم تصلّى فى اليوم و الليله؟ قال: فإن عرفت، أ تجعل لى على نفسك مسأله. قال: نعم. قال:

ان الصلاه أربع و أربع ثم ثلاث بعدهن أربع

ثم صلاه الفجر لا تضئع

قال: صدقت هات مسألتك. فقال كم فقار ظهرك؟ قال: لا أدرى. قال:

فتحكّم بين الناس و تجهل هذا من نفسك؟ و عن (صفوه الأخبار): قام ابن الكوّا إلى أمير المؤمنين عليه السّلام فقال: أخبرنى عن بصير بالليل بصير بالنهار، و عن بصير بالنهار أعمى بالليل، و عن بصير بالليل أعمى بالنهار. فقال عليه السّلام له: سل عمّا يعينك و دع ما لا- يعينك، أمّا بصير بالليل بصير بالنهار فهذا رجل آمن بالرسل الذين مضوا، و أدرك النبىّ فآمن به، فأبصر فى ليله و نهاره، و أما أعمى بالليل بصير بالنهار فرجل جحد الأنبياء الذين مضوا و أدرك النبىّ فآمن به، فعمى بالليل و أبصر بالنهار، و أما أعمى بالنهار بصير بالليل فرجل آمن بالأنبياء و جحد النبىّ، فأبصر بالليل و أعمى بالنهار (٢).

«و مجيبهم متكلف» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: إذا سئل الرجل منكم عما لا- يعلم فليقل لا- أدرى و لا- يقل «اللّه أعلم» فيوقع فى قلب صاحبه شكا.

ص: ٢١٤

١- (١) الكافى ١٩٧، ١٧٧: ٨. [١]

٢- (٢) نقله عن عيون الأخبار، بحار الأنوار ٢٨٣: ٤٠ ح ٤٥، [٢] نقلا عن كتاب: صفوه الأخبار.



و عنه عليه السّلام: للعالم إذا سئل عن شيء و هو لا يعلم أن يقول «اللّٰه أعلم» و ليس لغير العالم أن يقول ذلك.

و عنه عليه السّلام: من أفتى الناس و هو لا يعلم الناسخ من المنسوخ، و المحكم من المتشابه، فقد هلك و أهلك (١).

«يكاد أفضلهم رأيا يرده عن فضل رأيه الرضا و السخط» في (الخصال) عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: ثلاث خصال من كنّ فيه استكمل خصال الايمان: الذي إذا رضى لم يدخله رضاه في إثم و لا باطل، و إذا غضب لم يخرجه الغضب من الحق، و إذا قدر لم يتعاط ما ليس له (٢)، و قال تعالى: «و لا يجرمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ» (٣)، «و لو علىٰ أنفُسِكُمْ أُوّالِدَيْنِ و الْآقْرَبِينَ» (٤).

و في (المعجم) عن إسحاق الموصلي: دخلت على الأصمعي فأنشدته أبياتا قلتها و نسبتها إلى بعض الأعراب، و هي:

هل إلى أن تمام عيني سبيل إنّ عهدي بالنوم عهد طويل

غاب عني من لا اسمي فعيني كل يوم وجدا عليه تسيل

إنّ ما قلّ منك يكثر عندي و كثير ممّن تحبّ القليل

فجعل يعجب بها و يرددها، فقلت له: إنّها بنات ليلتها. فقال: لا جرم إنّ أثر التوليد فيها بين. فقلت: و لا جرم إنّ أثر الحسد فيك ظاهر (٥).

ثم إن المذموم من اختلاف حال الرضا و السخط أن يدعى في الرضا

ص: ٢١٥

١-١ (١) الكافي ١: ٤٢-٤٣، ح ٥، ٦، ٩. [١]

٢-٢ (٢) الخصال: ١٠٥، ح ٦٦.

٣-٣ (٣) المائدة: ٨. [٢]

٤-٤ (٤) النساء: ١٣٥. [٣]

٥-٥ (٥) معجم الادباء ٦: ٤٣. [٤]

لصاحبه الباطل و ينكر في السخط له الحق، و أما لو تحزى الحق في كل منهما فلا، فقالوا: وفد عمرو بن الأهمم و الزبرقان بن بدر على النبي صلى الله عليه و آله فسأل عمرا عن الزبرقان فقال: مطاع في عشيرته، شديد العارضه، مانع لما وراء ظهره.

فقال الزبرقان: انه ليعلم منى أكثر من هذا و لكنه حسدنى. فقال عمرو: أما و الله انه لزم المره، ضيق العطن، أحقق الوالد، لثيم الخال، و الله يا رسول الله! ما كذبت في الاولى، و لقد صدقت في الاخره، و لكنى رجل رضيت فقلت أحسن ما علمت، و سخطت فقلت أقبح ما وجدت. فقال النبي صلى الله عليه و آله: إن من البيان لسحرا (١).

«و يكاد أصلبهم عودا» صلب العود كناية عن الشده في الامور، قال الشاعر:

و من يك ذا عود صليب ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

«تنكؤه» من نكأت القرحة: إذا قشرتها.

«اللحظه» النظر بمؤخر العين.

«و تستحيله» أى: تقلبه عن الحاله التى كان عليها «الكلمه الواحده» .

و كان خالد بن المعمر من أصلب أصحابه عليه السلام عودا فاستحاله كلمه واحده من معاويه، ففى (صفين نصر) قام و قال: من يبايع على الموت و شرى نفسه لله، فبايعه سبعة آلاف على ان لا ينظر رجل منهم حتى يرد سرادق معاويه، فاقتتلوا قتالا شديدا و كسروا جفون سيوفهم - إلى أن قال - فحلى معاويه عن سرادقه و خرج فارا لاثدا إلى بعض مضارب العسكر، فدخل فيه و بعث إلى خالد: أنت قد ظفرت، و لك إمره خراسان إن لم تتم، فطمع فى ذلك و لم يتم، فأمره معاويه حين بايعه الناس على خراسان،

ص: ٢١٤

---

١-١) أخرجه اسد الغابه ١٩٤:٢، [١] بفرق فى اللفظ.

فمات قبل أن يصل إليها (١).

وقيل: الهدية تفقأ عين الحكيم و تسفّه عقل الحليم.

و في (الحليه) عن وهب: إذا دخلت الهدية من الباب خرج الحق من الكؤّه (٢).

و في (عيون القتيبي): استعمل الحجاج المغيرة بن عبيد الله الثقفي على الكوفه، فكان يقضى بين الناس، فأهدى إليه رجل، سراجاً من شبهه، و بلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغله، فلما اجتمعا عنده جعل يحمل على صاحب السراج و جعل صاحب السراج يقول إن امرى أضوء من السراج، فلما أكثر عليه قال له: ويحك ان البغله رمحت السراج فكسرتة (٣).

و مرّ طارق-صاحب شرطه خالد القسري في موكبه-على ابن شبرمه فقال ابن شبرمه:

أراها و إن كانت تحبّ كأنها سحابه صيف عن قريب تقشع

اللهمّ لى دينى و لهم دنياهم، فاستعمل بعد ذلك على القضاء فقال له ابنه:

أ تذكر يوم مرّ بك طارق فى موكبه و قلت ما قلت؟ فقال: يا بنى إنهم يجدون مثل أبيك و لا يجد مثلهم أبوك، إنّ أباك أكل من حلوائهم و حطّ فى أهوائهم (٤).

و تقدمت كلثم بنت سريع و أخوها الوليد إلى عبد الملك بن عمير-قاضى الكوفه-و كان ابنه يرمى بها، فقضى لها فقال هذيل الأشجعي:

أتاه رفيق بالشهود يسوقهم على ما ادّعت من صامت المال و الخول

ص: ٢١٧

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٠٦. [١]

٢-٢) حليه الأولياء ٤: ٦٤.

٣-٣) عيون الأخبار ١: ٥٢، و [٢] نقله المصنف بتصريف يسير.

٤-٤) عيون الأخبار ١: ٥٦، [٣] نقله بتصريف يسير.

فأدلى وليد عند ذاك بحقه و كان وليد ذا مرأ و ذا جدل

ففتنت القبطى حتى قضى لها بغير قضاء الله فى السور الطول

إذا ذات دل كلمته لحاجه فهم بأن يقضى تنحنح أو سعل

و كان عبد الملك يقول بعد ذلك:ربما جاء تنى السعله أو التنحنح و أنا فى المتوضأ فأكف عن ذلك (١).

«معاشر الناس اتقوا الله فكم من مؤمل ما لا يبلغه» فلا يبيع آخرته لأمل من دنياه لعله لا يبلغه.

«و بان ما لا يسكنه» فلا يخرب دار بقائه لدار إن سكنها سكنها أياما و لعله لا يسكنها ساعه.

«و جامع ما سوف يتركه» «و تَرَكَتُمْ ما خَوَّلْنَاكُمْ و راءَ ظُهُورِكُمْ» (٢).

فجمع عمرو بن العاص قناطر من ذهب، فلما مات أخذها معاويه.

«و لعله من باطل جمعه و من حق منعه» عن الرضا عليه السلام: لا- يجتمع المال إلا بخمس خصال: ببخل شديد، و أمل طويل، و

حرص غالب، و قطيعه الرحم، و إيثار الدنيا على الآخرة (٣).

و عن الباقر عليه السلام: ليس من شيعتنا من له مئه ألف، و لا- خمسون ألفا، و لا- أربعون ألفا، و لو شئت أن أقول ثلثون ألفا

لقلت، و ما جمع رجل قط عشره

ص: ٢١٨

١-١ (١) عيون الأخبار ١:٦٣. [١]

٢-٢ (٢) الأنعام: ٩٤. [٢]

٣-٣ (٣) اخرجه الخصال ١:٢٨٢ ح ٣٩.

آلاف من حلها. قال ابو الحسن: من دراهم.

و عن أويس القرني: ان حقوق الله لم تترك عند مسلم درهما.

«أصابه حراما و احتمل به أثاما» بالفتح أى: جزاء ائمه، قال تعالى: «يَلْقَ أَثَامًا» (١).

«فباء» أى: رجع.

«بوزره» أى: إئمه و ثقله.

«و قدم على ربه آسفا لاهفا» إلى.

«ذلك هو الخسران المبين» لا من يبيع متاعه بأقل مما شراه.

و فى (الطبرى) عن عوانه، قال عبيد الله لعمر بن سعد بن قتله الحسين عليه السلام: أين الكتاب الذى كتبت به إليك فى قتل الحسين؟ قال: مضيت لأمرك و ضاع الكتاب. قال: لتجئتنى به. قال: ضاع. قال: و الله لتجئتنى به. قال:

ترك و الله يقرأ على عجائز قريش اعتذارا إليهن بالمدينه، أما و الله لقد نصحتك فى حسين نصيحه لو نصحتها إلى سعد بن أبى وقاص كنت قد أدت حقه.

قال عثمان بن زياد أخو عبيد الله: صدق و الله لو ددت أنه ليس من بنى زياد رجل إلا- و فى أنفه خزامه إلى يوم القيامة، و أن حسينا لم يقتل... (٢).

٢

الحكمه (٢٨٣)

و قال عليه السلام:

جَاهِلِكُمْ مُزْدَادٌ وَ عَالِمِكُمْ مُسَوِّفٌ «جاهلكم مزداد» أى: من الخطأ لجهله بكونه خطأ أو بعقوبه عمله.

ص: ٢١٩

[١- ١] الفرقان: ٦٨. [١]

[٢- ٢] تاريخ الطبرى ٤٦٧: ٥. [٢]

«و عالمكم مسؤف» أى: بالأعمال الصالحه و بالتوبه من القبيحه لطول أمله، و كل منهما هالك: الجاهل بترك تعلمه مع إتمام الحجه عليه، و العالم بترك عمله.

٣

الخطبه (٢٢٩)

و من كلام له عليه السّلام: روى اليمانيّ عن أحمد بن قتيبه عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحيه قال: كنّا عند أمير المؤمنين عليه السّلام- و قد ذكر عنده اختلاف الناس- فقال:

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَيَادِي طِينَتِهِمْ - وَ ذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فَلَقَهُ مِنْ سَبِيحِ أَرْضٍ وَ عَذِبِهَا - وَ حَزَنِ تَرْبِهِ وَ سَيِّئِهَا - فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارِبُونَ - وَ عَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهِمْ يَتَفَاوَتُونَ - فَتِيَامُ الرُّوَاءِ نَاقِصُ الْعَقْلِ - وَ مَيَادُ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهَمِّ - وَ زَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمُنْظَرِ - وَ قَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ - وَ مَعْرُوفُ الضَّرِيَّةِ مُنْكَرُ الْجَلْبِيَّةِ - وَ تَائِهَةُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللَّبِّ - وَ طَلِيقُ اللَّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ  
أقول: قول المصنّف: «و من كلام له عليه السّلام» ليس فى نسخه ابن ميثم رأسا «روى اليماني» هكذا فى (المصريه (١) الاولى)، و نقله (ابن أبى الحديد و الخطيه) «روى ذعلب اليمامى» نسبه إلى اليمامه، و نقله (ابن ميثم) -على ما فى النسخه- «روى ابو محمد اليماني» نسبه إلى اليمن (٢).

«عن محمد بن قتيبه عن عبد الله بن يزيد عن مالك بن دحيه» قال ابن أبى

ص: ٢٢٠

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٢٥٥، [١] من الخطبه ٢٣٤.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٣: ١٨، و [٢] ابن ميثم ٣١٤، [٣] الطبع الحجرى) و فيه: «و من كلام له عليه السّلام روى ابو محمد اليماني»

الحديد: ذعلب و أحمد و عبد الله و مالك من رجال الشيعة و محدثيهم، و تبعه (ابن ميثم) (١)، لكن لم أقف على أثر من واحد منهم في كتب رجال الشيعة. نعم عنوان (لسان ميزان ابن حجر) عدّه مسّماه بعبد الله بن يزيد (٢) و لم يعلم كون من في السند أحدهم أم لا نعم في ١٧٤ (النهج) «و من كلام له عليه السّلام و قد سأله ذعلب اليماني هل رأيت ربك؟» و مرّ في الفصل الأول (٣) و هو غير «ذعلب» هذا على نقله لتأخر هذا و تقدم ذاك، و ليس ذاك أيضا من رجال الشيعة، فروى توحيد الصدوق عن ذاك أنه قال -لما قال عليه السّلام: «سلوني قبل أن تفقدوني»:-

لقد ارتقى ابن أبي طالب مرّاه صعبه لأخجلته اليوم (٤). فهو أعلم و ما قال.

«قد ذكر» هكذا في (المصريه) (٥) و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) «فقال و قد ذكر» (٦).

«عنده عليه السّلام اختلاف الناس» أي: في الحالات و الصفات، قال الشاعر:

و القوم أشباه و بين حلومهم بون كذاك تفاضل الأشياء

و قال آخر:

الناس أصناف و شتى في الشيم و كلهم يجمعهم بيت الأدم

و قال عبد الحميد: الناس أصناف مختلفون، و أطوار متباينون، منهم علق مضنه لا يباع، و منهم غل مظنه لا يبتاع (٧). و قال الشافعي:

ص: ٢٢١

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٣. [١]

٢- ٢) لسان الميزان ٣٧٧-٣٧٩.

٣- ٣) نهج البلاغه [٢] ١٢٠: ٢، من الخطبه رقم ١٧٩.

٤- ٤) التوحيد للصدوق: ٣٠٥.

٥- ٥) نهج البلاغه ٢٥٥: ٢، من الخطبه رقم ٢٣٤.

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ١٣، و [٣] ابن ميثم (الطبع الحجري): ٣١٤، و فيه: «قال: كُنّا عند أمير المؤمنين عليه السّلام و قد ذكر عنده اختلاف الناس فقال: انما...».

٧- ٧) وفيات الأعيان [٤] بتحقيق الدكتور احسان عباس -طبعه منشورات الشريف الرضى- قم ٢٢٩: ٣، و فيه: «و في رساله له: و الناس أخياف مختلفون، و أطوار متباينون، منهم علق مضنه لا يباع و غل مظنه لا يبتاع».

و الناس يجمعهم شمل و بينهم فى العقل فرق و فى الآداب و الحسب (١).

و قال الشاعر:

للحرب أقوام لها خلقوا و للدواوين كتاب و حساب

و قال آخر:

و القوم كالعيدان يفضل بعضهم بعضا كذاك يفوق عود عودا

و لبعضهم:

الناس اخوان و شتى فى الشيم و كلهم يجمعهم بيت الادم

و فى الديوان:

الناس من جهه التمثال أكفاء أبوهم آدم و الام حواء

(فقال) هكذا فى (المصريه) (٢)، و الكلمه زائده و ليست فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«انما فرّق بينهم مبادئ طينتهم» فى (معارف ابن قتيبه) قالوا: كان لأبى الجعد أبى سالم ابن أبى الجعد سته بنين اثنان يتشيعان، و اثنان مرجئان، و اثنان خارجيان، فقال ابراهيم: لقد خالف الله بينكم.

و فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام: لو علم الناس كيف ابتداء هذا الخلق ما اختلف اثنان...

و عن الصادق عليه السلام: ان الله تعالى خلق المؤمن من طينه الجنه و خلق الكافر من طينه النار، و إذا أراد الله بعبد خيرا طيب روحه و جسده، فلا يسمع

ص: ٢٢٢

١-١ (١) معجم الادباء ٣١٩: ١٧. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ٢٥٥: ٢، من الخطبه رقم ٢٣٤.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ١٣، [٢] ابن ميثم (الطبع الحجرى): ٣١٤، و فيه «قال كنا عند أمير المؤمنين عليه السلام و قد ذكر عنده اختلاف الناس فقال انما...».



شيئا من الخير إلا عرفه، و لا يسمع شيئا من الشرّ إلا أنكره... (١) و قال البحترى:

و الأرض لو لا العذاه واحده و الناس لو لا الفعال أمثال

أيضا:

و إن الأنفس اختلفن فما يغنى اتّفاق الأسماء و الألقاب

«و ذلك أنهم كانوا فلقه» أى: كسره و مقدارا.

«من سيخ أرض و عذبتها» السبخه الملحه، و العذب ضد السيخ.

«و حزن تربه» الحزن-بالسكون- ما غلظ من الأرض، و السهل خلافه.

فى (معارف ابن قتيبه): أتى حزن بن أبى وهب المخزومى جد سعيد بن المسيب النبىّ -صلى الله عليه و آله فقال له: أنت سهل؟ قال: بل أنا حزن-ثلاثا-قال: فأنت حزن. قال سعيد بن المسيب: فما زلنا نعرف تلك الحزونه فىنا.

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: هلك رجل فى عهد النبىّ -صلى الله عليه و آله فأتى الحفّارين فإذا بهم لم يحفروا شيئا و شكوا ذلك إليه صلى الله عليه و آله فقالوا: ما يعمل حديدنا فى الأرض فكأنما يضرب به فى الصفا. فقال: و لم؟ إن كان صاحبكم لحسن الخلق، إيتونى بقدر من ماء، فأتوا به فأدخل يده فيه ثم رشه على الأرض رشا ثم قال: احفروا فحفروا فكأنما كان رملا يتهايل عليهم (٢).

«فهم على حسب قرب أرضهم يتقاربون و على قدر اختلافها يتفاوتون» قال النبىّ -صلى الله عليه و آله: الأرواح جنود مجنّده، فما تعارف منها ائتلف، و ما تناكر منها اختلف (٣).

و قال أيضا: الناس معادن كمعادن الذهب و الفضة.

ص: ٢٢٣

١-١ (١) الكافى ٢:٣ ح ٢، و ٢: [١] ح ٦. ١.

٢-٢ (٢) الكافى ٢:١٠١ ح ١٠. [٢]

٣-٣ (٣) أخرجه مسلم ٤:٢٠٣١ ح ١٥٩-١٦٠، و أبو داود ٤:٢٦٠ ح ٤٨٣٤. [٣]

و في (الكافي) عن عبد الله بن كيسان، قلت لأبي عبد الله عليه السلام: أخالط الرجل فأرى له حسن السيّمت و حسن الخلق و أمانه، ثم افتشه فأتبيّنه عن عداوتكم، و أخالط الرجل فأرى فيه سوء الخلق، و قلّه الأمانه، و زعاره، ثم افتشه فأتبيّنه عن ولايتكم، فكيف يكون ذلك؟ قال: أما علمت أنّ الله أخذ طينه من الجنة و طينه من النار فخلطهما جميعا ثم نزع هذه من هذه و هذه من هذه، فما رأيت في أولئك من الأمانه و حسن الخلق و حسن السمّت فمما مسّهم من طينه الجنة و هو يعودون إلى ما خلقوا منه، و ما رأيت من هؤلاء من قلّه الأمانه و سوء الخلق و الزّعاره فمما مسّهم من طينه النار و هم يعودون إلى ما خلقوا منه (١).

و عن حبيب السجستاني عن أبي جعفر عليه السلام: ان الله تعالى لما أخرج ذريه آدم من ظهره ليأخذ عليهم الميثاق بالربوبية له، و بالنبوّه لكل نبي، كان أول من أخذ له عليهم الميثاق بنبوته، محمد بن عبد الله صلّى الله عليه و آله، ثم قال لآدم: انظر ما ذا ترى؟ فنظر إلى ذريته و هم ذر قد ملأوا السماء فقال: يا ربّ ما أكثر ذرّيتي و لأمر ما خلقتهم، فما تريد منهم بأخذك الميثاق عليهم؟ قال: يعبدونني لا - يشركون بي شيئا، و يؤمنون برسلي و يتبعونهم. قال: يا رب فما لي أرى بعض الذرّ أعظم من بعض، و بعضهم له نور كثير، و بعضهم له نور قليل، و بعضهم ليس له نور. فقال تعالى: كذلك خلقتهم لأبلوهم في كل حالاتهم. قال:

يا رب فتأذن لي في الكلام. قال: تكلم، فإنّ روحك من روحي، و طبيعتك خلاف كينونيتي. قال: يا رب لو كنت خلقتهم على مثال واحد و قدر واحد و طبيعه واحده، و جبله واحده و أرزاق سواء، لم يبغي بعضهم على بعض، و لم يكن بينهم تحاسد و لا تباغض و لا اختلاف في شيء من الأشياء. قال: يا آدم!

ص: ٢٢٤

بروحى نطقت، و بضعف طبيعتك تكلفت ما لا علم لك به، و أنا الخالق العالم، بعلمى خالفت بين خلقهم، و بمشيتى يمضى فيهم أمرى، و إلى تدبيرى و تقديرى صائرون، لا تبديل لخلقى «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (١)، و خلقت الجنة لمن عبدنى و أطاعنى منهم و اتبع رسلى و لا- أبالى، و خلقت النار لمن كفر بى و عصانى و لم يتبع رسلى و لا أبالى، و خلقتك و خلقت ذريتك من غير فاقه بى إليك و إليهم، و إنما خلقتك و خلقتهم لأبلوك و أبلوهم أيكم أحسن عملا فى دار الدنيا فى حياتكم، و لذلك خلقت الدنيا و الآخرة و الحياه و الموت، و الطاعة و المعصية، و الجنة و النار، و كذلك أردت فى تقديرى و تدبيرى و بعلمى النافذ فيهم، خالفت بين صورهم و أجسادهم و ألوانهم و أعمارهم، و أرزاقهم و طاعتهم و معصيتهم، فجعلت منهم الشقى و السعيد، و البصير و الأعمى، و القصير و الطويل، و الجميل و الدميم، و العالم و الجاهل، و الغنى و الفقير، و المطيع و العاصى، و الصحيح و السقيم، و من به الزمانه و من لا عاهه به، فينظر الصحيح إلى الذى به العاهه، فيحمدنى على عافيته، و ينظر الذى به العاهه إلى الصحيح، فيدعونى و يسألنى ان أعافيه، و يصبر على بلائى فأثيبه جزيل عطائى، و ينظر الغنى إلى الفقير، فيحمدنى و يشكرنى، و ينظر الفقير إلى الغنى، فيدعونى و يسألنى، و ينظر المؤمن إلى الكافر، فيحمدنى على ما هديته، فلذلك خلقتهم كلفتهم لأبلوهم فى السراء و الضراء، و فيما أعافيهم و فيما أبتليهم، و فيما أعطيهم و فيما امنعهم، و أنا الله الملك القادر، و لى ان أمضى جميع ما قدرت على ما دبّرت (٢).

«فتام الرواء» -بالضم-: من له منظر.

ص: ٢٢٥

١- ١) الذاريات: ٥٦. [١]

٢- ٢) الكافى ٢: ٤ ح ٥ و ٢: [٢] ٨ ح ٢.

«ناقص العقل» في (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي): قال أمير المؤمنين عليه السلام: الإنسان عقل و صورته، فمن أخطأه العقل و لزمه الصورة لم يكن كاملاً. و كان بمنزله من لا روح فيه، فمن طلب العقل المتعارف فليعرف صورته الاصول و يحذف الفضول، فإن كثيراً من الناس يطلبون الفضول و يضيعون الاصول.

و في (تاريخ بغداد): قال ثعلب كان يحضر مجلس الزبير بن بكار رجل من بنى هاشم له رواء و هيئه، حسن الثوب طيب الرائحة، و كان الزبير يكرمه و يرفع مجلسه، فقال يوماً للزبير: الفرزدق كان جاهلياً أو تميمياً؟ فولاه الزبير ظهره و قال: اللهم اردد على قريش أخطارها (1)، و قال العباس بن مرداس:

و يعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير

و قال آخر:

و ان طره راقتك فانظر فرمما أمر مذاق العود و العود أخضر

و قال آخر:

و كائن ترى من تلمعي مخطرب و ليس له عند العزائم جؤل

«و مادّ القامة قصير الهمة» قال بنو الديان الحارثيون لحسان بن ثابت: كئنا نطول بأجسامنا على العرب حتى قلت:

لا بأس بالقوم من طول و من عظم جسم البغال و أحلام العصافير

فتركتنا لا نرى أجسامنا شيئاً، و قال الشاعر:

ترى الفتیان كالنخل و ما يدريك ما الدخل

و هذه القضايا قضايا غالبية لا كليه، فقد يكون تام الرواء تام العقل، قال بعضهم: من تمتى رجلاً حسن العقل، حسن البيان، حسن العلم، تمتى شيئاً

ص: ٢٢٤

عسيرا، و قد اجتمع ذلك كله فى العتابى. كما قد يكون طويل القامه عاقلا على الهمة.

فلما ألح المنصور على أبى مسلم حضوره عنده شاور نيزك الطويل فقال له: يا نيزك! إئتى و الله ما رأيت طويلا أعقل منك فما ترى؟ قال: لا أرى أن تأتبه و أرى ان تأتى الرى فتقيم بها فيصير ما بين خراسان و الرى لك (١).

و حكيم الهند الذى جرى بينه و بين الاسكندر رموز كان طويلا، ففى (المروج): جلس الاسكندر جلوسا خاصا و دعا بالحكيم - و لم يكن رآه قبل ذلك - فلما نظر إلى صورته و تأمّل قامته نظر إلى رجل طويل الجسم رحب الجبين معتدل البنيه فقال فى نفسه: هذه بنيه تضاد الحكمة، فإذا اجتمع حسن الصورة و حسن الفهم كان أوحد زمانه، فتأمّله الفيلسوف فأدار أصبعه السبابه على وجهه و وضعه على أرنبه أنفه، فسأله الاسكندر عن سرّ فعله فقال: تأملتك بنور عقلى فتبينت فكرتك فى و أن هذه الصورة فلما تجتمع مع الحكمة، فإذا كان صاحبها ذلك كان أوحد زمانه، فأدرت أصبعى مصداقا لما سنع لك، و أريتك مثالا شاهدا أنه كما ليس فى الوجه إلا أنف واحد، كذلك ليس فى دار مملكه الهند غيرى، و لا يلحق أحد بى فى حكمتى (٢).

«و ذاكى العمل قبيح المنظر» هكذا فى (المصريه) (٣)، و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤) (و زاكى) بالزراى و هو الصحيح، من قوله تعالى «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا» (٥) و أما «ذاكى» فلا مناسبه له هنا، يقال ذكا الرجل: إذا كان حديد

ص: ٢٢٧

١- ١) تاريخ الطبرى ٧: ٤٨٥. [١]

٢- ٢) مروج الذهب ١: ٣٢٨. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ٢: ٢٥٥، من الخطبه رقم ٢٣٤.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٣: ١٨، و ابن ميثم (الطبع الحجرى): ٣١٤، السطر السادس عشر هكذا.

٥- ٥) الشمس: ٩. [٣]

الفؤاد، و ذكت النار: إذا اشتعلت.

من أمثالهم «جاورينا و أخبرينا» (١) و عن يونس: إنَّ رجلين كانا يتعشقان امرأه و كان أحدهما جميلاً، فيقول لها «عاشرينا و انظري إلينا»، و الآخر دميماً يقول لها المثل، فقالت لأختبرنهما، فقالت لهما: لينحرا جزورا، فأتتهما متنكراً، فبدأت بالجميل، فوجدته عند القدر يلحس الدسم و يأكل الشحم، فاستطعمته، فأمر لها بشيل الجزور- أى: وعاء قضيبه-، ثم أتت الدميم، فإذا هو يقسم اللحم و يعطى كل من يسأله، فسأله، فأمر لها بأطائب الجزور، فلما أصبحا غدوا عليها، فوضعت بين يدي كل منهما ما أعطاها، فأقصت الجميل و قرّبت الدميم (٢)، قال أبو محجن:

ألم تسأل فوارس من سليم بنضله و هو موتور مشيح

رأوه فازدروه و هو خرق و ينفع أهله الرجل القبيح

فلم يخشوا مصالته عليهم و تحت الرغوه اللبن الصريح

فكّر عليهم بالسيف صلنا كما عضّ الشبا الفرس الجموح

فأطلق غلّ صاحبه و أردى جريحا منهم و نجا جريح

و لآخر:

ترى الرجل النحيف فتزدرية و فى أثوابه رجل عزيز

و يعجبك الطير فتبتليه فيخلف ظنك الرجل الطير

هذا، و هجا مسلم بن الوليد قوما فقال:

قبحت مناظرهم فحين خبرتهم حسنت مناظرهم لقبح المخبر

(٣)

ص: ٢٢٨

١- (١) مجمع الأمثال للميداني ١: ١٦٣. [١]

٢- (٢) نقله عن يونس الميداني فى مجمع الأمثال ١: ١٦٢. [٢]

٣- (٣) الأغاني ١٩: ٣٤، و [٣] فيه: و هجا رجلا بقبح الوجه و الأخلاق فقال: قبحت مناظره فحين خبرته حسنت مناظره لقبح المخبر

«و قريب القعر بعيد السبر» من سبرت الجرح: إذا نظرت ما غوره.

فى (تارىخ بغداد): قال صافى الحرمى مولى المعتضد: مشيت يوما بين يديه و هو يريد دور الحرم، فلما بلغ إلى باب (شغب) أم المقتدر وقف يسمع و يطلع من خلل فى الستر، فإذا هو بالمقتدر و له إذ ذاك خمس سنين أو نحوها و هو جالس و حواليه مقدار عشر و صائف من أفرانه فى السن و بين يديه طبق فضه فيه عنقود فى وقت فيه العنب عزيز جدا، و الصبى يأكل عنبه واحده ثم يطعم الجماعة عنبه عنبه على الدور حتى إذا بلغ الدور أكل واحده مثل ما أكلوا حتى أفنى العنقود، و المعتضد يتميز غيظا، فرجع و لم يدخل الدار و رأيته مهموما، فقلت: يا مولاي ما سبب ما فعلته و ما قد بان عليك؟ فقال: يا صافى! و الله لو لا النار و العار لقتلت هذا الصبى اليوم، فإن فى قتله صلاحا للامه. فقلت:

يا مولاي! حاشاه. أى شىء عمل، يا مولاي العن إبليس. فقال: ويحك! أنا أبصر بما أقوله، أنا رجل قد سست الامور و أصلحت الدنيا بعد فساد شديد، و لا بد من موتى، و أعلم أن الناس بعدى لا يختارون غير ولدى و سيجلسون ابنى عليا- يعنى المكتفى- و ما أظن عمره يطول للعله التى به- يعنى الخنازير التى كانت فى حلقه- فيتلف عن قرب، و لا يرى الناس إخراجها عن ولدى و لا يجدون بعده أكبر من هذا فيجلسونه و هو صبى، و له من الطبع فى السخاء هذا الذى قد رأيت من أنه أطعم الصبيان مثل ما أكل، و ساوى بينه و بينهم و شىء عزيز فى العالم و الشح على مثله فى طباع الصبيان، فتحتوى عليه النسوان لقرب عهده بهن فيقسم ما جمعته من الأموال كما قسم العنب، و يبذر ارتفاع الدنيا و يخربها، فتضيع الثغور و تنتشر الامور، و يخرج الخوارج و تحدث الاسباب التى يكون فيها زوال الملك عن بنى العباس أصلا. فقلت: بل بيقيك الله حتى يتأذب بأدابك. قال: احفظ عنى ما أقوله، فكنت كلما وقفت على رأس

المقتدر و هو يشرب و قد دعا بالأموال فأخرجت إليه و جعل يفرقها على الجوارى و النساء و يمحقها و يهبها، ذكرت مولاي المعتضد و بكيت (١).

هذا، و قال ابن أبي الحديد: المراد بقرب قعره تقارب طرفيه بقصر قامته (٢).

و قيل لبعض الحكماء: ما بال القصار أدهى و أحذق؟ قال: لقرب قلوبهم من أدمغتهم.

«و معروف الضريبه، منكر الجليبه» في (الصحاح): الضريبه: الطيبه، تقول فلان كريم الضريبه و فلان لثيم الضريبه (٣)، و الجليب: الذي يجلب من بلد إلى غيره، قال زهير:

و مهما تكن عند امرىء من خليفه و إن خالها تخفى على الناس تعلم

و قال ذو الأصبع:

كل امرىء راجع يوما لشيئته و إن تخلق أخلاقا إلى حين (٤)

و قال كثير:

و من يبتدع ما ليس من سوس نفسه يدعه و يغلبه على النفس خيمها (٥)

هذا، و في (الحليه) عن الشافعى: خرجت إلى اليمن فى طلب كتب الفراسه حتى كتبتها و جمعتها، ثم لما حان انصرافى مررت على رجل فى الطريق محتب بفناء داره أزرق العين ناتىء الجبهه سناط- و هذا النعت أخبث

ص: ٢٣٠

١-١) تاريخ بغداد ٧:٢١٦ و ٧:٢١٧. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢:٢١، [٢] بالمعنى.

٣-٣) الصحاح للجوهري ١:١٦٩. [٣]

٤-٤) الشعر لحرثان بن الحارث ذى الأصبع العدوانى (كان يعيش نحو ٢٢ هـ.ق). انظر الأغاني ٣:١٠٥، السطر الثالث [٤] عشر و فيه: «كل امرىء صائر يومًا...»

٥-٥) حليه الأولياء ٩:١٤٤، و نقله المصنف بتصرف.



ما يكون في الفراسه-فقلت له:هل من منزل؟فقال:نعم فأنزلني فرأيته اكرم ما يكون من رجل،بعث إليّ بعشاء و طيب و علف لدابتي و فراش و لحاف، فجعلت أ تقلب الليل ما أصنع بهذه الكتب إذ رأيت النعت في هذا الرجل،فقلت:

أرمى بهذه الكتب،فلما أصبحت قلت للغلام:أسرج،فأسرج فركبت و مررت عليه و قلت له:إذا قدمت مكه و مررت بذي طوى فاسأل عن محمد بن ادريس الشافعي.فقال:أ مولى لأبيك أنا؟قلت:لا.قال:فهل كانت لك عندي نعمه؟قلت:

لا.قال:أين ما تكلفت لك البارحه.قلت:و ما هو.قال:اشتريت طعاما لك بدرهمين و إداما بكذا و كذا و عطرا بثلاثه دراهم و علفا لدابتك بدرهمين و كراء الفرش و اللحاف درهمان.قلت:يا غلام أعطه.فهل بقي شىء؟قال:كراء البيت فاني قد وسعت عليك و ضيقت على نفسي.قال:فغبطت بتلك الكتب،فقلت له:

هل بقي لك من شىء؟قال:امض أخزاك الله فما رأيت قط شرا منك (١).

إذا ما طلبت شيمه غير شيمه طبعث عليها لم تجبك الطباع

«و تائه القلب» أى:متحيره.

«متفرق اللب» أى:العقل.

فى (الطبرى):و فى سنه (٦٧)عزل ابن الزبير أخاه مصعبا عن البصره و ولى ابنه حمزه،فقدم البصره و كان يوجد أحيانا حتى لا يدع شيئا يملكه، و يمنع أحيانا ما لا يمنع مثله،فظهرت منه بالبصره خفّه و ضعف،فعزله أبوه فاحتمل مالا كثيرا من مال البصره و أتى المدينه و ترك أباه،فأودع ذلك المال رجالا فذهبوا به إلا يهوديا كان أودعه فوفى له،و علم أبوه بما فعل فقال:أبعده الله!أردت ان أباهى به بنى مروان فنكص (٢).

ص:٢٣١

١- (١) حليه الأولياء ٩:١٤٤، و نقله المصنّف بتصرّف.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٦:١١٧ و ١١٨، و [١] نقله المصنّف بتصرف كثير.

وقال سوار: ما أعلم أحدا أفضل من عطاء السلمى، ولو شهد عندى على فلسين لم أجز شهادته - يذهب إلى تفرق لبه.

«و طليق اللسان حديد الجنان» بالفتح - القلب، قال الجوهرى: قال موسى بن جابر الجعفى:

فما نفرت جنى ولا فل مبردى ولا أصبحت طيرى من الخوف وقعا

و اراد بالجن القلب و بالمبرد اللسان. وقالوا: المرء بأصغريه قلبه و لسانه (١).

و فى (المروج): لما حصل شبيب الخارجى على جسر دجيل نفر به فرسه و عليه الحديد الثقيل من درع و مغفر، فألقاه فى الماء، فقال له بعض أصحابه أغرقا؟ قال: «ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ» (٢). فألقاه دجيل ميتا بشطه، فحمل على البريد إلى الحجاج فأمر بشق بطنه و استخراج قلبه، فاستخرج فإذا هو كالحجر إذا ضرب به الأرض نبا عنه، فشق فإذا فى داخله قلب صغير كالكره، فشق فأصيب علقه الدم فى داخله (٣).

هذا، و فى (الكافى): كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إذا كان الغلام ملثا الأدره صغير الذكر، ساكن النظر، فهو ممن يرجى خيره و يؤمن شره، و إذا كان شديد الأدره كبير الذكر حاد النظر فهو ممن لا يرجى خيره و لا يؤمن شره (٤).

هذا و قد قيل فى كنانه:

فما كنانه فى خير بخائره و لا كنانه فى شر باشرار

ص: ٢٣٢

١-١) الصحاح للجوهري ٢٠٩٣: ٥. [١]

٢-٢) فصلت: ١٢. [٢]

٣-٣) مروج الذهب ١٣٩: ٣-١٤٠. [٣]

٤-٤) الكافي ٥١: ٦ ح ١. [٤]

و قال عليه السلام:

لَقَدْ عَلِقَ بِنِيَابِ هَذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ - هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ وَ ذَلِكَ الْقَلْبُ - وَ لَهُ مَوَادٌّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَ أَوْضَادًا مِنْ خِلَافِهَا - فَإِنْ سَدَّ لَهُ الرَّجَاءُ أَذَلَّهُ الطَّمَعُ - وَ إِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ - وَ إِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسْفُ - وَ إِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ - وَ إِنْ أَسْعَدَهُ الرَّضَا نَسِيَ التَّحْفُظَ - وَ إِنْ نَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ - وَ إِنْ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْرُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ - وَ إِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْعَمَهُ الْغِنَى - وَ إِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَّ الْجَزَعُ - وَ إِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَهُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ - وَ إِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعِدَ بِهِ الضَّعْفُ - وَ إِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشُّبْحُ كَطَّئَهُ الْبِطْنَةُ - فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَ كُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ أَقُولُ: رواه الكليني في (روضته الكليني - الكافي - الروضة ج ٨ ص ١٨ و ٢١) و المسعودي المسعودي - مروج الذهب - ج ٢ ص ٤٢١ و ٤٢٢ و أبو طلحة الشافعي في (مطالب سؤوله أبو طلحة الشافعي - مطالب السؤل -)، روى الأول عن محمد بن علي بن معمر عن محمد بن علي بن عكاشه عن الحسين بن النضر الفهري عن أبي عمرو الأوزاعي عن عمرو بن شمر عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إن أمير المؤمنين عليه السلام خطب الناس بالمدينة بعد سبعة أيام من وفاه الرسول صلى الله عليه وآله، و ذلك حين فرغ من جمع القرآن و تأليفه، فقال: الحمد لله الذي منع الأوهام أن تنال الوجود - إلى أن قال - أيها الناس أعجب ما في الإنسان قلبه و له مواد من الحكمه و أصدقاء من خلافها، فإن سدد له الرجاء أذله الطمع، و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، و إن أسعد بالرضا نسي التحفظ، و إن ناله الخوف شغله الحذر، و إن اتسع له الأمن

استلبته الغرّه، و إن جددت له النعمه أخذته الغرّه، و إن أفاد مالا- أطغاه الغنى، و ان عضّته فاقه شغله البلاء- جهده البكاء- و إن أصابته مصيبه فضحه الجزع، و إن أجهده الجوع قعد به الضعف، و إن أفرط في الشبع كظته البطنه، فكل تقصير به مضر و كل إفراط له مفسد (١).

و قال الثانی: دخل ضرار بن ضميره- و كان من خواصّ عليّ عليه السّلام- علي معاويه و افدا، فقال له: صف لي عليا. قال: أعفني. قال معاويه: لا بدّ من ذلك.

فقال: أمّا إذا كان لا- بدّ من ذلك فإنه كان و الله بعيد المدى شديد القوى- إلى أن قال- فقال له معاويه: زدني شيئا من كلامه. فقال: كان يقول: أعجب ما في الانسان قلبه، و له مواد من الحكمه و أضداد من خلافها، فإن سرح له الرجاء أماله الطمع، و إن مال به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه القنوط قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتدّ به الغيظ، و إن أسعده الرضا نسي التحفّظ، و إن أماله الخوف فضحه الجزع، و إن أفاد مالا- أطغاه الغنى، و ان عضّته فاقه فضحه الفقر، و ان جهده الجوع أفعده الضعف، و ان أفرط به الشبع كظته البطنه، فكل تقصير به مضرّ، و كل إفراط له مفسد، فقال له معاويه: زدني ما وعيته من كلامه. قال: هيهات أن آتي علي جميع ما سمعته منه (٢).

و قال الثالث: نقل البيهقي باسناده عن الشافعي عن يحيى بن سليم عن الامام جعفر بن محمد بن عبد الله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السّلام قال: أعجب ما في الانسان قلبه، فيه مواد من الحكمه و أضداد لها من خلافها، فإن سرح له الرجاء أولهه الطمع، و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، و إن أسعده الرضا نسي

ص: ٢٣٤

١- ١) الكافي ١٨: ٨ و ٢١. [١]

٢- ٢) مروج الذهب ٢: ٤٢١-٤٢٢. [٢]

التحفُّظ، و إن ناله الخوف شغله الحزن، و إن أصابته المصيبة فضحه الجزع، و إن وجد مالا أطغاه الغنى، و إن عضته فاقه شغله البلاء، و إن أجهد به الجوع قعد به الضعف، و إن أفرط به الشبع كظته البطنه، فكل تقصير به مضر، و كل إفراط له مفسد .

«لقد علق بنيات هذا الانسان» في (الصحيح): النياط: عرق علق به القلب من الوتين، فإذا قطع مات صاحبه (١).

و مراده نوع الانسان الشامل لجميع الافراد.

و عن أرسطاطاليس في تفاوت أفراد الانسان كلام، و هو: ليس فيما خلق تعالى أشد من الانسان، يوجد فيه ما في كل حيوان، يكون شجاعا كالاسد، و جبانا كالأرنب، و سخيا كالديك، و بخيلا كالكلب، و فجورا كالغراب، و وحشيا كالنمر و انسيا كالحمام، و خبيثا كالثعلب، و سليما كالغنم، و سريعا كالغزال، و بطيئا كالذب، و عزيزا كالفيل، و ذليلا - كالحمار، و لصا كالعقعق، و تائها كالطاوس، و هاديا كالقطا، و ضالاً - كالنعامة، و شرورا كالتيث، و كدودا كالثور، و شموسا كالبعل، و أخرس كالحوت، و منطيقا كالهزار، و جهولا كالخنزير، و ميشوما كالبوم، و نفاعا كالفرس، و مضرا كالفأره.

«بضعه» في (الصحيح) القطعه من اللحم، و هي بالفتح، و أخواتها مثل القطعه و الفلذه و الفدره و الكسفه و الخرقه و ما لا يحصى بالكسر (٢).

«هي أعجب ما فيه» و كل ما فيه عجب، فقال عليه السلام أيضا: اعجبوا لهذا الإنسان، ينظر بشحم، و يتكلم بلحم، و يسمع بعظم (٣)، بل كله عجب.

ص: ٢٣٥

١- ١) الصحيح للجوهري ١١٦٦: ٣. [١]

٢- ٢) الصحيح ١١٨٦: ٣. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ٤ الحكمة ٧. [٣]

أترعم أنك جرم صغير و فيك انطوى العالم الأكبر

«و ذلك القلب» قالوا ما سمى القلب إلا من تقلبه.

هذا، و قيل فى عضد الدوله: له صدر فيه ألف قلب.

«و له مواد من الحكمة و أصداد من خلافها» و عنه عليه السلام أيضا: الفضائل أربعه أجناس: أحدها الحكمة و قوامها فى الفكره، و الثانى العفّه و قوامها فى الشهوه، و الثالث القوّه و قوامها فى الغضب، و الرابع العدل و قوامه فى اعتدال قوى النفس (١).

قال ابن ميثم: أراد عليه السلام: بقوله «مواد من الحكمة» الفضائل الخلقية، فإنّها بأسرها من الحكمة، و هى العلم بما ينبغى أن يفعل، و هو الأصلح فى كل باب، و هى مواد كمال القلب. و أراد بقوله: «و أصداد من خلافها» الرذائل المضاده للفضائل، و هى التى أطراف التفريط و الإفراط منها، فالاولى الطمع و هو رذيله الإفراط من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه.

إلى أن قال: الخامسة رذيله الإفراط من عروض الخوف، و هى الاشتغال بالحدّز عما ينبغى عند عروضه، و الذى ينبغى فيه الأخذ بالحزم، و ترك الإفراط من الخوف و العمل للأمر المخوف. السادسة رذيله التفريط فى عروض ضده و هو الأمن حتى لا يفكر فى مصلحته و حفظ ما هو عليه من الأمن.

إلى أن قال: ثم ختم ذلك بالتنفير عن طرفى الإفراط و التفريط فيها إجمالا بما يلزم التفريط من مضرّه القلب بعدم الفضيله و يلزم الإفراط فيها من إفساده لخروجه عنها (٢).

ص: ٢٣٦

١ - ١) بحار الانوار ٨١: ٧٨ ح ٦٨. [١]

٢ - ٢) ابن ميثم (الطبع الحجرى) ٣: ٤٧٨ و ٤٧٩، و قول المصنّف «...من رضا الانسان بما يحصل عليه من دنياه» ليس من كلام ابن ميثم فانه قال: «فالاولى الطمع و هى رذيله الإفراط من الرجاء و نفرّ عنها بما يلزمها من الذله: المطموع فيه و بما يلزم اشتداد الطمع من الحرص المهلك فى الدارين».

و عرّض ابن ميثم في كلامه ذاك بابن أبي الحديد حيث قال: ليست الأمور التي عدّدها عليه السيّد سلام شرحا لما قدّمه من هذا الكلام المجمل، وإن ظنّ قوم أنه أراد ذلك (١).

«فان سنح» أي: عرض.

«له الرجاء أذله الطمع» الرجاء ان لم يكن فيه افراط يؤدي إلى الطمع فضيله و حكمه لأنه ماده الحياه للدين و الدنيا، و أما إن أدى إليه فهو طبع.

و في (مجازات نبويه المصنّف) في قول النبي صلّى الله عليه و آله «استعيذوا بالله من طمع يهدى إلى طبع» المراد أن الطمع يصير بصاحبه إلى معايب الأفعال و مدانستها، و يوقعه في مذامها و مناقصها، و الطبع الدنس و العيب مأخوذ على ما سمعته من أبي الفتح النحوى من الطابع و هو الخاتم، كأنه يسم صاحبه بالمعائب (٢)، فلما كانت عواقب الطمع صائره إلى مدارن الطبع جعل صلّى الله عليه و آله الطمع كأنه هاد إليها على المجاز و الاتساع.

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: ما أقبح بالمؤمن أن تكون له رغبه تذله.

و عنه عليه السلام: الذي يثبت الإيمان الورع، و الذي يخرج الطمع.

و عن السجاد عليه السلام: رأيت الخير كله قد اجتمع في قطع الطمع عمّا في أيدي الناس (٣).

و قالوا: تقطع أعناق الرجال المطامع، و ان الطير ليصاد بالمطامع.

و أشعب الطماع و قصصه معروفه.

ص: ٢٣٧

١-١ شرح ابن أبي الحديد ٢٧١:١٨. [١]

٢-٢ المجازات: ٢٣٩. [٢]

٣-٣ الكافي ٣٢٠:٢-١ و ٣ و ٤. [٣]

«و ان هاج به الطمع أهلكه الحرص» فالحرص إفراط في إفراط، فالطمع يذل و الحرص يهلك.

و في (عيون ابن قتيبة): لا يكثر الرجل على أخيه الحوائج، فان العجل إذا أفرط في مصّ أمه نطحته و نحتته. و قال الشاعر:

كم من حريص على شيء ليدركه و علّ ادراكه يدني إلى عطبه

و قال آخر:

و ربّ ملخّ على بغيه و فيها مئيتته لو شعر (١)

و قال ابن المقفع: الحرص محرّمه، أنظر من يطلب إليك بالإجمال و التكرّم أحق أن تسخو نفسك له بالعطيه أم من يطلب ذلك بالشره و الحرص (٢).

و دخل مالك بن دينار على رجل محبوب قد أخذ بمال عليه و قيّد، فقال له الرجل: أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود، فرفع مالك رأسه فرأى سلّه فقال: لمن هذه؟ قال: لى فأمر بها أن تنزل، فأنزلت و إذا دجاج و أخبصه، فقال مالك: هذه وضعت القيود في رجلك (٣).

و قالت الحكماء: الحريص الجشع أشد حراره من النار.

«و إن ملكه اليأس قتله الأسف» هو التفريط من فضيله الرجاء، فالْيأس يمنع العمل للدنيا و الدين.

و في (الخصال) عن الصادق عليه السّلام: تبع حكيم حكيمًا سبعمائه فرسخ في سبع كلمات، فلما لحق به قال: يا هذا! ما أرفع من السماء، و أوسع من الأرض،

ص: ٢٣٨

١-١ (١) عيون الأخبار ١٩١:٣. [١]

٢-٢ (٢) عيون الأخبار ١٩١:٣، [٢] نقله بالتقطيع.

٣-٣ (٣) عيون الأخبار ١٩٢:٣، [٣] نقله بتصريف يسير.



و أغنى من البحر، و أقسى من الحجر، و أشد حراره من النار، و أشد بردا من الزمهرير، و أثقل من الجبال الراسيات؟ فقال له: يا هذا! الحق أرفع من السماء، و العدل أوسع من الأرض، و غنى النفس أغنى من البحر، و قلب الكافر أقسى من الحجر، و الحريص الجشع أشد حراره من النار، و اليأس من روح الله أشد بردا من الزمهرير، و البهتان على البريء أثقل من الجبال الراسيات (١).

و قالوا: عاقب الزهري رجلا، فمات فخرج هاربا و توخّش و ضرب فسقاطا، فقال له على بن الحسين عليه السلام: انى أخاف عليك من قنوطك ما لا أخاف عليك من ذنبك (٢).

«و ان عرض له الغضب اشتد به الغيظ» فى (الكافى) عن الباقر عليه السلام: إن هذا الغضب جمره من الشيطان توقد فى قلب ابن آدم، و إنّ أحدكم إذا غضب احمّرت عيناه و انتفخت أوداجه و دخل الشيطان فيه، فإذا خاف أحدكم ذلك من نفسه فليلزم الأرض، فإنّ رجس الشيطان يذهب عنه عند ذلك.

و عن الصادق عليه السلام قال رجل للنبيّ صلّى الله عليه و آله: علّمنى. قال: اذهب و لا تغضب.

فقال الرجل: قد اكتفيت بذلك، فمضى إلى أهله فإذا بين قومه حرب قد قاموا صفوفًا و لبسوا السلاح، فلما رأى ذلك لبس سلاحه ثم قام معهم ثم ذكر قول النبيّ «لا تغضب» فرمى السلاح ثم جاء يمشى إلى القوم الذين هم عدو قومه، فقال: يا هؤلاء! ما كان لكم من جراحه أو قتل أو ضرب ليس فيه أثر فعلى فى مالى أنا أو فيكموه. فقال القوم: فما كان فهو لكم، نحن أولى بذلك منكم، فاصطلح القوم و ذهب الغضب.

و عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: الغضب يفسد الإيمان كما يفسد الخل العسل.

ص: ٢٣٩

١-١ (١) الخصال: ٣٤٨ ح ٢١.

٢-٢ (٢) أخرجه ذيل الطبرى: ١١٦. [١]

و عن الباقر عليه السلام: ان الرجل ليغضب فما يرضى أبدا حتى يدخل النار، و أيما رجل غضب على قوم و هو قائم فليجلس من فوره ذلك فانه سيذهب عنه رجس الشيطان، و أيما رجل غضب على ذى رحم فليدن منه فليمسه فإنّ الرحم إذا مست سكنت (١).

هذا، و في (نسب قريش مصعب الزبيري): حجّ مروان بن عبد الملك مع أخيه الوليد بن عبد الملك- و الوليد يومئذ خليفه- فجرى بينهما محاوره، فغضب الوليد فأمصّه فتفوه مروان بالرد عليه، فأمسك عمر بن عبد العزيز على فيه فمنعه من ذلك، فقال لعمر: «قتلتني رددت غيظي في جوفى»، فما راحوا من وادى القرى حتى دفنوه، فقال الشاعر:

لقد غادر القوم اليمانون إذ غدوا بوادى القرى جلد الجنان مشيعا

فسيروا فلا مروان للقوم إذ شقوا و للركب إذ أمسوا مكلّين جوعا (٢)

و الرذيله ما إذا استتبع الغضب غيظا يؤدي إلى الانتقام بأكثر مما يستحقه الخصم، و أما ان ترك الانتقام رأسا فهو فضيله، قال تعالى «و ما عند الله خيرٌ و أبقى للذين آمنوا و على ربهم يتوكّلون و الذين يجتنبون كبائر الإثم و الفواحش و إذا ما غصّ بواهم يعفرون» (٣) كما انه إذا انتقم بقدر الاستحقاق يكون عداله، قال تعالى: «و جزاء سيئه سيئه مثلها» (٤).

«و إن أسعده الرضا نسي التحفظ» في (الطبرى)- فى محاربه نصر بن سيار و الكرمانى فى خراسان- بعث أبو مسلم حين عظم الأمر بين الكرمانى و نصر إلى الكرمانى «إنى معك»، فقبل و انضم إليه، فاشتد ذلك على نصر

ص: ٢٤٠

١-١) الكافى ٣٠٢:٢-٣٠٤-١ و ٢ و ١١ و [١] ١٢.

٢-٢) نسب قريش لمصعب الزبيري: ١٦٢، و نقله بتصريف.

٣-٣) الشورى: ٣٦ و ٣٧. [٢]

٤-٤) الشورى: ٤٠. [٣]

فأرسل إلى الكرمانى: ويلك! لا- تغترر فو اللّهم إنى لخائف عليك و على أصحابك منه، و لكن هلم إلى الموادعه فندخل مرو، فنكتب بيننا كتابا بصلح- و هو يريد أن يفرق بينه و بين أبى مسلم- فدخل الكرمانى منزله و أقام أبو مسلم فى المعسكر و خرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبه فى مئه فارس و عليه قرطق خشكشونه، ثم أرسل نصر: أخرج لنكتب بيننا الكتاب فأبصر نصر منه غره فوجه إليه ابن سريع فى نحو من ثلاثمئه فارس فالتقوا فى الرحبه، فاقتلوا بها طويلا، ثم ان الكرمانى طعن فى خاصرته فخر عن دابته و حماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به فقتل نصر الكرمانى و صلبه (١).

«و ان ناله» هكذا فى (المصريه) (٢) و الصواب: (و إن عاله) كما فى (ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«الخوف شغلته الحذر» فى (الطبرى)- فى غزوه حنين- كان جماع أمر الناس إلى مالك بن عوف النصرى، فلما نزل بأوطاس اجتمع إليه الناس و فيهم دريد بن الصمه، فلما نزل دريد قال: ما لى أسمع رغاء البعير، و نهاق الحمير، و يعار الشاء، و بكاء الصبى؟ قالوا: ساق مالك مع الناس أبناءهم و نساءهم و أموالهم. فقال: اين مالك؟ فدعى له. فقال له: إنك أصبحت رئيس قومك، مالى أسمع رغاء البعير، و نهاق الحمير، و يعار الشاء، و بكاء الصغير؟ قال: سقت مع الناس أبناءهم و نساءهم و أموالهم قال: و لم؟ قال: أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله و ماله ليقاتل عنهم. قال: هل يرد المنهزم شىء؟! إنها إن كانت لك لم ينفعك إلا رجل بسيفه و رمحه، و إن كانت عليك فضحت فى أهلك و مالك... (٤).

ص: ٢٤١

١- (١) تاريخ الطبرى ٧: ٣٧٠ و ٣٧١. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ٣: ١٧٥، من الكلام رقم ١٠٨.

٣- (٣) ابن ميثم (الطبع الحجرى) ٣: ٤٧٨، و فيه «و ان غاله» و كتب فى الهامش «ناله صح».

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٣: ٧١، و [٢] نقله المصنّف بتصرف.

و المذموم ما إذا كان له قدره على تدبير و حيله و الافلا، فكان هشام بن الحكم بعد وقوف هارون على حجاجه فى الامامه أراد قتله، و كان قدّم ليضرب عنقه و اتفق ان نجا فاعتلّ من الخوف، فكان إذا وصف طيب له علته يكذبه و يقول له: علتي فزع القلب مما أصابنى.

«و إن اتسع له الأمن استلبته الغرّه» أى: اختلسته، كان على بن الكرمانى استأمن إلى أبى مسلم، فأمره أبو مسلم أن يسمّى له خاصته ليوليهم و يأمر لهم بجوائز و كساء، فسمّاهم له فقتلهم جميعاً (١).

«و ان أفاد مالا- أطغاه الغنى» هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب: كون هذه الفقره (و ان أفاد مالا- أطغاه الغنى) بعد فقره «و ان أصابته مصيبه فضحه الجزع» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣)، و لأن المناسب أن يكون: «و إن عضّته الفاقه» بعد «و إن أفاد مالا». «إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُفٍ» (٤)، «و لَوْ بَسَّطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَ لَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ» (٥)، «و لَوْ لَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِيُوتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَ مَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» (٦).

«و ان أصابته مصيبه فضحه الجزع» «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا» (٧).

ص: ٢٤٢

١- ١) تاريخ الطبرى ٣٨٨: ٧. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ١٧٥: ٣، [٢] من الكلام رقم ١٠٨.

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ٣٧١: ١٨، [٣] ابن ميثم ٤٧٨: ٣. [٤]

٤- ٤) العلق: ٦ و ٧. [٥]

٥- ٥) الشورى: ٢٧. [٦]

٦- ٦) الزخرف: ٣٣. [٧]

٧- ٧) المعارج: ١٩-٢١. [٨]

و في (المروج): إعتلت حبابه جاريه يزيد بن عبد الملك، فأقام يزيد أياما لا يظهر للناس، ثم ماتت، فأقام أياما لا يدفنها جزعا عليها حتى جيفت، فقالوا:

إنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ عَنْكَ بِجَزَعِكَ، وَ إِنَّ الْخِلاَفَةَ تَجَلُّ عَنْ ذَلِكْ، فَدَفْنُهَا وَ أَقَامَ عَلَى قَبْرِهَا فَقَالَ:

فإنَّ تَسْلُ عَنْكَ النَّفْسُ أَوْ تَدْعُ الْهَوَى فَبِالْأَسِّ تَسْلُو النَّفْسَ لَا بِالتَّجَلُّدِ

ثم أقام بعدها أياما قلائل ثم مات (١).

«و إنَّ عَضَّةَ الْفِئَاقَةِ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ» في (العقد): كان أبو الشَّمَقْمَقِ الشَّاعِرُ أَدِيبًا طَرِيفًا مَحَارِفًا صَعَلُو كَمَا مَتَبَّرًا قَدْ لَزِمَ بَيْتَهُ فِي أَطْمَارِ مَسْحُوقِهِ، وَ كَانَ إِذَا اسْتَفْتَحَ عَلَيْهِ أَحَدٌ بَابَهُ خَرَجَ فَنَظَرَ مِنْ فَرْجِ الْبَابِ، فَإِنَّ أَعْجَبَهُ الْوَاقِفَ فَتَحَ لَهُ وَ إِلَّا سَكَتَ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ بَعْضُ إِخْوَانِهِ، فَلَمَّا رَأَى سُوءَ حَالِهِ قَالَ: إِنَّا رَوِينَا فِي بَعْضِ الْحَدِيثِ «أَنَّ الْعَارِينَ فِي الدُّنْيَا هُمُ الْكَاسُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ». قَالَ: إِنَّ كَانَ مَا تَقُولُ حَقًّا لِأَكُونَنَّ بَرَازًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ (٢).

و في كتاب ما للهند: من لا مال له إذا أراد أن يتناول أمرا قعد به العدم فيبقى مقصيرا عما أراد كالماء الذي يبقى في الأودية من مطر الصيف فلا يجري إلى بحر ولا نهر بل يبقى مكانه حتى تنشفه الأرض (٣).

«و إنَّ جَهْدَهُ الْجُوعَ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ» في (شعراء ابن قتيبه) - في أعشى قيس - كان أبوه يدعى قتييل الجوع، و ذلك أنه كان في جبل، فدخل غارا فوقعت صخره من الجبل فسدت فم الغار فمات فيه جوعا (٤).

هذا، فقيل لعقيل بن علقمه، لو زوّجت بناتك، فإنَّ النساء لحم على وضم

ص: ٢٤٣

١-١ (١) مروج الذهب ١٩٨: ٣. [١]

٢-٢ (٢) العقد الفريد ٣٥٢: ٢، [٢] نقله بتصريف في العبارة.

٣-٣ (٣) العقد الفريد لابن عبد ربه ٣٥٣: ٢. [٣]

٤-٤ (٤) الشعر و الشعراء لابن قتيبه ( [٤] طبعه دار صادر بيروت): ١٣٥.

إذا لم يكن غايات. قال: كلاً إنني أجيعة فلا يأثرن، و اعزِيهَن فلا يظهرن.

«و ان أفرط به الشبع كظته البطنه» الكظه بالكسر: ما يعترى الانسان من الامتلاء من الطعام، قال حاتم:

يرى الخمص تعذيبا و إن نال شبعه بيت قلبه من قله الهمّ مبهما

و فى (العقد) قال أبو اليقظان: كان هلال بن سعد التميمي اكلوا فيزعمون انه أكل جملا و أكلت امرأته فصيلا، فلما أراد أن يجامعها لم يصل إليها، فقالت له: و كيف تصل الّى و بينى و بينك بعيران (١)؟ و قال المدائني: كان سليمان بن عبد الملك بدابق فأتى بسليّن أحدهما مملو بيضا و الآخر تينا. فقال: اقشعروا البيض، فجعل يأكل بيضه و تينه حتى فرغ من السليّن، ثم أتوه بقصعه مملوه مَخا بسكر، فأكله فأتخم و مرض فمات (٢).

هذا، و فى (المروج) رحل رجل من بنى هاشم من الكوفة إلى ابن عمّه بالمدينه، فأقام عنده حولا لم يدخل مستراحا، فلما كان بعد الحول أراد الرجوع إلى الكوفة فحلف عليه أن يقيم عنده أياما آخر، فأقام و كان للرجل قينتان فقال لهما: أما رأيتما ابن عمى و ظرفه، أقام عندنا حولا و لم يدخل مستراحا. فقالتا له: فعلينا أن نصنع له شيئا لا يجد معه بدّا من الخلاء. قال شأنكما و ذلك، فعمدتا إلى خشب العشر - و هو مسهل - فدقّتا و طرحتا فى شرابه، فلما حضر وقت شرابهما قدمتا إليه و سقتا مولاهما من غيره، فلما أخذ الشراب منهما تناوم المولى و تمغص الفتى، فقال للّتى تليه: يا سيدتى أين الخلاء؟ فقالت لها صاحبتهما: ما يقول لك. قالت: يسألك ان تغنيه:

ص: ٢٤٤

١-١) العقد الفريد ٨:١٣، و [١] فيه «كان هلال بن الاسعر التميمي... فيزعمون أنه أكل فصيلا و أكلت امرأته فصيلا...».

٢-٢) العقد الفريد ٨:١٥، و [٢] فيه «أقبل نصرانى إلى سليمان بن عبد الملك و هو بدابق بسليّن أحدهما مملوء بيضا...».

خلا من آل فاطمه الديار فممنزل أهلها منها قفار

فغنته فقال الفتى: أظنهما مكيتين و ما فهمتا، ثم التفت إلى الاخرى فقال:

يا سيدتى أين الحش. فقالت لها صاحبته: ما يقول؟ قالت: يسألك ان تغنيه:

أوحش الدقرات و الدير منها فعناها بالمنزل المغمور

فغنته، فقال الفتى: أظنهما عراقيتين و ما فهمتا عنى، ثم التفت إلى الاخرى فقال لها: أعزك الله أين المتوضأ. فقالت لها صاحبته: ما يقول؟ قالت:

يسألك أن تغنيه:

توضأ للصلاه و صل خمسا و أذن بالصلاه على النبىؐ

فغنته فقال: أظنهما حجازيتين و ما فهمتا عنى. ثم التفت إلى الاخرى فقال: يا سيدتى أين الكنيف؟ فقالت لها صاحبته: ما يقول لك. قالت: يسألك ان تغنيه:

تكنفنى الواشون من كل جانب و لو كان واش واحد لكفانيا

فقال: أظنهما يمانيتين و ما فهمتا عنى، ثم التفت إلى الاخرى فقال: يا هذه أين المستراح؟ فقالت لها صاحبته: ما يقول؟ قالت يسألك ان تغنيه:

ترك الفكاهه و المزاحا و قلى الصبابه و استراحا

فغنته و المولى يسمع ذلك و هو متناوم، فلما اشتد به الأمر أنشأ يقول:

تكنفنى السلاح و أضجرونى على ما بى بتكرير الأغانى

فلما ضاق عن ذاك اصطبارى ذرقت به على وجه الزوانى

ثم انه حل سراويله و سلح عليهما، و انتبه المولى فى أثر ذلك، فلما رأى ما نزل بجواريه قال: يا أخى ما حملك على هذا الفعل؟ قال: يا ابن الفاعله! لك جوار يرين المخرج صراطا مستقيما لا يدللى عليه، فلم أجد

لهن جزاء غير هذا، ثم رحل عنه (١).

«و كل تقصير به مضر و كل افراط له مفسد» قال تعالى «و الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا» (٢).

و قال النبي صَلَّى الله عليه و آله في (جوامع كلماته): خير الامور اوساطها (٣).

هذا، و عن المأمون: الناس ثلاثة، فمنهم مثل الغذاء لا بد منه على كل حال، و منهم كالدواء يحتاج إليه في حال المرض، و منهم كاللحاء مكروه على كل حال.

٥

الحكمه (٧٠)

و قال عليه السلام:

لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرَطًا أَوْ مُفْرَطًا الْإِفْرَاطِ، تَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَ التَّفْرِيطُ، التَّقْصِيرُ وَ التَّضْيِيعُ لَهُ حَتَّى يَفُوتَ، وَ كِلَاهُمَا مَذْمُومَانِ، وَ إِنَّمَا الْمَمْدُوحُ الْحَدُّ الْوَسْطُ.

و من كلمات النبي صَلَّى الله عليه و آله الجامعه: خير الامور اوساطها (٤)، و قال الشاعر:

وَ إِنَّ بَيْنَ التَّفْرِيطِ وَ الْإِفْرَاطِ مَسْلُكًا مَنجِيًّا مِنَ الْإِيرَاطِ

الْإِيرَاطُ مَصْدَرٌ أَوْرَطُهُ، أَي: أَوْقَعَهُ فِيمَا لَا خَلَاصَ لَهُ مِنْهُ.

و صدق عليه السلام: فالجاهل إما ان يبخل و لا ينفق أصلا. أو ينفق و يسرف مع أن الله تعالى قال: «و الَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَ لَمْ يَقْتُرُوا وَ كَانَ»

ص: ٢٤٦

١-١) المروج ٢٤٠:٤-٢٤٢. [١]

٢-٢) الفرقان: ٦٧. [٢]

٣-٣) رواه النهايه ١٨٤:٥، [٣] وسط.

٤-٤) رواه النهايه ١٨٤:٥ [٤] ماده (وسط).



و كذلك الجاهل إمّا أن يترك آخرته لدنياه، و إمّا دنياه لآخرته، و قالوا عليهم السّلام: ليس ممّا من ترك آخرته لدنياه و من ترك دنياه لآخرته، و الجاهل إمّا لا يكسب و يكون كلا على الناس و إمّا يحرص و لا يجمل في كسبه، و كلاهما ضلال.

و في (بيان الجاحظ): قال النبيّ صلّى الله عليه و آله: يؤتى يوم القيامة بالوالى جلد فوق ما أمر الله به، فيقول له الرب: عبدى! لم جلدت فوق ما أمرتك به؟ فيقول: رب غضبت لغضبك. فيقول: أ كان ينبغي لغضبك أن يكون أشد من غضبي؟! ثم يؤتى بالمقصر فيقول له: عبدى لم قصرت عمّا أمرتك به؟ فيقول: رب رحمته.

فيقول: أ كان ينبغي لرحمتك أن تكون أوسع من رحمتي؟! فيصيرهما إلى النار (٢).

و في (تاريخ بغداد): ذكر عند أبي حنيفة جهنم و مقاتل فقال: كلاهما مفرط، أفرط جهنم حتى قال انه تعالى ليس بشيء، و أفرط مقاتل حتى جعله مثل خلقه (٣).

هذا، و أنشد شاعر نصر بن يسار بخراسان أرجوزه تشبيها مئه و مديحها في نصر عشره، فقال له نصر: و الله ما تركت كلمه عذبه و لا معنى لطيفا الا و قد شغلته عن مديحي بتشبيحك، فان أردت مديحي فاقصد، فأناه فأنشده:

هل تعرف الدار لامّ عمرو دع ذا و حبر مدحه في نصر

ص: ٢٤٧

١- (١) الفرقان: ٦٧. [١]

٢- (٢) البيان و التبیین ٢: ٢٥، [٢] باختلاف في اللفظ.

٣- (٣) تاريخ بغداد ١٣: ١٦٦، [٣] نقله بتصريف.

فقال له نصر: لا هذا ولا ذاك، ولكن أمر بين الأمرين (١).

و في (المعجم): قال الجاحظ: يجب للرجل أن يكون سخيًا لا يبلغ التبذير، شجاعا لا يبلغ الهوج (٢)، محترسا لا يبلغ الجبن، ماضيا لا يبلغ القحه (٣)، قوالا لا يبلغ الهذر (٤)، صموتا لا يبلغ العي، حليما لا يبلغ الذل، منتصرا لا يبلغ الظلم وقورا لا يبلغ البلاده، ناقدا لا يبلغ الطيش، ثم وجدنا النبي ﷺ عليه وآله قد جمع ذلك كله في كلمه واحده، وهو قوله «خير الامور أوساطها»، فعلم أنه صلى الله عليه وآله قد أوتى جوامع الكلم و علم فصل الخطاب (٥).

٦

الحكمه (١٩٩)

و قال عليه السلام في صفة الغوغاء:

هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا - وَقِيلَ يَلُ قَالَ ع - هُمُ الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا - فَقِيلَ قَدْ عَرَفْنَا مَضْرَةَ اجْتِمَاعِهِمْ فَمَا مَنَعَهُ افْتِرَاقِهِمْ - فَقَالَ ع يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمِهْنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ - فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ كَرُجُوعِ الْبِنَاءِ إِلَى بِنَائِهِ - وَ النَّسَّاجِ إِلَى مَسْجِهِ وَ الْحَبَّازِ إِلَى مَحْبَزِهِ أَقُولُ: قول المصنّف: (في صفة الغوغاء) في (الصحاح)، قال الأصمعي:

الجراده إذا صارت لها أجنحه و كادت تطير قبل أن تستقل فتطير، غوغاء، و به شبه الناس.

ص: ٢٤٨

١-١) العقد الفريد ١٨٦:٧. [١]

٢-٢) الهوج: الحمق و الطيش: و التسرع.

٣-٣) القحه: بكسر القاف و فتحها: قله الحياء.

٤-٤) الهذر: مصدر هذر كلامه، كثر في الخطأ و الباطل.

٥-٥) معجم الادباء ١١٠:١٦-١١١. [٢]

وقال أبو عبيده: الغوغاء شيء شبيه بالبعوض إلا أنه لا يعصّ ولا يؤذى و هو ضعيف، فمن صرفه و ذكره جعله بمنزله قمقام، و الهمزه مبدله من واو، و من لم يصرفه جعله بمنزله عوراء (١).

قال المسعودى فى (مروجه): من أخلاق العامه أن يسودوا غير السيد، و يفصلوا غير الفاضل، و يقولوا بعلم غير العالم، و هم أتباع من سبق إليهم من غير تمييز بين الفاضل و المفضول، و الفضل و النقصان، و لا معرفه للحق من الباطل عندهم.

و قال الجاحظ: سمعت رجلا من العامه- و هو حاج و قد ذكر له البيت- يقول: إذا أتيت من يكلمنى؟ و أخبره صديق له أن رجلا من العامه قال له- و قد سمعه يصلى على محمد صلى الله عليه و آله- ما تقول فى محمد هذا أربنا هو؟ و ذكر لى بعض اخوانى: ان رجلا من العامه بمدينة السيلام رفع إلى بعض الولاة الطالبين لأصحاب الكلام على جار له أنه يتزندق، فسأله الوالى عن مذهب الرجل فقال: انه مرجىء قدرى إباضى رافضى يبغض معاويه بن الخطاب الذى قاتل على بن العاص. فقال له الوالى: ما أدرى على أى شيء أحسدك؟! على علمك بالمقالات، أو على بصرك بالأنساب.

و أخبرنى رجل من اخواننا من أهل العلم قال: كنا نقعد نتناظر فى أبى بكر و عمر و على و معاويه و ما يذكره أهل العلم فيهم، و كان قوم من العامه يأتون فيستمعون منا فقال لى يوما بعضهم- و كان من أعقلهم و اكبرهم لحيه- كم تطنبون فى على و معاويه و فلان و فلان. فقلت: فما تقول أنت؟ قال:

من تريد؟ قلت: على. قال: أو ليس هو أبو فاطمه. قلت: و من كانت فاطمه؟ قال:

امراه النبى صلى الله عليه و آله بنت عائشه أخت معاويه. قلت: فما كانت قصه على؟ قال: قتل

ص: ٢٤٩

و ذكر ثمامه بن أشرس قال: كنت مارًا فى السوق ببغداد، فإذا أنا برجل اجتمع الناس عليه فنزلت عن بغلتى و قلت: لشيء ما هذا الاجتماع! و دخلت بين الناس، فإذا أنا برجل يصف كحلا معه أنه ينجع من كل داء يصيب العين، فنظرت إليه فإذا عينه الواحده برشاء و الاخرى ما سوكه، فقلت له: يا هذا! لو كان كحلحك كما تقول، نفع عينيك. فقال لى: أهاهنا اشتكت عيناي؟! انما اشتكتنا بمصر. فقال كلهم: صدق و ما انفلت من نعالهم إلا بعد كد.

و كان فى أيام الرشيد ببغداد متطبب يطبب العامه بصفاته و كان دهرىا يظهر أنه من أهل السنه و الجماعه و يلعن أهل البدع و يعرف بالسنى تنقاد إليه العامه فكان يجتمع إليه فى كل يوم بقوارير الماء خلق. فإذا اجتمعوا و ثب قائما على قديمه فقال لهم: يا معشر المسلمين قلتى لا ضار و لا نافع الا الله فلائى شيء تسألونى عن مضاركم و منافعكم الجئوا إلى ربكم و توكلوا على بارئكم حتى يكون فعلكم مثل قولكم. فيقولون: اى و الله صدقنا فكم من مريض لم يعالج حتى مات (١).

قوله عليه السلام فى الأول (هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا، و إذا تفرقوا لم يعرفوا) و فى الثانى (هم الذين إذا اجتمعوا ضرّوا، و إذا تفرقوا نفعوا) فى (كامل الجزرى): جرت فى سنه (٦٠١) ببغداد بين أهل باب الازج و أهل المأمونيه محاربه بسبب أن الأولين قتلوا سبعا، فأرادوا أن يطوفوه فمنعهم الاخيرون فقتل جمع و خرج جمع و نهب دور، و كذلك بين أهل قطفتا و الغريبه- من محال غربى بغداد- جرت محاربه بسبب قتل سبع أراد الأولون طوفه فمنعهم

الآخرون فقتل بينهم قتلى حتى أرسل إليهم عسكر (١).

«فقبل قد عرفنا» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (قد علمنا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

«مضره اجتماعهم فما منفعه افتراقهم» هذا السؤال إنما على الروايه الثانيه، و أمّا الروايه الاولى فالمراد من شقّي الكلام غلبتهم في اجتماعهم على كل قوه، و عدم معرفيتهم في تفرقهم واضح .

«فقال عليه السلام: يرجع أصحاب المهن إلى مهنتهم» هكذا في (المصريه) (٤) و الصواب: «إلى مهنتهم» كما في غيرها (٥)، و المهنة: الحذق بالعمل، و الخدمه - و هي بفتح الميم و كسرهما - حكى الكسر الكسائي و ان أنكره الاصمعي (٦).

«فينتفع الناس بهم...» .

قالوا: كتب كتاب حكمه فبقيت منه. فقالوا: ما نكتب فيه؟ فقيل: يكتب «يسأل عن كل صناعه أهلها».

♥

الحكمه (٢٠٠)

و قال عليه السلام:

وَأَتَى بِيحَانٍ وَ مَعَهُ غَوْغَاءٌ فَقَالَ - لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهِ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوَاءٍ

ص: ٢٥١

١- (١) الكامل لابن الأثير ١٢:٢٠٣ س ٦٠١. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ٣:١٩٨، من الحكمه رقم ١٩٩.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩:١٨، [٢] ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣:٤٩٠.

٤- (٤) نهج البلاغه ٣:١٩٨، [٣] من الحكمه ١٩٩.

٥- (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٩:١٨، [٤] ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣:٤٩٠.

٦- (٦) لسان العرب ١٣:٤٢٤ [٥] ماده (مهن).

أقول: رواه الشيخ في (زيادات حدود تهذيبه الشيخ الطوسي-التهذيب-ج ١٠ ص ١٥٠ ح ٣٤) مسندا عن يعقوبى عن أبيه هكذا، قال: أتى أمير المؤمنين عليه السلام -و هو بالبصرة- برجل يقام عليه الحد، فأقبل جماعه من الناس، فقال عليه السلام: أنظر يا قنبر ما هذه الجماعة؟ قال:

اجتمعوا لرجل يقام عليه الحد، فلما قربوا نظر عليه السلام في وجوههم وقال: لا- مرحبا بوجوه لا ترى إلا في كل سوء، هؤلاء فضول الرجال، أمطهم عني يا قنبر (١).

قول المصنّف: «و اتى عليه السلام» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (و قد أتى) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣).

«بجان» أى: بذي جنّه إلا أن الجوهرى قال: الجان ابو الجن و حيه بيضاء (٤).

قوله عليه السلام: «لا مرحبا بوجوه لا ترى إلا عند كل سوء» في (الصحيح) السوء: العوره و الفاحشه (٥).

قال ابن أبي الحديد: أخذ هذا اللفظ المستعين. و قد أدخل عليه ابن أبي الشوارب القاضى و معه الشهود ليشهدوا عليه أنه قد خلع نفسه من الخلافه و بايع للمعتز، فقال: لا مرحبا بهذه الوجوه التي لا ترى إلا يوم سوء (٦).

قلت: و قال المسعودى في (مروجه): تقصد العامه في احتشادها و جموعها فلا تراهم الدهر إلا مرقلين إلى قائد دب، و ضارب دف، على سياسه

ص: ٢٥٢

١-١) التهذيب ١٥٠:١٠ ح ٣٤.

٢-٢) نهج البلاغه ١٩٨:٣، الحكمه رقم ٢٠٠.

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٠، [١] ابن ميثم (الطبع الحجرى) ٣:٤٩٠، و فيه «و قد اوتى».

٤-٤) الصحيح ٢٠٩٤:٥. [٢]

٥-٥) الصحيح ١:٥٦. [٣]

٦-٦) شرح ابن أبي الحديد ١٩:٢٠. [٤]

قرد، و متشوقين إلى اللهب و اللعب، أو مختلفين إلى مشعبد منمّس مخزّف، أو مستمعين إلى قاصّ كذّاب، أو مجتمعين حول مضروب، أو وقوفا عند مصلوب، ينعق بهم و يصاح فلا يرتدعون، لا ينكرون منكرا، و لا يعرفون معروفا، و لا يباليون أن يلحقوا البار بالفاجر و المؤمن بالكافر، و قد بين ذلك النبيّ -صلى الله عليه و آله فيهم حيث يقول: «الناس اثنان: عالم أو متعلم، و ما عدا ذلك همج رعاع لا يعبا الله بهم».

و سئل عليّ عليه السلام عن العامه فقال: همج رعاع، أتباع كل ناعق، لم يستضيئوا بنور العلم و لم يلجئوا إلى ركن وثيق.

و قد صنّف أبو عقاب الكاتب كتابا في أخلاق العوام يصف فيه شيمهم و مخاطباتهم و سمّاه بالملهي... (١). و قال الشاعر:

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات و وحدانا

و في (الأغاني): قال عثمان الوراق: رأيت العتابي يأكل خبزا على الطريق بباب الشام، فقلت له: ويحك أما تستحي. فقال لي: رأيت لو كنا في دار فيها بقر كنت تستحي و تحتشم أن تأكل و هي تراك. فقلت:

لا. قال: فاصبر حتى أعلمك أنهم بقر، فقام فوعظ و قصّ و دعا حتى كثر الزحام عليه، ثم قال لهم: روى لنا غير واحد أنه من بلغ لسانه أرنبه أنفه لم يدخل النار. فما بقي واحد إلا و أخرج لسانه يومئ به نحو أرنبه أنفه و يقدره حتى يبلغها أم لا، فلما تفرقوا قال لي العتابي: أ لم أخبرك أنهم بقر (٢).

ص: ٢٥٣

١-١ (١) مروج الذهب ٣:٣٥-٣:٣٦. [١]

٢-٢ (٢) الأغاني ١١٤:١٣. [٢]

و قال عليه السلام لرجل سأله أن يعظه:

لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَزْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ - وَ يُرْجَى التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ - يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الرَّاهِدِينَ - وَ يَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاعِبِينَ -  
 إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبِعْ وَ إِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَفْنَعْ - يَعْجُزُ عَنِ سُكْرِ مَا أُوتِيَ وَ يَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ - يَنْهَى وَ لَا يَنْتَهَى وَ يَأْمُرُ بِمَا لَا  
 يَأْتِي - يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَ لَا - يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ - وَ يُبْغِضُ الْمُنْذِبِينَ وَ هُوَ أَحَدُهُمْ - يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ - وَ يُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ  
 الْمَوْتَ مِنْ أَجْلِهِ - إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِمًا وَ إِنْ صَحَّ آمَنَ لَاهِيًا - يُعْجَبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوْفِيَ وَ يَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ - وَ إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرًّا  
 وَ إِنْ نَالَهُ رَحَاءٌ أَعْرَضَ مُعْتَرًّا - تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا يَظُنُّ وَ لَا يَغْلِبُهَا عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ - يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَذْنَى مِنْ ذَنْبِهِ - وَ يَزْجُو لِنَفْسِهِ  
 بِأَكْثَرِ مَنْ عَمَلِهِ - إِنْ اسْتَيْغَى بَطْرًا وَ فُتِنَ وَ إِنْ افْتَقَرَ قَبِيحًا وَ وَهَنَ - يَقْصُرُ إِذَا عَمِلَ وَ يَبَالِغُ إِذَا سَأَلَ - إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ  
 الْمَعْصِيَةَ بِهِ وَ سَوَّفَ التَّوْبَةَ - وَ إِنْ عَرَّتْهُ مِحْنَةٌ أَنْفَرَجَ عَنِ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ - يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَ لَا - يَعْتَبِرُ - وَ يَبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَ لَا يَتَعَطَّى - فَهُوَ  
 بِالْقَوْلِ مُبَدِّلٌ وَ مِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ - يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى وَ يُسَاهِمُحُ فِيمَا يَبْقَى - يَرَى الْغَنَمَ مَعْرَمًا وَ الْغُرْمَ مَعْنَمًا - يَخْشَى الْمَوْتَ وَ لَا يُبَادِرُ  
 الْفُوتَ - يَسْتَعْظِمُ مِنَ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَيْقِلُ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنَ نَفْسِهِ - وَ يَسْتَيْكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُهُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ - فَهُوَ عَلَى النَّاسِ  
 طَاعِنٌ وَ لِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ - اللَّهُوَ مَعَ الْأَغْيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الدُّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ - يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَ لَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ - يُؤَشِّدُ  
 غَيْرَهُ وَ يُعْوِي نَفْسَهُ - فَهُوَ يُطَاعُ وَ يَعْصَى



وَ يَسْتَوْفِي وَ لَا- يُوفِي- وَ يَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ وَ لَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ قَالَ الرضی: و لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظه ناجعه و حكمه بالغه و بصيره لمبصر و عبره لناظر مفكر.

أقول:قول المصنّف: (و قال عليه السّلام لرجل سأله ان يعظه) رواه (تحف العقول -تحف العقول-ص ١٥٧) عنه عليه السّلام أبسط، فقال: موعظه له عليه السّلام في وصف المقصرين... (١).

و رواه الجاحظ في (بيانه ١ الجاحظ-البيان و التبيين-) عنه عليه السّلام أخصر، و أخذه عنه عبد الله بن عباس فوعظ به ابنه علي بن عبد الله بن عباس كما رواه المفيد في (أماليه ٢ الشيخ المفيد-الأمالي-ص ٣٢٩ ح ٢ م ٣٩٢) (٢).

قوله عليه السّلام: «لا تكن ممن يرجوا الآخرة بغير العمل» هكذا في (المصريه) (٣) و الصواب: (بغير عمل) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤)، نهى عليه السّلام عن رجاء الآخرة بدون عمل، لأنه كمن رجا ضرب البيدر بدون زرع، و قد قال تعالى «اذْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٥) و قد قال النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: لا- يدع مدع و لا- يتمن متمن أنه ينجو إلا- بعمل و رحمه، لو عصيت هويت، اللهم هل بلغت.

و من الشعر المنسوب إليه عليه السّلام كما قال ابن أبي الحديد في غير هذا الموضوع:

غزّ جهولا أمله يموت من جا أجله

و من دنا من حتفه لم تغن عنه حيله

ص: ٢٥٥

١- ١) تحف العقول: ١٥٧.

٢- ٢) أمالي المفيد: ٣٢٩ ح ٢ م ٣٩٢.

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ١٨٩، [١] من الكلام ١٥٠.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٣٥٦: ١٨. [٢]

٥- ٥) النحل: ٣٢. [٣]

و ما بقاء آخر قد غاب عنه أوله

و المرء لا يصحبه فى القبر إلا عمله (١)

و فى (الأغانى): قال الرشيد لأبى العتاهيه: عظى. قال: أخافك. فقال له:

أنت آمن فأنشده:

ترجو النجاه و لم تسلك طريقها إن السفينه لا تجرى على اليبس

فبكى حتى بلّ كمه (٢).

«و يرجىء التوبه» أى: يؤخرها من «أرجأ» أو «أرجى».

«بطول الأمل» و هذا أحد عبقریات إبليس فى إهلاك الناس، و قد هلك من هلك قبل بذا.

هذا، و لما بعث عبد الملك بن مروان خالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد إلى البصره - و كان عليها مصعب من قبل أخيه - كان طائفه مع ذا و طائفه مع ذا، و كان قيس السلمى مع مصعب، و كان يستأجر الرجال يقاتلون معه، فتقاضاه رجل أجره فقال: غدا أعطيها. فقال بعضهم لقيس - و كان قيس يعلم فى عنق فرسه جلاجل -:

لبس ما حكمت يا جلاجل النقد دين و الطعان عاجل

«يقول فى الدنيا بقول الزاهدين و يعمل فيها بعمل الراغبين» فى (المروج):

أظهر ابن الزبير الزهد فى الدنيا مع الحرص على الخلافه و قال: إنما بطنى شبر فما عسى أن يسع ذلك من الدنيا و انا العائد بالبيت، و كثرت أذيته لبنى هاشم مع شحه بالدنيا على سائر الناس، فقال بعضهم:

تخبر من لا قيت أنك عائد و تكثر قتلا بين زمزم و الركن

ص: ٢٥٦

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٢٠: ٢، [١] فى شرح الخطبه ٤٢.

٢- ٢) الأغانى لأبى الفرج الاصبهاني ١٠٦: ٤، نقله المصنف بتصرف.

أيضا:

لو كان بطنك شبرا قد شبت و قد أفضلت فضلا كثيرا للمساكين (١)

و كان الحسن البصرى يقول فى الحجاج: يتكلم على المنبر بكلام الأولياء و ينزل و يعمل عمل الجابره.

و قال بعضهم لسليمان بن عبد الملك: كان الحجاج يترين تزين المومسه و يصعد المنبر و يتكلم بكلام الأخيار، فإذا نزل عمل الفراعنه.

و فى (المعجم): كان قاضى القضاء عبد الجبار شيخ المعتزله يزعم أن المسلم يخلد فى النار على ربع دينار، و صادره فخر الدوله على ثلاثه آلاف درهم قيل باع فى مصادره ألف طيلسان مصرى، و جميع هذا المال من قضاء الظلمه بل الكفره عنده و على مذهبه (٢).

و فى الخبر: قال المسيح عليه السلام للحواريين: لا تكونوا كالمنخل يخرج الدقيق الطيب و يمسك النخاله، قولكم شفاء و عملكم داء (٣). و قال شاعر:

و منتظر للموت فى كل ساعه يشيد بيتا دائما و يحصن

له حين يتلوه حقيقه موقن و أفعاله أفعال من ليس يوقن

أيضا:

إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا و لكن حسن القول خالفه الفعل

و ذموا لنا الدنيا و هم يرضعونها أفويق حتى ما يدّر لها ثعل

أيضا:

إذا وصف الاسلام أحسن وصفه بفيه و يأبى قلبه و يهاجره

ص: ٢٥٧

١-١ (١) مروج الذهب ٣:٧٥. [١]

٢-٢ (٢) معجم الادباء ٣:٣٠٠، [٢] نقله المصنف بتصريف.

٣-٣ (٣) رواه تحف العقول: ٥١٠.

و ان قام قال الحق ما دام قائما نقي اللسان كافر بعد سايره

أيضا:

لا يعجبك من خطيب قوله حتى يكون مع اللسان دخيلا

أيضا:

و لفظه يأمرنا بالتقى و لحظه يأمرنا بالخنا

«إن اعطى منها لم يشبع» لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى لهما ثالثا (١).

«و إن منع منها لم يقنع» و تذهب أعمال من كان كذلك في القيامة هباء منثورا، و ان كانت كالجبال .

«يعجز عن شكر ما أوتي» فقالوا عليهم السلام: إن كل نعمه عجزت عن شكرها بمنزله سيئه تؤاخذ بها (٢).

و في (تاريخ بغداد): خرج دعبل إلى خراسان فنادم عبد الله بن طاهر فأعجب به، فكان في كل يوم يناديه يأمر له بعشره آلاف درهم، و كان يناديه في الشهر خمسة عشر يوما، و كان ابن طاهر يصله في كل شهر بمائه و خمسين ألف درهم فلما كثرت صلاته له تواری دعبل عنه في يوم منادته في بعض الخانات، فطلبه فلم يقدر عليه، فشق ذلك عليه، فلما كان من الغد كتب إليه دعبل:

هجرتك لم أهجرك من كفر نعمه و هل يرتجى نيل الزيادة بالكفر

ص: ٢٥٨

١-١) الجامع الصغير للسيوطي ٢:١٣١.

٢-٢) تحف العقول: ٣٩٤، مؤسسه النشر الاسلامي، قم.

و لكننى لما أتيتك زائراً فأفرطت فى برى عجزت عن الشكر

فملا (١) لا آتيتك الا معذراً أزورك فى الشهرين يوماً و فى الشهر

فان زدت فى برى تزيدت جفوه و لم تلقنى حتى القيامه و الحشر (٢).

قلت: فإذا كان الانسان فى احسان واحد من مخلوق كذلك فكيف يجب أن يكون فى نعمه عزّ و جلّ التى لا تحصى أبداً.

«و يبتغى الزيادة فيما بقى» فى (الكافى) عن الرضا عليه السلام: من لم يقنعه من الرزق إلا الكثير لم يكفه من العمل إلا الكثير، و من كفاه من الرزق القليل فإنه يكفيه من العمل القليل (٣).

«ينهى و لا ينتهى» فى المثل: تنهانا أئنا عن الغيّ [البغاء] و تغدو فيه (٤).

لا تنه عن خلق و تأتى مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

و عدم الانتهاء عن المنكر مذموم مطلقاً، قال تعالى «لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَ كَانُوا يَعْتَدُونَ كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ وَ لَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ النَّبِيِّ وَ مَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا»

ص: ٢٥٩

١- ١) أى: فمن الآن.

٢- ٢) تاريخ بغداد ٩: ٤٨٧ و ٩: ٤٨٨، [١] نقله بتصرف.

٣- ٣) الكافى ١٣٨: ٢-٥. [٢]

٤- ٤) مجمع الأمثال للميدانى ١: ١٢٧، [٣] الزمخشري ٢: ٣٢. [٤]

«اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ وَ لَكِنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَاسِقُونَ» (١).

«و يأمر بما لا يأتي» «أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَ تَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» (٢).

يا أمر الناس بالمعروف مجتهدا و إن رأى عاملا بالمنكر انتهره

ابداً بنفسك قبل الناس كلهم فأوصها و أتلى ما فى سورة البقره

اشاره إلى الآيه، و قيل بالفارسيه: «توبه فرمايان چرا خود توبه كمتر

مى كنند»

(٣). و قال الشاعر:

و غير تقى يأمر الناس بالتقى طيب يداوى و الطيب مريض

لا تركب الصنيع الذى تلوم أخاك على مثله

و لا يعجبك قول امرئ يخالف ما قال فى فعله

«يحب الصالحين و لا- يعمل عملهم، و يبغض المذنبين و هو أحدهم» المراد أنه كما يحب الصالحين ليعلم الصالحات و كما يبغض المذنبين ليجتنب السيئات لا انه لا يحب الصالحين و لا يبغض المذنبين، فمن لم يكن محب الصالحين و مبغض المذنبين فهو كافر.

«يكره الموت لكثرة ذنوبه و يقيم على ما يكره الموت له» «يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرَ أَلْفَ سَنَةٍ وَ مَا هُوَ بِمُرْخَزِجِهِ مِنَ الْعَذَابِ أَنْ يُعَمَّرَ» (٤).

«إن سقم ظل نادما، و ان صح أمن لاهيا» و كان عليه أن يغتنم الفرصه فى سلامته فى هذه المره فلا بد أن يسقم مره أخرى و لا يسلم.

«يعجب بنفسه إذا عوفى» فى الخبر: أوحى تعالى إلى داود عليه السلام بشر المذنبين و أنذر الصديقين. قال: كيف يا رب؟ قال: بشر المذنبين أنى أقبل

ص: ٢٦٠

١- ١) المائدة: ٧٨-٨١. [١]

٢- ٢) البقره: ٤٤. [٢]

۳-۳) دیوان حافظ، چاپ غنی و قزوینی.

۴-۴) البقره: ۹۶. [۳]

التوبه و أعفو عنهم، و أنذر الصديقين ألا يعجبوا بأعمالهم، فليس عبد أنصبه للحساب إلا هلك (١).

أيضا: ظهر إبليس لموسى عليه السلام و عليه برنس ذو ألوان، فقال له: ما هذا؟ قال: اختطف به قلوب بني آدم. فقال له: فأخبرني بالذنب الذى إذا أذنبه ابن آدم استحوذت عليه. قال: إذا أعجبتة نفسه، و استكثر عمله، و صغر فى عينه ذنبه (٢).

أيضا: دخل عابد و فاسق المسجد، فخرجا و الفاسق صديق لكون فكره فى التندم على فسقه و استغفاره من ذنبه، و العابد فاسق لكونه مدلا بعبادته و فكرته فى ذلك (٣).

«و يقنط إذا ابتلى» «إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا وَ إِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا» (٤).

«إن أصابه بلاء دعا مضطرا، و إن أصابه رخاء أعرض مغترا» «فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ» (٥)، «وَ إِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوا إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ» (٦).

«تغلبه نفسه على ما تظن» من الآمال البعيده «و لا يغلبها على ما يستيقن» من الموت و القيامة «يخاف على غيره بأدنى من ذنبه، و يرجو لنفسه بأكثر من عمله» مع أنه لو عكس فكان عمله أكثر من غيره، و ذنبه أقل من غيره لكان عليه

ص: ٢٦١

١- ١) أخرجه الكافى ٢: ٣١٤ ح ٦، و [١] نقله المصنّف بتصرف فى العبارة.

٢- ٢) أخرجه الكافى ٢: ٣١٤ ح ٧ و ٨، و [٢] نقله المصنّف بتصرف فى العبارة.

٣- ٣) أخرجه الكافى ٢: ٣١٤ ح ٧ و ٨، و [٣] نقله المصنّف بتصرف فى العبارة.

٤- ٤) المعارج: ١٩-٢١. [٤]

٥- ٥) العنكبوت: ٦٥. [٥]

٦- ٦) الزمر: ٨. [٦]



أن يخاف على نفسه أكثر و يرجو لغيره أكثر.

و في (المروج) عن ابن عياش المنتوف، قال المنصور يوما و نحن عنده:

أ تعرفون جبارا أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين؟ و جبارا أول اسمه عين، و جبارا أول اسمه عين؟ قلت: نعم. عبد الملك قتل عمرو بن سعيد الأشدق و عبد الله بن الزبير و عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث. فقال: أ تعرفون خليفه أول اسمه عين قتل جبارا أول اسمه عين؟ و جبارا أول اسمه عين، و جبارا أول اسمه عين؟ قلت: نعم أنت قتلت عبد الرحمن بن مسلم -أى: أبا مسلم- و عبد الجبار بن عبد الرحمن- و كان عامله على خراسان فخلع فأسر فأمر بقطع يديه و رجله ثم ضرب عنقه- و عبد الله بن علي سقط عليه البيت.

قال: فما ذنبي إن كان سقط عليه البيت؟ قلت: لا- ذنب لك (١). فسَمِيَ عبد الملك جبارا و نفسه خليفه مع أنه كان أشد في الجباريه، فعبد الملك كتب إلى الحجاج أن يرعى السجّاد عليه السّلام لأنّ بنى أبي سفيان انقرضوا بتعرضهم لبيته، و هو- مع ان الصادق عليه السّلام كان أخبره بصيروره الأمر إليهم حتى يلعب به صبيانهم- أحضره مَرَات لقتله، و كان عليه السّلام يدعو لدفع شره حتى وافق الأخير الأجل.

«إن استغنى بطر» و البطر: شدّه المرح.

«و فتن» «إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيْطَغَى أَنْ رَأَاهُ اسْتَغْنَى» (٢)، «و كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرِيْبِهِ بَطْرَتْ مَعِيْشَتَهَا فَتَلَكْ مَسَاكِيْنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيْلًا» (٣)، «و لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيْهِ» (٤).

«و إن افتقر قنط» «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَ نَعَّمَهُ فَيَقُولُ»

ص: ٢٤٢

١-١ (١) مروج الذهب ٣:٣٠٦. [١]

٢-٢ (٢) العلق: ٧. [٢]

٣-٣ (٣) القصص: ٥٨. [٣]

٤-٤ (٤) طه: ١٣١. [٤]

«رَبِّي أَكْرَمَنِي وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ» (١).

«يقصر إذا عمل» والحال إنه تعالى قال: «فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ» (٢)، «سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» (٣).

«و يبالغ إذا سأل» عن الصادق عليه السلام: إيتاك و سؤال الناس فإنه ذل في الدنيا و حساب طويل يوم القيامة.

و عن الباقر عليه السلام: لو يعلم السائل ما في المسألة، ما سأل أحد أحدا، و لو يعلم المعطى ما في العطية، ما رد أحد أحدا.

و عن النبي صلى الله عليه و آله: إن الأرزاق دونها حجب، فمن شاء قنى حياءه و أخذ رزقه، و من شاء هتك الحجاب و أخذ رزقه، و الذى نفسى بيده لأن يأخذ أحدكم حبالا ثم يدخل عرض هذا الوادى فيحتطب حتى لا يلتقى طرفاه ثم يدخل به السوق فيبيعه بمد من تمر يأخذ ثلثه و يتصدق بثلثيه، خير له من أن يسأل الناس، أعطوه أو حرموه (٤).

«ان عرضت له شهوه أسلف المعصيه و سوف التوبه» مع أنه تعالى قال «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٥) وقالوا عليهم السلام: اذكروا انقطاع اللذات و بقاء التبعات.

«و إن عرته المحنة انفرج عن شرائط المله» فيعلم أنه ليس بكامل الإيمان و إلا - فالؤمن الكامل دينه أشد من الجبل يؤثر فى الجبل المعول و لا يؤثر فى

ص: ٢٤٣

١-١ (١) الفجر: ١٥-١٦. [١]

٢-٢ (٢) البقره: ١٤٨، [٢] المائده: ٤٨. [٣]

٣-٣ (٣) الحديد: ٢١. [٤]

٤-٤ (٤) أخرجه الكافى ١، ٢٠: ٣-٤. [٥]

٥-٥ (٥) النازعات: ٤٠-٤١. [٦]

دينه شىء، و السحره لما قال لهم فرعون «وَأَصِيبْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ» (١) لايمانهم بموسى قالوا له «فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ» (٢).

«يصف العبره ولا يعتبر» كما ان أكثر الناس يصفون الحق ولا يعملون به «و يبالغ في الموعظه ولا يتعظ» قال الشاعر:

ابدأ بنفسك فانها عن غيرها فإذا انتهت عنه فأنت حكيم

فهنالك تعذر إن وعظت و يقتدى بالقول منك و يقبل التعليم

و قيل بالفارسيه:

واعظان كاين جلوه در محراب و منبر ميکنند چون بخلوت می روند آن کار ديگر ميکنند (٣)

«فهو بالقول مدل» من الدلال.

«و من العمل مقل» في (تاريخ بغداد):لقى رجل يحيى بن أكثم-و هو يومئذ على قضاء القضاة-فقال له:كم آكل؟قال:دون الشبع.قال:فكم أضحك؟قال:لا يعلو صوتك.قال:فكم أبكى؟قال:لا تملّ البكاء من خشية الله.

قال:فكم أخفى من عملي؟قال:ما استطعت.قال:فكم أظهر منه؟قال:ما يقتدى بك البرّ الخيّر، و يؤمن عليك قول الناس.فقال الرجل:سبحان الله قول قاطن و عمل ظاعن (٤).

قلت:قال الرجل ذلك لأن يحيى كان بالعكس عملاً،و كان معروفا بعمل اللواط بل القول بحليته.

ص: ٢٤٤

١-١ طه: ٧١. [١]

٢-٢ طه: ٧٢-٧٣. [٢]

٣-٣ ديوان حافظ. چاپ غنى و قزوينى.

٤-٤ (٤) تاريخ بغداد ٢٠٠: ١٤، و [٣]النقل بتصرف.

«يَنَافِسُ مَا يَفْنَى، وَيَسَامِحُ مَا يَبْقَى» عَلَى الْعَكْسِ مِمَّا قَالَ تَعَالَى «إِنَّ الْأُبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ عَلَى الْأَرَائِكِ يُنظَرُونَ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ يُشَقُّونَ مِنْ رَحِيقٍ مَحْتُومٍ خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ» (١)، «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (٢).

«يَرَى الْغَنَمَ مَغْرَمًا وَالْغَرَمَ مَغْنَمًا» «وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُّ بِكُمْ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ» (٣)، «إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيُصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ» (٤).

و في (المناقب): فرق الرضا عليه السلام بخراسان ماله كله في يوم عرفه، فقال له الفضل بن سهل: ان هذا المغرم. فقال: بل هو المغنم، لا تعدن مغرما ما ابتغيت به اجرا وكرما (٥).

«يَخْشَى الْمَوْتَ وَلَا يِبَادِرُ الْفَوْتَ» مع أن الفرصه تمر مر السحاب و يجب اغتنام الحياه قبل الممات «وَأَنْفِقُوا مِنْ مَا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَا أَخَّرْتَنِي إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَ أَكُنْ مِنَ الصَّالِحِينَ وَ لَنْ يُؤَخَّرَ اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجْلُهَا وَ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ» (٦)، «أَوْ لَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ» (٧).

ص: ٢٤٥

١- ١) المطففين: ٢٢-٢٦. [١]

٢- ٢) الحديد: ٢٣. [٢]

٣- ٣) التوبه: ٩٨. [٣]

٤- ٤) الأنفال: ٣٦. [٤]

٥- ٥) المناقب ٤: ٣٦١. [٥]

٦- ٦) المنافقون: ١٠-١١. [٦]

٧- ٧) فاطر: ٣٧. [٧]

«يستعظم من معصيه غيره ما يستقل أكثر من نفسه» .

و تعذر نفسك إمّا أسأت و غيرك بالعدر لا تعذر

و تبصر فى العين منه القذى و فى عينك الجذع لا تبصر

«و يستكثر من طاعته ما يحقر من طاعه غيره» و الواجب أن يحكم فى غيره إذا كان أكبر منه بأنّه أكثر طاعه، و أصغر أقل معصيه، و تراه فى شك من معصيته و يقينه فى معصيه نفسه.

«فهو على الناس طاعن و لنفسه مداهن» فى (الأغانى): لَمّا مات إبراهيم الموصلى كان إبراهيم بن المهدي يشرب و جواريه يغنين - و كان كالشامت بموته - و اندفع يغنى:

ستبكيه المزامر والملاهي و تسعدهن عاتقه الدنان

و تبكيه الغويّه إذ تولّى و لا تبكيه تاليه القران

فقال بعض من حضر فى نفسه: أفتراه هو إذا مات من يبكيه؟ المحراب أم المصحف؟! مع أنّه كان - كما اعترف - تلميذ إبليس فى الغناء، ظهر له و علّمه (١). و قال دعبل فيه لَمّا قام فى مجلس المأمون لَمّا جعل الرضا عليه السّلام ولى عهده:

إن كان إبراهيم مضطلعا بها فلتصلحن من بعده لمخارق (٢)

«اللهو مع الأغنياء أحبّ إليه من الذكر مع الفقراء» و قالوا عليه السّلام: من تواضع لغنى لغناه ذهب ثلثا دينه (٣).

و عن الكاظم عليه السّلام: محادثه العالم على المزابل، خير من محادثه

ص: ٢٦٦

١- ١) الأغانى ٢٥٦: ٥، [١] بتصرف.

٢- ٢) الأغانى ١٨١: ٢٠، [٢]

٣- ٣) ميزان الحكمه لرى شهرى ٥٠٥: ١٠-٥٠٦، و النقل بالمعنى.

و في (تفسير القمي) في «و لا تَطْرُدِ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَ مَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» (٢) كان بالمدينة فقراء مؤمنون أمرهم النبي صلى الله عليه و آله أن يكونوا في صفه يأوون إليها، و كان النبي يتعاهدهم بنفسه، و ربّما حمل إليهم ما يأكلون، و كانوا يختلفون إلى النبي فيقرّبهم و يقعد معهم و يؤنسهم، و كان إذا جاء الأغنياء و المترفون من أصحابه أنكروا عليه ذلك و قالوا له اطردهم عنك، فجاء يوما رجل من الأنصار إليه صلى الله عليه و آله و عنده رجل من أصحاب الصّفه قد لزق بالنبي و النبي يحدثه، فقعد الأنصاري بالبعد منهما، فقال له النبي: تقدّم فلم يفعل، فقال له النبي: لعلك خفت أن يلزق بك فقره. قال:

اطرد عنك هؤلاء، فنزلت الآيات (٣).

و في (الكافي) عن الصادق عليه السّلام: جاء رجل موسر إلى النبي صلى الله عليه و آله نقي الثوب فجلس، فجاء رجل معسر درن الثوب فجلس إلى النبي بجانب الموسر فقبض الموسر ثيابه من تحت فخذه، فقال له النبي: أخفت أن يمسّك من فقره شيء؟ قال: لا. قال: فما حملك على ما صنعت؟ فقال: إن لي قرينا يزني لي كلّ قبيح و يقبّح لي كلّ حسن، و قد جعلت له نصف مالي. فقال النبي صلى الله عليه و آله للمعسر:

أ تقبل؟ قال: لا. قال له الرجل: لم؟ قال: أخاف أن يدخلني ما دخلك (٤).

«يحكم على غيره لنفسه و لا يحكم عليها لغيره» من أنصف الناس فهو

ص: ٢٦٧

١-١ (١) الكافي ١: ٣٩ ح ٢. [١]

٢-٢ (٢) الأنعام: ٥٢. [٢]

٣-٣ (٣) تفسير القمي ١: ٢٠٢. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٢: ٢٦٢ و ٢٦٣، و [٤] نقله بحذف بعض الروايه.

المؤمن حقا «وَلَوْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ» (١).

و في (الأغاني):لقى الفرزدق كثيرا بقارعه البلاط فقال له:يا أبا صخر! أنت أنسب العرب حيث تقول:

أريد لأنسى ذكرها فكأنما تمثّل لي ليلي بكلّ سبيل

قال له كثير:و أنت يا أبا فراس أفخر العرب حيث تقول:

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا و إن نحن أوأمانا إلى الناس وقفوا

قال الراوى:و هذان البيتان جميعا لجميل،سرق أحدهما الفرزدق و سرق الآخر كثير.فقال له الفرزدق:هل كانت أمك ترد البصره.قال:لا و لكن أبى كان كثيرا يردّها،فعرّض بكثير في سرقته و نسى سرقه نفسه،و أعتقد شاعريه بيته فقط (٢).

في (العيون):كان رجل من المتوقّرين لا يزال يعيب النبيذ و شرابه،فإذا وجده سرّا شربه،فقال بعض جيرانه:

و عتابه للشرب لو أنّ أمّه تبول نبيذا لم يزل يستيلها (٣)

و في (العقد):قيل للحجاج كيف وجدت منزلك بالعراق؟قال:خير منزل لو أدركت بها أربعا لتقرّبت الى الله بدمائهم.قيل:و من هم؟قال:مقاتل بن مسمع ولى سجستان فأتاه الناس فأعطاهم الأموال،فلما قدم البصره بسط الناس له أرديتهم،فقال لمثل هذا فليعمل العاملون،و عبید الله بن ظبيان خطب خطبه أوجز فيها،فنادى رجل من أعراض الناس:كثّر الله فينا من أمثالك،قال:

لقد سألتم الله شططا،و معن بن زرارہ كان ذات يوم جالسا على الطريق فمّرت

ص:٢٤٨

١-١ (١) النساء:١٣٥. [١]

٢-٢ (٢) الأغاني ٨:٩٦،و [٢]نقله المصنف بتصرف كثير.

٣-٣ (٣) عيون الأخبار ٢:١٩. [٣]

به امرأه فقالت: يا عبد الله! أين الطريق الى مكان كذا؟ فغضب وقال: المثلثي يقال يا عبد الله؟! أو أبو سَمَاك الحنفي أضل ناقتَه فقال: لئن لم يردها علي لا صلّيت له أبدا، فلما وجدها قال: علم أن يميني كانت برا. قال الراوى: ونسى الحجاج نفسه و هو خامس الأربعة بل هو أفسقهم و أطغاهم و أعظمهم إلحادا، كتب الى عبد الملك: ان خليفه الله فى أرضه أكرم عليه من رسوله اليهم (١).

و لما سمع الحجاج بظفر ابن خازم على الكفار قال: الحمد لله الذى نصر المنافقين على الكفار (٢).

«يرشد غيره و يغوى نفسه) و«و يرشد» فى (المصريه) تحريف (٣).

فى (الكافى) عن الباقر عليه السّلام فى قوله تعالى: «فَكُتِبَ عَلَيْكُمُ الْمُنَافِقُونَ» (٤) هم قوم و صفوا عدلا بألسنتهم ثم خالفوه إلى غيره (٥).

و عن الصادق عليه السّلام: أوحى تعالى الى داود: لا- تجعل بينى و بينك عالما مفتونا بالدنيا فيصدك عن طريق محبّتى، فإن أولئك قطع طريق عبادى المرئدين، إن أدنى ما أنا صانع بهم أن أنزع حلاوه مناجاتى من قلوبهم (٦).

«فهو يطاع و يعصى» فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام فى قوله تعالى: «إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ» (٧) من لم يصدّق فعله قوله فليس بعالم (٨).

و عن النبىّ صلى الله عليه و آله قال الحواريون لعيسى: من نجالس؟ قال: من يذكر كرم

ص: ٢٦٩

١- (١) العقد الفريد ٢: ١٩٨ و ١٩٩ و [١] نقله بتصريف كثير.

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٦: ٤٠٥. [٢]

٣- (٣) نهج البلاغه ٣: ١٩١ [٣] من الكلام ١٥٠.

٤- (٤) الشعراء: ٩٤. [٤]

٥- (٥) الكافى ١: ٤٦ ح ٤ و ١: ٤ [٥] ح ٧. ٤.

٦- (٦) المصدر نفسه. [٦]

٧- (٧) فاطر: ٢٨. [٧]

٨- (٨) الكافى ١: ٣٦ ح ٢، و ١: ٣ [٨] ح ٩. ٢.



اللّه رؤيته، و يزيد فى علمكم منطقته، و يرغبكم فى الآخرة عمله.

«و يستوفى و لا يوفى» «وَيْلٌ لِلْمُطَفِّينَ الَّذِينَ إِذَا أَكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَ إِذَا كَالُوا لَهُمْ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُخْسِرُونَ» (١).

«يخشى الخلق فى غير ربه» مع أنه تعالى قال: «و لا يخافون لَوْمَةَ لَائِمٍ» (٢).

و شاور معاويه الأحنف فى استخلاف يزيد، فسكت فقال: مالك لا تقول؟ فقال: إن صدقناك أسخطناك، و إن كذبتناك أسخطنا الله، و سخطك أهون من سخط الله. قال: صدقت.

و قال ابن هبيرة للحسن البصرى: تأتينا كتب يزيد بن عبد الملك، فإن أنفذتها وافق سخط الله و إن لم أنفذها خشيت على دمي. فقال: هذا الشعبى فقيه الحجاز عندك فاسأله، فسأله فقال: إنما أنت عبد مأمور. فقال للحسن: ما تقول أنت؟ فقال: يا ابن هبيرة خف الله فى يزيد و لا تخف يزيد فى الله، إن الله مانعك من يزيد، و إن يزيد لا يمنعك من الله، لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق، فانظر ما كتب اليك يزيد، فاعرضه على كتاب الله، فإن وافقه أنفذه، و إن خالفه فلا تنفذه، فإن الله أولى بك من يزيد، و كتاب الله أولى بك من كتاب يزيد. فقال ابن هبيرة: هذا الشيخ صدقتى و رب الكعبة.

«و لا يخشى الله فى خلقه» قالوا عليهم السلام: إتقوا من لا يجد ملجأ إلا الله.

و فى (الطبرى): أقرّ معاويه بعد زياد سمره بن جندب سته أشهر ثم عزله، فقال سمره: لعن الله معاويه! لو أطعت الله كما أطعت

ص: ٢٧٠

١-١ (١) المطففين: ١-٣. [١]

٢-٢ (٢) المائدة: ٥٤. [٢]

معاويه ما عدّبنى أبدا (١).

و في (الخلفاء): قال طاوس لسليمان بن عبد الملك: أبغض الخلق إلى الله عبد أشركه الله في سلطانه، فعمل فيه بمعاصيه، فحكك سليمان رأسه حتى كاد أن يجرح (٢).

(قال الرضى: و لو لم يكن في هذا الكتاب إلا هذا الكلام لكفى به موعظه ناجعه) من نجح فيه الدواء: أثر (و حكمه بالغه، و بصيره لمبصر، و عبره لناظر مفكر).

مرّ أن ابن عباس أخذه منه عليه السلام و وصّى به ابنه ثم قال له: ليكن هذا كترك الذي تدّخره، و كن به أشدّ اغتباطا منك بكنز الذهب الأحمر، فإنّك إن وعيته اجتمع لك به خير الدنيا و الآخرة.

هذا، و في (ذيل الطبرى): أتى صعصعه عمّ الفرزدق النبىّ صلى الله عليه و آله فقرأ النبىّ عليه «فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَ مَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ» (٣) فقال صعصعه: حسبى لا أسمع غيرها (٤).

٩

الحكمه (٢٨٥)

و قال عليه السلام:

كُلُّ مُعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنظَارَ - وَ كُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ المراد نقص الناس بأنّ من عليه حقّ معجل يسأل من ذى الحقّ إنظاره و إمهاله، و من عليه حقّ مؤجل يتعلّل بالتسويق بعد الأجل.

ص: ٢٧١

١- (١) تاريخ الطبرى ٢٩١: ٥ [١] فى وقائع سنه ٥٣، و نقله المصنف بتصرف.

٢- (٢) الامامه و السياسه ١٠٥: ٢. [٢]

٣- (٣) الزلزله: ٧ و ٨. [٣]

٤- (٤) ذيل المذيل: ٦٥.



## الفصل السابع والعشرون: في القضاء والقدر

إشاره

ص: ٢٧٣



و من كلامه عليه السلام للسائل لما سأله: «أ كان مسيرنا إلى الشام بقضاء من الله و قدر» بعد كلام طويل هذا مختاره:

وَيَحِيكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِمًا وَقَدْرًا حَاتِمًا- وَ لَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَ الْعِقَابُ- وَ سَقَطَ الْوَعْدُ وَ الْوَعِيدُ- إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخِيِيرًا وَ نَهَاهُمْ تَحْدِيرًا- وَ كَلَّفَ يَسِيرًا وَ لَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا- وَ أَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا وَ لَمْ يُعْصِ مَغْلُوبًا- وَ لَمْ يُطْعِ مَكْرُوهًا وَ لَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لِعِبَاءٍ- وَ لَمْ يُنْزِلِ الْكِتَابَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا- وَ لَا خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ مَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا- «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» أقول: رواه المفيد في ( إرشاده الشيخ المفيد-الإرشاد-ص ١٢٠) و الكليني في ( كافيه الكليني-الكافي-ج ١ ص ١٥٥ ح ١) و الصدوق في ( توحيدة الشيخ الصدوق-التوحيد-ص ٣٨٠ تا ٣٨٢)، قال الأول: روى الحسن البصرى أن رجلا جاء الى أمير المؤمنين عليه السلام بعد انصرافه من حرب صفين فقال: خبرنى عما كان بيننا

و بين هؤلاء القوم من الحرب أ كان بقضاء من الله و قدر؟ فقال عليه السلام له: ما علوتم تلعه و لا هبطتم واديا إلا و لله فيه قضاء و قدر. فقال الرجل: فعند الله أحتسب عنائي. فقال له: و لم؟ قال: إذا كان القضاء و القدر إلى العمل فما وجه الثواب لنا على الطاعة؟ و ما وجه العقاب لنا على المعصية؟ فقال عليه السلام: أو ظننت يا رجل أنه قضاء حتم و قدر لازم، لا تظن ذلك، فإن القول به مقال عبده الأوثان، و حزب الشيطان، و خصماء الرحمن، و قدرية هذه الامه و مجوسها، ان الله جل جلاله أمر تخييرا، و نهى تحذيرا، و كلف يسيرا، و لم يطع مكرها، و لم يعص مغلوبا، و لم يخلق السماء و الأرض و ما بينهما باطلا، «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (١). فقال الرجل: فما القضاء و القدر الذي ذكرته؟ قال عليه السلام: الأمر بالطاعة و النهى عن المعصية، و التمكن من فعل الحسنه و ترك السيئه، و المعونه على القربه إليه و الخذلان لمن عصاه، و الوعد و الوعيد، كل ذلك قضاء الله فى أفعالنا و قدره لأعمالنا، فأما غير ذلك فلا تظنه، فإن الظن له محبط للأعمال. فقال الرجل: فرجعت عنى فرج الله عنك، و أنشأ يقول:

أنت الامام الذى نرجو بطاعته يوم المآب من الرحمن غفرانا

أوضحت من ديننا ما كان ملتبسا جزاك ربك بالإحسان احسانا

قال: و هذا الحديث موضح عن قوله عليه السلام فى معنى العدل و نفى الجبر و إثبات الحكمة فى أفعاله تعالى و نفى العبث عنها (٢).

و قال الثانى: على بن محمد عن سهل بن زياد و اسحاق بن محمد و غيرهما رفعوه قال: كان أمير المؤمنين عليه السلام جالسا بالكوفه بعد منصرفه من صفين إذ أقبل شيخ فجثا بين يديه ثم قال له: أخبرنا عن مسيرنا الى أهل

ص: ٢٧٦

١-١ (١) ص: ٢٧.

٢-٢ (٢) إرشاد المفيد: ١٢٠. [١]

الشام بقضاء من الله و قدر؟ فقال عليه السلام له: أجل يا شيخ، ما علوتم تلعه و لا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله و قدر. فقال له الشيخ: فعند الله أحتسب عنائي. فقال له: مه، فو الله لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم و أنتم سائرون، و في مقامكم و أنتم مقيمون، و في منصرفكم و أنتم منصرفون، و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين، و لا إليه مضطرين. فقال له الشيخ: و كيف لم نكن في شيء من حالاتنا مكرهين و لا إليه مضطرين، و كان بالقضاء و القدر مسيرنا و منقلبنا و منصرفنا؟ فقال عليه السلام له: و تظن أنه كان قضاء حتما و قدرا لازما؟ أنه لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب، و الأمر و النهي. و الزجر من الله، و سقط معنى الوعد و الوعيد، فلم تكن لائمه للمذنب، و لا محمده للمحسن، و لكان المذنب أولى بالإحسان من المحسن، و لكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقاله إخوان عبده الأوثان، و خصماء الرحمن، و حزب الشيطان، و قدره هذه الامه و مجوسها، إن الله تعالى كلف تخييرا، و نهى تحذيرا، و أعطى على القليل كثيرا، و لم يعص مغلوبا، و لم يطع مكرها، و لم يملك مفوضا، و لم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا، و لم يبعث النبيين مبشرين و منذرين عبثا «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ». فأنشأ الشيخ... (١).

و روى الثالث مسندا عن السكوني عن الصادق عليه السلام عن آبائه و عن الهادي عن آبائه عليهم السلام قال: دخل رجل من أهل العراق على أمير المؤمنين عليه السلام فقال: أخبرنا عن خروجنا الى أهل الشام أ بقضاء من الله و قدر؟ فقال له: أجل يا شيخ، فو الله ما علوتم تلعه و لا هبطتم بطن واد إلا بقضاء من الله و قدر؟ فقال الشيخ: عند الله أحتسب عنائي. فقال عليه السلام: مهلا يا شيخ! لعلك تظن قضاء حتما

ص: ٢٧٧



وقدرا لازما، لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي والزجر، ولسقط معنى الوعيد والوعد، ولم يكن على مسيء لائمته، ولا لمحسن محمده، وكان المحسن أولى باللائمة من المذنب، والمذنب أولى بالإحسان من المحسن، تلك مقاله عبده الأوثان، وخصماء الرحمن، وقدرية هذه الامه و مجوسها. يا شيخ! إنَّ الله عزَّ و جلَّ كلف تخييرا، ونهى تحذيرا، وأعطى على القليل كثيرا، ولم يعص مغلوبا، ولم يطع مكرها، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلا، «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ». فنهض الشيخ وهو يقول-الى أن قال زائدا على ما مرَّ من الشعر:-

فليس معذره في فعل فاحشه قد كنت راكبها فسقا و عصيانا

لا لا و لا قائلا ناهيه أوقعه فيها عبت إذن يا قوم شيطانا

فلا أحبَّ و لا شاء الفسوق و لا قتل الولي له ظلما و عدوانا

و رواه مسندا عن عبد الله بن نجیح عن جعفر عن محمد عن آباءه عليهم السَّلام، و عن عكرمه عن ابن عباس-الى أن قال-و ذكر الحديث مثله سواء إلاَّ أنه زاد:

فقال الشيخ: فما القضاء و القدر اللذان ساقانا و ما هبطنا واديا و لا علونا تلعه إلاَّ بهما؟ فقال عليه السَّلام: الأمر من الله و الحكم، ثم تلا هذه الآية «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّاٰ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا» (١).

و قال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ١٨ ص ٢٢٧ و ٢٢٨: ذكره أبو الحسين في (غرره أبو الحسين-الغرر-في بيان أن القضاء و القدر قد يكون بمعنى الحكم و الأمر) في بيان أن القضاء و القدر قد يكون بمعنى الحكم و الأمر.

و روى عن الأصبغ قال: قام شيخ إلى عليّ عليه السَّلام فقال: أخبرنا عن مسيرنا إلى الشام أ كان بقضاء الله و قدره؟ فقال: و الذي فلق الحبه و برأ النسمه ما وطئنا موطنًا و لا هبطنا واديا إلاَّ بقضاء الله و قدره. فقال الشيخ: فعند الله

ص: ٢٧٨

(١- ١) التوحيد: ٣٨٠-٣٨٢. و الآية ٣٣ من سورة الاسراء. [١]

احتسب عنائي ما أرى على من الأجر شيئاً. فقال: مه، لقد عظم الله أجركم في مسيركم و أنتم سائرون، و في منصرفكم و أنتم منصرفون، و لم تكونوا في شيء من حالاً- تكلم مكرهين و لا اليها مضطرين. فقال: و كيف و القضاء و القدر ساقانا؟ فقال: و يحك لعلك ظننت قضاء لازماً و قدراً حتماً، لو كان ذلك كذلك لبطل الثواب و العقاب، و الوعد و الوعيد، و الأمر و النهي، و لم تك لائمه من الله لمذنب، و لا- محمده لمحسن، و لم يكن المحسن أولى بالمدح من المسيء، و لا- المسيء أولى بالذم من المحسن، تلك مقاله عبيد الأوثان، و جنود الشيطان، و شهود الزور، و أهل العمى عن الصواب، و هم قدره هذه الائمة و مجوسها، إن الله سبحانه أمر تخييراً و نهى تحذيراً، و كلف يسيراً، و لم يعص مغلوباً و لم يطع مكرهاً، و لم يرسل الرسل الى خلقه عبثاً و لم يخلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلاً «ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ». فقال الشيخ: فما القضاء و القدر اللذان ما سرنا إلا بهما؟ فقال: هو الأمر من الله و الحكم، ثم تلا قوله سبحانه «وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» (١).

قلت: و رواه الزمخشري في (فائقه الزمخشري- الفائق- ج ١ ص ٧١ و ج ٢ ص ٣٣٥، دار المعرفة، تحقيق محمد ابى الفضل) مثله (٢).

قلت: شتان بينه عليه السلام و بين فاروقهم. روى الخطيب عن ابن مسعود قال:

خطب عمر الناس بالجايه فقال في خطبته: ان الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء. فقال قس من القسوس: ما يقول أميركم؟ هذا. قالوا: يقول: إن الله يضل من يشاء و يهدى من يشاء. فقال القس: برقت. الله أعدل من أن يضل أحداً فبلغ عمر ذلك فبعث اليه: بل الله أضللك و لو لا عهدك لضربت عنقك (٣).

ص: ٢٧٩

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٢٢٧: ١٨- ٢٢٨ و [١] الآية: ٢٣ من سورة الاسراء. [٢]

٢- ٢) أورد الزمخشري أجوبه الامام على عليه السلام على بعض الأسئلة المحيره راجع ١: ٧١ و ٢: ٣٣٥ من الفائق، دار المعرفة، تحقيق محمد ابى الفضل.

٣- ٣) أورد أبو عبيد عن على بن رباح عن أبيه: أن عمر بن الخطاب خطب الناس بالجايه، فقال: من أراد أن يسأل عن القرآن فليأت أبى بن. كعب، و من أراد أن يسأل عن الفرائض فليأت زيد بن ثابت، و من أراد أن يسأل عن الفقه فليأت معاذ بن جبل، و من أراد أن يسأل عن المال فليأتنى. (كتاب الأموال لأبى عبيد: ٩٩ ح ٥٤٨).

قول المصنّف: (و من كلام له عليه السّلام للسائل) هكذا في (المصريه الأولى) (١) و لكن في ابن أبي الحديد: و من كلامه عليه السلام للسائل الشامي. و في (ابن ميثم): و من كلام له للشامي (٢). فالظاهر ان أصل النهج كان هكذا لصحّحه نسختهما، فيرد عليه ان السائل لم يكن شاميا بل عراقيا شهد معه صفين، كما صرح به في طريق الصدوق. نعم ورد ورود شيخ شامي عليه عليه السلام في خبر آخر و سؤاله و سؤالات آخر، فروى (الفقيه): أنه بينا أمير المؤمنين عليه السّلام يعبىء أصحابه للحرب إذ أتاه شيخ عليه سجيته السفر، فقال له: إنني أتيتك من ناحيه الشام، و أنا شيخ كبير قد سمعت فيك من الفضائل، و إنني أظنك ستغتنال، فعلمني ممّا علمك الله. قال: نعم يا شيخ، من اعتدل يوماه فهو مغبون- الى أن قال- فقال الشيخ: فأين أذهب و أدع الجنّه، و أرى الجنّه و أهلها معك... (٣).

لَمَّا سألَهُ أ كان مسيرنا الى الشام بقضاء و قدر بعد كلام طويل هذا مختاره) إشاره الى قوله عليه السلام «ما علوتم تلعه و لا هبطتم واديا إلا و لله فيه قضاء و قدر» و قوله: «مه يا شيخ فو الله لقد عظم الله لكم الأجر في مسيركم و أنتم سائرون و في مقامكم و أنتم مقيمون و في منصرفكم و أنتم منصرفون و لم تكونوا في شيء من حالاتكم مكرهين و لا إليه مضطرين».

«ويحك لعلك ظننت قضاء لازما و قدرا حاتما» قد عرفت أن لفظ الروايات «و قدرا حتما» و هو أحسن، فلم نر استعمال «حاتم» إلا بمعنى الغراب الأسود، كقوله:

ص: ٢٨٠

١- ١) نهج البلاغه ١٦٧: ٣ [١] من الكلام ٧٨.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٢٧: ١٨- ابن ميثم (الطبع الحجري) ٣: ٤٧٤ و فيه: و من كلام له عليه السلام للشامي.

٣- ٣) الفقيه ٢٧٣: ٤ ح ٩.

و لقد غدوت و كنت لا أجدو على واق و حاتم

و قوله:

و ليس بهتأب إذا شدّ رحله يقول عدانى اليوم واق و حاتم (١)

هذا، و روى (مجالس المفيد) عن عيسى بن عمر قال: كان ذو الرمة يذهب الى النفي فى الأفعال، و كان رؤبه يذهب الى الإثبات فيها، فاجتمعما يوما عند بلال ابن أبى بردة - و هو والى البصره و كان يعرف ما بينهما من الخصومه - فحضّهما على المناظره، فقال رؤبه: و الله لا يفحص طائر فحوصا و لا يقرمص سبع قرموصا إلا كان ذلك بقضاء الله و قدره. فقال له ذو الرمة: ما أذن الله للذئب أن يأخذ حلوبه عاله عيايل صرايل. فقال له رؤبه: أ فبمشيته أخذها أم بمشيه الله؟ فقال ذو الرمة: بل بمشيته. فقال رؤبه: هذا و الله الكذب على الذئب. فقال ذو الرمة: و الله الكذب على الذئب أهون من الكذب على ربّ الذئب (٢).

«و لو كان كذلك لبطل الثواب و العقاب» هكذا فى (المصريه) (٣)، و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم): «لو كان ذلك كذلك» (٤). و هو الصحيح. هذا و قال محمود الوراق:

أعادل لم آت الذنوب على جهل و لا انها من فعل غيرى و لا فعلى

و لا جرأه منى على الله جئتها و لا أن جهلى لا يحيط به عقلى

و لكن بحسن الظن منى بعفو من تفرّد بالصنع الجميل و بالفضل

فإن صدق الظنّ الذى قد ظننته ففى فضله ما صدّق الظن من مثلى

ص: ٢٨١

١-١ (١) لسان العرب ١٥:٤٠٥ [١] ماده (وقى).

٢-٢ (٢) أمالى المفيد: ١٠٧ ح ١٢٣٧. [٢]

٣-٣ (٣) نهج البلاغه ٣:١٦٧ [٣] من الكلام ٧٨.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٢٢٧، و [٤] ابن ميثم (الطبع الحجرى) ٣:٤٧٤.

و إن نالني منه العقاب فإنما أتيت من الإنصاف في الحكم و العدل

و في (الطرائف): روي أن أبا حنيفة اجتاز على موسى بن جعفر عليه السلام فأراد امتحانه فقال له: المعصية ممن؟ فقال له: اجلس حتى أخبرك، فجلس بين يديه فقال له: لا بد أن تكون من العبد أو من ربه أو منهما، فإن كانت من الله فهو أعدل و أنصف من أن يظلم عبده الضعيف و يأخذه بما لم يفعله، و إن كانت منهما فهو شريكه و القوي أولى بإنصاف عبده الضعيف، و إن كانت من العبد فعليه وقع الأمر و إليه توجه النهي، و له حق الثواب و العقاب، و وجبت له الجنة أو النار. فقال أبو حنيفة: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ» (١).

«و سقط الوعد و الوعيد» عن (المنية و الأمل): كتب ابن عباس الى مجبّره الشام: تأمرون الناس بالتقوى و بكم ضلّ المتقون؟ و تنهون الناس عن المعاصي و بكم ظهر العاصون؟ يا أبناء سلف المقاتلين و أعوان الظالمين، و خزّان مساجد الفاسقين، و عمّار سلف الشياطين، هل منكم إلاّ مفتر على الله يحمل اجرامه عليه و ينسبها علانيه اليه؟ و هل منكم إلاّ السيف قلاذته و الزور على الله شهادته؟ أم على هذا تواليتم أم عليه تماليتم؟ حظكم منه الأوفر، و نصيبكم منه الأكبر، عمدتم إلى موالاه من لم يدع لله مالا إلاّ أخذه، و لا- منارا إلاّ- هدمه، و لا مالا ليتيم إلاّ سرقه أو خانه، فأوجبتم لأخبت خلق الله أعظم حق الله، و تخاذلتم أهل الحق حتى ذلّوا و قلوبا، و أعنتم أهل الباطل حتى غروا و كثروا (٢).

أيضا: كتب غيلان إلى عمر بن عبد العزيز: هل وجدت حكيما يعيب ما يصنع، أو يصنع ما يعيب، أو يعذب على ما قضى، أو يقضى ما يعذب عليه؟ أم هل وجدت رشيدا يدعو الى الهدى ثم يضل عنه؟ أم هل وجدت رحيفا يكلف

ص: ٢٨٢

١- (١) الطرائف ٣:٢٢٨. و [١] الآية ٣٤ من سورة آل عمران. [٢]

٢- (٢) المنية و الأمل: ١٢٩. [٣]

العباد فوق الطاقه أو يعذبهم على الطاعه؟ أم هل وجدت عدلا يحمل الناس على الظلم و التظالم؟ و هل وجدت صادقا يحمل الناس على الكذب و التكاذب بينهم؟ كفى بهذا بيانا، و بالعمى عنه عمى (١).

هذا، و فى (الطبرى): إن المهدي كتب الى جعفر بن سليمان عامل المدينه أن يحمل إليه جماعه أتهموا بالقدر، فحمل إليه رجالا منهم عبد الله بن محمد بن عمّار بن ياسر و عبد الله بن يزيد بن قيس الهذلي، و عيسى بن يزيد بن داب الليثي، و إبراهيم بن محمد بن أبى بكر الأسامي، فأدخلوا على المهدي: فانبرى له من بينهم عبد الله بن محمد بن عمّار فقال له: هذا دين أبيك و رأيه. قال: لا ذاك عمى داود. قال: لا الا أبوك، على هذا فارقنا، و به كان يدين، فأطلقهم (٢).

«إِنَّ اللَّهَ سَبْحَانَهُ أَمْرٌ عِبَادَهُ تَخِيرًا» «إِنَّا هِدَايَةُ السَّبِيلِ إِمَّا شَاكِرًا وَ إِمَّا كَفُورًا» (٣) «وَ أَمَّا ثُمُودٌ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» (٤).

«و نهاكم تحذيرا» «وَ يُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ» (٥).

«و كلف يسيرا و لم يكلف عسيرا» «مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» (٦)، «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَ لَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ» (٧).

«و أعطى على القليل كثيرا» «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا» (٨)، «مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَعْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ»

ص: ٢٨٣

[١-١] (١) المنيه و الأمل: ١٣٨. [١]

[٢-٢] (٢) تاريخ الطبرى ١٧٨: ٨. [٢]

[٣-٣] (٣) الإنسان: ٣. [٣]

[٤-٤] (٤) فصلت: ١٧. [٤]

[٥-٥] (٥) آل عمران: ٢٨ و ٣٠. [٥]

[٦-٦] (٦) الحج: ٧٨. [٦]

[٧-٧] (٧) البقره: ١٨٥. [٧]

[٨-٨] (٨) الأنعام: ١٦٠. [٨]

«سُبِّلَهُ مِائَةٌ حَبَّةً وَ اللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ» (١).

«و لم يعص مغلوباً» في (كنز الكراچكى): سأل أهل العدل المجبره عن مسأله الزموم بها، فقالوا لهم: أخبرونا عن رجل نكح إحدى المحرمات عليه في أحد المساجد العظيمة في نهار شهر رمضان و هو عالم غير جاهل أ تقولون ان الله تعالى أراد منه هذا الفعل على هذه الصفة. قالت المجبره: بلى لله إرادته. قال لهم أهل العدل: أخبرونا عن إبليس هل أراد ذلك أم كرهه؟ قالت المجبره: بلى هذا إنما يريد إبليس و يؤثره. قال لهم أهل العدل: فأخبرونا لو حضر النبي صلى الله عليه و آله و علم بذلك أ كان يريد أم يكرهه. قالت المجبره: بل يكرهه و لا يريد. قال لهم أهل العدل: فقد لزمكم على هذا أن تشنوا على إبليس و تقولوا إنّه محمود لموافقته إرادته لإرادته الله تعالى، و تدموا النبي لمخالفته إرادته لإرادته الله تعالى.

و قد كنت أوردت هذه المسأله في مجلس بعض الرؤساء و عنده جمع فقال أحدهم -و كان يميل الى الجبر- ان كانت هذه المسأله لا حيله للمجبره فيها فعليكم أيضا مسأله أخرى لا خلاص لكم ممّا يلزمكم منها. فقلت: و ما هي؟ فقال: إذا كان الله لا يشاء المعصيه و إبليس يشاؤها ثم وقعت معصيه من المعاصي فقد لزم من هذا أن تكون مشيه إبليس غلبت مشيه الله. فقلت له: انما تصح الغلبه عند الضعف و عدم القدره، و لو كنّا نقول ان الله تعالى لا يقدر أن يجبر العبد على الطاعه و يضطره إليها و ان يحول بينه و بين المعصيه بالقسر و الاجاء لزمنا ما ذكرت، و قد أبان تعالى ذلك فقال «وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً» (٢) و قال «وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا» (٣) و إنما لم

ص: ٢٨٤

[١- ١] البقره: ٢٤١. [١]

[٢- ٢] هود: ١١٨. [٢]

[٣- ٣] السجده: ١٣. [٣]

يفعل لما فيه الخروج عن سنن التكليف و بطلان استحقاق العباد للمدح و الذم (١).

و فى (الطبرى): قال هشام بن عبد الملك لغيلان: ويحك! قد أكثر الناس فيك فنازعنا بأمرك فان كان حقاً اتبعناك، و إن كان باطلا نزعنا عنه. قال: نعم.

فدعا هشام ميمون بن مهران ليكلمه، فقال له غيلان: أ شاء الله أن يعصى؟ فقال له ميمون: أ فعصى كارها، فسكت فقال هشام: أجه فلم يجبه فقال هشام: لا أقالنى الله إن أقلتة، و أمر بقطع يديه و رجله (٢).

«و لم يرسل الأنبياء لعبا و لم ينزل الكتاب للعباد عبثاً» قال الكراجكى: ممّا يدل على أنه سبحانه لا يريد المعاصى و القبائح و لا يجوز أن يشاء شيئا منها و أنه كاره لها ساخط لجميعها، فهو أنه تعالى نهى عنها، و النهى إنما يكون بكراهه الناهى للفعل المنهى عنه، ألا- ترى أن أحدنا لا- يجوز أن ينهى إلا- عمّا يكرهه، فلو كان النهى فى كونه نهيا غير مفتقر إلى الكراهيه، لم يجب ما ذكرناه، لأنه لا فرق بين قول أحدنا لغيره: «لا تفعل كذا» و قوله: «أنا كاره له»، كما لا فرق بين قوله: «افعل» أمرا له و قوله: «إننى مرید منك أن تفعل»، و إذا كان سبحانه كارها لجميع المعاصى و القبائح من حيث كان ناهيا عنها استحاله أن يكون مریدا لها لاستحاله أن يكون مریدا و كارها لأمر واحد على وجه واحد.

و يدلّ على ذلك أيضا أنه لو كان مریدا للقيح لوجب أن يكون على صفة نقص و ذم إن كان مریدا له بلا إرادته، و ان كان مریدا بإرادته و جب أن يكون فاعلا للقيح، لأن إرادته القبيح قبيحه. و قد دل السمع من ذلك على مثل ما دل

ص: ٢٨٥

١-١) كنز الكراجكى: ٤٥-٤٦. [١]

٢-٢) تاريخ الطبرى ٢٠٣: ٧. [٢]



عليه العقل، قال عز و جل: «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ» (١)، «وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعَالَمِينَ» (٢) «كُلَّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا» (٣)، «يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ» (٤) و نعلم أن الكفر أعظم العسر، و قال تعالى «وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ» (٥) فإذا كان خلقهم للعبادة فلا يجوز أن يريد منهم غيرها، و قال تعالى: «وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِنْ تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ» (٦).

و في (الطرائف): سأل رجل من المجتبه بعض أهل العدل عن آيه ظاهرها أن الله أضلهم. فقال له: تفصيل الجواب يطول عليك و ربما لا تفهمه و لا تحفظه و لكن عزّفتي: أما تعتقد أنت و سائر المسلمين أن القرآن نزل حجّه لمحيد صلى الله عليه و آله فلو كانت هذه الآيات التي تتعلّق بها باطنها مثل ظاهرها في أنه تعالى منع الكفار و العصاه من الطاعه كان القرآن نزل حجّه للكفار و العصاه للنبي على النبي، فكانوا يستغنون بهذه الآيات عن محاربتة و قتل أنفسهم و يقولون له: إن ربك الذي جئت برسالتة و كتابك الذي جئت به، يشهدان أنه قد منعنا عن الاسلام و قد لزمك تركنا، فكان القرآن يصير حجّه لهم عليه (٧).

«و لا خلق السماوات و الأرض و ما بينهما باطلا و ذلك» هكذا في (المصريه) (٨) و الصواب: (ذلك) بلا و او كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٩) «ذَلِكَ»

ص: ٢٨٤

- ١-١ (١) غافر: ٣١. [١]
- ٢-٢ (٢) آل عمران: ١٠٨. [٢]
- ٣-٣ (٣) الاسراء: ٣٨. [٣]
- ٤-٤ (٤) البقره: ١٨٥. [٤]
- ٥-٥ (٥) الذاريات: ٥٦. [٥]
- ٦-٦ (٦) كنز الكراچكي: ٤٤-٤٥. و الآيه ٧ [٦] من سوره الزمر.
- ٧-٧ (٧) الطرائف ٢: ٣٢٨. [٧]
- ٨-٨ (٨) نهج البلاغه ٣: ١٦٧ [٨] من الكلام ٧٨.
- ٩-٩ (٩) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٢٢٧- [٩] ابن ميثم (الطبع الحجرى) ٣: ٤٧٤.

«ظَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ» (١).

قال الكراچكى: ان جنایه المجبره على الإسلام كثيره، بحملها المعاصى على الله تعالى و قولها: إنه لا يكون ما أرادته تعالى، و إنه لا قدره للكافر على الخلاص من كفره، و لا سبيل للفاسق إلى ترك فسقه، و إن الله قضى بالمعاصى على قوم و خلقهم لها و جعلها فيهم ليعاقبهم عليها، و قضى بالطاعات على قوم و خلقهم لها و فعلها فيهم ليشيهم عليها، و هذا الاعتقاد القبيح يسقط عن المكلف الحرص على فعل الطاعة و الاجتناب عن المعصية، لأنه يرى أن اجتهاده لا ينفع، و حرصه لا يغنى. نعوذ بالله مما يقولون.  
و أنشدت بعض أهل العدل:

سألت المخنث عن فعله على م تخنثت يا ماذق

فقال ابتلانى بداء العضال و أسلمنى القدر السابق

و لمت الزناه على فعلهم فقالوا بهذا قضى الخالق

و قلت لآكل مال اليتيم و أنت امرؤ فاسق

فقال- و لجلج في قوله- أكلت و أطعمنى الرازق

و كلّ يحيل على ربّه و ما فيهم أحد صادق (٢)

و فى (الطرائف): كان ثمامه فى مجلس الخليفه و أبو العتاهيه حاضر، فالتمس أبو العتاهيه من الخليفه مناظره ثمامه، فأذن له، فحرّك أبو العتاهيه يده- و كان مجبراً- و قال: من حرّك هذه؟ قال ثمامه- و كان يقول بالعدل- من أمّيه زانيه. فقال أبو العتاهيه للخليفه: شتمنى ثمامه فى مجلسك.

فقال ثمامه للخليفه: ترك مذهبه، يزعم أن الله حرّكها فلأى شىء غضب

ص: ٢٨٧

١-١ (١) ص: ٢٧.

٢-٢ (٢) كنز الكراچكى: ٤٦. [١]

و ليس له أمر، فانقطع (١).

هذا، و روى ابن شعبه في (تحفه): أن الحسن البصرى كتب الى الحسن بن على عليه السلام: أما بعد! فأنكم معشر بنى هاشم الفلك الجاربه فى اللجج الغامره و الأعلام التيره الشاهره، و كسفينه نوح التى نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون، كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا فى القدر و حيرتنا فى الاستطاعه، فأخبرنا بالذى عليه رأيك و رأى آبائك، فإن من علم الله علمكم و أنتم شهداء على الناس، و الله الشاهد عليكم «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٢).

فأجابه الحسن عليه السلام: وصل إلى كتابك، و لو لا ما ذكرت من حيرتك و حيره من مضى قبلك إذن ما أخبرتك، أما بعد فمن لم يؤمن بالقدر خيره و شره و أن الله يعلمه فقد كفر، و من أحال المعاصى على الله فقد فجر، إن الله لم يعص مكرها و لم يعص مغلوبا، و لم يهمل العباد سدى من المهلكه، بل هو المالك لما ملكهم و القادر على ما عليه أقدرهم، بل أمرهم تخيرا و نهاهم تحذيرا، فان ائتمروا بالطاعه لم يجدوا عنها صادًا، و إن انتهوا إلى المعصيه فشاء أن يمن عليهم بأن يحول بينهم و بينها فعل، و ان لم يفعل فليس هو الذى حملهم عليها جبرا و لا ألزموها كرها، بل من عليهم بأن يصبرهم و عزفهم و حذرهم و أمرهم و نهاهم، لا- جبلا- لهم على أمرهم به فيكونوا كالملائكه، و لا- جبرا لهم على ما نهاهم عنه، و لله الحجه البالغه فلو شاء لهداكم أجمعين (٣).

و رواه (المنيه و الأمل) مع اختلاف على نقل (جمهره الرسائل) (٤).

ص: ٢٨٨

١-١ (١ الطرائف ٢:٣٤١. [١])

٢-٢ (٢ آل عمران: ٣٤. [٢])

٣-٣ (٣ تحف العقول: ٢٣١).

٤-٤ (٤ المنيه الأمل: ١٣٠، عن جمهره الرسائل ٢:٢٥ الرساله ٢٥).

و سئل عليه السلام عن القدر فقال:

طَرِيقٌ مُظْلَمٌ فَلَا تَسِيلُكُوهُ- وَ بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلْجُوهُ- وَ سِرٌّ لِلَّهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ أَقُولُ:الأصل فيه ما رواه ابن بابويه في ( توحيد الشيخ الصدوق-التوحيد-ص ٣٦٥ ح ٣) باسناده عن عبد الملك بن عنتره عن أبيه عن جده قال: جاء رجل الى أمير المؤمنين عليه السلام فقال:

أخبرني عن القدر. فقال: بحر عميق فلا تلجه. قال: أخبرني عن القدر. فقال:

طريق مظلم فلا تسلكه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. قال: سر الله فلا تكلفه. قال: يا أمير المؤمنين أخبرني عن القدر. فقال أمير المؤمنين: أما إذا أبيت فياني سائلك، أخبرني أكانت رحمه الله للعباد قبل أعمال العباد أم كانت أعمال العباد قبل رحمه الله. فقال له الرجل: بل كانت رحمه الله لهم قبل أعمالهم.

فقال: قوموا فسلموا على أخيكم فقد أسلم و قد كان كافرا. و انطلق الرجل غير بعيد ثم انصرف اليه عليه السلام فقال: أبا المشيه الأولى تقوم و نقعد و نقبض و نبسط، فقال: و انك لبعث في المشيه، اما اني سائلك عن ثلاث لا يجعل الله لك في شيء منها مخرجا: أخبرني أخلق الله العباد كما شاء أو كما شاءوا. فقال: كما شاء.

قال: فخلق الله العباد لما شاء أو لما شاءوا. فقال: لما شاء. قال: يأتونه يوم القيامة كما شاء أو كما شاءوا. فقال: كما شاء. فقال: قم فليس لك من المشيه شيء (١).

و روى ابن طلحه الشافعي في (مطالب سؤوله) باسناده عن عبد الله بن جعفر عن أمير المؤمنين عليه السلام قال: أعجب ما في الانسان قلبه-الى أن قال- فقام اليه رجل شهد وقعه الجمل فقال له: أخبرنا عن القدر. فقال: بحر عميق فلا

ص: ٢٨٩

تلججه. فقال، أخبرنا عن القدر. فقال: سرّ الله فلا- تبحث عنه. فقال: أخبرنا عن القدر. فقال: لما أبيت أمر بين الأمرين لا- جبر ولا تفويض. فقال: ان فلانا- لرجل حاضر- يقول بالاستطاعه. فقال عليه السلام: عليّ به، فلما رآه قال له الاستطاعه تملكها مع الله أو من دون الله- وإياك أن تقول واحده منهما فترتد قال: فما أقول؟ قال: قل أملكها بالله ان شاء ملكنيها... (١).

و روى قريبا منه في (الفقه الرضوي)- و زاد- ثم قيل له عليه السلام الرابعه:

انبئنا عن القدر. فقال: «ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك لها و ما يمسكك فلا مرسيل له من بعده» (٢).

و روى المصنّف: في (مجازاته النبويه) قريبا من معنى العنوان عن النبيّ صلّى الله عليه و آله فقال: و من ذلك قوله و قد سمع ناسا من أصحابه يتذاكرون القضاء و القدر انكم قد أخذتم في شعيبين بعيدى الغور (٣).

هذا القول مجاز لأنّه صلّى الله عليه و آله شبه القضاء و القدر حقيقه علمهما و معرفه كنههما بالشعيبين اللذين غورهما بعيد و اقتحامهما شديد و طالب غايتهما مجهود، يقول صلّى الله عليه و آله: ان علمهما كالماء الغائر الذي لا يقدر عليه و لا يهتدى إليه.

قوله عليه السلام «طريق مظلم فلا تسلكوه، و بحر عميق فلا تلجوه، و سرّ الله فلا تتكلّفوه» روى (توحيد الصدوق) مسندا عن الأصمغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام في القدر: ألا إنّ القدر سرّ من سرّ الله، و ستر من ستر الله، و حرز من حرز الله، مرفوع في حجاب الله، مطوّى عن خلق الله، مختوم بخاتم الله، سابق في علم الله، وضع الله عن العباد علمه، و رفعه فوق شهاداتهم و مبلغ

ص: ٢٩٠

١-١ (١) مطالب السؤل: ٢٦-٢٧. [١]

٢-٢ (٢) فقه الرضا: ٤٠٨، و [٢] الآية ٢ من سوره فاطر. [٣]

٣-٣ (٣) المجازات: ٣١٣. [٤]

عقولهم، لأنهم لا ينالونه بحقيقه الربانيه، ولا بقدره الصمديّه، ولا بعظم النورانيّه، ولا بعزّه الوحدانيّه، لأنّه بحر زاخر خالص لله تعالى، عمقه ما بين السماء والأرض، عرضه ما بين المشرق والمغرب، أسود كالليل الدامس، كثير الحيات والحيتان، تعلو مره و تسفل اخرى، في قعره شمس تضيء لا ينبغي أن يطلع عليها إلا الله الواحد الفرد، فمن تطلع إليها فقد ضاد الله تعالى في حكمه و نازعه في سلطانه و كشف عن ستره و سره (١).

و سئل بعضهم عن القدر فقال: الناظر في قدر الله كالناظر في عين شمس، يعرف ضوءها و لا يقف على حدودها.

و سئل آخر عنه فقال: فلم اختصمت فيه العقول، و تقاول فيه المختلفون، و حق علينا أن نرد ما التبس علينا الى ما سبق علينا من حكمه.

هذا، و في (اعتقادات الصدوق): روى أن أمير المؤمنين عليه السلام عدل عن حائط مائل الى مكان آخر، فقيل له: أتفرّ من قضاء الله؟ فقال: أفر من قضاء الله الى قدره.

و سئل عليه السلام أيضا عن الرقيه هل تدفع من القدر شيئا؟ فقال: هي من القدر (٢).

هذا، و ميّا ورد عنه عليه السلام في ذلك غير العنوانين ما رواه (التحفة و التوحيد) عنه قال: الأعمال على ثلاثة أحوال: فرائض، و فضائل، و معاصي، أما الفرائض فبأمر الله تعالى و رضائه، و قضائه و تقديره، و مشيئته و علمه، و أما الفضائل فليست بأمر الله، و لكن برضاء الله، و قضائه و قدره، و مشيئته و علمه، و أما المعاصي فليست بأمر الله، و لكن

ص: ٢٩١

١- (١) التوحيد: ٣٨٣ ح ٣٢. [١]

٢- (٢) اعتقادات الصدوق: ٧.

بقضائه و قدره و علمه، ثم يعاقب عليها (١).

و في (طرائف ابن طاوس): زوى جماعه من العلماء أنّ الحجاج كتب الى الحسن البصرى و إلى عمرو بن عبيد و إلى واصل بن عطاء و الى عامر الشعبي أن يذكروا ما عندهم فى القضاء و القدر. فكتب إليه الحسن: إن أحسن ما انتهى إلينا ما سمعت من أمير المؤمنين عليه السّلام قال: «إنّ الذى نهاك دهاك، إنّما دهاك أسفلك و أعلاك، و اللّٰه برىء من ذلك». و كتب إليه عمرو: أحسن ما سمعت فى القضاء و القدر قول على عليه السّلام «لو كان الوزر فى الأصل محتوما كان الموزور فى القصاص مظلوما». و كتب إليه واصل: أحسن ما سمعت فى القضاء و القدر قول على عليه السّلام «أ يدلّك على الطريق و يأخذ عليك المضيق». و كتب إليه الشعبي:

أحسن ما سمعت فى القضاء و القدر قول أمير المؤمنين عليه السّلام «كل ما استغفرت اللّٰه منه فهو منك، و كلّما حمدت اللّٰه عليه فهو منه». فلما وصلت كتبهم الى الحجاج قال: لقد أخذوها من عين صافيه (٢).

ص: ٢٩٢

---

١ - (١) التوحيد: ٣٦٩، ح ٩ و [١] تحف العقول الطرائف: ٢٠٦. [٢]

٢ - (٢) ٣٢٩: ٢.

## الفصل الثامن والعشرون: في كلامه عليه السلام الجامع لمصالح الدين و الدنيا

اشاره

ص: ٢٩٣





و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس و كان ابن عباس يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله صلى الله عليه و آله كانتفاعى بهذا الكلام:

أَمَّا بَعْدُ - فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسْرُهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ - وَ يَسُوؤُهُ فُوتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ - فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ - وَ لْيَكُنْ أَسْفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا - وَ مَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ بِهِ فَرَحًا - وَ مَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا - وَ لْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعَدَ الْمَوْتِ الْكِتَاب (٦٦) و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس، و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الرواية:

أَمَّا بَعْدُ - فَإِنَّ الْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ - وَ يَحْزَنُ عَلَى الشَّيْءِ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَصِيبَهُ - فَلَا يَكُنْ أَفْضَلَ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ - مِنْ

دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَمَذَةٍ - أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ - وَ لَكِنَّ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ - وَ لِيَكُنَّ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ - وَ أَسْفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ - وَ هَمُّكَ فِيْمَا بَعْدَ الْمَوْتِ أَقُولُ: رواه نصر بن مزاحم في (صفيه نصر بن مزاحم - وقعه صفين - ص ١٠٧)، و الكليني في (روضته الكليني - الكافي - الروضه ج ٨ ص ٢٤٠ ح ٣٢٧)، و يعقوبي في (تاريخه يعقوبي - تاريخه يعقوبي - ج ٢ ص ٢٠٥)، و سبط ابن الجوزي في (تذكرته سبط ابن الجوزي - تذكره الخواص -)، و نقل عن (مجالس ثعلب - مجالس - ج ١ ص ١٥٥ ثعلب) و (أمالى القالى - أمالى - ج ٢ ص ٩٤ القالى) و (محاضرات الراغب - المحاضرات - ج ٢ ص ١٧٣ الراغب) (١) و (دستور القاضى القضاعى - دستور معالم الحكم - ص ٩٦ القاضى القضاعى) (٢).

قال الأول: و كتب عليه السّلام إليه: أمّا بعد، فإنّ الإنسان قد يسرّه ما لم يكن ليفوته، و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه و إن جهد. فليكن سرورك فيما قدّمت من حكم أو منطق أو سيره، و ليكن أسفك على ما فرّطت فيه من ذلك، و دع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر به حزنا، و ما أصابك فيها فلا تبغ به سرورا، و ليكن همك فيما بعد الموت (٣).

و قال الثانى: عدّه من أصحابنا عن سهل بن زياد عن على بن اسباط رفعه قال: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام الى ابن عباس: أمّا بعد، فقد يسرّ المرء ما لم يكن ليفوته، و يحزنه ما لم يكن ليصيبه أبداً و إن جهد، فليكن سرورك بما قدمت من عمل صالح أو حكم أو قول، و ليكن أسفك على ما فرّطت فيه من ذلك، و دع ما فاتك من الدنيا فلا تكثر عليه حزنا، و ما أصابك منها فلا تنعم به سرورا، و ليكن همك فيما بعد الموت. و السّلام (٤).

و قال الثالث: و كتب أبو الأسود - و كان خليفه ابن عباس بالبصره - الى على عليه السّلام يعلمه أن عبد الله أخذ من بيت المال عشره آلاف درهم، فكتب عليه السّلام

ص: ٢٩٦

١ - ١) المحاضرات للراغب الاصفهاني ١٧٣: ٢.

٢ - ٢) دستور القضاعى: ٩٦، [١] أمالى القالى ٢: ٩٤، و [٢] عباره الأمالى [٣] تختلف عن النهج.

٣ - ٣) وقعه صفين: ١٠٧. [٤]

٤ - ٤) روضه الكافي ٣٢٧، ٢٤٠: ٨.

إليه يأمره بردها، فامتنع فكتب يقسم له بالله ليردّها، فلما ردّها أو ردّها أكثرها كتب إليه: أما بعد، فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته، و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، فما أتاك من الدنيا فلا تكثر به فرحاً، و ما فاتك منها فلا تكثر عليه جزعاً، و اجعل همّك لما بعد الموت. و السّلام (١).

فكان ابن عباس يقول: ما اتعظت بكلام قط اتعاضى بكلام أمير المؤمنين (٢).

روى الرابع مسنداً عن المأمون عن آباءه عن ابن عباس قال: ما انتفعت بكلام أحد بعد النبي صلّى الله عليه و آله كانتفاعى بكلام كتب به أمير المؤمنين عليه السّلام إلى: أمّا بعد، فإنّ المرء يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، و يسره درك ما لم يكن ليفوته، فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك، و ليكن أسفك على ما فاتك منها، و ما فاتك من الدنيا فلا تأسفنّ عليه، و ليكن همّك فيما بعد الموت.

و روى السّدّي هذا عن أشياخه، و قال عقبيه: كان الشيطان قد نزع بين ابن عباس و بينه عليه السّلام ثم عاد إلى موالاته (٣).

قول المصنّف: فى الأول (و كان ابن عباس) هكذا فى (المصريه) (٤) أخذنا عن (ابن أبى الحديد) و فى (ابن ميثم): «و كان عبد الله» (٥) (يقول ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله) و من كلامه صلّى الله عليه و آله له الذى انتفع به ما رواه يعقوبى عنه قال: أردفتنى النبىّ صلّى الله عليه و آله ثم قال لى: يا غلام! ألا- أعلمك كلمات ينفعك الله بهنّ. قلت: بلى. قال: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده

ص: ٢٩٧

١-١ (١) مجالس ثعلب ١:١٥٥.

٢-٢ (٢) تاريخ يعقوبى ٢:٢٠٥. [١]

٣-٣ (٣) تذكّره الفقهاء: ١٥٠.

٤-٤ (٤) نهج البلاغه ٣:٢٣ من الكتاب رقم ٢٢.

٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٥:١٤٠، و [٢] شرح ابن ميثم: ٣٨٤ السطر الثالث [٣] هكذا.

أمامك، أذكر الله في الرخاء يذكرك في الشدة، وإذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، جفّ القلم بما هو كائن، ولو جهد الخلق على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لم يقدرُوا عليه، ولو جهدوا أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يقدرُوا عليه، فعليك بالصدق في اليقين، إن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا، واعلم أن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا (١).

(كانتفاعى بهذا الكلام) قد عرفت أنه روى هذا الكلام عنه سبط بن الجوزى و كذا يعقوبى.

قوله فى الثانى (و قد تقدم ذكره بخلاف هذه الروايه) هكذا فى (المصريه) (٢) و لكن فى (ابن أبى الحديد) «و قد مضى هذا الكلام فيما تقدم بخلاف هذه الروايه» و مثله (ابن ميثم) لكن فيه (هذا الكتاب) (٣) و قد عرفت أن المقدم روايه الأخيرين، و هذه روايه الأولين ممن نقلنا كلامه.

قوله عليه السلام فى الأول «أما بعد، فإن المرء قد يسره درك ما لم يكن ليفوته و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه» و فى الثانى (أما بعد فان المرء) هكذا فى (المصريه) (٤) و الصواب: (العبد) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥).

«ليفرح بالشىء الذى لم يكن ليفوته، و يحزن على الشىء الذى لم يكن ليصيبه» معناهما واحد و إنما اختلف لفظهما، و المراد أن سروره و فرحه و كذا

ص: ٢٩٨

- 
- ١-١ (١) تاريخ يعقوبى ٢:٢٦٣. [١]
  - ٢-٢ (٢) نهج البلاغه ٣:١٣٩ من الكتاب رقم ٦٦.
  - ٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٢٨. [٢]
  - ٤-٤ (٤) نهج البلاغه [٣] ٣:٢٣ من الكتاب رقم ٢٢.
  - ٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٢٨، [٤] ابن ميثم (الطبع الحجرى) ٤٥٨ هكذا.

مساءته و حزنه كانا هدرا و فى غير محلها.

و فى (مطالب سؤال ابن طلحه الشافعى) قال على عليه السلام: الشىء شيطان شىء قصر عنى لم ارزقه فيما مضى و لا أرجوه فيما بقى، و شىء لا- أناله دون وقته و لو استعنت عليه بقوة أهل السماوات و الأرض، فما أعجب أمر هذا الانسان يسره درك ما لم يكن ليفوته و يسوؤه فوت ما لم يكن ليدركه، و لو أنه فكر لأبصر، و لعلم أنه مدبر، و اقتصر على ما تيسر و لم يتعرض لما تعسر، و استراح قلبه مميا استوعر، فبأى هذين أفنى عمري، فكونوا أقل ما تكونون فى الباطن أحوالا- أحسن ما تكونون فى الظاهر أحوالا، فان الله تعالى أدب عباده المؤمنين أدبا حسنا فقال جل من قائل «يَحْسَبُ بِهِمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسَيِّئَاتِهِمْ لَا يَسْتَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا» (١).

و فى الأول «فليكن سرورك بما نلت من أمر آخرتك» «وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ» (٢).

«و ليكن أسفك على ما فاتك منها» و من أسماء يوم القيامة التغابن لأن الانسان يرى مغبوبيته فيما فاتته من الآخرة .

«و ما نلت من دنياك فلا تكثر به فرحا و ما فاتك منها فلا تأس عليه جزعا» قال تعالى «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (٣).

و فى (الأغانى) قال أعشى همدان:

فلا تأسفن على ما مضى و لا يحزننك ما يدبر

فإن الحوادث تبلى الفتى و إن الزمان به يعثر

ص: ٢٩٩

١- (١) البقره: ٢٧٣. [١]

٢- (٢) العنكبوت: ٦٤. [٢]

٣- (٣) الحديد: ٢٣. [٣]

و من كل ذلك يلقي الفتى و يمني له منه ما يقدر (١)

و في الثاني «فلا يكن أفضل ما نلت في نفسك بلوغ لذه أو شفاء غيظ» فإنه يشارك في ذلك البهائم و السباع.

«و لكن» اطفاء نار «باطل أو احياء حق» ميت الذي هو عمل الأنبياء و الأوصياء و هم العلماء و الحكماء .

«و ليكن سرورك بما قدمت» «و ما تقدّموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيراً و أعظم أجراً» (٢).

«و أسفك على ما خلفت» «و تركتم ما خوّلناكم وراء ظهوركم» (٣).

و في الأول «و ليكن همك» و في الثاني «و همك» و فيهما «فيما بعد الموت» فأغبط الناس من نام تحت التراب و أمن العقاب «و لتُنظر نفس ما قدمت لعد» (٤).

هذا، و نظير وعظه لعبد الله بن عباس وعظ النبي صلى الله عليه و آله لأخيه الفضل بن العباس، روى (الفقيه في نوادر آخره) عن الصادق عن أبيه عليهما السلام قال: قال الفضل: أهدى إلى النبي صلى الله عليه و آله بغله أهداها له كسرى أو قيصر، فركبها بحبل من شعر و أردفني خلفه، ثم قال: يا غلام! احفظ الله (٥)... مثل ما مرّ عن اليعقوبي في قول النبي لعبد الله بن عباس نفسه، و الظاهر أصحّه ما في (الفقيه) من كون قوله صلى الله عليه و آله للفضل و لعل عبد الله سمعه من أخيه.

ص: ٣٠٠

١- (١) الأغانى ٣٨:٦ [١] فى أخبار أعشى همدان).

٢- (٢) المزمّل: ٢٠. [٢]

٣- (٣) الانعام: ٩٤. [٣]

٤- (٤) الحشر: ١٨. [٤]

٥- (٥) فقيهه ٢٩٦:٤ ح ٧٦.

و قوله: «ما انتفعت بكلام بعد كلام رسول الله» لا يستلزم أن يكون هو المخاطب، فيصدق مع كون أخيه المخاطب.

و كيف كان فقوله في هذا الخبر «كسرى أو قيصر» التردد من الرواه، و الصواب: قيصر بشهاده التاريخ، فإن كسرى غضب من كتاب النبى إليه و مزق كتابه و إنما قيصر أهدى إليه هدايا.

و يمكن تأييد خبر اليعقوبى بما رواه كاتب الواقدى عن ابن عباس، قال:

أهدى النبى صلى الله عليه و آله بغله شهباء، فبعثنى الى أم سلمه، فأتيته بصوف و ليف-الى أن قال- ثم أردفنى خلفه (١).

٢

الكتاب (٣١)

و من وصيه له للحسن بن على عليه السلام كتبها إليه بحاضرين منصرفا من صفين:

مَنْ الْوَالِدِ الْفَنَانِ الْمُقَرَّرِ لِلزَّمَانِ الْمُدْبِرِ الْعُمَرِ - الْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ الدَّامِ لِلدُّنْيَا - السَّاكِنِ مَسَاكِنِ الْمَوْتَى وَ الظَّاعِنِ عَنْهَا غَدَاً - إِلَى الْمَوْلُودِ الْمُؤَمَّلِ مَا لَا يُدْرِكُ - السَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ - غَرَضِ الْأَسْدِ قَامَ وَ رَهِينِهِ الْأَيَّامِ - وَ رَمِيهِ الْمَصَائِبِ وَ عَبْدِ الدُّنْيَا وَ تَاجِرِ الْغُرُورِ - وَ غَرِيمِ الْمَنَايَا وَ أَسِيرِ الْمَوْتِ - وَ حَلِيفِ الْهُمُومِ وَ قَرِينِ الْأَحْزَانِ - وَ نُصْبِ الْأَفَاتِ وَ صِيرِيحِ الشَّهَوَاتِ وَ خَلِيفِهِ الْأَمْوَاتِ أَمَّا بَعْدُ - فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِذْبَارِ الدُّنْيَا عُنَى - وَ جُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَى وَ إِقْبَالِ الْأَحْزَةِ إِلَى - مَا يُرَغَّبُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَاى - وَ الْإِهْتِمَامِ بِمَا وَرَائى - غَيْرَ أَنَّى حَيْثُ تَفَرَّدَ بى دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هُمْ نَفْسَى - فَصَدَّقْنى

ص: ٣٠١



رَأَيْتُ وَصَيْرَفْنِي عَيْنَ هَيَوَايَ - وَصَيْرَحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي - فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدِّ لَأَ يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ - وَصِدْقٍ لَأَ يَشْوِبُهُ كَذِبٌ وَ  
وَحِدْتُكَ بَعْضِي - بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي - حَتَّى كَأَنَّ شَيْئًا لَوْ أَصَابَكَ أَصَابِي - وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي - فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا  
يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي - فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ كِتَابِي - مُسِدِّ تَظْهِرًا بِهِ إِنْ أَنَا بَقَيْتُ لِمَكَ أَوْ فَنَيْتُ فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَ لُزُومِ أَمْرِهِ - وَ  
عِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ وَ الْإِعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ - وَ أَى سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبِ بَيْنِكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ - إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ - أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ وَ  
أَمْتَهُ بِالزَّهَادَةِ - وَ قُوَّةَ بِالْيَقِينِ وَ نَوْرَهُ بِالْحِكْمَةِ - وَ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَ قَرْرِهِ بِالْفَنَاءِ - وَ بَصْرَهُ فَجَائِعِ الدُّنْيَا - وَ حِدْرَهُ صَوْلَةَ الدُّهْرِ وَ  
فُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ - وَ اعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِيَةِ - وَ ذَكْرَهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ - وَ سِرِّ فِي دِيَارِهِمْ وَ  
آثَارِهِمْ - فَانظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَ عَمَّا انْتَقَلُوا وَ أَيْنَ حَلُّوا وَ نَزَلُوا - فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحْيَةِ - وَ حَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ - وَ كَانَتْكَ عَنْ  
قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحْيِهِمْ - فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ وَ لَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ - وَ دَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَ الْخَطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلِّفْ - وَ  
أَمْسِكْ عَنْ طَرِيقِ إِذَا خَفَتْ ضَمَلَاتُهُ - فَإِنَّ الْكُفَّ عِنْدَ خَيْرِهِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ وَ أَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ - وَ  
أَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَ لِسَانِكَ - وَ بَايِنَ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ - وَ جَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ - وَ لَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةٌ لَائِمٌ - وَ خُضْ  
الْعَمْرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ وَ تَفَقَّهُ فِي الدِّينِ - وَ عَوِّذْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ - وَ نِعَمَ الْخُلُقِ التَّصَبُّرُ فِي الْحَقِّ - وَ أَلْجِئْ نَفْسَكَ  
فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَهِكَ - فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفِ حَرِيزٍ وَ مِيَانِعِ عَزِيزٍ - وَ أَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ - فَإِنَّ بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَ  
الْحِزْمَانَ - وَ أَكْثَرَ

الإِسْتِخَارَةَ وَ تَفَهُمَ وَصِيَّتِي - وَ لَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحًا - فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ - وَ اعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ - وَ لَا يَنْتَفِعُ بِعِلْمٍ لَا  
 يَحِقُّ تَعْلُمُهُ أَى بُنَى إِنْى لَمَّا رَأَيْتَنِى قَدْ بَلَغْتُ سِنًا - وَ رَأَيْتَنِى أَزْدَادُ وَهْنًا - يَادِرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ - وَ أَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ  
 يَعْجَلَ بِي أَجْلِي - دُونَ أَنْ أَفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي - أَوْ أَنْ أَنْقُصَ فِي رَأْيِي كَمَا نَقِصْتُ فِي جِسْمِي - أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ  
 غَلِيَّاتِ الْهَوَى أَوْ فِتَنِ الدُّنْيَا - فَتَكُونُ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ - وَ إِنَّمَا قَلْبُ الْحَدِيثِ كَالْمَارِضِ الْخَالِيَةِ - مَا أَلْقَى فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبْلَتْهُ -  
 فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُو قَلْبُكَ - وَ يَشْتَغَلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِحِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ - مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَ تَجْرِبَتَهُ -  
 فَتَكُونُ قَدْ كُفَيْتَ مَثْوَاهُ الطَّلَبِ - وَ عُوْفِيَتْ مِنْ عِلَاجِ التَّجْرِبَةِ - فَاتَّكَ مِنْ ذَلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ - وَ اسْتَبَانَ لَكَ مَا قَدْ رُبَّمَا أَظْلَمَ  
 عَلَيْنَا مِنْهُ أَى بُنَى إِنْى وَ إِنْ لَعَمُ أَكُونُ عُمُرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي - فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ وَ فَكَّرْتُ فِي أَخْيَارِهِمْ - وَ سِرَرْتُ فِي  
 آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ - بَلْ كَأَنى بِمَا انْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ - قَدْ عُمُرْتُ مَعَ أَوْلِيهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ - فَعَرَفْتُ صِفَةَ ذَلِكَ مِنْ  
 كَدَرِهِ وَ نَفْعِهِ مِنْ ضَرَرِهِ - فَاسْتَخْلَصْتُ لِمَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلُهُ - وَ تَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ وَ صِرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ - وَ رَأَيْتُ حَيْثُ  
 عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَغْنِي الْوَالِدَ الشَّفِيقَ - وَ أَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدْبِكَ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ - وَ أَنْتَ مُقْبِلُ الْعُمُرِ وَ مُقْتَبِلُ الدَّهْرِ - ذُو نَبِيهِ  
 سَلِيمِهِ وَ نَفْسِ صَافِيهِ - وَ أَنْ أَبْتَدِيَنَّكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ اللَّهِ - وَ تَأْوِيلِهِ وَ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ وَ أَحْكَامِهِ وَ حَلَالِهِ وَ حَرَامِهِ - لَا أَجَاوِزُ لَكَ إِلَى  
 غَيْرِهِ - ثُمَّ أَشْفَقْتُ أَنْ يَلْتَبَسَ عَلَيْكَ - مَا اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَ آرَائِهِمْ - مِثْلَ الَّذِي التَّبَسَّ عَلَيْهِمْ - فَكَانَ إِحْكَامُ ذَلِكَ  
 عَلَيَّ مَا كَرِهْتُ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبُّ

إِلَى - مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَّا - آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ - وَ رَجَوْتُ أَنْ يُعْرِفَكَ اللَّهُ لِرُشْدِكَ - وَأَنْ يَهْدِيكَ لِقَضِيَّتِكَ فَعَهَدْتُ  
إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هِدِيهِ وَاعْلَمْ يَا بَنِي - أَنْ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللَّهِ - وَالْإِقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ - وَ  
الْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ - وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ - فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدْعُوا أَنْ نَنْظُرُوا لَأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاطِرٌ - وَ  
فَكَرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ - ثُمَّ رَدَّوهُمْ آخِرُ ذَلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا - وَالْإِمْسَاكُ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا - فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذَلِكَ  
دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا - فَلْيَكُنْ طَلِبُكَ ذَلِكَ بِتَفْهَمٍ وَتَعْلَمَ - لَّا - بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ الْخُصُوصِيَّاتِ - وَابْتِدَاءِ قَبْلِ نَظْرِكَ فِي  
ذَلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِالْهَيْكِ - وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيْقِكَ - وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْ لَجْتِكَ فِي شُبُهَةٍ - أَوْ أَسْلَمْتِكَ إِلَى ضَلَالَةٍ - فَإِذَا أَيَقَنْتَ  
أَنْ صِيَفَا قَلْبِيكَ فَخَشِعَ - وَتَمَّ رَأْيِيكَ فَاجْتَمَعَ - وَكَانَ هَمُّكَ فِي ذَلِكَ هَمًّا وَاحِدًا - فَانْظُرْ فِيمَا فَسَّرْتُ لَكَ - وَإِنْ أَنْتَ لَمْ يَجْتَمِعْ  
لَكَ مِمَّا تُحِبُّ مِنْ نَفْسِكَ - وَفَرَاغَ نَظْرِكَ وَفِكْرِكَ - فَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا تَخِطُّ الْعَشَوَاءَ وَتَتَوَرَّطُ الظُّلْمَاءَ - وَلَيْسَ طَالِبُ الدِّينِ مَنْ  
خَيَّطَ أَوْ خَلَطَ - وَالْإِمْسَاكُ عَنْ ذَلِكَ أَمْثَلُ فَتَفْهَمُ يَا بَنِي وَصِيَّتِي - وَاعْلَمْ أَنَّ مَالِكَ الْمَوْتِ هُوَ مَالِكَ الْحَيَاةِ - وَأَنَّ الْخَالِقَ هُوَ  
الْمُؤْتَمِرُ - وَأَنَّ الْمُفْنِي هُوَ الْمُعِيدُ وَأَنَّ الْمُتَبَلِي هُوَ الْمُعَافِي - وَأَنَّ الدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ لِتَسْتَقِرَّ - إِلَّا عَلَى مَا جَعَلَهَا اللَّهُ عَلَيْهِ مِنَ النِّعْمَاءِ وَ  
الْإِتْيَاءِ - وَالْجَزَاءُ فِي الْمَعَادِ - أَوْ مَا شَاءَ مِمَّا لَا نَعْلَمُ - فَإِنَّ أَشْكَلَ عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ عَلَى جَهَالَتِكَ بِهِ - فَإِنَّكَ أَوَّلُ مَا  
خُلِقْتَ جَاهِلًا - ثُمَّ عَلِمْتَ - وَمِمَّا أَكْثَرَ مَا تَجْهَلُ مِنَ الْأَمْرِ وَتَتَحَيَّرُ فِيهِ رَأْيِيكَ - وَيُضِلُّ فِيهِ بَصِيرَتَكَ ثُمَّ تُبْصِرُهُ بَعْدَ ذَلِكَ فَاعْتَصِمْ  
بِالَّذِي خَلَقَكَ وَرَزَقَكَ وَسَوَّاكَ -

وَلَيْكُنْ لَهُ تَعْبُدُكَ - وَإِلَيْهِ رَعْبَتُكَ وَ مِنْهُ شَفَقَتُكَ - وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللَّهِ - كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ ص - فَارْضَ بِهِ رَائِدًا وَ إِلَى النَّجَاهِ قَائِدًا - فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً - وَ إِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ - وَ إِنِ اجْتَهَدْتَ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ إِلَى أَنْ قَالَ:

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَانًا فِيمَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَ غَيْرِكَ - فَأَحِبِّ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ - وَ اَكْرَهُ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا - وَ لَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ - وَ أَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسِنَ إِلَيْكَ - وَ اسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ - وَ ارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ - وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَ إِنِ قَلَّ مَا تَعْلَمُ - وَ لَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ - وَ اعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَ آفَةُ الْأَلْبَابِ - فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ وَ لَا تَكُنْ حَازِنًا لِغَيْرِكَ - وَ إِذَا كُنْتَ هُدَيْتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَحْشَعُ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ:

وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقًا ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ - وَ مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ - وَ أَنَّهُ لَا غِنَى لَكَ فِيهِ عَنِ الْحُسْنِ الْإِرْتِيَادِ - وَ قَدْرٍ بِلَاغِكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِيفَةِ الظَّهِرِ - فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ - فَيَكُونَ ثَقْلٌ ذَلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ - وَ إِذَا وَجِدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ - فَيُؤَا فَيْكَ بِهِ غَدًا حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ - فَاعْتَنِمُهُ وَ حَمَلُهُ إِيَّاهُ - وَ أَكْثِرْ مِنْ تَرْوِيدِهِ وَ أَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ - فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ - وَ اعْتَنِمِ مَنْ اسْتَفْرَضَكَ فِي حَالِ غِنَاكَ - لِيَجْعَلَ قَضَاءَهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ - وَ اعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عَقَبَةٌ كَثُودًا - الْمُخِيفُ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقَلِ - وَ الْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ - وَ أَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ - عَلَى

جَنَّهُ أَوْ عَلَى نَارٍ - فَارْتَدَّ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ وَ وَطِئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ - فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرِفٌ وَ اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ - قَدْ أَدَانَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ - وَ تَكْفَلُ لَكَ بِالْإِجَابَةِ وَ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيكَ - وَ تَسْتَرْحِمُهُ لِيُرْحِمَكَ - وَ لَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ مَنْ يَحُجُّبُهُ عَنْكَ - وَ لَمْ يُلْجِئِكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ - وَ لَمْ يَمْنَعَكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ - وَ لَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنَّقْمَةِ - وَ لَمْ يُعَيِّرَكَ بِالْإِنَابَةِ وَ لَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضْحُ يَحُهُ بِكَ أَوْلَى - وَ لَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ - وَ لَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ - وَ لَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ - بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسْبَهُ - وَ حَسَبَ سَيِّئَتِكَ وَاحِدَةً - وَ حَسَبَ حَسْبَتِكَ عَشْرًا - وَ فَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ وَ بَابَ الْإِسْتِعْتَابِ - فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ - وَ إِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ - فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ - وَ أَبَشَّتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ وَ شَكَّوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ - وَ اسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ وَ اسْتَعْنَتَهُ عَلَى أُمُورِكَ - وَ سَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ - مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَ صِحَّةِ الْأَبْدَانِ - وَ سِعَةِ الْأَرْزَاقِ - ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ - بِمَا أَدَانَ لَكَ فِيهِ مِنْ مَسْأَلَتِهِ - فَمَتَى شِئْتِ اسْتَفْتَحْتِ بِالْدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ - وَ اسْتَمْطَرْتَ شَائِبَ رَحْمَتِهِ - فَلَا يُقْنِطُكَ إِطْءَاءُ إِجَابَتِهِ - فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النَّيِّهِ - وَ رَبُّمَا أُخْرَتْ عَنْكَ الْإِحْيَاءُ لِيَكُونَ ذَلَاكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ - وَ أَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْأَمَلِ - وَ رَبُّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ - وَ أُوتِيَتْ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا - أَوْ صِرَفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ - فَلَزِبْ أَمْرٌ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَكَ دِينُكَ لَوْ أُوتِيَتْهُ - فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتَكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ - وَ يُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ - فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَ لَا تَبْقَى لَهُ

وَاعْلَمَ يَقِينًا أَنَّكَ لَمْ تَبْلُغْ أَمْلَكَ وَ لَمْ تَعُدْ أَجَلَكَ - وَ أَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَرْنٍ كَانَ قَبْلَكَ - فَخَفِضْ فِي الطَّلَبِ وَ أَجْمَلْ فِي  
 الْمُكْتَسَبِ - فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ - فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ - وَ لَا - كُلُّ مُجْمَلٍ بِمَحْرُومٍ - وَ أَكْرَمُ نَفْسِكَ عَنْ كُلِّ  
 دَيْئِهِ - وَ إِنْ سَأَقْتَكَ إِلَى الرَّغَائِبِ - فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبِيدُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا - وَ لَا تَكُنْ عَبْدًا غَيْرَكَ وَ قَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ حُرًّا - وَ  
 مَا خَيْرُ خَيْرٍ لَّا - يُنَالُ إِلَّا - بِشَرٍّ - وَ يُسِيرُ لَّا - يُنَالُ إِلَّا - بِعُسْرِ - وَ إِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ - فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ - وَ إِنْ  
 اسْتِطَعْتَ إِلَّا يَكُونُ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ - فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قَسِيمِكَ وَ آخِذٌ سَهْمِكَ - وَ إِنْ الْيَسِيرَ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمَ  
 مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ - وَ إِنْ كَانَ كُلُّ مِنْهُ وَ تَلَايِكَ مَا فَرَطَ مِنْ صِيَمَتِكَ - أَيَسِيرُ مِنْ إِدْرَاكَكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ - وَ حِفْظُ مَا فِي  
 الْوَعَاءِ بِشِدَّةِ الْوِكَاءِ - وَ حِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدَيْ غَيْرِكَ - وَ مَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ - وَ  
 الْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ - وَ الْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ وَ رَبُّ سِدَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ - مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ وَ مَنْ فَكَّرَ أَبْصَرَ - قَارِنُ  
 أَهْلِ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ - وَ بَايِنُ أَهْلِ الشَّرِّ تَبَيَّنْ عَنْهُمْ - بِنَسِ الطَّعَامِ الْحَرَامِ - وَ ظَلَمِ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ - إِذَا كَانَ الرَّفْقُ خُرْفًا كَانَ  
 الْخُرْقُ رِفْقًا - رَبُّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَ الدَّاءُ دَوَاءً - وَ رَبُّمَا نَصَحَ غَيْرَ النَّاصِحِ وَ عَشَّ الْمُسْتَنْصِحَ - وَ إِيَّاكَ وَ اتَّكَالَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا  
 بَضَائِعُ النَّوْكَى - وَ الْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ - وَ خَيْرٌ مَا جَرَّبْتَ مَا وَعَظَكَ - بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً - لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ  
 وَ لَا كُلُّ غَائِبٍ يُتُوبُ - وَ مِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ وَ مَفْسَدَةُ الْمَعَادِ - وَ لِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ

سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ - التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ وَ رَبُّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ وَ لَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ - سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا دَلَّ لَكَ قَعُودُهُ - وَ لَا تُخَاطِرُ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرِ مِنْهُ - وَ إِيَّاكَ أَنْ تَجْمَعَ بِكَ مَطِيئَةَ اللَّجَاجِ - اِحْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صِرْمِهِ عَلَى الصَّلَةِ - وَ عِنْدَ صُرُودِهِ عَلَى اللَّطْفِ وَ الْمُقَارَبَةِ - وَ عِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبِدْلِ - وَ عِنْدَ تَبَاعُودِهِ عَلَى الدُّنُوِّ - وَ عِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللَّيْنِ - وَ عِنْدَ جُزْمِهِ عَلَى الْعُودِرِ - حَتَّى كَمَا نَكَ لَهُ عَيْدٌ وَ كَمَا أَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ - وَ إِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ - أَوْ أَنْ تَفْعَلَ بِغَيْرِ أَهْلِهِ - لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقًا فَتَعَادِيَ صَدِيقَكَ - وَ اِمْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ - حَسَنَهُ كَانَتْ أَوْ قَبِيحَهُ - وَ تَجَرَّعِ الْعَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرِ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً - وَ لَا - أَلَدَّ مَغْبَةً - وَ لَنْ لِمَنْ غَالَطَكَ فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَنَّ لَكَ - وَ خُذْ عَلَى عَيْدُوكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحَدُ الظَّفَرَيْنِ - وَ إِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبِقْ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ - بَقِيَّةُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَأَ لَهُ ذَلِكَ يَوْمًا مَا - وَ مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصِدْقُ ظَنِّهِ - وَ لَا - تُضَيِّعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالًا - عَلَى مَا بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ - فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعَتْ حَقَّهُ - وَ لَا يَكُنْ أَهْلَكَ أَشَقَى الْخَلْقِ بِكَ - وَ لَا تَرْغَبَنَّ فِي مَنْ زَهَدَ عَنْكَ - وَ لَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ عَلَى مَقَاطِعَتِكَ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى صَلَتِهِ - وَ لَا يَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ - وَ لَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظَلَمِكَ - فَإِنَّهُ يَسْتَعِي فِي مَضَرَّتِهِ وَ نَفْعِكَ - وَ لَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوَّهُ وَ اعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ - رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَ رِزْقٌ يَطْلُبُكَ - فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ - مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ - وَ الْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى - إِنْ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثُوكَ - وَ إِنْ كُنْتَ جَازِعًا عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ -

فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ - اسْتَدِلْ عَلَى مَا لَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ - فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهُ - وَ لَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالِغَتْ فِي إِيْلَامِهِ - فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَعِظُ بِالْأَدَابِ - وَ الْبُهَائِمَ لَا تَتَعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ - .

أَطْرَحَ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ - وَ حُسْنِ الْيَقِينِ - مَنْ تَرَكَ الْقَصِيدَ حِيَارَ - وَ الصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ - وَ الصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ - وَ الْهُوَى شَرِيكَ الْعِنَاءِ - وَ رَبُّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ - وَ رَبُّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ - وَ الْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ - مَنْ تَعَدَى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ - وَ مَنْ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ - وَ أَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذَتْ بِهِ - سَبَبٌ بَيْنَكَ وَ بَيْنَ اللَّهِ - وَ مَنْ لَمْ يُبَالِكْ فَهُوَ عِدُوكَ - قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِذْرَاكَ إِذَا كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا - لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ وَ لَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ - وَ رَبُّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَ أَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ - أَخْرَ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتُمْ تَعَجَّلْتَهُ - وَ قَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ - مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ وَ مَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ - لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ - إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ - سَلَّ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ - وَ عَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ إِيَّاكَ أَنْ تَذْكَرَ مِنَ الْكَلَامِ مَا كَانَ مُضْجِحًا - وَ إِنْ حَكَيْتَ ذَلِكَ عَنْ غَيْرِكَ - وَ إِيَّاكَ وَ مُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ - فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَ عَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ - وَ اكْتُمِفْ عَلَيْهِنَّ مَنْ أَبْصَرَ مِنْهُنَّ بِحِجَابِكَ إِيَاهُنَّ - فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ - وَ لَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ - مِنْ إِذْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثِقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ - وَ إِنْ اسْتَطَعْتَ أَلَّا يَعْرِفَنَّ غَيْرَكَ فَافْعَلْ - وَ لَا تُمْلِكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا - فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَ لَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ - وَ لَا تَعُدْ بِكِرَامَتِهَا نَفْسَهَا وَ لَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ لِعَیْرِهَا - وَ إِيَّاكَ وَ التَّغَايِرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ غَيْرِهِ - فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ إِلَى



السَّقْمِ - وَ الْبَرِيئَةَ إِلَى الرَّيْبِ - وَ اجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسِيَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ - فَإِنَّهُ أَحْرَى الْأَيَّتَوَاكُلُوا فِي خِدْمَتِكَ - وَ أَكْرَمَ عَشِيرَتِكَ - فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ الَّذِي بِهِ تَطِيرُ - وَ أَصْلُكَ الَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ وَ يَدُكَ الَّتِي بِهَا تَصُولُ - اسْتَوْدِعِ اللَّهَ دِينَكَ وَ دُنْيَاكَ - وَ اسْأَلْهُ خَيْرَ الْقَضَاءِ لَكَ فِي الْعَاجِلِ وَ الْآجِلِ - وَ الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةَ وَ السَّلَامُ قول المصنّف: (و من وصّيه له عليه السّلام) في (محجّه ابن طاوس - كشف المحجّه - ص ١٥٧ و ١٥٨ ابن طاوس): قال أبو أحمد العسكري في كتاب (زواجه أبو أحمد العسكري - الزواجر و المواعظ -): و لو كان من الحكم ما يجب أن يكتب بالذهب لكانت هذه الوصيه (١).

(للحسن بن علي عليه السّلام) كون الوصيه له عليه السّلام أحد القولين و احدى الروايتين ذهب إليه - كالمصنّف - ابن شعبه في (تحفه ابن شعبه - تحف العقول - ص ٦٨) و رواه الكليني في (رسائله ١١ الكليني - الرسائل - ) ٢، و قول آخر إنها لابنه محمد بن الحنفية، ذهب إليه الشيخ الشيخ الطوسي - فهرست الطوسي - ص ٣٧ و ٣٨ و النجاشي النجاشي - فهرست النجاشي - ص ٦ في (فهرستيهما)، و الصدوق في (نوادير آخر فقيهه الشيخ الصدوق - من لا يحضره الفقيه - ج ٤ ص ٢٧٥ ح ١٠) ٣.

قال الأول: روى الأصبغ عهد مالك الأشتر و وصيه أمير المؤمنين عليه السّلام الى ابنه محمد بن الحنفية - الى أن قال - و أمّا الوصيه فأخبرنا بها الحسين بن عبيد الله، عن الدوري، عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج، عن جعفر بن محمد الحسيني، عن علي بن عبدك الصوفي، عن الحسن بن ظريف، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بن نباته المجاشعي قال: كتب أمير المؤمنين عليه السّلام الى ولده محمد بن الحنفية ٤.

و قال الثاني أيضا فيه: روى الأصبغ عنه عليه السّلام عهد الأشتر و وصيته إلى

ص: ٣١٠

ابنه محمد، أخبرنا عبد السلام بن الحسين الأديب، عن أبي بكر الدوري عن محمد بن أحمد بن أبي الثلج - إلخ مثل (الفهرست) (١).

و روى (الكافي الكليني - الكافي - ج ٥ ص ٥١٠ ح ٣) الروایتين فقال في باب إكرام الزوجه: أبو علي الأشعري عن بعض أصحابنا عن جعفر بن عنبسه عن عباد بن زياد الأسدي عن عمرو بن أبي المقدم عن أبي جعفر عليه السلام، و أحمد بن محمد العاصمي عن حذّته عن معلى بن محمد البصري عن علي بن الحسين عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال: في رساله أمير المؤمنين الى الحسن: لا - تملكك المرأة من الأمر ما يجاوز نفسها، فإنّ ذلك أنعم بحالها و أرخى لبالها و أدوم لجمالها، فإنّ المرأة ريحانه و ليست بقهرمانه، و لا تعد بكرامتها نفسها، و اغضض بصرها بسترک و اكففها بحجابك، و لا تطمعها في أن تشفع لغيرها فيميل من شفعت له عليك معها، و استبق من نفسك بقيه، فإنّ إمساكك نفسك عنهن و هو يرين أنّك ذو اقتدار خير من أن يرين منك حالا على انكسار.

أحمد بن محمد بن سعيد عن جعفر بن محمد الحسنی عن علي بن عبدك عن الحسن بن ظريف عن الحسين بن علوان عن سعد بن ظريف عن الأصبغ عن أمير المؤمنين عليه السلام مثله إلا أنه قال: كتب عليه السلام بهذه الرساله إلى ابنه محمد (٢).

و رواها أبو أحمد العسكري في (زواجه) كما نقل عنه علي بن طاوس في الفصل (١٦٣) من (محجته) بأربعه طرق:

أولها: جماعه عن علي بن الحسين بن إسماعيل عن الحسن بن أبي عثمان الادمي عن أبي حاتم عن يوسف بن يعقوب عن بعض أهل العلم.

ص: ٣١١

١-١) فهرست النجاشي: ٦.

٢-٢) الكافي ٥١٠: ٥ ح ٣. [١]

و ثانيها: أحمد بن عبد العزيز عن سليمان بن الربيع عن كادح بن رحمه الزاهد عن صباح بن يحيى المزني، و علي بن عبد العزيز الكاتب عن جعفر بن هارون بن زياد عن محمد بن علي الرضا عن آبائه عن جدّه عليه السّلام.

و ثالثها: علي بن محمد بن إبراهيم التستري عن جعفر بن عنبسه عن عباد بن زياد عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر محمد بن علي عليه السّلام.

و رابعها: محمد بن علي عن محمد بن العباس عن عبد الله بن زاهر عن أبيه عن جعفر بن محمد عن آبائه عليهم السّلام، كلّ هؤلاء حدّثونا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كتب بهذه الرسالة الى الحسن. قال و روى بطريق واحد أحمد بن عبد الرحمن بن فضال القاضي عن الحسن بن محمد و أحمد بن جعفر بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين عن جعفر بن محمد الحسن بن علي بن عبدك عن الحسن بن عبدك عن الحسن بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ قال: كتب عليه السّلام الى ابنه محمّد (١).

و طرق كونها الى الحسن عليه السّلام- و ان كانت أكثر- فقد عرفت أنّ أبا أحمد العسكري رواها بأربعة طرق، و الكليني رواه بطريق آخر في طريقه الثاني، و أما طريقه الأول فمتّحد مع طريق أبي أحمد فتصير الطرق فيه خمسة، و أما كونها الى محمد بن الحنفية فطريقه واحد، فان الطرق كلّهم من العسكري و الكليني و الطوسي و النجاشي «جعفر الحسن بن علي بن عبدك» الى آخر السند، إلا أنّ الأول فسّر ابن عبدك بالحسن و الثلاثة بعلي، إلا أنّ الذي يبعد كونها الى الحسن عليه السّلام فضلا عن مقام إمامته و عدم احتياجه الى تلك الوصيه- بل الى عهد الامامه- أنّه عليه السّلام كان في ذاك الوقت ابن ست و ثلاثين سنه، لأن مولده كان في سنه اثنتين أو ثلاث، و صفيّين كانت في سنه (٣٧)، و في الوصيه

ص: ٣١٢

أنها كانت بعد صفين، و من فقرات الوصيه «و إنما قلب الحدث كالأرض الخاليه»، و رواه (العقد) في كتاب (الزمرد) في المواعظ منه في عنوان «مواعظ الآباء» (١).

هذا، و قال ابن ميثم: روى جعفر بن بابويه أن هذه الوصيه كتبها عليه السلام إلى ابنه محمد بن الحنفية (٢).

قلت: ليس لنا جعفر بن بابويه بل أبو جعفر بن بابويه أي: محمد بن علي بن الحسين، و قد عرفت أنه قال ذلك في (نوادير آخر فقيهه)، و لا يبعد أن يكون بعض الفقرات قالها عليه السلام للحسن فخلطوهما فحصل هذا الاختلاف.

و يشهد لذلك أن في نقل (نوادير آخر الفقيه) بعد قوله: «فإن المرأه ربحانه و ليست بقهرمانه» «فدارها على كل حال، و أحسن الصحبه لها فيصفو عيشك، احتمال القضاء بالرضا، و إن أحببت أن تجمع خير الدنيا و الآخره فاقطع طمعك مما في أيدي الناس، و السلام عليك يا بنى و رحمه الله و بركاته» و قال: هذا آخر وصيته لمحمد بن الحنفية (٣)، و قد عرفت أن النهج نقل بعد ذلك القول أمورا آخر.

و كيف كان ففي روايات (الفقيه) زيادات (٤).

(كتبها إليه بحاضرين) قال ابن أبي الحديد: كنا نقرأه قديما بالحاضرين على صيغه التشنيه، يعنى حاضر حلب و حاضر قنسرين، و هى الأرياض و الضواحي المحيطه بهذه البلاد، ثم قرأناه بعد ذلك على جماعه من الشيوخ بغير لام و لم يفسروه، و منهم من يذكره بصيغه الجمع و منهم من يقول

ص: ٣١٣

١-١ (١) العقد الفريد ١٠٠:٣-١٠١. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم: ٣٩٨.

٣-٣ (٣) الفقيه ٢٨٠:٤.

٤-٤ (٤) الفقيه ٤: من السطر ١٧ من ص ٢٧٥ الى السطر ٧ من ص ٢٨٠.

بخصائرين يظنونه تشبيهه خناصره أو جمعها، وقد طلبت هذه الكلمه فى الكتب المصنفه، سيما فى البلاد فلم أجدها، ولعلّى أظفر بها (١).

قلت: الظاهر أن «حاضرین» محرف «قنسرین»، يشهد له طريق أبى أحمد الأول عن بعض أهل العلم قال: لما انصرف على عليه السلام من صفین الى قنسرین كتب به الى ابنه الحسن «من الوالد الفان...»، ويجوز من حيث التقارب اللفظى أن يكون «بقاصرین»، ففى (فتوح البلاذرى)، بعث أبو عبيده جيشا عليه حبيب بن مسلمه الى قاصرین و قدم مقدمته الى بالس، وكانت بالس و قاصرین لأخوين من أشرف الروم أقطعا القرى التى بالقرب منهما و جعلا حافظین لما بينهما من مدن الروم بالشام-الى أن قال- فلما كان مسلمه بن عبد الملك توجه غازيا للروم من نحو الثغور الجزريه عسكر ببالس فأتاه أهلها و أهل بولس و قاصرین و عابدين و صفین و هى قرى منسوبة اليها... (٢).

ثم لا معنى لما قاله من كون «حاضرین» بصيغه التشبيه بمعنى حاضر حلب و حاضر قنسرین، فالإنسان لا يكون بمحلين. و كيف كان ففى بلدان البلاذرى كان حاضر قنسرین لتنوخ منذ ما تنخوا بالشام نزله و هم فى خيم الشعر ثم ابتنوا به المنازل.

و روى أيضا عن عبد الرحمن بن غنم قال: رابطنا مدينه قنسرین-الى أن قال- و كان حاضر طى قديما نزله بعد حرب الفساد التى كانت بينهم حين نزلوا الجليلين-الى أن قال- و كان بقرب مدينه حلب حاضر تدعى حاضر حلب، تجمع أصنافا من العرب تنوخ و غيرهم... (٣).

ص: ٣١٤

١-١ شرح ابن أبى الحديد ١٦:٥٢. [١]

٢-٢ فتوح البلدان للبلاذرى: ١٥٥. [٢]

٣-٣ فتوح البلاذرى: ١٥٠. [٣]

و في (الصحاح): الحاضر: الحَيِّ العظيم، يقال: حاضر طيء، وهو جمع كما يقال سامر للسَّمار و حاجَّ للحجاج (١).

و أما قوله: «و منهم من يقول بخصائرين يظنونه تشبيه خصائره أو جمعها» ففيه أن خصائره ليس لها تشبيه أو جمع، قال الحموي: خصائره بليده من أعمال حلب و جعلها جران العود خصائرات، كأنه جعل كل موضع منها خصائره فقال «نظرت و صحبتي بخصائرات» (٢). و بالجمله ليس لنا موضع يقال له حاضرين أو خصائرين بلفظ التشبيه أو الجمع.

(منصرفا من صفين) هكذا في (المصريه) (٣)، و الصواب: (عند انصرافه من صفين) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤).

قوله عليه السَّلام «من الوالد الفنان» نقله (المحججه) عن (رسائل الكليني) «من الوالد الفاني» (٥) و هو الأصل، و ما هنا للازدواج مع قوله بعد «المقر للزمان» .

هذا، و من جيد ما قيل في الفناء:

دبَّ فيَّ الفناء علوا و سفلا و أراني أموت عضوا فعضوا

ليس من ساعه مضت بي إلا نقصتني بمرها بي حدوا

«المقر للزمان» قال الشاعر:

ليس الأمان من الزمان بممكن و من المحال وجود ما لا يمكن

معنى الزمان على الحقيقه كاسمه فعلى م ترجو أنه لا يزمن

و قال آخر:

ص: ٣١٥

١-١ (١) الصحاح ٦٣٢: ٢. [١]

٢-٢ (٢) معجم البلدان ٣٩٠: ٢. [٢]

٣-٣ (٣) نهج البلاغه ٤٢: ٣-رقم ٣١.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٦- [٣] ابن ميثم: ٣٩٨ هكذا.

٥-٥ (٥) كشف المحججه: ١٥٩. [٤]

كانت قناتي لا تلين لغامز فألأنها الإصباح و الإمساء

و قال البحترى:

إنّ الزمان إذا تتابع خطوه سبق الطلّوب و أدرك المطلوب

«المدبر العمر» فى (تاريخ بغداد):سأل أبو بكر بن أبى الدنيا يوسف بن يعقوب القاضى عن قوته فقال:أجدنى كما قال سيويه:

لا ينفع الهليون و الطويل انخرق الأعلى و جار الأسفل

فكيف تجدك أنت فقال:

أرانى فى انتقاص كلّ يوم و لا يبقى مع النقصان شى

طوى العصران ما نشراه منى فأخلق جدّتى نشر و طى (١)

«المستسلم للدهر» فى ديوان النابغه لما بلغه مرض النعمان مشيرا إلى النفس:

تكلّفنى أن أفعال الدهر همها و هل وجدت قبلى على الدهر قادرا (٢)

و لآخر:

و ما الناس فى شىء من الدهر و المنى و ما الناس إلا سيقات المقادر

و قيل فى غلبه الدهر أبيات كثيره منها:

الدهر يلعب بالفتى لعب الصوالج بالكره

أو لعب ریح عاصف عصفت بكف من ذره

الدهر قنّاص و ما الإنسان إلا قنبره

و منها:

ص:٣١٤

١- (١) تاريخ بغداد ٣١١:١٤، [١]بتصرف.

٢- (٢) ديوان النابغه الذبيانى:٥٥، طبعه مصر سنه ١٩١١.

برتنى صروف الدهر من كلّ جانب كما ينبرى دون اللحاء عسيب

و منها:

و من يك ذا عظم صليب يعدّه ليكسر عود الدهر فالدهر كاسره

و منها:

الدهر أبلانى و ما أبليته و الدهر غيرنى و ما يتغير

و الدهر قيدنى بخط مبرم فمشيت فيه و كلّ يوم يقصر

و منها:

حتنى حانيات الدهر حتّى كآنى خاتل يدنو لصيد

و ما أجاد ابن المعتز فى قوله للوزير ابن الفرات:

أبا حسن ثبتّ فى الأرض وطأتى و أدركتنى فى المعضلات الهزاهز

و ألبستنى درعا علىّ حصينه فناديت صرف الدهر هل من مبارز؟

فابن الفرات نفسه لم يسلم من صروف الدهر، إذ خلع عن الوزاره ثلاث مرات و نكب فيها و قتل أخيرا، فكيف آمنك يا ابن المعتز و أنت خليفه ليله.

و فى (الأغانى): لما نعى النعمان بن المنذر إلى النابغه الذيبانى و حدث بما صنع به كسرى-أى: من إلقائه تحت أرجل الفيله- قال: طلبه من الدهر طالب الملوك، ثم تمثّل:

من يطلب الدهر تدركه مخالبه و الدهر بالوتر ناج غير مطلوب

ما من أناس ذوى مجد و مكرمه إلا يشدّ عليهم شده الذيب

حتى يبيد على عمد سراتهم بالنافذات من التّبل المصابيب

إنّى وجدت سهام الموت معرضه بكل حتف من الآجال مكتوب (1)

و لما مات جعفر بن أبى جعفر المنصور أنشدوا للمنصور قصيده أبى الأغانى





ذؤيب الهذلى فى بنيه:

أمن المنون و ريبه تتوجع و الدهر ليس بمعتب من يجزع

فاستنشد المنشد أن ينشده قوله «و الدهر ليس بمعتب من يجزع» منه مره (١).

و فى (الدميرى): يحكى أن عضد الدوله خرج إلى بستان له متنزها فقال:

ما أطيب يومنا هذا لو ساعدنا فيه الغيث، فجاء المطر فى الوقت فقال:

ليس شراب الراح إلا فى المطر و غناء من جوار فى السحر

ناعمات سالبات للتهى ناغمات فى تضاعيف الوتر

عضد الدوله و ابن ركنها ملك الأملاك غلاب القدر

فلم يفلح بعد هذه الأبيان و عوجل بقوله: «غلاب القدر» (٢).

«الذام للدينا» فى (المعجم): دخل خيار النهدي على معاويه فقال له: ما صنع بك الدهر؟ فقال: صدع قناتى و شيب سوادى و أفنى لذاتى و جراً على أعدائى و لقد بقيت زمانا آنس بالأصحاب و أسبل الثياب و آلف الأحباب، فباعدوا عنى و دنا الموت منى (٣).

و فى (بيان الجاحظ): دخل الهيثم بن الأسود العريان -و كان خطيباً شاعراً- على عبد الملك، فقال له: كيف تجدك؟ قال: أجدنى قد ابيض منى ما كنت أحب أن يسود، و أسود منى ما كنت أحب أن يبيض، و أشتد منى ما كنت أحب أن يلين، و لان منى ما كنت أحب أن يشتد، ثم أنشد:

اسمع ابئتك بآيات الكبر نوم العشاء و سعال بالسحر

ص: ٣١٨

١- ١) الأغانى ٢٧١:٦-٢٧٢، [١] بتصرف.

٢- ٢) حياه الحيوان للدميرى ١:١٣٣. [٢]

٣- ٣) معجم الادباء ٩٠:١١. [٣]

و قَلَّه النوم إذا الليل اعتكر و قَلَّه الطعم إذا الزاد حضر

و سرعه الطرف و تحميج النظر و حذرا أزداده إلى حذر

و تركى الحسناء فى قبل الطهر و الناس يبلون كما يبلى الشجر

(١)قلت:أشار فى قوله:«إبيضّ و أسودّ و اشتدّ»إلى شعره و سنّه و جلده و عظمه.

و قال آخر:

تنكر لى مذ شبت دهري فأصبحت معارفه عندى من النكرات

و قال آخر أيضا:

ألقي على الدهر رجلا و يدا و الدهر ما أصلح يوما فسدا

يصلحه اليوم و يفسده غدا

و فى (الأغانى)عن مطرف بن عبد الله الهذلى عن أبيه عن جده قال:بينما أنا أطوف بالبيت و معى أبى إذ أنا بعجوز كبيره يضرب أحد لحييها الآخر، فقال لى أبى:أ تعرف هذه؟قلت:لا.قال:هذه التى يقول فيها الأحوص:

يا سلم ليت لسانا تنطقين به قبل الذى نالى من حنككم قطعاً

يلومنى فيك أقوام أجالسهم فما أبالى أطار اللوم أم وقعا

أدعو إلى هجرها قلبى فيتبعنى حتى إذا قلت هذا صادق نزعا

فقلت له:يا أبه!ما أرى أنه كان فى هذه خير قط،فضحك ثم قال:يا بنى هكذا يصنع الدهر بأهله (٢).

«السّاكن مساكن الموتى» قال الأعشى:

أزال أذينه عن ملكه و أخرج من حصنه ذا يزن

ص:٣١٩

(١-١) البيان و التبيين ٧٠:٢. [١]

(٢-٢) الأغانى ٣٠٠:٤- [٢]دار احياء التراث العربى.

و خان النعيم أبا مالك و أئى امرئ لم يخنه الزمن

أزال الملوک فأفناهم و أخرج من بيته ذا حزن

(١) و قال فى سيل العرم:

رخام بنته لهم حمير إذا جاءه مأوهم لم يرم

فأروى الزروع و أعابها على سعه مأوهم إذ قسم

فعاشوا بذلك فى غبطه فجار بهم جارف منهزم

فطار القيول و قبلايتها بيهما فيها سراب يطم

فطاروا سراعا و ما يقدرون منه لشرب صبى فطم

(٢) و قال أبو العتاهيه:

أنساك محياك المماتا فطلبت فى الدنيا النباتا

أو ثققت بالدنيا و أن ت ترى جماعتها شتاتا

و عزمت منك على الحياه و طولها عزماتا

يا من رأى أبويه فى من قد رأى كانا فماتا

هل فيهما لك عبره أم خلت أن لك انفلاتا

(٣) «و الظاعن» هكذا فى (المصريه) (٤) و الصواب: (الظاعن) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥) و الظاعن

أى: المرتحل (عنها غدا) و قال الشاعر:

ص: ٣٢٠

١-١) ديوان الأعشى: ٣٠٦.

٢-٢) ديوان الأعشى: ٢٠١. و القيول: الواحد قيل لقب ملوك حمير، و يطم: يعلو.

٣-٣) الأغاني ٤: ٥٢. [١]

٤-٤) نهج البلاغه ٣: ٤٢ رقم ٣١. [٢]

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٦، [٣] شرح ابن ميثم ٣٩٨ [٤] هكذا (الطبع الحجرى).

(١) هذا، و ما أبعد البون بين هذا الرجل الذى هو سلطان الدين يصف نفسه بهذه الأوصاف و بين سلاطين الدنيا و عجبهم و اغترارهم حتى ينسلخوا من الإنسانيه و يدعوا الربوبيه، فكتب قابوس بن وشمكير إلى أصبهد له هجره- كما فى ديوان معانى العسكرى- و كيف تهجر من تضاءلت الأرض تحت قدمه فصارت له فى الانقياد كبعض خدمه، إذا رأت منه هشاشه أعشبت، و إن أحسّت منه بجفوه أجدبت، و كيف تستغنى عمّن خيله العزمات و الأوهام و أنصاره الليالى و الأيام، من هرب منه أدركه مكائدها و من طلبه وجدّه فى مراصدها، و كيف يعرض عمّن تعرض رفاهيه العيش بإعراضه، و تنقبض الأرزاق بانقباضه، و أضاء نجم الإقبال إذا أقبل، و أهلّ هلال المجد إذا تهلّل، و كيف يزهى على من تحقر فى عينه الدنيا و ترى تحته السماء العلياء، و قد ركب عنق الفلك و استوى على ذات الحبك، فتبرجت له البروج و تكوكت لعبادته الكواكب و استجارت بعزته المجرّه و آثرت لمحاسنه أوضاع الثريا، بل كيف يهون من لو شاء عقد الهواء و جسم الهباء و فصل تراكيب الأشياء و ألف بين النار و الماء، و أخدم ضياء الشمس و القمر و كفاهما عناء السير و السفر، و سد مناخر الزعازع و أطبق أجفان البروق اللوامع، و قطع ألسنه الرعود بسيفه من الوعيد و نظم صوب الغمام نظم الفريد، و رفع عن الأرض سطوه الزلازل و قضى ما يراه على القضاء النازل، و عرض الشيطان بمعرض الإنسان و كحل العيون بصور الغيلان، و أنبت العشب على البحار و ألبس الليل ضوء النهار- إلى أن قال- فإتى لو علمت أن الأرض لا تسف تراب قدمى لما وضعت عليها جانبا و ان السماء لا تتوق إلى تقبيل

هامتي لما رفعت اليها طرفا... (١).

«إلى المولود» أي: الولد «المؤمل ما لا يدرك» فمحال أن يدرك أحد جميع آماله، و من أدرك شيئا منها فإنما يدرك قليلا من كثير.

تمنيت أن تحيي حياه هنيهة و أن لا ترى كثر الزمان بلا بلا

رويدك هذى الدار سجن و قلما يمر على المسجون يوما بلا بلا

و أيضا:

و أرجو من الأيام بالوصل عوده و تلك أمانى النفوس الكواذب

«السالك سبيل من قد هلك» قال لقمان لابنه: إنَّ الناس قد جمعوا قبلك لأولادهم، فلم يبق ما جمعوه، و لم يبق من جمعوا له، و إنما أنت عبد مستأجر قد أمرت بعمل و وعدت عليه أجرا، فأوف عملك و استوف أجرك، و لا تكن فى هذه الدنيا بمنزله شاه وقعت فى زرع أخضر، فأكلت حتى سمت، فكان حنظلها عند سمنها، و لكن اجعل الدنيا بمنزله قنطره على نهر جزت عليها و تركتها، و لم ترجع اليها آخر الدهر... (٢).

«غرض الأسقام» أي: تجعله الأسقام هدفا لها.

فى (المروج): كان الجاحظ فى علته التى مات فيها يطلى نصفه الأيمن بالصندل و الكافور لشده حرارته، و النصف الآخر لو قرص بالمقاريض ما شعر به من خدره و برده (٣).

«و رهينه الأيام» قال حميد بن ثور النميرى:

و لا يلبث العصران يوما و ليله إذا طلبا أن يدركا ما تمنيا

ص: ٣٢٢

١- ١) انظر ديوان المعانى [١] لأبى هلال العسكري: ٨٦-٨٧. [٢]

٢- ٢) الكافى ١٣٤: ٢ ح ٢. [٣]

٣- ٣) مروج الذهب ١٠٩: ٤. [٤]

إذا ما تقاضى المرء يوما و ليله تقاضاه شيء لا يملّ التقاضيا

و قال الأعشى:

لعمرك ما طول هذا الزمن على المرء إلاّ عناء معن

يظلّ رجيمًا لريب المنون و للسقم في أهله و الحزن

و هالك أهل يجنونه كآخر في قفره لم يجن

و ما إن أرى الدهر في صرفه يغادر من شارخ أو يفن

(١) «و رميه المصائب» كصيد رماه الصائد، قال عمرو بن قميئه من طبقه حجر أبي أمرى القيس:

رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى فكيف بمن يرمى و ليس برام

فلو أنّى أرمى بنبل رأيتها و لكننى أرمى بغير سهام

(٢) «و عبد الدنيا و تاجر الغرور» «و ما الحياه الدنيا إلاّ متاع الغرور» (٣) «و غريم» أى: مديون «المنايا» أى: الحوادث المقدره، قال:

سأعمل نص العيس حتى يكفنى غنى المال يوما أو منى الحدثان

«و أسير الموت» «أينما تكونوا يُدْرِكُكُمْ الْمَوْتُ وَ لَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ» (٤) «فقل إن الموت الذى تفرّون منه فإنّه ملائكم»

(٥).

«و حليف الهموم و قرين الأحزان» فإن الإنسان فى كلّ وقت له مقاصد

ص: ٣٢٣

١- ١) ديوان الأعشى: ٢٠٥.

٢- ٢) الأغاني ١٨: ١٤٢، [١] و فيه: ..... فما بال من يرمى و ليس برام فلو أنّ ما أرمى بنبل رميتها و لكنما أرمى بغير سهام

٣- ٣) آل عمران: ١٨٥، و [٢] الحديد: ٢٠. [٣]

٤- ٤) النساء: ٧٨. [٤]

٥- ٥) الجمعة: ٨. [٥]

لا تتيسر له فهو دائما رهين هم و قرين حزن.

و إذا عددت سنى ثم نقصتها زمن الهموم فتلك ساعه مولدى

«و نصب الآفات» أى: جعل منصوبا فى مقابلها «و صريع الشهوات» أى:

مهلكها الطريح على الأرض.

و قد عدّد الله تعالى شهوات الدنيا فى قوله عزّ و جل «زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَ النِّبِينَ وَ الْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّةِ وَ الْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَ الْأَنْعَامِ وَ الْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ اللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآبِ» (١)، و لا سيما حبّ النساء، و قد هلك جمع فيهن، و قد أُلّف فيه بعضهم كتابا سمّاه «مصارع العشاق» جمع فيه من مات منهم بحبهن (٢).

هذا، و من الشعراء موسى شهوات، قال ابن قتيبه فى (شعرائه): لُقّب «شهوات» لأن عبد الله بن جعفر كان يتشهى عليه الشهوات فيشترىها له و يترجّح عليه (٣).

و فى (زهر آداب الحصرى): لُقّب مسلم بن الوليد الأنصارى صريع الغوانى و الصريع لقوله:

صريع غوان راقهنّ و رقنه لدن شبّ حتى أبيضّ سود الذوائب

هل العيش إلا أن تروح مع الصبا صريع حميا الكأس و الحدق النجل

و فى (وزراء الجهشيارى): خلف المنصور فى بيوت الأموال تسعمائه ألف ألف درهم و ستين ألف ألف درهم، و كان أبو عبيده وزير المهدي أوّلا يشير عليه بالاعتقاد و حفظ الأموال، و لما صار يعقوب بن داود وزيره زَيْن

ص: ٣٢٤

١-١) آل عمران: ١٤. [١]

٢-٢) انظر مصارع العشاق تأليف الشيخ أبى محمد جعفر بن أحمد بن الحسين الشراج القارى (رحمه الله).

٣-٣) الشعر و الشعراء لابن قتيبه: ٣٦٦، طبعه دار [٢] صادر بيروت.



له هواه فأنفق المال و أكبّ على اللذات و الشرب و سماع الغناء، ففي ذلك يقول بشار:

بنى أميه هبوا طال نومكم إن الخليفة يعقوب بن داود

ضاعت خلافتكم يا قوم فأطلبوا خليفه الله بين الزقّ و العود (١)

«و خليفه الأموات» قيل إن صوفياً أراد دخول قصر إبراهيم بن أدهم أيام ملكه فمنعه الحاجب فقال: لم تمنعني و هذا خان. قال: تسمى قصر الملوك خانا. قال: من كان قبل الملك فيه؟ قال: أبوه. قال: و قبله. قال: جدّه. فقال: و هل الخان إلا من يرحل منه إنسان و ينزله آخر، فسمع ذلك إبراهيم من فوق قصره فترك ملكه.

هذا، و في (المروج) قال المنصور يوماً للربيع: ما أطيب الدنيا لو لا- الموت. فقال له الربيع: و ما طابت إلا- بالموت. قال: و كيف ذلك؟ قال: لو لا الموت لم تقعد ها هنا. قال: صدقت (٢).

سل الدور تخبر و أفصح بها بأن لا بقاء لأربابها

هذا، و قال ابن أبي الحديد: عدّ عليه السّلام من صفات نفسه سبعا و من صفات ولده أربع عشرة، فجعل بازاء كلّ واحد ممّا له، إثنتين ممّا لولده. و من جيّد ما وصف شاعر نقص الدهر من قواه قول عوف بن محمّ الشيباني في عبد الله بن طاهر أمير خراسان:

يا ابن الّذي دان له المشرقان و ألبس الأمن به المغربان

إن الثمانين و بلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

و من الشعر القديم الجيد في هذا المعنى قول سالم بن عون الضبّي:

ص: ٣٢٥

[١-١] الوزراء و الكتاب: ١١٨. [١]

[٢-٢] مروج الذهب ٣: ٣٠٢. [٢]

لا يبعدنّ عصر الشباب و لا لذّاته و نباته النضر

إلى أن قال:

أو لم ترى لقمان أهلكه ما اقتات من سنه و من شهر

جعل الزمان كالقوت له، و من اقتات الشيء أكله، و الأكل سبب المرض و المرض سبب الهلاك (١).

قلت: أما قوله «جعل بإزاء كل واحد مما له اثنتين مما لولده» فليس بجيد، لأنه لم يجعل وصفا أزاء وصف و مقابلا له، بل الكلّ من واد واحد للتنبية على نقص الدنيا حتى لا يعتزّ بها، و إنّما ضاعف عليه السلام أوصاف ولده لأن الشابّ آماله أكثر.

كما أن ما نقله من أبيات الشاعرين ليست فى معنى كلامه عليه السلام، فإنّ الشاعرين فى مقام مدح الشباب و ذم الشيب، و هو عليه السلام بصدّد ذمّ أصل الدنيا شبابها و شيبها و أصلها و فرعها.

كما ان ما فسّر به المصراع الأخير بادر، و إنّما المراد أنّ لقمان أكل سنته و شهره و كانا قوته و مادته حياته، فبقى بعد أكله لهما بلا قوت فهلك .

«أما بعد فإنّ فيما تبينّت من أدبار الدنيا عنيّ و جموح» من جمح الفرس براكبه: إذا صار بحيث لا يملكه.

«الدهر عليّ و إقبال الآخرة إليّ ما» من الغريب أن محشّى (المصريه) كتب «ما» خبر (٢) «إن» مع أنّه واضح كونها أسمها، كما أنّ قوله و روى فإننى فيما تبينّت، و عليه فما مفعول «تبينّت» أيضا بلا معنى «يرغبني» هكذا فى

ص: ٣٢٦

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٥٤: ١٦-٥٦. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٣: ٤٣، [٢] الهامش رقم ٣.

(المصريه) (١) و الصواب: (يزعنى) أى: يمنعنى كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«عن ذكر من سواى و الاهتمام بما ورائى» .

فى (وزراء الجهشياري): لما مات عمر بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي بحيتى عنب اعترضتا فى حلقه، صار إليهم سفيان بن عيينه معزيا، فأنشدهم بيت عمران بن حطان:

و كيف أعزيتك و الأحداث مقبله فيها لكل امرىء من نفسه شغل (٣)

و فى (البيان) غمضت أعراييه ميتا ثم قالت: ما أحق من ألبس العافيه و أطيلت له النظره، ألاّ يعجز عن النظر لنفسه قبل الحلول بساحته، و الحياه بينه و بين نفسه (٤).

و رأى إياس بن قتاده شعره بيضاء فى لحيته فقال: أرى الموت يطلبنى و أرانى لا أفوته، أعوذ بك يا رب من فجئات الامور، يا بنى سعد! قد وهبت لكم شبابى فهبوا لى شيبى. و لزم بيته.

هذا، و واضح أن المراد بقوله عليه السلام «و الاهتمام بما ورائى» من أمور الدنيا و أهلها، و أغرب محشى المصريه الأولى فقال: أى: عن الاهتمام بما ورائى من أمر الآخره (٥).

«غير أنى حيث تفرد بى دون هموم الناس هم نفسى» «عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا»

ص: ٣٢٧

١- (١) نهج البلاغه ٣: ٤٣. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٥٧: ١٦- [٢] شرح ابن ميثم (الطبعه الحجريه): ٣٩٩ هكذا.

٣- (٣) الوزراء و الكتاب: ١١٦. [٣]

٤- (٤) البيان و التبيين للجاحظ ٣: ٤٠٦، [٤] بتصرف.

٥- (٥) نهج البلاغه ٣: ٤٣. [٥]

«يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ» (١).

«فصدقتنى رأيتى» و من أمثالهم «صدقتنى سن بكره»، و أصله أنّ رجلا ساوم رجلا فى بكر فقال: ما سنّه؟ فقال: صاحبه: بازل، ثم نفر البكر فقال له صاحبه «هدع هدع»، و هذه لفظه تسكن بها صغار الإبل، فلما سمعه المشتري قال: صدقتنى سن بكره.

و من أمثال الميدانى قال أبو عبيده: يروى عن على عليه السلام أنّه أتى فقيلا له:

إنّ بنى فلان و بنى فلان اقتتلوا، فغلب بنو فلان، فأنكر ذلك. ثم أتاه آت فقال: بل غلب بنو فلان - للقبيله الأخرى - فقال عليه السلام: صدقتنى سن بكره.

قال أبو عمرو: دخل الأحنف على معاويه بعد على عليه السلام فقال له معاويه:

أما إنى لم أنس اعتزالك يوم الجمل بينى سعد و نزولك بهم سفوان و قريش تذبح بناحيه البصره ذبح الحيران، و لم أنس طلبك إلى ابن أبى طالب أن يدخلك فى الحكومه لتزيل عنى أمرا جعله الله لى، و لم أنس تحضيضك بنى تميم يوم صفين على نصره على، فلما خرج من عنده قيل للأحنف: ما قال لك معاويه؟ قال: صدقتنى سن بكره - أى: خبرنى بما انطوت عليه ضلوعه (٢).

«و صرفنى عن هواى» «و لا تتبع الهوى فيضلّك عن سبيل الله» (٣) و قالوا «من هوى هوى» (٤).

«و صرح لى» من «لبن صريح» ذهب رغوته.

ص: ٣٢٨

١-١ (١) المائدة: ١٠٥. [١]

٢-٢ (٢) الميدانى ١: ٣٩٢. [٢]

٣-٣ (٣) ص: ٢٦.

٤-٤ (٤) الروايات بهذا المعنى كثيره كقول أمير المؤمنين عليه السلام من أطاع هواه هلك (غرر الحكم) و لكن لم أجد روايه بهذا اللفظ فى البحار و لا فى الغرر و لا فى وسائل الشيعة و لا فى النهج و لا فى ميزان الحكمة.

«محض أمرى» و من أمثالهم «صَرَحَ الحق عن محضه» (١)، «صَرَحَ المخض عن الزبد» (٢)، «صرحت بجلدان» (٣) قيل جلدان موضع بالطائف مستو لا خمر فيه يتوارى به.

«فأفضى» أى: جر.

«بى إلى جدّ لا يكون فيه لعب، و صدق لا يشوبه كذب، و وجدتك» هكذا فى (المصريه) (٤) و الصواب: (وجدتك) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥)، و لأنّه جواب «حيث» فلا وجه للواو.

«بعضى بل وجدتك كلّى» فقالوا «أولادنا أكبادنا» (٦).

و فى الخبر قيل للنبي صلّى الله عليه و آله: ما بالنا نجد بأولادنا ما لا يجدون بنا؟ قال:

لأنهم منكم و لستم منهم (٧).

و فى (نسب قريش مصعب الزبيرى): لما حملت فاطمه عليها السّلام بالحسين عليه السّلام رأت أم الفضل امرأه العباس كأنّ عضوا من أعضاء النبيّ فى بيتها، فأخبرت النبيّ بذلك فقال لها: تلد فاطمه غلاما فترضعينه

ص: ٣٢٩

١- ١) مجمع الأمثال للميدانى ١:٣٩٨، [١] الزمخشري ٢:١٤٠. [٢]

٢- ٢) مجمع الأمثال للميدانى ١:٤٠٥. [٣]

٣- ٣) مجمع الأمثال للميدانى ١:٤٠٥، [٤] الزمخشري ٣:١٤٠.

٤- ٤) نهج البلاغه ٣:٤٣. [٥]

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٦:٥٧، و [٦] شرح ابن ميثم: ٣٩٩ [٧] السطر العشرون هكذا.

٦- ٦) هذه العبارة جزء مِمَّا روى عن رسول الله صلّى الله عليه و آله أنّه قال: أولادنا، أكبادنا، صغراؤهم امرأونا، كبراؤهم أعداؤنا، فان عاشوا فتنوننا و ان ماتوا أحزنونا. راجع بحار الأنوار (٨) طبع المكتبة الإسلاميه «ايران» ١٠٤:٩٧ ح ٥٨ نقله

المجلسي (ره) عن جامع الأخبار: ١٠٥. [٩]

٧- ٧) انظر بحار الأنوار ١٠٤:٩٣، [١٠] نقله المجلسي رحمه الله عن مكارم الأخلاق ١:٢٥٣ [١١] هكذا: «سأل رجل النبيّ صلّى الله عليه و آله فقال: ما لنا...».

بليان ابنك قثم (١).

و في (تاريخ بغداد): حضر مجلس ابن السراج يوما بنى له صغير، فأظهر من المحبه له ما يكشر، فقال له بعض الحاضرين: أ تحبه؟ فقال متمثلا:

أحبه حبّ الشحيح ماله قد كان ذاق الفقر ثم ناله (٢)

«حتى كأن شيئا لو أصابك أصابني» مما قيل في الاتحاد قول جرير:

و كأنى بالأباطح من صديق يرانى لو أصبت هو المصابا

و قال آخر:

مزجت روحك في روحى كما يمزج الخمره بالماء الزلال

فإذا مسك شيء مسنى فإذا أنت أنا فى كلّ حال

و قال آخر:

جعلت روحك فى روحى كما يجعل العنبر فى المسك الفتق

فإذا مسك شيء مسنى فإذا أنت أنا لا نفترق

«و كأن الموت لو أتاك أتانى» دفن اعرابى ابنه ثم قال:

دفنت بنفسى بعض نفسى فأصبحت و للنفس منها دافن و دفين

«فعنانى» أى: أهمنى.

«من أمرك ما يعينى من نفسى، فكتبت إليك كتابى» هكذا فى (المصريه) (٣) أخذنا «كتابى» من (ابن أبى الحديد) و كان عليه أن يأخذ منه بعده «هذا» أيضا.

ص: ٣٣٠

١- ١) انظر نسب قریش: ٢٤، و [١] لعلّ نقل المصنّف بتصرف كبير أخلّ بالمعنى، فان ام الفضل امرأه العباس رأت فيما يرى النائم كأنّ عضوا...

٢- ٢) تاريخ بغداد ٥: ٣٢٠ [٢] بتصرف.

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ٤٣. [٣]

و الكلمتان في (ابن ميثم و الخطيه) أيضا (١).

«مستظها به ان أنا بقيت لك أو نيت» فيكون الكتاب خلفا منه لو فني، و المعين لو بقي. قال الشاعر:

أَبْنَىٰ إِنَّ أَبَاكَ كَارِبٌ يَوْمَهُ فَإِذَا دَعَيْتَ إِلَىٰ الْمَكَارِمِ فَاعْجَلْ

«فاني أوصيك بتقوى الله» هكذا في (المصريه) (٢) و فيها سقط بعدها «أى بنى» قال تعالى «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ» (٣).

«و لزوم أمره» قال تعالى «فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» (٤).

«و عماره قلبك بذكره» «أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ» (٥).

«و الاعتصام بحبله» «وَ اعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا» (٦).

«و أَى سبب» أى: حبل.

«أو ثق» أى: أحكم.

«من سبب بينك و بين الله إن أنت أخذت به» «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٧).

«أحى قلبك بالموعظه» «اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا»

ص: ٣٣١

١- ١) في شرح ابن أبي الحديد ١٦:٥٧ [١] فكتبت اليك كتابي) - و في ابن ميثم، الطبعة الحجرية ٣٩٩ (فكتبت اليك كتابي هذا).

٢- ٢) نهج البلاغه ٣:٤٣.

٣- ٣) التغابن: ١٦. [٢]

٤- ٤) النور: ٦٣. [٣]

٥- ٥) الرعد: ٢٨. [٤]

٦- ٦) آل عمران: ١٠٣. [٥]

٧- ٧) البقره: ٢٥٦. [٦]

«يُحْيِيكُمْ» (١) «وَمَا أَنْتَ بِمُسْمِعٍ مَنْ فِي الْقُبُورِ» (٢).

«وَأُمَّتَهُ بِالزَّهَادَةِ» «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» (٣).

و لا يخفى لطف قوله عليه السّلام «أحى قلبك و أمتك»، و المراد إحيائه بالنسبه إلى الآخرة و إمامته بالنسبه إلى الدنيا، و أكثر الناس بالعكس. و زاد في روايه الكليني «و أسكنه بالخشيه و أشعره بالصبر» (٤).

«وَقُوَّةَ بِالْيَقِينِ» «كَأَلَّا لَوْ تَعَلَّمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرُونَهُ الْجَحِيمَ» (٥).

«وَنُورَهُ بِالْحِكْمَةِ» «وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا» (٦).

«وَذَلَّلَهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ» «قُلْ إِنَّ الْمَيِّتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَ الشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ» (٧).

«وَقَرَّهُ بِالْفَنَاءِ» «إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ» (٨).

«وَبَصَّرَهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا وَ حَذَّرَهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَ فَحَشَّ تَقَلُّبَ اللَّيَالِي وَ الْأَيَّامِ» في (الأغانى): كانت خرقاء بنت النعمان إذا خرجت إلى بيعتها يفرش لها طريقا بالحريز و الديباج مغشى بالخز و الوشى ثم تقبل في جواربها حتى تصل إلى بيعتها و ترجع إلى منزلها، فلما هلك النعمان نكبها الزمان فأنزلها من الرفعه إلى الذل، فلما وفد سعد القادسيه أميرا عليها و انهزم الفرس و قتل رستم، أتته في حفده من قومها و جواربها عليهن المسوح و المقطعات السود تطلب

ص: ٣٣٢

١-١ (١) الانفال: ٢٤. [١]

٢-٢ (٢) فاطر: ٢٢. [٢]

٣-٣ (٣) الحديد: ٢٣. [٣]

٤-٤ (٤) كشف المحجبه: ١٦٠.

٥-٥ (٥) التكاثر: ٥، ٦. [٤]

٦-٦ (٦) البقره: ٢٦٩. [٥]

٧-٧ (٧) الجمعه: ٨. [٦]

٨-٨ (٨) غافر: ٣٩. [٧]



صلته، فقال لهن: أيتكن خرقاء؟ قالت: ها أنا ذه إن الدنيا دار زوال و لا تدوم على حال، كُنّا ملوك هذا المصر يجبي لنا خراجه و يطيعنا أهله مدى المده و زمان الدوله، فلما أدبر الأمر صاح بنا صائح الدهر فصدع عصانا و شتت شملنا، و كذلك الدهر ليس يأتي قوما بمسرّه إلا و يعقبهم بحسره، ثم قالت:

فبيننا نسوس الناس و الأمر أمرنا اذا نحن فيهم سوقه ليس تعرف

فأفّ لدنيا لا يدوم نعيمها تقلب تارات بنا و تصرّف

و قال محمد بن عبد الرحمن الهاشمي: دخلت على أمي يوم أضحى و عندها امرأه في أثواب دنسه، فقالت: أتعرف هذه؟ قلت: لا. قالت: هي عنابه أم جعفر البرمكي، فسلمت عليها و قلت لها: حدّثيني ببعض أمركم. فقالت: أذكر لك جمله فيها عبره لمن اعتبر، لقد هجم عليّ مثل هذا اليوم و على رأسى أربعمائه وصيفه و أنا أزعم أن ابني جعفر عاق لي، و قد أتيتكم اليوم أسألکم جلدی شاتين بشعار و دثار.

و كان الفضل بن مروان وزير المعتصم جالسا يوما لاشغال الناس، فرفعت إليه قصص العامه، فرأى فيها رقعه مكتوبا فيها هذه الأبيات:

تفرغت يا فضل بن مروان فاعتبر فقبلك كان الفضل و الفضل و الفضل

ثلاثه أملاك مضوا لسبيلهم أبادتهم الأقياد و الحبس و القتل

و إنك قد أصبحت في الناس ظالما ستودي كما أودى الثلاثه من قبل

أراد الفضل بن يحيى و الفضل بن الربيع و الفضل بن سهل، ثم نكبه المعتصم فقالوا:

لييك على الفضل بن مروان نفسه فليس له باك من الناس يعرف

لقد صحب الدنيا منوعا لخيرها و فارقتها و هو الظلوم المعنف

إلى النار فليذهب و من كان مثله على أيّ شيء فأتنا منه نأسف

و لأبى الفتح المعري:

الدهر خداعه خلوب فلا تغرنك الليالي فبرقها خلب كذوب

و أكثر الناس فاعتزلهم قوالب ما لهم قلوب

«و أعرض عليه أخبار الماضين و ذكره بما أصاب قبلك من الأولين» في (الأغاني) عن عدى بن زيد:

لم أر مثل الفتیان فی غبن الأيام ينسون ما عواقبها

ينسون إخوانهم و مصرعهم و كيف تعاقبهم مخالبا

ما ذا ترجى النفوس من طلب الخير و حبّ الحياه كاربا

تظنّ ان لن يصيبها عنت الدّهر و ريب المنون صائبها (١)

«و سر في ديارهم و آثارهم» «قُلْ سَيَرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكذِّبِينَ» (٢)، «قُلْ سَيَرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ» (٣).

«فانظر فيما فعلوا» هكذا في (المصريه) (٤) و الصواب: (ما فعلوا) بدون «في» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«و عمّا انتقلوا و أين حلّوا و نزلوا، فإنك تجدهم قد انتقلوا» هكذا في (المصريه) (٦) و الصواب: (انتقلوا) بدون قد كما في (ابن أبي الحديد

ص: ٣٣٤

١- (١) الأغاني ١٤٧: ٢ طبعه دار [١] الكتب.

٢- (٢) الانعام: ١١. [٢]

٣- (٣) النمل: ٦٩. [٣]

٤- (٤) نهج البلاغه ٣: ٤٤.

٥- (٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٦٢ و [٤] الطبعه المصريه، و ابن ميثم الطبعه الحجريه ٤٠٠ السطر السادس (فانظر ما فعلوا).

٦- (٦) نهج البلاغه ٣: ٤٤ السطر الثامن. [٥]

و ابن ميثم و الخطيبه (١).

«عن الأحمه و حلوا ديار الغربه» و زاد ابن شعبه فى روايته «و ناد فى ديارهم: أيتها الديار الخاليه-أين أهلك-ثم قف على قبورهم، فقل: أيتها الأجساد الباليه، و الأعضاء المتفرقه، كيف وجدت الدار التى أنتم بها» (٢).

فى (كامل المبرد): نزل النعمان بن المنذر فى ظل شجره مونقه ليله و معه عدى بن زيد، فقال له: أبيت اللعن أ تدرى أيتها الملك ما تقول هذه الشجره؟ قال: لا. قال تقول:

من رأنا فليحدّث نفسه أنه موف على قرن زوال

و صروف الدهر لا تبقى لها و لما تأتى به صمّ الجبال

ربّ ركب قد أناخوا حولنا يمزجون الخمر بالماء الزلال

و الأباريق عليها قدم و جياذ الخيل تردى فى الجلال

عمّروا الدهر بعيش حسن قطعوا دهرهم غير عجال

ثم أضحوا عصف الدهر بهم و كذاك الدهر حالا بعد حال (٣)

و فى (الجهشياري): خرج عمر بن داود أخو يعقوب بن داود وزير المهدي متنزها و معه جماعه من أهله و أقاربه و معه سفره و فواكه، فقدمت إليه سلّه فيها عنب، فأخذ منها حبتين فألقاهما فى فيه فاعترضتا فى حلقة، فلم ينزلا و لم يصعدا حتى مات، فقال ابن أخيه داود بن على:

غدا صحيفا مع الأحياء مغتبطا و الآن ميتا بقربى أهله عمر

فاحتلّ قبرا لدى قبر أبوه به يعلوهما نضد الأحجار و المدر (٤)

ص: ٣٣٥

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٦٢: ١٦، السطر السادس ( [١] قد انتقلوا).

٢- ٢) تحف العقول: ٦٩.

٣- ٣) الكامل للمبرد ٣٩٩: ١- ٤٠٠ [٢] بتصرف.

٤- ٤) الوزراء و الكتاب: ١١٦. [٣]

و فى (الأغانى): عن رجل من أهل صنعاء قال: حفروا حفيرا فى زمن مروان فوقفوا على أزج له باب، فإذا هم على سرير كأعظم ما يكون من الرجال عليه خاتم من ذهب و عصابة من ذهب و عند رأسه لوح من ذهب مكتوب فيه «أنا علس ذو جدن القيل كان لخليلى منى النيل و لعدوى منى الويل، طلبت فأدركت و أنا ابن مئة سنه من عمرى، و كانت الوحش تأذن لصوتى، و هذا سيفى ذو الكف عندى، و درعى ذوات الفروج، و رمحى الهزبرى، و قوسى الفحواء، و قرنى ذات الشرّ فيها ثلاثمئة حشر من صنفه ذى نمر، أعددت كل ذلك لدفع الموت عنى فخاننى» قال: فنظرنا فجميع ذلك عنده.

«و كأنك عن قليل قد صرت كأحدهم» روى (الأغانى) عن ابن بسخر قال:

كانت لى نوبه فى خدمه الواثق فى كلّ جمعه إذا حضرت ركبت إلى الدار، فإن نشط إلى الشرب أقمت عنده و ان لم ينشط انصرفت، و كان رسمنا ألاّ يحضر أحد منا إلاّ فى يوم نوبته، فإننى لفى منزلى فى غير يوم نوبتى إذ رسل الواثق قد هجموا علىّ و قالوا لى احضر، فقلت: الخير. قالوا: خير. فقلت: إنّ هذا يوم لم يحضرنى فيه الخليفه قط و لعلكم غلطتم. فقالوا: لا تطول و بادر. فقد أمرنا أن لا ندعك تستقر على الأرض، فداخلى فزع شديد و خفت أن يكون ساع سعى بى، فتقدّمت بما أردت و ركبت حتى وافيت الدار، فذهبت لأدخل على رسمى من حيث كنت أدخل فمكنت و أخذ بيدي الخدم فأدخلونى و عدلوا بى إلى مبرمات لا أعرفها، فزاد ذلك فى غمى و جزعى، ثم لم يزل الخدم يسلموننى من خدم إلى خدم حتى أفضيت إلى دار مفروشه الصحن ملبسه الحيطان بالوشى المنسوج بالذهب، ثم أفضيت إلى رواق أرضه و حيطانه ملبسه بمثل ذلك، و اذا الواثق فى صدره على سرير مرصع بالجواهر و عليه ثياب منسوجه بالذهب و إلى جانبه فريده جاريه عليها من ثيابه و فى حجرها عود، فلما رآنى

قال:جودت و الله يا محمّد الينا،فقبلت الأرض ثم قلت:خييرا.قال:خييرا ما ترى، و إني طلبت ثالثا يؤنسنا فلم أر أحقّ بذلك منك،فبحياتي بادر فكل شيئا و بادر الينا.قلت:يا سيدى أكلت و شربت.قال:فاجلس،فجلست فقال:هاتوا لمحمد رطلا في قدح،فأحضرت ذلك و اندفعت فريده تغنى:

أهابك إجلالا و ما بك قدره على و لكن ملء عين حبيبها

و ما هجرتك النفس يا ليل إنّها قلتك و لا ان قلّ منك نصيبها

فجاءت و الله بالسحر و جعل الواثق يجاذبها،و فى خلال ذلك تغنى الصوت بعد الصوت و أغنى أنا فى خلال غنائها،فمرّ لنا أحسن ما مرّ لأحد، فإنّا لكذلك إذ رفع رجله فضرب بها صدر فريده ضربه تدرجت منها من أعلى السرير إلى الأرض و تفتت عودها و مرّت تعدو و تصيح و بقيت أنا كالمنزوع الروح،و لم أشك فى أن عينه وقعت إلىّ و قد نظرت إليها و نظرت إلىّ، فأطرق ساعه إلى الأرض متحيّرا و أطرقت أتوقّع ضرب العنق،فإنّى لكذلك إذ قال لى يا محمد!فوثبت،فقال:ويحك!أ رأيت أغرب ممّا تهيأ علينا.فقلت:يا سيدى الساعه و الله تخرج روحى،فعلى من أصابنا بالعين لعنه الله.فما كان السبب؟الذنب؟!قال:لا و الله و لكن فكّرت أن جعفرا يقعد هذا المقعد و يقعد معها كما هى قاعده معى،فلم أطق الصبر،و خامرنى ما أخرجنى إلى ما رأيت.

فسرى عنى و قلت:بل يقتل الله جعفرا،و يحيى الخليفه أبدا،و قبلت الأرض و قلت:يا سيدى!!الله الله ارحمها و مر بردها.فقال لبعض الخدم الوقوف:من يجىء بها،فلم يكن بأسرع من أن خرجت و فى يدها عود و عليها غير الثياب التى كانت عليها،فلما رآها جذبها و عانقها،فبكت و جعل هو يبكى و اندفعت أنا أبكى،فقال:ما ذنبى يا مولاي و يا سيدى؟و بأى شىء استوجبت هذا؟فأعاد عليها ما قاله لى و هو يبكى و هى تبكى،فقال له:سألتك بالله إلا ضربت عنقى

الساعة و أرحتنى من الفكر فى هذا و أرحت قلبك من الهمم لى، و جعلت تبكى و يبكى ثم مسحاً أعينهما و رجعت إلى مكانها، و أومى إلى الخدم الوقوف بشيء لا أعرفه، فمضوا و أحضروا أكياساً فيها عين و ورق، و رزماً فيها ثياب كثيرة، و جاء خادم بدرج ففتحها و أخرج منه عقداً ما رأيت قط مثل جوهر كان فيه فألبسها إياه، و أحضرت بدره فيها عشرة آلاف درهم فجعلت بين يدي و خمسه تخوت فيها ثياب. و عدنا إلى أمرنا و إلى أحسن ممّا كنّا، فلم نزل كذلك إلى الليل ثم تفرّقنا و ضرب الدهر ضربته و تقلّمت المتوكل، فو الله إنى لفى منزلى بعد يوم نوبتى إذ هجم علىّ رسله فما أمهلونى حتى ركبت و صرت إلى الدار، فأدخلت و الله الحجره بعينها و اذا المتوكل فى الموضع الذى كان فيه الواثق على السرير بعينه و إلى جانبه فريده، فلما رآنى قال: ويحك! أما ترى ما أنا فيه من هذه، أنا منذ غدوه أطلبها بأن تغينى فتأبى ذلك فقلت لها: يا سبحان الله أ تخالفين سيدك و سيدنا و سيد البشر! بحياته غنى، فغزفت و الله ثم اندفعت تغنى:

مقيم بالمجازه من قنونا و اهلك بالاجيفر فالثمد

فلا تبعد فكل فتى سيأتى عليه الموت يطرق أو يغادى

ثم ضربت بالعود الأرض ثم رمت بنفسها عن السرير و مرت تعدو و هى تصيح: وا سيداه، فقال لى: ويحك ما هذا؟ فقلت: لا أدرى و الله يا سيدى.

فقال: فما ترى. فقلت: أرى أن أنصرف أنا و تحضر هذه و معها غيرها فإنّ الأمر يؤول إلى ما يريد الخليفه. قال: فانصرف فى حفظ الله. فانصرفت و لم أدر ما كانت القصه (١).

«فأصلح مثواك» «أَنْ تَقُولَ نَفْسُ يَا حَسْرَتِي عَلَيَّ مَا فَرَطْتُ فِي»

ص: ٣٣٨

«جَنَّبِ اللّٰهَ» (١).

«و لا تبع آخرتك بدنياك» «فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» (٢).

«و دع القول فيما لا تعرف» «وَ لَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَ الْبَصِيرَةَ وَ الْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا» (٣)، «إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَ مَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ» (٤).

«و الخطاب فيما لا تكلف» «وَ مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ» (٥).

و قال الصادق عليه السّلام: حض الله تعالى عباده بآيتين من كتاب الله ان لا يقولوا حتى يعلموا و لا يردوا ما لم يعلموا، قال تعالى «أَلَمْ يُوَخِّدْ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَ الْكِتَابِ أَنْ لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ» (٦)، «بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ» (٧).

«و أمسك عن طريق إذا خفت ضلالتة، فإن الكف عن حيره الضلال خير من ركوب الأهوال» كما أن طعاما أو شرابا يحتمل كونه ممزوجا بالسم يجب اجتنابه لئلا يوجب هلاكه .

«و أمر بالمعروف تكن من أهله» فإن من يكون عمله فقط معروفا و لم يكن له قول في ذلك يأمر غيره به لا يعد من أهل المعروف.

«و أنكر المنكر بيدك و لسانك» و ذلك أكمل الإنكار لا أن يقتصر على اللسان «وَ لَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يُأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ»

ص: ٣٣٩

[١-١] (١) الزمر: ٥٦. [١]

[٢-٢] (٢) البقرة: ١٦. [٢]

[٣-٣] (٣) الاسراء: ٣٦. [٣]

[٤-٤] (٤) النجم: ٢٣. [٤]

[٥-٥] (٥) ص: ٨٦.

[٥-٦] (٦) الاعراف: ١٦٩. [٥]

[٦-٧] (٧) يونس: ٣٩. [٦]

«و باين من فعله بجهدك» أى: بطاقتك، قال عليه السّلام: أمرنا النّبىّ صلّى الله عليه وآله أن نلقى أهل المعاصى بوجوه مكفهرة.

«و جاهد فى الله حق جهاده» و الأصل فيه قوله تعالى «و جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ

حَرَجٍ» (٢).

«و لا- تأخذك فى الله لومه لائم» «مَنْ يَزِدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ لَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ» (٣).

«و خض الغمرات» أى: الشدائد.

«للحق» هكذا فى (المصريه) (٤) و الصواب: (إلى الحق) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥).

«حيث كان» الحق فى كلام الصديقه فيه عليه السّلام «و كلما نجم قرن للضلال و فغرت فاغره من المشركين قذف أبى بأخيه فى لهواتها فلا ينكفىء حتى يظأ صماخها بأخمصه، و يخمد لها بها بحده، مكدودا فى ذات الله» (٦).

«و تفقه فى الدين» قال تعالى «لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ» (٧).

«و عود نفسك التصبر» هكذا فى (المصريه) (٨) و الصواب: (الصبر) كما

ص: ٣٤٠

١- ١) آل عمران: ١٠٤. [١]

٢- ٢) الحج: ٧٨. [٢]

٣- ٣) المائدة: ٥٤. [٣]

٤- ٤) نهج البلاغه ٣: ٤٥ السطر الأول. [٤]

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ٦٥، و [٥] ابن ميثم: ٤٠٠ السطر العاشر هكذا.

٦- ٦) رواه الجوهرى [٦] فى السقيفه (٧] عنه كشف ١١٢: ٢)، و الدلائل ٢٤: ٢٤... [٨]

٧- ٧) التوبه: ١٢٢. [٩]

٨- ٨) نهج البلاغه ٣: ٤٥ السطر الثانى. [١٠]



فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١).

«على المكروه» عند النفس.

«و نعم الخلق» بالضم أى: الطيبه.

«التصبر» أى: الصبر على المكروه، قال أبو الأسود:

تعودت مسّ الضّرّ حتى ألفتة و أسلمنى طول البلاء الى الصّبر

و وسّع صدرى للأذى كثره الأذى و كان قديما قد يضيق به صدرى

إذا أنا لم أقبل من الدهر كلّ ما ألقىه منه طال عتبى على الدهر (٢)

و قال آخر:

تحلم عن الادنين و استبق و دهم و لن تستطيع الحلم حتى تحلما

أيضا:

تلقّ بالصبر ضيف الهمّ حيث أتى إنّ الهموم ضيوف أكلها المهج

و فى (المروج): أمر هارون ذات يوم بحمل أبى العتاهيه و أمر أن لا- يتكلّم فى طريقه و لا- يعلم ما يراد منه، فلما صار فى بعض

الطريق قال له بعض من معه: انما يراد قتلك. فقال أبو العتاهيه:

و لعلّ ما تخشاه ليس بكائن و لعلّ ما ترجوه سوف يكون

و لعلّ ما هونت ليس بهين و لعلّ ما شددت سوف يهون (٣)

و عن أكنم بن صيفى قال: ما أحب أنى مكفى كلّ أمر الدنيا، قالوا: و ان أسمنت. قال: نعم أكثره عادة العجز.

«فى الحق» هكذا فى (المصريه) (٤) أخذنا عن (ابن أبى الحديد) و ليس فى

ص: ٣٤١

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ٦٤ و [١] ابن ميثم: ٤٠٠ السطر العاشر من الطبعة الحجرية.

٢- ٢) معجم الادباء ١٢: ٣٨. [٢]

٣- ٣) مروج الذهب ٣: ٤٥٠. [٣]



(ابن ميثم) (١) و الظاهر زيادته .

«و الجيء نفسك في الامور كلها إلى إلهك فإنك تلجئها إلى كهف» قال الجوهرى:

الكهف كالبيت المنقور في الجبل، و فلان كهف أى: ملجأ (٢).

«حريز» أى: حصين.

«و مانع عزيز» أى: قوى غالب، و فى المثل «من عزّ بزّ» أى: من غلب سلب (٣)، قال البستي:

وثقت برّبى و فوّضت أمرى إليه و حسبى به من معين

فلا تبتئس لصروف الزمان و دعنى فإنّ يقينى يقينى

فى (وزراء الجهشياري): كان إبراهيم الحزّانى خاصّيا بالمهدى و أنفذه مع ابنه الهادى إلى جرجان، فخصّ به و بلغ المهدي عنه أشياء زاد فيها عليه أعداؤه فكتب إلى الهادى فى حملة، فتعلل فى حملة، فكتب: إن لم تحمله خلعتك من العهد، فحملة مع بعض خدمه مرّفها و قال له: إذا دنوت من محل المهدي فقيده، فامثل و اتفق أن ورد و المهدي يريد الركوب للصيد، فبصر بالموكب فسأل عنه فقيل خادم موسى الهادى و معه إبراهيم الحزّانى، فقال: و ما حاجتنا إلى الصيد؟ و هل صيد أطيّب من صيد إبراهيم، فأدنى منه و هو على ظهر فرسه، فقال له: و الله لأقتلنك، ثم و الله لأقتلنك، ثم و الله لأقتلنك، ثم و الله لأقتلنك، امض به يا خادم إلى المضرب إلى أن انصرف. قال إبراهيم: فيئست من نفسى ففزعت إلى الله تعالى بالدعاء و الصلاة، فانصرف المهدي و أكل من اللوز المسموم المشهور خبره فمات من وقته (٤).

ص: ٣٤٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ٦٤ و [١] ابن ميثم: ٤٠٠ [٢] هكذا.

٢- ٢) الصحاح ٤: ١٤٢٥. [٣]

٣- ٣) مجمع الأمثال للميدانى ٢: ٣٠٧، الزمخشري ٢: ٣٥٧. [٤]

٤- ٤) الوزراء و الكتاب: ١٢٦. [٥]

و فيه: قال الوضاح بن خيثمه أمرني عمر بن عبد العزيز بإخراج قوم من السجن، فأخرجتهم و تركت يزيد بن أبي مسلم كاتب الحجاج، فحقد ذلك على و نذر دمي، فإني لبافريقيه إذ قيل لي: قدم يزيد بن أبي مسلم من قبل يزيد بن عبد الملك بعد عمر بن عبد العزيز، فهربت منه و علم بمكاني، فأمر بطليبي فظفر بي و صيرني إليه، فلما رأني قال: سألت الله أن يمكّنني منك. فقلت: و أنا لطالما سألت الله أن يعيذني منك. قال: فو الله ما أعاذك مني، و الله لأقتلنك ثم و الله لأقتلنك، ثم و الله لو سابقني اليك ملك الموت لسبقته. ثم دعا بالسيف و النطع، فأتى بهما و أمر بي فأقمت في النطع و كتفت و قام ورائي رجل بسيف و أقيمت الصلاة، فخرج إليها فلما سجد أخذته السيوف، و دخل إلي من قطع كتافي و قال: انطلق (١).

«و أخلص في المسألة لربك» عن الرضا عليه السلام: إنما اتخذ الله إبراهيم خليلاً لأنه لم يرد أحداً غير الله، و لم يسأل أحداً قط غير الله (٢).

«فإن بيده العطاء و الحرمان» و في الخبر: أغرق الله تعالى فرعون لأنه استغاث بموسى و لم يستغث بالله (٣).

و قالوا: كان عامر بن عبد القيس العنبري يقول: أربع آيات من كتاب الله إذا قرأتها مساء لم أبال على ما أمسى، و إذا تلوتهن صباحاً لم أبال على ما أصبح: «ما يفتح الله للناس من رحمته فلا ممسك لها و ما يمسكك فلا مرسل له من بعده» (٤)، «و إن يمسكك الله بضر فلا كاشف له إلا هو و إن يردك بخير»

ص: ٣٤٣

١-١ (١) الوزراء و الكتاب: ٣٥. [١]

٢-٢ (٢) عيون الأخبار ٧٥: ٢ ح ٤. [٢]

٣-٣ (٣) عيون الأخبار ٥٩: ١ ح ٢ [٣] عن الرضا عليه السلام.

٤-٤ (٤) فاطر: ٢. [٤]

«فَلَا زَادَ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ» (١) «وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسَدَّ تَوَدَعَهَا كُلَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ» (٢)، «سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا» (٣).

«و أكثر الاستخاره» أى: طلب الخيره من الله تعالى بالدعاء و الصلاة.

و روى الكافى عن الصادق عليه السلام فى خبر قال: صلّ ركعتين و استخر الله، فو الله ما استخار الله مسلم إلا خار له البته.

و فى آخر: اذا أراد أحدكم شيئاً يصلّى ركعتين ثم يحمد الله و يثنى عليه و يصلّى على نبيه و آله ثم يقول: اللهم ان كان هذا الأمر خيراً لى فى دينى و دنياى فيسره لى و اقدره، و ان كان غير ذلك فاصرفه عنى.

و فى آخر: عنه عليه السلام فى أمر يأمر به بعض و ينهى عنه بعض، صلّ ركعتين و استخر الله مئة مرّه و مرّه ثم انظر الأزميرين لك فافعله فان الخيره فيه... (٤).

و روى (الفقيه) عنه عليه السلام فى خبر أنه إذا أراد الشىء اليسير استخار الله سبع مرّات، فإذا كان جسيماً استخار الله مئة مره. و فى آخر: ما استخار الله أحد سبعين مرّه بهذه الاستخاره «يا أبصر الناظرين و يا أسمع السامعين و يا أسرع الحاسبين و يا أرحم الراحمين و يا أحكم الحاكمين، صلّ على محمّد و أهل بيته و خر لى فى كذا و كذا» إلا رماه الله بالخيره.

و فى آخر: يستخير الله فى آخر سجده من ركعتى الفجر مئة مره و مره، و يحمد الله و يصلّى على نبيه صلّى الله عليه و آله، ثم يستخير الله خمسين مره، ثم يحمد الله

ص: ٣٤٤

١-١) يونس: ١٠٧. [١]

٢-٢) هود: ٦. [٢]

٣-٣) الطلاق: ٧. [٣]

٤-٤) الكافى ٣: ٤٧٠، ١-٤٧٢، ٦ و ٧. [٤]

و يصلى على نبيّه و يتمّ المئه و الواحده.

و نقل عن رساله أبيه: صلّ ركعتين و استخر الله مئه مره و مره، فما عزم لك فافعل و قل فى دعائك «لا- إله إلا- الله الحليم الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، ربّ بحقّ محمّد و آله صلّ على محمّد و آله و خر لى فى كذا و كذا للدنيا و الآخره خيره فى عافيه» (١).

«و تفهم وصيتى» بالعمل بها.

«و لا تذهبن عنها» هكذا فى (المصريه) (٢) و فى (ابن أبى الحديد) عنك و ليس فى (ابن ميثم و الخطيبه) رأساً (٣).

«صفحا» و المراد لا تعرض بوجهك عنها.

«فإنّ خير القول ما نفع» «الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ» (٤).

«و اعلم أنّه لا خير فى علم لا ينفع» عن الكاظم عليه السلام «دخل النبىّ صلّى الله عليه و آله المسجد فإذا جماعه قد أطافوا برجل فقال: ما هذا؟ فقيل: علّامه. قال: و ما العلّامه. قالوا: أعلم الناس بأنساب العرب و وقائعها و أيام الجاهليه و الأشعار و العريبه. فقال النبىّ: ذاك علم لا يضرّ من جهله و لا ينفع من علمه، إنّما العلم ثلاثه: آيه محكمه، أو فريضه عادله، أو سنّه قائمه و ما خلاهن فهو فضل» (٥).

«و لا ينتفع بعلم لا يحقّ تعلّمه» الذى نهى الشريعه عنه كعلم السحر و الكهان.

و ما فى الدعاء «و أعوذ بك من علم لا ينفع» الظاهر أن المراد عدم نفعه

ص: ٣٤٥

١- (١) الفقيه ٣:٣٥٥ و ٣:٣٥٦.

٢- (٢) نهج البلاغه ٣:٤٥ السطر الخامس.

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٦:٦٤ و [١] ابن ميثم: ٤٠٠ و [٢] فيه «لا تذهبن عنك» الطبعه الحجريه.

٤- (٤) الزمر: ١٨. [٣]

٥- (٥) الكافي ١:٣٢، ١. [٤]

لعدم العمل به لا من حيث هو كما توهمه ابن ميثم (١).

«أى بنى إني لما رأيتنى قد بلغت سنًا فزاد عليه السلام بعد صفتين على الستين.

«و رأيتنى أزداد وهنا» «اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَ شَيْبَةً» (٢).

«بادرت بوصيتي إليك» فى الخبر: لأن يؤدب أحدكم ولده خير له من أن يتصدق كل يوم بنصف صاع.

«و أوردت خصالا منها قبل أن يعجل بى أجلى دون أن أفضى» أى: أظهر.

«إليك بما نفسى أو أنقص فى رأى كما نقصت فى جسمى» قال عليه السلام ذلك عاما، قال تعالى «وَ اللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَ مِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لَكُمْ لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا» (٣).

«أو يسبقنى اليك بعض غلبات الهوى» فى (الفقيه) عن الصادق عليه السلام: «دع ابنك يلعب سبع سنين، و يؤدب سبع سنين، و ألزمه نفسك سبع سنين، فإن أفلح و إلا فلا خير فيه» (٤).

و عن (المحاسن) قال النبى ﷺ «آله: الولد سيد سبع سنين، و عبد سبع سنين، و وزير سبع سنين، فإن رضيت أخلاقه لإحدى و عشرين و إلا فاضرب على جنبه فقد أعذرت» (٥).

«أو فتن الدنيا فتكون كالصعب» مركب غير ذلول، و كان المنذر بن ماء السماء يلقب «ذو القرنين الصعب» قال لبيد:

ص: ٣٤٦

١-١ (١) شرح ابن ميثم: ٤٠١. [١]

٢-٢ (٢) الروم: ٥٤. [٢]

٣-٣ (٣) النحل: ٧٠. [٣]

٤-٤ (٤) الفقيه ٣: ٣١٨ ح ١.

٥-٥ (٥) عن المحاسن مكارم الأخلاق: ٢٢٢. [٤]

و الصعب ذو القرنين أصبح ثاوي بالحنو في جدث أميم، مقيم (١)

يعنى أصبح المنذر ذاك مقيما في قبر في حنو ذى قار يا اميم.

«النفور» من نفرت الدابه نفورا و نفارا، قال الشاعر:

إذا المرء أعيته المرؤه ناشئا فمطلبها كهلا عليه شديد

و قال آخر:

إذا المرء جاز الأربعين و لم يكن له دون ما يأتى حياء و لا ستر

فدعه و لا تنفس عليه الذى أتى و لو جرّ أرسان الحياه له الدهر

«و إنما قلب الحدث كالأرض الخاليه ما ألقى فيها من شىء قبلته» قال ابن أبى الحديد: كان يقال: العلم فى الصغر كالنقش فى الحجر، و فى الكبر كالخط على الماء.

و فى المثل: «الغلام كالطين يقبل الختم ما دام رطبا»، قال الشاعر:

اختم و طينك رطب إن قدرت فكم قد أمكن القوم من ختم فما ختموا (٢)

قلت: و مما قيل فى المعنى:

أتانى هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلبا خاليا فتمكنا

و قال آخر:

خذ فؤادى فقد أتاك بوّد و هو بكر ما افتضه و دّ قطّ

«فبادرتك بالأدب قبل أن يقسو قلبك و يشتغل لبك» مما قيل فى ذلك: و ليس الفتى يرجى إذا ابيضّ رأسه.

و قال الآخر:

يقوم من ميل الغلام المؤدّب و لا ينفع التأديب و الرأس أشيب

ص: ٣٤٧





و قال آخر:

و تروض عرسك بعد ما هرمت و من العناء رياضه الهرم

و قال آخر:

ان الكبير اذا تناهت سنه أعيت رياضته على الرّواض

و قال آخر:

قد ينفع الأدب الأحداث في مهل و ليس ينفع بعد الكبره الأدب

إن الغصون إذا قوّمتها اعتدلت و لن تلين إذا قوّمتها الخشب

و لما أراد المهدي العباسي قتل بشار على الزندقه قال: تبت منها. قيل له:

و كيف، و أنت القائل:

و الشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه

إذا ارعوى عاد إلى جهله كذى الضنى عاد إلى نكسه

«لتستقبل بجدّ رأيك من الأمر ما قد كفاك أهل التجارب بغيته» أي: البحث عنه.

«و تجربته فتكون قد كفت مئونه الطلب، و عوفيت من علاج تجربه. فأتاك من ذاك ما قد كُنّا نأْتيه» هكذا في النسخ (1)، و كأنّه وقع فيه تصحيف.

«و استبان لك ما ربما أظلم علينا منه» قال الشاعر:

ستبدى لك الأيام ما كنت جاهلا و يأتيك بالأخبار من لم تزود

«أى بنى! إنى و إن لم أكن عمّرت عمر من كان قبلي» في (الصحاح): عمر الرجل (بالكسر) عمرا و عمرا على غير قياس، لأن قياس مصدره التحريك، أى:

عاش زمانا طويلا (2). و مراده ان مصدر الفعل اللازم فعل بفتحيتين كفرح فرحا،

- ١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٦٦، [١] نهج البلاغه ٣:٤٦، [٢] ابن ميثم: ٤٠١ و [٣] فيه «فتستقبل...».
- ٢-٢) الصحاح ٢:٧٥٦. [٤]

و هنا المصدر بالضم أو الفتح فالسكون.

«فقد نظرت فى أعمالهم و فكرت فى أخبارهم و سرت فى آثارهم حتى عدت كأحدهم» فى رساله على بن طاوس إلى ولده المسّماه بالمحجه: قد هيا الله تعالى كتبا كثيره عندى فى تاريخ الخلفاء و الملوك و غيرهم من الذين طلبوا سراب الدنيا الزائل و سوروا وجوه العقل و الفضل بخسران العاجل و الآجل و رحلوا من الدنيا بأحمال الذنوب و أثقال العيوب، و كانوا كأنهم فى أحلام و منام و باعوا بتلك الأيام ما لا يبيعه ذوو الهمم العاليه الباهره من سعادته الدنيا و الآخره، فأحذرهم على دينك و مولاك، فالله الله أن تتقرب اليهم أو تقرب منهم مهما أمكنك، ففى قربهم السمّ الناقع و الهلاك، و انما ذخرت لك تواريخهم لتنظر أول أمورهم و آخرها و ظاهرها و باطنها، ترى ما ضرّوا بنفوسهم بلذات ساعات يسيره و أعمار قصيره، و كيف خدعهم الشيطان فى دنياهم و آخرتهم (١).

«بل كأنى بما انتهى إلى من أمورهم قد عمّرت مع أولهم إلى آخرهم فعرفت صفو ذلك من كدره و نفعه من ضرره» فى (المعجم) قالت الحكماء: الكتاب يجمع لك الأول و الآخر و الناقص و الوافر و الغائب و الحاضر و الشكل و خلافه و الجنس و ضده، و هو ميت ينطق عن الموتى و يترجم عن الأحياء و تعرف منه فى شهر ما لا تعرف من أفواه الرجال فى دهر (٢).

و فى (الكامل) فى فوائد التاريخ: فمن دنيويتها أن الإنسان يحبّ البقاء و يؤثر أن يكون فى زمرة الأحياء، فأى فرق بين ما رآه أمس أو سمعه و ما قرأه فى الكتب المتضمنه أخبار الماضين، فإذا طالعتها فكأنه عاصرهم، و إذا

ص: ٣٤٩

١- ١) كشف المحجه: ١٢٨. [١]

٢- ٢) معجم الادباء ١: ٩٣. [٢]

علمها فكأنه حاضرهم، وإن الملوك و من إليه الأمر و النهى إذا وقفوا على ما فيها من سيره أهل الجور و رأوا مدونه يرويها خلف عن سلف، و ما أعقت من سوء الذكر و خراب البلاد و هلاك العباد و ذهاب الأموال و فساد الأحوال، استقيحوها و أعرضوا عنها، و إذا رأوا سيره الولاه العادلين و حسنها و ما يتبعهم من الذكر الجميل بعد ذهابهم، و أن ممالكهم و بلادهم عمرت و أموالها درّت، استحسنا ذلك و رغبوا فيه و ثابروا مضرة الأعداء و خلصوا بها من المهالك، و استصانوا نفائس المدن و عظيم الممالك، و لو لم يكن فيها غير هذا لكفى به فخرا.

و منها، ما يحصل من التجارب و المعرفة بالحوادث و ما تصير إليه عواقبها، فإنه لا يحدث أمر إلا و قد تقدّم هو أو نظيره، فيزداد بذلك عقلا و يصبح لأن يقتدى به أهلا.

و منها، ما يتجمل به الإنسان فى المحافل من ذكر شىء من معارفها و طريفه من طرائفها، فترى الأسماع مصغية إليه و الوجوه مقبله عليه.

و أما الفوائد الاخرى: فمنها أن اللبيب إذا تفكّر فيها و رأى تقلّب الدنيا بأهلها و تتابع نكباتها إلى أعيان قاطنيها، و أنها سلبت نفوسهم و ذخائرهم و أهدمت أصاغرهم و أكابرهم، فلم تبق على جليل و لا حقير و لم يسلم من نكدها غنى و لا فقير، زهد فيها و أعرض عنها، و أقبل على التزود للآخرة و رغب فى دار تنزهت عن هذه الخسائس.

و منها، التحلّق بالصبر و التأسيى، و هما من محاسن الأخلاق، فإنّ العاقل إذا رأى أنّ مصائب الدنيا لم يسلم منها نبىّ مكرم و لا ملك معظّم علم أنّه يصيبه ما أصابهم، و لهذه الحكمة وردت القصص فى القرآن المجيد... (١).

ص: ٣٥٠

«فاستخلصت» أى: عملت الخلاصه.

«لك من كلّ أمر نخيله» هكذا فى (المصريه) (١) وفى (ابن أبى الحديد) جليله، وفى (ابن ميثم و الخطيه) نخيلته (٢)، وهو الصحيح من النهج، و ان كانت روايه (الرسائل) أيضا بلفظ «جليله» (٣) و أما «نخيله» كما فى (المصريه) فغلط مطلقا، و معنى النخيله الخيره قال عماره:

تَبَحْثَم سَخَطَى فَعَبَّرَ بِحَثْكَمِ نَخِيلِهِ نَفْسَ كَانَ نَصَحَا ضَمِيرَهَا (٤).

و جمعها النخائل، و فى الحديث: «لا يقبل الله إلا نخائل القلوب» (٥).

«و توخيت» أى: تحريت.

«لك جميله، و صرفت عنك مجهوله» بيانه لك .

«و رأيت حيث عنانى» أى: أهمنى.

«من أمرك ما يعنى» أى: بهم.

«الوالد الشفيق» أى الرءوف.

«و أجمعت» أى: عزمت. عطف على «عنانى» لا «يعنى» كما قال (ابن ميثم) (٦).

«عليه من أدبك» أى: تعليمك الآداب .

«أن يكون ذلك» أى: تعليمك.

«و أنت مقبل العمر و مقبل الدهر» أى: مستأنفه، كأنه يستأنف الدهر كلّ

ص: ٣٥١

١- ١) نهج البلاغه ٣:٤٦ السطر التاسع. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦:٦٧، و فى ابن ميثم: ٤٠١ السطر ٢٢ (نخيله).

٣- ٣) كشف المحججه: ١٦١.

٤- ٤) أورده أساس البلاغه: ٤٥١، [٢] ماده (نخل).

٥- ٥) النهايه ٥:٢٢، [٣] ماده (نخل).

٦- ٦) شرح ابن ميثم: ٤٠١ و [٤] فيه «أجمعت عطف على يعنى».

«و ان أبتدئك بتعليم كتاب الله» زاد(ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١) «عز و جل»، ففي (المصريه) سقط، و في (الكافي) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: من عَلم ولده القرآن دعى في القيامه بالأبوين فكسبا حلتين تضىء من نورهما وجوه أهل الجَنَّة (٢).

و روى ابن بابويه عن الأصبغ قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: إنَّ الله عزَّ و جلَّ ليهمَّ بعذاب أهل الأرض جميعا لا يحاشى منهم أحدا إذا عملوا بالمعاصي و اجترحوا السيئات، فإذا نظر إلى الشيب ناقلى أقدامهم إلى الصلاه، و الولدان يتعلّمون القرآن، رحمهم فأخّر ذلك عنهم.

«و تأويله» و نسبته إلى التنزيل نسبة المعنى إلى اللفظ، و لفظ القرآن يعلمه كلُّ أحد، و أما تأويله فلا يعلمه إلا الله و الراسخون في العلم.

«و شرائع الاسلام و أحكامه و حلاله و حرامه» في (الكافي) عن الصادق عليه السلام في الغلام يلعب سبع سنين و يتعلّم الكتاب سبع سنين و يتعلّم الحلال و الحرام سبع سنين (٣).

«و لا أجاوز لك إلى غيره» هكذا في (المصريه) (٤) و الصواب: (لا- أجاوز ذلك بك إلى غيره) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥).

«ثم أشفقت» أي: خفت.

«أن يلتبس» أي: يشته.

ص: ٣٥٢

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٠٦:٦٨، و ابن ميثم: ٤٠١ السطر ٢٤.

٢-٢) الكافي ٦:٤٩ ح ١. [١]

٣-٣) الكافي ٦:٤٧ ح ٣. [٢]

٤-٤) نهج البلاغه ٣:٤٧ السطر الثالث. [٣]

٥-٥) شرح ابن أبي الحديد ١٠٦:٦٨، و [٤] ابن ميثم: ٤٠١ و [٥] فيه «و لا أجاوز بك و لا إلى غيره».

«عليك ما اختلف الناس فيه من أهوائهم و آرائهم مثل الذى التبس عليهم» كان الصادق عليه السلام يقول لشيئته:بادروا أحداثكم بالحديث قبل أن يسبقكم إليهم المرجئه (١).

وقال الشهرستاني في (ملله):الاختلافات في الاصول:حدثت في آخر أيام الصحابه بدعه،معبد الجهنى و غيلان الدمشقى و يونس الأسوارى في القول بالقدر،و نسج على منوالهم واصل بن عطاء-و كان تلميذ الحسن البصرى-و تلمذ له عمرو بن عبيد و زاد عليه في مسائل القدر و الوعيديه من الخوارج و المرجئه من الجبريه و القدريه،ابتدأت بدعتهم في زمان الحسن،و اعتزل واصل عنهم و عن استاذه بالقول بين المنزلتين و سمي هو و أصحابه معتزله.

ثم طالع بعد ذلك شيوخ المعتزله كتب الفلاسفه حين فسرت أيام المأمون-إلى أن قال-و نبغ رجل متنمس بالزهد من سجستان يقال له أبو عبد الله بن الكرام قليل العلم قد قمش من كل مذهب ضغثا و أثبته في كتابه، و روجه على أغنام غزنه و غور و سواد بلاد خراسان،فانتظم ناموسه و صار ذلك مذهبا قد نصره محمود بن سبكتكين السلطان،و صبّ البلاء على أصحاب الحديث و الشيعة من جهتهم،و هو أقرب مذهب إلى مذهب الخوارج و هم مجسمه... (٢).

«فكان إحكام ذلك» أى:جعله محكما.

«على ما كرهت من تنبيهك له» لأن كثيرا من غير المستعدين يحصل لهم في هذا الطريق العثره و الزلّه.

ص: ٣٥٣

١- (١) الكافي ٤٧:٦ ح ٥. [١]

٢- (٢) الملل و النحل الشهرستاني ٣٥:١-٣٨. [٢]



«أحبّ الى من إسلامك» أى: تركك و تفويضك.

«إلى أمر لا آمن عليك به» هكذا فى (المصريه) (١) و الصواب: (فيه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«الهلكه» بتأثير شبهات أهل الشبهه .

«و رجوت أن يوفقك الله لرشدك» و فى (ابن أبى الحديد و الخطيه) «فيه لرشدك» (٣).

«و أن يهديك لقصديك» أى: عدلك، قال الشاعر:

على حكم المأتى يوما إذا قضى قضيته أن لا يجور و يقصد

«فعهدت إليك وصيتى هذه» للوجه المذكور .

«و اعلم يا بنى أن أحب ما أنت آخذ به إلى» متعلق بقوله: «أحب».

«من وصيتى تقوى الله» «فإن خير الزاد التقوى و اتقون يا أولى الألباب» (٤).

«و الاقتصار على ما فرضه عليك» فعنهم عليهم السلام اسكنوا عما سكت الله عنه.

«و الأخذ بما مضى عليه الأولون من آباءك، و الصالحون من أهل بيتك» و فى روايه ابن شعبه: «و الصالحون من أهل ملتك»

(٥).

«فانهم لم يدعوا أن نظروا لأنفسهم كما أنت ناظر، و فكروا كما أنت مفكر» كان عليه السلام يقول: التفكر يدعو إلى البرّ و العمل به، و كان عليه السلام يقول: تبّه بالتفكر

ص: ٣٥٤

١-١) نهج البلاغه ٣:٤٧ السطر الخامس و [١]السادس.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦:٦٨، و [٢]ابن ميثم: ١٠١:٤٠١ السطر ٢٦ [٣] هكذا.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٦:٦٨. [٤]

٤-٤) البقره: ١٩٧. [٥]

٥-٥) تحف العقول: ٧١.

قلبك، و جاف عن الليل جنبك، و اتق الله ربك (١).

«ثم ردّهم آخر ذلك إلى الأخذ بما عرفوا، و الإمساك عمّا لم يكلفوا» كان عليه السلام يقول: إنّ على كلّ حق حقيقه و على كلّ صواب نورا.

و فى (الكافى) عن الفتح بن يزيد: سألت أبا الحسن عليه السلام عن أدنى المعرفة فقال: الإقرار بأنّه لا إله غيره و لا شبه له و لا نظير، و أنّه قديم موجود غير فقيد (٢).

«فإن أبت نفسك أن تقبل ذلك دون أن تعلم كما علموا، فليكن طلبك ذلك بتفهيم و تعلّم لا- بتورط الشبهات» و الورطه: الهلكه، قال:

إن تأت يوما مثل هذى الخطه تلاق من ضرب نمير ورطه

(٣) و أصلها الهوه الغامضه، و يقال تورطت الماشيه أى: وقعت فى موحل و مكان لا يتخلّص منه.

«و علو الخصوصيات» هكذا فى (المصريه) (٤) و لكن فى (ابن أبى الحديد) «و علق الخصومات»، و (ابن ميثم و الخطيه) «و غلو الخصومات» (٥).

فى (الكافى) عن السجّاد عليه السلام سئل عن التوحيد فقال: إنّ الله تعالى علم أنّه يكون فى آخر الزمان أقوام متعمّقون، فأنزل: «قُلْ هُوَ اللهُ أَحَدٌ» (٦) و أنزل الآيات فى سوره الحديد- إلى قوله- «عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (٧).

ص: ٣٥٥

١- ١) الكافى ١: ٥٤-١-٥٥ و ٥. [١]

٢- ٢) الكافى ١: ٨٦-١. [٢]

٣- ٣) لسان العرب ١٥: ٢٧١ «[٣] قال ابو عمرو: هى [أى الورطه] الهلكه و أنشد: ان تأت يوما مثل هذى الخطه تلاق من ضرب نمير ورطه

٤- ٤) نهج البلاغه ٣: ٤٨ السطر الثانى.

٥- ٥) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ٧٠، و ابن ميثم: ٤٠١ السطر ٣١ هكذا.

٦- ٦) التوحيد: ١. [٤]

٧- ٧) الحديد: ٦. [٥]

فمن رام وراء ذلك هلك (١).

قلت: و أشار عليه السلام من آيات الحديد إلى قوله تعالى «سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْتَجِ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (٢).

و عن الصادق عليه السلام: من عبد الله بالتوهم فقد كفر، و من عبد الاسم دون المعنى فقد كفر، و من عبد الاسم و المعنى فقد أشرك، و من عبد المعنى بإيقاع الأسماء عليه بصفاته التي وصف بها نفسه، فعقد عليه قلبه و نطق به لسانه في سرائره و علانيته، فأولئك أصحاب أمير المؤمنين حقاً (٣).

«و ابدأ قبل نظرك في ذلك بالاستعانة بالهك» فإن المعونه إنما منه تعالى و لا يستعان إلا به جل و علا «إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ» (٤).

«و الرغبة إليه في توفيقك» قال شعيب: «و ما تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (٥).

«و ترك كل شائبه» الشوائب: الأقدار و الأدناس.

ص: ٣٥٦

[١- ١] الكافي ٣، ٩١: ١. [١]

[٢- ٢] الحديد: ١-٦. [٢]

[٣- ٣] الكافي ١: ٦٨، ح ١. ط الاسلاميه. [٣]

[٤- ٤] الفاتحه هود: ٥. [٤]

[٥- ٥] ٨٨: ٥. [٥]

«أولجتك» أى: أدخلتك.

«فى شبهه أو أسلمتك إلى ضلاله» و يقال: «وقعوا فى وادى تضلل» إذا هلكوا «و فلان ضلّ ابن ضلّ» إذا لم يعرف هو و أبوه، قال:

فإنّ إِيادكم ضلّ ابن ضلّ و إنّا من إِيادكم براء (١)

«فإذا أيقنت أن صفا قلبك» من الكدورات.

«فخشع» لقبول الحق.

«و تمّ رأيك فاجتمع» بدون شعث.

«و كأن همّك فى ذلك همّا واحدا» بلا تفرّق.

«فانظر ما فسرت لك» لأنّ الذين لا يؤثّر فيهم كلام الحق إنّما هو لعدم اجتماع الشرائط فيهم من صفاء قلبهم و اجتماع لبيهم .

«و ان أنت لم يجتمع لك ما تحبّ من نفسك» بصفاء قلبك.

«و فراغ نظرك و فكرك» و نظرت فى المقاصد العاليه و المعانى العليه.

«فاعلم أنّك إنّما تخبط العشواء» كالناقه العشواء التى فى بصرها ضعف فتخبط و لا تتوقّى شيئا فى مشيها، و الأصل (تخبط خبط

العشواء) فحذف المصدر، و قد يحذف الفعل قال زهير:

رأيت المنايا خبط عشواء من تصبّ تمته و من تخطىء يعمر فيهم (٢)

«و تتورط الظلماء» أى: فى الظلمه.

«و ليس طالب الدين من خبط أو خلط» «أ و من كان مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَى بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ

بِخَارِجٍ مِنْهَا» (٣).

ص: ٣٥٧

١- ١) لسان العرب: ٢٧١ ماده (ضل).

٢- ٢) لسان العرب ٧: ٢٨١، [١] ماده (خبط).

٣- ٣) الانعام: ١٢٢. [٢]

«و الإمساك عن ذلك أمثل» أى: أقرب إلى الحق بحكم العقل فى مثله .

«فتفهم يا بنى وصيتى و اعلم ان مالك الموت هو مالك الحياه» «خَلَقَ الْمَوْتَ وَ الْحَيَاةَ لِيُبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا» (١).

«و ان الخالق هو المميت) «وَ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعِيدٌ ذَلِكَ لَمَعْنُونَ» (٢).

«و أنّ المبنى هو المعيد» «ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ» (٣)، «وَ لَا يَمْلِكُونَ لَأَنْفُسِهِمْ ضَرًّا وَ لَا نَفْعًا وَ لَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَ لَا حَيَاةً وَ لَا نُشُورًا» (٤).

«و أن المبتلى هو المعافى» «وَ إِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَ إِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ» (٥).

«و أنّ الدنيا لم تكن لتستقرّ إلا على ما جعلها الله عليه من النعماء و الابتلاء» فى (الكافى): روى أنّ قوما من أصحابه عليه السلام خاضوا فى التجوير و التعديل فخرج حتى صعد المنبر و قال: أيها الناس! إنّ الله تعالى لما خلق خلقه أراد أن يكونوا على آداب رفيعة و أخلاق شريفة، فعلم أنّهم لم يكونوا كذلك إلا بالأمر و النهى، و هما لا يجتمعان إلا بالوعد و الوعيد، و هما لا يكونان إلا بالترغيب و التهيب، و هما لا يكونان إلا بما تشتهيه أنفسهم و تلذ أعينهم، و بصد ذلك

ص: ٣٥٨

[١- ١] الملك: ٢. [١]

[٢- ٢] المؤمنون: ١٢-١٥. [٢]

[٣- ٣] المؤمنون: ١٦. [٣]

[٤- ٤] الفرقان: ٣. [٤]

[٥- ٥] يونس: ١٠٧. [٥]

فخلقهم فى دار الدنيا و أراهم طرفا من اللذات الخالصة التى لا يشوبها ألم ألا و هى الجنة، و أراهم طرفا من الآلام ليستدلوا به على ما وراءهم من الآلام الخالصة التى لا يشوبها لذة-ألا و هى النار-فمن أجل ذلك ترون نعيم الدنيا مخلوطا بمحنها و سرورها ممزوجا بغمومها (١).

«و الجزء فى المعاد أو ما شاء ممّا لا نعلم» الظاهر كونه إشارة إلى قوله تعالى «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُّوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَ شَهِيقٌ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ وَ أَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَ الْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْذُودٍ» (٢).

«فإن أشكل عليك شىء من ذلك فاحمله على جهالتك به» قال جميل لبشينة:

بشبن الزمى (لا) إن (لا) ان لزمته على كثره الواشين أى معون

«فإنك أول ما خلقت جاهلا ثم علمت» «وَ اللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئاً» (٣) «وَ مَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلاً» (٤).

و عن أبى جعفر عليه السلام: أن موسى قال: يا رب! رضيت بما قضيت، تميت الكبير و تبقى الصغير. فقال تعالى: يا موسى! أما ترضانى لهم رازقا و كفيلا؟ قال: بلى يا رب، فنعم الوكيل أنت و نعم الكفيل (٥).

و فى (المعجم): حضر محمد بن على الواسطى- و هو يرتعش من الكبر- عزاء طفل فتغامز عليه الحاضرون- يشيرون إلى موت الطفل و طول

ص: ٣٥٩

١- ١) بحار الأنوار ١٣، ٣١٦: ٥. [١] نقلا عن الاحتجاج و [٢] لم نعثر عليه فى الكافى. [٣]

٢- ٢) هود: ١٠٦-١٠٨. [٤]

٣- ٣) النحل: ٧٨. [٥]

٤- ٤) الاسراء: ٨٥. [٦]

٥- ٥) التوحيد لابن بابويه: ٣٧٤ ح ١٨، ٤٠١-٤٠٢ ح ٧.

حياته-فتفتن لهم و قال:

إذا دخل الشيخ بين الشباب عزاء و قد مات طفل صغير

رأيت اعتراضا على الله إذ توفي الصغير و عاش الكبير

فقل لابن شهر و قل لابن دهر و ما بين ذلك هذا المصير (١)

و في (توحيد المفضل): قال الصادق عليه السلام: اتخذ اناس من الجهال هذه الآفات الحادثة في بعض الأزمان ذريعه إلى جحود الخلق و الخالق و العمد و التدبير، و أنكرت المعطله و المانويه المكاره و المصائب و الموت و الفناء، فيقال في جواب من أنكر هذه الآفات كمثّل الوباء و اليرقان و البرد و الجراد: إنّه إن لم يكن خالق و مدبّر فلم لا يكون ما هو أكثر من هذا و أفضح، فمن ذلك أن تسقط السماء على الأرض و تهوى الأرض و تذهب سفلا، و تتخلف الشمس عن الطلوع أصلا، و تجفّ الأنهار و العيون حتى لا يوجد ماء للشفه، و تركد الريح حتى تحمّ الأشياء، و تفسد و يفيض ماء البحر على الأرض فيغرقها.

ثم هذه الآفات التي ذكرناها من الوباء و ما أشبهه ما بالها لا تدوم و تمتدّ حتى تجتاح كلّ ما في العالم، بل تحدث في الأحيان ثم لا تلبث أن ترفع، أفلا ترى أن العالم يسان و يحفظ من تلك الأحداث الجليله التي لو حدث عليه شيء منها كان فيه بواره، و يلذع أحيانا بهذه الآفات اليسيره لتأديب الناس و تقويمهم ثم لا تدوم هذه الآفات بل تكشف عنهم عند القنوط منهم، فيكون وقوعها بهم موعظه و كشفها عنهم رحمه.

و أنكرت المنائيه (٢) أيضا المكاره و المصائب التي تصيب الناس، فكلاهما يقول إن كان للعالم خالق رؤوف رحيم فلم تحدث فيه هذه الأمور

ص: ٣٦٠

١- ١) معجم الادباء ٢٥٨: ١٨. [١]

٢- ٢) كذا في النسخ، و الظاهر: المانويه.

المكروهه؟ والقائل بهذا القول يذهب إلى أنه يجب أن يكون عيش الإنسان في هذه الدنيا صافيا من كل كدر، ولو كان هكذا كان الإنسان يخرج من العتوّ والأشر إلى ما لا يصلح له في دين و لا دنيا، كالذى ترى كثيرا من المترفين و من نشأ فى الجده و الأمن يخرجون إليه، حتى ان أحدهم ينسى أنه بشر و أنه مريب، أو أن ضررا يمسه أو أن مكروها ينزل به، أو أنه يجب عليه أن يرحم ضعيفا أو يواسى فقيرا أو يرثى لمبتلى أو يتحنن على ضعيف أو يتعطف على مكروب، فإذا عصته المكاره و وجد مضعها اتعظ و أبصر كثيرا ممّا كان جهله و غفل، و رجع إلى كثير ممّا كان يجب عليه.

و المنكرون لهذه الامور المؤذيه بمنزله الصبيان الذين يذمّون الأدوية المرّه البشعه، و يتسخطون من منعهم من الأطعمه الضاره، و يتكزّهون الأدب و العمل، و يحبّون أن يتفرّغوا للهو و البطاله و ينالوا كلّ مطعم و مشرب و لا يعرفون ما تؤدّيهم إليه البطاله من سوء النشوّ و العاده، و ما تعقبهم الأطعمه اللذيذه الضاره من الأدوية و الأسقام، و ما لهم فى الأدب من الصلاح و فى الأدوية من المنفعه.

و قد يتعلق هؤلاء بالآفات التى تصيب الناس فتعمّ البر و الفاجر، أو يبتلى بها البر و يسلم الفاجر منها، فقالوا: كيف يجوز هذا فى تدبير الحكيم و ما الحجّه فيه؟ فيقال لهم: إنّ هذه الآفات و إن كانت تنال الصالح و الطالح فإنّه تعالى جعل ذلك صلاحا للصنفين كليهما، أمّا الصالحون فإن الذى يصيبهم من هذا يزدّهم (1) نعم ربهم عندهم فى سالف أيامهم فيحدوهم ذلك على الشكر و الصبر، و أمّا الطالحون فان مثل هذا اذا نالهم كسر شرّتهم و ردّهم عن المعاصى و الفواحش، و كذلك يجعل لمن سلم منهم من الصنفين صلاحا فى

ص: ٣٤١

---

(١- ١) فى البحار ٣-١٣٩ [١] يرّدّهم، و الظاهر أنه: يذكّرهم.



ذلك، أما الأبرار فإنهم يغتبطون بما هم عليه من البرّ و الصلاح و يزدادون فيه رغبة و بصيره، و أما الفجّار فإنهم يعرفون رآفه ربهم و تطوّله عليهم بالسلامه من غير استحقاق، فيحضهم ذلك على الرأفه بالناس و الصّفح عمّن أساء اليهم.

و لعلّ قائلًا يقول هذه الآفات التي تصيب الناس في أموالهم فما قولك فيما يبتلون به في أبدانهم، فيكون فيه تلفهم كمثل الحرق و الغرق و السيل و الخسف؟ فيقال له: إنّ الله تعالى جعل في هذا صلاحًا للصنفين جميعًا، أما الأبرار فلما لهم في مفارقه هذه الدنيا من الراحة من تكاليفها و النجاه من مكارهها، و أما الفجّار فلما لهم في ذلك من تمحيص أوزارهم و حبسهم عن الازدياد منها.

و جملة القول: إنّ الخالق تعالى ذكره بحكمته و قدرته قد يصرف هذه الامور كلّها إلى الخير و المنفعه، فكما أنّه إذا قطعت الريح شجره أخذها الصانع الرفيق و استعملها في ضروب المنافع، فكذلك يفعل المدبّر الحكيم في الآفات التي تنزل بالناس في أبدانهم و أموالهم، فيصيرها جميعًا إلى الخير و المنفعه.

فإن قال: و لم تحدث على الناس؟ قيل له: لكيلا يركنوا إلى المعاصي من طول السلامه، فيبالغ الفاجر في ركوب المعاصي و يفتر الصالح عن الاجتهاد في البر، فإن هذين الأمرين جميعًا يغلبان على الناس في حال الخفض و الدّعه، و هذه الحوادث التي تحدث عليهم تردعهم و تتبهم على ما فيه رشدهم، فلو خلوا منها لغلوا في الطغيان و المعصيه كما غلا الناس في أول الزمان حتى وجب عليهم البوار بالطوفان و تطهير الأرض منهم.

و ممّا ينتقده الجاحدون للعمد و التقدير، الموت و الفناء، فإنّهم يذهبون إلى أنّه ينبغي أن يكون الناس مخّلمدين في هذه الدنيا مبرّئين من هذه الآفات، فينبغي أن يساق هذا الأمر إلى غايه فينتظر ما محصوله، أفرأيت لو كان كلّ من دخل العالم و يدخله يبقون و لا- يموت أحد منهم، أ لم تكن الأرض تضيق بهم حتى تعوزهم المساكن و المزارع و المعاش، فإنّهم و الموت يفنيهم أولا- فأولا- يتنافسون في المساكن و المزارع حتى تنشب بينهم في ذلك الحروب و تسفك منهم الدماء، فكيف كانت حالهم لو كانوا يولدون و لا يموتون و كان يغلب عليهم الحرص و الشّره و قساوه القلوب، فلو وثقوا بأنّهم لا يموتون لما قنع الواحد منهم بشيء يناله، و لا أفرج لأحد عن شيء يسأله و لا سلا عن شيء ممّا يحدث عليه، ثم كانوا يملّون الحياه و كلّ شيء من أمور الدنيا، كما قد يملّ الحياه من طال عمره حتى يتمنّى الموت و الراحة من الدنيا.

فان قالوا: أنّه كان ينبغي أنّه يرفع عنهم المكاره و الأوصاب حتى لا يتمنّوا الموت و لا يشتاقوا إليه. فقد وصفنا ما كان يخرجهم إليه من العتو و الأشر الحامل لهم على ما فيه فساد الدنيا و الدين.

و ان قالوا: أنّه كان ينبغي ألا يتوالدوا كيلا تضيق عنهم المساكن و المعاش. قيل لهم: إذن كان يحرم أكثر هذا الخلق دخول العالم و الاستمتاع بنعمه تعالى و مواهبه في الدارين جميعا إذا لم يدخل إلا قرن واحد لا يتوالدون و لا يتناسلون.

فإن قالوا: أنّه كان ينبغي أن يخلق في ذلك القرن الواحد من الناس مثل ما خلق و يخلق إلى انقضاء العالم. يقال لهم: رجع الأمر إلى ما ذكرنا من ضيق المساكن و المعاش عنهم.

ثم لو كانوا لا يتوالدون و لا يتناسلون لذهب موضع الانس بالقرابات

و ذوى الأرحام و الانتصار بهم عند الشدائد و موضع تربيته الأولاد و السرور بهم، ففى هذا دليل على أن كل ما تذهب إليه الأوهام سوى ما جرى به التدبير خطأ و سفه من الرأى و القول.

و لعلّ طاعنا يطعن على التدبير من جهة اخرى فيقول: كيف يكون ههنا تدبير و نحن نرى الناس فى هذه الدنيا من عزّ بزّ، فالقوى يظلم و يغصب و الضعيف يظلم و يسام الخسف، و الصالح فقير مبتلى و الفاسق معافى موسع عليه، و من ركب فاحشه أو انتهك محرما لم يعاجل بالعقوبه، فلو كان فى العالم تدبير لجرت الامور على القياس القائم، فكان الصالح هو المرزوق و الطالح هو المحروم و كان القوى يمنع من ظلم الضعيف و المنتهك للمحارم يعاجل بالعقوبه. فيقال فى جواب ذلك: ان هذا لو كان هكذا لذهب موضع الاحسان الذى فضّل به الإنسان على غيره من الخلق، و حمل النفس على البرّ و العمل الصالح احتسابا للثواب و ثقته بما وعد الله تعالى، و لصار الناس بمنزله الدوابّ التى تساس بالعصا و العلف و يلمع فيها بكلّ واحد منها ساعه فساعه فتستقيم على ذلك، و لم يكن أحد يعمل على يقين بثواب أو عقاب، حتى كان هذا يخرجهم عن حد الإنسانية إلى حد البهائم، ثم لا يعرف ما غاب و لا يعمل إلا على الحاضر من نعيم الدنيا، و كان يحدث من هذا أن يكون الصالح إنّما يعمل للرزق و السعه فى هذه الدنيا، و يكون الممتنع من الظلم و الفواحش إنّما يكفّ عن ذلك لترقّب عقوبه تنزل به من ساعته حتى تكون أفعال الناس كلّها تجرى على الحاضر لا يشوبه شىء من اليقين بما عند الله و لا يستحقون ثواب الآخرة و النعيم الدائم فيها.

مع أنّ هذه الامور التى ذكرها الطاعن من الغنى و الفقر و العافيه و البلاء ليست بجاريه على خلاف قياسه، بل تجرى على ذلك أحيانا و الأمر مفهوم،

فقد نرى كثيرا من الصالحين يرزقون المال بضروب من التدبير، وكيلا يسبق إلى قلوب الناس أن الكفار هم المرزوقون والأبرار هم المحرومون فيؤثرون الفسق على الصلاح، و ترى كثيرا من الفساق يعاجلون بالعقوبه إذا تفاقم طغيانهم و عظم ضررهم على الناس و على أنفسهم، كما عوجل فرعون بالغرق و بختنصر بالنيه و بليس بالقتل، و إن أمهل بعض الأشرار بالعقوبه و أخرّ بعض الأخيار بالثواب إلى الدار الآخرة لأسباب تخفى على العباد. و لم يكن هذا مما يبطل التدبير، فإنّ مثل هذا قد يكون من ملوك الأرض، و لا يبطل تدبيرهم، بل يكون تأخيرهم ما أخرّوه و تعجيلهم ما عجلّوه داخلا في صواب الرأى و التدبير.

و اذا كانت الشواهد تشهد و قياسهم يوجب أن للأشياء خالقا حكيما قادرا فما يمنعه أن يدبّر خلقه، فإنّه لا يصلح فى قياسهم أن يكون الصانع يهمل صنعته إلّا- بإحدى ثلاث خلال: إمّا عجز، و إمّا جهل، و إمّا شراره. و كلّ هذا محال فى صنعته عزّ و جل و تعالى ذكره. و ذلك أن العاجز لا- يستطيع أن يأتى بهذه الخلائق الجليله العجيبه، و الجاهل لا يهتدى لما فيها من الصواب: و الحكمه، و الشّرير لا يتناول لخلقها و إنشائها.

و إذ كان هذا هكذا و جب أن يكون الخالق لهذه الخلائق يدبّرّها لا محاله، و ان كان لا يدرك كنه ذلك التدبير و مخارجه، فان كثيرا من تدابير الملوك لا- تعرفه العامه و لا- تعرف أسبابه، لأنّها لا تعرف دخله أمر الملوك و أسرارهم، فإذا عرف سببه وجد قائما على الصواب: و الشاهد لمحنه.

و لو شككت فى بعض الأدويه و الأَطعمه فتبين لك من جهتين أو ثلاث أنّه حار أو بارد، أو لم تكن تقضى عليه بذلك و تنفى الشكّ فيه عن نفسك، فما بال هؤلاء الجهله لا يقضون على العالم بالخلق و التدبير مع هذه الشواهد الكثيره

و أكثر منها ممّا لا يحصى كثره.

و لو كان نصف العالم و ما فيه مشكلا صوابه لما كان من حزم الرأى و سمت الأدب أن يقضى على العالم بالإهمال، لأنّه كان فى النصف الآخر و ما يظهر فيه من الصواب و الإتقان ما يردع الوهم عن التسرع إلى هذه القضية، كيف و كل ما كان فيه إذا فتش وجد على غايه الصواب: حتى لا يخطر بالبال شىء إلا وجد ما عليه الخلقه أصحّ و أصوب منه.

و اعلم يا مفضل أن اسم هذا العالم بلسان اليونانيه الجارى المعروف عندهم قوسموس و تفسيره الزينه، و كذلك سمّته الفلاسفه و من ادعى الحكمة، أ فكانوا يسمّونه بهذا الاسم إلا لما رأوا فيه من التقدير و النظام؟ فلم يرضوا أن يسمّوه تقديرا و نظاما حتى سمّوه زينه ليخبروا أنّه مع ما هو عليه من الصواب: و الإتقان على غايه الحسن و البهاء.

أعجب يا مفضل من قوم لا- يقضون على صناعه الطب بالخطأ و هم يرون الطيب يخطىء و يقضون على العالم بالإهمال و لا يرون شيئا مهملا بل أعجب من أخلاق من ادعى الحكمة و جهلوا مواضعها فى الخلق فأرسلوا ألسنتهم بالذم للخالق جلّ و علا بل العجب من المخذول حين ادعى علم الأسرار و عمى عن دلائل الحكمة فى الخلق حتى نسبه إلى الخطأ و نسب خالقه إلى الجهل، تبارك الحليم الكريم (١).

«و ما أكثر ما تجهل من الأمر و يتحير فيه رأيك و يضلّ فيه بصرك ثم تبصره بعد ذلك» كما اتفق لموسى عليه السلام من جهله و تحيره و عدم بصره حكمه أعمال الخضر من خرق السفينه و قتل الغلام و إقامة الجدار.

فى (الكافى) عن الصادق عليه السلام قال: فى كتاب على عليه السلام ان داود قال: يا

ص: ٣٦٦

١- ١) توحيد المفضل: ١٦٧-١٧٦، [١] بحار الأنوار، [٢] ط مؤسسه الوفاء-بيروت ١٣٧: ٣-١٤٦. باختلاف فى بعض الألفاظ.

ربّ أرني الحق كما هو عندك حتى أقضى به. فقال: انك لا تطيق ذلك، فألح على ربه حتى فعل، فجاءه رجل يستدعي على رجل أنه أخذ ماله، فأوحى إلى داود أن هذا المستدعي قتل أبا هذا وأخذ ماله، وأمر داود بالمستدعي فقتل وأخذ ماله فدفعه إلى المستدعي عليه، فعجب الناس و تحدّثوا حتى بلغ داود و دخل عليه من ذلك ما كره، فدعا ربه أن يرفع ذلك ففعل، ثم أوحى إليه أن احكم بينهم بالبينات و أضفهم إلى اسمي يحلفون (١).

و عن أبي جعفر عليه السّلام: ان داود سأل ربه أن يريه قضيه من قضايا الآخره فأوحى تعالى إليه: إن الذي سألتني لم أطلع عليه أحدا من خلقي و لا- ينبغى لأحد أن يقضى به غيري، فلم يمنعه ذلك أن عاد في سؤاله، فأتاه جبرئيل و قال له: لقد سألت ربك شيئا لم يسأله قبلك نبي و لا- ينبغى لأحد أن يقضى به غير الله قد أجاب الله دعوتك و أعطاك ما سألت، إن أول خصمين يردان عليك غدا القضيه فيهما من قضايا الآخره، فلما أصبح داود عليه السّلام أتاه شيخ متعلّق بشاب و مع الشاب عنقود من عنب، فقال الشيخ: إن هذا الشاب دخل بستانى و خرّب كرمى و أكل منه بغير إذنى و هذا العنقود أخذه بغير إذنى. فقال داود للشاب: ما تقول: فأقرّ الشاب أنه قد فعل ذلك، فأوحى إليه تعالى إنى إن كشفت لك عن قضيه من قضايا الآخره فقضيت بها بين الشيخ و الغلام لم يحتملها قلبك و لم يرض بها قومك، يا داود! إن هذا الشيخ اقتحم على أبى هذا الغلام فى بستانه فقتله و غصب بستانه و أخذ منه أربعين ألف درهم فدفعها فى جانب بستانه فادفع إلى الشاب سيفا و أمره أن يضرب عنق الشيخ و ادفع إليه البستان و مره أن يحفر فى موضع كذا و كذا و يأخذ ماله.

ففزع من ذلك داود و جمع إليه علماء أصحابه و أخبرهم الخبر و أمضى القضيه

ص: ٣٤٧

---

١- ١) فروع الكافى ٧: ٤١٤، حديث ٣، باب ان القضاء بالبينات و الأيمان. [١]

و عن (عجائب المخلوقات): أن موسى عليه السلام اجتاز بعين ماء في سفح جبل فتوضأ منها ثم ارتقى الجبل ليصلى إذ أقبل فارس فشرب من ماء العين و ترك عنده كيسا فيه دراهم، و ذهب مارًا، فجاء بعده راعي غنم فرأى الكيس فأخذه و مضى، ثم جاء بعده شيخ عليه أثر البؤس و على رأسه حزمه حطب فوضعها هنا ثم استلقى ليسترىح، فما كان إلا قليلا حتى عاد الفارس فطلب كيسه فلم يجده، فأقبل على الشيخ يطالبه به فلم يزل يضربه حتى قتله، فقال موسى: يا رب! كيف العدل في هذه الامور. فأوحى الله تعالى إليه: ان الشيخ كان قتل أبا الفارس و كان على أبي الفارس دين لأبى الراعى مقدار ما فى الكيس، فجرى بينهما القصاص و قضى الدين و أنا حكم عادل .

«فاعتصم بالذى خلقك» (و اغتصموا بحبل الله جميعاً و لا تفرقوا) (٢)، «و اعتصموا بالله هو مولاكم فنعمة المولى و نعمة النصير» (٣)، «يا أيها الناس قد جاءكم بزهان من ربكم و أنزلنا إليكم نورا مبينا فأما الذين آمنوا بالله و اعتصموا به فسيؤدخولهم فى رحمته منه و فضل و يهدى بهم إليه صراطا مستقيما» (٤)، «و من يعتصم بالله فقد هدى إلى صراط مستقيم» (٥).

«و رزقك» (الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شئىء سبحانه و تعالى عما يشركون» (٦).

ص: ٣٤٨

١- ١) فروع الكافى ٧:٤٢١، باب النوادر، ح ١. [١]

٢- ٢) آل عمران: ١٠٣. [٢]

٣- ٣) الحج: ٧٨. [٣]

٤- ٤) النساء: ١٧٤-١٧٥. [٤]

٥- ٥) آل عمران: ١٠١. [٥]

٦- ٦) الروم: ٤٠. [٦]

«و سَوَاك» وَ نَفْسٍ وَ مَا سَوَّاهَا فَالْهَمَّهَا فُجُورَهَا وَ تَقَوَّاهَا قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَ قَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا» (١).

«و ليكن له تعبدك و إليه رغبتك و منه شفقتك» أي: خوفك، و تقديم الظرف في الثلاثه للحصر، و انه لا يجوز التعبد لغيره و لا الرغبه إلى غيره و لا الشفقه من غيره تعالى.

هذا، و قال الجوهري: قال ابن دريد: شفقت و أشفقت بمعنى، و أنكره أهل اللغه (٢).

قلت: بل نقل ذلك عن بعض و أنكره فقال، زعم قوم أن شفقت و أشفقت بمعنى، و أنكره جلّ أهل اللغه و قالوا لا- يقال إلاّ أشفقت فأنا مشفق، فأما قول الشاعر:

فإني ذو محافظه أبي كما شفقت للزاد العيال

فذاك بمعنى بخلت و ضنت (٣).

«و اعلم يا بني أن أحدا لم ينبيء» أي: لم يخبر «عن الله» هكذا في (المصريه) بلا زياده، و الصواب: زياده (سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٤).

«كما أنبأ عنه الرسول» هكذا في (المصريه) و الصواب: (نبينا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٥)، «و ما ينطق عن الهوى إن هو إلاّ وحيّ يوحى» (٦)، «و لو تقول علينا بعض الأاويل لأخذنا منه باليمين ثمّ»

ص: ٣٦٩

١- ١) الشمس: ٧-١٠. [١]

٢- ٢) الصحاح ٤: ١٥٠٢، طبعه بيروت. [٢]

٣- ٣) كتاب جمهره اللغه ٣: ٨٧٤. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٧٦، و [٤] ابن ميثم ٥: ١٥. [٥]

٥- ٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٧٦، و [٤] ابن ميثم ٥: ١٥.

٦- ٦) النجم: ٣-٤. [٧]



«فارض به رائدا» و في المثل «لا يكذب الرائد أهله» (٢)، و الرائد من يرسل في طلب الكلاء.

«و إلى النجاه قائدا» «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ» (٣).

«فانى لم آلك نصيحه» أى: لم أقصر لك في النصيحة.

«و إنك لن تبلغ في النظر لنفسك و إن اجتهدت مبلغ نظرى لك» فإنّ من المعلوم أن ابنه ابن الحنفية-على الأصح في كون الوصيه إليه-كان ناقص الاستعداد بمراتب عنه عليه السلام حسب الفرق بين الامام و غيره.

إلى أن قال: «يا بنى اجعل نفسك ميزانا فيما بينك و بين غيرك، فأحب لغيرك ما تحب لنفسك» في (موفقيات زبير بن بكار) عن المدائني، قال سلمه بن زياد لطلحه بن عبد الله الخزاعي: أريد أن أصل رجلا له حق على و صحبه بألف ألف درهم فما ترى؟ قال: أرى أن تجعل هذه العشر. قال: فأصله بخمسائه ألف.

قال: كثير. فلم يزل حتى وقف على مئه ألف. قال: أفترى مئه ألف يقضى بها ذمام رجل له انقطاع و صحبه و موده و حق واجب، قال: نعم. قال: هي لك و ما أردت غيرك. قال: أقلنى. قال: لا أفعل و الله.

و في (الطبرى): ذكر عن عبد الله بن مالك قال: كنت أتولّى الشرطه للمهدى-و كان المهدي يبعث إلى ندماء الهادى و مغنّيه و يأمرنى بضربهم، و كان الهادى يسألنى الرفق بهم و الترفيه لهم و لا التفت إلى ذلك، و أمضى لما

ص: ٣٧٠

١-١ (١) الحاقه: ٤٤-٤٦. [١]

٢-٢ (٢) مجمع الأمثال ٢: ٢٣٣، [٢] الزمخشري ٢: ٢٧٤، [٣] صحاح اللغة ٢: ٤٧٨. [٤]

٣-٣ (٣) الصف: ١٠ و ١١. [٥]

أمرني به المهدي- فلما ولي الهادي الخلافة أيقنت بالتلف، فبعث إليّ يوماً فدخلت عليه متكفناً متحنّطاً و إذا هو على كرسيّ و السيف و النطع بين يديه، فسلمت فقال: لا سلم الله على الآخر، تذكر يوماً بعثت اليك في أمر الحرّاني و ما أمر به أبي من ضربه و حبسه فلم تجبني، و في فلان و فلان- و جعل يعدّد ندماءه- فلم تلتفت إليّ قولي و لا- أمرى. قلت: نعم. أفتأذن لي في استيفاء الحجّه. قال: نعم. قلت: ناشدتك بالله أيسرّك أنك وليّتي ما ولاّني أبوك فأمرتني بأمر فبعث إليّ بعض بنيك بأمر يخالف به أمرك فاتبعت أمره و عصيت أمرك؟ قال: لا. قلت: فكذلك أنا لك و كذا كنت لأبيك، فاستدانني فقبلت يده فأمر بخلع فصبت عليّ و قال: وليّتك ما كنت تتولّاه (١).

«و أكره له ما تكره لها» في (عيون القتيبي) قال الرياشي: كان أبو ذؤيب يهوى امرأه من قومه، و كان رسوله إليها رجلاً يقال له خالد بن زهير، فخانها فيها فقال أبو ذؤيب:

تريدين كيما تجمعي و خالد و هل تجمع السيفان ويحك في غمد

أ خالد ما راعيت منّي قرابه فتحفظني بالغيب أو بعض ما تبدي

و كان أبو ذؤيب خان فيها ابن عمّ له يقال له مالك بن عويمر، فأجابه خالد:

فلا تجزعن من سيره أنت سرتها و أوّل راض سنّه من يسيرها

ألم تتنقّذها من ابن عويمر و أنت صفيّ نفسه و وزيرها (٢)

«و لا تظلم كما لا تحب أن تظلم» في الخير: أفضل الجهاد من أصبح لا يهّم

ص: ٣٧١

١- (١) تاريخ الطبري ٢١٦: ٨، [١] دار التراث-بيروت.

٢- (٢) عيون الأخبار لابن قتيبه ١٠٩: ٤، [٢] دار الكتاب العربي.

بظلم أحد (١)، و المسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده (٢)، و من ظلم ظلم، «و كَذَلِكَ نُؤَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (٣).

و في (المعجم): قال أحمد بن عبيد بن ناصح: لما أراد المتوكل أن يعقد للمعتز ولايته حططته عن مرتبه قليلا و أخرت غداءه عن وقته، فلما كان وقت الانصراف قلت: احمله. و ضربته من غير ذنب، فكتب بذلك إلى المتوكل، فأنا في الطريق منصرفا إذ لحقني صاحب رسالته فقال: الخليفة يدعوك، فدخلت عليه و هو جالس على كرسى و الغضب بين في وجهه و الفتح قائم بين يديه متكئا على السيف، فقال: ما هذا الذي فعلته. قلت: أقول يا أمير المؤمنين؟ فقال:

قل، إنما سألتك لتقول. قلت: بلغني ما عزم عليه الخليفة فدعوت وليّ عهده و حططت منزلته ليعرف هذا المقدار من الحط فلا يعجل بزوال نعمه أحد و أخرت غداءه ليعرف هذا المقدار من الجوع فإذا شكى إليه الجوع عرف ذلك، و ضربته من غير ذنب ليعرف مقدار الظلم فلا يعجل على أحد. فقال: أحسنت، و أمر لي بعشرة آلاف درهم، ثم لحقني رسول قبيحه بعشرة آلاف اخرى، فانصرفت بعشرين ألف (٤).

قلت: و نقل نظيره عن معلم انوشيروان معه في صباوته.

«و أحسن كما تحب أن يحسن إليك» في الخبر جاء أعرابي إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فَأَخَذَ بَغْرَزَ رَاحِلَتِهِ وَ قَالَ: عَلَّمَنِي شَيْئًا أَدْخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ لَهُ: مَا أَحْبَبْتُ أَنْ يَأْتِيَهُ النَّاسُ إِلَيْكَ فَأَتَهُ إِلَيْهِمْ خَلَّ سَبِيلَ الرَّاحِلِ «إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرًا»

ص: ٣٧٢

١-١) بحار الأنوار ٣١٤: ٧٥، [١] عن المحاسن: ٢٩٢. [٢]

٢-٢) بحار الأنوار ٣٢١: ٦٧، [٣] صحيح البخاري ١: ١٣ ح ١٠ و ١١-باب ٣-٥، المستدرک علی الصحیحین ١: ١١.

٣-٣) الانعام: ١٢٩. [٤]

٤-٤) معجم الادباء لياقوت الحموي ٢: ٢٣٠ و ٢٣١، [٥] دار الفكر، بيروت.

«الْمُحْسِنِينَ» (١) «إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ» (٢).

«و استقبح من نفسك ما تستقبح من غيرك» قال أبو عبد الله عليه السلام: أما يخشى الذين ينظرون في أدبار النساء أن يبتلوا بذلك في نسائهم (٣).

«و أرض من الناس بما ترضاه لهم من نفسك» عن المفضل، قال لى أبو عبد الله عليه السلام: أ تدرى لم قيل من يزن يوما يزن به؟ قلت: لا. قال: كانت بغى في بنى إسرائيل و كان فيهم رجل يكثر الاختلاف إليها، فلما كان في آخر ما أتاها أجرى الله على لسانها: أما إنك سترجع إلى أهلك فتجد معها رجلا، فخرج و هو خبيث النفس، فدخل منزله على غير الحال التي كان يدخله قبل، دخل بغير إذن فوجد على فراشه رجلا، فارتفعا إلى موسى عليه السلام فنزل جبرئيل و قال: يا موسى! من يزن يوما يزن به. فنظر موسى إليهما فقال: عَفَّوْا تَعَفَّوْا نَسَاؤُكُمْ (٤).

و في (الأغاني): عن ميمون بن هارون قال: كان محمد بن عبد الملك الزيات يقول: الرحمة خور في الطبعه و ضعف في المنه، ما رحمت شيئا قط.

فلما وضع في الثقل و الحديد قال ارحموني، فقالوا له: و هل رحمت شيئا قط فترحم، هذه شهادتك على نفسك و حكمك عليها.

و فيه: عن الأصمعي: قدم رجل من أهل اليمن مكة فسمع امرأه عبيد الله بن العباس تندب ابنيها اللذين قتلها بسر بقولها:

يا من أحس با بنى اللذين هما كالدرتين تشظى عنهما الصدق

فرق لها و اتصل ببسر حتى وثق به ثم احتال لقتل ابنه فخرج بهما الى وادى أوطاس فقتلها و هرب و قال:

ص: ٣٧٣

١- (١) التوبة: ١٢٠، [١] يوسف: ٩٠. [٢]

٢- (٢) بحار الأنوار ١٢٦: ٧٧، روايه ٤٥، باب ٦. و [٣] الآية ١٢٨ من سورة النحل. [٤]

٣- (٣) فروع الكافي ٥٥٣: ٥، ح ٣، [٥] من لا يحضره الفقيه ١٩: ٤، روايه ٤٩٧٢.

٤- (٤) الكافي ٥٥٣: ٥، ح ٣. [٦]

يا بسر بسر بنى أرطاه ما طلعت شمس النهار و لا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين همو عين الهدى و سهام الأسواق القاس

ما ذا أردت إلى طفلى مولهه تبكى و تنشد من أنكلت فى الناس

أما قتلتهما ظلما فقد شرقت من صاحبيك قناتى يوم أو طاس

فاشرب بكأسهما ثكلا كما شربت أم الصبيين أو ذاق ابن عباس (١)

و قال تعالى «و لِيُخْشِ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّهُ ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَ لِيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا» (٢).

«و لا تقل ما لا تعلم و ان قل ما تعلم» «أم تقولون على الله ما لا تعلمون» (٣).

«و لا- تقل ما لا- تحب أن يقال لك» فى (المعجم): كان أبو نزار ملك النحاه إذا ذكر عنده أحد النحاه يقول: كلب من الكلاب. فقال له رجل يوما: فلست إذن ملك النحاه، إنما أنت ملك الكلاب، فاستشاط غضبا و قال: أخرجوا عنى هذا الفضولى (٤).

و فى (الخصال) عنه عليه السلام قال لبيه: إياكم و معاداه الرجال، فإنهم لا يخلون من ضربين: من عاقل يمكر بكم، أو جاهل يعجل عليكم، و الكلام ذكر و الجواب أنشى، فإذا اجتمع الزوجان فلا بد من النتاج، ثم أنشأ يقول:

سليم العرض من حذر الجوابا و من دارى الرجال فقد أصابا

و من هاب الرجال تهيبوه و من حقر الرجال فلن يهابا (٥)

و فى (الأغانى): بعث بشار يوما إلى صديق له يقال له أبو زيد يطلب منه

ص: ٣٧٤

١- ١) الأغانى ٢٧٢: ١٦- [١] دار احياء التراث العربى-بيروت.

٢- ٢) النساء: ٩. [٢]

٣- ٣) البقره: ٨٠. [٣]

٤- ٤) معجم الادباء لياقوت الحموى ١٣٢: ٨، [٤] دار الفكر-بيروت.

٥- ٥) الخصال: ٧٢ ١١١.

ثيابا بنسيئه، فلم يصادفها عنده، فقال يهجو:

ألا إنّ أبا زيد زنى فى ليله القدر

و لم يرع تعالى الله ربّه حرمة الشهر

و كتبها فى رقعه و بعث بها إليه، و لم يكن أبو زيد ممّن يقول الشعر، فقلبها و كتب فى ظهرها:

ألا إنّ أبا زيد له فى ذلكم عذر

أنته أمّ بشار و قد ضاق به الأمر

فوائبها و جامعها و ما ساعدها الصبر

فلما قرئ على بشار غضب و ندم على تعرّضه لرجل لا نباهه له، فجعل ينطح الحائط برأسه غيظا ثم قال: لا تعرّضت لهجاء سفله مثل هذا أبدا.

و فيه: كان عبد الله بن الحسن الاصبهاني يخلف عمرو بن مسعده على ديوان الرسائل، فكتب إلى خالد بن يزيد: إن الخليفة المعتمد ينفخ منك من غير فحم و يخاطب أمرء صلّى من غير ذى فهم. فقال محمد بن عبد الملك الزيّات: هذا كلام ساقط سخيف، جعل الخليفة ينفخ بالزق كأنه حداد و أبطل الكتاب. ثم كتب ابن الزيّات إلى عبد الله بن طاهر: أنت تجرى أمرك على الأريج فالأريج و الأريج فالأريج، لا تسعى بنقصان و لا تميل برجحان. فقال الاصبهاني:

الحمد لله قد أظهر من سخافه اللفظ ما دل على رجوعه إلى صناعته من التجاره بذكره ربح السلع و رجحان الميزان و نقصان الكيل و الخسران من رأس المال، فضحك المعتمد و قال: ما أسرع ما انتصف الاصبهاني منه (١).

و فى الخبر: ورد الزهرى و هو كتيب على السجاد عليه السلام فقال له:

ما لك؟ قال: هموم تتو إلى عليّ من جهة حسّاد نعمتى و ممّن

ص: ٣٧٥

أحسنت إليه فتخلف ظني.

فقال عليه السلام له: احفظ عليك لسانك تملك به اخوانك، وإياك أن تعجب بنفسك، وإياك أن تتكلم بما يسبق إلى القلوب إنكاره وإن كان عندك اعتذاره، فليس كل من تسمعه نكرا يمكنك أن توسعه عذرا. ثم قال له عليه السلام: من لم يكن عقله من أكمل ما فيه كان هلاكه من أيسر ما فيه، وما عليك أن تجعل المسلمين منك بمنزلة أهل بيتك، فتجعل كبيرهم بمنزلة والدك و صغيرهم بمنزلة ولدك و تربك بمنزلة أخيك، فأى هؤلاء تحب أن تظلمه؟ وأي هؤلاء تحب أن تدعو عليه؟ وأي هؤلاء تحب أن تهتك ستره؟ وإن عرض لك ابليس بأن لك فضلا على أحد فانظر ان كان أكبر منك فقل سبقني بالإيمان و العمل الصالح فهو خير مني، وإن كان أصغر منك فقل ذنبي أكثر منه، وإن كان تربك فقل أنا على يقين من ذنبي و في شك من أمره فمالي أدع يقيني لشكى.

يا زهري! إن رأيت المسلمين يعظّمونك فقل هذا فضل أخذوا به، وإن رأيت منهم جفاء و انقباضا عنك فقل هذا لذنوب أحدثته، فإنك إذا فعلت ذلك سهل الله عيشك و كثر أصدقاؤك و قلّ أعداؤك، و فرحت بما يكون من برهم و لم تأسف على ما يكون من جفائهم.

و اعلم أنّ أكرم الناس على الناس من كان خيره عليهم فائضا و كان عنهم مستغنيا متعففا، و أكرم الناس عليهم بعده من كان عنهم متعففا و ان كان إليهم محتاجا فانما أهل الدنيا يعتقبون الأموال فمن لم يزاحمهم فيما يعتقبونه كرم عليهم، و من لم يزاحمهم فيها و مكّنهم من بعضها كان أعزّ و أكرم (١).

و عن الصادق عليه السلام: عليك بتقوى الله و الورع و الاجتهاد، و صدق الحديث

ص: ٣٧٦

[١-١] بحار الأنوار ١٥٥: ٧٤، رواه ١. [١]

و اداء الأمانه، و حسن الخلق و حسن الجوار، و كونوا دعاه إلى أنفسكم بغير ألسنتكم (١).

و عنه عليه السّلام صاحب على عليه السّلام ذمّيا فقال له الذمّي: يا عبد الله! أين تريد؟ قال: الكوفه، فلما عدل الطريق بالذمّي عدل عليه السّلام معه، فقال له الذمّي: أ لست قلت أريد الكوفه؟ قال: بلى. قال: فقد تركت الطريق. فقال قد علمت. قال: فلم عدلت معي و قد علمت ذلك؟ قال: من تمام حسن الصحبه أن يشيع الرجل أخاه هنيهه إذا فارقه، هكذا أمرنا نبينا. فقال، هكذا أمر نبيكم، لا جرم إنّما تبعه لأفعاله الكريمه، و أنا أشهدك أنّي على دينك، فرجع الذمّي مع على عليه السّلام فلما عرفه أسلم (٢).

و عن زكريا بن إبراهيم قلت للصادق عليه السّلام: إنّني كنت نصرانيا و إنّ أبي و أمّي على النصرانيه و أمّي مكفوفه البصر أكون معهم و أكل في آنيتهم.

قال عليه السّلام: يأكلون لحم الخنزير؟ قلت: لا. و لا يمسونه. فقال: لا بأس، و انظر أمّك فبرّها، ثم ذكر أنّه زاد في برّها على ما كان يفعل و هو نصراني، فسألته فأخبرها أنّ إمامه أمره بذلك، فأسلمت (٣).

«و اعلم أنّ الإعجاب» أي: العجب بالنفس.

«ضد الصواب و آفه الألباب» في (عيون القتيبي): قيل لرجل من بني عبد الدار: ألا تأتي الخليفه. قال أخشى أن لا يحمل الجسر شرفي. و قيل له: البس شيئا فان البرد شديد. فقال: حسبي يدفنتي.

و مدّ أعرابي يده في الموقف و قال: اللهم إن كنت ترى يدا

ص: ٣٧٧

١- ١) الكافي ٢: ٧٧ ح ٩. [١] بحار الأنوار ٧٠: ٢٩٩-٧٠-روايه ٩-باب ٥٧. [٢]

٢- ٢) الكافي ٢: ٦٧٠ ح ٥. [٣] بحار الأنوار ٤١: ٥٣-٤١-روايه ٥-باب ١٠٤. [٤]

٣- ٣) الكافي ٢: ١٦٠ ح ١١ [٥] بتلخيص.



أكرم منها فاقطعها.

و كان جذيمه الأبرش سُمى بذلك لبرص فيه، فقالوا الأبرش خوفا منه، كان لا ينادم أحدا ذهابا بنفسه و قال: أنا أعظم من أن أ نادم إلا الفرقدين، فكان يشرب كأسا و يصب لكل واحد منهما في الأرض كأسا (١).

«فاسع في كدحك» قال ابن أبي الحديد: الكدح هنا المال الذي كدح في حصوله، و السعى فيه إنفاقه، و هذه كلمه فصيححه (٢).

قلت: هو كما ترى، و كيف كان فقد قال تعالى: «يا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَى رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا وَيَنْقَلِبُ إِلَى أَهْلِهِ مَسْرُورًا وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ فَسَوْفَ يَدْعُوا ثُبُورًا وَيَصِيلُ سِجِّيرًا إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ» (٣).

و قال الزمخشري: الكدح جهد النفس في العمل و الكد فيه حتى يؤثر فيها من (كدح جلده) إذا خدشه، و معنى «كادح إلى ربك» جاهد إلى لقاء ربك، و هو الموت و ما بعده (٤).

«و لا تكن خازنا لغيرك» بجمع المال و تركه للوارث، و لذا قالوا «الناس أموال غيرهم أحب اليهم من أموالهم» لأنّ مالهم ما قدّموه و أمّا ما خلفوه فمال غيرهم.

و في (الطبرى): لَمَّا مات هشام أغلق الخزان الأبواب، فطلبوا قممما يسخن فيه الماء لغسله فما وجدوه حتى استعاروا قممما من بعض الجيران،

ص: ٣٧٨

١-١ (١) عيون الأخبار لابن قتيبه ٣٨٦:١- [١] دار الكتب العلميه.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٨٥. [٢]

٣-٣ (٣) الانشقاق: ٦-١٥. [٣]

٤-٤ (٤) الكشاف للزمخشري ٧٢٦:٤. [٤]

فقال بعض من حضر: إن في هذا لمعتبرا.

و فيه: قال عقاب بن شبة: دخلت على هشام و عليه قباء فنك أخضر، فوجهني إلى خراسان و جعل يوصيني و أنا أنظر إلى القباء، ففطن فقال: هو ذاك مالي قباء غيره، و أما ما ترون من جمعي هذا المال و صونه فآته لكم.

و فيه: كان الوليد بن يزيد أيام هشام خرج فنزل بالأزرق على ماء يقال له «الأغدف» و خلف كاتبه عياض بن مسلم بالرصافه ليكتب له بما يحدث، فلما أتته البشاره بموت هشام و صيرورته خليفه سأل عن كاتبه عياض ف قيل له: لم يزل محبوسا حتى نزل بهشام أمر الله، فلما صار في حد لا ترجى فيه الحياه لمثله أرسل عياض إلى الخزان أن احتفظوا بما في أيديكم فلا يصلن أحد منه إلى شيء، و أفاق هشام إفاقه فطلب شيئا فمنعوه، فقال: أرانا كنا خزانا للوليد، و مات من ساعته، و خرج عياض من السجن بختم أبواب الخزائن، و أمر بهشام فانزل عن فراشه فما وجدوا له قمقما يسخن له فيه الماء حتى استعاروه، و لا وجدوا كفنا من الخزائن فكفنه غالب مولى هشام (١).

«و إذا كنت» هكذا في (المصريه) و الصواب: (أنت) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«هديت لقصدك فكن أخشع ما تكون لربك» في الخبر أوحى تعالى إلى موسى عليه السلام: أ تدرى لم خصصتك بوحيي و كلامي. قال: لا. قال: إنني أطلعت إلى خلقى أطلعه فلم أر فيهم أشد تواضعا منك، و كان موسى إذا صلى لا يفتل حتى يلصق خده الأيمن و الأيسر بالأرض (٣).

ص: ٣٧٩

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٢١٧ و ٢١٨ و ٢٢٥، [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٨٤. [٢]

٣- (٣) الكافي ٧، ١٢٣: ٢، [٣] بحار الأنوار ١٣: ٣٥٧-روايه ٦١، و ٢: ٨٦ [٤] ٠٠ روايه ٩.

«و اعلم أنّ أمامك طريقاً ذا مسافه بعيده و مشقّه شديده و أنّه لا غنى لك» هكذا في (المصريه) و الصواب: (بك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (١).

«فيه عن حسن الارتياذ» أي: طلب الكلاً.

«و قدر بلاغك من الزاد» في (عيون ابن قتيبه): أراد قوم سفراً فحاروا عن الطريق و انتهوا إلى راهب منفرد في ناحيه، فنادوه فأشرف عليهم فقالوا: إنّنا ضللنا فكيف الطريق؟ فقال لهم: ها هنا - و أومى إلى السماء - فعلموا الذي أراد، فقالوا: إنّنا سائلوك أفتجيبنا أنت؟ قال: سلوا و لا تكثروا، فإن النهار لن يرجع، و العمر لن يعود، و الطالب حثيث في طلبه ذو اجتهاد. قالوا: ما الخلق عليه غدا عند مليكهم؟ فقال: على نياتهم. فقالوا: فإلى م المؤمل؟ قال: إلى المقدم. قالوا:

أوصنا. قال: تزودوا على قدر سفركم، فإن خير الزاد ما بلغ المحل، ثم أرشدهم إلى المحجّه و انقمع.

«مع خفه الظهر فلا - تحملنّ على ظهرك فوق طاقتك فيكون ثقل ذلك وبلا عليك» و المراد حمل أوزار الذنوب و أثقال الآثام لا حمل المال كما توهمه ابن أبي الحديد (٢)، قال تعالى: «و لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى و إنّ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لا يُحْمَلُ مِنْهُ شَيْءٌ و لو كان ذا قُرْبى» (٣)، «مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا خَالِدِينَ فِيهِ و ساءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا» (٤)، «حتّى إذا جاء تُهْمُ السَّاعَةِ بَعْتَهُ قَالُوا يا حَسْرَتْنَا عَلَىٰ ما فَرَطْنَا فِيهَا و هُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ»

ص: ٣٨٠

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١:٨٥. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ١٦:٨٦. [٢]

[٣-٣] فاطر: ١٨. [٣]

[٤-٤] طه: ١٠٠-١٠١. [٤]

«ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ» (١).

«وإذا وجدت من أهل الفاقة من يحمل لك زادك إلى يوم القيامة فيوافيك به غدا حيث تحتاج إليه فاغتنمه وحمّله و أكثر من تزويده و أنت قادر عليه فلعلك تطلبه فلا- تجده» و المراد الإنفاق في سبيل الله، و كان جعفر الطيار من كثره إنفاقه على أهل الفاقة يسمّى أبا المساكين (٢)، كما ان زينب بنت خزيمة-احدى أزواج النبي-أيضا لذلك تسمّى أم المساكين (٣).

و روى (العلل): أنّ الزّهرى رأى على بن الحسين عليه السّلام فى ليله بارده مطيره و على ظهره دقيق و حطب و هو يمشى، فقال له: يا بن رسول الله ما هذا؟ قال: أريد سفرا أعدّ له زادا أحمله إلى موضع حرير. فقال الزهرى: فهذا غلامى يحمل عنك، فأبى، فقال: أنا أحمله عنك فإننى أرفعك عن حملة. فقال عليه السّلام: لكنى لا أرفع نفسى عمّا ينجينى فى سفرى و يحسن ورودى على ما أراد عليه، أسألك بحق الله لما مضيت لحاجتك و تركتني، فانصرف عنه. فلما كان بعد أيام قلت له: يا بن رسول الله لست أرى لذلك السفر الذى ذكرته أثرا. قال: بلى يا زهرى، ليس ما ظننته و لكنه الموت و له أستعد، و الاستعداد له تجنّب الحرام و بذل الندى و الخير.

و روى أيضا: أنّه عليه السّلام لما وضع على السرير ليغسل نظر إلى ظهره و عليه مثل ركب الإبل ممّا كان يحمل على ظهره إلى منازل المساكين (٤).

«و اغتنم من استقرضك فى حال غناك ليجعل قضاءه لك فى يوم عسرتك» فى الخبر: اغتنم شبابك قبل هرمك، و فراغك قبل شغلك، و صحتك قبل سقمك

ص: ٣٨١

١-١ (١) الأنعام: ٣١. [١]

٢-٢ (٢) اسد الغابه ١: ٢٨٧، بحار الأنوار ١٢: ٢٠. [٢]

٣-٣ (٣) اسد الغابه ٥: ٤٦٦، [٣] بحار الأنوار ١٢: ٢٠ روايه ٨ باب ١١. [٤]

٤-٤ (٤) علل الشرائع: ٢٣١ ح ٥ و ٦. [٥]

و حياتك قبل موتك، و غناك قبل فقرك (١).

«و اعلم أنّ أمامك عقبه كؤودا» أي: شاقه المصعد.

«المخفّ فيها أحسن حالا من المثقل و البطيء» هكذا في (المصريه) و الصواب: (و المبطئ) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢).

«عليها أقبح حالا» هكذا في (المصريه) و الصواب: (أمرأ) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣).

«من المسرع، و إنّ مهبطك بها» هكذا في (المصريه) و الصواب: (مهبطها بك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤).

«لا محاله» أي: بلا حيله.

«على جثّه أو على نار» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن ميثم) أو نار، و في (ابن أبي الحديد) «إمّا على جثّه أو على نار» (٥).

في (اعتقادات الصدوق): و أمّا العقبات التي على الجسر فاسمها اسم فرض و أمر و نهى، فمتى انتهى الإنسان إلى عقبه اسم فرض و كان قد قصّر في ذلك الفرض حبس عندها و طولب بحق الله فيها، فإن خرج منها بعمل صالح قدّمه أو برحمه تداركته نجا منها إلى عقبه أخرى، فلا يزال يدفع من عقبه إلى أخرى و يحبس عند كلّ عقبه فيسأل عمّا قصّر فيه من معنى اسمها، فإن سلم من جميعها انتهى إلى دار البقاء فيحیی حياه لا موت فيها أبداً، و سعد سعادته لا شقاوه معها أبداً، و سكن جوار الله مع أنبيائه و حججه و الصديقين و الشهداء و الصالحين من عباده، و إن حبس في عقبه فطولب بحق قصّر فيه إن لم ينجه عمل صالح قدمه و لا أدركته من الله رحمه زلت به قدمه

ص: ٣٨٢

١- (١) بحار الأنوار ٧٧:٧٧ روايه ٣ باب ٤، [١] بحار الأنوار ٨١:١٧٣ روايه ١١ باب ١. [٢]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٨٥. [٣]

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٨٥. [٤]

٤- (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٨٥. [٥]

٥- (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٦:٨٥. [٦]

عن العقبة و هوى فى جهنم (١).

«فارتد» من راد الكلاً و ارتاده أى: طلبه.

«و وطىء المنزل» يقال و طأت الفراش أى: جعلته و طيئا.

«قبل حلوله» حتى لا يحصل لك تعب بعده.

«فليس بعد الموت مستعتب» أى: استرضاء «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَ إِنْ يَشِئْتَعِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ» (٢)، و إنما الاستعتاب فى الدنيا.

و فى (الكافى) عن أبى جعفر عليه السّلام: إنَّ الشمس لتطلع و معها أربعة أملاك، ملك ينادى يا صاحب الخير أتمّ و أبشر، و ملك ينادى يا صاحب الشر انزع و أقصر... (٣).

«و لا إلى الدنيا منصرف» «قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا» (٤).

«و اعلم أنّ الذى بيده خزائن السموات و الأرض» «وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ لَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ» (٥).

«قد أذن لك فى الدعاء و تكلف لك بالإجابة» «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (٦)، «وَ إِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَ لِيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (٧).

ص: ٣٨٣

١-١) اعتقادات الصدوق: ٢٥ بتصرف يسير.

٢-٢) فصلت: ٢٤. [١]

٣-٣) الكافى ١، ٤: ٤٢. [٢]

٤-٤) المؤمنون: ٩٩-١٠٠. [٣]

٥-٥) المنافقون: ٧. [٤]

٦-٦) غافر: ٦٠. [٥]

٧-٧) البقره: ١٨٦. [٦]

«و أمرك أن تسأله فيعطيك، و تسترحمه ليرحمك» قال النمر بن تولب:

و متى تصبك خصاصه فارح الغنى و إلى الذى يهب الرغائب فارغب

و فى الدعاء: «الحمد لله الذى أسأله فيعطينى و إن كنت بخيلا حين يستقرضنى» (١).

و عن النبىِّ صلى الله عليه و آله: لا يزيد فى العمر إلا البر، و لا يرد القدر إلا الدعاء (٢).

«و لم يجعل بينك و بينه من يحجبه عنك، و لم يلجئك إلى من يشفع لك إليه» فى (المروج): كتب ابن الحنفية إلى عبد الملك: إنَّ الحجاج قد قدم بلادنا و أحبَّ ألاَّ تجعل له على سلطانا بيد و لا لسان. فكتب عبد الملك إلى الحجاج: إنَّ محمد ابن على كتب إلى يستعفينى منك و قد أخرجت يدك عنه فلم أجعل لك عليه سلطانا بيد و لا لسان فلا تتعرض له، فلقى الحجاج ابن الحنفية فى الطواف فعضَّ على شفته ثم قال: لم يأذن لى فيك الخليفة. فقال له محمد: ويحك! أو ما علمت أنَّ لله تعالى فى كلِّ يوم و ليله ثلاثمئة و ستين لحظة- أو قال نظره- لعله أن ينظر إلى منها بنظره- أو قال بلحظه- فيرحمنى فلا- يجعل لك على سلطانا بيد و لا لسان. فكتب بها الحجاج إلى عبد الملك، فكتب بها عبد الملك إلى ملك الروم و قد كان توغَّده، فكتب إليه ملك الروم: ليست هذه من سجيتك و لا سجيته أبائك، ما قالها إلا نبى أو رجل من أهل بيت نبى (٣).

«و لم يمنعك إن أسأت من التوبه» «و هو الذى يقبلُ التَّوبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ» (٤).

«و لم يعاجلك بالنقمه» «و لَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى»

ص: ٣٨٤

١- ١) كتاب مهج الدعوات- [١] بحار الأنوار ٢٨١: ٩٤-روايه ٢-باب ٤٤. [٢]

٢- ٢) بحار الأنوار ١٦٨: ٧٧-روايه ٣. [٣]

٣- ٣) مروج الذهب ١١٦: ٣. [٤]

٤- ٤) الشورى: ٢٥. [٥]

«ظَهَرَهَا مِنْ دَائِبِهِ» (١).

«و لم يعيرك بالانابه» الباء فيه بمعنى «في»، أى: لم يعيرك وقت إنباتك إليه لم عصيته.

«و لم يفضحك حيث الفضيحه بك أولى» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(حيث تعرضت للفضيحه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و كذا (الخطيه) (٢).

ورد فى الدعاء: يا من أظهر الجميل، و ستر القبيح، يا من لم يؤاخذ بالجريه و لم يهتك الستر.

«و لم يشدد عليك فى قبول الإنابه» «و يَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ» (٣)، «و اتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ» (٤).

«و لم يناقشك» فى (الصحيح): المناقشه: الاستقصاء فى الحساب (٥)، و فى الحديث «من نوقش الحساب عذب» (٦).

«بالجريمه» أى: بالذنب.

«و لم يؤيسك من الرحمه» «قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا» (٧)، «و لَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ» (٨).

ص: ٣٨٥

١-١ (١) فاطر: ٤٥. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٦: ٨٧. [٢]

٣-٣ (٣) الرعد: ٢٧. [٣]

٤-٤ (٤) لقمان: ١٥. [٤]

٥-٥ (٥) الصحيح ١٠٢٣: ٣. [٥]

٦-٦ (٦) أخرجه الكافى ١٠٦: ٥. [٦]

٧-٧ (٧) الزمر يوسف: ٥٣. [٧]

٨-٨ (٨) ٨٧: ٨٧.



«بل جعل نزوعك عن الذنب حسنه» «وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَ لَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَ لَا يَزْنُونَ وَ مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَ يَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا إِلَّا مَنْ تَابَ وَ آمَنَ وَ عَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ» (١).

«و حسب سيئتك واحده و حسب حسنتك عشا» «مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَ مَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَ هُمْ لَا يُظْلَمُونَ» (٢).

«و فتح لك باب المتاب» «مَنْ تَابَ وَ عَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا» (٣).

«و باب الاستيعاب» هكذا في (المصريه) و الصواب: (الاستعتاب) كما في (ابن ميثم) (٤)، «و هُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ» (٥).

و في الخبر: إن آدم عليه السلام قال: يا رب! سلطت على الشيطان و أجرته منى مجرى الدم، فقال: يا آدم! جعلت لك أن من هم من ذريتك بسينه لم تكتب عليه فإن عملها كتبت عليه، و من هم منهم بحسنه فإن هو لم يعملها كتبت له حسنه و إن عملها كتبت له عشا. قال: يا رب زدنى. قال: جعلت لك أن من عمل سيئه ثم استغفر غفرت له. قال: يا رب زدنى. قال: جعلت لهم التوبه حتى تبلغ النفس هذه (٦).

ص: ٣٨٦

[١-١] الفرقان: ٦٨-٧٠. [١]

[٢-٢] الأنعام: ١٦٠. [٢]

[٣-٣] الفرقان: ٧١. [٣]

[٤-٤] بحار الأنوار ٣٠٣: ٥١، روايه ١٩، باب ١٥. [٤]

[٥-٥] الشورى: ٢٥. [٥]

[٦-٦] الكافي ١، ٢: ٤٤٠. [٦]

«فإذا ناديته سمع نداءك، وإذا ناجيته علم نجواك» «يَعْلَمُ السِّرَّ وَ أَخْفَى» (١)، «قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَ تَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَ اللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ» (٢).

«فأفضيت إليه بحاجتك» أي: خصصته بإظهار حاجتك له.

«و أبثته» أي: نشرت له.

«ذات نفسك» أي: مقاصدك. و قال السجستاني (ذات الصدور) أي: حاجه الصدور.

قلت: و كلامه ليس بمطرد، فإنه لا يناسب قوله تعالى «وَ أَصِيلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ» (٣) بل لا يناسب أيضا قوله تعالى «قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (٤)، «وَ لِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَ لِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» (٥).

«و شكوت إليه همومك» أي: أحزانك.

«و استكشفته كروبك» أي: غمومك.

و ورد لدفع الظالم في السجود بعد ركعتي المغرب «يا شديد القوى! يا شديد المحال! يا عزيز! أذلت بعزتك جميع من خلقت، فصل على محمد و آل محمد و أكفني مؤنه فلان بما شئت»، فدعا به بعضهم على ظالمه فلم يره إلا الواعيه بالليل على الظالم و موته فجأه (٦).

ص: ٣٨٧

[١- ١] طه: ٧. [١]

[٢- ٢] المجادلة: ١. [٢] بحار الأنوار ٧: ٩٦، باب ٥. [٣]

[٣- ٣] الأنفال: ١. [٤]

[٤- ٤] آل عمران: ١١٩. [٥]

[٥- ٥] آل عمران: ١٥٤. [٦]

[٦- ٦] بحار الأنوار ١٠٣: ٨٧، روايه ٣٠ [٧] بتغيير قليل.

«و استعنته على أمورك» قال الباقر عليه السّلام- كما في بيان الجاحظ-: إذا أنعم الله عليك نعمه فقل: «الحمد لله» وإذا أحزنك أمر فقل: «لا حول ولا قوة إلا بالله» وإذا أبطأ عنك الرزق فقل: «أستغفر الله».

«و سألته من خزائن رحمته ما لا يقدر على إعطائه غيره من زياده الأعمار و صحّحه الأبدان و سعه الأرزاق» في (الاسد) عن أبي ذر عن النبيّ صلّى الله عليه و آله عن جبرئيل عن الله تعالى: يا عبادى لو أنّ أولكم و آخركم، و إنسكم و جنكم كانوا فى صعيد واحد، فسألونى، فأعطيت كلّ إنسان ما سأل لا ينقص ذلك من ملكى شيئاً، إلاّ كما ينقص البحر أن يغمس فيه المخيط غمسه واحده (١).

و فى (العيون): احتبس القمر عن بنى إسرائيل فأوحى تعالى إلى موسى أن أخرج عظام يوسف من مصر، و وعده طلوع الفجر إذا أخرج عظامه، فسأل موسى عمّين يعلم موضعه فقبل له: إنّ هاهنا عجوزا تعلم علمه، فبعث إليها فأتى بها مقعده عمياء، فقال لها: تعرفين موضع قبر يوسف؟ قالت: نعم. قال:

فأخبرينى به. قالت: لا- حتى تعطينى أربع خصال: تطلق لى رجلى، و تعيد لى شبابى، و تردّ إلىّ بصرى، و تجعلنى معك فى الجنّة. فكبر ذلك على موسى عليه السّلام فأوحى تعالى إليه: أعطها ما سألت فإنك إنّما تعطى علىّ. ففعل فدلتّه عليه فاستخرجه من شاطئ النيل فى صندوق مرمر، فلما أخرجّه طلع القمر فحمله إلى الشام، فلذلك يحمل أهل الكتاب موتاهم إلى الشام (٢).

و فى الخبر: إن موسى عليه السّلام قال: يا ربّ إنّك لتعطينى أكثر من أملى. قال:

لأنّك تكثر من قول «ما شاء الله لا قوة إلا بالله» (٣).

ص: ٣٨٨

١-١ (١) اسد الغابه ٣٠١:١-٣٠٢. [١]

٢-٢ (٢) عيون الصدوق ١:٢٠٣ ح ١٨. [٢]

٣-٣ (٣) الكهف: ٣٩. [٣]

«ثم جعل فى يدىك مفاتيح خزائنه بما أذن لك فيه من مساءلته، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب نعمته» فى (الكافى) عن أمير المؤمنين عليه السّلام: الدعاء مفاتيح النجاح و مقاليد الفلاح، وخير الدعاء ما صدر عن صدر تقى و قلب نقى، و فى المناجاة سبب النجاه و بالاخلاص يكون الخلاص، فإذا اشتد الفزع فإلى الله المفزع (١).

و عن الصادق عليه السّلام: الدعاء كهف الإجابة كما أن السحاب كهف المطر، و ما أبرز عبد يده إلى الله العزيز الجبار إلا استجى أن يردها صفرا حتى يجعل فيها من فضل رحمته ما يشاء، فإذا دعا أحدكم فلا يردّ يده حتى يمسحها على وجهه و رأسه، و ان العبد إذا عجل فقام لحاجته يقول تعالى أما يعلم عبدى أنّى أنا الله الذى أفضى الحوائج، و إنّ الله تعالى كره إلحاح الناس بعضهم على بعض فى المسألة و أحب ذلك لنفسه، إنّ الله تعالى يحب أن يسأل و يطلب ما عنده (٢).

«و استمطرت» أى: طلبت عطاء كالمطر، قال الفرزدق:

..... و استمطروا من قريش كلّ منخدع

(٣) «شآبيب» جمع الشؤبوب، الدفعه من المطر.

«رحمته فلا يقطنك» أى: لا يؤسبك.

«إبطاء» أى: تأخير.

«إجابته» و فى (الكشى): قال يونس بن عبد الرحمن: صمت عشرين سنة، و سألت عشرين سنة، ثم أجبت (٤).

ص: ٣٨٩

١- (١) الكافى ٢: ٤٦٨ ح ٢. [١]

٢- (٢) الكافى ٢: ٤٧١ ح ١ و ٢: ٤٧٤ ح ٢، [٢] ح ٢ و ٤٧٥ ح ٤. من لا يحضره الفقيه ١: ٣٢٥ روايه ٩٥٣.

٣- (٣) لسان العرب ١٧٩: ٥، [٣] مادته (مطر).

٤- (٤) الكشى: ٤٨٥، ح ٩١٨.

«فإنَّ العطيَّة على قدر التَّيِّه» لا بمجرد لفظ الدعاء.

و في (الكافي) عن الصادق عليه السَّلام: لَمَّا استسقى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَقَى النَّاسَ حَتَّى قَالُوا إِنَّهُ الْغَرَقُ، وَقَالَ: «اللَّهُمَّ حَوَالِينَا وَلا عَلَيْنَا» فَتَفَرَّقَ السَّحَابُ، قَالُوا لَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ اسْتَسْقَيْتَ لَنَا فَلَمْ نَسُقْ، ثُمَّ اسْتَسْقَيْتَ فَسَقِينَا. قَالَ: إِنَّي دَعَوْتُ وَلا يَسُّ لِي فِي ذَلِكَ تَيْهٌ ثُمَّ دَعَوْتُ وَلا يَسُّ لِي فِي ذَلِكَ تَيْهٌ.

و عنه عليه السَّلام: إنَّ الله تعالى لا يستجيب دعاء بظهر قلب ساه، فإذا دعوت فأقبل بقلبك (١).

«ثم استيقن بالإجابة وربما أخزت عنك الإجابة ليكون ذلك أعظم لأجر السائل، و أجزل» أي: أعظم و أكثر «لِعطاء الأمل» .

في الخبر: بينا إبراهيم عليه السَّلام في جبل بيت المقدس يطلب مرعى غنمه إذ سمع صوتا، فإذا هو برجل قائم يصلِّي، طوله نحو اثني عشر شبرا، فقال له: يا عبد الله لم تصلِّي؟ قال: لإله السماء. قال: فمن أين تأكل؟ قال: أجتني من هذا الشجر في الصيف و آكل في الشتاء. قال له: فأين منزلك؟ فأومى بيده إلى جبل، فقال له إبراهيم: هل لك أن تذهب بي معك فأبيت عندك الليلة؟ فقال: إنَّ قدامي ماء لا يخاض. قال: كيف تصنع. قال: أمشي عليه. قال فاذهب بي معك لعل الله يرزقني ما رزقك. فأخذ العابد بيده فمضيا حتى انتهى إلى الماء فمشى و مشى إبراهيم عليه السَّلام معه حتى انتهى إلى منزله، فقال له إبراهيم: أيَّ الأيام أعظم؟ فقال العابد: يوم الدين، يوم يدان الناس بعضهم من بعض. فقال: هل لك أن ترفع يدك و أرفع يدي فندعوا الله أن يؤمننا من شر ذلك اليوم. فقال: و ما تصنع بدعوتي، فو الله إنَّ لي لدعوه منذ ثلاث سنين ما أجبت فيها بشيء. فقال له إبراهيم: أو لا أخبرك لأى شيء احتبست دعوتك؟ قال: بلى. قال: إنَّ الله تعالى

ص: ٣٩٠

إذا أحبَّ عبدا احتبس دعوته ليناجيه و يسأله و يطلب إليه،و إذا أبغض عبدا عَجَّل له دعوته أو ألقى في قلبه اليأس منها.ثم قال له:و ما كانت دعوته؟قال:

مرّ بي غنم و معه غلام له ذؤابه فقلت:يا غلام!من هذا الغنم؟قال:لإبراهيم خليل الرحمن.فقلت:اللهم ان كان لك.في الأرض خليل فأرنيه.فقال له إبراهيم:فقد استجاب الله لك أنا إبراهيم خليل الرحمن فعانقه.قال:فلما بعث الله محمّدا جاءت المصافحه (١).

«و ربما سألت الشيء فلا تؤتاه» أى:لا تعطاه «و أوتيت» أى:اعطيت «خيرا منه عاجلا أو آجلا أو صرف» ذلك الشيء «عنك لما هو خير لك» قال البحرى:

و الشيء تمنعه تكون بفوته أجدى من الشيء الذى تعطاه

هذا،و فى (الأغانى):قال بعض أصدقاء الحسين بن الضحّاك يوما له:

تأخرت أرزاقك،و نفقتك كثيره،فكيف يمشى أمرك؟فقال له:ما قوام أمرى إلا ببقايا هبات الأمين و هبات جاريه له أغنتنى للأبد،لشئى ظريف جرى على غير تعمد،و هو أن الأمين دعانى يوما فقال:ان جليس الرجل موضع سره،إنّ جارىتى فلانه أحسن الناس وجها و غناء و هى منى بمحل نفسى و نغصت النعمه علىّ بتجنّيتها علىّ و إدلالها بما تعلم من حبي إياها،و إنى محضرها و محضر صاحبها لها ليست منها فى شئى لتغنى معها،فإذا غنّت جارىتى فلا تحسّن غناءها و لا تشرب عليه،و إذا غنّت الاخرى فاشرب و اطرب و اشقق ثيابك،و علىّ مكان كلّ ثوب مئه ثوب.فقلت:السمعه و الطاعه،فجلس فى الخلوه فأحضرنى و سقانى و خلع علىّ،فغنّت المحسنه و قد أخذ الشراب منى فما تماكنت أن استحسنت و طربت و شربت،فأومى إلىّ و قطب فى وجهى،ثم غنّت الاخرى فجعلت أ تكلف ما أقول و أفعله،ثم غنّت المحسنه ثانيه فأنت بما

ص:٣٩١

لم أسمع مثله، فما ملكت نفسي أن صحت و شربت و طربت و الأمين ينظر إلى و يعرض شفتيه غيظاً، و قد زال عقلي فما أفكر فيه حتى فعلت ذلك مراراً، فغضب و أمر بجر رجلي من عنده، فجررت و أمر بأن أحجب بعد، ثم بعد شهر أمر بإحضاري فحضرت و أنا خائف، فضحك إليّ و قام و قال: اتبعني، و دخل الي تلك الحجره بعينها و لم يحضر غيري و غنت المحسنه التي نالني من أجلها ما نالني، فسكت، فقال لي: قل ما شئت و لا تخف لقد خار الله لك بخلافي و جرى القدر بما تحب، إن هذه الجاريه عادت إلى الحال التي أريد منها فسألتنى الرضا عنك و قد فعلت و وصلتك بعشره آلاف دينار و وصلتك هي بدون ذلك لو كنت فعلت ما قلت لك حتى تعود إلى مثل هذه الحال ثم تحقد ذلك عليك فتسألني ألا تصل إليّ لأجبتها، فدعوت له و حمدت الله على توفيقه و انصرفت، فما كان يمضى اسبوع إلا و أطفافها تصل إليّ من الجواهر و الثياب و المال، و ما جالست الأمين مجلساً بعد ذلك إلا سألته أن يصلني، فكل شيء أنفقه إلى هذه الغايه من فضل مالها و ما ادّخرت من صلاتها (١).

«فلربّ أمر قد طلبته فيه هلاك دينك لو أوتيته» فكان بنو إسرائيل يقولون لموسى عليه السلام: «أوذينا من قبل أن تأتينا و من بعد ما جئتنا» (٢) فقال لهم موسى «عسى ربكم أن يهلك عدوكم و يستخلفكم في الأرض فينظروا كيف تعملون» (٣)، فلما أهلك الله تعالى فرعون و صاروا خلفاء الأرض صاروا مثل فرعون، فكانوا يقتلون أنبياء الله و عبدوا العجل.

و في (عيون ابن قتيبه): قال عبد الصمد بن يزيد: استخبروا الله و لا تخيروا عليه، فكم من عبد تخير لنفسه أمراً كان فيه هلاكه، أما رأيتم من سأل

ص: ٣٩٢

١- (١) الأغاني ٧: ٢٠٥، [١] دار احياء التراث العربى-بيروت.

٢- (٢) الأعراف: ١٢٩. [٢]

٣- (٣) الأعراف: ١٢٩. [٣]

رَبِّهِ طَرَسُوسَ فَأَعْطَاهَا فَأَسْرَ فَصَارَ نَصْرَانِيَا.

و في (الكافي) عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ تَعَالَى: إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ عِبَادًا لَا يَصْلِحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ إِلَّا بِالْغِنَى وَ السَّعَةِ وَ الصَّحَةِ فِي الْبَدَنِ فَيَصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ بِهَا، وَ إِنَّ مِنْ عِبَادِي الْمُؤْمِنِينَ لِعِبَادًا لَا يَصْلِحُ لَهُمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ إِلَّا بِالْفَاقَةِ وَ الْمَسْكِنَةِ وَ السَّقَمِ فَيَصْلِحُ عَلَيْهِمْ أَمْرٌ دِينُهُمْ فَأَبْلُوهُمْ بِهَا، وَ إِنَّ مِنْ عِبَادِي لِمَنْ يَجْتَهِدُ فِي عِبَادَتِي فَيَقُومُ مِنْ رِقَادِهِ وَ لَذِيذِ وَ سَادِهِ فَيَتَهَيَّجُ لِي اللَّيَالِي فَيَتَعَبُ نَفْسَهُ فِي عِبَادَتِي فَأُضْرِبُهُ بِالنَّعَاسِ اللَّيْلَةَ وَ اللَّيْلَتَيْنِ نَظْرًا مَنَى لَهُ وَ إِبْقَاءً عَلَيْهِ فَيَنَامُ حَتَّى يَصْبِحَ وَ هُوَ مَاقَتٌ لِنَفْسِهِ زَارٌ عَلَيْهَا، وَ لَوْ أَخْلَى بَيْنَهُ وَ بَيْنَ مَا يَرِيدُ لَدَخَلَهُ الْعَجَبُ، فَيَأْتِيهِ مِنْ ذَلِكَ مَا فِيهِ هَلَاكَةٌ لِعَجْبِهِ (١).

«فلتكن مسألتك فيما يبقى لك جماله و ينفي عنك وباله» من المعنويات و الامور الدنيويه التي لا تضرّ بدینک.

«و المال لا يبقى لك» إن بقيت.

«و لا تبقى له» إن بقي «و تَرَكْتُمْ مَا حَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ» (٢).

إلى أن قال: «و اعلم يقينا انك لم تبلغ أملك» لعدم حدّ لآمال الإنسان.

«و لن تعدو» أى: لن تجاوز.

«أجلک» «فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَ لَا يَسْتَفْتِدُونَ» (٣).

«و انك في سبيل من كان قبلك» «و كلّ حيّ سالك السبيل».

«فخفف» أى: خفف.

«في الطلب و أجمل» و لا تأت بما يستقبح.

ص: ٣٩٣

[١- ١] الكافي ٢: ٦٠، رواه ٤: ١ [١]

[٢- ٢] الأنعام: ٩٤. [٢]

[٣- ٣] النحل: ٦١. [٣]



«فى المكتسب، فإنه ربّ طلب قد جرّ إلى حرب» أى: سلب المال، و مثله قولهم «ربّ طمع أدنى إلى عطب» أى: هلاكه، و فى ديوان النابغه:

و اليأس ممّا فات يعقب راحه و لرب مطمعه تعود ذباحا

«فليس كلّ طالب بمرزوق، و لا- كلّ مجمل بمحروم» علّه لقوله عليه السّلام: «خفّض فى الطلب و أجمل فى المكتسب» و بدله روايه الكلينى بقوله «و ليس كلّ طالب بناج و لا كلّ مجمل بمحتاج» (١). و كيف كان فقال ابن عبدل:

قد يرزق الخافض المقيم و ما شدّ بعنس رحلا و لا قنبا

و يحرم الرزق ذو المطيه و الرح ل و من لا يزال مغتربا

و لآخر:

و ليس رزق الفتى من فضل حيلته لكن حظوظ بأرزاق و أقسام

كالصيد يحرمه الرامى المجيد و قد يرمى فيحرزه من ليس بالرام

و قال البحترى:

خفّض أسى عمّا شاء ك طلابه ما كلّ شائم بارق يسقاه

و قد تناهى الأسد من دون صيدها شباعا و تغشى صيدها و هى جوع

و فى (المعجم): دخل الناشى الأحصى على سيف الدوله فأنشده قصيده له فيه، فأعتذر سيف الدوله بضيق اليد يومئذ، فخرج من عنده فوجد على باب كلابا تذبح لها السخال و تطعم لحومها، فعاد إليه و أنشده:

رأيت بباب داركم كلابا تغذّيها و تطعمها السخالا

فما فى الأرض أدبر من أديب يكون الكلب أحسن منه حالا

ثم اتفق أن حمل إلى سيف الدوله أموال من بعض الجهات على بغال، فضاع منها بغل بما عليه و هو عشره آلاف دينار، و جاء هذا البغل حتى وقف

ص: ٣٩٤

على باب الناشى بالاحص، فسمع حسه فظنه لصا فخرج إليه بالسلاح فوجده بغلا موقرا بالمال، فأخذ ما عليه من المال و أطلقه، ثم دخل حلب و دخل على سيف الدوله و أنشد قصيده يقول فيها:

و من ظن أن الرزق يأتي بحيله فقد كذبه نفسه و هو آثم

يفوت الغنى من لا ينام على السرى و آخر يأتي رزقه و هو نائم

فقال له سيف الدوله: بحياتي وصل اليك مال كان على البغل. قال: نعم.

قال: خذه بجائزتك مباركاً لك فيه، فقيل لسيف الدوله: كيف عرفت ذلك؟ قال:

عرفته من قوله «و آخر يأتي رزقه و هو نائم» بعد قوله «يكون الكلب منه أحسن حالاً»، و قال البحترى:

و عجت للمحدود يحرم ناصبا كلفا و للمجدود يغتم قاعدا

«و اكرم نفسك عن كل» صفه «دنيه و إن ساقتك إلى الرغائب» جمع الرغيبه العطاء الكثير.

رأى أعرابي إبلى رجل قد كثرت بعد قلبه، فسأل عن العله قيل له: إنه زوج أمه فجاءته بنافجه. فقال: اللهم إنا نعوذ بك من بعض الرزق. قال البحترى:

خلّ الثراء إذا أخزت مغبته و اختر عليه على نقصانه العدا

«فإنك لن تعترض بما تبذل من نفسك عوضاً» قال الشاعر:

إن الهوى دنس النفوس فليتني طهرت هذى النفس من أدناسها

و مطامع الدنيا تدلّ و لا أرى شيئاً أعزّ لمهجه من ياسها

أيضا:

إذا أظمأتك أكف اللّثام كفتك القناعه شبعاً و رياً

فكن رجلاً رجله فى الثرى و هامه همته فى الثرى

أبياً لنائل ذى ثروه تراه بما فى يديه أبياً

«ولا- تكن عبد غيرك و قد جعلك الله حرًا» في (شعراء ابن قتيبه): أصاب عروه بن الورد العبسي في الجاهليه في بعض غاراته امرأه من كنانه فاتخذها لنفسه فأولدها و حجّ بها و لقيه قومها و قالوا: فادنا بصاحبتنا فإننا نكره أن تكون سبيّه عندك. قال: على شريطه. قالوا: و ما هي؟ قال: على أن تخيروها بعد الفداء، فإن اختارت أهلها أقامت فيهم، و ان اختارتني خرجت بها.

و كان يرى أنّها لا- تختار عليه، فأجابوه إلى ذلك و فادوه بها، فلما خيروها اختارت قومها، ثم قالت له: اما إنني لا أعلم امرأه ألقنت سترًا على خير منك أغفل عينا و أقل فحشا و أحمى لحقيقه، و لقد أقمت معك و ما من يوم يمضي إلّا و الموت أحبّ إليّ من الحياه فيه، و ذلك أنّي كنت أسمع المرأه من قومك تقول:

«قالت أمه عروه كذا، و فعلت أمه عروه كذا» و الله لا نظرت في وجه غطفانيه، فارجع راشدا و أحسن إلى ولدك (1).

و في (أدب كتاب الصولي): كتب رجل إلى المهدي كتابا عنوانه «عبده فلان» فقال: لا أعلمن أحدا نسب نفسه إلى عبوده في كتاب فإنّه ملق كاذب و ليس يقبله إلّا متكبر أو غبيّ.

و رأى طاهر بن الحسين رقعته كتبها ابنه عبد الله إلى المأمون عليها «عبده» فقال: يا بنيّ اسميتك عبد الله و كذلك أنت فلا تشركنّ في الملك أحدا، فإنّه جعلك بإنعامه حرًا لا مولى لك سواه.

و كان أحد العرفاء و زيرا لسلطان، فاستوحش منه فكتب إليه السلطان يستعطفه، فأجابه بأنّي كنت حرًا في جبلتي فعبدني إحسان السلطان و رجعتي استيحاشه إلى أصل الفطره، فلا أعود بعد إلى العبوديه

لَمَا أَنْقَذَنِي اللَّهُ مِنْهَا.

و لبعضهم: لرد أمس بالحبال، و حبس عين الشمس بالعقال، و نقل ماء البحر بالغربال، أهون عليّ من ذلّ السؤال، واقفا على باب مثلي أرتجى منه النوال. و قيل بالفارسيه:

گر بخارد پشت من انگشت من خم شود از بار منت پشت من

و كان عارف مقيما على نهر يقات من الأعلاف التي يجيء بها الماء، فمر به جندي فقال: لو كنت مثلي تخدم السلاطين لما كان قوتك مثل هذا. فقال له: لو كنت قانعا مثلي لما صرت عبدا و خادما للناس.

«و ما خير خير لا ينال إلا بشرّ، و يسر لا ينال إلا بعسر» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) و لكن في نسخه ابن ميثم «و ما خير خير لا يوجد إلا بشرّ و لا ينال إلا بعسر» (١).

و كيف كان، ففي (أمثال العسكري): كان أهل بيت زراره حضان الملوک، فافتخر بذلك حاجب بن زراره فقال:

حللنا بأثناء العذيب و لم تكن تحل بأثناء العذيب الركائب

لنكسب مالا أو نصيب غنيمه و عند ابتلاء النفس تدنو الرغائب

حضنا ابن ماء المزن و ابن محرّق إلى أن بدت منهم لحي و شوارب

فعابه الناس و قالوا: ما رأينا من يفتخر بالمعائب، و ذلك أن الظئر خادمه و الخدمه تضع و لا ترفع. و قيل: تجوع الحرّه و لا تأكل بنديها، و قالوا: العبد حرّ ما قنع، و الحرّ عبد ما طمع (٢).

و قال أخو ذى الرّمه لمن أراد سفرا: إنّ لكل رفقه كلبا يشركهم في فضله

ص: ٣٩٧

(١-١) شرح ابن أبي الحديد ٩٣:١٦. [١]

(٢-٢) جمهره الأمثال ٢٦١:١، [٢] دار الجيل-بيروت.

الزاد و يهر دونهم، فإن قدرت ألا تكون كلب الرفقه فافعل .

«و إِيَّاكَ أَنْ تَوْجِفَ بَكَ» الإيجاف: السّير السريع، قال تعالى: «فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ» (١).

«مطايا» أي: دواب.

«الطمع فتوردك مناهل» في (الصحاح) المنهل: عين ماء ترده الابل في المرعى، و تسمى المنازل التي في المفازة على طريق السفر، مناهل، لأن فيها ماء (٢).

«الهلكه» قال الشاعر:

طمعت بليلى أن تريع و إنّما تقطّع أعناق الرجال المطامع

أيضا:

و ارفض دنيئات المطامع إنّها شين يعزّ و حقّها أن ترفضا

أيضا:

رأيت مخيله فطمعت فيها و في الطمع المذله للرقاب

و في (الطبرى) فى وقايح سنه (٢٨٧) أسر إسماعيل بن أحمد السامانى عمرو ابن الليث الصفّار، و كان من خبرهما أن عمرا سأل السلطان أن يولّيه ما وراء النهر، فولّاه ذلك و وجه إليه و هو مقيم بنيسابور بالخلع و اللّواء على ما وراء النهر، فخرج لمحاربه إسماعيل، فكتب إليه إسماعيل، إنّك قد وليت دنيا عريضه و إنّما فى يدك ما وراء النهر و أنا فى ثغر فافنع بما فى يدك و اتركنى مقيما بهذا الثغر، فأبى إجابته، فذكر له أمر نهر بلخ و شدّه عبوره فقال: لو أشاء أن أسكره بيدر الأموال و أعبره لفعلت. فلما أيس إسماعيل من انصرافه

ص: ٣٩٨

[١-١] الحشر: ٦. [١]

[٢-٢] الصحاح ١٨٣٧: ٥، [٢] دار العلم للملايين-بيروت.

عنه جمع من معه و التّناء و الدّهاقين و عبر النهر إلى الجانب الغربي، و جاء عمرو فنزل بلخ و أخذ عليه اسماعيل النواحي، فصار كالمحاصر و طلب المحاجزه فيما ذكر فأبى إسماعيل عليه ذلك، فلم يكن بينهما كثير قتال حتى انهزم عمرو فولى هاربا و مرّ بأجمه فى طريقه قيل له إنّها أقرب، فقال لعامه من معه امضوا فى الطريق الواضح، و مضى فى نفر يسير فدخل الأجمه، فوحت دابته فوحت و لم يكن له فى نفسه حيله، و مضى من معه و لم يلوا عليه، و جاء أصحاب اسماعيل فأخذوه أسيرا (١).

«فان استطعت ألاّ يكون بينك و بين الله ذو نعمه فافعل» فى (القصص): لما سلب سليمان عليه السّلام ملكه خرج على وجهه فضاف رجلا- عظيما فأضافه و أحسن إليه و نزل منه منزلا- عظيما لما رأى من صلاته و فضله و زوجه بنته، فقالت له بنت الرجل: بأبى أنت و أمى ما أطيب ريحك و أكمل خصالك! إلا أعلم فيك خصله أكرهها إلا أنّك فى مثونه أبى. فخرج سليمان حتى أتى الساحل، فأعان صيادا ثمه فأعطاه السمكه التى وجد فى بطنها خاتمه (٢).

و قال الجاحظ: عليه أصحاب السلطان و مصاصهم و ذوو البصائر منهم يعترفون بفضيله التجار و يتمنون حالهم و يحكون لهم بسلامه الدين و طيب الطعمه و يعلمون أنّهم أودع الناس بدنا و أنأهم عيشا و آمنهم سربا، لأنهم فى أفئنتهم كالملوك على أسرتهم يرغب إليهم أهل الحاجات و ينزع إليهم ملتمسو البياعات، لا- تلحقهم الذلّه فى مكاسبهم و لا- يستعبدهم الضرع لمعاملاتهم، و ليس هكذا من لابس السلطان بنفسه و قاربه بخدمته، فإنّ أولئك لباسهم الذلّه و شعارهم الملق و قلوبهم ممن هم لهم خول مملوءه، قد لبسها

ص: ٣٩٩

١- (١) تاريخ الطبرى ١٠: ٧٦، [١] دار سويدان-بيروت.

٢- (٢) أخرجه امالى الطوسى ٢: ٢٧٢، المجلس ١٧. [٢] بحار الأنوار ٢: ٦٩، باب ٥، روايه ٣. [٣]

الرعب و ألفها الذلّ و صحبها ترّقّب الاجتياح، و هم مع هذا فى تكدير و تنغيص خوفا من سطوه الرئيس و تنكيل الصاحب و تغير الدوله و اعتراض حلول المحن، فإن هى حلت بهم - و كثيرا ما تحلّ - فناهيك بهم مرحومين يرقّ لهم الأعداء فضلا عن الأولياء، فكيف لا يميّز بين من هذا ثمره اختياره و غايه تحصيله و من قد نال الوفاء عنه و الدعه و سلم من البوائق مع كثره الأثر و قضاء اللذات من غير منه لأحد، و من استرقّه المعروف و استعبده الطمع و لزمه ثقل الصنيعه، و طوّق عنقه الامتنان و استرهن بتحمّل الشكر.

«فإنّك مدرك قسمك و آخذ سهمك» فى (تاريخ بغداد): قال المأمون يوما و هو مقطب لأبى دلف: أنت الذى يقول فيه الشاعر:

إنّما الدنيا أبو دلف عند بادية و محتضره

فإذا ولى أبو دلف و لّت الدنيا على أثره

فقال له أبو دلف: شهاده زور و قول غرور و ملق معتب و طالب عرف، و أصدق منه ابن اخت لى حيث يقول:

دعنى أجوب الأرض ألتمس الغنى فلا الكرج الدنيا و لا الناس قاسم

فضحك المأمون و سكن غضبه (١).

«و ان اليسير من الله سبحانه أعظم و أكرم» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(أكرم و أعظم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢).

«من الكثير من خلقه و إن كان كلّ منه» زاد فى روايه (التحف) (و لو نظرت - و لله المثل الأعلى - فيما يطلب من الملوك و من دونهم من السفله، لعرفت أنّ لك فى يسير ما تصيب من الملوك افتخارا، و أنّ عليك فى

ص: ٤٠٠

١- (١) تاريخ بغداد ١٢: ٤٢١، [١] دار الكتاب العربى - بيروت.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٩٣: ١٦. [٢]

كثير ما تصيب من الدناه عارا) (١).

سير النواعج فى بلاد مصله ىمسى الدليل بها على ملمال

خير من الطمع الدنى و مجلس بفناء لا طلق و لا مفضل

فاقصد لحاجتك المليك فائه يغنيك عن مترفع مختال

«و تلافيك ما فرط من صمتك أيسر من إدراكك على ما فات من منطقك» هذا أحد الأدله على أفضليه الصمت على النطق، و قالوا فى مثله: «الندم على السكوت خير من الندم على القول» (٢)، أيضا «عى صامت خير من عى ناطق» (٣).

هذا، و زاد فى روايه (التحف) قبله: (و فى الصمت السلامه من الندامه) (٤).

«و حفظ ما فى الوعاء» أى: الظرف و الآنيه.

«بشد» أى: بعقد.

«الوكاء» قال الجوهري: الوكاء، الذى يشدّ به رأس القربه (٥).

و فى الخبر: إنّ من أعطاه الله تعالى مالا و لم يقم عليه كما ينبغى فذهب ماله ثم دعا بأن يعطيه ثانيا كان ممّن لا يستجاب له، و يقال له قد أعطيت فلم لم تحفظ (٦).

و فى (الأغانى): قال اسحاق الموصلى: قال ابو المحب- أو غيره- دعا رجل من الحى يقال له أبو سفيان، القتال الكلابى إلى وليمه، فجلس القتال ينتظر رسوله و لا يأكل حتى ارتفع النهار و كانت عنده فقره

ص: ٤٠١

١- ١) تحف العقول: ٧٨، مؤسسه النشر الإسلامى - قم.

٢- ٢) مجمع الأمثال للميدانى ٢: ٣٤٦، [١] الزمخشري ١: ٣٥٣. [٢]

٣- ٣) مجمع الأمثال للميدانى ٢: ٢٩، [٣] الزمخشري ٢: ١٧٥. [٤]

٤- ٤) تحف العقول: ٧٩، طبعه مؤسسه النشر الإسلامى - قم.

٥- ٥) الصحاح للجوهري ٦: ٢٥٢٨، [٥] دار العلم للملايين - بيروت.

٦- ٦) أخرجه الكافى ١٠: ٥١٠-٢-١، ١١: ٥١١-٣. [٦]



من حوار فقال لامرأته:

فإن أبا سفيان ليس بمولم فقومي فهاتي فقره من حوارك

قال إسحاق: فقلت له ثم مه. قال: لم يأت بعده بشيء. فقلت له: أ فلا أزيدك إليه بيتا آخر ليس بدونه. قال: بلى. قلت:

فبيتك خير من بيوت كثيرة و قدرك خير من وليمه جارك

فقال: والله لقد أرسلته مثلا و ما يلام الخليفة أن يدنيك و يؤثرك (١).

هذا، و زاد في روايه (التحفة) قبله: «و لا تحدّث إلا عن ثقته، فتكون كاذبا و الكذب ذلّ» (٢).

«و حفظ ما في يديك أحبّ إلى من طلب ما في يد غيرك» من أمثالهم «عمك خرجك» (٣)، و أصله أن رجلا سافر بلا زاد  
برجاء خرج عمه، فمنعه منه و قال له عمك خرجك.

و في الخبر: لو يعلم الناس ما في السؤال لما سأل أحد أحد (٤). و قال بعضهم: أحفظ مالي و يصير بعدى إلى أعدائي أحبّ إلى  
من أن يذهب مالي فأحتاج إلى أصدقائي. و قال:

استغن أو مت و لا يغرك ذو نشب من ابن عمّ و لا عمّ و لا خال

إنّي أكبّ على الزوراء أعمارها إنّ الكريم على الأرقام ذو المال

و لأبي هلال العسكري:

فلو أتى جعلت أمير جيش لما قاتلت إلا بالسؤال

فإنّ الناس ينهزمون منه و قد ثبتوا لأطراف العوالي

ص: ٤٠٢

١- (١) الأغاني ٢٧٥: ٥- [١] دار احياء التراث العربى-بيروت.

٢- (٢) تحفة العقول: ٧٩، طبعه دار النشر الاسلامى-قم.

٣- (٣) مجمع الأمثال للميداني ٢٧: ٢، الزمخشري ١٦٨: ٢.

٤- (٤) الكافي ٢٠: ٤ ح ٢. [٢]

«و مراره اليأس خير من الطلب إلى الناس» و زاد في روايته (التحفة) «و حسن التدبير مع الكفاف أكفى لك من الكثير مع الاسراف» قال قتال الكلابي «و في الصرم إحسان إذا لم ينؤل» (١).

و قالوا: دعا حذيفه ابنه عند موته فقال له: أظهر اليأس ممّا في أيدي الناس فإنّ فيه الغنى، و إيتاك و طلب الحاجات إلى الناس فإنّه فقر حاضر.

و قال اعرابي لرجل مطله في حاجته: إنّ مثل الظفر بالحاجه، تعجّل اليأس منها إذا عسر قضاؤها، و إنّ الطلب و إن قلّ، أعظم قدرا من الحاجه و إن عظمت. و قالوا:

و تركك مطلب الحاجات عز و مطلبها يذلّ عرى الرقاب  
و قالوا:

لئن طببت نفسا عن ثنائي فإنّني لأطيب نفسا عن نداك على عسرى  
«و الحرفه» قالوا محارف بفتح الراء خلاف مبارك، قال الراجز:

محارف بالشاء و الأباعر مبارك بالقلعيّ الباتر

«مع العفه، خير من الغنى مع الفجور» لأنّ الفجور مستتبع لفقر الآخره الذي هو أصل الفقر.

هذا، و قريب من قوله عليه السّلام قولهم: «قرب الدار في إقتار، خير من العيش الموسع في اغتراب».

«و المرء أحفظ لسره» و كان عليه السّلام - كما في (عيون ابن قتيبه) - يتمثّل بهذين البيتين:

و لا تفش سرّك إلا اليك فإنّ لكل نصيح نصيحا

ص: ٤٠٣

فإني رأيت غواه الرجال لا يتركون أديما صحيحا (١)

و قيل لاعرابي: كيف كتمانك للسر؟ قال: ما قلبي له إلا قبر.

و كانت الحكماء تقول: سرّك من دمك. و قال الشاعر:

و لو قدرت على نسيان ما اشتملت منّي الضلوع من الأسرار و الخبر

لكنت أول من ينسى سرائره إذ كنت من نشرها يوما على خطر

أيضا:

إذا ما ضاق صدرك عن حديث فأفشته الرجال فمن تلوم؟

إذا عاتب من أفشى حديثي و سرّي عنده فأنا الظلوم

أيضا:

إذا أنت لم تحفظ لنفسك سرّها فسرك عند الناس أفشى و أضيع

و فيه: قرأت في (التاج): أن بعض ملوك العجم استشار وزراءه فقال أحدهم: ليس للملك أن يستشير منّا أحدا إلا خاليا به، فإنه أموت للسرّ و أحزم للرأى، و أجدر بالسلامة و أعفى لبعضنا من غائله بعض، فإنّ إفشاء السرّ إلى رجل واحد أو ثق من إفشائه إلى اثنين، و إفشائه إلى ثلاث كإفشائه إلى العامّة، لأن الواحد رهن بما أفشى إليه، و الثاني يطلق عنه ذلك الرهن، و الثالث علاوه فيه، و إذا كان سرّ الرجل عند واحد كان أخرى ألا يظهره رهبه منه و رغبه إليه، و إذا كان عند اثنين دخلت على الملك الشبهه و اتسعت على الرجلين المعاريض، فإن عاقبهما عاقب اثنين بذنب واحد و إن اتّهمهما اتّهم بريئا بجنايه مجرم، و ان عفا عنهما كان العفو عن أحدهما و لا ذنب له و عن الآخر و لا حجّه معه (٢).

ص: ٤٠٤

١-١) عيون الأخبار ٩٧: ١، [١] دار الكتب العلميّة-بيروت.

٢-٢) عيون الأخبار ٨٢: ١، [٢] دار الكتب العلميّة بيروت-.

و عن عمرو بن العاص: إذا أفضيت سرّي إلى صديق فاذاعه فهو في حلّ. قيل له: وكيف؟ قال: لأنّي كنت أحقّ بصيانتته.

هذا، و أما قول جميل بشينه:

أموت و ألقى الله يا بن لم أبح بسرّك و المستخبرون كثير

فإنّه و إن قال لفظاً إنه لا يبوح بسرّها إلا أن شعره هذا كان نشرها لسرّها لأهل عصرها جميعاً و لكلّ عصر بعده، فهو أنشر للسر من أعرابي قال:

و لا أكنتم الأسرار لكن أنتمّها و لا أدع الأسرار تغلى على قلبى

و إنّ قليل العقل من بات ليله تقلّب الأسرار جنباً إلى جنب

«و رب ساع فيما يضره» و قالوا: «رب طائر بجناحه إلى موضع اجتياحه».

فى (أذكىاء ابن الجوزى): خرج ابن أبى الطيب القلانسى الكاتب النصرانى فى سنه تيف و أربعين و ثلاثمئة من جنديسابور إلى بعض شأنه فى الرستاق، فأخذه الأكراد و عدّبوه و طالّبوه أن يشتري نفسه منهم، فلم يفعل و كتب إلى أهله: أنفذوا إلى أربعه دراهم أفيون و اعلموا أنّى أشربها فتلحقنى سكتة فلا يشك الأكراد أنّى متّ، فيحملونى إليكم فإذا حصلت عندكم فأدخلونى الحمّام و اضربونى ليحمى بدنى و سوكونى بالأرياح، و كان سمع أن من شرب أفيونا أسكت فإذا أدخل الحمّام و ضرب و سوك بالأرياح برأ و لم يعلم مقدار الشرب فشرب أربعه دراهم فلم يشك الأكراد فى موته فلفوه فى شىء و أنفذوه إلى أهله فلما حصل عندهم أدخلوه الحمّام و ضربوه و سوّكوه فما تحرّك، و أقيم فى الحمّام أياماً و رآه أهل الطب فقالوا: قد تلف كم شرب؟ قالوا: أربعه دراهم. قالوا: لو شوى هذا فى جهنم ما عاش، إنّما يجوز هذا عن شرب أربعه دوانيق أو حوالى درهم، فلم يفعل أهله و تركوه فى الحمّام حتى

وفيه: روى أنّ بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج و كان يعذّبه، و كان كلّ من مات في الحبس رفع خبره إلى الحجاج فيأمر باخراجه و تسليمه إلى أهله، فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم و أخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج خبري، و إن شئت أن تهرب معي فافعل و عليّ غناك أبدا، فأخذ السجان المال و رفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج مثل هذا لا يجوز تسليمه إلى أهله حتى أراه، فعاد إلى بلال فقال: أعهد ان الحجاج قال كيت و كيت فإن لم أحضرك إليه ميتا قتلني و علم أنني أردت الحيله عليه و لا بدّ أن أقتلك خنقا، فبكى بلال و سأله ألا يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى فأخذ السجان و خنقه و أخرج إلى الحجاج، فلما رآه ميتا قال سلمه إلى أهله، فكان اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم (٢).

هذا، و قال ابن أبي الحديد في شرح هذا الكلام: كتب عبد الحميد الكاتب إلى أبي مسلم: «لو أراد الله بالنملة صلاحا لما أنبت لها جناحا» (٣). و هو كما ترى، فالكلام في السعي فيما يضّر، و نبت الجناح للنمل ليس سعيها منها.

«من أكثر أهجر» قال النبي صلّى الله عليه و آله كما في (مجازات المصنّف): «ألا أخبركم بأبغضكم إليّ، و أبعدكم منّي مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون. قال المصنّف في شرحه: المراد، الذين يكثرون الكلام، و يتعمّقون فيه طلبا للتكلف، و خروجا عن القصد، و أصل الثرثار مأخوذ من العين الثرثاره، و هي الواسعه

١- ١) كتاب الأذكياء: ١٢٥- دار الكتب العلميّه- بيروت.

٢- ٢) كتاب الأذكياء: ١٢٦- دار الكتب العلميّه- بيروت.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ٩٦: ١٦. [١]

الأرجاء، الغزيره الماء، و«متفیهق» من قولهم فهق الغدير و يفهق إذا كثر ماؤه (١). و يأتي الإهجار أيضا بمعنى الهجر و الهديان و الخناء. قال الشماخ:

كما جده الأعراق قال ابن ضرّه عليها كلاما جار فيه و أهجرا (٢)

«و من تفكّر أبصر» العاقبه، و لذا ورد: تفكّر ساعه خير من عباده سنه .

«قارن أهل الخير تكن منهم و باين أهل الشر تبين» أي: تنفصل «عنهم» من وصايا لقمان لابنه: يا بني كن عبدا للأخيار و لا تكن ولدا للأشرار (٣).

و في (الكافي) عن الصادق عليه السلام: لا تصحبوا أهل البدع و لا تجالسوهم فتصيروا عند الناس كواحد منهم.

قال النبي صَلَّى الله عليه و آله: المرء على دين خليله و قرينه (٤).

«بئس الطعام الحرام» و عنه عليه السلام- كما في (الفقيه)- ما من عبد إلا- و به ملك موكل يلوى عنقه حتى ينظر إلى حدثه، ثم يقول له الملك: يا بن آدم هذا رزقك، فانظر من أين أخذته، و إلى ما صار، فينبغي للعبد عند ذلك أن يقول:

«اللهم ارزقني الحلال و جنبني الحرام» (٥).

و قال ابن أبي الحديد: كلامه هذا من قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَ سَيَصِيلُونَ سَعِيرًا» (٦) و هو كما ترى، فإنّ الكلام في مطلق طعام الحرام و لو من كبير، مع أن أكل مال اليتيم الذي يستتبع تلك العقوبه ليس منحصرًا بأكل طعامه، بل يشمل

ص: ٤٠٧

١- ١) مجازات: ١٨٧.

٢- ٢) لسان العرب ٢: ٢٥٣، ٥، [١] ماده (هجر).

٣- ٣) معاني الأخبار: ٢٥٣ ح ١. بحار الأنوار ١٨٦: ٧٤-روايه ٤-باب ١٣. [٢]

٤- ٤) الكافي ٢: ٦٤٢، الروايه ١٠ و ٢: ٣٧٥ [٣] الروايه ٣.

٥- ٥) من لا يحضره الفقيه ١: ١٦ ح ٣.

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ١٠: ١٦. و الآيه ١٠ [٤] من سوره النساء.

ما لو غصب مساكنه أو ملبسه أو مراكبه. وبالجملة خصص ما هو غير خاص و عمّم ما هو غير عام من الكلام.

«و ظلم الضعيف أفحش الظلم» كظلم النساء و الصبيان، فإنه أفحش من ظلم الرجال و الكبار.

قال الصادق عليه السلام- كما في (الفقيه)- اتقوا الله في الضعيفين، يعني بذلك اليتامى و النساء (١).

«إذا كان الرفق خرقاً كان الخرق رفقاً» في (شعراء القتيبي): أتى النابغه الجعدي النبي صلى الله عليه و آله و أنشده:

و لا خير في حلم إذا لم يكن له بوادٍ تحمى صفوه أن يكدرها

و لا خير في جهل إذا لم يكن له حليم إذا ما أورد الأمر أصدرها

فقال له النبي: لا يفضض الله فاك- فغبر دهره لم ينقض له سن- و كان معمرًا نادم المنذر و أدرك الأخطل (٢).

و في رجز ليبيد على زياد العبسي لما طعن في بني جعفر الكلاب- و هم بنو ابي ليبيد- عند النعمان بن المنذر «يا ربّ هيجا هي خير من دعه».

و قال ابن أبي الحديد: قال عمرو بن كلثوم:

ألا لا يجلهن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا

و في المثل «إنّ الحديد بالحديد يفلح»، و قال زهير:

و من لا يذد عن حوضه بسلاحه يهدّم و من لا يظلم الناس يظلم (٣)

و هو كما ترى، فان المثل و البيتين في مقام و كلامه عليه السلام في مقام.

ص: ٤٠٨

١- ١) من لا يحضره الفقيه ٣: ٢٤٨ ح ١.

٢- ٢) الشعر و الشعراء: ١٧٧، [١] دار الكتب العلميّه-بيروت.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠١: ١٦. [٢]

نعم نقله بيت المتنبى:

و وضع الندى فى موضع السيف بالعلام مضرّ كوضع السيف فى موضع الندى

مربوط.

«ربما كان الدواء داء و الداء دواء» فى (وزراء الجهشياري): كان للبرامكة عند الحسن بن عيسى (كاتب عمرو بن مسعده) معروف، فلما حملوا إلى الرقه استقبل الحسن -و هو يسير- يحيى، فلما بصر به قال لا يرانى الله أمنعه من نفسى فى هذا الوقت شيئاً كنت أبذله له قبل ذلك اليوم، فنزل عن دابته مترجلاً له فصاح به إياك إياك، فلم يلتفت إلى زجره، فلما دنا قال له يحيى: افهم عني أن هذا الأمر لو بقى فيمن كان قبلنا لم يصل إلينا، و لو بقى فينا لم يصل إلى من بعدنا، و لا بدّ للأعمال من تصرف و للامور من تنقل، قد كنا قبل اليوم دواء فأصبحنا داء، فلا تعد. قال: فكنت أراه بعد ذلك فلا أفعل ما أنكره.

و قالوا: الضبع إذا وقعت فى الغنم عاثت و لم يكتف بما يكتفى به الذئب، فإذا اجتمع الذئب و الضبع فى الغنم سلمت، لأن كل واحد منهما يمنع صاحبه، و العرب تقول فى دعائها: «اللهم ضبعا و ذئبا» أى: اجمعهما فى الغنم لتسلم.

و منه قول الشاعر:

تفرقت غنمى يوما فقلت لها يا ربّ سلط عليها الذئب و الضبعا

و قالوا: خرج قوم إلى الصيد فطردوا ضبعا فتبعوها حتى ألجئوها إلى خباء اعرابى، فاقتحمته فخرج إليهم فقالوا: صيدنا و طريدتنا. قال: كلاً -لا- تصلون إليها ما ثبت قائم سيفى فى يدي، فرجعوا و تركوها، فقام اعرابى إلى لقحه له فحلبها و قرب إليها الحليب و قرب إليها ماء، فأقبلت مره تلغ من هذا و مره تلغ من هذا حتى سمت، فبينما اعرابى نائم إذ و ثبت عليه فبقرت بطنه

ص: ٤٠٩



و شربت دمه و أكلت حشوته و خرجت، فجاء ابن عم له فوجده على تلك الصورة فالتفت إلى موضع الضبع - و كنيته أم عامر - فأخذ كنانه و اتبعها حتى أدركها فقتلها، و قال:

و من يصنع المعروف مع غير أهله يلاقى الذى لاقى مجير أم عامر

و منه المثل « كمجير أم عامر » (١).

و فى (الطبرى): جلس المنصور للمدتين مجلسا عاميا - و كان وفد إليه منهم جمع - فقال: لينتسب كل من دخل، فقام شاب من ولد عمرو بن حزم فانتسب ثم قال: قال الأحوص فينا شعرا امنعنا أموالنا من أجله منذ ستين سنة. قال: أنشدنيه، فأنشده:

لا تأوين لحزمي رأيت به فقرا و إن ألقى الحزمي في النار

الناخسين بمروان بذى خشب و الداخلين على عثمان فى الدار

و كان الأحوص مدح الوليد بن عبد الملك فى قصيده أنشده، فلما بلغ إلى هذا الموضع قال له الوليد: أذكرتنى ذنب آل حزم، فأمر باستصفاء أموالهم.

فقال له المنصور: أعد على الشعر، فأعاد ثلاثا فقال له المنصور: لا جرم أنك تحتظى بهذا الشعر كما حرمت به، ثم أمر أن يعطى عشره آلاف درهم، و ان يكتب إلى عماله أن ترد ضياع آل حزم عليهم و يعطوا غلاتها فى كل سنة من ضياع بنى أمية و تقسم أموالهم بينهم على كتاب الله على التناسخ، و من مات منهم و فر على ورثته، فأنصرف الفتى بما لم ينصرف به أحد (٢).

«و ربما نصح غير الناصح و غش المستنصح» أى: من تعده ناصحا لك، قال الشاعر:

ص: ٤١٠

١- ١) مجمع الأمثال للميدانى ٢: ١٤٤، [١] الزمخشري ٢: ٢٣٢. [٢]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٨: ٨٥. [٣] دار سويدان - بيروت.

رَبِّ مُسْتَنْصِحٍ يَغْشَى وَيُرْدِي وَظَنِينَ بِالْغَيْبِ يَلْفِي نَصِيحًا

أَيْضًا:

أَلَا رَبِّ مَنْ تَغْتَشِيهِ لَكَ نَاصِحٌ وَ مُؤْتَمِنٌ بِالْغَيْبِ غَيْرُ أَمِينٍ

هَذَا، وَفِي (الْأَغَانِي): اسْتَوْدَعَ رَجُلٌ مِنْ عَمَّالِ ابْنِ هَبِيرَةَ رَجُلًا نَاسِكًا ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، وَاسْتَوْدَعَ مِثْلَهَا رَجُلًا نَبِيدِيًّا، فَأَمَّا النَّاسِكُ فَبَنِي بَهَا دَارَهُ وَتَزَوَّجَ النِّسَاءَ وَانْفَقَهَا وَجَحَدَهَا، وَأَمَّا النَّبِيدِيُّ فَأَدَّى الْأَمَانَةَ، فَقَالَ ابْنُ بَيْضٍ:

أَلَا لَا يَغْرَنُكَ ذُو سَجْدَةٍ يَظَلُّ بِهَا دَائِبًا يَخْدَعُ

كَأَنَّ بَجْبَهْتَهُ جَلْبَهُ يَسْبَحُ طَوْرًا وَيَسْتَرْجِعُ

وَ مَا لِلتَّقَى لَزْمُهُ وَجْهَهُ وَ لَكِنْ لِيَغْتَرَّ مُسْتَوْدَعُ

وَ لَا تَنْفَرَنَّ مِنْ أَهْلِ النَّبِيدِ وَ إِنْ قِيلَ يَشْرَبُ لَا يَقْلَعُ (١)

وَ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ: كَانَ الْمَغِيرَةُ يَبْغِضُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ أَشَارَ عَلَيْهِ يَوْمَ بُوَيْعِ أَنْ يَقَرَّ مَعَاوِيَةَ عَلَى الشَّامِ، فَإِذَا خَطَبَ لَهُ فِي الشَّامِ وَ تَوَطَّأَتْ دَعْوَتُهُ، دَعَاهُ إِلَيْهِ - كَمَا كَانَ عَمْرُ وَ عَثْمَانُ يَدْعُوَانِهِ إِلَيْهِمَا - وَ صَرَفَهُ، فَلَمْ يَقْبَلْ، وَ كَانَ ذَلِكَ نَصِيحَةً مِنْ عَدُوِّ كَاشِحٍ (٢).

قُلْتُ: الْمَغِيرَةُ كَانَ مَنَافِقًا دَاهِيَةً وَ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَبْغُضِيهِ الْمَخْصُوصِينَ كَبَنِي أُمِّيَّةٍ وَ جَمَعَ آخِرًا، وَ إِنَّمَا يَصِحُّ أَنْ يَقَالَ لَهُ كَانَ مَبْغُضًا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ حَيْثُ إِنَّ الْمَنَافِقَ وَ الْمُؤْمِنَ مَتَبَاغِضَانِ بِالطَّبَعِ، وَ إِلَّا - فَالْمَغِيرَةُ اعْتَرَلَ مَعَاوِيَةَ كَمَا اعْتَرَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَلَكُونَهُ دَاهِيَةً اعْتَرَلَهُمَا حَتَّى يَرَى أَيُّهُمَا يَظْهَرُ فَيَلْحَقُ بِهِ، وَ بَعْدَ شَهَادَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ ظَهُورِ مَعَاوِيَةَ لِحَقِّ بِهِ. وَ كَيْفَ يَصِحُّ مَا قَالَ مِنْ كُونِهِ مَبْغُضًا وَ قَدْ قَالَ الطَّبْرِيُّ: إِنْ الْمَغِيرَةُ لَمَّا بَلَغَهُ عَنْ صَعْبَعَةَ أَنَّهُ يَكْثُرُ ذِكْرَ عَلِيٍّ وَ يَعْيبُ

ص: ٤١١

١- ١) الأغانى ٢٠٧: ١٦- [١] دار احياء التراث العربى-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٢: ١٦. [٢]

عثمان دعاه و قال له: إِيَّاكَ أَنْ يبلغني أنك تعيب عثمان عند أحد من الناس، و إِيَّاكَ أَنْ يبلغني عنك أنك تظهر شيئاً من فضل عليّ علانيه، فإنك لست بذاك من فضل عليّ شيئاً أجهله بل أنا أعلم بذلك، و لكن هذا السلطان قد ظهر و قد أخذنا بإظهار عيبه للناس، فنحن ندع كثيراً ممّا أمرنا به و نذكر الشيء الذي لا نجد بداً منه، ندفع به هؤلاء القوم عن أنفسنا تقيّه (١).

كما أن ما قاله من كون إشاره المغيره عليه عليه السّلام نصيحه ليس كذلك، فلم يكن ذاك الرأى نصيحه دينيه بل سياسه دنيويه يعتقدها المغيره نصيحه لا هو عليه السّلام و قد صرّح بأنّه قال ذلك عن نصيحه عنده.

و قال ابن الحديد أيضاً: استشار الحسين عليه السّلام عبد الله بن الزبير - و هما بمكّه، فليس بها من يبائعك، و لكن دونك العراق، فإنهم متى رأوك لم يعدلوا بك أحداً، فخرج إلى العراق، حتّى كان من أمره ما كان (٢).

قلت: ما قاله أيضاً غير صحيح، فلم يستشر الحسين عليه السّلام ابن الزبير و لا ظنّ أنّه ناصحه و لا خرج إلى العراق بإشارته، كيف و فى (الطبرى): أتى ابن الزبير إلى الحسين عليه السّلام و قال له: ما تركنا هؤلاء القوم و كفنا عنهم و نحن أبناء المهاجرين و ولاه هذا الأمر دونهم، خبرنى ما تريد أن تصنع؟ قال عليه السّلام لقد حدثت نفسى بإتيان الكوفه، و لقد كتبت إلى شيعتى بها و أشرف أهلها و أستخير الله. فقال له ابن الزبير: أما لو كان لى بها مثل شيعتك ما عدلت بها، ثم خشى أن يتهمه فقال: أما أنك لو أقيمت بالحجاز ثم أردت هذا الأمر ما خولف عليك، ثم قام فخرج فقال الحسين عليه السّلام: إنّ هذا الرجل ليس شيء يؤتاه من

ص: ٤١٢

١- (١) تاريخ الطبرى ١٨٩: ٥- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٢: ١٦. [٢]

الدنيا أحب إليه من أن أخرج من الحجاز إلى العراق لأنه علم أنه ليس له من الأمر معي شيء فودّ أني خرجت منها لتخلو له...  
(١).

و بالجمله ليس واحد مما ذكر شاهدا لكلامه عليه السلام من نصح غير الناصح أحيانا و غش المستنصح، و من الشاهد للثاني ما في (المروج) و غيره: أنّ مروان الجعدي دعا اسماعيل بن عبد الله القشيري - و قد كان مروان وافي على الهزيمة إلى حران - فقال له: قد ترى ما جاء من الأمر و أنت الموثوق به و لا مخبأ بعد بؤس، فما الرأي؟ فقال اسماعيل: على ما أجمعت؟ قال: على أن أرتحل بموالي و من تبعني من الناس حتى أقطع الدرب و أميل إلى مدينه من مدن الروم فأنزلها و أكتب صاحبها و أستوثق منه، فقد فعل ذلك جماعه من ملوك الأعاجم و ليس هذا عارا بالملوك - فلا يزال يأتي الخائف و الهارب و الطائع فيكثر من معي و لا أزال على ذلك حتى يكشف الله أمرى و ينصرني على عدوي. قال اسماعيل: فلما رأيت أن ما أجمع عليه هو الرأي و رأيت آثاره و نكاياته في قوم من قحطان قلت: أعيدك بالله من هذا الرأي تحكم أهل الشرك في بناتك و حرمك و هم الروم و لا وفاء لهم و لا تدرى ما تأتي به الأيام، و ان حدث عليك حادث و أنت بأرض النصرانية ضاع من بعدك، و لكن اقطع الفرات ثم استنفر الشام جندا فإتتك في كنف و عزّه، و لك في كل جند صنایع يسيرون معك حتى تأتي مصر فإتتها أكثر أرض الله مالا و خيلا و رجالا، ثم الشام أمامك و إفريقيه خلفك، فإن رأيت ما تحبّ انصرفت إلى الشام، و إن كانت الاخرى مضيت إلى إفريقيه. قال: صدقت. فقطع الفرات و والله ما قطعه من قيس إلا - رجلا من: أحدهما أخوه من الرضاعه، و لم ينفع مروان تعصبه مع النزاريه شيئا بل غدروا به و خذلوه، فلما اجتاز ببلاد قنّسرين و الحاضر أوقعت تنوخ

ص: ٤١٣

القاطنه بقنسرين بساقته و وثب به أهل حمص و سار إلى دمشق، فوثب به الحرث بن عبد الرحمن الحرشي، ثم أتى الأردن فوثب به هاشم العنسي و المذحجيون جميعاً، ثم مر بفلسطين فوثب به الحكيم بن روح بن زنباع لما رأوا من ادبار الأمر عنه، و علم مروان ان اسماعيل قد غشه في الرأي و لم يمحصه النصيحة و أنه فرط في مشورته إِيَّاه إذ شاور رجلاً من قحطان متعصِّباً من قومه على أضدادهم من نزار، و أن الرأي هو الذي هم به من قطع الدرب و نزول بعض حصون الروم و مكاتبه ملكها (١).

«و إِيَّاكَ و اتكالك» هكذا في (المصريه) و الصواب: (و الاتكال) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٢)، أي: الاعتماد.

«على المنى» أي: على التمنيات.

«فإنها» أي: المنى.

«بضائع» قال الجوهري: البضاعه طائفه من مالك تبعثها للتجاره (٣).

«النوكى» بالفتح أي: الحمقاء (٤)، و في (المصريه) (الموتى) و هو غلط.

في (عيون ابن قتيبه): في كتاب للهند، ان ناسكا كان له عسل و سمن في جره، ففكر يوماً فقال: أبيع الجرّه بعشره دراهم و أشتري خمسه أعنز فأولدهن في كل سنه مرّتين و يبلغ النتاج في سنتين مئتين، و أبتاع بكلّ أربع بقره و أصيب بدرا فأزرع و ينمى المال في يدي فأأخذ المساكن و العبيد و الإماء و الأهل و يولد لى ابن فأسميه كذا و آخذه بالأدب فإن هو عصانى ضربت بعصاي رأسه - و كانت في يده عصا فرفعها حاكيا للضرب - فأصاب

ص: ٤١٤

١-١) مروج الذهب ٣: ٢٤٩. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦: ٩٧. [٢]

٣-٣) الصحاح ٣: ١١٨٦ - [٣] دار العلم للملايين - بيروت.

٤-٤) الصحاح ٤: ١٦١٢ - [٤] دار العلم للملايين - بيروت.

ضربت بعصاى رأسه-و كانت فى يده عصا فرفعها حاكيا للضرب-فأصابت الجزّه فانكسرت و انصبّ العسل و السمن على رأسه.

و فيه:قال الأصمعى:قال شيخ من بنى القحيف تمّيت دارا فمكثت أربعة أشهر مغتَمًا للدرجة أين أضعها (١).

و فى (بيان الجاحظ):مرض فتى فقال له عمّه:أى شىء تشتهى؟قال:

رأس كبشين.قال:هذا لا يكون.قال:فرأس كبش.و من الشعر فى ذلك:

إذا تمّيت بتّ الليل مغتبطا إنّ المنى رأس أموال المفاليس

أيضا:

أعلل نفسى بما لا يكون كما يفعل المائق الأحمق

هذا،و قالوا:ان الوليد بن عبد الملك قال لبديح المغنى:خذ بنا فى التمنى، فو الله لأغلبنك.قال:و الله لا تغلبنى أبدا.قال:بلى.فإنّى أتمنى كفلين من العذاب و أن يلعننى الله لعنا كثيرا فخذ ضعفى ذلك.قال:غلبتنى لعنك الله.

«و العقل حفظ التجارب» زاد فى روايه (التحفة)قبله«و تبيط عن خير الدنيا و الآخرة،ذكّ قلبك بالأدب كما تذكى النار بالحطب،و لا تكن كحاطب الليل،و عثاء السيل،و كفر النعمه لؤم،و صحبه الجاهل شؤم» (٢).

عنه عليه السّلام:ما عبد الله بشىء أفضل من العقل،و ما تم عقل امرىء حتى يكون فيه خصال شتى:الكفر و الشر منه مأمونان،و الخير و الرشده منه مأمولان،و فضل ماله مبدول،و فضل قوله مكفوف،و نصيبه من الدنيا القوت،لا يشبع من العلم دهره،و الذل مع الله أحبّ إليه من العزّ مع غيره،و التواضع أحبّ إليه من الشرف،يستكثر قليل المعروف من غيره،و يستقلّ كثير

ص:٤١٥

١-١) عيون الأخبار ٣٧٣:١ و ٣٧٤ [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢-٢) تحف:٨٠.طبعه مؤسسه النشر الإسلامى-قم.

المعروف من نفسه، و يرى الناس كلهم خيرا منه، و أنه شرهم فى نفسه و هو تمام الأمر (١).

و عن الصادق عليه السلام: العقل ما عبد به الرحمن و اكتسب به الجنان. قيل:

فالذى كان فى معاويه. قال: تلك النكراء، تلك الشيطنة، و هى شبيهه بالعقل، و ليست بالعقل (٢).

و عن بعضهم: العقل الإصابه بالظنون و معرفه ما لم يكن بما قد كان.

هذا، و سئل شريك عن أبى حنيفه فقال: أعلم الناس بما لا يكون، و أجهل الناس بما يكون.

«و خير ما جرّبت ما وعظك» هو نظير قوله عليه السلام المذكور فى القصار «لم يذهب من مالك ما وعظك» (٣) و وجه قوله عليه السلام أن التجربه مفيده لحصول شىء لك بفهمه، فإذا كان فهم أمر من أمور الدنيا يكون حسنا، و إذا كان فهم أمر من الآخره و وعظ له كان أحسن.

و زادت روايه الكلينى بعده: «و من الكرم لين الشيم» (٤).

«بادر الفرصه قبل أن تكون غصّه» فى (الأغانى) قال رجل كان يديم الأسفار: سافرت مرّه إلى الشام على طريق البر فجعلت أتمثل بقول القطامى:

قد يدرك المتأنى بعض حاجته و قد يكون مع المستعجل الزلل

و معى أعرابى قد استأجرت منه مركبى، فقال: ما زاد قائل هذا الشعر على أن يثبط الناس عن الحزم، فهلا قال بعد بيته هذا:

ص: ٤١٦

١-١) الكافى ١:١٨ روايه ١٢. [١]

٢-٢) الكافى ١:١١-٣. [٢]

٣-٣) نهج البلاغه ٤:٤٥ الحكمه ١٩٦. [٣]

٤-٤) كشف المحجبه: ١٦٧. [٤]

و ربّما ضر بعض الناس بطّوهم و كان خيرا لهم لو أنّهم عجلوا (١)

هذا و قال ابن أبي الحديد هنا: حضر ابن زياد عند هانيء عائدا، و قد كمن له مسلم، و أمره أن يقتله إذا جلس، فلما جلس جعل مسلم يؤامر نفسه على الوثوب به فلم تطعه، و جعل هانيء يترنم «ما الانتظار بسلمي لا تحيّيها» و يكرر ذلك، فأوجس عبيد الله خيفه و نهض، و فات مسلما ما كان يؤمله بإضاعه الفرصه (٢).

قلت: ان هانيا لم يأمر مسلما بقتل عبيد الله بل نهاه في عياده عبيد الله له و في عيادته لشريك بن الاعور الذي كان نازلا على هانيء، و إنّما شريك أمره بقتله، و هو الذي يترنم و أمره، ففي (الطبري) عن أبي مخنف عن المعلّى بن كلب عن أبي الودّاء قال: مرض هانيء قبل أن يدخل عين عبيد الله على مسلم، فجاء عبيد الله عائدا له فقال له عماره بن عبيد السلولي: انما جماعتنا و كيدنا قتل هذا الطاغية فقد أمكنك الله منه فاقتله. قال هانيء: ما أحب أن يقتل في داري، فخرج فما مكث إلّا جمعه حتى مرض شريك بن الأعور- و كان كريما على ابن زياد و على غيره من الامراء و كان شديد التشيع- فأرسل إليه عبيد الله إنني رائج إليك العشيء. فقال لمسلم: إنّ هذا الفاجر عائدي العشيء، فإذا جلس فأخرج إليه فاقتله ثم اقعده في القصر ليس أحد يحول بينك و بينه، فإذا برأت من وجعي هذا أيامي هذه سرت إلى البصره و كفيتك أمرها، فلتيا كان من العشيء أقبل عبيد الله لعياده شريك، فقام مسلم ليدخل فقال له شريك: لا- يفوتتك إذا جلس. فقام هانيء إليه فقال: إنني لا أحب أن يقتل في داري- كأنه استقبح ذلك- فجاء عبيد الله و جعل يسأله عن حاله، فلما طال سؤاله و رأى أن مسلما لا

ص: ٤١٧

١- (١) الأغاني ٢١: ٢٤. [١] دار احياء التراث العربي-بيروت.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠٢: ١٦-١٠٣ [٢] بتصرف.



يخرج، خشى أن يفوته فأخذ يقول: «ما تنظرون بسلمي أن تحيوها» اسقونيها و إن كانت فيها نفسى. قال ذلك مرتين أو ثلاثا، فقال عبيد الله: ما شأنه! أترونه يهجر؟ قال له هانى: نعم... (١).

هذا، و زاد فى روايه الكلىنى بعده: «و من الحزم العزم، و من سبب الحرمان التوانى» (٢).

«ليس كل طالب يصيب» قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

ما كل وقت ينال المرء ما طلبا و لا يسوغه المقدار ما وهبا

«و لا كل غائب يؤب» أى: يرجع، قال ابن أبى الحديد: كقول عبيد:

و كل ذى غيبه يثوب و غائب الموت لا يثوب (٣)

قلت: و قالوا فى المثل «حتى يثوب القارطان» و «يعود المثلم» (٤) و المراد لا- يثوب فلان كما لا يثوب القارطان و لا يرجع فلان كما لا يرجع المثلم، أما القارطان فقالوا كانا رجلين من عنزه خرجا لطلب القرض- أى ورق السلم- للدباغ فلم يرجعا، قال أبو ذؤيب:

و حتى يثوب القارطان كلاهما و ينشر فى القتلى كليب لوائل

و أما المثلم فكان من شرطه عبيد الله بن زياد، فقتل بأمره خالد السدوسى من الخوارج- و كان المثلم مغرما باشتراء اللقاح- فجاءه رجل من الخوارج و قال له: لك ما تحب فامض معى، فذهب به إلى داره و أغلق عليه الباب و ثاروا به فقتلوه، فقال أبو الأسود:

آليت لا أغدو إلى ربّ لقحه اسأومه حتى يعود المثلم

ص: ٤١٨

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٣٦٣:٥- [١] دار سويدان-بيروت.

٢-٢ (٢) كشف المحجبه: ١٦٧.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠٣:١٦. [٢]

٤-٤ (٤) مجمع الأمثال للميدانى ١:٢١١، [٣] أساس البلاغه للزمخشري ٥٨:٢.

و في (أمثال الكرمانى): «لا أفعله حتى ترجع ضالّه غطفان» يعنون سنان بن أبى حارثه المرمى، و كان قومه عتّفوه على الجود فقال: لا أرانى يؤخذ على يدى، فركب ناقته ورمى بها الفلاه فلم ير بعد.

ثم إنّ نفى أوب الكل لا- يلزم نفى أوب البعض، و عن الحليه فى سفيان بن عيينه قال مسعر بن كدام: إنّ رجلا- ركب البحر فانكسرت السفينه فوقع فى جزيره فمكث ثلاثه أيام لم ير أحدا و لم يأكل و لم يشرب، فتمثل بقول القائل:

إذا شاب الغراب أتيت أهلى و صار القار كاللبن الحليب

فأجابه صوت:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

فإذا سفينه قد أقبلت، فلوّح إليها فأتوه فحملوه (١).

«و من الفساد إضاعه الزاد» أى: زاد الآخره.

«و مفسده المعاد» «أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنبِ اللَّهِ» (٢).

هذا، و ليس «مفسده المعاد» فى روايه الكلينى و الحلبي (٣).

«و لكل أمر عاقبه» هكذا فى (النسخ) (٤) و الصواب: روايه الكلينى (و لكل امرىء عاقبه).

«و سوف يأتيك ما قدر لك» قال ابن أبى الحديد هذا من قول النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: و إن يقدر لأحدكم رزق فى قلبه جبل أو حضيض بقاع يأتيه (٥).

ص: ٤١٩

١-١) مجمع الأمثال للميدانى ٢:٢٣٣.

٢-٢) الزمر: ٥٦. [١]

٣-٣) كشف المحجّه: ١٦٧. [٢]

٤-٤) شرح ابن أبى الحديد ١٦:٩٧، [٣] كشف المحجّه: ١٦٧، [٤] تحف العقول: ٨٠، ط مؤسسه النشر الإسلامى - قم.

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٠٣. [٥]

قلت: مورد كلام النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله الرزق المقدر، و مورد كلامه عليه السلام كل أمر مقدر لا خصوص الرزق كما قيل:

استقدر الله خيرا و ارضين به فينما العسر إذ دارت مياسير

«التاجر مخاطر» قال ابن أبي الحديد هذا الكلام ليس على ظاهره بل له باطن، و هو أنّ من مزج الأعمال الصالحة بالأعمال السيئة مثل قوله تعالى:

«خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا» (١) فَإِنَّهُ مَخَاطِرٌ لِأَنَّهُ لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ تَحْبِطُ أَعْمَالَهُ الصَّالِحَةَ، كَمَا لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ بَعْضُ أَعْمَالِهِ الصَّالِحَةَ يَكْفُرُ تِلْكَ السَّيِّئَاتِ، وَ الْمُرَادُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ لِلْمَكْلُوفِ أَنْ يَفْعَلَ إِلَّا الطَّاعَةَ أَوْ الْمَبَاحَ (٢).

قلت: أين ربط (التاجر مخاطر) بآيه «خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَ آخَرَ سَيِّئًا»، و ما ذكره من بيان المراد من قبيل ما قيل بالفارسيه «لفظ ميگوئی و معنی

ز خدا می طلبی»

مع أن قوله «كما لا- يؤمن أن يكون بعض أعماله الصالحة يكفر تلك السيئات» تعبیر غلط، فقولهم: «لا يؤمن» إنما يقال في مقام الخوف، و احتمال تكفير السيئه بالعمل الصالح رجاء، و إنما الظاهر و المتبادر من قوله عليه السلام «التاجر مخاطر» أن التاجر و إن يتجر بقصد الربح إلا أنه لا يعلم هل يربح أم يخسر، و كم تاجر خسر حتى هلك رأس ماله، هذا هو المعنى المتبادر منه.

و يمكن أن يراد به المخاطره من حيث الآخره إذا لم يعرف مسائل المعامله فتصدر منه معاملات غير مشروعته كالربا و غيره، أو يحمله الحرص على الخيانه و الكذب و البخس، ففي (الكافي) عن الأصمغ: سمعت أمير

ص: ٤٢٠

[١- ١] التوبه: ١٠٢. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبي الحديد ١٠٣: ١٦-١٠٤. [٢]

المؤمنين عليه السلام يقول على المنبر: يا معشر التجار! الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، الفقه ثم المتجر، والله للربا في هذه الأمة أخفى من ديب النمل على الصفا، شوبوا أيمانكم بالصدق، التاجر فاجر و الفاجر في النار إلا من أخذ الحق و أعطى الحق.

(و فيه): ان النبي صَلَّى الله عليه و آله لم يأذن لحكيم بن حزام في تجارته حتى ضمن له إقاله النادم و إنظار المعسر و أخذ الحق و افايا و غير واف.

(و فيه): عن النبي صَلَّى الله عليه و آله من باع و اشترى فليحفظ خمس خصال و إلا فلا- يشترين و لا- يبيعن: الربا، و الحلف، و كتمان العيب، و المدح إذا باع، و الذم إذا اشترى (١).

«و رب يسير أنمي» أي: أكثر نموا.

«من كثير» يتفق ذلك في الزرع كثيرا و في كثير من الأشياء كالتجاره و في الأغنام و الاحشام و في النسل، و في تفسير قوله تعالى: «و أمّا العُلامُ فكانَ أبواهُ مُؤمِنينَ فَخَشِينا أَنْ يُرَهَقَهُما طُغْياناَ وَ كُفْراَ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبَدِلَهُما رَبُّهُما خَيْراً مِنْهُ زَكاهَ وَ أَقْرَبَ رُحْماً» (٢) أبدل الله والديه به- بعد قتل الخضر له- بنتا و ولدت سبعين نبيا.

و قد يقع ذلك في الكلام، ففي (تاريخ بغداد) رثى مروان بن أبي حفصه واقفا بباب الجسر كئيبا آسفا ينكت بسوطه في معرفه دابته فقيل له: ما الذي نراه بك؟ قال أخبركم بالعجب، فوصفت له ناقتي من خطامها إلى خفيها و وصفت الفيافي من اليمامة إلى بابه، أرضا أرضا و رمله رمله حتى إذا

ص: ٤٢١

١- ١) الكافي ١٥٠: ٥- ١٥١- ١ و ٢ و ٤. [١] التهذيب ٦: ٧- ١٨، باب ٢٢، من لا يحضره الفقيه ١٢٠: ٣- ١٢١، الحكمة ١١.

٢- ٢) الكهف: ٨٠- ٨١. [٢]

أشفيت منه على غناء الدهر، جاء ابن يّاعه النخاخير- يعنى أبا العتاهيه- فضضع بهما شعري و سّواه فى الجائزه بى. فقيل له: و ما البيتان؟ قال:

إن المطايا تشتكيك لأنها تطوى إليك سبا سبا و رمالا

فإذا رحلن بنا رحلن مخفّه و إذا رجعن بنا رجعن ثقالا (١)

و قال البحرى:

أصل النزر إلى النزر و قد يبلغ الحبل إذا الحبل وصل

من لفا هذا إلى مخسوس ذا و من الذود إلى الذود ابل

«و لا خير» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (لا خير) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

«فى معين» من الاعانه.

«مهين» بالفتح من المهانه أى: الضعف و الذله.

«و لا فى صديق ظنين» أى: متهم، قال عبد الرحمن بن حسان:

لا خير فى الود ممّن لا تزال له مستشعرا أبدا من خيفه و جلا

إذا تغيب لم تبرح تسيء به ظنا و تسأل عما قال أو فعلا

و قال المثقب العبدى:

فإما أن تكون أخى بصدق فأعرف منك غثى من سمينى

و إلا فاجتنبنى و اتخذنى عدواً أتقيك و تتقينى

و من شواهد عدم الخير فى الصديق الظنين ما ذكره المسعودى فى (مروجه) أنه كان للقاهر فى بعض الحصون بستان من ريحان و غرس من النارج قد حمل إليه من البصره و عمان و الهند قد اشتبكت أشجاره، و لاحت

ص: ٤٢٢

(١-١) تاريخ بغداد ٢٥٨:٦- [١] دار الكتاب العربى-بيروت.

(٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٤:١٦. [٢]

ثمارة كالنجوم من أحمر و أصفر، و بين ذلك أنواع الغروس و الرياحين و الزهر، و قد جعل مع ذلك فى الصحن أنواع الأطيار من القمارى و الدبابى و الشحارى و البيغا مميًا جلب إليه من الممالك و الأمصار و كان فى غاية الحسن، و كان القاهر كثير الشرب عليه و الجلوس فى تلك المجالس، فلما أفضت الخلافه إلى الراضى اشتد شغفه بذلك الموضوع، فكان يداوم الجلوس و الشرب فيه، ثم إن الراضى رفق بالقاهر و أعلمه بما هو فيه من مطالبه الرجال بالأموال و لا شىء قبله منها و سأله إن يسعفه بما عنده منها إذا كانت الدوله له و أن يتدبر تدبيره و يرجع فى كل الامور إلى قوله، و حلف له بالايان الوكيده ألا يسعى فى قتله و لا الإضرار به و لا بأحد من ولده، فأنعم له القاهر بذلك و قال له: ليس لى مال إلا فى بستان النارنج، فصار به الراضى إلى البستان و سأله عن الموضوع فقال له القاهر: قد حجب بصرى فلست أعرف موضعه، و لكن مر بحفره فإنك تظهر على الموضوع و لا يخفى عليك مكان ذلك، فحفر الراضى البستان و قلع تلك الأشجار و الغرس و الأزهار حتى لم يبق منه موضع إلا حفره و بولغ فى حفره فلم يجد شيئًا، فقال له الراضى فما هاهنا شىء مما ذكرت فما الذى حملك على ما صنعت؟ فقال له القاهر: و هل عندى من المال شىء، إنما كانت حسرتى جلوسك فى هذا الموضوع و تمتعك به و كانت لذتى من الدنيا فتأسفت على أن يمتع به بعدى غيرى. فتأسف الراضى على ما توجه عليه من الحيله فى أمر ذاك البستان و ندم على قبوله، منه، و أبعده القاهر فلم يكن يدنو منه خوفًا على نفسه أن يتناول بعض أطرافه (١).

«ساهل الدهر ما ذل لك قعوده» بالفتح البعير الذى يقتعده الراعى فى كل حاجه، قال الجوهري: و هو بالفارسيه «رخت» و بتصغيره جاء المثل «اتخذوه»

ص: ٤٢٣

قعيد الحاجات» إذا امتهنوا الرجل في حوائجهم، وجمعه «قعدات» قال الأخطل:

فبئس الظاعنون غداه شالت على القعدات أشباه الزباب (١).

قال ابن أبي الحديد: و مثل قوله عليه السلام المثل «من ناطح الدهر أصبح أجم»، «و در مع الدهر كيفما دار»، وقوله:

و من قامر الأيام عن ثمراتها فأحر به أن تنجلي و لها القمر (٢).

قلت: و هو كما ترى، فإن كلامه عليه السلام في مقام و ما نقله في مقام. نعم نقله بيتا آخر:

إذا الدهر أعطاك العنان فسر به رويدا و لا تعنف فيصبح شامسا (٣).

له ربط.

«و لا تخاطر بشيء رجاء أكثر منه» كمن يعطى ماله مضاربه لمن لا يعرفه فيمكن ألا يردّ عليه رأس ماله فضلا عن عدم حصول ربح له، و كمن يبيع نسيئه بأكثر من ثمن المثل ممن لا يثق به.

«و اياك أن تجمح» من جمح الفرس براكبه.

«بك مطيه» أى: دابه.

«اللجاج» .

في الخبر: أن موسى عليه السلام حين أراد أن يفارق الخضر قال له: أوصني، فكان ممّا أوصاه أن قال له: إياك و اللجاجه أو أن تمشى في غير حاجه (٤).

هذا، و في (العيون): قال معاويه في صفين لما قتل العباس بن ربيعه

ص: ٤٢٤

١-١ (١) الصحاح ٥٢٥: ٢.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠٦: ١٦. [١]

٣-٣ (٣) النفس المصدر.

٤-٤ (٤) أخرجه الراوندى في قصص الانبياء: ١٥٧، [٢] بحار الأنوار ٢٩٤: ١٣-روايه ٧ باب ١٠. [٣]

الهاشمى عَزَّار بن أدهم -و كان من فرسان الشام- متى ينطف فحل بمثله أيطل دمه لا- و الله إلا رجل يطلب بدمه، فانتدب له رجلا من لحم فقال لهما:

أيكما قتل العباس فله كذا، فأتياه و دعواه إلى البراز فقال: إن لي سيِّدا أريد أن أوامره، فأتى عليا عليه السلام فأخبره، فقال: لو دَّ معاوية أنه ما بقى من هاشم نافخ ضرمه إلا طعن فى نيظه إطفاء لنور الله، و أخذ عليه السِّلام سلاح العباس و وثب على فرس العباس و قتل اللخميَّين. و نعى الخبر إلى معاوية فقال: قَبِّحَ اللهُ اللِّجَاجَ، إنَّه ليعود ما ركبته قطَّ إلا خذلت، فقال له عمرو بن العاص: المخذول و الله اللخميَّان لا أنت (١).

«احمل نفسك من أخيك عند صرمة» أى: قطعه.

«على الصلِّه» عن ابن الأنبارى:

و كم من قائل قد قال دعه فلم يك وده لك بالسليم

فقلت إذا جزيت الغدر غدرا فما فضل الكريم على اللئيم؟

و أين الإلف يعطفنى عليه و أين رعايه الحق القديم؟

و لآخر:

إذا ما صديقى رابنى سوء فعله و لم يك عمّا ساءنى بمفيق

صبرت على أشياء منه تريبنى مخافه أن أبقى بغير صديق

«و عند صدوده» أى: إعراضه.

«على اللطف» بالضم، مصدر لطف بالفتح، قال الفيروز آبادى: لطف كنصر لطفًا: رفق و دنا، فقول ابن أبى الحديد اللطف بفتح اللام و الطاء، الاسم من ألطفه بكذا (٢) فى غير محله.

ص: ٤٢٥

١- ١) عيون الأخبار ٢٧٦: ١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٦: ١٦. [٢]



«والمقاربه» قال الشاعر:

نفسك لا تعطيك كلّ الرضا فكيف ترجو ذاك من صاحب

أجلّ مصحوب حياه صفت فهل خلت من هرم عائب

و قال النابغه:

و استبق ودّك للصديق و لا تكن قنبا يعرض بغارب ملحاحا

و لبعضهم:

إذا ما خليلي ساءنى سوء فعله و لم يكّ عما ساءنى بمفنيق

صبرت على ما كان من سوء فعله مخافه أن ابقى بغير صديق

«و عند جموده على البذل و عند تباعده على الدنو و عند شدّته على اللين و عند جرمه على العذر» قال بعضهم:

إنّي إذا ما صاحبي تعدّى فى اللوم و العذل علىّ حدّا

لم أوله بالعذل عدلا قصدا و لم ابقّ فى احتمال جهدا

فإن أبى إلاّ التعدّى عمدا أو سعته بالحلم منّى صدّا

حتى يرى وجه اختيارى سدّا و يرجع الدمّ إلىّ حمدا

و قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

و إن الذى بينى و بين بنى أبى و بين بنى امّى لمختلف جدا

فإن أكلوا لحمى و فرت لحومهم و إن هدموا مجدى بنيت لهم مجدا

و ان زجروا طيرا بنحس تمرّ بى زجرت لهم طيرا تمر بهم سعدا

و لا أحمل الحقد القديم عليهم و ليس رئيس القوم من يحمل الحقد

أيضا:

إنّي و إن كان ابن عمّى كاشحا لمقادف من خلفه و ورائه

«حتى كأنك له عبد و كأنه ذو نعمه عليك» قال إبراهيم الصولي:

أميل مع الصديق على ابن عمي و أفضي للصديق على الشقيق

ص: ٤٢٦

و أفرق بين معروفى و منى و أجمع بين مالى و الحقوق

فإن ألفيتنى حرًا مطاعا فأنتك واجدى عبد الصديق

«و إِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ أَهْلِهِ» فَإِنَّ بَعْضَ النَّاسِ كَالضَّبْعِ، وَ مَرَّتْ قِصَّةُ مَنْ أَجَارَهَا وَ أَحْسَنَ إِلَيْهَا بَعْدَ نَجَاتِهَا مَمَّنْ أَرَادَ صَيْدَهَا، وَ أَشَارَ إِلَى قِصَّتِهَا ابْنُ عَمٍّ مَجِيرَهَا فَقَالَ:

وَ مَنْ يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ أَهْلِهِ يَلْقَى الَّذِي لَاقَى مَجِيرَ امِّ عَامِرٍ

أَدَامَ لَهَا حِينَ اسْتَجَارَتْ بِقَرْبِهِ قَرَاهَا مِنَ الْبَانِ اللَّقَاحِ الْغَزَائِرِ

وَ اشْبَعَهَا حَتَّى إِذَا مَا تَمَلَّاتْ فَرْتَهُ بِأَنْيَابِ لَهَا وَ أَظَافِرِ

فَقُلْ لِدَوَى الْمَعْرُوفِ هَذَا جِزَاءُ مَنْ غَدَا يَصْنَعُ الْمَعْرُوفَ مَعَ غَيْرِ شَاكِرٍ

وَ فِي الْخَيْرِ: أَرْبَعَةٌ تَذْهَبُ ضِيَاعًا: الْبَذْرُ فِي سَبْخِهِ، وَ السَّرَاجُ فِي الْقَمْرِ، وَ الْأَكْلُ عَلَى الشَّبْعِ، وَ الْمَعْرُوفُ إِلَى مَنْ لَيْسَ بِأَهْلِهِ.

وَ فِي الْخَيْرِ آخَرَ: أَرْبَعَةٌ تَذْهَبُ ضِيَاعًا: عِلْمٌ عِنْدَ مَنْ لَا اسْتِمَاعَ لَهُ، وَ سَرٌّ تُوَدِّعُهُ عِنْدَ مَنْ لَا حِصَانَةَ لَهُ، وَ مَوْدَّةٌ تَمْنَحُهَا مَنْ لَا وِفَاءَ لَهُ، وَ مَعْرُوفٌ عِنْدَ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ (١).

وَ أَكْثَرَ الشُّعْرَاءِ فِي ذَلِكَ، قَالَ بَعْضُهُمْ:

وَ لَمَّا رَأَيْتَكَ تَنْسَى الذَّمَامَ وَ لَا قَدْرَ عِنْدَكَ لِلْمَعْدَمِ

وَ تَجْفُو الشَّرِيفَ إِذَا مَا أَخْلَّ (٢) وَ تَدْنِي الدَّنِيَّ عَلَى الدَّرْهِمِ

وَ هَبْتَ إِخَاءَكَ لِلْأَعْمِيِّينَ وَ لِلْأَثْرَمِيِّينَ وَ لَمْ أَظْلَمِ

وَ فِي (اللِّسَانِ) الْأَعْمِيَانِ: السَّيْلُ وَ النَّارُ، وَ الْأَثْرَمَانُ الدَّهْرُ وَ الْمَوْتُ (٣).

إِذَا كُنْتَ تَأْتِي الْمَرْءَ تَعْرِفُ حَقَّهُ وَ يَجْهَلُ مِنْكَ الْحَقَّ فَالْتَرِكَ أَجْمَلَ

ص: ٤٢٧

١- (١) الخصال ٢٦٣-٢٦٤ الحكمة ١٤٢ و ١٤٤.

٢- (٢) أى: صار به خله و حاجه.

٣- (٣) لسان العرب ١٢: ٧٧، [١] ط. دار صادر، بيروت، مادة: (ثرم).

و فى العيش منجاء و فى الهجر راحة و فى الأرض عمن لا يؤاتيك مرحل

أيضا:

لا نائل منك و لا موعد و لا رسول فعليك السلام

أيضا:

له حق و ليس عليه حق و مهما قال فالحسن الجميل

و قد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره و هو الرسول

أيضا:

و دع العتاب إذا استربت بصاحب ليست تنال موده بخصام

أيضا:

إذا كان خراجا أخوك من الهوى موجهه فى كل أوب ركائبه

فخلّ له وجه الفراق و لا تكن مطيه رحال بعيد مذاهبه

أخوك الذى إن تدعه لملّمه يجبك و إن عاتبته لان جانبه

«لا تتخذنّ عدوّ صديقك صديقا فتعادى صديقك» فى الباب الأخير و قال عليه السلام: أصدقاؤك ثلاثه، و أعداؤك

ثلاثه، فأصدقاؤك صديقك، و صديق صديقك، و عدوّ عدوّك، و أعداؤك عدوّك، و عدوّ صديقك، و صديق عدوّك (١).

و قال ابن أبى الحديد أكثروا فى المعنى:

إذا صافى صديقك من تعادى فقد عاداك و انقطع الكلام (٢).

«و امحض أخاك النصيحة حسنه كانت أو» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(أم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٣).

ص: ٤٢٨

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠٧:١٦. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠٥:١٦-١٠٨.

«قيح» و عن النبي عليه السلام: أعن أخاك ظالما أو مظلوما، فإن كان مظلوما فخذ له بحقه و ان كان ظالما فخذ له من نفسه.

كان أبو مسلم استشار مالك بن الهيثم حين كتب إليه المنصور في القدوم عليه مريدا لقتله، فأشار عليه مالك بعدم القدوم، فلما قتل المنصور أبا مسلم أذكر مالكا ذلك فقال له مالك: إن أخاك إبراهيم الإمام حدث عن أبيه قال:

لا يزال الرجل يزداد في رأيه إذا نصح لمن استشاره، وإنى لكم اليوم كذلك.

و في (الطبري) كتب زياد إلى معاوية: إنى قد ضببت لك العراق بشمالي و يميني فارغه فأشغلها بالحجاز- إلى أن قال- فخرجت طاعونه على أصبعه فأرسل إلى شريح- و كان قاضيه- فقال له: حدث بي ما ترى و قد أمرت بقطعها فأشر على. فقال له: أخشى أن يكون الأجل قد دنا فتموت أجذم أو يكون في الأجل تأخير و قد قطعت يدك فتعيش أجذم و تعير ولدك، فتركها. و خرج شريح فسأله فأخبرهم بما أشار به فلاموه و قالوا له: هلا أشرت عليه بقطعها، فقال: قال النبي «المستشار مؤتمن» (١).

«و تجرع الغيظ فإنى لم أر جرعه أحلى منها عاقبه، و لا ألد مغبه» أى: عاقبه في (العيون) عن الرضا عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى نبي: إذا أصبحت فأول شيء يستقبلك فكله، و الثاني فاكتمه، و الثالث فاقبله، و الرابع فلا تؤيسه، و الخامس فاهرب منه. فلما أصبح مضى فاستقبله جبل أسود عظيم فوقف و قال أمرنى ربي أن آكل هذا و إنّه لا يأمرنى إلا بما أطيق، فمشى إليه ليأكله، فكلما دنا منه صغر حتى انتهى إليه فوجده لقمه فأكلها فوجدها أطيب شيء أكله، ثم مضى فوجد طستا من ذهب فقال أمرنى ربي أن أكنم هذا، فحفر له حفيره و جعله فيها و ألقى عليه التراب، ثم مضى فالتفت فإذا الطست قد ظهر فقال قد فعلت ما

ص: ٤٢٩

أمرني ربي فمضى فإذا هو بطير و خلفه بازي فطاف الطير حوله فقال أمرني ربي أن أقبل هذا، ففتح كفه فدخل الطير فيه، فقال له البازي أخذت صيدى و أنا خلفه منذ أيام، فقال أمرني ربي ألا أؤيس هذا، فقطع من فخذة قطعه فألقاها إليه، ثم مضى فإذا هو لحم ميتة منتن مدود فقال أمرني ربي أن أهرب من هذا فهرب منه و رجع، و رأى فى المنام كأنه قيل له: إنك قد فعلت ما امرت به فهل تدرى ما ذاك؟ قال: لا. قيل له: أما الجبل فهو الغضب، إن العبد إذا غضب لم ير نفسه و جهل قدره من عظم الغضب، فإذا عرف نفسه و عرف قدره و سكن غضبه كانت عاقبته كاللقمة الطيبة التى أكلها، و أما الطست فهو العمل الصالح إذا كتّمه العبد و أخفاه أبى الله إلا أن يظهره ليزينه به مع ما يدّخر له من ثواب الآخرة، و أما الطير فهو الرجل الذى يأتيك بنصيحه فأقبله و اقبل نصيحته، و أما البازي فهو الرجل الذى يأتيك فى حاجه فلا تؤيسه، و أما اللحم المنتن فهو الغيبه فاهرب منها (١).

و قال ابن أبى الحديد قال المبرد فى (كامله): أوصى على بن الحسين ابنه محمدا فقال: يا بنى عليك بتجرع الغيظ من الرجال، فإنّ أباك لا يسره بنصيبه من تجرع الغيظ من الرجال حمر النعم، و الحلیم أعزّ ناصرا و أكثر عددا (٢).

«و لن لمن غالظك فأنه يوشك» أى: يكاد.

«أن يلين لك» قال العسكرى فى (أمثاله): كان هذيل بن هبيرة أغار على بنى ضبه فأقبل بما غنم فقال أصحابه: اقسم بيننا غنيمتنا. فقال: أخاف الطلب، فأبوا إلا القسم، فقال: «إذا عزّ أخوك فهن» فصار مثلا، و معناه إذا صعب أخوك

ص: ٤٣٠

١- ١) عيون أخبار الرضا ٢٧٥: ١٧ ح ١٢. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٨: ١٦. [٢]

فلن، فإنك إن صعبت أيضا كانت الفرقه.

و أخذ معاويه معنى المثل، فقال: لو أن بيني و بين الناس شعره ممدوده ما انقطعت، لأنني إذا مدّوا أرسلت و إذا أرسلوا مددت.

و قال زياد: إياكم و معاويه فإنه إذا طار الناس وقع، و إذا وقعوا طار (١).

هذا، و قال العسكري قال الزجاج: «هن» في المثل بالضم، و هو خطأ إنما هو بالكسر، فإنه بالضم من الهوان، مع أنه من الهون بمعنى الرفق و اللين، قال تعالى «يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا» (٢).

قلت: لم نقف على من قال هان يهين حتى يكون الأمر «هن» بالكسر، و كيف و هو أجوف واوى و لم يجيء إلا على يفعل بالضم، و انما الفعل مشترك و يفرق بين المعنيين بالمصدر، قال الفيروز آبادي: هان هونا-بالضم- و هوانا و مهانه: ذل، و هونا-بالفتح- سهل فهو هين.

هذا، و في (عيون ابن قتيبه) في باب المشوره قال معاويه: لقد كنت ألقى الرجل من العرب أعلم أنّ في قلبه ضغنا عليّ فأستشيره فيشير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه، فلا يزال يوسعني شتما و أوسعته حلما حتى يرجع صديقا أستعين به فيعيني و أستنجده فينجدني (٣).

قلت: نقله في باب المشوره غلط كنقله «فأستشيره»، و انما هو «فأستشيره» بشهادته قوله «فيشير إليّ منه بقدر ما يجده في نفسه» و لا ربط للمشوره هنا و لا ربط للخبر بالمشوره.

«و خذ على عدوك بالفضل فإنه أحلى الظفرين» قال تعالى «ادْفَعْ بِالَّتِي»

ص: ٤٣١

١-١) جمهره الأمثال ١:٦٥- [١] دار الجيل-بيروت.

٢-٢) الفرقان: ٦٣. [٢]

٣-٣) عيون الأخبار لابن قتيبه ١:٨٥- [٣] دار الكتب العلميه بيروت-.



«هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ» (١).

و في (مقاتل أبي الفرج): ان رجلا من آل عمر كان يشتم عليا عليه السلام إذا رأى موسى بن جعفر و يؤذيه إذا لقيه، فقال له بعض مواليه: دعنا نقتله. فقال:

لا، ثم مضى راكبا حتى قصده في مزرعه له فتوطأها بحماره، فصاح: لا تدس زرعا فلم يصغ إليه و أقبل حتى نزل عنده و جعل يضحكه و قال له: كم غرمت على زرعك هذا. قال: مائة دينار. قال: فكم ترجو أن تربح. قال: لا أدري. قال:

إنما سألتك كم ترجو. قال: مائة اخرى. فأخرج ثلاثمائة دينار فوهبها له، فقام فقَبِلَ رأسه. فلما دخل المسجد بعد ذلك وثب العمري فسلم عليه و جعل يقول:

«اللّه أعلم حيث يجعل رسالته» فوثب أصحابه عليه و قالوا: ما هذا فشاتمهم، فقال عليه السلام لأصحابه: أيما كان خيرا ما أردتم أو ما أردت (٢)؟ و قالوا: وقف رجل عليه مقطعات على الأحنف يسبه، و كان عمرو بن الأهتم جعل له ألف درهم على أن يسفه الأحنف، فجعل لا- يألو أن يسبه سبا يغضب، و الأحنف مطرق صامت، فلما رآه لا يكلمه جعل الرجل يعرض إبهاميه و يقول: يا سواتاه! و اللّه ما يمنع من جوابي إلا هوانى عليه، و قال الشاعر:

كم صديق بالعتب صار عدوّا و عدوّ بالحلم صار صديقا

«و إن أردت قطيعه أخيك فاستبق له من نفسك بقيه ترجع إليها إن بدا له» هكذا في النسخ (٣) و الظاهر كونه مصحف «لك» فإن القطيعه كانت أولا منه لا من أخيه.

«ذلك يوما ما» في (عيون ابن قتيبه) كان يقال: لا يكن حبك كلفا

ص: ٤٣٢

١-١ (١) فصلت: ٣٤. [١]

٢-٢ (٢) مقاتل الطالبين: ٣٣٢. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠٥: ١٦. [٣]

و لا بغضك تلفا.

و قال الحسن: أحبوا هونا، فإن أقواما أفرطوا في حب قوم فهلكوا (١).

و فى الكتاب (٢٢٦) «أحب حبيبك هونا ما، عسى أن يكون بغضك هونا ما، و أبغض بغضك هونا ما، عسى أن يكون حبيبك يوما ما».

و قال ابن أبى الحديد و كان عليه السلام يقول: «إذا هويت فلا تكن غاليا، و إذا تركت فلا تكن قاليا».

«و من ظن بك خيرا فصدق ظنه» فى (تاريخ بغداد): ولى المنصور رجلا من بنى العباس يقال له قثم، فأتاه أعرابى فقال:

يا قثم الخير جزيت الجنة اكس بيتاتي و أمهته

اقسم بالله لتفعلته

فقال قثم: و الله لا أفعل. فقال الأعرابى: لكن لو أقسمت على معن بن زائد لأبّر قسمي، فبلغت الكلمه معنا فبعث إليه ألف دينار (٢).

و قال الشاعر:

لا تجبهن بالردّ وجه مؤمل فبقاء عزك أن ترى مأمولا

«و لا تضعن حق أخيك اتكالا على ما بينك و بينه، فإنه ليس لك بأخ من أضعت حقه» قال البحرى فى عتاب بن بسطام:

و كما يسرك لين مسى راضيا فكذاك فاحش خشونتي غضبانا

و مع كون جميل صاحب بشينه من العشاق المعروفين و قال فيها:

خليلى فى ما عشتما هل رأيتما قتيلا بكى من حبّ قاتله قبلى

فقد دعا عليها لما رأى منها الأذى فقال:

ص: ٤٣٣

١-١) عيون الأخبار لابن قتيبه ١٣:٣- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢-٢) تاريخ بغداد ٢٣٨:١٣- [٢] دار الكتاب العربى-بيروت.

رمى الله في عيني بثينه بالقذى و في العر من أنيابها بالقوادح

في (المعجم): قيل لإبراهيم بن العباس الصولي: إن فلانا يحب أن يكون لك ولينا. فقال: أحب أن يكون الناس جميعا إخواني، و لكني لا آخذ منهم إلا من أطيع قضاء حقه و إلا استحالوا أعداء، و ما مثلهم إلا كمثل النار قليلها مقنع و كثيرها محرق (١).

و في (كامل المبرد): قال سعيد بن سلم الباهلي: عرض لي أعرابي فمدحني فبلغ فقال:

ألا قل لسارى الليل لا تخش ضله سعيد بن سلم ضوء كل بلاد

لنا سيد أربي على كل سيد جواد حثا في وجه كل جواد

فتأخرت عن بزه قليلا فهجاني فبلغ فقال:

لكل أخي مدح ثواب يعده و ليس لمدح الباهلي ثواب

مدحت ابن سلم و المديح مهزه فكان كصفوان عليه تراب (٢)

و مما قيل في ذلك من الشعر:

إذا أنت لم تنصف أخاك وجدته على طرف الهجران إن كان يعقل

و يركب حدّ السيف من أن تضيّمه إذا لم يكن عن شفره السيف معدل

و قيل أيضا:

أحسن صحابتنا فإنك مدرك بعض اللبانه باصطناع الصاحب

و إذا جفوت قطعت عنك لبانتى و الدرّ يقطعه جفاء الحالب

و قيل بالفارسيه:

گرت روا است که با دوست نگسلی پیوند نگاهدار سر رشته تا نگه دارد

ص: ٤٣٤

١- ١) معجم الأدباء للحموى ١: ١٨٨- [١] دار الفكر.

٢- ٢) الكامل ٧: ٣- [٢] دار نهضة مصر- القاهرة.

«و لا يكن أهلك أشقى الخلق بك» فيتمنون موتك و زوال نعمتك.

هذا، و في (الأغاني) عن الحسين بن الضحّاك الشاعر: شربنا يوماً مع الأمين في بستان، فسقانا على الريق و جدّ بنا في الشرب و تحرّز من أن نذوق شيئاً، فاشتدّ الأمر عليّ و قمت لأبول فأعطيت خادماً ألف درهم على أن يجعل لي تحت شجره أو مأت إليها رقاقه فيها لحم، فأخذ الألف و فعل ذلك و وثب محمد فقال: من يكون منكم حماري، فكل واحد منهم قال له أنا لأنه كان يركب الواحد مئاً عبثاً ثم يصله، ثم قال: يا حسين! أنت أضلع القوم فركبني و جعل يطوف و أنا أعدل به من الشجره و هو يمرّ بي إليها حتى صار تحتها.

فرأى الرقاقه فتطأطأ فأخذها فأكلها على ظهري و قال: هذه جعلت لبعضكم، ثم رجع إلى مجلسه و ما وصلني بشيء، فقلت لأصحابي: أنا أشقى الناس ركب ظهري و ذهب ألف درهم مني و فاتني ما يمسك رمقى و لم يصلني كعادتي، ما أنا إلا كما قال الشاعر:

و مطعم الصيد يوم الصيد مطعمه أنّي توجّه و المحروم محروم (١)

«و لا ترغبن في من زهد عنك» هكذا في (المصريه) و الصواب: (فيك) كما في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه (٢).

في (عيون ابن قتيبه): قال ابن الزبير يوماً: و الله لو ددت أن لي بكلّ عشره من أهل العراق رجلاً - من أهل الشام صرف الدينار بالدرهم. فقال له أبو حاضر: مثلنا و مثلك كما قال الأعشى:

علقتها عرضاً و علقت رجلاً غيري و علق أخرى غيرها الرجل

ص: ٤٣٥

---

١- ١) الأغاني ٢٠٨: ٧- [١] دار احياء التراث العربى.

٢- ٢) متن شرح ابن أبي الحديد ١٠٥: ١٦.

أحبك أهل العراق و أحببت أهل الشام، و أحب أهل الشام عبد الملك (١).

و أكثر الشعراء فى ذلك، فقال أبو بكر الخوارزمى:

و لما أن غرست إليك ودى فلم يثمر لديك زكى غرسى

أردت ملاله و أردت هجرا فصنتك عنهما فهجرت نفسى

لأن الذنب ذنبى حين أهدي إلى من يريد الانس انسى

و قال ابن أبى الحديد قال العباس بن الأحنف:

ما زلت أزهد فى موّده راغب حتى ابتليت برغبه فى زاهد

هذا هو الداء الذى ضاقت به حيل الطيب و طال يأس العائد

و قيل:

و فى الناس إن رثت جبالك واصل و فى الأرض عن دار القلى متحوّل (٢)

«و لا يكوننّ أخوك على مقاطعتك أقوى» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(و لا يكوننّ أخوك أقوى على قطيعتك) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيب (٣).

«منك على صلته، و لا يكوننّ على الإساءه أقوى منك على الإحسان» .

روى أبو الفرج فى (مقاتله) و المفيد فى (إرشاده) و الصدوق فى (عيونه): أنّ الرشيد جعل ابنه فى حجر جعفر بن محمد بن الأشعث- و كان يقول بالإمامه- فحسده يحيى البرمكى- فقال يوما لبعض ثقاته أ تعرفون لى رجلا من آل أبى طالب ليس بواسع الحال فيعرفنى ما أحتاج إليه، فدللّ على على بن إسماعيل بن جعفر، فحمل إليه مالا و أنفذ إليه يرغبه فى قصد الرشيد

ص: ٤٣٦

١- ١) عيون الأخبار لابن قتيبه ١٧: ٣- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١١٠: ١٦-١١١. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠٥: ١٦. [٣]

و يعده بالإحسان إليه.فعمل على ذلك و أحس به عمّه موسى بن جعفر عليه السّلام فدعاه فقال له:يا بن أخي إلى أين؟قال:إلى بغداد.قال:و ما تصنع؟قال:علّي دين و أنا مملق.فقال له:فأنا أفضى دينك و أفعل بك و أصنع فلم يلتفت إلى ذلك و عمل على الخروج،فاستدعاه موسى عليه السّلام و قال له:أنت خارج؟قال:نعم،لا بدّ لي من ذلك.فقال له:أنظر يا بن أخي و اتق الله و لا تبتغى أولادى و أمر له بثلاثمائة دينار و أربعة آلاف درهم،فلما قام من بين يديه قال موسى لمن حضره:و الله ليسعينّ فى دمي و ليتمنّ أولادى.فقالوا:تعلم هذا من حاله و تعطيه و تصله،فقال لهم:نعم حدّثني أبي عن آبائه عن النبيّ صلّى الله عليه و آله أنّ الرّحم إذا قطعت فوصلت فقطعت قطعها الله،و إنّي أردت أن أصله بعد قطعه لي حتى إذا قطعني قطعه الله،فخرج على بن إسماعيل حتى أتى يحيى فعرف منه خبر موسى بن جعفر عليه السّلام و رفعه إلى الرّشيد فسأله عن عمّه فسعى به إليه و قال له:إن الأموال تحمل إليه من المشرق و المغرب.فأمر له الرّشيد بمائتي ألف درهم يسبب له بها على بعض النواحي فاختر بعض كور المشرق،و مضت رسله لقبض المال و أقام وصوله فدخل فى بعض تلك الأيام إلى الخلاء فزحر زحره خرجت منها حشوته كلّها و جهدوا فى ردّها فلم يقدرها،و جاءه المال و هو ينزع فقال:ما أصنع به و أنا فى الموت (١).

و روى الكليني و الكشي القصة ناسبا إلى محمد بن إسماعيل بن جعفر (٢)،و الظاهر أصحيه الأول لتضمّن السّير بقاء محمد بن إسماعيل إلى زمان المأمون.

هذا،و زاد فى روايه الرسائل«و لا على البخل أقوى منك على البذل،و لا

ص:٤٣٧

١- (١) مقاتل الطالبين: ٣٣٣-٣٣٤ [١] بتصرف،و عيون الصدوق ١:٥٧ الحكمة ١،و [٢] إرشاد المفيد: ٢٩٩. [٣]

٢- (٢) الكشي: ٢٤٣ ح ٤٧٨:الكافي ١:٤٨٥ الحكمة ٨.

على التقصير أقوى منك على الفضل» (١).

«و لا يكبرنّ عليك ظلم من ظلمك فإنه يسعى في مضرتّه و نفعك» فيوم المظلوم على الظالم أشدّ من يوم الظالم على المظلوم، و ما يأخذ المظلوم من دين الظالم أكثر ممّا يأخذ الظالم من دنيا المظلوم.

«و ليس جزاء من سرّك أن تسوءه» فالعقل يحكم بأنّ جزاء من سرّك أن تسرّه «هلّ جزاء الإحسان إلاّ الإحسان» (٢) و الكلام مستقل، و توهم ابن أبي الحديد كونه تعليلاً لسابقه .

«و اعلم يا بنى أنّ الرزق رزقان: رزق تطلبه و رزق يطلبك، فإن لم تأته أتاك» فى (شعراء ابن قتيبه): وفد عروه بن اذينه على هشام بن عبد الملك فقال له هشام أ لست القائل:

لقد علمت و ما الإسراف من خلقى أنّ الذى هو حظّى سوف يأتينى

أسعى له فيعنينى تطلبه و لو قعدت أتانى لا يعنينى

قال: بلى. قال: فما أقدمك علينا. قال: سأنظر فى ذلك، و خرج و ارتحل من ساعته و بلغ هشاماً فأتبعه بجائزه (٣).

و مرّت قصه الناشىء الشاعر و أنّه مدح سيف الدوله فلم يعطه شيئاً و رأى أنّه يطعم كلابه لحوم السخال فقال له: الكلب عندكم أحسن من الأديب، ثم ضلّ بغل موقر بالمال حمل إلى سيف الدوله فذهب ليلا على باب الناشىء فأخذ ماله و أطلقه ثم دخل على سيف الدوله و أنشده:

و من ظن ان الرزق يأتى بحيله فقد كذبتة نفسه و هو آثم

ص: ٤٣٨

١-١ (١) كشف المحجّه: ١٦٩. [١]

٢-٢ (٢) الرحمن: ٦٠. [٢]

٣-٣ (٣) الشعر و الشعراء: ٣٨٤- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

يفوت الغنى من لا ينام عن السرى و آخر يأتى رزقه و هو نائم

ففظن سيف الدوله من شعره أنه وجد البغله و أخذ المال.

و لبعضهم:

اتق الله لا الأعداء و اعلم يقينا بأن الذى لم يقضه لن يصيبكا

و حظك لا يعدوك ان كنت قاعدا و لا أنت تعدو حين تعدو نصيبكا

«ما أقبح الخضوع عند الحاجه و الجفاء عند الغنى» زاد فى روايه الكلينى «و اعلم يا بنى أن الدهر ذو صروف، فلا تكن ممن يشتد لائمته، و يقل عند الناس عذره» (١).

و نظير كلامه عليه السلام ما عن النبى صلى الله عليه و آله: ما أقبح الفقر بعد الغنى، و أقبح الخطيئه بعد المسكنه، و أقبح من ذلك العابد لله ثم يدع عبادته (٢). و من شواهد كلامه عليه السلام قول بعضهم:

و ما الموت قبل الموت غير أننى أرى ضرعا بالعسر يوما لدى اليسر

و مدح إبراهيم الصولى رجلا بضد ذلك فقال:

يعرف الأبعد ان أثرى و لا يعرف الأدنى إذا ما افتقرا

و قال ابن أبى الحديد قال الشاعر:

خلقنا لا أرضاهما لفتى تيه الغنى و مدله الفقر

فإذا غنيت فلا تكن بطرا و إذا افتقرت فته على الدهر

و قال: كلامه عليه السلام من قوله تعالى «حَتَّى إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَ جَرَيْنَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَبَّيْهِ وَ فَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَ جَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أَنْجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ فَلَمَّا أَنْجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» (٣).

ص: ٤٣٩

١- ١) كشف المحججه: ١٦٩. [١]

٢- ٢) الكافى ٢: ٨٤ ح ٦. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١١٥: ١٦، و [٣] الآيتان من سوره يونس: ٢٢-٢٣. [٤]



قلت: بل الآيه في مقام، و كلامه عليه السّلام في مقام، فهل الخضوع لله وقت الإحاطه بهم في البحر قبيح؟ وإنما يقبح الخضوع للناس وقت الحاجه، و المراد من الآيه نقض الناس عهودهم مع الله تعالى في الاضطرار بعد رفعه.

«ان لك من دنياك ما أصلحت به مثواك» أي: محل إقامتك، و زاد في روايه التحف و الرسائل «فأنفق في حقّ، و لا تكن خازنا لغيرك» (١).

قال ابن أبي الحديد كلامه عليه السّلام مأخوذ من كلام النبي صلّى الله عليه و آله: «يا ابن آدم ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفنيته، أو لبست فأبليت، أو تصدّقت فأبقيت».

و قال أبو العتاهيه:

ليس للمتعب المكادح من دنياه إلا الرّغيف و الطمران (٢)

(و ان جزعت) كذا في (المصريه) و الصواب: (و ان كنت جازعا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٣) «على ما تفلّت» أي: خرج بغيته.

«من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل إليك» لكونه نظيره في عدم تقدير أحدهما له، و هو أيضا نظير أن يخرج الإنسان في يقظته على فوت ما حصل بيده في النوم.

«استدل على ما لم يكن بما قد كان فان الامور أشباه» فتعرف ما لم يكن ممّا كان. قال ابن أبي الحديد يقال: إذا شئت أن تنظر إلى الدنيا بعدك فانظرها بعد غيرك، و قال المتنبى في سيف الدوله:

ذكيّ تظنيّه طليعه عينه يرى قلبه في يومه ما يرى غدا (٤)

ص: ٤٤٠

١-١) كشف المحجّه: ١٦٩، و [١] تحف العقول: ٨٣.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٦: ١٦. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١١٢: ١٦. [٣]

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ١١٦: ١٦. [٤]

قلت: البيت غير مربوط بكلامه عليه السلام، فإنه في الاعتبار للآتي بالماضي و البيت وصف الذكاء، كقول الآخر:

الألمعي الذي يظن بك الظن كأن قد رأى و قد سمعا

و كيف كان فزاد في روايه الرسائل: «و لا تكفر ذا نعمه، فإن كفر النعمه من الأم الكفر، و اقبل العذر» (١).

«و لا- تكونن ممن لا تنفعه العظه إلا إذا بالغت في إيلامه فإن العاقل يتعظ بالآداب» هكذا في (المصريه) و الصواب: (بالأدب) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

«و البهائم لا تتعظ إلا بالضرب» و زاد في روايه الكليني «اعرف الحق لمن عرفه لك رفيعا كان أو وضيعا» (٣)، قال بشار:

الحر يلحي و العصا للعبد و ليس للملحف مثل الرد

و قال ابن أبي الحديد كان يقال: اللثيم كالعبد، و العبد كالبهيمة عتبها ضربها، و قال الشاعر:

العبد يقرع بالعصا و الحرّ تكفيه الملامه (٤)

«اطرح عنك واردات الهموم بجزائم الصبر و حسن اليقين» «و اصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور» (٥)، قال الشاعر:

خفّض عليك من الهموم فائما يحظى براحه دهره من خفّضا

أيضا:

ص: ٤٤١

١-١ (١) كشف المحججه: ١٦٩. [١]

٢-٢ (٢) متن شرح ابن أبي الحديد ١١٣: ١٦.

٣-٣ (٣) كشف المحججه: ١٦٩. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١. [٣]

٥-٥ (٥) لقمان: ١٧. [٤]

إذا تضايق أمر فانتظر فرجا فأضيق الأمر أدناه من الفرج

أيضا:

إنّ الامور إذا انسدت مسالكها فالصبر يفتح منها كلّ ما ارتتجا

لا تيأسنّ و إن طالّت مطالبه إذا استعنت بصبر أن ترى فرجا

أخلق بذى الصبر أن يحظى بحاجته و مدمن القرع للأبواب أن يلجا

أيضا:

إنّى رأيت و للأيام تجربه للصبر عاقبه محموده الأثر

و قلّ من جدّ فى أمر يطالبه و استصحب الصبر إلّا فاز بالظفر

أيضا:

فصبرا معين الملك إن عنّ حادث فعاقبه الصبر الجميل جميل

و لا تيأسن من صنع ربك إنّه ضمّين بأن الله سوف يديل

فإن اللّيالى إذ يزول نعيمها تبشّر أنّ النائبات تزول

ألم تر أن الشمس بعد كسوفها لها منظر يغشى العيون صقيلا

و ان الهلال النضو يغمر بعد ما بدا و هو شخت الجانيين ضئيل

و لا تحسبنّ السيف يقصر كلّما تعاوده بعد المضاء كلول

و لا تحسبنّ الدوح يقلع كلّما يمرّ به نفح الصبا فيميل

فقد يعطف الدهر الأبى عنانه فيشفى عليل أو يبلى غليل

و يرتاش مقصوص الجناحين بعد ما تساقط ريش و استطار نسيل

و يستأنف الغصن السليب نضاره فيورق ما لم يعتوره ذبول

و للنجم من بعد الرجوع استقامه و للحظّ من بعد الذهاب قفول

«من ترك القصد» أى:العدل،قال الشاعر:

على حكم المأتى يوما إذا قضى قضيته ألا يجور و يقصد

ص:٤٤٢

«جار» كان غريب بن عمليس مبدّرا، و من أمثالهم «و من يطع عريبا يمس غريبا»، «من يطع عكبا يمس منكبا» (١)، «من يطع نمره يفقد ثمره» (٢).

و زاد فى روايه (الرسائل) «و نعم حظ المرء القنوع، و من شر ما صحب المرء الحسد، و فى القنوط التفريط، و الشح يجلب الملامه» (٣).

«و الصاحب مناسب» أى: يجب أن يكون صاحبك مناسبك، قال الشاعر:

نسيبك من ناسبت بالودّ قلبه و جارك من صافيته لا المصاقب

و فى (عيون ابن قتيبه) قال بختيوع للمأمون: لا تجالس الثقلاء فإننا نجد فى الطب مجالسه الثقيل حمى الروح (٤).

و كتب رجل على خاتمه «أبرمت فقم» فكان إذا جلس إليه ثقيل ناوله إياه، و قال بعضهم:

إنى أجالس معشرا نوكى أخفهم ثقيل

قوم إذا جالستهم صدأت بقربهم العقول

لا يفهمونى قولهم و يدقّ عنهم ما أقول

فهم كثير بى و أعلم أننى بهم قليل

أيضا:

ألا إن خير الودود تطوعت به النفس لا ودّ أتى و هو متعب

أيضا:

ذو الود منى و ذو القربى بمنزله و إخوتى اسوه عندى و إخوانى

عصابه جاورت آدابهم أدبى فهم و ان فرقوا فى الأرض جيرانى

ص: ٤٤٣

١-١) مجمع الأمثال للميدانى ٢:٢٩٨. [١]

٢-٢) مجمع الأمثال للميدانى ٢:٢٩٨. [٢]

٣-٣) كشف المحجّه: ١٦٩.

٤-٤) عيون الأخبار لابن قتيبه ١:٤٢٧- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

أرواحنا فى مكان واحد و غدت أبدانا بشآم أو خراسان

أيضا:

أبن لى فكن مثلى أو ابتغ صاحباً كمثلك إننى مبتغ صاحباً مثلى

عزيز اخائى لا ينال مودتى من القوم إلا مسلم كامل العقل

و ما يلبث الإخوان أن يتفرقوا إذا لم يؤلف روح شكل إلى شكل

و كتب رجل إلى صديقه: إنى صارفت منك جوهر نفسى، فأنا غير محمود على الانقياد لك بغير زمام، لأن النفس يتبع بعضها بعضاً، و قالوا:

«طير السماء على إلفه من الأرض يقع» و قيل:

و قائل كيف تهاجرتما فقلت قولاً فيه إنصاف

لم يك من شكلى فتاركته و الناس أشكال و الآف

هذا، و فى (تاريخ بغداد): اجتمع ثمامه بن أشرس و يحيى بن أكثم عند المأمون، فقال ليحيى: العشق ما هو؟ فقال: سوانح تسنح للعاشق يؤثرها و يهتم بها. فقال ثمامه: أنت بمسائل الفقه أبصر منك بهذا، و نحن بهذا أصدق.

فقال له المأمون: فهات ما عندك. قال: إذا امتزجت جواهر النفس بوصل المشاكلة نتجت لمح نور ساطع يستضىء به بواصر العقل و تهز لا شراقة طبائع الحياه، و يتصور من ذلك اللحم نور خاص بالنفس متصل بجوهرها يسمى «عشقا» فقال له المأمون: هذا و أيبك الجواب (1).

(و فيه): إن الرشيد لمّا غضب على ثمامه دفعه إلى سلام الأبرش و أمره أن يضيق عليه و يدخله بيتاً و يطين عليه و يترك فيه ثقباً، ففعل دون ذلك و كان يدسّ إليه الطعام، فجلس سلام عشيه يقرأ فى المصحف فقرأ «فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ»

ص: ٤٤٤

«لِلْمُكَذِّبِينَ» (١) بالفتح، فقال له ثمامه انما هو «للمكذبين» و جعل يشرحه و يقول: المكذَّبون هم الرسل و المكذَّبون الكفار. فقال: قد قيل لى أنك زنديق و لم أقبل. ثم ضيق عليه أشد الضيق، ثم رضى الرشيد عنه و جالسه فقال لمن معه: أخبرونى عن أسوأ الناس حالا، فقال كل واحد شيئا، فقال ثمامه: أسوأ الناس حالا عاقل يجرى عليه حكم جاهل. فتبين الغضب فى وجهه فقال ثمامه:

ما أحسب وقعت بحيث أردت. قال: فاشرح، فحدّثه بحديث سلام، فجعل يضحك حتى استلقى و قال: صدقت و الله لقد كنت أسوأ الناس حالا (٢).

«و الصديق من صدق غيبه» .

خير إخوانك المشارك فى المر و ابن الشريك فى المر أينا

الذى ان شهدت سرّك فى القوم و إن غبت كان اذنا و عينا

مثل تبر العقيان ان مسّه النا رجلاه الجلاء فازداد زينا

فى (تاريخ بغداد) قال الواقدى: أضقت مره و أنا مع يحيى البرمكى و حضر عيد فجاءتنى جاريه فقالت لى: ليس عندنا شىء، فمضيت إلى صديق لى من التجّار فعرفته حاجتى إلى القرض، فأخرج إلى كيسا مختوما فيه ألف و مائتا درهم، فأخذته و انصرفت إلى منزلى، فما استقررت فيه حتى جاءنى صديق لى هاشمى فشكا إلى تأخر غلّته و حاجته إلى القرض، فدخلت إلى زوجتى فقالت: أى شىء عزمت؟ قلت: على أن اقسامه الكيس. قالت: ما صنعت شيئا أتيت رجلا سوقه فأعطاك ألفا و مأتى درهم و جاءك رجل له من النبى صلّى الله عليه و آله رحم ماسه تعطيه نصف ما أعطاك السوقه! أعطه الكيس كلّه، فأخرجت الكيس كله فدفعتة إليه، و مضى صديقى التاجر إلى الهاشمى - و كان

ص: ٤٤٥

١- (١) الطور: ١١. [١]

٢- (٢) تاريخ بغداد ١٤٨: ٧- [٢] دار الكتاب العربى-بيروت.

له صديقا، فسأله القرض فأخرج إليه الهاشمي الكيس، فلما رأى خاتمه عرفه و انصرف اليّ فخبّرني بالأمر و جاءني رسول يحيى يقول: إنّما تأخّر رسولي عنك لشغلي بحاجات الخليفه، فركبت إليه فأخبرته بخبر الكيس فقال: يا غلام هات تلك الدنانير، فجاءه بعشره آلاف فقال: خذ ألفي دينار لك و ألفين لصديقك و ألفين للهاشمي و أربعة آلاف لزوجتك فإنّها أكرمكم (١).

«و الهوى شريك العناء» هكذا في (المصريه) و الصواب: (العمى) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٢)، بل و في روايه الكليني- و زاد في روايته: «و من التوفيق الوقوف عند الحيره، و نعم طارد للهموم اليقين، و عاقبه الكذب الندم، و في الصدق السلامه» (٣).

و المراد أنّه كما أن ذا العمى لا يبصر، كذلك ذو الهوى في شيء. قال أبو العتاهيه:

يا عتب ما أنا من صنيعك بي أعمى و لكنّ الهوى أعماني

و قال ابن أبي الحديد هذا مثل قولهم: «حبك الشيء يعمي و يصمّ»، و قال الشاعر:

و عين الرضا عن كلّ عيب كليله كما أنّ عين السخط تبدى المساويا (٤)

«و ربّ قريب أبعد من بعيد، و ربّ بعيد أقرب من قريب» هكذا في (المصريه) و الصواب: (رب بعيد أقرب من قريب و قريب أبعد من بعيد) كما في ابن أبي

ص: ٤٤٤

١- ١) تاريخ بغداد ١٩: ٣- [١] دار الكتاب العربي-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٣: ١٦.

٣- ٣) كشف المحجّه: ١٦٩.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١٦-١١٨. [٢]



الحديد و ابن ميثم و الخطيبه (١).

في (تاريخ بغداد)- في محمد بن علي الأنباري- أن عليا كان يقول:

«القريب من قريته الموده و إن بعد نسبه، و البعيد من بعدته العداوه و إن قرب نسبه».

(و فيه)- في كلثوم بن عمرو العتابي- كتب طوق بن مالك إلى كلثوم يستزيه و يدعوه إلى أن يصل القرابه بينه و بينه، فردّ عليه كلثوم: إن قريبيك من قرب إليك خيره، و إن عمّيك من عمّيك نفعه، و إن عشيرتك من أحسن عشيرتك، و إن أخصّ الناس إليك أجداهم بالمنفعه عليك، و لذلك أقول:

و لقد بلوت الناس ثم سبرتهم و خبرت ما فتلوا من الأسباب

فإذا القرابه لا تقرب قاطعا و إذا الموده أكبر الأسباب (٢)

و قال أبو الأسود:

فلا تشعرنّ النفس ياسا فإنما يعيش بجدّ حازم و بليد

و لا تطمعن في مال جار لقربه فكلّ قريب لا ينال بعيد

و في المعمرين لأبي حاتم قال الأضبط بن قريع:

وصل وصال البعيد ما وصل الحب ل و أقصّ القريب إن قطعه

و قال ابن أبي الحديد ما قاله عليه السّلام معنى مطروق، قال الأحوص:

إنّي لأمنحك الصدود و إنّي قسما إليك مع الصدود لأميل

و قال البحترى:

و نازحه و الدار منها قريبه و ما قرب ثاو في التراب معيب

و قال الشاعر:

ص: ٤٤٧

(١-١) شرح ابن أبي الحديد ١١٨، ١١٣: ١٦. [١]

(٢-٢) تاريخ بغداد ٤٨٨: ١٢- [٢] دار الكتاب العربي-بيروت.

لعمرك ما يضرّ البعد يوماً إذا دنت القلوب من القلوب (١)

قلت: معنى ما نقل غير كلامه عليه السلام، وإنما يصحّ جعله قريباً من كلامه.

«و الغريب من لم يكن له حبيب» وقالوا أيضاً «الغريب من لم يكن له مال» وقيل بالفارسيه:

منعم بكوه و دشت و بيابان غريب نيست هر جا كه رفت خيمه زد و بارگاه كرد

«من تعدّى الحق ضاق مذهبه» فإنّ الحق كالجاده و متعدّيه كالمتمعدّى من الجاده، و فى المثل «من سلك الجدد، أمن العثار» (٢)، و قال تعالى «وَ أَنْ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (٣).

«و من اقتصر على قدره كان أبقي له» قال ابن أبي الحديد: هذا مثل قوله «رحم الله امرأ عرف قدره، و لم يتعدّ طوره» و قال: «من جهل قدره قتل نفسه» (٤).

قلت: الظاهر أن معنى كلامه عليه السلام: «من اقتصر على قدره كان أبقي له» أنّ من اقتصر على قدر ماله فى إنفاقاته و وجوه مصارفه كان أبقي له من أن يتلف كلّ ماله، فالإقتصار على قدره غير عرفان قدره و جهله كما فهم.

و فى (العيون) دخل مالك بن دينار على رجل محبوس قد أخذ بمال عليه و قيد، فقال له: أما ترى ما نحن فيه من هذه القيود، فرفع مالك رأسه فرأى سله فقال: لمن هذه؟ فقال: لى، فأمر بها أن تنزل، فانزلت و إذا دجاج و أخبصه، فقال

ص: ٤٤٨

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١١٨:١٦. [١]

٢-٢ (٢) مجمع الأمثال للميدانى ٣٠٦:٢، [٢] الزمخشري ٣٥٦:٢. [٣]

٣-٣ (٣) الانعام: ١٥٣. [٤]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١١٨:١٦. [٥]

له: هذه وضعت القيود في رجلك (١).

«و أوثق سبب أخذت به سبب» الأصل في معنى السبب الحبل و الوسيله.

«بينك و بين الله» هكذا في (المصريه) و فيها سقط فزاد ابن أبي الحديد و الخطيه «سبحانه» و لكن في نسخه ابن ميثم «تعالى»  
(٢). قال ابن أبي الحديد:

هو مأخوذ من قوله تعالى «فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا» (٣)(٤).

قلت: و كذا قوله تعالى: «وَ مَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» (٥).

و السبب بين الخلائق و الخالق كان أولا النبي صلى الله عليه و آله و كتابه تعالى و بعده كتابه تعالى و عتره نبيه، فقال النبي صلى الله عليه و آله- كما في مسند أحمد بن حنبل- إني تارك فيكم الخليفتين: كتاب الله حبل ممدود ما بين السماء، و عترتي أهل بيتي، و إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض (٦).

و بمعنى آخر: الفصل عن غيره تعالى و الوصل به عزّ و جلّ، ففي (الكافي) أوحى تعالى إلى داود: ما اعتصم بي عبد من عبادي دون أحد من خلقي عرفت ذلك من نيته ثم تكيده السماوات و الأرض و من فيهن إلا جعلت له المخرج من بينهن، و ما اعتصم عبد من عبادي بأحد من خلقي عرفت ذلك من

ص: ٤٤٩

١- ١) عيون الاخبار ٢١٥:٣- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٣:١٦. [٢]

٣- ٣) البقره: ٢٥٣. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١١٦:١٦. [٤]

٥- ٥) آل عمران: ١٠١. [٥]

٦- ٦) حديث الثقلين [٦] أخرجه أحمد في مسنده ٢: (٧) [٧] ٥٩، ٢٦، ١٧، ١٤) عن طريق أبي و فيه (٤ ح ٣٦٦) عن زيد بن ارقم و فيه (٥-١٨١-١٨٩) عن زيد بن ثابت.

نبتته إلا قطعت أسباب السماوات من بين يديه و أسخت الأرض من تحته و لم ابال من أى واد هلك.

و فى خبر آخر: من اعتصم بالله عصمه الله، و من عصمه لم يبال لو سقطت السماء على الأرض، أو كانت نازله نزلت على أهل الأرض فشملتهم بليته كان فى حرز الله تعالى بالتقوى من كل بليه، أليس الله تعالى يقول: «إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ» (١).

و فى آخر: عن الحسين بن علوان: كنا فى مجلس نطلب فيه العلم و قد نفدت نفقتى فى بعض أسفارى، فقال لى بعض أصحابنا: من تؤمل بما قد نزل بك. فقلت: فلانا. فقال: إذن و الله لا يسعف حاجتك. قلت: و ما علمك؟ قال: إن أبا عبد الله عليه السلام حدثنى أنه قرأ فى بعض الكتب أن الله تعالى يقول: و عزتى و جلالى و مجدى و ارتفاعى على عرشى لأقطعن أمل كل أمل غيرى باليأس، و لأكسونه ثوب المذلل عند الناس، و لأنحيه من قربى و لأبعدنه من وصلى، أ يؤمل غيرى فى الشدائد و الشدائد بيدى؟ و يرجو غيرى و يقرع بالفكر باب غيرى و بيدى مفاتيح الأبواب و هى مغلقة و بابى مفتوح لمن دعانى؟ فمن ذا الذى أملى لنوائبه فقطعت دونها؟ و من ذا الذى رجانى لعظيمه فقطعت رجاءه منى؟ جعلت آمال عبادى عندى محفوظه فلم يرضوا بحفظى، و ملأت سماواتى ممن لا يمل من تسيحى و أمرتهم أن لا يغلّقوا الأبواب بينى و بين عبادى فلم يثقوا بقولى، أ لم يعلم من طرفته نائبه من نوائبى أنه لا يملك كشفها أحد غيرى الا من بعد اذنى؟ فما لى أراه لا هيا عنى! أعطيته بجدوى ما لم يسألنى، ثم انتزعت منه فلم يسألنى رده و سأل غيرى، أ فترانى أبدأ بالعطاء قبل المسأله ثم اسأل فلا اجيب سائلى؟ أ بخيل أنا فيبخلنى عبدى؟ أو ليس

ص: ٤٥٠

الكرم لى؟ أ و ليس العفو و الرحمه بيدي؟ أ و ليس أنا محل الآمال فمن يقطعها دونى؟ أ فلم يخش المؤمنون أن يؤمّلوا غيرى؟ فلو أن أهل سماواتى و أهل أرضى أمّلوا جميعا ثم أعطيت كل واحد منهم مثل ما أمّل الجميع ما انتقص من ملكى مثل عضو ذره، و كيف ينقص ملك أنا قيمه، فيا بؤسا للقائين من رحمتى، و يا بؤسا لمن عصانى و لم يراقبنى (١).

«و من لم يبالك فهو عدوك» قال أبو العيّن:

لعمرك ما حقّ امرئ لا يعدّ لى على نفسه حقّا على بواجب

و ما أنا للنائى علىّ بوده بوذى و صافى خلّتى بمقارب

و لكنّه إن مال يوما بجانب من الصّدّ و الهجران ملت بجانبى

هذا، و فى (الأغانى) نهق حمار ذات يوم بقرب بشار فخطر بياله بيت فقال:

ما قام أير حمار فامتلا شبعاً إلا تحرّك عرق فى است تسنيم

و لم يرد تسنيماً بالهجاء و لكنه لمّا بلغ إلى قوله «الا- تحرّك عرق» قال فى است من، و مر به تسنيم و كان صديقه فسلم عليه فقال: فى است تسنيم.

فقال: أيش ويحك، فأنشده البيت. فقال له: عليك لعنه الله، فما عندك فرق بين صديقك و عدوك، أى شىء حملك على هذا؟ ألا قلت «فى است حمار» الذى فضحك و أعياك و ليست قافيتك على الميم فأعذرك. قال: صدقت و الله فى هذا كلّه و لكن ما زلت أقول «فى است من فى است من» و لا- يخطر بيالى أحد حتى مررت و سلمت فرزقته. فقال له تسنيم: إذا كان هذا جواب التسليم عليك فلا سلم الله عليك و لا علىّ حين سلمت عليك. و جعل بشار

ص: ٤٥١

يضحك و يصفق بيديه و تسنيم يشتمه (١).

«قد يكون اليأس ادراكا إذا كان الطمع هلاكا» قال امرؤ القيس:

و قد سافرت فى الآفاق حتى رضيت من الغنيمه بالإياب

و قال البحترى:

إذا بدا بخلاء الناس عارفه يتبعها المن فالمرزوق من حرما

و قال آخر:

اللّيل داج و الكباش تنتطح فمن نجا برأسه فقد ربح

«ليس كلّ عوره تظهر و لا- كل فرصه تصاب» و لو كان كل عوره-و العوره موضع خلل يتخوف منه-تظهر لأمكن لكثير من الناس استيصال أعدائهم، و لو كان كلّ فرصه تصاب لأصلح الناس كثيرا من أمور دينهم و دنياهم.

«و ربما أخطأ البصير قصده، و أصاب الأعمى رشده» و قالوا: لكلّ جواد كبوه، و لكل صارم نبوه، و لكل عالم هفوه. و قال محمد بن بشير:

تخطى النفوس مع العيان و قد تصيب مع المظنّه

كم من مضيق فى الفضاء و مخرج بين الأسنّه

و لأبى العتاهيه:

و قد يهلك الانسان من باب أمنه و ينجو باذن الله من حيث يحذر

و من أمثالهم: «رب رميه من غير رام». قال الميدانى: و أول من قاله الحكم ابن عبد يغوث المنقرى- و كان أرمى أهل زمانه- و آلى يمينا ليدجن على الغبغب ماه- أى يقطع عرق ما تدلّى تحت حنك بقره و حشيه بالرمى- فحمل قوسه و كنانته فلم يصنع يومه ذلك شيئا، فرجع كئيبا و بات ليلته على ذلك، ثم خرج إلى قومه فقال، ما أنتم صانعون، فإننى قاتل نفسى أسفا إن لم

ص: ٤٥٢

أدجها اليوم. فقال له أخوه: دج مكانها عشره من الإبل و لا تقتل نفسك. قال:

و اللآت و العزى لا أظلم عاتره و أترك النافره. فقال له ابنه: احملنى معك أرفدك.

فقال له أبوه: و ما أحمل من ر عش و هل، جبان فشل. فضحك الغلام و قال: إن لم تر أوداجها يخالط أمشاجها فاجعلنى و داجها. فانطلقا فإذا هما بمهاه فرماها الحكم فأخطأها ثم مرّت به اخرى فأخطأها ثم مرّت به اخرى فرماها فأخطأها، فقال له ابنه: أعطنى القوس، فأعطاها فرماها و لم يخطئها فقال أبوه «رّب رميه من غير رام» (١) يضرب لصدور الفعل من غير أهله .

«أخر الشر فإنك إذا شئت تعجلته» قريب من كلامه عليه السّلام قول هدبه العذرى:

و لا أتمنى الشر و الشر تاركى و لكن متى أحمل على الشر أركب

و يجب العمل بكلامه عليه السّلام فى المتهم بالقتل و غيره فما لم يتبين جرمه لم تجز عقوبته، فلعله كان بريئا فلا ترد العقوبه، فإن تحقق جرمه عاقبه عقبيه.

«و قطيعه الجاهل تعدل صله العاقل» فى (عيون ابن بابويه) قال عمير بن يزيد: كنت عند الرضا عليه السّلام، فذكر محمد بن جعفر بن محمد، فقال: إننى جعلت على نفسى ألّا يظّلنى و إيّاه سقف بيت أبدا. فقلت فى نفسى: هذا يأمرنا بالبرّ و الصله و يقول هذا لعمه. فنظر إلّى، فقال: هذا من البرّ و الصله، إنّه متى يأتنى و يدخل علىّ فيقول فىّ فيصدقّه الناس، و إذا لم يدخل علىّ و لم أدخل عليه لم يقبل قوله إذا قال (٢).

و فى (المروج) قال المتوكل لأبى العيناء: بلغنا عنك بذاء. فقال: قد مدح

ص: ٤٥٣

١- (١) مجمع الأمثال للميدانى ١: ٢٩٩ [١] بتصرف.

٢- (٢) عيون ٢: ٢٠٤ ح ١. [٢]

اللّٰه تعالٰى و ذم، فقال تعالٰى «نِعَمَ الْعَبِيدُ إِنَّهُ أَوْابٌ» (١) وقال جل و علا «هَمَّازٍ مَّشَاءٍ بِنَمِيمٍ» ... «عُتِلَّ بَعِيدٌ ذَلِكَ زَنِيمٌ» (٢)، فان لم يكن البذاء بمنزله العقرب يلدغ النبىّ صَلَّى اللّٰه عليه و آله و الذمىّ فلا ضير فيه. قال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم أك صادقا و لم أشتم التّكس اللّئيم المذمّما

ففيهم عرفت الخير و الشرّ باسمه و شقّ لى اللّٰه المسامع و الفما (٣)

و قال الآخر:

أبا حسن ما أقبح الجهل بالفتى و للحلم أحيانا من الجهل أقبح

إذا كان حلم المرء عون عدوه عليه فإن الجهل أعفى و أروح

«من أمن الزمان خانه» عن أكنم بن صيفى: الدهر لا يعتزّ به، و من مأمنه يؤتى الحذر.

«و من أعظمه أهانه» فى الخبر: ما من أحد عظّم الدنيا فقوّت عيناه فيها، و لم يحقرّها إلاّ انتفع بها (٤).

«ليس كلّ من رمى أصاب» و قالوا: «ما كل رامى غرض يصيب».

«إذا تغيّر السلطان تغيّر الزمان» و قالوا: «الناس على دين ملوكهم» و كان الناس فى زمان الوليد بن عبد الملك حريصين على العمارات مثله، و فى زمان سليمان أخيه على أكل الطيبات مثله، و فى زمان يزيد أخيه على قضاء الوطر من الشهوات مثله، و فى زمان هشام أخيه على الشحّ و ترك الإطعام و سدّ باب المضيفات مثله.

و فى (العقد): اطلع مروان بن الحكم على ضيعته بالغوطة فأنكر منها

ص: ٤٥٤

١-١ (١) ص: ٤٤، ٣٠.

٢-٢ (٢) القلم: ١١ و ١٣. [١]

٣-٣ (٣) المروج: ٤: ١٤٨. [٢]

٤-٤ (٤) الكافى ٢: ٣١٧، رواه ٩. [٣]



شيئا فقال لو كيله: ويحك! إنني لأظنك تخونني. قال: أ تظن ذلك و لا- تستيقنه. قال و تفعل. قال: نعم و الله اني لأخونك و إنك لتخون الخليفه و الخليفه ليخون الله فلعن الله شر الثلاثه.

و قالوا: صنفان إذا صلحا صلح الناس: الأمراء و الفقهاء، و إذا فسدا فسد الناس.

و قال ابن أبي الحديد جمع أنو شروان عمال السواد و بيده درّه يقلبها، فقال: أي شيء أضرّ بارتفاع السواد و أدعى إلى محقه؟ و أيكم قال ما في نفسى جعلت هذه الدرّه في فيه. فقال بعضهم انقطاع الشرب، و قال بعضهم احتباس المطر، و قال بعضهم استيلاء الجنوب و عدم الشمال. فقال لوزيره: قل أنت فإنني أظن عقلك يعادل عقول الرعيه كلّها أو يزيد عليها. فقال: تغيّر رأى السلطان في رعيته، و إضمار الحيف لهم و الجور عليهم. فقال: لله أبوك، بهذا العقل أهلك آبائي لما أهلوك، و جعل الدرّه في فيه (١).

«سل عن الرفيق قبل الطريق» في (الاستيعاب) قال خفاف: أتيت النبيّ صلّى الله عليه و آله فقلت: أين تأمرني أن أنزل، على قرشى أم أنصاري، أم أسلم أم غفار؟ فقال: يا خفاف! ابتغ الرفيق قبل الطريق، فإن عرض لك أمر نصرك، و ان احتجت إليه رفدك (٢).

«و عن الجار قبل الدار» في (تاريخ بغداد): كان لمحمد بن ميمون أبي حمزه السكرى جار أراد أن يبيع داره، فقيل له: بكم. قال: بألفين عن الدار، و ألفين جوار أبي حمزه. فبلغ ذلك أبا حمزه فوجه إليه بأربعة آلاف فقال: خذ هذه و لا تبع دارك.

ص: ٤٥٥

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٢١:١٦. [١]

٢-٢) الاستيعاب ١:٤٣٧. [٢]

(و فيه): كان إذا مرض الرجل من جيرانه تصدق بمثل نفقه المريض لما صرف عنه من العله.

(و فيه): كان إذا مرض عنده من قد رحل إليه ينظر إلى ما يحتاج إليه من الكفايه فيأمر بالقيام به.

كان لرجل جار حسن فاحتاج إلى بيع داره فلما نقدته المشتري الثمن قال له: هذا ثمن الدار فأين ثمن جاري، فسمع ذلك جاره فبعث إليه بمال لثلا يبيع داره.

و يضربون المثل بجار أبي دؤاد، يعنون كعب بن مامه، قالوا كان كعب إذا جاوره رجل فمات و داه، و إن هلك له بعير أو شاه أخلف عليه، فجاوره أبو دؤاد فكان يفعل به ذلك فقال قيس بن زهير:

اطوّف ما اطوّف ثم آوى إلى جار كجار أبي دؤاد

كما أنّهم يضربون المثل بجار لا يحمي جاره بلحم ظبي، قال الشاعر:

فجارك عند بيتك لحم ظبي و جاري عند بيتي لا يرام

هذا، و في (الأذكياء) في خبر قال رجل للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِنَّ لِي جَارًا يُؤْذِنِي فَقَالَ: انطلق و أخرج متاعك إلى الطريق، فانطلق فأخرج متاعه، فاجتمع الناس عليه فقالوا: ما شأنك؟ قال: لي جار يؤذيني فذكرت ذلك للنبي فقال لي: انطلق و أخرج متاعك إلى الطريق، فجعلوا يقولون «اللهم العنه اللهم أخزه» فبلغه فأثاه فقال: إرجع إلى منزلك فوالله لا تؤذيك (١).

«إيّاك أن تذكر من الكلام ما كان مضحكا و ان حكيت ذلك عن غيرك» لأنّ ذلك يحطّ الرجل الجليل عن منزلته، بل من كان له مضحكه تسقط هيئته.

و في (تاريخ الجزري): كان للسلطان ملكشاه مسخره يعرف

ص: ٤٥٦

ب: (جعفر ك) يحاكي نظام الملك و يذكره في خلواته مع السلطان، فبلغ ذلك جمال الملك بن نظام الملك - و كان يتولى مدينه بلخ و أعمالها - فسار من وقته يطوى المراحل إلى والده و السلطان و هما باصبهان، فاستقبله أخواه فخر الملك و مؤيد الملك، فأغظ لهما القول في إغضائهما على ما بلغه عن «جعفر ك»، فلما وصل إلى حضره السلطان رأى «جعفر ك» يسارّه، فانتهره و قال: مثلك يقف هذا الموقف و ينبسط بحضره السلطان في هذا الجمع، فلما خرج من عند السلطان أمر بالقبض على «جعفر ك» و أمر بإخراج لسانه من قفاه و قطعه فمات، ثم أمر السلطان سرًا بقتل جمال الملك لقتله مضحكته (١).

(و فيه): قتل في سنه (٥٥٦) سليمان شاه بن السلطان محمد بن ملك شاه، كان يجمع المساخر و لا يلتفت إلى الامراء، فأهمل العسكر أمره و صاروا لا يحضرون بابه - و كان قد رد جميع الامور إلى (کرد بازو) من مشايخ خدمهم - فكان الامراء يشكون إليه و هو يسكنهم، فاتفق أنّ السلطان شرب يوما بظاهر همدان في الكشك، فحضر عنده (کرد بازو) و لامه، فأمر من عنده من المساخره فعبثوا بکرد بازو حتى أن بعضهم كشف له سواته - إلى أن قال - فأحضر کرد بازو الامراء - و كانوا كارهين لسليمان - فاستحلفهم على طاعته فحلفوا له، فأول ما عمل أن قتل المساخره الذين لسليمان و قال له: إنما أفعل ذلك لملكك، ثم عمل دعوه عظيمه حضرها السلطان و الامراء، فلما صار السلطان في داره قبض عليه ثم أرسل إليه من خنقه... (٢).

«و اياك و مشاوره النساء» ففي الخبر كان النبي صلي الله عليه و آله إذا أراد الحرب دعا

ص: ٤٥٧

١- ١) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١٢٣: ١٠-١٢٤، سنه ٤٧٥. [١]

٢- ٢) الكامل في التاريخ لابن الأثير الجزري ١١-٢٦٦، سنه ٥٥٦. [٢]

نساءه فاستشارهن ثم خالفهن (١).

وقالوا: لا تستشيروا معلماً ولا راعى غنم ولا كثير القعود مع النساء.

وقال ابن أبي الحديد قال الفضل بن الربيع -يصف الأمين بالعجز أيام محاربتة المأمون- إن هذا الرجل قد ألقى بيده إلقاء الأمه  
الوكعاء، يشاور النساء ويعتزم على الرؤيا (٢).

«فإن رأيهن إلى أفن» بفتحيتين أى: الضعف.

«وعزمهن إلى وهن» قال كعب ابن زهير:

وما تدوم على العهد الذى زعمت كما تلون فى أثوابها الغول

ولا تمسك بالوعد الذى زعمت إلا كما تمسك الماء الغرايل

كانت مواعيد عرقوب لها مثلاً وما مواعيدها إلا الأباطيل

وقال آكل المرار:

إن من غره النساء بشيء بعد هند لجاهل مغرور

حلوه العين واللسان و مر كل شيء يجن منها الضمير

كل انثى وإن بدا لك منها آية الحب حبها خيتعور

وقال طفيل الغنوى:

إن النساء متى ينهين عن خلق فإنه واجب لا بدّ مفعول

وقال نهشل بن حرى:

وعهد الغانيات كعهد قين ونت عنه الجعائل مستذاق

كبرق لاح يعجب من بعيد ولا يغنى الحرائم من لmaq

وقال آخر:

- ١-١) الكافي ٥:٥١٨ ح ١١. [١]
- ٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٦:١٢٣. [٢]

فلا تحسبنّ هنداً لها الغدر وحدها سجيّه نفس كلّ غانيه هند

و في (الأغاني): بلغ ملك ضيزن الخزاعي صاحب الحضر- والحضر قصر بحيال تكريت بين دجله و الفرات- الشام و أغار فأصاب اختا لسابور ذي الأكتاف، فجمع له سابور و سار إليه، فأقام على الحضر أربع سنين لا يستغل منهم شيئاً. ثم ان النضيره بنت ضيزن- و كانت من أجمل أهل دهرها- حاضت فأخرجت إلى الرض- و كذلك كانوا يفعلون بنسائهم إذا حضن- و كان سابور من أجمل أهل زمانه، فرآها و رأته و عشقها و عشقته فأرسلت إليه: ما تجعل لي إن دلتك على ما تهدم به هذه المدينه و تقتل أبي، قال: أحكمك و أرفعك على نسائي و أخصك بنفسى دونهن. قالت: عليك بحمامه مطوّقه ورقاء فاكتب في رجلها بحيض جاريه بكر تكون زرقاء ثم ارسلها فانها تقع على حائط المدينه فتتداعى- و كان ذلك طلسمها لا يهدمها إلا هو- ففعل و تأهب لهم و قالت له: أنا أسقى الحرس الخمر فإذا صرعوا فاقتلهم و ادخل المدينه، ففعل، فتداعت المدينه و فتحها سابور عنوه، فقتل الضيزن و أخرج المدينه و احتمل النضيره بنت الضيزن فأعرس بها بعين التمر، فلم تزل ليلتها تتضمّور من خشونه في فرشها و هى من حرير محشو بالقز، فالتمس ما كان يؤذيها فإذا هى ورقه آس ملتصقه بعكنه من عكنتها قد أثرت فيها، و كان ينظر إلى مخها من لين بشرتها، فقال لها سابور: ويحك! بأى شىء كان أبوك يغذيك؟ قالت: بالزبد و المنخ و شهد الأبقار من النحل و صفوه الخمر. فقال:

و كيف آمنك و قد فعلت بأبيك الذى غداك بما تذكرين ما فعلت؟ فأمر رجلا فركب فرسا جموحا و ضفر غدائرها بذبّه ثم استركضه فقطعها قطعاً، فذلك قول الشاعر:

أقفر الحضر من نضيره فالمرباع منها فجانب الثثار

و قال عدى بن زيد فى أبيها:

و أخو الحضرم إذ بناه و إذ دجله تجبى إليه و الخابور

شاده مرمرًا و جلله كأسًا فللطير فى ذراه و كور

لم يهبه ريب المنون فباد الملك عنه فبابه مهجور (١)

و فى (العقد): قال الهيثم بن عدى: غزا الحارث بن عمرو الغسانی آكل المرار الكندى فلم يصبه فى منزله فأخذ ما وجد له و استاق امرأته، فلما أصابها أعجبت به فقالت له: انج فو الله لكأنى أنظر إليه يتبعك فاغرا فاه كأنه بغير آكل مرار، فاتبعه حتى لحقه فقتله و أخذ امرأته فقال لها: هل أصابك؟ قالت: نعم و الله ما اشتملت النساء على مثله قط، فأمر بها فأوقفت بين فرسين ثم استحضرهما حتى تقطعت ثم قال:

كل انثى و ان بدا لك منها آيه الود حبها خيتور (٢)

«و اكفف عليهن من أبصارهن بحجابك إياهن فإن شدّه الحجاب أبقى عليهن» و فى روايه (الرسائل) «فإن شدّه الحجاب خير لك و لهن من الارتياب» (٣). قيل لابنه الخس: لم زيت و أنت سيده نساء قومك؟ قالت: لقرب الوساد و طول السواد.

و عن الصادق عليه السلام: ما أخذ النبى صلّى الله عليه و آله على النساء فى بيعتهن ألا يختبين و لا يقعدن مع الرجال فى الخلاء.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: انما هلك نساء بنى إسرائيل من قبل القصص و نقش الخضاب (٤).

ص: ٤٦٠

١- ١) الأغانى ١٣٩: ٢- ١٤٠- [١] دار احياء التراث العربى-بيروت.

٢- ٢) العقد الفريد ١٣٧: ٧- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣- ٣) كشف المحجّه: ١٧١. [٣]

٤- ٤) الكافى ٥١٩: ٥ ح ١ و ٦. [٤]

و قال عليه السّلام: يا أهل العراق نبئت أنّ نساءكم يدافعن الرجال فى الطريق، أما تستحون (١).

و عن أبى جعفر عليه السّلام استقبال شاب من الأنصار امرأه بالمدينه-و كانت النساء يتقنن خلف آذانهن-فنظر إليها و هى مقبله فلّمّا جازت نظر إليها و دخل فى زقاق فجعل ينظر خلفها و اعترض وجهه عظم فى الحائط أو زجاجه فشقّ وجهه، فلّمّا مضت المرأه فإذا الدماء تسيل على صدره و ثوبه، فقال: و الله لآتينّ النبىّ صلى الله عليه و آله و لا خبرته، فأتاه فهبط جبرئيل بآيه «قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَعْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَ يَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْكَى لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ» (٢)(٣).

«و ليس خروجهن بأشد من ادخالك من لا- يوثق به عليهن» و فى الخبر: إنّ أحسن شىء للنساء أن لا- يراهن الرجال و لا يرين الرجال (٤).

«و إن استطعت أن لا- يعرفن غيرك فافعل» عن بعضهم لئن يرى حرمتى ألف رجل على حال تكشف منها و هى لا تراهم أحب إلى من أن ترى رجلا واحدا غير متكشف.

هكذا، و فى (الأغانى): كان فى جوار أبان اللّاحقى رجل من ثقيف يقال له محمد بن خالد تزوج بعماره الثقفيه-و كانت موسره-و كان محمد عدوا لأبان، فقال أبان يحذرهما منه:

لّمّا رأيت البز و الشاره و الفرش قد ضاقت به الحاره

و اللوز و السكر يرمى به من فوق ذى الدار و ذى الداره

ص: ٤٦١

١-١) الكافى ٥:٥٣٦ ح ٥٠٦. [١]

٢-٢) النور: ٣٠. [٢]

٣-٣) الكافى ٥:٥٢١ ح ٥٠٥. [٣]

٤-٤) مكارم الأخلاق: ٢٣٣. [٤]



و أحضروا اللاهين لم يتركوا طبلا و لا صاحب زماره

قلت لَمَا ذَا؟ قيل اعجوبه محمّد زوج عماره

لا عمّر الله بها بيته و لا رأته مدركا ثاره

ما ذا رأّت فيه و ما ذا رجّت و هي من النسوان مختاره

اسود كالسّفود ينسى لدى التّنوّر بل محراك قياره

يجرى على أولاده خمسه أرغفه كالريش طياره

و أهله فى الأرض من خوفه إن أفرطوا فى الأكل سيّاره

ويحك فزّى و اعصبى ذاك بي فهذه اختك فزاره

إذا غفا بالليل فاستيقظى ثم اطفرى إنك طفّاره

فلما بلغت قصيدته عماره هربت و خرم من جهتها مالا عظيما، و قال أبان فى فرارها:

فصعدت نائله سلما تخاف أن تصعده الفاره (١)

«و لا تملك المرأة ما جاوز نفسها» فى (الأغانى): بلغ دريد بن الصمه أنّ امرأته سبّت أخاه فطلقها و قال:

معاذ الله أن يشتمن رهطى و أن يملكن إبرامى و نقضى (٢)

«فإنّ المرأة ريحانه» و قد عبّر النّبى صلّى الله عليه و آله عنهن بالقوارير، فقال لانجشه لَمَا حدا بأزواجه فى حجّه الوداع فأسرعت

الإبل: «رفقا بالقوارير» (٣).

هذا، و رأى رجل امرأه فأنشد:

إنّ النساء شياطين خلقن لنا نعوذ بالله من شرّ الشياطين

ص: ٤٤٢

١- ١) الأغانى ١٦٣: ٢٣- [١] دار احياء التراث العربى.

٢- ٢) الأغانى ١١: ١٠- [٢] دار احياء التراث العربى.

٣- ٣) الكافى ٢٩: ٤- قرّ و اسد ١ ح ١٢١.

إنّ النساء رياحين خلقن لكم لا بدّ للناس من شمّ الرياحين

و في (الأغاني) عن علي بن يحيى قال الحسين بن الضحاك: أنشدت ابن مناذر قصيدتي التي أقول فيها «لقدك ريحانه العسكر»

و كانت أول ما قلته من الشعر، فأخذ رداه و رمى به إلى السقف و تلقاه برجله و جعل يردد هذا البيت، فقلنا له: أترأه فعل ذلك استحسانا لِمَا قلت؟ إنمّا فعله طنزا بك. فشتمه و شتمنا و كنّا بعد ذلك نسأله إعادة هذا البيت فيرمى بالحجاره، و يجدّد شتم ابن مناذر بأقبح ما يقدر عليه (١).

قلت: وجه عيب بيته أنّه لا مناسبة لإضافه الريحانه إلى العسكر.

«و ليست بقهرمانه» في النهايه: في الخبر «كتب إلى قهرمانه» هو كالحازن و الوكيل الحافظ لِمَا تحت يده و القائم بامور الرجل بلغه الفرس (٢).

في تنبيه المسعودي: كانت في أيام المقتدر أمور لم يكن مثلها في الاسلام، منها غلبه النساء على الملك و التدبير، حتى أن جاريه لأمّه تعرف بثمل القهرمانه كانت تجلس للنظر في مظالم الخاصه و العامه، و يحضرها الوزير و الكاتب و القضاة و أهل العلم (٣).

و في (كامل الجزري) في سنه (٣١٠) قبض المقتدر على ام موسى القهرمانه بسبب أنّها زوجت ابنه اختها من أحمد بن محمد بن إسحاق بن المتوكل، و اكثرت من النثار و الدعوات و صرفت أموالا جليله، فسعت أعداؤها بها إلى المقتدر و قالوا له قد سعت في الخلافه لأحمد، فقبض عليها و أخذ منها

١- (١) الأغاني ٢١٤: ٧- [١] دار احياء التراث العربى.

٢- (٢) النهايه ١٢٩: ٤ [٢] قهرم.

٣- (٣) التنبيه و الاشراف: ٣٢٨. [٣]

هذا، و في (عيون القتيبي) قال خالد الحذاء: خطبت امرأه من بني أسد فجئت لأنظر إليها و بيني و بينها رواق يشف، فدعت بجفنه مملوه ثريدا مكلله باللحم فأتت على آخرها، و اتيت بإناء مملو لبنا أو نبيذا فشربته حتى كفأته، ثم قالت: يا جاريه! ارفعي السجف فإذا هي جالسه على جلد أسد و إذا شابه جميله فقالت: يا عبد الله! أنا أسده من بني أسد على جلد أسد و هذا مطعمي و مشربي، فإن أحببت أن تتقدم فافعل، فقلت: أنظر. فخرجت و لم أعد (٢).

«و لا تعد» بضم الدال، أي: لا تتجاوز.

«بكرامتها نفسها، و لا- تطمعها في أن تشفع لغيرها» و «بغيرها» في (المصريه) غلط. في (الطبرى): قيل إن وفاه الهادي كانت من قبل جوار لامه الخيزران كانت أمرتهن بقتله، فذكروا أن الهادي نابذ أمه و نافرهما لما صارت إليه الخلافه، فصارت «خالصته» إليه يوما فقالت: إن امك تستكسيك فأمر لها بخزانه مملوه كسوه- و وجد للخيزران في منزلها من قراقر الوشي ثمانية عشر ألف قرقر- و كانت الخيزران في أول خلافه ابنتا تفتت عليه في أموره و تسلك به مسلك أبيه من قبل في الاستبداد بالأمر و النهي، فأرسل إليها ألا- تخرجي من خفر الكفايه إلى بذاءه التبذل فإنه ليس من قدر النساء الاعتراض في أمر الملك، و عليك بصلاتك و تسبيحك و تبلكك و لك بعد هذا طاعه مثلك فيما يجب لك، و كانت كثيرا ما تكلمه في الحوائج فكان يجيبها إلى كل ما تسأله حتى مضت أربعة أشهر من خلافته و ائثال الناس عليها و طمعوا فيها، فكانت المواكب تغدو إلى بابها، فكلمته يوما في أمر لم يجد إلى إجابتها فيه سيلا،

ص: ٤٦٤

١- (١) الكامل في التاريخ ١٣٧: ٨-٣١٠. [١]

٢- (٢) عيون الأخبار لابن قتيبه ٩: ٤- [٢] دار الكتب العلميه- بيروت.

فاعتَلَّ بعَلِّه فقالت: لا بدَّ من اجابتي. قال: لا أفعل. قالت: فإنِّي قد تضمّنت هذه الحاجه لعبد الله بن مالك، فغضب موسى و قال: ويل عليّ بن الفاعله قد علمت أنّه صاحبها و الله لا قضيتها لك. قالت: إذن و الله لا أسألك حاجه أبدا. قال: إذن و الله لا ابالي. و حمى و غضب، فقامت مغضبه فقال: مكانك حتّى تستوعبي كلامي، و الله لئن بلغني أنّه وقف ببابك أحد من قوادي أو أحد من خواصّي أو خدمي لأضربنّ عنقه و أقبضنّ ماله، فمن شاء فليزِم ذلك، ما هذه المواكب التي تغدو و تروح إلى بابك كلّ يوم؟ أما لك مغزل يشغلك أو مصحف يذكرك أو بيت يصونك؟ إِيّاك ثم إِيّاك ما فتحت بابك لمليّ و لا ذمّي. فانصرفت ما تعقل ما تطأ، فلم تنطق عنده بخلوه و لا مره بعدها.

و قال بعض الهاشميين: ان سبب موته أنّه لمّا جد في خلع هارون و البيعه لابنه جعفر خافت الخيزران على هارون منه، فدست إليه من جواربها لمّا مرض من قتله بالغم و الجلوس على وجهه، و وجهت إلى يحيى بن خالد أن الرجل قد توفي فاجدد في أمرك و لا تقصر (1).

هذا، و قد أخذ الحجّاج أكثر فقرات كلامه عليه السّلام في قصه له مع الوليد ففي (المروج): وفد الحجّاج على الوليد فوجده في بعض نزهه فاستقبله، فلما رآه ترجل له و جعل يمشى و عليه درع و كنانه و قوس عربيّه، فقال له الوليد: اركب.

فقال: دعني استكثر من الجهاد، فإنّ ابن الزبير و ابن الأشعث شغلاني عنك، فعزم عليه الوليد حتى ركب و دخل الوليد داره و تفضّل في غلامه ثم أذن للحجّاج فدخل عليه في حاله تلك و أطال الجلوس عنده، فبينما هو يحادثه إذ جاءت جاريه فسارت الوليد و مضت ثم عادت فسارته ثم انصرفت، فقال الوليد للحجّاج: أتدرى ما قالت هذه؟ قال: لا. قال: بعثتها إلى ابنه عمّي أمّ البنين

ص: ٤٦٥

بنت عبد العزيز تقول: ما مجالستك لهذا الأعرابي المتسلح و أنت في غلاله، فأرسلت إليها: إنه الحجاج، فراعها ذلك و قالت: و الله ما أحب أن يخلو بك و قد قتل الخلق. فقال له الحجاج: دع عنك مفاكهة النساء بزخرف القول فإنما المرأه ريحانه و ليست بقهرمانه، و لا تطلعهن على سرّك و لا مكايده عدوك، و لا تطمعهن في غير أنفسهن و لا تشغلهن بأكثر من زينتهن، و إياك و مشاورتهن في الأمور فإن رأيهن إلى أفن و عزمهن إلى وهن، و اكفف عليهنّ من أبصارهن بحجبتك و لا تملك الواحده منهن من الامور ما تجاوزن نفسها، و لا- تطمعها في أن تشفع عندك لغيرها و لا- تطل الجلوس معهن فان ذلك أوفر لعقلك و أبين لفضلك. ثم نهض فخرج و دخل الوليد على امّ البنين، فقالت: احبّ أن تأمره غدا بالتسليم عليّ. فقال: أفعل. فلما غدا الحجاج عليه قال له: سر إلى امّ البنين فسلم عليها فقال: أعفنى من ذلك. فقال: لا بدّ من ذلك، فمضى إليها فحجبتة طويلا ثم أذنت له فأقرته قائما و لم تأذن له في الجلوس، ثم قالت له: أيه يا حجاج! أنت الممتن بقتل ابن الزبير و ابن الأشعث، أما و الله لو لا أن الله جعلك أهون خلقه ما ابتلا-ك برمي الكعبه. و قالت له فيما قالت: لقد استعلى عليك ابن الأشعث حتى عجعجت و والى عليك الهزار حتى عويت، فلو لا- أن الخليفة نادى في أهل اليمن و أنت في أضيّق من القرن فأظلتك رماحهم و علاك كفاحهم لكنت مأسورا قد أخذ الذي فيه عيناك، و على هذا فإن نساء الخليفة قد نفضن العطر عن غدائهن و بعنه في أعطيه أوليائه، و أما ما أشرت على الخليفة من قطع لذاته و بلوغ أو طاره من نسائه، فإن يفرجن عن مثل الخليفة فغير مجيبك إلى ذلك، و ان يفرجن عن مثل ما انفرجت به امّك البظراء عنك من قبح المنظر يا لكع، فما أحقه أن يقتدى بقولك، قاتل الله الذي يقول:

أسد عليّ و في الحروب نعامه فتخاء تنفر من صفيير الصافر

هلاً برزت إلى غزاله في الوغى بل كان قلبك في جناحي طائر

ثم أمرت جاريه لها فأخرجته، فلما دخل على الوليد قال له: ما كنت فيه؟ قال: والله ما سكتت حتى كان بطن الأرض أحب إلى من ظهرها. قال: انها بنت عبد العزيز (١).

هذا، ولما تخاصم الفرزدق و امرأته إلى ابن الزبير استشفع خبيب بن عبد الله ابن الزبير للفرزدق عند أبيه، واستشفعت امرأه ابن الزبير لامرأه الفرزدق عنده، فقضى ابن الزبير لامرأه الفرزدق، فقال الفرزدق:

ليس الشفيح الذي يأتيك متزرا مثل الشفيح الذي يأتيك عربانا

و قال آخر:

و نبئت ليلي أرسلت بشفاعه إليّ فهلا نفس ليلي شفيحها؟

«و إِيَّاكَ و التغاير في غير موضع غيره فإن ذلك يدعو الصحيحه إلى السقم و البريئه إلى الريب» في (عيون ابن قتيبه) قال الخريمي:

ما أحسن الغيره في حينها و أقبح الغيره في غير حين

من لم يزل متّهما عرسه مناصبا فيها لرجم الظنون

يوشك أن يغريها بالذي يخاف أو ينصبها للعيون (٢)

هذا، و نسب (عيون ابن قتيبه) كلامه عليه السّلام في هذه الوصيه في النساء من أوله إلى هنا إلى ابن المقفع (٣)، و هل ذلك إلاّ جهل منه أو عناد، فإنّ كون ذلك كلامه عليه السّلام ثبت بالأسانيد المستفيضه كما عرفت، ثم كيف كون الأصل فيه ابن المقفع و قد عرفت أن الحجاج استعمل أكثره في قصته مع الوليد .

«و اجعل لكلّ إنسان من خدمك عملا تأخذه به فإنّه أحرى ألاّ يتواكلوا في

ص: ٤٦٧

١- (١) مروج الذهب ٣: ١٥٨-١٦٠. [١]

٢- (٢) عيون الاخبار ٤: ٧٨- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣- (٣) عيون الاخبار ٤: ٧٨- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

خدمتك» قال ابن أبي الحديد: قال ابرويز لولده شيرويه: انظر إلى كتابك، فمن كان منهم ذا ضياع قد أحسن عمارتها فولّه الخراج، و من كان منهم ذا عيب قد أحسن سياستهم و تثقيفهم فولّه الجند، و من كان منهم ذا سرارى و ضرائر قد أحسن القيام عليهنّ فولّه النفقات و القهرمه، و هكذا فاصنع فى خدم دارك، و لا تجعل أمرك فوضى بين خدمك، فيفسد عليك ملكك (١).

«و أكرم عشيرتك فإنهم جناحك الذى به تطير، و أصلك الذى إليه تصير و يدك التى بها تصول» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) و لكن ليس فى (ابن ميثم) و الخطيه فقره «و أصلك الذى إليه تصير» (٢).

و كيف كان فزاد فى روايه الكلينى و الحلبي بعدها «و بهم تصول و هم العده عند الشده، فأكرم كريمهم، و عد سقيمهم، و أشركهم فى أمورهم، و تيسر عند معسورهم» (٣).

قال ابن أبى الحديد روى أبو عبيده أنّ الفرزدق كان لا ينشد بين يدي الخلفاء و الامراء إلاّ قاعدا، فدخل على سليمان يوما فأنشده شعرا فخر فيه بآبائه و قال من جملته:

تالله ما حملت من ناقه رجلا مثلى إذا الريح لفتنى على الكور

فقال سليمان: هذا المدح لى أو لك؟ قال: لى و لك، فغضب سليمان و قال:

قم فأتمم و لا- تشد بعده إلاّ- قائما. فقال: لا و الله أو تسقط على الأرض أكثرى شعرا (٤) فقال سليمان: ويلى على الأحمق ابن الفاعله، لا يكتنى. و ارتفع صوته، فسمع الضوضاء بالباب فقال: ما هذا. قيل: بنو تميم على الباب يقولون:

ص: ٤٤٨

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٢٨: ١٦. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٢٢: ١٦. [٢]

٣- ٣) كشف المحججه: ١٧٣، و تحف العقول: ٨٨. و لفظ الكشف: «بهم تصول و بهم تطول اللذه عند الشده».

٤- ٤) يقصد به رأسه. أى يقتله:.

لا ينشد الفرزدق قائما و أيدينا في مقابض سيوفنا.قال:فلينشد قاعدا.

قال:و روى المرزبانى قال:كان الوليد بن جابر بن ظالم الطائى مَمَّن وفد على النبىِّ صَلَّى اللهُ عليه و آله فأسلم ثم صحب عليا عليه السلام و شهد معه صفين و كان من رجاله المشهورين،ثم وفد على معاويه فى الاستقامه و كان معاويه لا- ينسبه معرفه بعينه،فدخل عليه فى جملة الناس،فلَمَّا انتهى إليه استنسبه فانتسب له فقال:أنت صاحب ليله الهرير؟قال:نعم.قال:و الله ما تخلو مسامعى من رجزك تلك الليله-و قد علا صوتك أصوات الناس-و أنت تقول:

شدوا فداء لكم أمى و أب فإنما الأمر غدا لمن غلب

هذا ابن عم المصطفى و المنتجب تنميه للعلياء سادات العرب

ليس بموصوم إذا نصَّ النَّسبُ أوَّل من صَلَّى و صام و اقترب

قال:نعم أنا قائلها.قال:فلما ذا قلتها؟قال:لأننا كنَّا مع رجل لا يعلم خصله توجب الخلافه و لا فضيله تصير إلى التقدمه إلا و هى مجموعه له،كان أوَّل الناس سلما و أكثرهم علما و أرجحهم حلما،فات الجياد فلا يشق غباره و يستولى على الأمد فلا يخاف عثاره،و أوضح منهج الهدى فلا يبيد مناره و سلك القصد فلا تدرس آثاره،فلَمَّا ابتلانا الله تعالى بافتقاده،و حوَّل الأمر إلى من شاء من عباده،دخلنا فى جملة المسلمين فلم نترع يدا عن طاعه،و لم نصدع صفاه جماعه،على أن لك منّا ما ظهر و قلوبنا بيد الله و هو أملك بها منك، فاقبل صفونا و أعرض عن كدرنا و لا تتركوا من الأحقاد فإنَّ النار تقدح بالزناد.فقال له معاويه:و إنك تهتدنى يا أخا طى بأوباش العراق أهل النفاق و معدن الشقاق!فقال:يا معاويه!هم الذين أشرقوك بالريق و حبسوك فى المضيق،و زادوك عن سنن الطريق حتى لذت منهم بالمصاحف و دعوت إليها من صدق بها و كذبت،و آمن بمنزلها و كفرت و عرف من تأويلها ما أنكرت.

ص: ٤٦٩



فغضب معاويه و أدار طرفه فى من حوله فإذا جلّهم من مضر و نفر قليل من اليمن فقال: أيّها الشقيّ الخائن! إننى لأخال أنّ هذا آخر كلام تفوه به، و كان عفير بن سيف بن ذى يزن بباب معاويه حينئذ، فعرف موقف الطائي و مراد معاويه فخافه عليهم فهجم عليه الدار و أقبل على اليمانيه فقال: شأهت الوجوه ذلاً و قلاً، كشم الله هذه الانوف كشما مرعباً، ثم التفت إلى معاويه فقال: إننى و الله يا معاويه ما أقول قولى هذا حباً لأهل العراق و لا جنوحاً إليهم و لكن الحفيظه تذهب الغضب، و لقد رأيتك بالأمس خاطبت أخا ربيعه-يعنى صعصعه بن صوحان- و هو أعظم جرماً عندك من هذا و أذكى لقلبك و أصدع لصفاتك و أجد فى عداوتك ثم أثبتته و سرحته، و أنت الآن مجمع على قتل هذا زعمت استصغاراً لجماعتنا و إننا لا نمزّ و لا نخلى، و لعمرى لو و كلتكم أبناء قحطان إلى قومك لكان جدك العاثر و ذكرك الدائر و حدك المفلول و عرشك المثلول، فأربع على ظلعك و اطونا على بلالتنا، ليسهل لك حزنا و يتطامن لك شاردنا، فإننا لا نرأى بوقع الضيم و لا نتلمظ جرع الخسف، و لا نغمز بغماز الفتن و لا نذر على الغضب. فقال معاويه: الغضب شيطان فأربع نفسك أيّها الانسان فإننا لم نأت إلى صاحبك مكروها فدونكه فإنه لم يضق عنه حلمنا و يسع غيره. فأخذ عفير بيد الوليد إلى منزله و قال له: و الله لتؤوين بأكثر ممّا آب به معدى من معاويه و جمع من بدمشق من اليمانيه و فرض على كلّ رجل دينارين فى عطائه فبلغت أربعين ألفاً فتعجلها من بيت المال و دفعها إلى الوليد و ردّه إلى العراق (١).

قلت: و فى (الطبرى)-بعد ذكر أن زيادا بعث حجر بن عدى و الأرقم الكندى و شريك الحضرمى و صيفى، و قبضه العباسى و كريم الخثعمى،

ص: ٤٧٠

و عاصم البجلي و ورقاء البجلي، و كدام العنزى و عبد الرحمن العنزى، و محرز المنقرى و ابن حويه السعدى، و عتبه الأخنس و سعد بن نمران إلى معاويه ليقتلهم - فقام يزيد ابن أسد البجلي إلى معاويه و قال له: هب لى ابنى عمى - يعنى عاصم البجلي و ورقاء البجلي - و قد كان جرير بن عبد الله كتب فيهما أن امرأين من قومى من أهل الجماعه و الرأى الحسن سعى بهما ساع ظنين إلى زياد، فبعث بهما فى النفر الكوفيين الذين وَّجه بهم زياد و هما مَمَّن لا - يحدث حدثا فى الإسلام و لا - بغيا على الخليفه فلينفعهما ذلك، فلَمَّا سأل لهما يزيد، ذكر معاويه كتاب جرير، فقال: قد كتب إليّ فيهما ابن عمك جرير محسنا عليهما الثناء و هو أهل أن يصدق قوله - و قد سألتنى ابنى عمك فهما لك - و طلب وائل بن حجر فى الأرقم فتركه له، و طلب ابن الأعور السلمى فى عتبه بن الأخنس فوهبه له، و طلب حمزه بن مالك الهمدانى فى سعد بن نمران الهمدانى فوهبه له، و كلمه حبيب ابن مسلمه فى ابن حويه فخلّى سبيله.

إلى أن قال بعد ذكر قتل حجر و من أبى من أصحابه التبرى منه عليه السلام حتى قتلوا سته: فقال عبد الرحمن العنزى و كريم الخثعمى: إبعثوا بنا إلى معاويه فنحن نقول فى هذا الرجل مثل مقالته، فبعثوا بهما إليه فقال معاويه للخثعمى: ما تقول فى على؟ قال: أقول فيه قولك تبرأ من دين على الذى كان يدين الله به، فسكت معاويه و كره أن يجيبه، فقال له شمر بن عبد الله: هب لى ابن عمى. قال: هو لك غير أئى حابسه شهرا. ثم قال لعبد الرحمن العنزى: يا أخا ربيعه ما قولك فى على؟ قال: دعنى و لا تسألنى فإنه خير لك. قال: و الله لا - أدعك حتى تخبرنى عنه. قال: أشهد أنه كان من الذاكرين الله كثيرا و من الآمرين بالحق و القائمى بالقسط و العافين عن الناس. قال: فما قولك فى عثمان؟ قال: هو أول من فتح باب الظلم و أرتج أبواب الحق. قال: قتلت نفسك.

قال: بل إياك قتلت ولا ربيعه بالوادي. قال: هذا حين كلم شمر الخثعمي في كريم الخثعمي صاحبه فسلم ولم يكن له أحد من قومه يكلم فيه، فبعث به معاويه إلى زياد وكتب إليه: إن هذا العنزي شر من بعثت فعاقبه و اقلته شر قتله، فبعث به زياد إلى قس الناطف فدفن حيا (١).

«استودع الله دينك و دنياك» حتى يحفظهما لك.

«و أسأل الله خير القضاء لك في العاجله و الآجله» زاد في روايه الكليني و الحلبي «و استعن بالله على امورك، فإنه أكفى معين» (٢).

«و السلام» هكذا في (المصريه) و الصواب: ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): (٣)

هذا و زاد (الرسائل و التحف) في مطاوي الفقرات فقرات اخرى لم نستقصها و إنما نقلنا بعضها، فمن أرادها فليراجعها.

٣

الكتاب (٥٣)

و من كتاب له عليه السلام كتبه للأشتر النخعي لما ولاه على مصر و أعمالها حين اضطرب أمر محمد بن أبي بكر، و هو أطول عهد و أجمع كتبه للمحاسن:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - هَذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ؟ عَلَيَّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ؟ مَا لَكَ بَيْنَ الْجَارِثِ الْأَشْتَرِ؟ فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ - حِينَ وُلِّئْتَهُ؟ مِصْرَ؟ جَبَايَةَ خَرَجَاجِهَا وَ جِهَادَ عَدُوِّهَا - وَ اسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا وَ عِمَارَةَ بِلَادِهَا - أَمْرُهُ بِتَقْوَى اللَّهِ

ص: ٤٧٢

١- (١) تاريخ الطبري ٥: ٢٧٤- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- (٢) كشف المحجبه: ١٧٣، و [٢] تحف العقول: ٨٨.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦، و في تحف العقول: ٨٨ «و أسأله خير القضاء لك في الدنيا و الآخره. و السلام».

وَإِثَارِ طَاعَتِهِ - وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ مِنْ فَرَائِضِهِ وَ سُنَنِهِ - الَّتِي لَا يَسْبَعُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا - وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَنْ جُحِدَهَا وَ إِضَاعَتِهَا - وَ أَنْ يُنْصِرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ وَ لِسَانِهِ - فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَلَ بِنْصِيرِ مَنْ نَصِيرُهُ وَ إِعْرَازِ مَنْ أَعَزَّهُ - وَ أَمْرَهُ أَنْ يَكْسِرَ مِنْ نَفْسِهِ مِنَ الشَّهَوَاتِ - وَ يَزْعَمَهَا عِنْدَ الْجَمْعَاتِ - فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَارَةً بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللَّهُ أَقُولُ: رواه ابن شعبه في (تحفه ابن شعبه - تحف العقول - ص ١٢٦) مرسلًا (١) و الشيخ الطوسي فهرست الطوسي - ص ٣٨ و النجاشي النجاشي فهرست النجاشي - ص ٦ في (فهرستيهما) مسندا. قال الشيخ في عنوان الأصبغ - روى عهد مالك الأشر، أخبرنا ابن أبي جيد عن محمد بن الحسن عن الحميري عن هارون بن مسلم و الحسن بن طريف جميعا عن الحسين بن علوان عن سعد بن طريف عن الأصبغ (٢).

و قال النجاشي في الأصبغ - روى عهد مالك الأشر، أخبرنا ابن الجندي، عن علي بن همام، عن الحميري، عن هارون بن مسلم، عن الحسين بن علوان، عن سعد بن طريف، عن الأصبغ بالعهد (٣).

قول المصنف (و من كتاب له عليه السلام) هكذا في (المصريه) و الصواب:

(و من عهد له) كما في الخطيه و ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٤).

(كتبه للاشر النخعي) المذحجي، قال ابن ميثم روى أن الطرمّاح لما دخل على معاويه قال له: قل لابن أبي طالب إنّي جمعت من العساكر بعدد حب جاورس الكوفه و ها أنا قاصده. فقال له الطرمّاح: إنّ لعلّي ديكا أشر يلتقط جميع ذلك، فانكسر معاويه.

ص: ٤٧٣

١-١) تحف العقول: ١٢٦.

٢-٢) فهرست الطوسي: ٣٨. [١]

٣-٣) النجاشي: ٦.

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٧. [٢]

قلت: خبر الطرمّاح خبر رواه الاختصاص لكنه خبر منكر (١).

(لَمَّا ولّاه) هكذا في (المصريه) والكلمتان زائدتان فليستا في (الخطيه و ابن أبي الحديد (٢) و ابن ميثم) «على مصر و أعمالها» أي: توابعها (حين اضطرب أمر محمد ابن أبي بكر) هكذا في (المصري) ه و الصواب: (أمر أميرها محمد بن أبي بكر)، و زاد (ابن ميثم) و الخطيه «رحمه الله».

«و هو أطول عهد و أجمع كتبه للمحاسن» و الصواب: «و هو أطول عهد كتبه و أجمعه للمحاسن» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (٣).

قوله عليه السّلام «بسم الله الرحمن الرحيم» حيث إن هذا العهد كان ككتاب مستقل افتتحه بالبسملة و إلا فليس في باقي كتبه و وصاياه و عهوده بسملة.

«هذا ما أمر به عبد الله على أمير المؤمنين مالك بن الحرث» بن عبد يغوث ابن مسلمه بن ربيعه بن الحارث بن جذيمه بن سعد بن مالك بن النخع من مذحج كما في (ذيل الطبري) (٤).

«في عهده إليه» و ايصائه إليه «حين ولّاه مصر جبايه» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد (٥) و لكن في ابن ميثم و الخطيه (جبوه) و كلاهما صحيح، فالجبايه مصدر جبيت الخراج، و الجبوه مصدر، جبوت الخراج.

«و جهاد عدوها» العثمانيه.

«و استصلاح أهلها» بالرفق مع المخالفين.

«و عماره بلادها» بإفشاء الزرع و الغرس.

ص: ٤٧٤

١-١) اختصاص: ١٣٨-١٤١.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٧. [١]

٣-٣) نفس المصدر.

٤-٤) ذيل المذيل: ١٤٨.

٥-٥) شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٧. [٢]

«أمره بتقوى الله» قال تعالى: «وَأَتَّقُوا يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (١).

هذا، و في (كامل الجزرى): كان عبد الملك أول من نهى عن الأمر بالمعروف، فقال بعد قتل ابن الزبير: و لا يأمرنى أحد بتقوى الله بعد مقامى هذا إلا ضربت عنقه (٢).

«و ايثار» أى: اختيار.

«طاعته» على طاعه الناس لأنهم عبيده و تحت يده.

«و أتباع ما أمر به فى كتابه من فرائضه و سننه» الفريضة و السنه تأتيان بمعان:

أحدها الفريضة ما علم وجوبه من القرآن، و السنه ما علم وجوبه من النبى صلى الله عليه و آله قال الصدوق فى الفقيه: و قد يجزى الغسل من الجنابه عن الوضوء لأنهما فرضان اجتمعا فأكبرهما يجزى عن أصغرهما، و من اغتسل لغير الجنابه فليبدأ بالوضوء ثم يغتسل و لا يجزىه الغسل عن الوضوء لأن الغسل سنّه و الوضوء فرض و لا تجزى سنّه عن فرض (٣) و هما بهذا المعنى فى معنى الكتاب و السنه.

و ثانيها الفرض الواجب و السنه المسنونه، و هما بهذا المعنى فى معنى الواجب و المستحب.

و ثالثها، الفرض: الواجبات العظيمه كتابا و سنه، و السنن: الواجبات التى ليست بتلك الدرجه كتابا و سنه، و لعلهما بهذا المعنى وردا فى كلامه عليه السلام.

ص: ٤٧٥

١- ١) البقره: ١٩٧. [١]

٢- ٢) الكامل فى التاريخ ٤: ٥٢٢ ح ٨٦. [٢]

٣- ٣) فقيه من لا يحضره الفقيه ١: ٤٦.

«التي لا يسعد أحد إلا باتباعها» وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ الرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَ الصَّادِقِينَ وَ الشَّهِدَاءِ وَ الصَّالِحِينَ وَ حَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا (١)، «وَ مَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (٢).

«وَ لَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جِحُودِهَا وَ إِضَاعَتِهَا» وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا (٣)، «وَ مَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ يَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَ لَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ» (٤)، «فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَ اتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا» (٥).

«وَ أَنْ يَنْصُرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَ يَدِهِ» هكذا في (المصريه) و الصواب: (بيده و قلبه) كما في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه (٦). «وَ لِسَانَهُ» حتى يكون نصره كاملا بإنكار قلبه للمنكر و مقال لسانه في النهي عن المنكر و جهاد يده لرفعه، قال تعالى: «وَ جَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ» (٧).

«فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكْفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَ إِعْزَازٍ مِنْ أَعْزِهِ» «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَ يَثْبُتْ أَقْدَامَكُمْ» (٨).

«وَ أَمْرُهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ» هكذا في (المصريه) و الصواب: (من)

ص: ٤٧٤

[١-١] النساء: ٦٩-٧٠. [١]

[٢-٢] النساء: ١٣. [٢]

[٣-٣] الاحزاب: ٣٦. [٣]

[٤-٤] النساء: ١٤. [٤]

[٥-٥] مريم: ٥٩. [٥]

[٦-٦] شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٧. [٦]

[٧-٧] الحج: ٧٨. [٧]

[٨-٨] محمد: ٧. [٨]

نفسه عند الشهوات) كما في ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه (١) عنهم عليهم السلام: اذكروا انقطاع اللذات و بقاء التبعات (٢).

«و يزعمها» أى: يكفها.

«عند الجمحات» من جمع الفرس براكبه: ذهب يجرى حربا غالبا و اعتزّ فارسه و غلبه، يقال: «دابه ما بها رمحه و لا جمحه» قال الشاعر:

خلعت عذارى جامحا لا يردنى عن البيض أمثال الدمي زجر زاجر (٣)

قال تعالى «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (٤).

«فإنّ النفس أمّاره بالسوء إلا ما رحم الله» زاد في روايه (التحف): «إنّ ربّي غفور رحيم» و أن يعتمد كتاب الله عند الشبهات فإنّ فيه تبيان كلّ شيء و هدى و رحمه لقوم يؤمنون، و أن يتحرّى رضا الله و لا يتعرّض لسخطه و لا يصرّ على معصيته فإنّه لا ملجأ من الله إلا إليه (٥).

«ثم اعلم يا مالك أنّي قد وجهتك إلى بلاد قد جرت عليها دول قبلك من عدل و جور» في (المروج): الذي اتفقت عليه التواريخ- مع تباين ما فيها- أنّ عدّه ملوك مصر من الفراعنه و غيرها اثنان و ثلاثون فرعوناً، و من ملوك بابل ممّن تملك على مصر خمسه، و من العماليق الذين ظهوروا إليها من بلاد الشام أربعة، و من الروم سبعة، و من اليونانيين عشره، و ذلك قبل المسيح عليه السلام،

ص: ٤٧٧

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٣٠: ١٧. [١]

٢- ٢) البحار ٣٦٤: ٧٣، روايه ٩٦، باب ١٣٧. [٢]

٣- ٣) أورده أساس: ٦٣- جمع، و لسان العرب ٤٢٦: ٢، [٣] جمع.

٤- ٤) النازعات: ٤٠-٤١. [٤]

٥- ٥) تحف العقول: ١٢٦.



و ملكها من الفرس من قبل الأكاسره، و كانت مدّه من ملك مصر من الفراعنه و الروم و العماليق و اليونانيين ألف سنه و ثلاثمائه (١).

هذا، و في (الأنوار) أن الخضر عليه السلام سئل عن أعجب شيء رآه فقال: إني مررت على مدينه- و لم أر على وجه الأرض أحسن منها- فسألت بعضهم متى بنيت هذه المدينه فقالوا: سبحان الله! ما تذكر آباؤنا و لا أجدادنا متى بنيت، ثم غبت عنها نحواً من خمسمائه سنه و عبرت عليها بعد ذلك فإذا هي خاويه على عروشها و لم أر أحداً أسأله، و إذا رعاها غنم فسألتهم عنها فقالوا: لا نعلم، فغبت نحواً من خمسمائه سنه ثم انتهيت إليها فإذا موضع تلك المدينه بحر و إذا غوّصون يخرجون منها اللؤلؤ، فقلت لبعضهم: منذ كم هذا البحر هاهنا؟ فقالوا: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا و لا أجدادنا إلا أنّ هذا البحر هاهنا، ثم غبت عنه نحواً من خمسمائه سنه ثم انتهيت إليه فإذا ذلك البحر قد غاض و إذا مكانه أجمه ملتفه بالقصب و البردى و بالسباع، و إذا صيادون يصيدون السمك في زوارق صغار، فقلت لبعضهم: أين البحر الذي كان هاهنا. فقالوا:

سبحان الله! ما يذكر آباؤنا و لا أجدادنا أنّه كان بحر هاهنا قطّ، فغبت عنه نحواً من خمسمائه سنه ثم انتهيت إليه فإذا هو مدينه على حالته الاولى و الحصون و القصور و الأسواق قائمه فقلت لبعضهم أين الأجمه التي كانت، فقال، سبحان الله! ما يذكر آباؤنا و لا أجدادنا إلا أنّ هذه على حالها، فغبت عنها نحواً من خمسمائه سنه فإذا هي عليها سافلها و هي تدخن بدخان شديد و لم أر أحداً إلا راعياً، فسألته أين المدينه التي كانت هاهنا و متى حدث هذا الدخان؟ فقال: سبحان الله! ما يذكر آباؤنا و لا أجدادنا إلا أنّ هذا الموضع كان هكذا (٢).

ص: ٤٧٨

[١- ١] مروج الذهب ١: ٤٠٦. [١]

[٢- ٢] الأنوار النعمانيه ٣: ٣٠٨. [٢]

«وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوَلَاءِ قَبْلِكَ» مِنْ حَسَنِ وَ قِيحِ.

«وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ» مِنْ خَيْرٍ وَ شَرِّ.

وَأَبِي عُبَيْدَةَ كِتَابٌ فِي «مَنْ شَكَرَ مِنَ الْعَمَالِ وَ حَمَدَ»، وَ فِي (مِيزَانَ الْذَهَبِيِّ) قَالَ أَبُو حَاتِمٍ: كَانَ عُنْبَسَةُ بْنُ خَالِدِ الْإِيلِيِّ عَلَى خِرَاجِ مِصْرٍ وَ كَانَ يَعْلُقُ النِّسَاءَ بِنْدِيهِنَ (١).

وَ فِي (السِّيرِ) أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ مَرْوَانَ وَ زَيْرَ الْمُعْتَصِمِ جَلَسَا يَوْمًا لِإِشْغَالِ النَّاسِ، وَ فَرَعَتْ إِلَيْهِ قِصَصَ الْعَامَةِ مَكْتُوبًا فِيهَا هَذِهِ الْآيَاتُ:

تَفَرَعْتَ يَا فَضْلُ بْنُ مَرْوَانَ فَاعْتَبِرْ فَقَبْلَكَ كَانَ الْفَضْلُ وَ الْفَضْلُ وَ الْفَضْلُ

ثَلَاثَةٌ أَمْلَاكَ مَضُوا لِسَيْلِهِمْ أَبَادَتِهِمُ الْأَقْيَادُ وَ الْحَبْسُ وَ الْقَتْلُ

وَ أَنْكَ قَدْ أَصْبَحْتَ فِي النَّاسِ ظَالِمًا سَتُودِي كَمَا أُوْدِي الثَّلَاثَةُ مِنْ قَبْلِ

أَرَادَ بِقَوْلِهِ «فَقَبْلَكَ» كَانَ الْفَضْلُ وَ الْفَضْلُ وَ الْفَضْلُ بْنُ يَحْيَى الْبِرْمَكِيُّ وَ الْفَضْلُ بْنُ الرَّبِيعِ وَ الْفَضْلُ بْنُ سَهْلٍ، وَ ذَكَرُوا أَنَّ الْفَضْلَ بْنَ مَرْوَانَ هَذَا هُوَ الَّذِي أَخَذَ الْبَيْعَةَ لِلْمُعْتَصِمِ وَ الْمُعْتَصِمُ بِالرُّومِ فَاسْتَوَزَرَهُ لِذَلِكَ وَ غَلَبَ عَلَيْهِ، فَكَانَ الْمُعْتَصِمُ يَأْمُرُ بِإِعْطَاءِ الْمَغْنَى وَ النَّدِيمِ فَلَا يَنْفُذُ الْفَضْلَ ذَلِكَ، فَحَقَّدَ الْمُعْتَصِمُ عَلَيْهِ لِذَلِكَ وَ نَكَبَهُ وَ أَهْلَ بَيْتِهِ وَ جَعَلَ مَكَانَهُ ابْنَ الزِّيَّاتِ، فَشَمَّتْ بِهِ النَّاسُ لِرَدَائِهِ أَفْعَالَهُ فَقَالُوا:

لَتَبِكَ عَلَى الْفَضْلِ بْنُ مَرْوَانَ نَفْسَهُ فَلَيْسَ لَهُ بَأَكْ مِنْ النَّاسِ يَعْرِفُ

وَ قَالَ الْمُعْتَصِمُ: عَصَى اللَّهُ فِي طَاعَتِي فَسَلَّطَنِي عَلَيْهِ (٢).

وَ فِي (كَامِلِ الْجَزْرِيِّ): وَ فِي سَنَةِ (٤١٣) قَتَلَ الْمُعْزُ بْنُ بَادِيَسَ صَاحِبَ

ص: ٤٧٩

(١-١) مِيزَانُ الْإِعْتِدَالِ ٢٩٨:٣-٦٤٩٩- دَارُ الْمَعْرِفَةِ-بَيْرُوتِ.

(٢-٢) وَفِيَاتُ الْأَعْيَانِ ٤:٤٥- [١] دَارُ صَادِرِ-بَيْرُوتِ، شَذْرَاتُ الْذَهَبِ: ١٢٢:٢- دَارُ الْآفَاقِ الْجَدِيدَةِ-بَيْرُوتِ.

إفريقيه وزيره و صاحب جيشه أبا عبد الله محمد بن الحسن، و يحكى عن وزيره قال:سهرت ليله افكر فى شىء أحدثه فى الناس و اخرجه عليهم من التى التزمتها،فتمت فرأيت عبد الله بن محمد الكاتب-و كان وزير والد المعز و كان عظيم القدر-و هو يقول لى:اتق الله فى الناس كافه و فى نفسك خاصه فقد أسهرت عينيك و أبرمت حافظيك،و قد بدا لى منك ما خفى عليك،و عن قليل ترد ما وردنا و تقدم على ما قدمنا،فاكتب عنى ما أقول-و لا أقول إلا حقًا- فأملى على:

وليت و قد رأيت مصير قوم هم كانوا السماء و كنت أرضا

سموا درج العلا حتى اطمأنوا و مدّ بهم فعاد الرفع خفضا

و أعظم اسوه لك بى لأنى ملكت و لم أعش طولا و عرضا

فلا تغترّ بالدنيا و أقصر فان أوان أمرك قد تقضى

فانتبهت مرعوبا و رسخت الأبيات فى حفظى-و لم يبق بعد هذا المقام غير شهرين حتى قتل (١).

«و إنّما يستدل على الصالحين بما يجرى الله لهم على ألسن عباده» يقال «ألسنه الخلق أقلام الحق»، و أمّا ما يتفق من ثناء الناس لبعض امراء الباطل و العلماء المرائين المتصّعين فإنّما هو على لسان العوام و من فى قلبه مرض، و أمّا العارفون المستقيمون فحاشا و كلاً.

«فليكن أحبّ الذخائر إليك ذخيره العمل الصالح» قال تعالى: «الْمَالُ وَ النَّبُونُ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ الْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَ خَيْرٌ أَمَلًا» (٢).

ص: ٤٨٠

[١- ١] الكامل فى التاريخ ٣٢٧:٩-٤١٣. [١]

[٢- ٢] الكهف: ٤٦. [٢]

«فاملك هواك» قال تعالى: «وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَيَنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ» (١).

«و شح نفسك عما لا يحل لك» و فى روايه (التحف) (و لتسخ نفسك عما لا يحل لك) (٢).

«فإن الشح بالنفس الإنصاف منها فيما أحببت أو كرهت» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و كرهت) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه (٣).

روى (الخصال) أن عمر بن عبد العزيز دخل المدينة فأمر مناديا ينادى من كانت له ظلامه فليأت الباب، فدخل عليه الباقر عليه السلام فقال له: إنما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم و منها خرج قوم بما يضرهم، و كم من قوم قد ضرهم بمثل الذى أصبحنا فيه حتى أتاهم الموت فخرجوا من الدنيا ملومين لما لم يأخذوا لما أحبوا من الآخرة عدّه و لا مما كرهوا منه جنة، قسم ما جمعوا من لا- يحمدهم و صاروا إلى من لا- يعذرهم، و نحن و الله محققون ان نظر إلى تلك الأعمال التى كنّا نغبطهم بها فنوافقهم فيها و نظر إلى تلك الأعمال التى كنّا نتخوف عليهم منها فنكف عنها، فاتق الله و اجعل فى قلبك اثنتين: تنظر الذى تحب أن يكون معك إذا قدمت على ربك فقدّمه بين يديك، و تنظر الذى تكره أن يكون معك، إذا قدمت على ربك فابتغ فيه البديل، و لا تذهبن إلى سلعه قد بارت على من كان قبلك ترجو أن تجوز عنك، و اتق الله و افتح الأبواب و سهّل الحجاب و انصر المظلوم و ردّ الظالم. ثم قال: ثلاث من كنّ فيه استكمل الإيمان بالله، فجثا عمر على ركبتيه ثم قال: إيه يا أهل بيت

ص: ٤٨١

١-١) النزاعات: ٤٠ و ٤١. [١]

٢-٢) تحف العقول: ١٢٦ فى طبعتنا «و شح بنفسك عما لا يحل لك».

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٣١: ١٧. [٢]

النبوه. فقال: نعم من إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل و إذا غضب لم يخرجه غضبه من الحق، و من إذا قدر لم يتناول ما ليس له. فدعا عمر بدواه و قرطاس و كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما رد عمر بن عبد العزيز ظلامه محمد بن على فدك... (١).

«و أشعر قلبك الرحمة للزعيه و المحبه لهم و اللطف بهم» روى (الفقيه) خبرا عن السجاد عليه السلام فى الحقوق- إلى أن قال- و أما حق رعيتك فأنا تعلم أنهم صاروا رعيتك لضعفهم و قوتك، فيجب أن تعدل فيهم و تكون لهم كالوالد الرحيم و تغفر لهم جهلهم و لا تعاجلهم بالعقوبه و تشكر الله عز و جل على ما آتاك من القوه عليهم (٢).

«و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا» معتادا للصيد.

«تغتم أكلهم» قال (ابن قتيبه فى عيونه): دخل مالك بن دينار على بلال بن أبى بردة- و هو أمير البصره- فقال له: أيها الأمير! أتى قرأت فى بعض الكتب من أحق من السلطان! و من أجهل ممن عصانى! و من أغر ممن أغرنى! أيا راعى السوء! دفعت إليك غنما سمانا سحاحا فأكلت اللحم و شربت اللبن، و ائتممت بالسمن و لبست الصوف، و تركتها عظاما تتقعقع (٣).

«فإنهم صنفان إما أخ لك فى الدين» إذا كان مؤمنا قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (٤).

«أو» هكذا فى (المصريه) و الصواب: «و إما» كما فى ابن أبى الحديد

ص: ٤٨٢

١- ١) الخصال: ١٠٤ ح ٦٤.

٢- ٢) من لا يحضره الفقيه ٣: ٣٧٧.

٣- ٣) عيون الاخبار ١: ١١٧- [١] دار الكتب العلميه- بيروت.

٤- ٤) الحجرات: ١٠. [٢]

«نظير لك في الخلق» إن لم يكن بمؤمن، و السباع لا تؤذى نوعها فكيف يسوغ لبنى آدم أن يؤذوا نوعهم.

«يفرط» أى: يصدر.

«منهم الزلل و تعرض لهم العلل» أى: العوارض.

«و يؤتى على أيديهم في العمد و الخطأ» أى: يحصل خبط من أيديهم إما عمدا و إما خطأ لعدم كمال عقولهم.

و قال ابن أبي الحديد: قوله عليه السلام «يؤتى على أيديهم» مثل قولك «و يؤخذ على أيديهم» أى يهدَّبون و يتَّقَفون، يقال أخذ الحاكم على يده... (٢). و هو كما ترى ضدَّ المراد، فإنه عليه السلام ذكر ذلك عله لقوله: «و أشعر قلبك الرَّحمة للرَّعيه و لا تكوننَّ عليهم سبعا ضاريا» و ذكره في رديف «يفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل» فكيف يكون المعنى ما قال؟! «فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الّذى تحبّ أن يعطيك الله من عفوه و صفحه، فإنّك فوقهم و والى الأمر عليك فوقك و الله فوق من ولّاك، و قد استكفأك أمرهم و ابتلاك بهم» في (عيون ابن قتيبه): أسر معاويه في صفين رجلا من أصحاب على عليه السلام فلما اقيم بين يديه قال: الحمد لله الّذى أمكننى منك. قال: لا- تقل ذلك فإنّها مصيبه. قال معاويه: و أيّه نعمه أعظم من أن يكون الله أظفرنى برجل قتل في ساعه واحده جماعه من أصحابي. اضربا عنقه. فقال الرجل: اللّهم اشهد أنّ معاويه لم يقتلنى فيك، و لا لأنّك ترضى قتلى، و لكن قتلتنى فى الغلبه على حطام هذه الدنيا، فإن فعل فافعل به ما هو أهله، و إن لم يفعل فافعل به ما أنت أهله.

ص: ٤٨٣

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١٧:٣٢. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ١٧:٣٣. [٢]

فقال: قاتلك الله لقد سببت فأوجعت في السبِّ، ودعوت فأبلغت في الدعاء. خَلِيَا سَبِيلَهُ (١).

«و لا» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد)، و في (ابن ميثم) و الخطيبه (لا-) (٢) «تنصبن نفسك لحرب الله» بظلم عباده. في (الكافي) عن الصادق عليه السلام قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: لَمَّا اسرى بي و أوحى تعالى إلي من وراء الحجاب ما أوحى و شافهني -إلى أن قال لي- يا محمّد! من أذلّ لي وليّاً فقد أُرصدني بالمحاربه، و من حاربني حاربه. قلت: يا ربّ! و من وليك هذا؟ قال: من أخذت ميثاقه لك و لوصيك و ذرّيتكما بالولاية (٣).

«فإنّه لا يدى لك» أى: لا طاقه لك، يحذفون النون من اليمين في مثله تخفيفاً، و من أمثالهم «لا يدى لواحد بعشره».

«بنقمته» و لا يدى للسماء و الأرض بنقمته فكيف لإنسان ضعيف.

«و لا غنى بك عن عفوه و رحمته» فلا بدّ أن يعفو عن عباد الله الذين تحت يده و يرحمهم حتى يعفو الله تعالى عنه و يرحمه.

«و لا تندمن على عفوه» فالفعل أقرب للتقوى.

«و لا تبجحن» بتقديم الجيم أى: تباهين و لا تفاخرن.

«بعقوبه» فإنّه كالافتخار بنقص، و الافتخار إنّما يكون بالكمال.

«و لا تسرعنّ إلى بادره» أى: حده، و المراد ما توجهه الحدّه من العقوبه «وجدت منها» هكذا في (المصريه) و الصواب: (عنها) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيبه (٤)، و لأنّ المندوحه انما تستعمل مع عن.

ص: ٤٨٤

١- ١) عيون الاخبار ١٧٤: ١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٢. [٢]

٣- ٣) الكافي ٢٤٣: ٢- ١٠- [٣] المكتبه الإسلاميه-طهران.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٣٢.

«مندوحه» يقال: لى عن هذا الأمر مندوحه أى: سعه، وإنما نهى عليه السلام عن الإسراع إلى بادره لأنه يؤدي غالباً إلى كشف الخلاف فيتبعه الندم و الانفعال.

«و لا تقولنّ إني مؤمّر أمر فاطع فإنّ ذلك» الخيال.

«ادغال» أى: فساد فى القلب و منهكه» من «نهكته الحمى» إذا أضنته و نقصت لحمه.

«للدين و تقرب من الغير» أى: التغيرات و الحوادث.

فى (العقد) قال الاصمعى: لمّا ولى بلال بن أبى بردة البصره بلغ ذلك خالد بن صفوان فقال:

سحابه صيف عن قليل تقشع

فبلغ ذلك بلالا- فقال: أنت القائل «سحابه صيف عن قليل تقشع»؟ أما و الله لا تقشع حتى يصيبك منها شؤبوب برد، فضربه مائه سوط- و كان خالد يقول: ما فى قلب بلال من الإيمان إلا ما فى بيت أبى الزرد الحنفى من الجوهر- و أبو الزرد رجل مفلس (١).

«و إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك اّبّه» أى: عظمه.

«أو مخيله» أى: كبراء، يقال فلان ذو خال و ذو مخيله، قال العجاج:

«و الخال ثوب من ثياب الجهال»

(٢).

«فانظر إلى عظم ملك الله فوقك» .

فى (الكافى): دخل جعفر بن أبى طالب فى الحبشه على النجاشى و هو فى بيت له جالس على التراب و عليه خلقان الثياب، فقال له جعفر: أيها الملك! إني أراك جالسا على التراب و عليك هذه الخلقان، فقال: يا جعفر! إننا نجد فيما

ص: ٤٨٥

١- (١) العقد الفريد ١٢٢: ٤- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- (٢) لسان العرب ٢٢٨: ١١- [٢] خيل، و عجز البيت: و الدهر فيه غفله للغفّال.



انزل الله تعالى على عيسى عليه السلام أنّ من حق الله على عباده أن يحدثوا له تواضعا عند ما يحدث لهم نعمه، فلما أحدث الله لى نعمه... (١).

و فى (المروج): أخرج المنصور محمد بن مروان من حبسه و سأله عن قصته مع ملك نوبه-لما كان هرب مع عدّه من بنى اميه إليه-فقال: أتانى ملكها فقعد على الأرض و قد أعددت له فراشا، فقلت له: ما منعك من القعود على فراشنا؟ فقال: لأننى ملك و حقّ لكل ملك أن يتواضع لعظمه الله تعالى إذا رفعه الله... (٢).

(و فيه): أنه سأله لم تشربون الخمر و تلبسون الحرير و تفسدون فى الأرض و كلّ ذلك حرام عليكم فى دينكم (٣)؟ «و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك» فى سنن أبى داود عن أبى مسعود الأنصارى: كنت أضرب غلاما لى، فسمعت من خلفى صوتا مرّتين «الله أقدر عليك منك عليه»، فالتفت فإذا هو النبى صلّى الله عليه و آله فقلت: هو حرّ لوجه الله.

فقال: أما لو لم تفعل للفتك النار.

و فى (كتابه أبى هلال) قال بعض الولاة لأعرابى: قل الحق و إلا أوجعتك ضربا.

فقال الأعرابى: و أنت أيضا فاعمل بالحق فو الله لما أوعدك الله به منه أعظم ممّا أوعدتنى به منك.

و فى (عيون القتيبى): كان أردشير الملك دفع إلى رجل كان يقوم على رأسه كتابا و قال له: إذا رأيتنى قد اشتد غضبى فأدفعه لى، و فى الكتاب «أمسك فلست ياله إنمّا أنت جسد يوشك أن يأكل بعضه بعضا و يصير عن

ص: ٤٨٦

١-١ (١) الكافى ١٢١:٢-١ [١] بتلخيص.

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٣:٢٨٤. [٢]

٣-٣ (٣) مروج الذهب ٣:٢٨٤. [٣]

(و فيه): و كان للسندی و الى الجسر غلام صغير قد أمره بأن يقوم إليه إذا ضرب الناس بالسياط فيقول له: ويلك يا سندی! اذكر القصاص (١).

و في (تاريخ بغداد): كان شريك القاضي لا يجلس للقضاء حتى يخرج رقعته من قمطره فينظر فيها ثم يدعو بالخصوم، و إنما كان يقدّمهم الأوّل فالأوّل، فليل لابن شريك: نحبّ أن نعلم ما في هذه الرقعة، فأخرجها إليها فإذا فيها «يا شريك ابن عبد الله أذكر الصراط و حدّته، يا شريك بن عبد الله! اذكر الموقف بين يدي الله تعالى» (٢).

«فإن ذلك يطامن إليك» أي: يسكن إليك.

«من طماحك» أي: ارتفاعك و ابعادك، من «طمح بصره إلى الشيء».

«و يكفّ عنك من غربك» أي: حدّتك. في (الكافي) عن أبي جعفر عليه السلام:

مكتوب في التوراه فيما ناجى الله تعالى به موسى: يا موسى أمسك غضبك عمّن ملكتك عليه أكفّ عنك غضبي (٣).

و في (تاريخ بغداد) عن مبارك بن فضاله قال: دخل ابن سوار في وفد من أهل البصره على المنصور ذات يوم و أنا عنده إذ أتى برجل فأمر بقتله، فقلت في نفسي: يقتل رجل من المسلمين و أنا حاضر. فقلت: ألا احّدثك بحديث. قال: و ما هو؟ قلت: قال الحسن البصري قال النبي صلّى الله عليه و آله: إذا كان يوم القيامة جمع الله تعالى الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي و ينفذهم البصر، فيقوم مناد من عند الله فيقول: ليقومنّ من له على الله يد، فلا يقومنّ إلّا

١-١ (١) عيون الاخبار ٣٨٥:١- [١] دار الكتب العلميّه-بيروت.

٢-٢ (٢) تاريخ بغداد ٢٩٣:٩- [٢] دار الكتاب العربي-بيروت.

٣-٣ (٣) الكافي ٣٠٣:٢-٧. [٣]

من عفا، فأقبل المنصور عليّ فقال: الله سمعته من الحسن؟ قلت: الله سمعته من الحسن. قال: خليا عنه (١).

«و يفيء» من فاء أي: يرجع، وقال ابن أبي الحديد: من أفاء (٢)، ولا وجه له بعد تعديته بالباء.

«بما عزب» أي: خفي و بعد.

«عنك من عقلك» و إلا فكيف يحصل له مخيله، و هو إنسان ضعيف مكتوم الأجل مكنون العلل محفوظ العمل، تقتله الشرقة و تنتنه العرقه و تؤلمه البقه، و لو كان سلطان كل وجه الأرض .

«إياك و مساماه الله» أي: مقابلته في العلو.

«في عظمته و التشبه به في جبروته» قاهريته التي لا تنال.

«فإن الله يذل كل جبار» أي: متناول.

«و يهين كل مختال» أي: متكبر يخال أنه عظيم.

و في الخبر: الكبر رداء الله فمن نازع الله رداءه لم يزد الله تعالى إلا - سفالا، إن النبي صلى الله عليه و آله مر في بعض طريق المدينة و سوداء تلتقط السرقين، فقيل لها تنحى عن طريق النبي، فقالت: إن الطريق لمعرض، فهم بعض القوم أن يتناولها فقال صلى الله عليه و آله دعوها فإنها جباره.

و في خبر آخر: العز رداء الله و الكبر إزاره، فمن تناول شيئا منهما أكبه الله في جهنم.

و في آخر: إن المتكبرين يجعلهم الله في صور الذر يتوطينهم الناس حتى يفرغ الله من الحساب.

ص: ٤٨٨

١- (١) تاريخ بغداد ٢١٢: ١٣- [١] دار الكتاب العربي-بيروت.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣٤: ١٧. [٢]

و فى آخر: ما من عبد إلا و فى رأسه حكمه و ملك يمسكها فإذا تكبر قيل له أتضع وضعك الله، فلا يزال أعظم الناس فى نفسه و هو أصغر الناس فى أعين الناس، فإذا تواضع رفعه الله، ثم قال: انتعش نعشك الله فلا يزال أصغر الناس فى نفسه و أرفع الناس فى أعينهم.

و فى آخر: الكبر أدنى الإلحاد (١).

«أنصف الله و أنصف الناس من نفسك» فى (الأغانى): جلس ابن الزيات يوما للمظالم، فلما انقضى المجلس رأى جالسا فقال له: لك حاجة؟ قال: نعم.

تدنينى إليك، فأدناه فقال: إنى مظلوم و قد أعوزنى الإنصاف. قال: و من ظلمك؟ قال: أنت، و لست أصل إليك فأذكر حاجتى. قال: و من يحجبك عنى و قد ترى مجلسى مبدولا. قال: يحجبنى عنك هيبتى لك و طول لسانك و أطراد حجبك.

قال: فىم ظلمتك؟ قال: ضيعتى الفلانيه أخذها و كيلك غصبا بغير ثمن، فإذا وجب عليها خراج أديته باسمى لثلا يثبت لك اسم فى ملكها فيبطل ملكى، فوكيلك يأخذ غلتها و أنا أؤدى خراجها و هذا مما لم يسمع فى الظلم مثله. فقال له: هذا قول تحتاج عليه إلى بينه و شهود و أشياء. فقال الرجل: أؤمنى الوزير من غضبه حتى أجيب. قال: نعم. قال: البينه هم الشهود و إذا شهدوا فليس يحتاج معهم إلى شىء فما معنى قولك بينه و شهود و أشياء، أيش هذه الأشياء إلا الغى و التغطرس. فضحك ابن الزيات و قال: صدقت - ثم وقع له برد ضيعته (٢).

«من خاصه أهلك و من لك فيه هوى من رعيتك فإنك إلا - تفعل تظلم، و من ظلم عباد الله كان الله خصمه دون عباده» فى (المروج): قال أنوشروان لبرزجمهر: من

ص: ٤٨٩

١- ١) الكافى ٣٠٩: ٢-٣١٢ ح ١ و ٢ و [١] ٣ و ١١ و ١٦.

٢- ٢) الأغانى ٢٣: ٤٧- [٢] دار احياء التراث العربى.

يصلح من ولدى للملك فأظهر ترشحه. فقال: لا أعرف ذلك، ولكنى أصف لك من يصلح للملك، أسماهم للمعالي و أطلبهم للأدب، و أجزعهم من العامه و أرفهم بالرعيه، و أوصلهم للرحم و أبعدهم من الظلم، فمن كانت هذه صفته فهو حقيق بالملك (١).

و فى (تاريخ بغداد): و جّهت الخيزران رجلا نصرانيا على الطراز، فخرج يوما عليه جبّه خزّ و طيلسان على بردون فاره و معه جماعه من أصحابه و بين يديه مكتوف و هو يقول: وا غوثاه بالله ثم بالقاضى. و إذا آثار سياط فى ظهره، فسلم على شريك و جلس إلى جانبه و قال: أنا رجل أعمل هذا الوشى و كراء مثلى مائه فى الشهر أخذنى هذا مذ أربعة أشهر فاحتبسنى فى طراز يجرى على القوت و لى عيال قد ضاعوا فأفلتّ منه اليوم فلحقنى ففعل بظهرى ما ترى. فقال شريك للنصرانى: قم يا نصرانى فاجلس مع خصمك. فقال:

أصلحك الله! هذا من خدم السیده، مر به إلى الحبس. قال: قم و يلك فاجلس معه كما يقال لك، فجلس معه فقال: ما هذه الآثار التى بظهر هذا الرجل. قال: إنّما ضربته بيدي أسواط و هو يستحق أكثر من هذا، مر به إلى الحبس فألقى شريك كساءه و دخل داره فأخرج سوطا ربديا ثم ضرب بيده إلى مجامع ثوب النصرانى و قال للرجل: رح إلى أهلك، ثم رفع السوط فجعل يضرب به النصرانى، فهم أعوانه أن يخلصوه فقال هاهنا: خذوا هؤلاء إلى الحبس، فهربوا و أفردوه، فضربه أسواط فجعل النصرانى يبكى و يقول: ستعلم، و قام إلى البرذون يركبه فاستعصى عليه و لم يكن له من يأخذ بركابه، فقال له شريك: ارفق به و يلك، فإنّه أطوع لله منك، فمضى إلى موسى بن عيسى فقال:

ص: ٤٩٠

من فعل بك هذا؟ فقال: شريك. قال: لا والله لا أتعرض لشريك (١).

(و فيه) أيضا: أتت شريك يوما امرأه من ولد جرير البجلي فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي: امرأه من ولد جرير صاحب النبي صلى الله عليه وآله و رددت الكلام - فقال: ايها عنك الآن، من ظلمك؟ قالت: الأمير موسى بن عيسى، كان لي بستان على شاطئ الفرات لي فيه نخل ورثته عن آبائي و قاسمت إخوتي و بنيت بيني و بينهم حائطاً و جعلت فيه فارسياً يحفظ النخل و يقوم ببستاني، فاشترى الأمير موسى ابن عيسى من جميع إخوتي و ساومني و أرغبنى فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث بخمسائه فاعل فاقتلعوا الحائط فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً و اختلط بنخل إخوتي. فقال: يا غلام! طينه. فختم، ثم قال لها:

امضى إلى بابي حتى يحضر معك، فذهبت إلى بابي فدخل الحاجب على موسى و قال: اعدى شريك عليك، فدعا بصاحب الشرط و قال: امض إلى شريك و قل له: ما رأيت أعجب من أمرك! امرأه ادعت دعوى لم تصب أعديتها على! فقال صاحب الشرط: ان رأى الأمير أن يعفني. قال: ويلك امض، فخرج، و أمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراش و غيره من آله الحبس، ثم ذهب إلى شريك فأدى الرسالة فأمر أن يحبس، فقال: قد عرفت أنك تفعل بي هذا فقدمت ما يصلحني إلى الحبس. و بلغ الخبر موسى بن عيسى فوجه الحاجب إلى شريك و قال له: قل له هذا من ذاك رسول، أي شيء عليه؟ فلما أدى الرسالة قال: الحقوه بصاحبه، فحبس أيضا. فبعث موسى إلى جماعه من أصدقاء شريك فقال: امضوا إليه و أبلغوه السلام و أعلموه أنه استخف بي و أنني لست كالعامه، فلما أدوا الرسالة قال: ما لي لا أراكم جئتم في غيره من الناس كلمتموني من هاهنا؟ فيأخذ كل واحد بيد رجل فيذهب به إلى الحبس لا ينم

ص: ٤٩١

و الله إلا فيه - و كان بعد العصر قالوا أجاد أنت؟ قال: حقا حتى لا تعودوا برسالة ظالم، فحبسهم.

و ركب موسى بن عيسى فى الليل إلى باب الحبس ففتح الباب و أخرجهم جميعا، فلما كان الغدو و جلس شريك للقضاء جاء السجن فأخبره، فدعا باقمطر فختمها و وجه بها إلى منزله و قال لعلامة: الحقنى بثقلى إلى بغداد، و الله ما طلبنا هذا الأمر منهم و لكن أكرهونا عليه و لقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه، و مضى نحو قنطرة الكوفة إلى بغداد و بلغ الخبر موسى بن عيسى فركب فى موكبه فلققه و جعل يناشده الله و يقول: تثبت انظر اخوانك تحبسهم؟ دع اعوانى. قال: نعم لأنهم مشوا لك فى أمر لم يجب عليهم المشى فيه و لست ببارجح أو يردوا جميعا إلى الحبس و إلا - مضيت إلى الخليفة فاستعفيت منه، فأمر موسى بردهم جميعا إلى الحبس و شريك واقف مكانه حتى جاءه السجن و قال: قد رجعوا إلى الحبس. فقال شريك لأعوانه: خذوا بلجامه و قودوه بين يدي جميعا إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى ادخل المسجد و جلس مجلس القضاء قال: أين الجويرير المتظلم من هذا، فجاءت فقال: هذا خصمك قد حضر و هو جالس معها بين يديه. فقال موسى:

أولئك يخرجون من الحبس قبل كل شىء. فقال شريك: أمّا الآن فنعم أخرجوهم، ثم قال: ما تقول فيما تدعيه هذه؟ قال: صدقت. قال: فردّ جميع ما أخذت منها و ابن حائطها سريعا. قال: أفعل. قال: بقى لك شىء؟ قال: تقول المرأة بيت الفارسي و متاعه. قال: و يردّ ذلك. بقى لك شىء تدعيه؟ قال: تقول المرأة: لا. قال لها شريك: فقومى، ثم وثب شريك من مجلسه فأخذ بيد موسى بن عيسى فأجلسه مجلسه ثم قال: السلام عليك أيها الأمير! تأمر بشىء؟ قال:

(و فيه): تقدّم إلى شريك و كيل لمؤنسه مع خصم له، فجعل يستطيل خصمه إدلالاً بموضعه من مؤنسه، فقال له شريك: كفّ لا أبا لك. قال: أ تقول هذا و أنا و كيل مؤنسه، فأمر شريك به فصنع عشر صفعات (٢).

«و من خاصمه الله أدحض حجّته» أى: أبطلها «و كان لله حرباً حتى ينزع و يتوب» .

فى (الكافى): صعد أمير المؤمنين عليه السّلام المنبر فحمد الله و أتى عليه ثم قال: أيها الناس! إنّ الذنوب ثلاثة - ثم أمسك - فقال له حبه العرنى: قلت: الذنوب ثلاثة ثم أمسكت. فقال عليه السّلام: ما ذكرتها إلّا و أنا أريد أن افسرها، و لكن عرض لى بهر حال بينى و بين الكلام، نعم. الذنوب ثلاثة: فذنب مغفور، و ذنب غير مغفور، و ذنب يرجى لصاحبه و يخاف عليه. قال حبه: فبينها لنا. قال: نعم. أمّا الذنب المغفور فعبد عاقبه الله تعالى على ذنبه فى الدنيا و الله تعالى أحلم و أكرم من أن يعاقب عبده مرّتين، و أمّا الذنب الذى لا - يغفر فظلم العباد بعضهم لبعض، إنّ الله تعالى إذا برز للخليقه أقسم قسماً على نفسه فقال: و عزتى و جلالى لا يجوزنى ظلم ظالم و لو كفّا بكف و لو مسح بكف و لو نطحه ما بين القرناء إلى الجماء، فيقتصّ للعباد بعضهم من بعض حتى لا يبقى لأحد على أحد مظلّمه ثم يبعثهم الله للحساب، و أمّا الذنب الثالث فذنب ستره الله تعالى على خلقه و رزقه التوبه منه فأصبح خائفاً من ذنبه راجياً لربّه فنحن له كما هو لنفسه نرجو له الرحمه و نخاف عليه العقاب (٣).

١ - ١) تاريخ بغداد ٩: ٢٨٩ - [١] دار الكتاب العربى - بيروت.

٢ - ٢) تاريخ بغداد ٩: ٢٩٢ - [٢] دار الكتاب العربى - بيروت.

٣ - ٣) الكافى للكلىنى ٢: ٤٤٣، الباب ١٩٥، ح ١. [٣]



«و ليس شىء أدعى إلى تغيير نعمه الله و تعجيل نعمته من إقامه على ظلم، فإنّ الله سميع دعوه المضطهدين» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (المظلومين) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (١).

فى (كامل الجزرى) - بعد ذكر قتل المقتدر لابن الفرات - لم يكن فى ابن الفرات عيب إلا أنّ أصحابه كانوا يفعلون ما يريدون و يظلمون فلا - يمنعهم، فمن ذلك أنّ بعضهم ظلم امرأه فى ملك لها، فكتبت إليه تشكو منه غير مرّه و هو لا يردّ لها جواباً، فلقيته يوماً و قالت له: أسألك بالله أن تسمع منى كلمه، فوقف لها فقالت: قد كتبت إليك فى ظلامتى غير مرّه و لم تجبني فتركتك و كتبتها إلى الله تعالى. فلما كان بعد أيام و رأى تغيّر حاله قال لمن معه من أصحابه: ما أظنّ إلاّ جواب رقعته تلك المرأه المظلومه قد خرج، فكان كما قال (٢).

و فى (الطبرى): لما رأى وجوه الفرس و أشرفهم أن يزدجرد الأثيم أبى إلاّ تتابعا فى الجور، اجتمعوا فشكوا ما نزل بهم من ظلمه و تضرّعوا إلى ربّهم و ابتهلوا إليه بتعجيل إنقاذهم منه، فزعموا أنّه كان بجرجان فرأى ذات يوم فى قصره فرسا عاترا لم ير مثله فى الخيل فى حسن صورته و تمام خلقه قبل حتى وقف على بابه، فتعجب الناس منه لأنّه كان متجاوز الحال، فاخبر يزدجرد خبره فأمر به أن يسرج و يلجم و يدخل عليه، فحاول صاحب مراكبه ذلك فلم يمكن أحدا منهم من ذلك، فانهى إليه امتناع الفرس عليهم، فخرج بنفسه فألجمه بيده و ألقى لبداء على ظهره و وضع فوقه سرجا و شدّ حزامه و لبد، فلم يتحرّك الفرس بشىء من ذلك حتى إذا رفع ذنبه لينفره، استدبره

ص: ٤٩٤

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٤: ١٧. [١]

٢- ٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى س ١٥٥: ٨- ٣١٢. [٢]

الفرس فرمحه على فؤاده رمحه هلك منها مكانه، ثم لم يعاين ذلك الفرس.

و يقال: إنَّ الفرس ملأ فروجه جريا فلم يدرك و لم يوقف على السبب فيه، و خاضت الرعيه بينها و قالت: هذا من صنع الله لنا و رأفته بنا (١).

و في (الكافي) عن الصادق عليه السّلام: أوحى الله تعالى إلى نبيّ من الأنبياء في مملكه جبار من الجبابره أن ائت هذا الجبار و قل له: إنني لم أستعملك على سفك الدماء و اتّخاذ الأموال، و إنّما استعملتك لتكفّ عنّي أصوات المظلومين، و إنني لم ادع ظلامتهم و ان كانوا كفارا (٢).

و في (تاريخ بغداد) عن بعض ولد يحيى البرمكي قال لأبيه و هم في القيود و الحبس: يا أبه! بعد الأمر و النهي و الأموال العظيمة أصارنا الدهر إلى القيود و لبس الصوف و الحبس. فقال له أبوه: يا بنيّ! دعوه مظلوم سرت بليل غفلنا عنها و لم يغفل الله عنها، ثم أنشأ يقول:

ربّ قوم قد غدوا في نعمه زما و الدهر ريان غدق

سكت الدهر زمانا عنهم ثم أبكاهم دما حين نطق (٣)

و في (الكافي) عن النبيّ صلّى الله عليه و آله: ان أعجل الشر عقوبه البغي (٤).

و عن الصادق عليه السّلام: يقول إبليس لجنوده: ألقوا بينهم الحسد و البغي فإنهما يعدلان عند الله تعالى الشرك (٥).

«و ليكن أحبّ الامور إليك أوسطها» أي: أعدلها.

ص: ٤٩٥

١- ١) تاريخ الطبري ٢: ٦٤- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- ٢) الكافي ٢: ٣٣٣، الباب ١٣٦، ح ١٤. [٢]

٣- ٣) تاريخ بغداد ١٣٢: ١٤- [٣] دار الكتاب العربي-بيروت.

٤- ٤) الكافي ٢: ٢٤٦-١- [٤] المكتبة الإسلامية-طهران.

٥- ٥) الكافي ٢: ٣٢٧-١-٢. [٥]

«فى الحقّ و أعمّها فى العدل» «اعدلوا هو أقرب للتقوى» (١).

«و أجمعها لرضى الرعيه» فحيث لا يمكن جلب رضا الجميع يتتخب الاوفق برضا أكثرهم.

«فإنّ سخط العامه» و عدم رضاهم بأمر.

«يجحف» من أجحف به: ذهب «برضى الخاصه» لأقليتهم.

«و إنّ سخط الخاصه يغتفر» و لا يضّر.

«مع رضى العامه» لأنهم الأكثرون، و الأقلّ يترك للأكثر.

«و ليس أحد من الرعيه أثقل على الوالى مثونه فى الرّخاء و أقلّ معونه له فى البلاء، و أكره للإنصاف و أسأل بالإلحاف، و أقلّ شكرا عند الإعطاء و أبطأ عذرا عند المنع، و أضعف صبورا عن ملمات الدهر» أى: نوازله.

«من أهل الخاصه» و كلّ ذلك يوجب عدم الاكتراث بهم.

أمّا ثقل مؤنثهم فى الرّخاء فمثله مثل مؤنثه أبى دلامه عند السفّاح، ففى (الأغانى) أن السفّاح قال له يوما: سلنى حاجتك. قال: كلب أ تصيّد به. قال:

أعطوه إياه. قال: و دابّه أ تصيّد عليها. قال: أعطوه. قال: و غلام يصيد بالكلب و يقوده. قال: أعطوه غلاما. قال: و جاريه تصلح لنا الصيّد و تطعمنا منه. قال:

أعطوه جاريه. قال: هؤلاء عبيدك و إماؤك فلا بدّ لهم من دار يسكنونها. قال:

أعطوه دارا تجمعهم. قال: فإن لم تكن ضيعه فمن أين يعيشون؟ قال: قد أعطيتك مائه جريب عامره و مائه جريب غامره. قال: و ما الغامره؟ قال: ما لا نبات فيه. فقال للسفّاح: قد أقطعتك أنا خمسمائه ألف جريب غامره من فيافى بنى أسد. فضحك و قال: اجعلوها كلّها عامره (٢).

ص: ٤٩٦

١- ١) المائده: ٨. [١]

٢- ٢) الأغانى ٢٣٦: ١٠- [٢] دار احياء التراث العربى.

و أما قلّه معونتهم فى البلاء فمثلهم ما فيه أيضا عن أبى دلامه قال: اتى بى المنصور أو المهدي و أنا سكران، فحلف ليخرجني فى بعث حرب، فأخرجني مع روح بن حاتم المهلبى لقتال الشراه، فلما التقى الجمعان قلت لروح: أما و الله لو أن تحتى فرسك و معى سلاحك لأثرت فى عدوك اليوم أثرا ترتضيه، فضحك و قال: و الله العظيم لأدفعنّ ذلك إليك و لأخذنك بالوفاء بشرطك. و نزل عن فرسه و نزع سلاحه و دفعهما إليّ و دعا بغيرهما فاستبدل بهما، فلما حصل ذلك فى يدي و زال عني حلاوه الطمع قلت: أيها الأمير هذا مقام العائذ بك، و قلت:

إني استجرتك أن اقدم فى الوغى لتطاعن و تنازل و ضراب

فهب السيوف رأيتها مشهوره فتركتها و مضيت فى الهرب

ما ذا تقول لما يجيء و ما يرى من واردات الموت فى الشباب

فقال: دع عنك هذا. و برز رجل من الخوارج فقال: اخرج إليه. فقلت:

أنشدك الله أيها الأمير فى دمي. قال: و الله لتخرجنّ. فقلت: أيها الأمير فإنه أول يوم من الآخرة و آخر يوم من الدنيا و أنا و الله جائع ما شبعت منى جارحه من الجوع. فأمر لى بشيء آكله ثم أخرج، فأمر لى برغيفين و دجاجة، فأخذت ذلك و برزت عن الصف، فلما رأنى الشارى أقبل نحوى و أسرع، فقلت له: على رسلك يا هذا كما أنت. فوقف فقلت: أ تقتل من لا يقاتلك؟ قال: لا. قلت: أ تقتل رجلا على دينك؟ قال: لا. قلت: أ فتستحل ذلك قبل أن تدعو من تقتله إلى دينك؟ قال: لا. فاذهب عنى إلى لعنه الله. قلت: لا أفعل أو تسمع منى. قال: قل. قلت: هل كانت بيننا عداوه قط أو تره، أو تعرفنى بحال تحفظك علىّ أو تعلم بين أهلى و أهلِكَ و ترا. قال: لا و الله. قلت: و لا أنا و الله لك إلا جميل الرأى، و إنى لأهواك و أنتحل مذهبك و ادين دينك و اريد السوء لمن أراه لك. قال: يا هذا جزاك الله

خيرا فانصرف.قلت:إنّ معي زادا أحبّ أن آكله معك و أحبّ مؤاكلتك لتتأكد الموده بيننا و يرى أهل العسكر هو انهم علينا.قال:فاعمل.فتقدّمت إليه حتى اختلف أعناق دوابنا و جمعنا أرجلنا على معارفها و الناس قد غلبوا ضحكا، فلمّا استوفينا و دعنى ثم انصرف و انصرفت،فقلت لروح:أما و قد كفيتك قرني فقل لغيري أن يكفيك قرنه كما كفيتك... (١).

(و فيه)أنّ عبد الله بن علي عمّ المنصور لمّا أظهر الخلاف عليه بناحية الشام أمر المنصور أبا دلامه أن يخرج إليه في الجند،فقال له:إني اعيذك بالله أن أخرج معهم،فو الله اني المشثوم.فقال:امض فإنّ يمني يغلب شؤمك.

فقلت:و الله ما أحبّ لك أن تجرب ذلك منّي على مثل هذا العسكر،فإني لا أدري أيهما يغلب أيمنك أم شؤمي إلا أنّي بنفسى أوثق و أعرف و أطول تجربته.قال:

دعنى من هذا فمالك في الخروج بدّ.فقلت:الآن اصدقك،أنا شهدت و الله تسعه عشر عسكرا كلّها هزمت و كنت سببها فإن شئت الآن أن يكون عسكرك العشرين فافعل فاستغرق ضحكا و أعفاه (٢).

و أما مثل أكرهيتهم للإنصاف (ففيه أيضا)قال المدائني:شهد أبو دلامه بشهاده لجاره له عند ابن أبي ليلي على أتان نازعها فيها رجل،فلمّا فرغ من الشهاده قال:اسمع ما قلت قبل أن آتيك ثم اقض ما شئت.قال:هات فأنشده:

إن الناس غطوني تغطيت عنهم و ان بحثوا عنى ففيهم مباحث

و ان حفروا بئري حفرت بئارهم ليعلم يوما كيف تلك النبائث

فقال ابن أبي ليلي للمرأة:اتبيعيني الاتان.قالت:نعم.قال:بكم.قالت بمائه درهم.قال:ادفعوها إليها،ففعلوا و أقبل على الرجل فقال:قد وهبت الأتان

ص: ٤٩٨

١- ١) الأغانى ٢٤٣: ١٠- [١] دار احياء التراث العربى.

٢- ٢) الأغانى ٢٤١: ١٠- [٢] دار احياء التراث العربى.

لك، وقال لأبي دلامه: قد أمضيت شهادتك و لم أبحث عنك، و ابتعت مَمِّن شهدت له و وهبت ملكي لمن رأيت، أَرْضيت؟ قال: نعم. و انصرف (١).

و لما طولب البحترى بمال التقسيط قال:

و ما أنا و التقسيط إذ تكتبونني و تكتب قبلي جله القوم أو بعدى

سبيلي أن أعطى الذى تطلبونه و شرطى أن يجدى علىّ و لا أجدى

صحت اناسا أطلب المال عندهم فكيف يكون المال مَطْلَبا عندى

و أما أسألتهم بالإلحاف فمثله ما (فيه أيضا) ان مروان بن أبى حفصه أنشد الهادى:

تشابه يوما بأسه و نواله فما أحد يدرى لأيتهم الفضل

فقال له: أيتهما أحب إليك: أ ثلاثون ألفا معجّله أم مائه ألف تدوّن فى الدواوين فقال له: أنت تحسن ما هو خير من هذا و لكنك نسيت، أ فتأذن لى أن اذكرك. قال: نعم. قال: تعجّل لى الثلاثين ألفا و تدوّن لى المائه ألف فى الدواوين. فضحك و قال: بل يعجّلان جميعا. فحمل المال إليه أجمع.

و أما أقلّيه شكرهم عن الإعطاء فمثله مثل قلّه شكر الحطيئه عطاء عتيبه بن النّھاس العجلى، ففى (شعراء ابن قتيبه): دخل الحطيئه على عتيبه فسأله فقال: ما أنا فى عمل فأعطيك من مدده، و ما فى مالى فضل عن قومى فأعطيك من فضله، فخرج من عنده فقال له رجل من قومه: أ تعرفه؟ قال: لا. قال هذا الحطيئه، فأمر برده. فلمّا رجع قال: إنك لم تسلم تسليم السّلام، و لا استأنست استيناس الجار، و لا- رحبت ترحيب ابن العم. قال: هو ذلك. قال: اجلس فلنك عندنا ما تحبّ، و قال لغلامه: اذهب به إلى السوق فلا يشيرنّ إلى شىء إلا اشتريته له، فانطلق به الغلام فجعل يعرض عليه الحبره و اليمنه و بياض

ص: ٤٩٩

مصر و هو يشير إلى الكرايس و الأكسيه الغلاظ،فاشترى له بمائتي درهم و أوقر راحلته بَرًا و تمرا،فقال له الغلام:هل من حاجه غير هذا.قال:لا حسبى.

قال:إنَّه قد أمرنى ألاَّ أجعل لك عله فيما تريد.قال:حسبك.لا حاجه لى أن يكون لهذا يد على قومى أعظم من هذه،ثم ذهب فقال:

سئلت فلم تبخل و لم تعط طائلا فسيان لا ذمَّ عليك و لا حمد

و أنت امرؤ لا الجود منك سجيته فتعطى و قد يعدو على النائل الوجد (١)

و أمّا أضعفیه صبرهم عند الملمات فمثله فعل حسان بن ثابت فى خير، ففى (الطبرى) كانت صفیه بنت عبد المطلب فى فارح حصن حسان-و كان حسان فيه مع النساء و الصبيان.قالت صفیه:فمرّ بنا رجل من يهود فجعل يطيف بالحصن و قد حاربت بنو قريظه و قطعت ما بينها و بين النبى صلّى الله عليه و آله ليس بيننا و بينهم أحد يدفع عنّا و النبى و المسلمون فى نحور عدوّهم لا يستطيعون أن ينصرفوا إلينا عنهم إن أتانا آت،فقلت:يا حسان!إنّ هذا اليهودى كما ترى يطيف بالحصن،و إنى و الله ما آمنه أن يدلّ على عوراتنا من وراءنا من يهود و قد شغل عنّا النبى و أصحابه فانزل إليه فاقتله.فقال:يغفر الله لك يا بنت عبد المطلب،و الله لقد عرفت ما أنا بصاحب هذا.قالت:فلما قال ذلك و لم أر عنده شيئا احتجزت ثم أخذت عمودا ثم نزلت إليه من الحصن فضربته بالعمود حتى قتلته،فلما فرغت منه رجعت إلى الحصن فقلت:يا حسان!انزل إليه فاسلبه فإنّه لم يمنعنى من سلبه إلاّ أنّه رجل.قال:يا بنت

ص:٥٠٠

عبد المطلب! ما لي بسلبه حاجه (١).

«و إنما عماد» هكذا في (المصريه) و الصواب: (عمود) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

«الدين و جماع المسلمين» أي: مجمعهم.

«و العده للأعداء» أي: القوه في قباهم.

«العامه من الامه، فليكن صغوك» أي: ميلك.

«لهم و ميلك معهم» .

في (المروج): كان هرمز بن انوشروان متحاملا على خواص الناس مائلا إلى عوامهم مقويا لهم، و قيل إنه قتل في مده ملكه - و كان ملكه اثنتي عشره سنه - ثلاثه عشر ألف رجل مذكور من خواص الفرس (٣).

«و ليكن أبعد رعيتك منك و أشنائهم عندك أطلبهم لمعايب الناس، فإن في الناس عيوباً الوالى أحق من سترها فلا تكشفن عمّا غاب عنك منها» في (عيون القتيبي) قال بعض ملوك العجم: إنني إنما أملك الأجساد لا - التيات، و أحكم بالعدل لا بالرّضا، و أفحص عن الأعمال لا عن السرائر (٤).

و عن الصادق عليه السلام قال النبي صلى الله عليه و آله ألا اتبئكم بشاركم؟ قالوا: بلى. قال:

المشأؤون بالنميمه، و المفزقون بين الأحبه، و الباغون للبرآء العيب (٥).

«فإنما عليك تطهير ما ظهر لك، و الله يحكم على ما غاب عنك» كما في الحدود فإذا ظهرت للوالى بالبينه أو الإقرار فاحشته كان عليه تطهيره بالحد، و ما لم

ص: ٥٠١

١- (١) تاريخ الطبرى ٥٧٧:٢- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣٥:١٧. [٢]

٣- (٣) مروج الذهب ٢٩٨:١. [٣]

٤- (٤) عيون الاخبار ٦١:١، [٤] دار الكتب العلميه، بيروت.

٥- (٥) الخصال ١٨٣:١ ح ٢٤٩، و الفقيه ٣٧١:٤.



يظهر كذلك ليس له سبيل عليه بل جعل الحد على من نسبها إليه، قال تعالى «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ تَمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعِهِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (١).

«فاستر العوره ما استطعت يستر الله منك ما تحبّ ستره» في الخبر: «من أشرف أعمال الكريم غفلته عمّا يعلم» (٢).

و في (عيون ابن قتيبه) كانت جامات كسرى التي يأكل فيها من ذهب، فسرق رجل من أصحابه جاما و كسرى ينظر إليه، فلما رفعت الموائد افتقد الطباخ الجام فرجع يطلبها فقال كسرى: لا تتعنّ فقد أخذها من لا يردها، و رآه من لا يفشى عليه. ثم دخل عليه الرجل بعد و قد حلّى سيفه و منطقته ذهبا، فقال له كسرى: هذا-و أشار إلى سيفه- وهذا-و أشار إلى منطقته- من ذاك؟ قال:

نعم (٣).

«أطلق عن الناس عقده كل حقد، و اقطع عنك سبب كل وتر» زاد (التحفة) بعده «و اقبل العذر، و ادرا الحدود بالشبهات» (٤).

في (السير) لما أعيد المقتدر إلى الخلافة و خلع ابن المعتز، أمر وزيره ابن الفرات بقبض ما في دور الذين بايعوا ابن المعتز و كانت أمتعتهم تقبض و تحمل فيراها و ينفذها إلى خزائن المقتدر، فجاءوه يوما بصندوقين فقالوا له:

هذان وجدناهما في دار ابن المعتز. فقال: أعلمتم ما فيهما. قالوا: نعم جرائد من بايعه الناس بأسمائهم و أنسابهم. فقال: لا تفتح. ثم قال: يا غلمان هاتوا نارا، فجاء الفُراشون بفحم و أمرهم فأججوا النار، فأقبل على من حضر فقال: و الله

ص: ٥٠٢.

١-١ (١) النور: ٤. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ح ٢٢٢.

٣-٣ (٣) عيون الاخبار ٤٦١: ١، [٢] دار الكتب العلميّه، بيروت.

٤-٤ (٤) تحفة العقول: ١٢٨.

لو رأيت من هذين الصندوقين ورقه واحده لظن كل من له فيها اسم انى عرفته فتفسد نيات العالم كلهم على و على الخليفه، و ما هذا رأى، حرّقوهما، فطرحا بأقفاالهما فى النار، فلما احترقا بحضرته أقبل على ابن مقله- و كان كاتبه- فقال له: قد آمنت كل من بايع ابن المعتز، أمرنى بذلك الخليفه فاكتب للناس الأمان منى. ثم قال لمن حضر: أشيعوا هذا الخبر، فأشاعوه فطلب المستترون الامان فكتب فى ذلك مائه ألف أو نحوها.

«و تغاب» أى: تغافل.

«عن كلّ ما لا- يصحّ لك، و لا تعجلنّ إلى تصديق ساع فإنّ الساعى غاشّ و إن تشبّه بالنّاصحين» و التحرّز من الغاشّ المتشبهه بالنّاصح واجب.

فى (العقد) كان المأمون إذا ذكر عنده السعاه قال: ما ظنّكم بقوم يلعنهم الله على الصدق؟! و قال ذو الرئاستين: قبول النميّه شر من النميّه لأنّ النميّه دلالة و القبول إجازة و ليس من دلّ على شىء كمن قبله.

و عاتب مصعب بن الزبير يوما الأحنف بن قيس فى شىء فأنكره، فقال:

أخبرنى الثقة. قال: كلاً إنّ الثقة لا يبلغ، و قد جعل الله السامع شريك القائل فقال «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْأَلُونَ لِلْسُّحْتِ» (١).

و فى (سير العجم): ان رجلا وشى برجل إلى الاسكندر فقال: أ تحب أن يقبل منه عليك و منك عليه. قال: لا. قال: فكفّ الشرّ عنه يكفّ عنك الشرّ. و قال شاعر:

إذا الواشى بغى يوما صديقا فلا تدع الصديق لقول واش

أيضا المائده:

ص: ٥٠٣

لا تقبلنّ نيميّه بلّغتها و تحفظنّ من الذي أنباكها

لا تنقشن برجل غيرك شوكة فتقى برجلك رجل من قد شاكها

إنّ الذي أنباك عنه نيميّه سيدبّ عنك بمثل ما قد حاكها

هذا، و في (الطبرى): لَمّا نقض اصبهد طبرستان العهد بينه و بين المسلمين وّجه إليه المنصور خازم بن خزيمه و روح بن حاتم و أبا الخصيب مولاه، فأقاموا على حصنه محاصرين له و هو يقاتلهم حتى طال عليهم المقام، فاحتال أبو الخصيب و قال لأصحابه: اضربوني و احلقوا رأسي و لحيتي، ففعلوا ذلك به فلحق بالاصبهد و قال له: ركب منّي أمر عظيم ضربت و حلق رأسي و لحيتي و إنّما فعلوا ذلك تهمة منّي لهم أن يكون هواي معك، و أخبره أنه معه و أنه دليل على عوره عسكرهم، فقبل منه ذلك الاصبهد و جعله في خاصته و أطفه، و كان باب مدينتهم من حجر يلقي القاء يرفعه الرجال و تضعه عند فتحه و اغلاقه و جعل ذلك نوبا بينهم، فقال له أبو الخصيب: ما أراك و ثققت بي و لا قبلت نصيحتي قال: و كيف ظننت ذلك؟ قال: لتركك الاستعانه بي فيما يعينك و توكلني فيما لا تنق به إلا بثقاتك، فجعل يستعين به بعد ذلك فيرى منه ما يحب إلى أن وثق به فجعله فيمن ينوب في فتح باب مدينته و اغلاقه، فتولّى ذلك حتى أنس به ثم كتب إلى روح و خازم و صير الكتاب في نشابه و رماها إليهم و أعلمهم أن قد ظفر بالحيله و وعدهما ليله سمّاها لهما في فتح الباب، فلمّا كان في تلك الليله فتح لهم، فقتلوا من فيها من المقاتله و سبوا الذراري و ظفر بالبحثريه و هي أم المنصور بن المهدي و بشكله أم ابراهيم بن المهدي، فمص الاصبهد خاتما له فيه سم فقتل نفسه (١).

ص: ٥٠٤

«و لا تدخلن في مشورتك بخيلا يعدل بك عن الفضل و يعدك الفقر» كالشيطان. في (الكافي) أنّ امير المؤمنين عليه السلام بعث إلى رجل بخمسه أو ساق من تمر البغيغه-و كان الرجل ممن يرجو نوافله عليه السلام و يؤمل نائله و رفته و كان لا يسأل عليا عليه السلام و لا غيره شيئا-فقال رجل له عليه السلام:و الله ما سألك فلان،و لقد كان يجزيه من خمسه الأوساق وسق واحد.فقال له:لا كثر الله في المؤمنين ضربك،اعطى أنا و تبخل أنت!إذا أنا لم اعط الذي يرجوني إلا من بعد المسأله ثم أعطيه بعد المسأله فلم أعطه ثمن ما أخذت منه،و ذلك لأنى عرضته أن يبذل لى وجهه الذى يعفره فى التراب لربّه عند تعبده له و طلب حوائجه إليه،فمن فعل هذا بأخيه المسلم و قد عرف أنه موضع لصلته و معروفه فلم يصدق الله تعالى فى دعائه له حيث يتمنى له الجنه بلسانه و يبخل عليه بالحطام من ماله فيقول فى دعائه«اللهم اغفر للمؤمنين و المؤمنات»فإذا دعا لهم بالمغفره فقد طلب لهم الجنه،فما أنصف من فعل هذا بالقول و لم يحققه بالفعل (١).

و فى (العقد)قال أبو الأسود:لو أطمعنا المساكين لكننا أسوأ منهم.و قال لبيه:لا تطمعوا المساكين فى أموالكم فإنهم لا يقنعون منكم حتى يرونكم مثلهم،و لا- تجاودوا الله فإنه لو شاء أن يغنى الناس كلهم لفعل،و لكنه علم أنّ قوما لا يصلحهم الغنى و لا يصلح لهم إلا الفقر.و قال:ما بيدك خير من طلب ما بيد غيرك،و أنشد:

يلومونى فى البخل جهلا و ضلّه و للبخل خير من سؤال بخيل (٢)

«و لا جباناً يضعفك عن الامور» فى (أخبار جناء عيون ابن قتيبه):شهد

ص:٥٥

١-١) الكافي للكلىنى ٤:٢٢ ح ١ [١] بتصرف.

٢-٢) العقد الفريد ٧:٢١٧، [٢] دار الكتب العلميه،بيروت.

أبو دلامه حربا مع روح بن حاتم المهلبى فقال له: تقدّم فقاتل، فقال:

إني أعود بروح أن يقدّمنى إلى القتال فتخزى بى بنو أسد

إنّ المهلب حبّ الموت أورثكم و لم أورث حبّ الموت عن أحد (١)

وقال آخر:

أضحت تشجّعنى هند و قد علمت أنّ الشجاعه مقرون بها العطب

لا و الذى منع الأبصار رؤيته ما يشتهى الموت عندى من له أدب

للحرب قوم أضل الله سعيهم إذا دعتهم إلى حوبائها وثبوا

و لست منهم و لا أبغى فعالهم لا القتل يعجبني منها و لا السلب (٢)

و قيل لأعرابي: ألا تغزو...؟ قال: إنني لأبغض الموت على فراشى فكيف أمضى إليه ركضا (٣).

و أرسل ابن زياد رجلا- مع ألفين إلى مرداس بن اديّه- و هو فى أربعين- فهزّمه مرداس فعنّفه ابن زياد و أغلظ له فقال: يشتمنى

الأمير و أنا حىّ أحبّ إلى من أن يدعو لى و أنا ميّت (٤).

و كان خالد القسرى من الجبناء، خرج عليه المغيرة بن سعيد صاحب المغيرة فقال من الدهش: أطعمونى ماء. فذكّره بعضهم فقال:

عاد الظلوم ظلّما حين جدّ به و استطعم الماء لّمّا جدّ فى الهرب

و قال ابن زياد: إمّا للكنه فيه أو لجبن أو لدهشه: افتحوا سيوفكم، فقال فيه أبو مفرّغ:

ص: ٥٠٦

١- ١) عيون الاخبار ٢٥٤: ١، [١] دار الكتب العلميه، بيروت.

٢- ٢) عيون الاخبار ٢٥٥: ١، [٢] دار الكتب العلميه، بيروت.

٣- ٣) عيون الاخبار ٢٥٧: ١، [٣] دار الكتب العلميه، بيروت.

٤- ٤) عيون الاخبار ٢٥٣: ١، [٤] دار الكتب العلميه، بيروت.

و يوم فتحت سيفك من بعيد أضعت و كل أمرك للضياع (١).

و قال ابن المقفع: الجبن مقتله فانظر فيما رأيت و سمعت أمن قتل في الحرب مقبلا أكثر أم من قتل مدبرا (٢)؟ «و لا حريصا يزین لك الشره بالجور» قال ابن المقفع: الحرص محرمه أنظر من يطلب إليك بالإجمال و التكرم أحق أن تسخو نفسك له بالعطيه أم من يطلب إليك بالشره و الحرص (٣)؟ و قالوا: لا- يكثر الرجل الحوائج على أخيه، فإن العجل إذا أفرط في مص أمه نطحته و نحتته، و قال:

كم من حريص على شيء ليدركه و عل إدراكه يدني إلى عطبه

«فإن البخل و الجبن و الحرص غرائز» أي: طبائع.

«شتى» أي: مختلفه.

«يجمعها سوء الظن بالله» أما كون منشأ البخل سوء الظن بالله في عدم إخلافه ما ينفعه فواضح.

و في (العقد): كتب رجل من البخلاء إلى رجل من الأسخياء يأمره بالإبقاء على نفسه و يخوفه بالفقر، فردّ عليه: «الشيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء و الله يعدكم مغفرة منه و فضلا» (٤) و إنني أكره أن أترك أمرا قد وقع لأمر لعله لا يقع (٥).

و في (الطبري) قيل لجعفر بن محمد عليه السلام: إن المنصور يعرف بلباس جبه هرويه مرقوعه و إنّه يرقع قميصه. فقال: الحمد لله الذي لطف له حتى

ص: ٥٠٧

١-١) عيون الاخبار ٢٥٦: ١، [١] دار الكتب العلميه، بيروت.

٢-٢) عيون الاخبار ٢٥٨: ١، [٢] دار الكتب العلميه، بيروت.

٣-٣) عيون الاخبار ٢٥٨: ١، [٣] دار الكتب العلميه، بيروت.

٤-٤) البقره: ٢٦٨. [٤]

٥-٥) العقد الفريد ١٨٩: ١، [٥] دار الكتب العلميه، بيروت.

ابتلاه بالفقر فى ملكه (١).

(و فيه) قرأ الهيثم عند المنصور «الَّذِينَ يَبْخُلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ» (٢) فقال: لو لا أن الاموال حصن السلطان و دعامه للدين و الدنيا و عزهما و زينهما، ما بت ليله و أنا أحرز منه درهما و لا ديناراً، لَمَّا أُجِدَ مِنَ اللَّذَّاذِهِ لِبَذْلِ الْمَالِ، و لَمَّا أُعْلِمَ فِى إِعْطَائِهِ مِنْ جَزِيلِ الْمَثُوبَةِ (٣).

و قال الشاعر:

من ظن بالله خيراً جاء مبتدئاً و البخل من سوء ظن المرء بالله

و أمّا كون الجبن منشؤه أيضاً سوء الظن بالله، أنه يخال إن لم يحضر الجهاد لا يموت، و قد ردّ تعالى عليهم فى قوله: «قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُمْتَعُونَ إِلَّا قَلِيلًا قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً» (٤).

و كان كسرى يقول: عليكم بأهل السخاء و الشجاعه، فإنهم أهل حسن الظن بالله، و لو أن أهل البخل لم يدخل عليهم من ضرر بخلهم و مذمة الناس لهم و إطباق القلوب على بغضهم إلا سوء ظنهم برّبهم فى الخلف، لكان عظيماً.

و أما كون منشأ الحرص سوء الظن بالله، فلأنه لو تيقن أنه لا يصل إليه من الرزق إلا ما قدر الله تعالى له، لم يحرص، بل الحرص كالحسد و الكبر أحد أصول الكفر بالله.

و فى (عيون ابن قتيبه): لَمَّا قَتَلَ كَسْرَى بَزْرَجْمَهْرَ وَجَدَ فِى مَنْطِقَتِهِ كِتَابًا: إِذَا كَانَ الْقَدْرُ حَقًّا فَالْحَرِصُ بَاطِلٌ. و قال عدى بن زيد:

ص: ٥٠٨

١-١) تاريخ الطبرى ٨:٨١، [١] دار سويدان، بيروت.

٢-٢) النساء: ٣٧، [٢] الحديد: ٢٤، [٣]

٣-٣) تاريخ الطبرى ٨:٨٨، [٤] دار سويدان، بيروت.

٤-٤) الاحزاب: ١٦-١٧، [٥]

قد يدرك المبطئ من حظه و الرزق قد يسبق جهد الحرص (١)

«ان شرّ وزرائك من كان للأشرار قبلك وزيرا، و من شركهم فى الاثام فلا يكونن لك بطانه) فى (وزراء الجهشياري): سأل عمر بن عبد العزيز عن يزيد بن أبى مسلم كاتب الحجاج فقيل له: إنّه غزا الصائفه، فأمر بالكتاب إليه برده و قال: لا استنصر بجيش هو فيهم، فرده من الدرب.

و قال ابن أبى الحديد: اتى الوليد بن عبد الملك برجل من الخوارج فقال له: ما تقول فى الحجاج؟ قال: و ما عسيت أن أقول فيه، هل هو إلاّ خطيئه من خطاياك، و شرر من نارك، فلعنك الله و لعن الحجاج معك. فالتفت الوليد إلى عمر بن عبد العزيز فقال: ما تقول فى هذا؟ فقال: ما أقول فيه؟ هذا رجل يشتمكم، فأما أن تشتموه كما شتمكم، و إما أن تعفوا عنه. فغضب الوليد و قال لعمر: ما أظنّك إلاّ خارجيا. فقال عمر: و ما أظنّك إلاّ مجنونا. و قام و خرج مغضبا، و لحقه خالد ابن الزيّان صاحب شرطه الوليد، فقال له: ما دعاك إلى ما كلّمت به الخليفه، لقد ضربت بيدى إلى قائم سيفى أنتظر متى يأمرنى بضرب عنقك؟ قال: أو كنت فاعلا- لو أمرك. قال: نعم. فلما استخلف عمر جاءه خالد، فوقف على رأسه متقلّدا سيفه، فنظر إليه و قال له: يا خالد، ضع سيفنا، فإنّك مطيعنا فى كلّ أمر نأمرك به- و كان بين يديه كاتب كان للوليد أيضا- فقال له:

وضع أنت أيضا قلمك، فإنّك كنت تضربه و تنفع و قال: «اللهم إنى وضعتهما فلا ترفعهما» و ما زالا وضعين حتى ماتا (٢).

«فإنهم أعوان الأئمة» و قد قال تعالى: «و تَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَ التَّقْوَى»

ص: ٥٠٩

١- ١) عيون الاخبار ٢١٣: ٣، [١] دار الكتب العلميه، بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد: ١٧-٤٣. [٢]



وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ (١).

«و إخوان الظلمه» فى (الطبرى): أقطع هشام أرضا يقال لها «دورين» فأرسل فى قبضها فإذا هى خراب، فقال لذويد- كاتب كان بالشام- ويحك كيف الحيله؟ قال: ما تجعل لى. قال: أربعمائة دينار، فكتب: «دورين و قراها» ثم أمضاها فى الدواوين، فأخذ شيئا كثيرا، فلما ولى هشام دخل عليه ذويد فقال له هشام: «دورين و قراها»؟! لا تلى لى ولايه أبدا، و أخرج من الشام (٢).

فى (الكافى) عن ابن أبى يعفور قال: كنت عند الصادق عليه السّلام إذ دخل عليه رجل من أصحابنا فقال له: إنّه ربما أصاب الرجل منّا ضيق فيدعى إلى البناء بينه أو النهر يكرهه أو المسنّه يصلحها فما تقول فى ذلك؟ فقال عليه السّلام: ما أحب أنى عقدت لهم عقده أو وكيت لهم وكاء و ان لى ما بين لابتيتها، لا، و لا مده بقلم، إن أعوان الظلمه يوم القيامه فى سرادق من نار حتى يحكم الله عزّ و جلّ بين العباد.

و عن أبى بصير: سألت أبا جعفر عليه السّلام عن أعمالهم فقال: لا، و لا مده قلم، إن أحدكم لا يصيب من دنياهم شيئا إلا أصابوا من دينه مثله (٣).

«و أنت واجد منهم خير الخلف ممّن له مثل آرائهم و نفاذهم» فى الأمور «و ليس عليه مثل آصارهم» أى: ذنوبهم.

«و أوزارهم» أى: أثقالهم و أحمالهم من الآثام، قال تعالى: «وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» (٤) قال الأخفش: أى: لا تأثم آثمه يآثم اخرى (٥).

ص: ٥١٠

١-١ (١) المائدة: ٢. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٧: ٢٠٥- [٢] دار سويدان-بيروت.

٣-٣ (٣) الكافى ٥: ١٠٦-٥: ١٠٧-٥: ٧. [٣]

٤-٤ (٤) فاطر: ١٨. [٤]

٥-٥ (٥) لسان العرب ٥: ٢٨٣ [٥] وزر-دار صادر، بيروت.

في (وزراء الجهشياري) لَمَّا توفِّي سليمان بن عبد الملك كتب عمر بن عبد العزيز و هو على قبره بعزل اسامه بن زيد و يزيد بن أبي مسلم، فقال الناس ألا صبر حتى يدفن الرجل. فقال: إنني خفت الله تعالى و استحييته أن اقرهما يحكمان في امور الناس طرفه عين و قد وليت أمورهم.

«ممن لا يعاون ظالما على ظلمه و لا آثما على إثمه» في (العقد) قال أبو عوانه: بعث إليّ الحجاج فقال: إنني أريد أن أستعين بك في عملي. قلت: ان تستعن بي تستعن بكبير أخرج ضعيف يخاف أعوان السوء، و إن تدعني فهو أحب إليّ و إن تقحمني أقحم. قال: إن لم أجد غيرك أفحمتك. قلت: و اخرى إنني ما علمت الناس هابوا أميرا قط هيبتهم لك، و الله إنني لا تعاز من الليل فما يأتيني النوم من ذكرك حتى أصبح و لست لك على عمل. قال: كيف؟ قلت: فأعدت عليه. فقال: إنني و الله لا أعلم على وجه الأرض خلقا هو أجراً على دم مني، انصرف. فقمت فعدلت عن الطريق كأني لا ابصر، فقال: أرشدوا الشيخ (1).

و في (الجهشياري): كان الرشيد بعد صرف الفضل بن يحيى عن خراسان قلد على بن عيسى بن ماهان ليكثر على الفضل في الأموال، فقتل وجوه أهل خراسان و ملوكها و جمع أموالا جليله فحمل إلى الرشيد ألف بدره معموله من ألوان الحرير و فيها عشرة آلاف ألف درهم. فسرّ بها و قال ليحيى:

أين كان الفضل عن هذا. فقال يحيى: إن خراسان سبيلها أن تحمل إليها الأموال و لا تحمل منها و الفضل أصلح نيات رؤوسها و استجلب طاعتهم، و عليّ بن عيسى قتل صنائدهم و طراختهم و حمل أموالهم، و لو قصدت لدرب من دروب الصيارف بالكرخ لوجدت فيه أضعاف هذه و ستنفق مكان كلّ درهم منها عشرة. فنقل هذا القول على الرشيد، فلَمَّا انتقض أمر خراسان

ص: ٥١١

و خرج رافع بن الليث و احتاج الرشيد إلى النهوض إليها بنفسه جعل يتذكر هذا الحديث و يقول: صدقني و الله يحيى، لقد أنفقت مائه ألف ألف و ما بلغت شيئا .

«أولئك أخف عليك مؤنه و أحسن لك معونه» في (عيون ابن قتيبه) قال بعض الخلفاء: دلوني على رجل أستعمله على أمر قد أهمني. قالوا: كيف تريده؟ قال: إذا كان في القوم و ليس أميرهم كان كأنه أميرهم، و إذا كان أميرهم كان كأنه رجل منهم. قالوا: لا نعلمه إلا الربيع بن زياد الحارثي. قال:

صدقتم هو لها (١).

و في (المقاتل): أنه عليه السلام لما ضرب أتاه صعصعه عائدا و قال للآذن: قل له عليه السلام: يرحمك الله حيا و ميتا، فو الله لقد كان الله في صدرك عظيما و لقد كنت بذات الله عليما، فأبلغه الآذن مقاله صعصعه فقال عليه السلام: قل لصعصعه و أنت يرحمك الله لقد كنت خفيف المئونه كثير المعونه (٢).

«و أحنى» أي: أشفق.

«عليك عظفا» أي: توجها.

«و أقلّ لغيرك إلفا» في (المعجم): كان صاحب خراسان نوح بن منصور الساماني قد أرسل إلى الصاحب بن عباد-وزير فخر الدولة بن ركن الدولة- يستدعيه إلى حضرته و يرغبه في خدمته و بذل البذول السنيه، فكان من جملة اعتذاره أن قال: كيف يحسن لي مفارقه قوم بهم ارتفع قدرى و شاع بين الأنام ذكرى؟ ثم كيف لي بحمل أموالى مع كثره أثقالى و عندى من كتب العلم خاصه ما يحمل على أربعمائه جمل أو أكثر.

«فاتخذ أولئك خاصه لخلواتك و حفلاتك» أي: اجتماعاتك.

ص: ٥١٢

١-١ (١) عيون الأخبار ١: ٦٩- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢-٢ (٢) مقاتل الطالبين: ٣٧- [٢] دار المعرفه بيروت-.

«ثم ليكن آثرهم» أي: أكثرهم مختاراً.

«عندك أقولهم بمّر الحق لك» في (العقد) قال مالك ابن أنس: بعث المنصور إلى و إلى ابن طاوس، فأتيناه و دخلنا عليه فإذا هو جالس على فرش قد نضدت و بين يديه نطاع قد بسطت و جلاوزه بأيديهم السيوف يضربون الأعناق، فأومى إلينا أن اجلسا، فجلسنا فأطرق عَنَّا قليلاً ثم رفع رأسه و التفت إلى ابن طاوس فقال له: حدثني عن أبيك. قال: نعم، سمعت أبي يقول: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ:

إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَذَابًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَجُلٌ أَشْرَكَ اللَّهُ فِي حُكْمِهِ فَأَدْخَلَ عَلَيْهِ الْجُورَ فِي عَدْلِهِ، فَأَمْسَكَ سَاعَهُ، قَالَ مَالِكٌ: فَضُمَّتْ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِهِ مَخَافَهُ أَنْ يَمْلَأَنِي مِنْ دَمِهِ. ثُمَّ التَفَتَ إِلَيْهِ فَقَالَ: عَظَنِي. قَالَ: نَعَمْ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: «أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرْمَ ذَاتِ الْعِمَادِ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ وَ ثَمُودَ الَّذِينَ جَاءُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ» ... «إِنَّ رَبَّكَ لَبَالِغٌ صَادٍ» (١). قَالَ مَالِكٌ فَضُمَّتْ ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِهِ مَخَافَهُ أَنْ يَمْلَأَ ثِيَابِي مِنْ دَمِهِ، فَأَمْسَكَ سَاعَهُ حَتَّى اسْوَدَّ مَا بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا ابْنَ طَاوُسِ! نَاوَلَنِي هَذِهِ الدَّوَاهِ، فَأَمْسَكَ عَنْهُ ثُمَّ قَالَ نَاوَلَنِي هَذِهِ الدَّوَاهِ، فَأَمْسَكَ فَقَالَ: مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَنَاوَلْنِيهَا، قَالَ: أَخْشَى أَنْ تَكْتَبَ بِهَا مَعْصِيَهُ فَأَكُونَ شَرِيكَكَ فِيهَا. فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ قَالَ: قَوْمًا عَنِّي. فَقَالَ ابْنُ طَاوُسٍ: ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِي مِنْذُ الْيَوْمِ. قَالَ مَالِكٌ: فَمَا زِلْتَ أَعْرِفُ لَابْنَ طَاوُسٍ فَضْلَهُ (٢).

«و أقلمهم مساعده فيما يكون منك ممّا كره الله لأوليائه واقعا ذلك من هواك حيث وقع» و زاد في (روايه التحف): «فإنهم يقفونك على الحق، و يبصرونك ما يعود عليك نفعه» (٣).

ص: ٥١٣

١- ١) الفجر: ١٤-٦. [١]

٢- ٢) العقد الفريد ٥٢: ١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣- ٣) تحف العقول: ١٣٠.

فى (العقد) قال الشعبى: إن زىادا كتب إلى الحكم بن عمرو الغفارى -و كان على الصائفه- ان معاويه كتب إلى أن أصفى له الصفراء و البيضاء فلا- تقسم بين الناس ذهباً و لا- فضه، فكتب إليه: وجدت كتاب الله قبل كتاب معاويه، و لو ان السماوات و الأرض كانتا على عبد رتقا فأتقى الله لجعل الله له منهما مخرجاً. ثم نادى فى الناس فقسّم لهم ما اجتمع من الفىء (١).

(و فيه): أرسل ابن هبيرة إلى الحسن البصرى و الشعبى، فقال للحسن:

ما ترى فى كتب تأتينا من عند يزيد بن عبد الملك فيها بعض ما فيها، فإذا أنفذتها وافقت سخط الله و إن لم أنفذها خشيت على دى؟ فقال له الحسن: هذا الشعبى فقيه الحجاز عندك. فسأله فرفق له الشعبى و قال له: قارب و سدّد، فإنما أنت عبد مأمور. فالتفت ابن هبيرة إلى الحسن و قال: ما تقول أنت؟ فقال له: يا بن هبيرة! خف الله فى يزيد و لا- تخف يزيد فى الله، يا بن هبيرة! إن الله مانعك من يزيد و إن يزيد لا- يمنعك من الله، يا بن هبيرة! لا- طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق، فانظر ما كتب إليك فيه يزيد فاعرضه على كتاب الله فما وافقه أنفذه و ما خالفه فلا- تنفذه، فإنّ الله أولى بك من يزيد و كتاب الله أولى بك من كتابه. فضرب ابن هبيرة بيده على كتف الحسن و قال: هذا صدقنى و رب الكعبة، و أمر له بأربعة آلاف و للشعبى بألفين، فأما الحسن فأرسل إلى المساكين فلما اجتمعوا فرّقها، و أما الشعبى فقبلها و شكر عليها (٢).

(و فيه): شاور معاويه الأحنف بن قيس فى استخلاف ابنه يزيد، فسكت عنه فقال: إن صدقناك أسخطناك و إن كذبناك أسخطنا الله و سخطك أهون

ص: ٥١٤

١- ١) العقد الفريد ٥٥: ١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) العقد الفريد ٥٥: ١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

علينا من سخط الله. فقال له معاوية: صدقت (١).

(و فيه): و دخل الزهري على الوليد بن عبد الملك فقال له: ما حديث يحدثنا به أهل الشام. قال: و ما هو؟ قال: يحدثونا أن الله إذا استرعى عبدا رعيته كتب له الحسنات و لم يكتب عليه السيئات. قال: باطل. أ نبي خليفه الله أكرم على الله أم خليفه غير نبي. قال: بل خليفه نبي. قال: فإن الله تعالى يقول لنبىه داود عليه السلام «يا داود إنا جعلناك خليفه فى الأرض فأحكّم بين الناس بالحقّ و لا تتبع الهوى فيضيمك عن سبيل الله إنّ الذين يضلّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد بما نَسُوا يوم الحساب» (٢) فهذا وعيد لنبى خليفه، فما ظنك بخليفه غير نبي. قال: إنّ الناس ليغروننا عن ديننا (٣).

«و الصق بأهل الورع و الصدق» زاد فى روايه (التحفة) «و ذوى العقول و الأحساب» (٤).

و فى (عيون ابن قتيبه): استشار عمر بن عبد العزيز فى قوم يستعملهم فقال له بعض أصحابه: عليك بأهل العذر. قال: و من هم؟ قال: هم الذين إن عدلوا فهو ما رجوت منهم، و إن قصرُوا قال الناس قد اجتهد عمر (٥).

«ثم رضهم» من راض المهر يروضه رياضه و رياضاً.

«على ألا يطروك» أى: لا يمدحوك.

«و لا يبجحوك» بتقديم الجيم و تشديدها، أى: لا يفرحوك.

«بباطل لم تفعله فإن كثرة الإطراء» و المدح.

ص: ٥١٥

١- ١) العقد الفريد ٥٦: ١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) ص: ٢٦.

٣- ٣) العقد الفريد ٥٧: ١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٤- ٤) تحفة العقول: ١٣٠.

٥- ٥) عيون الاخبار ٧١: ١- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

«تحدث الزهو» أى:الكبر.

«و تدنى» أى:تقرّب «من الغره» أى:الاغترار،و زاد فى خبر(التحف) «و الإقرار بذلك يوجب المقمت من الله» (1)قالوا المدح وافد الكبر.

و فى(عيون ابن قتيبه)قال ابن المقفع:إيّاك إذا كنت واليا أن يكون من شأنك حب المدح و التزكيه و ان يعرف الناس ذلك منك،فتكون ثلمه من الثلم يقتحمون عليك منها و بابا يفتتحونك منه،و غيبه يغتابونك بها و يضحكون منك لها،و اعلم أنّ قابل المدح كمداح نفسه،و المرء جدير أن يكون حبه المدح هو الذى يحمله على ردّه،فإن الراد له ممدوح و القابل له معيب (2).

«و لا يكوننّ المحسن و المسىء عندك بمنزله سواء فإن فى ذلك تزهيدا لأهل الإحسان فى الإحسان و تدريبا لأهل الإساءه على الإساءه» قال الجوهرى:درب بالشىء إذا اعتاده (3).

«و ألزم كلاً منهم ما ألزم نفسه» من الإحسان و الإساءه: «مَرِنٌ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَرِنٌ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا» (4).و زاد فى روايه(التحف)«أدبا منك ينفعك الله به، و تنفع به أعوانك» (5).

فى(المعجم)قال المتوكل لأبى العيناء:بلغنى عنك بذاء فى لسانك.

فقال:قد مدح الله تعالى و ذم فقال: «نِعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ» (6)و قال: «هَمَّازٍ»

ص: ٥١٦

١- ١) تحف: ١٣٠.

٢- ٢) عيون الاخبار ٢٨٩:١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣- ٣) الصحاح ١٢٤:١- [٢] دار العلم للملايين-بيروت.

٤- ٤) فصلت: ٤٦، و [٣] الجاثيه: ١٥. [٤]

٥- ٥) تحف العقول: ١٣٠.

٦- ٦) ص: ٤٤.

«مَشَاءٌ بِنَمِيمٍ» (١) وقال الشاعر:

إذا أنا بالمعروف لم اثن صادقاً و لم أشتم النكس اللئيم المذمماً

ففيهم عرفت الخير و الشر باسمه و شقّ لي الله المسامع و الفما

و قيل لأبي العيّن: إلى متى تمدح الناس و تهجوهم؟ فقال: ما دام المحسن يحسن و المسيء يسيء، و أعود بالله أن أكون كالعقرب تلسب النبيّ و الذمّيّ .

«و اعلم أنّه ليس شيء بأدعى إلى حسن ظن راع برعيته من إحسانه إليهم و تخفيفه المئونات عنهم» في (عيون ابن قتيبه): قام رجل من مجلس خالد القسري، فقال خالد: إنّي لأبغض هذا الرجل و ما له إلّيّ ذنب. فقال رجل: أوله أيها الأمير معروف، ففعل فما لبث أن خفّ على قلبه و صار أحد جلسائه (٢).

و في (وزراء الجهشيارى): قال المنصور لأبي العباس الطوسي و عيسى بن علي و العباس بن محمد و غيرهم من خواصّه: إنّي قد عزمت على تقليد المهدي السواد و كور دجله، فاستصوب جميعهم رأيهم خلا الطوسي فإنه استخلاه ثم قال له: أ رأيت إن سلك المهدي غير سيرتك و استعمل التسهيل أ ترضى بذلك؟ قال: لا و الله. قال: فأنت تريد أن تحبّه إلى الرعيه و تقليدك إياه يبغضه إليهم لا سيما ما قرب منك، و لكن تولّى هذه الولاية عيسى بن موسى و تجعل المهدي الناظر في ظلمات الناس و تأمره بأخذه بإنصافهم، فضحك منه حتى فحص برجليه.

و في (الطبري): كان المنصور لا يولّي أحداً ثم يعزله إلا ألقاه في دار خالد البطين على شاطئ دجله ملاصقاً لدار صالح المسكين فيستخرج من

ص: ٥١٧

١-١ (١) القلم: ١١. [١]

٢-٢ (٢) عيون الأخبار ١٩٨: ٣- [٢] دار الكتب العلميّه-بيروت.



المعزول مالا- فما أخذ من شيء أمر به فعزل و كتب عليه اسم من أخذ منه و عزل في بيت من المال و سماه بيت مال المظالم، فكثر ما في ذلك البيت من المال و المتاع، ثم قال للمهدى: إنني قد هتأت لك شيئا ترضى به الخلق و لا تغرم من مالك شيئا، فإذا مات فادع هؤلاء الذين أخذت منهم هذه الأموال التي سميتها مظالم فاردد عليهم كل ما أخذ منهم فإنك تستحمد إليهم و إلى العامه، ففعل ذلك المهدى لما ولى (١).

«و ترك استكراهه إيّاهم على ما ليس له قبلهم» هكذا في نسختي ابن أبي الحديد و ابن ميثم و لا- يبعد أن الأصل «به قبلهم» (٢) فقال الجوهري: و ما لي به قبل أي: طاقه (٣).

في (عيون ابن قتيبه) قالت العجم: أسوس الملوكة من قاد أبدان الرعيه إلى طاعته بقلوبها، و لا ينبغي للوالى أن يرغب في الكرامه التي ينالها من العامه كرها، و لكن في التي يستحقها بحسن الأثر و صواب الرأى و التدبير (٤).

«فليكن منك في ذلك أمر يجتمع لك به حسن الظنّ برعيّتك فإن حسن الظنّ يقطع عنك نصبا» أي: شرا و بلاء.

«طويلا» زاد في روايه (التحف): «فاعرف هذه المنزله لك و عليك، لتزدك بصيره في حسن الصنع، و استكثار حسن البلاء عند العامه، مع ما يوجب الله بها لك في المعاد» (٥).

في (العيون) كان ابن عباس يقول: ما رأيت رجلا أوليته معروفا إلاّ

ص: ٥١٨

١- ١) تاريخ الطبرى ٨: ٨١- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٤٦. [٢]

٣- ٣) الصحاح ٥: ١٧٩٦- [٣] دار العلم للملايين-بيروت.

٤- ٤) عيون الاخبار ١: ٦١- [٤] دار الكتب العلميه-بيروت.

٥- ٥) تحف العقول: ١٣٠.

أضياء ما بينى و بينه، و لا رأيت رجلا أوليته سوء إلا أظلم ما بينى و بينه .

«و إنّ أحقّ من حسن ظنّك به لمن حسن بلاؤك عنده، و إنّ أحقّ من ساء ظنّك به لمن ساء بلاؤك عنده» فى (العيون فى كتب العجم): قلوب الرعيه خزائن ملوكها، فما أودعتها من شىء فليعلم أنّه فيها (١).

و فى (الطبرى) قال المنصور لاسماعيل بن عبد الله: أىّ الولاة أفضل؟ قال: الباذل للعطاء و المعرض عن السيئه. قال: فأيتهم أخرق؟ قال: أنهمكهم للرعيه و أتبعهم لها بالخرق و العقوبه. قال: فالطاعة على الخوف أبلغ فى حاجه الملك أم الطاعة على المحبه؟ قال: الطاعة عند الخوف تسرّ الغدر و تبالغ عند المعايينه، و الطاعة على المحبه تضمّر الاجتهاد و تبالغ عند الغفله. قال: فأىّ الناس أولى بالطاعة؟ قال: أولاهم بالمضرّه و المنفعه. قال: ما علامه ذلك؟ قال:

سرعه الإجابة و بذل النفس (٢).

و فى (وزراء الجهشيارى): لَمّا غضب المنصور على أبى أيوب المورىانى قال صالح بن سليمان: أنّه سيقتل أبى أيوب و جميع أسبابه لأنّه سمعه يتحدّث أن ملكا من الملوك كان يساير وزيراً له فضربت دابه الوزير رجل الملك فغضب و أمر بقطع رجل الوزير فقطعت ثم ندم فأمر بمعالجته حتى برأ ثم قال الملك فى نفسه: هذا لا يحبنى أبداً و قد قطعت رجله فقتله، ثم قال: و أهل هذا الوزير لا- يحبّونى و قد قتلته فقتلهم جميعاً. قال صالح: فعلمت أنّه سيفعل ذلك فى المورىانى ففعله، و ما عدا ظنى فقتله و أخاه بالضعطه و العذاب و قتل بنى أخيه صبرا .

«و لا تنقض سنّه صالحه عمل بها صدور هذه الامّه و اجتمعت بها الالفه

ص: ٥١٩

١- ١) عيون الأخبار ١: ٦٤- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٨: ٧١- [٢] دار سويدان-بيروت.

و صلحت عليها الرعيه» فَإِنَّ سَنَنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله كَفَرَأْتَضُ اللَّهُ تَعَالَى الْعَمَلَ بِهَا وَاجِبٌ.

«و لا تحدثنَّ سنَّه تضرَّ بشيء من ماضى تلك السنن فيكون الأجر لمن سنَّها و الوزر عليك بما نقضت منها» و قد أحدث الثلاثة سننا كذلك المذكوره فى محلها و أما من جاء بعدهم من أتباعهم فأحدثهم أكثر من أن تحصي، و لو لا أن أصل الإسلام كان معلوما لجعلته أرذل الملل كما أنهم أنفسهم صاروا بها أخس الامم من حيث العمل.

قال الطبرى فى (تاريخه): و لما خرجت الخوارج من الكوفه أتى عليا عليه السَّلام أصحابه و شيعته فبايعوه و قالوا نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت فشرط لهم فيه سنَّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فجاءه ربيعه بن أبى شدَّاد الخثعمي - و كان شهد معه الجميل و صفين و معه رايه خثعم - فقال له: بايع على كتاب الله و سنَّه رسوله فقال ربيعه: على سنَّه أبى بكر و عمر. قال له على: ويلك! لو أن أبابكر و عمر عملا بغير كتاب الله و سنَّه رسوله لم يكونا على شيء من الحق.

فبايعه فنظر إليه على عليه السَّلام و قال: أما و الله لكأنى بك و قد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت، و كأتى بك و قد وطئتكَ الخيول بحوافرها، فقتل يوم النهروان مع خوارج البصره... (١).

و فى الخبر: من سنَّ سنَّه حسنه كان له مثل أجر من عمل بها، و من سنَّ سنَّه سيئه كان عليه مثل وزر من عمل بها (٢).

و فى الخبر: أبى الله لصاحب البدعه بالتوبه. قيل: و كيف ذلك؟ قال: لأنَّه

ص: ٥٢٠

١- (١) تاريخ الطبرى ١١٦: ٣ (١) [١] دار الكتب العلميه).

٢- (٢) البحار ٢٠٤: ٧٤ روايه ٤١ باب ١٤. [٢]

قد اشرب قلبه حبها (١)، و من مشى إلى صاحب بدعه فوقه فقد مشى في هدم الإسلام (٢).

«و أكثر مدارسه العلماء» في الطبرى قال المنصور للمهدى: لا تجلس مجلسا إلا و معك من أهل العلم من يحدثك، فإن محمد بن شهاب الزهرى قال «الحديث ذكر و لا يحبه إلا ذكور الرجال و لا يبغضه إلا مؤنثوهم» و صدق أخو زهره (٣).

«و منافته الحكماء» أى: الاستقصاء فى استخراج ما عندهم من الحكمة.

«فى تثبيت ما صلح عليه أمر بلادك و إقامة ما استقام به الناس قبلك» - زاد فى روايه (التحف): «فان ذلك يحقّ الحقّ، و يدفع الباطل، و يكتفى به دليلا- و مثالا، لأنّ السنن الصالحه هى السبيل إلى طاعه الله» (٤)، فأقام ارسطاطاليس الحكيم لاسكندر خارج ملكه و داخله.

ففى (أخبار طوال الدينورى) قال الإسكندر لمؤدبه ارسطاطاليس: إنى قد وترت أهل الأرض جميعا لقتلى ملوكهم و احتوائى على بلادهم و أخذى أموالهم، و قد خفت أن يتظافروا على أهل أرضى من بعدى فيقتلونهم و يبيدونهم لحنقهم علىّ، و قد رأيت أن أرسل إلى كلّ نبيه و شريف و من كان من أهل الرياسه فى كلّ أرض و إلى أبناء الملوك فاقتلهم. فقال له مؤدبه: ليس ذلك رأى أهل الورع و الدين، مع أنّك إن قتلت أبناء الملوك و أهل النباهه و الرياسه كان الناس عليك و على أهل أرضك أشدّ حقّا من بعدك، و لكن لو بعثت إلى أبناء الملوك و أهل النباهه فتجمعهم إليك فتتوّجهم بالتّيجان و تملك

ص: ٥٢١

١-١) الكافى ١:٥٤ ح ٤. [١]

٢-٢) الكافى ١:٥٤ ح ٢. [٢]

٣-٣) تاريخ الطبرى ٨:٧٢- [٣] دار سويدان-بيروت.

٤-٤) تحف العقول: ١٣١.

كُلّ رجل منهم كوره واحده و بلدا واحدا فَإِنَّكَ تشغلهم بذلك بتنافسهم فى الملك و حرص كلّ واحد منهم على أخذ ما فى يدي صاحبه عن أملاك بلادك، فتلقى بأسهم بينهم و تجعل شغلهم بأنفسهم، فقبل الإسكندر ذلك منه و فعله و هم الذين يقال لهم ملوك الطوائف (١).

و فى (وزراء الجهشياري): كان أرسطاطاليس أدب الإسكندر، فلَمَّا نشأ الإسكندر و علا و عرف من ارسطاطاليس ما عرفه من الحكمه كان شبه الوزير له و كان يعتمد عليه فى الرأى و المشوره، فكتب إليه يخبره أنه قد كثر فى خواصّه و عسكره قوم ليس يأمنهم على نفسه لَمَّا يرى من بعد همهم و شجاعتهم و شذوذ آلتهم و ليس يرى لهم عقولا تفى بهذه الفضائل التى فيها بقدر همهم، فكتب إليه ارسطاطاليس: فهت ما ذكرت عن القوم الذين ذكرت، فأَمَّا همهم فمن الوفاء بعد الهَمّه، و أمَّا ما ذكرت من شجاعتهم مع نقص عقولهم فمن كانت هذه حاله فرَفّه فى العيش و اخصصه بحسان النساء، فإن رفاهيه العيش توهى العزم و إن حبّ النساء يجب السلامه و يباعد من ركوب المخاطره، و ليكن خلقك حسنا تستدعى به صفو النيات و اخلاص المقالات، و لا تتناول من لذيد العيش ما لا يمكن أوساط أصحابك مثله، فليس مع الاستيثار محبه و لا مع المواساه بغضه.

و فى (عيون ابن قتيبه): قرأت كتابا من ارسطاطاليس إلى الإسكندر:

املك الرعيه بالإحسان إليها تظفر بالمحبه منها، فإن طلبك ذلك منها بإحسانك هو أدوم بقاء منه باعتسافك، و اعلم أنك إنما تملك الأبدان، فتخطّها إلى القلوب بالمعروف و اعلم أنّ الرعيه إذا قدرت على أن تقول، قدرت على أن تفعل، فاجهد أن لا تقول، تسلم من أن تفعل.

ص: ٥٢٢

(و فيه): كان أنوشروان إذا ولّى رجلا- أمر الكاتب أن يدع في العهد موضع أربعة أسطر ليوقع فيه بخطه، فإذا أتى بالعهد وقع فيه «سس خيار الناس بالمحبه و أخرج للعامه الرغبه بالرهبه، و سس سفله الناس بالإخافه» (١).

و في (المروج): كتب ملك الروم إلى سابور الجنود بن اردشير: بلغني من سياستك لجندك و ضبطك ما تحت يدك و سلامه أهل مملكتك بتديرك ما أحببت أن أسألك فيه طريقتك و اركب مناهجك. فكتب إليه سابور: نلت ذلك بشمان خصال: لم أهزل في أمر و لا نهى قط، و لم اخلف وعدا و لا وعيدا قط، و حاربت للغنى لا للهوى، و اجتلبت قلوب الناس مقه بلا كره و خوفا بلا مقت، و عاقبت للذنب لا للغضب، و عممت بالقوت، و حسمت الفضول.

(و فيه): أحضر يزدجرد بن بهرامجور رجلا- من حكماء عصره في أقاصى مملكته و قال له: أيها الحكيم الفاضل! ما صلاح الملك؟ فقال: ألزفك بالرعيه، و أخذ الحق منهم من غير مشقه، و التودّد إليهم بالعدل، و أمن السبل، و إنصاف المظلوم من الظالم. فقال له: فما صلاح أمر الملك؟ فقال: وزراؤه و أعوانه، فإنهم إن صلحوا صلح، و ان فسدوا فسد. فقال له: فما الذى يشبّ الفتن و ينشئها و ما الذى يسكنها و يذفنها؟ قال: يشبها ضغائن و جرأه العامه و الاستخفاف بالخاصه، و انبساط الألسن بضمائر القلوب و اشفاق موسر و أمل معسر، و غفله ملتدّ و يقظه محروم، و الذى يسكنها أخذ العده لما يخاف قبل حلوله و إثار الجد حين يلتدّ الهزل، و العمل بالحزم فى الغضب و الرضا (٢).

«و اعلم أنّ الرعيه طبقات لا يصلح بعضها إلا ببعض، و لا غنى ببعضها عن

ص: ٥٢٣

١- ١) عيون الأخبار ١: ٦١- [١] دار الكتب العلميه- بيروت.

٢- ٢) مروج الذهب ١: ٢٧٣ و ٢٨٨-٢٨٩. [٢]

بعض» كأعضاء الإنسان، فالرأس لا يصلح إلا بالبدن مثلاً، والعينان لا تغنيان عن الأذنين، ولا يغني الأنف عن الفم واليدان عن الرجلين.

في (مطالب سؤول ابن طلحة الشافعي) قال عليه السلام: العالم حديقه سياجها الشريعة، والشريعة سلطان تجب له الطاعة، والطاعة سياسه يقوم بها الملك، و الملك راع يعضدها الجيش، والجيش أعوان يكفلهم المال و المال رزق يجمعه الرعيه، والرعيه سواد يستعبدهم العدل، و العدل أساس به قوام العالم.

«فمنها جنود الله، ومنها كتاب العاقه و الخاصه، و منها قضاء العدل، و منها عمال الإنصاف و الرفق، و منها أهل الجزية و الخراج من أهل الذمه و مسلمه الناس، و منها التجار و أهل الصناعات، و منها الطبقة السفلى من ذوى الحاجه و المسكنه» .

في (وزراء الجهشياري): كان أول من صنّف طبقات الناس و صنّف طبقات الكتاب و بنى منازلهم جمشيد، و كان له راسب أول من دوّن الدواوين و حصّن الأعمال و الحسابات، و انتخب الجنود و جدّ في عماره الأرضين و جبايه الخراج لأرزاق الجيش و بنى مدينه بلخ .

«و كلاً قد سمى الله سهمه و وضع على حدّه فريضه» هكذا في (المصريه) و الصواب: «و فريضته» كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (١).

«في كتابه أو سنّه نبيه» وضع على حد الطبقة السابعه- و هي الأخره- فريضه في كتابه فقال عزّ و جلّ «إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ وَ الْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَ الْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَ فِي الرِّقَابِ وَ الْغَارِمِينَ وَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» (٢) و على حدّ الطبقات الست الأولى فريضه في سنّه نبيه.

«عهدا منه عندنا محفوظا» لما لم يوضع في السنّه على حدّ كثير من

ص: ٥٢٤

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٤٨. [١]

٢- ٢) التوبه: ٦٠. [٢]

الطبقات الست الاولى شىء يعرفه الناس قال عليه السلام: إنه صَلَّى اللهُ عليه وآله خَصَّ بعلم ذلك عترته عليهم السلام.

و في (بصائر درجات محمد بن الحسن الصفار) مسندا أن النبي صَلَّى اللهُ عليه وآله قال في مرضه الذي توفي فيه: ادعوا لى خليلى، فأرسلتا إلى أبويهما، فلما رآهما أعرض عنهما بوجهه، ثم قال صَلَّى اللهُ عليه وآله ادعوا لى خليلى، فأرسلوا إلى على، فلما جاء أكبَّ عليه فلم يزل يحدثه و يحدثه، فلما خرج من عنده قالتا له عليه السلام: ما حدثك؟ قال: حدثنى بباب يفتح ألف باب كل باب يفتح ألف باب (١).

«فالجنود يأذن الله حصون الرعيه و زين الولاة و عز الدين و ليس تقوم الرعيه إلا بهم» في (عيون ابن قتيبه): كان يقال: لا سلطان إلا برجال، و لا رجال إلا بمال و لا مال إلا بعمار، و لا عماره إلا بعدل و حسن سياسه (٢).

و في (المروج): كانت سياسه يعقوب بن الليث الصفار لجيوشه سياسه لم يسمع بمثلا فيمن سلف من الملوك، لما كان قد شملهم من إحسانه و غمرهم من بزه و ملاء قلوبهم من هيئته، كان بأرض فارس و أباح للناس أن يرتعوا ثم حدث أمر أراد الرحيل فنادى مناديه بقطع الدواب عن الرتع، فرثى في أصحابه رجل أخرج الحشيش من فم الدابة مخافه أن تلوكه بعد سماع النداء، و خاطب الدابة قائلا بالفارسيه: «أمير دواب را از تر بريده» أى: أمر بقطع الدواب عن الرطبه. و رثى أيضا فى عسكره رجل من قواده ذو مرتبه و الدرع الحديد على بدنه لا ثوب بينه و بين بشرته، فقيل له فى ذلك فقال: نادى منادى الأمير: البسوا السيلاح و كنت أغتسل من الجنابه فلم يسعنى التشاغل

ص: ٥٢٥

١- ١) بصائر الدرجات: ٣٣٣ ح ٣ [١] بتصرف فى اللفظ و ٣٢٤ ح ٨.

٢- ٢) عيون الأخبار ٦٣: ١- [٢] دار الكتب العلميه- بيروت.



«ثم لا قوام للجنود إلا بما يخرج الله لهم من الخراج الذين يقوون به في جهاد عدوهم ويعتمدون عليه في ما يصلحهم و يكون من وراء حاجتهم» في (العيون) كان جعفر بن يحيى يقول الخراج عماد الملك، و ما استغزر بمثل العدل و لا استنزر بمثل الظلم (٢).

و في (وزراء الجهشياري) - في عهد سابور بن اردشير إلى ابنه - و اعلم أن قوام أمرك بدرور الخراج، و درور الخراج بعماره البلاد، و بلوغ الغايه في العماره يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم و المعاونه لهم، فإن بعض الامور لبعض سبب، و عوام الناس لخواصهم عده، و لكل صنف منهم إلى الآخر حاجه، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك و من يكونون من أهل البصر و العفاف و الكفايه، و أسند إلى كل امرئ منهم شقضا يضطلع به و يمكنه الفراغ منه، فان اطلعت على أن أحدا منهم خان أو تعدى فنكل به و بالغ في عقوبته .

«ثم لا - قوام لهذين الصنفين إلا - بالصنف الثالث من القضاء و العميال و الكتاب» في (الطبري) قال المنصور: ما أحوجني إلى أن يكون على بابي أربعة نفر لا - يكون على بابي أعفّ منهم. قيل له: من هم؟ قال: هم أركان الملك و لا يصلح الملك إلا بهم كما أن السرير لا يصلح إلا بأربع قوائم إن نقصت واحده و هي، أما أحدهم: فقاض لا تأخذه في الله لومه لائم، و الآخر: صاحب شرطه ينصف الضعيف، و الثالث: صاحب خراج يستقصى و لا يظلم الرعيه (٣).

١- ١) مروج الذهب ١١٤: ٤-١١٥. [١]

٢- ٢) عيون الأخبار ١: ٦٦- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣- ٣) تاريخ الطبري ٨: ٦٧- [٣] دار سويدان-بيروت.

«لَمَّا يَحْكُمُونَ مِنَ الْمُعَاقِدِ» وَ فِي رِوَايَةِ (التَّحْفِ): «لَمَّا يَحْكُمُونَ مِنَ الْأُمُورِ، وَ يَظْهَرُونَ مِنَ الْإِنصَافِ» (١)، وَ كَيْفَ كَانَ فَالْأَحْكَامَ لِلْقَضَاءِ.

«وَ يَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ» جَمَعَ الْمَنَافِعَ عَمَلَ الْعَمَالِ.

«وَ يُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَ عَوَامِهَا» الْإِيْتِمَانُ: عَلِيٌّ مَا قَالَ لِلْكِتَابِ، ثُمَّ عَدِمَ قَوَامَ الْجَنْدِ وَ الْخَرَاجَ إِلَّا بِالْعَمَالِ وَ الْكِتَابِ وَاضِحٌ، وَ أَمَّا بِالْقَضَاءِ فَلِلْفَصْلِ بَيْنَهُمْ مَعَ حُصُولِ الْإِخْتِلَافِ .

«وَ لَا- قَوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا- بِالتَّجَارِ وَ ذَوِي الصَّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مِرَافِقِهِمْ» وَ فِي رِوَايَةِ (التَّحْفِ) «فِيمَا يَجْمَعُونَ مِنْ مِرَافِقِهِمْ» (٢).

«وَ يُقِيمُونَ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ وَ يَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرْفِقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رَفَقٌ غَيْرُهُمْ» وَ فِي رِوَايَةِ (التَّحْفِ) «مِمَّا لَا يَبْلُغُهُ رَفَقٌ غَيْرُهُمْ» (٣).

عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ: لَا يَلْتَقِي أَحَدُكُمْ تِجَارَهُ خَارِجًا مِنَ الْمِصْرِ وَ لَا يَبِيعُ حَاضِرًا لِبَادٍ، وَ الْمُسْلِمُونَ يَرْزُقُ اللَّهُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ (٤).

وَ عَنِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: الْكِيمِيَاءُ الْأَكْبَرُ الزَّرَاعَةُ (٥)، وَ الزَّارِعُونَ يَدْعُونَ الْمُبَارِكِينَ (٦). وَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ لِعَلِيِّ: لَا يَظْلِمُ الْفَلَاحُونَ بِحَضْرَتِكَ (٧).

وَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَتَتْ الْمَوَالِي أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالُوا: نَشْكُو إِلَيْكَ هَؤُلَاءِ الْعَرَبَ. إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَانَ يُعْطِينَا مَعَهُمُ الْعَطَايَا بِالسُّوْيَةِ وَ زَوْجَ سَلْمَانَ وَ بِلَالًا وَ صَهْبِيًّا وَ أَبَا عَلِينَا هَؤُلَاءِ وَ قَالُوا لَا نَفْعَ، فَكَلَّمَهُمْ فِيهِمْ فَصَاحَ الْأَعَارِبُ أَبِينَا

ص: ٥٢٧

١-١ تحف العقول: ١٣١.

٢-٢ تحف العقول: ١٣١.

٣-٣ تحف العقول: ١٣٢.

٤-٤ الكافي للكليني ٥: ٨ ح ١٦١. [١]

٥-٥ الكافي للكليني ٥: ٢٦١ ح ٦. [٢]

٦-٦ الكافي للكليني ٥: ٢٦١ ح ٧. [٣]

٧-٧ الكافي ٥: ٢٨٤، رَوَاهُ ٢، ج ٧: ١٥٤، [٤] رَوَاهُ ٢٩.

ذلك يا أبا الحسن أبينا ذلك، فخرج و هو مغضب يجر رداءه و هو يقول: يا معشر الموالى! إن هؤلاء قد صيروكم بمنزله اليهود و النصارى يتزوجون إليكم و لا- يزوجونكم و لا- يعطونكم مثل ما يأخذون، فاتجروا بارك الله لكم فإننى سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: الرزق عشره أجزاء تسعه أجزاء فى التجاره و واحد فى غيرها (١).

«ثم الطبقة السفلى من أهل الحاجه و المسكنه الذين يحق ردهم» أى:

إعطاؤهم (و معونتهم) و هو حكم عقلى و لذا قال به جميع الامم و يقتضيه كرم الأخلاق، و لذا كان كل كريم ملتزما به حتى فى الجاهليه.

فقالوا: مرّ حاتم فى سفر له على عنزه و فيهم أسير فاستغاث به فلم يحضره فكاكه، فساومهم و أقام مكانه فى القيد حتى أدى فداءه .

«و فى الله لكل سعه» فى نقل المصنف سقط و الأصل «و فى فى الله لكل سعه» كما فى (التحفة) (٢)، و يدل عليه سياق الكلام.

روى (الكافى) عن أبى جعفر الأ- حول قال: سألتى رجل من الزنادقه فقال: كيف صارت الزكاه كل ألف درهم خمس و عشرين. فقلت له: إنما ذلك مثل الصلاه ثلاث و ثنتان و أربع فقبل ذلك منى، ثم لقيت بعد ذلك أبا عبد الله عليه السلام فسألته عن ذلك فقال: ان الله تعالى حسب الأموال و المساكين فوجد ما يكفيهم من كل ألف خمس و عشرين و لو لم يكفيهم لزادهم، فرجعت إليه فأخبرته فقال: جاءت هذه المسأله على الإبل من الحجاز، لو أنى أعطيت أحدا طاعه لأعطيت صاحب هذا الكلام (٣).

ص: ٥٢٨

[١- ١] الكافى ٥: ٣١٨ ح ٥٩. [١]

[٢- ٢] تحفة العقول: ١٣٢.

[٣- ٣] الكافى ٥: ٥٠٩ ح ٣. [٢]

«و لكلّ على الوالى حق بقدر ما يصلحه» قال الشاعر:

فلو كنت تطلب شأو الكرام فعلت كفعل أبى البخترى

تتبع إخوانه فى البلاد فأغنى المقلّ عن المكثّر

و روى (الكافى) عن أبى عبد الله عليه السّلام أنّه قال لعمر و بن عبيد لَمّا كان يدعو إلى امامه محمد بن عبد الله الحسنى: ما تقول فى آيه «الصدقاتُ للفقراءِ و المساكينِ و العاملينِ و العائلينِ و المؤمناتِ و المؤمناتِ و فى الرقابِ و الغارمينِ و فى سبيلِ اللهِ و ابنِ السبيلِ» كيف تقسم الصدقه؟ قال: أقسمها على ثمانيه أجزاء فاعطى كلّ جزء من الثمانيه جزءاً. قال: و إن كان صنف منهم عشره آلاف و صنف منهم رجلا- واحداً أو رجلين أو ثلاثه جعلت لهذا الواحد ما جعلت للآخره آلاف؟ قال: نعم. قال: و تجمع صدقات أهل الحضرة و أهل البوادي فتجعلهم فيها سواء؟ قال: نعم. قال: فقد خالفت النبىّ صلّى الله عليه و آله فى كلّ ما قلت فى سيرته، كان النبىّ يقسم صدقه أهل البوادي فى أهل البوادي و صدقه أهل الحضرة فى أهل الحضرة، و لا يقسمها بينهم بالسويه و إنّما يقسمها على قدر ما يحضرها منهم و ما يرى و ليس فى ذلك شىء موقت موظف (1).

«و ليس يخرج الوالى من حقيقه ما ألزمه الله من ذلك إلا بالاهتمام و الاستعانه بالله، و توطين نفسه على لزوم الحق و الصبر عليه فيما خف عليه أو ثقل» هكذا فى (المصريه) إلا أن الكلام بجملته ليس فى (النهج) لخلو ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه عنه (2)، و إنّما هو فى روايه (تحف العقول) (3)، فالظاهر أن بعضهم ألحقه بالنهج حاشيه و المصريه أو النسخه التى نقلت المصريه عنها

ص: ٥٢٩

[١- ١] الكافى ٥: ٢٦-٢٧. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٤٩. [٢]

[٣- ٣] تحف العقول: ١٣٣. [٣]

خلطت الحاشيه بالمتن، وبالجملة الكلام كلامه إلا أنه ليس من النهج.

و كيف كان ففي (الخصال) عن الصادق عليه السلام: ثلاثة هم أقرب الخلق إلى الله تعالى يوم القيامة حتى يفرغ من الحساب: رجل لم تدعه قدرته في حال غضبه إلى أن يحيف على من تحت يده، و رجل مشى بين اثنين، فلم يمل مع أحدهما على الآخر بشعيره، و رجل قال الحق في ماله و عليه (١).

و عنه عليه السلام: أشد الأعمال ثلاثة: إنصاف الناس من نفسك حتى لا ترضى لها منهم بشيء إلا رضيت لهم منها بمثله، و مواساتك الأخ في المال، و ذكر الله على كل حال، ليس «سبحان الله، و الحمد لله، و لا إله إلا الله، و الله أكبر» فقط، و لكن إذا ورد عليك شيء من أمر الله أخذت به، و إذا ورد عليك شيء نهى الله تعالى عنه تركته (٢).

و روى (عقاب الأعمال) عن أنس عن النبي صلى الله عليه و آله: من ولى عشره، فلم يعدل فيهم، جاء يوم القيامة و يداه و رجلاه و رأسه في ثقب فأس.

و عن أمير المؤمنين عليه السلام: أيما وال احتجب عن حوائج الناس، احتجب الله عزّ و جلّ عنه يوم القيامة و عن حوائجه، و إن أخذ هديّه كان غلولا، و إن أخذ رشوه فهو مشرك (٣).

«قول من جنودك أنصحهم في نفسك لله و لرسوله و لإمامك» كان المتقدمون عليه عليه السلام إنّما يولّون من كان ناصحا لهم دون الله و رسوله، فكان أبو بكر يولّي مثل خالد بن الوليد الذي قتل مالك بن نويرة مؤمنا متعمّدا غادرا به و زنى بامرأته حتى أنكر ذلك عمر عليه، و كان عمر يولّي مثل المغيرة بن

ص: ٥٣٠

١-١) الخصال ١: ٨١-٥-جماعه المدرسين في الحوزه العلميه-قم.

٢-٢) الخصال ١: ١٣٢-١٣٩-جماعه المدرسين في الحوزه العلميه-قم.

٣-٣) بحار الأنوار ٣٤٥: ٧٥-٤٢- [١] مؤسسه الوفاء-بيروت. و ثواب الأعمال: ٣١٠-١-الكتبي النجفي قم.-

شعبه الذى كان منافقا باعتراف عثمان لَمَّا اعترض عليه بتوليه المنافقين، و باعتراف عبد الرحمن بن عوف لَمَّا هنا المغيره عثمان بعد اختياره له و قد زنا المغيره محصنا بالبصره و قام عليه الشهود و منع عمر الشاهد الرابع من أداء شهادته ثم ولّاه الكوفه، و عثمان كان يولّى مثل الوليد بن عقبه الذى كان يصلّى بهم الصبح أربعاً سكران و يتغنّى فى صلاته و يقول لهم فى صلاته لو شتمت أزيد صلاه صبحكم على الأربع، و كان يولّى مثل ابن عامر الذى نزل القرآن بكفره كالوليد بفسقه، و كان النبىّ صلّى الله عليه و آله أهدر دمه و لو كان لاصقاً بثوب الكعبه، مع أنّ مقتضى الديانه ألاّ يولّى إلاّ من كان متديّناً ناصحاً لله و الرسول.

«و أنقاهم جييا» أى: أكثرهم أمانه.

«و أفضلهم حلماً مميّن يبطن عن الغضب و يستريح إلى العذر» هكذا نقل المصنف، و الصواب: (و يسرع إلى العذر) كما فى (التحفة) (١) و يشهد له السياق.

فى الخبر قال رجل للنبىّ صلّى الله عليه و آله أوصنى. قال: لا تغضب، ثم أعاد فقال:

لا تغضب، ثم أعاد فقال: لا تغضب (٢).

و عن النبىّ صلّى الله عليه و آله: ليس الشديد بالصرعه، إنّما الشديد من يملك نفسه عند الغضب (٣).

و قالوا: سمى الله يحيى سيّدا بالحلم.

و شتم رجل الأحنف و ألحّ عليه، فلمّا فرغ قال له: يا ابن أخى هل لك فى

ص: ٥٣١

١-١ تحفة العقول: ١٣٢.

٢-٢ الكافي ٣: ٣٠٣ ح ٥. [١]

٣-٣ صحيح مسلم، أحمد (الجامع الصغير ١٣٥: ٢).

الغذاء فإنك منذ اليوم تحدو بجمل ثقال.

و استطال رجل على أحدهم فقال: أستغفر الله من الذنب الذى سلطت به على.

و فى (العيون) نزل رجل بتغلبى فأتاه بقرى فما انفلت منه أن قال:

و التغلبى إذا تنحى للقرى حك استه و تمثل الامثالا

فانقبض فقال: كل أيها الرجل فإنما قلت كلمه مقوله (١).

و قال رجل لآخر: و الله لئن قلت واحده لتسمعن عشرا. فقال الآخر: لكنك ان قلت عشرا لم تسمع واحده.

و كان يقال: إياك و عزه الغضب فإنها مصيرتك إلى ذل الاعتذار.

هذا، و كان المنصور ولى سلم بن قتيبه البصره و ولى مولى له كور البصره، فورد كتاب مولاة أن سلما ضربه بالسياط، فاستشاط المنصور و قال: على تجزأ سلم لأجعلنه نكالا. فقال له ابن عياش—و كان عليه جريئا—إن سلما لم يضرب مولاك بقوته و لا قوه أبيه و لكنك قلبه سيفك و أصعدته منبرك و أراد مولاك أن يطأطأ منه ما رفعت و يفسد ما صنعت فلم يحتمل ذلك، إن غضب العربى فى رأسه فاذا غضب لم يهدأ حتى يخرج به بلسان أويد، و إن غضب النبطى فى استه فاذا غضب خرى و ذهب غضبه. فضحك المنصور و قال: فعل الله بك يا منتوف و فعل. و كف عن سلم.

«و يراف بالضعفاء و ينبو» من نبا السيف: إذا لم يعمل فى الضريبه، و من نبا عليه صاحبه: إذا لم ينفذ له، قال:

أنا السيف إلا أن للسيف نبوه و مثلى لا تنبو عليك مضاربه (٢).

ص: ٥٣٢

١-١ (١) عيون الأخبار ٣٩٧:١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢-٢ (٢) أساس البلاغه: ٤٤٥، [٢] ماده: (نبو).

«على الأقوياء» و الأصل فى قوله عليه السّلام «و يرأف بالضعفاء و ينبو على الأقوياء» قوله تعالى فى أهل الايمان «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» (١) و كان هذا وصفه عليه السّلام يعرفه منه كلّ ولى و عدوّ.

«و ممّن لا- يثيره العنف و لا يقعد به الضعف» قالوا: قال عمر: إنّ هذا الأمر لا يصلح له إلاّ اللّين فى غير ضعف، و القوى فى غير عنف.

قلت: إلاّ- أنّ عمر نفسه كان فى غايه العنف حتى كلّم الناس- كما فى (عيون ابن قتيبه)- عبد الرحمن بن عوف أن يكلمه فى أن يلين لهم فإنّه قد أخافهم حتى أنّه قد أخاف الأبقار فى خدورهنّ. فقال: إننى لا أجد لهم إلاّ ذلك، إنهم لو يعلمون ما لهم عندى لأخذوا ثوبى عن عاتقى (٢). و قالوا: كان سوط عمر أهيب من سيف الحجاج .

ثمّ ألصق بذى المروءات الاحساب» هكذا فى (المصريه) أخذ كلمه «المروءات» من (ابن أبى الحديد) حيث جعلتها بين قوسين كما هو دأبها، لكن ليست الكلمه فى (ابن ميثم) و لا- فى روايه (التحفة) (٣)، فالظاهر زيادتها و ان كانت فى (ابن أبى الحديد) مع أنّه قال «و الأحساب» فكان على (المصريه) أن تأخذ منه الواو أيضا.

«و أهل البيوتات الصالحه و السوابق الحسنه» فى (العيون): قال عدى بن أرتأه لإياس بن معاويه: دلّنى على قوم من القرّاء أوّلهم. فقال له: القرّاء ضربان: ضرب يعملون للآخره فهم لا- يعملون لك، و ضرب يعملون للدنيا فما ظنّك بهم إذا أنت وليّتهم فمكنتهم منها. قال: فما أصنع؟ قال: عليك بأهل

ص: ٥٣٣

١-١ (١) الفتح: ٢٩. [١]

٢-٢ (٢) عيون الأخبار ١: ٦٥- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٥١: ١٧.



البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم (١).

«ثم أهل النجده» أي: النصره. قال الشاعر:

إذا استنجدتهم و دعوت بكرا لنصرتنا كسرت بهم همومي

«و الشجاعه و السخاء و السماحه» قال الجوهرى: السماحه، الجود، إلا أنّ الظاهر أنّ الأصل فيها المسامحه، قال المتلمّس:

صبا من بعد سلوته فؤادى و سمح للقرينه بانقياد (٢)

فى (عيون ابن قتيبه) كتب أنوشروان إلى مرازبته: عليكم بأهل الشجاعه و السخاء فإنّهم أهل حسن الظن بالله (٣).

و كان الأحنف على جيش خراسان، فبيّتهم العدو و فرّقوا جيوشهم أربع فرق و أقبلوا معهم الطبل، ففرغ الناس فكان أول من ركب، الأحنف، فأخذ سيفه و مضى نحو الصوت و هو يقول:

إنّ على كلّ رئيس حقّا أن يخضب الصعده أو تندقا

ثم حمل على صاحب الطبل فقتله، فلما فقد أصحاب الصوت الطبل انهزموا ففتح مرو الروذ (٤).

«فانهم جماع من الكرم و شعب من العرف» زاد فى روايه (التحف) «يهدون إلى حسن الظنّ بالله، و الإيمان بقدره» (٥).

«ثم تفقد من أمورهم ما يتفقد» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (يتفقده)

ص: ٥٣٤

---

١-١ (١) عيون الأخبار ٧١:١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢-٢ (٢) الصحاح ٣٧٦:١.

٣-٣ (٣) عيون الأخبار ٢٦٦:١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٤-٤ (٤) عيون الأخبار ٢٦٧:١- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

٥-٥ (٥) تحف العقول: ١٣٢.

كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (١).

«الولدان من ولدهما» في (العقد) كتب الحسن البصرى إلى عمر بن عبد العزيز: الإمام العدل كالأم الشفيقه البره الرفيقه بولدها، حملته كرها و وضعته كرها و ربته طفلا، تسهر بسهره و تسكن بسكونه، ترضعه تاره و تفضمه اخرى، و تفرح بعافيته و تغتم بشكاته.

و في (كامل المبرد): ان المهلب لما قتل عبد ربه الخارجي و استولى على عسكره بعث رسولا بالفتح إلى الحجاج، فسأله الحجاج فيما سأله: كيف كان لكم المهلب و كنتم له؟ قال: كان لنا منه شفهه الوالد و له منا برّ الولد.

«و لا- يتفاقم» أى: لا- يعظمن «فى نفسك شىء قويتهم به، و لا- تحقرن لطفنا تعاهدتهم به» أى: جددت عهدهم به، و قال الجوهري: التعهد التحفظ بالشىء و تجديد العهد به، و تعهد فلانا و تعهدت ضيعتى، و هو أفصح من قولك «تعاهدته» لأنّ التعاهد إنّما يكون بين اثنين (٢).

قلت: إن سلّم كون «تعهدت ضيعتى» أفصح من «تعاهدتها» فلا نسلم أفصحيه «تعهدت فلانا» من «تعاهدته»، بدليل كلامه عليه السلام، و ليس التفاعل مطلقا بين اثنين كقوله تعالى: «تَسَاقِطْ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا» (٣) و كقولهم: تجاهل زيد و تمارض عمرو.

«و إنّ قلّ فيّائه داعيه لهم إلى بذل النصيحه لك و حسن الظنّ بك» في (عيون ابن قتيبه) سئل بعض الحكماء عن أشدّ الامور تدريبا للجنود و شحذا لها فقال:

استعاده القتال و كثره الظفر، و أن تكون لها مواد من ورائها و غنيمه فيما

ص: ٥٣٥

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٥١: ١٧. [١]

٢- ٢) الصحاح ٥١٦: ٢. [٢]

٣- ٣) مريم: ٢٥. [٣]

أمامها، ثم الإكرام للجيش بعد الظفر والإبلاغ بالمجاهدين بعد المناصبه و التشریف للشجاع على رءوس الناس (١).

و في (الطبرى): أراد معن بن زائده أن يوفد إلى المنصور قوما يسألون سخيمته و يستعطفون قلبه عليه و قال: قد أفنيت عمري في طاعته و أفنيت رجالى في حرب اليمن ثم يسخط على أن أنفقت المال في طاعته! فانتخب جماعه من عشيرته من أفناء ربيعة، فكان فيمن اختار مجاعه بن الأزهر- إلى أن قال- فقال مجاعه للمنصور: معن عبدك و سيفك و سهمك، رميت به عدوك فضرب و طعن و رمى حتى سهل ما حزن و ذل ما صعب و استوى ما كان معوجا من اليمن، فأصبحوا من خولك، فان كان في نفسك هنه من ساع أو واش أو حاسد فأنت أولى بالتفضل على عبده و من أفنى عمره في طاعته.

فقبل العذر من معن، فلما صار إلى معن و قرأ الكتاب بالرضى قبل بين عينيه فقال مجاعه:

آليت في مجلس من وائل قسما ألا أبيعك يا معن باطماع

يا معن إنك قد أوليتنى نعماً عمّت لجيما و خصت آل مجاع

فلا أزال إليك الدهر منقطعا حتى يشيد بهلكى هتفه الناعى

و كانت نعم معن على مجاعه أنه سأله ثلاث حوائج: منها أنه كان يتعشق امرأة من أهل بيته سيده يقال لها زهراء لم يتزوجها أحد بعد- و كانت إذا ذكر لها قالت بأى شىء يتزوجنى؟ أبجبتة الصوف أم بكسائه؟- فلما رجع إلى معن كان أول شىء سأله أن يزوجه بها، و كان أبوها فى جيش معن فقال:

أريد زهراء و أبوها فى عسكرك. فزوجه إياها على عشرة آلاف درهم و أمهرها من عنده، و منها أنه قال له: الحائط الذى فيه منزلى صاحبه فى عسكرك،

ص: ٥٣٦

فاشتراه منه و صبره له، و منها أنه أمر له بثلاثين ألف درهم و صرفه (١).

و في (كامل المبرد) قال الحجاج للمهلب بعد ظفره بالخوارج: اذكر لي القوم الذين أبلوا وصف لي بلاءهم، فوصف جمعا ذكر في جملتهم الرقاد، فقال الحجاج: فأين الرقاد، فدخل رجل طويل فقال المهلب: هذا فارس العرب.

فقال الرقاد للحجاج: إنني كنت أقاتل مع غير المهلب، فكنت كبعض الناس، فلتما صرت مع من يلزمني الصبر و يجعلني أسوه نفسه، و ولده و يجازيني على البلاء صرت فارسا (٢).

«و لا- تدع تفقد لطيف أمورهم اتكالا- على جسيمها، فإنّ ليسير من لطفك موضعا ينتفعون به» في (العيون) لم يكن لخالد بن برمك أخ إلا بني له دارا على قدر كفايته، و وقف على أولاد الإخوان ما يعيشهم أبدا، و لم يكن لإخوانه ولد إلا من جاريه و هبها هو لهم (٣).

«و ليكن آثر رءوس جندك عندك» أي: أكثرهم مختارا عندك.

«من و اساهم» قال في الجمهره يقال: آسيت الرجل و واسيته مواساه (٤).

«في معونته و أفضل» أي: تفضل.

«عليهم من جدته» في (سر عربيه الثعالبي): «وجد» كلمه مبهمه ليس للعرب كلمه مثلها فيختلف معانيها باختلاف مصدرها، ففي ضد العدم يقال «وجودا» و في الغضب «موجده» و في الضالّه «وجدانا» و في الحزن «وجدا» و في المال «وجدا» و «جده».

«بما يسعهم و يسع من وراءهم من خلوف» بالفتح.

ص: ٥٣٧

١- ١) تاريخ الطبري ٨:٦٥- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- ٢) الكامل ٣:٤٠٩- [٢] دار النهضه-القاهره.

٣- ٣) عيون الأخبار ١:٤٦٢- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

٤- ٤) جمهره اللغه ١:٢٣٨- [٤] دار العلم للملايين-بيروت.

«أهليهم» قال ابن دريد حى خلوف: إذا غزا الرجال و بقى النساء (١).

«حتى يكون همّهم همّا واحداً فى جهاد العدو» قال المنصور لبعض قواده:

صدق الذى قال: «أجع كلبك يتبعك و سمّنه يأكلك» فقال له أبو العباس الطوسى: إن أجمته يلوّح له غيرك برغيف فيتبعه و يدعك.

«فإنّ عطفك عليهم يعطف قلوبهم عليك» زاد قبله فى روايه (التحف) «ثم و اتر أعلامهم ذات نفسك فى إيثارهم، و التكرمه لهم، و الإرصاء بالتوسعه، و حقّق ذلك بحسن الفعال، و الأثر و العطف» (٢).

فى (العقد) قالت الحكماء: أسوس الناس لرعيته من قاد أبدانها بقلوبها و قلوبها بخواطرها، و خواطرها بأسبابها من الرغبه و الرهبه (٣).

«و إنّ أفضل قره عين الولاه استقامه العدل فى البلاد، و ظهور موده الرعيه، و إنّه لا- تظهر مودّتهم إلّا بسلامه صدورهم» هذا الكلام بجملته من «و إن» إلى «صدورهم» نظير ما مرّ من قوله: «و ليس يخرج الوالى- إلى- فى ما خفّ عليه أو ثقل» فى كونه من كلامه عليه السّلام لكن ليس من النهج بشهاده (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و الخطيه به لخلوها عنه و هى النسخ الصحاحه من النهج، و إنّما أخذه بعضهم من روايه (التحف) فألحقه حاشيه بالنهج فخلطت (المصريه) أو من قبلها الحاشيه بالمتن مع تحريف «الاستفاضه» بالاستقامه (٤).

و كيف كان فى (تاريخ يعقوبى) قال الزهرى: دخلت يوماً على عمر بن عبد العزيز فبينما أنا عنده إذ أتاه كتاب من عامل أنّ مدينته قد احتاجت إلى مرمه، فقلت له: إن بعض عمال على بن أبى طالب عليه السّلام كتب إليه بمثل هذا،

ص: ٥٣٨

١- ١) جمهره اللغه ١:٦١٦- [١] دار العلم للملايين- بيروت.

٢- ٢) تحف العقول: ١٣٣.

٣- ٣) العقد الفريد ١:٢٦- [٢] دار الكتب العلميه- بيروت.

٤- ٤) تحف العقول: ١٣٣، حد: ٥١: ١٧.

فكتب عليه السلام إليه: «أما بعد فحَصَّنْهَا بِالْعَدْلِ، وَتَقَّ طَرَقَهَا مِنَ الْجَوْرِ» فكتب بذلك إلى عامله (١).

«و لا- تصحَّ نصيحتهم إلا بحيطتهم على ولاة الامور» هكذا في (المصريه) و الصواب: (أمورهم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

في (العقد) قال أردشير لابنه: إنَّ الملك و العدل لا غنى بأحدهما عن صاحبه فالملك اسَّ و العدل حارس، و ما لم يكن له أسَّ فمهدوم، و ما لم يكن له حارس فضائع. يا بنى اجعل حديثك مع أهل المراتب، و عطيتك لأهل الجهاد، و بشرك لأهل الدين، و سرِّك لمن عناه ما عناك من ذوى العقول.

و قالت الحكماء: ممَّا يجب على السلطان العدل في ظاهر أفعاله لإقامه أمر سلطانه، و في باطن ضميره لإقامه أمر دينه، فإذا فسدت السياسه ذهب السلطان و مدار السياسه كلُّها على العدل و الإنصاف، لا يقوم سلطان لأهل الكفر و الإيما ن إلا بهما، و لا يدور إلا عليهما مع ترتيب الامور مراتبها و إنزالها منازلها (٣).

و خطب سعيد بن سويد ب حمص فقال: أيُّها الناس! إنَّ الإسلام حائط منيع و باب و ثيق، فحائط الإسلام الحقَّ و بابه العدل، و لا يزال الإسلام منيعا ما اشتدَّ السلطان، و ليس اشتداد السلطان قتلا بالسيف و لا ضربا بالسوط، و لكن قضاء بالحق و أخذ بالعدل (٤).

«و قلَّ استئقال دولهم، و ترك استبطاء انقطاع مدتهم» في (العقد) كتب أبرويز لابنه شيرويه يوصيه: ليكن من تختاره لولايتك امراً كان في ضعه

ص: ٥٣٩

١-١ (١) تاريخ يعقوبى ٢:٣٠٦. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧:٥١. [٢]

٣-٣ (٣) العقد الفريد ١:٢٣- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

٤-٤ (٤) العقد الفريد ١:٢٧- [٤] دار الكتب العلميه بيروت-.

فرفعته أو ذا شرف كان مهملاً- فاصطنعته، ولا تجعله امرأ أصبته بعقوبه فاتضع لها و لا أحدا مَمَّن يقع بقلبه أن إزاله سلطانك أحب إليه من ثبوته (١).

و في (الأغاني): لَمَّا ظفر ابن الزبير بالعراق و أخرج عنها عمال بني اميه خرج ابن عبدل معهم إلى الشام، و كان مَمَّن يدخل على عبد الملك و يسمر عنده فقال له ليله:

يا ليت شعري- و ليت ربما نفعت- هل ابصرن بني العوام قد شملوا

بالذل و الأسر و التشريد انهم على البريه حتف حيثما نزلوا

أم هل أراك بأكتاف العراق و قد ذلت لعزك أقوام و قد نكلوا

فقال عبد الملك:

إن يمكن الله من قيس و من جرش و من جذام و يقتل صاحب الحرم

نضرب جماجم أقوام على حنق ضربا ينكل عنا ساير الامم (٢)

«فأفسح» أي: أوسع «في آمالهم و واصل في حسن الثناء عليهم» أي: أدم حسن الثناء عليهم واصل ثاني الثناء بالأول و هكذا «و تعديد ما أبلى ذوو البلاء منهم» أي: تفضل بالعد أفعالهم الحسنه.

في (كامل المبرد): قدم المهلب بعد ظفره بالخوارج على الحجاج فأجلسه إلى جانبه و أظهر إكرامه و برّه و قال: يا أهل العراق! أنتم عبيد المهلب، ثم قال: أنت و الله كما قال لقيط الأيادي:

و قلدوا أمركم لله دركم رحب الذراع بأمر الحرب مضطلعا

لا يطعم التوم إلا ريث يبعثه هم يكاد حشاه يقصم الضلعا

لا مترفا إن رخاء العيش ساعده و لا إذا عضّ مكروه به خشعا

ص: ٥٤٠

١- (١) العقد الفريد ١: ٢٧- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- (٢) الأغاني ٢: ٤٢٠- [٢] دار احياء التراث العربى.

ما زال يحلب هذا الدهر أشطره يكون متبعا طورا و متبعا

حتى استمرت على شزر مريرته مستحکم الرأي لا قحما و لا ضرعا

فقام إليه رجل فقال للحجاج: و الله لكأني أسمع الساعه قطريا و هو يقول في المهلب كما قال لقيط الأيادي، ثم أنشد هذه الأشعار  
فسر الحجاج به، حتى امتلأ سرورا (١).

«فإن كثره الذكر لحسن أفعالهم» هكذا في (المصريه) و الصواب: (فعالهم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).  
«تهزّ» أي: تحرّك.

«الشجاع» في مقاتل الطالبيين في حرب إبراهيم بن عبد الله الحسنی، قال المفضل الضبي: لما التحمت الحرب و اشتدت بينه و بين  
عسكر المنصور قال لي: حرّكني بشيء، فذكرت أبياتا لعوييف القوافي:

ألا يا أيها الناهي فزاره بعد ما أجدت بسير إنما أنت حالم

ترى كلّ حرّ أن يبيت بوتره و يمنع منه النوم إذ أنت نائم

أقول لفتيان كرام ترّوحوا على الجرد في أفواههنّ الشكائم

قفوا وقفه من يحيى لا يخز بعدها و من يخترم لا تتبعه اللوائم

و هل أنت إن باعدت نفسك منهم لتسلم في ما بعد ذلك سالم

فقال: أعد، و تبينت في وجهه أنه سيقتل، فتتبّعت و قلت: أو غير ذلك؟ قال: لا بل أعد الأبيات، فأعدتها، فتمطى في ركابيه، فقطعهما و  
حمل، فغاب عني، و أتاه سهم غائر، فقتله، و كان آخر عهدي به (٣).

ص: ٥٤١

١- ١) الكامل ٣: ٤٠٥- [١] دار النهضة- القاهرة.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٥٢. [٢]

٣- ٣) مقاتل الطالبيين: ٢٤٩. [٣]



«و تحرّض» أى: ترغّب.

«الناكل» أى: الجبان الضعيف.

«إن شاء الله» زاد بعده فى روايه (التحفة): «ثم لا- تدع أن يكون لك عليهم عيون من أهل الأمانه، والقول بالحقّ عند الناس، فيثبتون بلاء كلّ ذى بلاء منهم ليثق أولئك بعلمك ببلائهم» (١).

«ثم أعرف لكل امرىء منهم ما أبلى» فى (كامل المبرد): لما ظفر المهلب بالخوارج وجه كعب بن معدان الأشقرى إلى الحجّاج فقال له الحجّاج: أخبرنى عن بنى المهلب. قال: المغيره فارسهم و سيدهم و كفى بيزيد فارسا و شجاعا و جوادهم و سخيهم قبيصه، و لا- يستحى الشجاع أن يفر من «مدرك»، و عبد الملك سم ناقع، و حبيب موت زعاف، و محمد ليث غاب، و كفاك بالفضّل نجده قال: فكيف كانوا فيكم؟ قال: كانوا حماه السرح نهارا فإذا أليلوا ففرسان البيات قال: فأيّهم كان أنجد؟ قال: كانوا كالحلقه المفرغه لا يدرى أين طرفها (٢).

«و لا تضيفن» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و لا تضمّن) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه بل و فى روايه (التحفة) (٣).

«بلاء امرىء إلى غيره» فتكون ظلمت ذا البلاء.

«و لا تقصرن به دون غايه بلائه» زاد فى روايه (التحفة) «و كاف كلاً منهم بما كان منه، و اخصصه منك بهزّه» (٤).

فى (كامل المبرد): ان الحجّاج قال للمهلب- بعد ظفره بالخوارج و قدومه

ص: ٥٤٢

١-١) تحفة العقول: ١٣٣ و ١٣٤.

٢-٢) الكامل للمبرد ٣:٤٠٣- [١] دار النهضة-القاهره.

٣-٣) تحفة العقول: ١٣٤.

٤-٤) تحفة العقول: ١٣٤.

عليه-اذكر لى القوم الذين أبلوا،وصف لى بلاءهم.فذكرهم على مراتبهم فى البلاء و تفاضلهم فى الغناء،وقدم بنيه المغيره و يزيد و مدركا و حيبا و قبيصه و المفضل و عبد الملك و محمدا و قال:أنه و الله لو تقدّمهم أحد فى البلاء لقدّمته عليهم و لو لا أن أظلمهم لأخّرتهم.قال الحجاج:صدقت و ما أنت بأعلم بهم منى و ان حضرت و غبت،إنهم لسيوف من سيوف الله (١).

«و لا يدعوتك شرف امرىء إلى أن تعظم من بلائه ما كان صغيرا،و لا ضعه امرىء إلى أن تستصغر من بلائه ما كان عظيما» هذا الكلام فى غايه النفاسه،فإن أكثر الناس ينظرون إلى مراتب الرجال لا إلى مقادير الأعمال،و هو من سخافه عقولهم.

هذا و زاد فى روايه(التحف)«و لا يفسدّن امرأ عندك علّه إن عرضت له، و لا نبوه حديث له،قد كان له فيها حسن بلاء،فإن العزه لله يؤتیه من يشاء و العاقبه للمتقين،و إن استشهد أحد من جنودك،و أهل النكايه فى عدوك،فاخلفه فى عياله بما يخلف به الوصى الشفيق الموثق به،حتّى لا- يرى عليهم أثر فقده،فإنّ ذلك يعطف عليك قلوب شيعتك،و يستشعرون به طاعتك، و يسلسون لركوب معاريض التلف الشديد فى ولايتك» (٢).

«و أردد إلى الله و رسوله ما يضلّعك» أى:يثقلك ثقلا يميلك.قال الأعشى:

عنده البر و التّقى و أسى الصّدع و حمل لمضلع الأثقال

«من الخطوب» أى:الأمر العظيم،قال ابن دريد:الخطب،الأمر العظيم (٣)«و يشته عليك من الأمور،فقد قال الله تعالى)هكذا فى(المصريه)و الصواب:

ص:٥٤٣

١-١) الكامل للمبرد ٤٠٩:٣- [١]دار النهضه مصر-القاهره.

٢-٢) تحف العقول:١٣٤.

٣-٣) جمهره اللغه ٢٩١:١- [٢]دار العلم للملايين-بيروت.

(سبحانه) كما فى ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه (١).

«لقوم أحب ارشادهم: «يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله و أطيعوا الرسول و أولى الأمر منكم فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله و الرسول» (٢)، و بعده «إن كنتم تؤمنون بالله و اليوم الآخر ذلك خير و أحسن تأويلاً» (٣).

و زاد فى روايه (التحفة): «و قال تعالى: «و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم و لو لا فضل الله عليكم و رحمته لأتبعتم الشيطان إلا قليلاً» (٤).

«فالرد إلى الله الأخذ بمحكم كتابه، و الرد إلى الرسول الأخذ بسنته الجامعه غير المفرقه» و زاد فى روايه (التحفة): «و نحن أهل رسول الله صلى الله عليه و آله الذين نستنبط المحكم من كتابه، و نميز المتشابه منه، و نعرف الناسخ مِمَّا نسخ الله، و وضع إصره، فسر فى عدوك بمثل ما شاهدت منّا فى مثلهم من الأعداء» (٥).

و يظهر من كلامه عليه السلام أن الحجّه تنحصر فى محكم الكتاب و السنه المجمع عليها، و أن إجماع الناس على شىء من غير إحراز كونه سنّه، لا عبره به .

«ثم اختر للحكم بين الناس أفضل رعيك فى نفسك» فى (تاج الجاحظ): يقال إن سابور ذا الإكتاف لما مات موبدان موبد وصف له رجل من كوره إصطخر أنه يصلح لقضاء القضاء فى العلم و التأله و الأمانه، فوجه إليه فلما قدم دخل عليه و دعا بالطعام و دعاه إليه فدنا فأكل معه، فأخذ سابور دجاجة فنصفها

ص: ٥٤٤

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٥٢: ١٧. [١]

٢- ٢) النساء: ٥٩. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه. [٣]

٤- ٤) تحفة العقول: ١٣٤، و الآية ٨٣ من سورة النساء. [٤]

٥- ٥) تحفة العقول: ١٣٥.

و وضع نصفها بين يدي الرجل و نصفها بين يديه، و أومى إليه أن كل من الدجاجه و لا تخلط بها طعاما فإنه أمراً لطعامك و أخفّ على معدتك، و أقبل سابور على النصف فأكل كنجو ما كان يأكل، ففرغ الرجل من النصف قبل سابور ثم مدّ يده إلى طعام آخر و سابور يلحظه، فلما رفعت المائدة قال له:

و دّع و انصرف إلى بلدك، فإن سلفنا من الملوك كانوا يقولون: من شره بين يدي الملوك إلى الطعام كان إلى أموال الرعيه و السّوقه و الوجود أشدّ شرها.

«ممن لا تضيق به الأمور و لا تمحكه الخصوم» أى: يحملونه على اللجاج.

فى العقد: تنازع إبراهيم بن المهدي و بختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبى دؤاد القاضى فى مجلس الحكم فى عقار بناحية السواد، فزرى عليه إبراهيم و أغلظ له، فأحفظ ذلك القاضى فقال: يا إبراهيم! إذا نازعت أحدا فى مجلس الحكم فلا- تعلين ما رفعت عليه صوتا و لا تشر إليه بيد، و ليكن قصدك أمما و طريقك نهجا و ربحك ساكنه، و وفّ مجالس الحكومه حقوقها (1).

و فى (العيون): قال علقمه بن مرثد لمحارب بن دثار- و كان على القضاء- إلى كم تردد الخصوم؟ فقال: إننى و الخصوم كما قال الأعرشى:

أرقت و ما هذا السهاد المؤرق و ما بى من سقم و ما بى معشق

و لكن أرانى لا أزال بحادث اغادى بما لم يمس عندى و أطرق

و سأل رجل إياس بن معاويه عن مسأله فطوّل فيها فقال له إياس: إن كنت تريد الفتيا فعليك بالحسن معلمى و معلّم أبى، و إن كنت تريد القضاء فعليك بعبد الملك بن يعلى- و كان على قضاء البصره يومئذ- و إن كنت تريد الصلح فعليك بحميد الطويل- و تدرى ما يقول لك يقول لك: حطّ شيئا و يقول لصاحبك: زده شيئا حتى نصلح بينكما، و ان كنت تريد الشغب فعليك بصلح

ص: ٥٤٥

السدوسى و تدرى ما يقول، يقول لك: اجحد ما عليك، و يقول لصاحبك ادع ما ليس لك و ادع بينه غيبا (١).

و قال ابن أبى الحديد: ارتفعت جميله بنت عيسى -و كانت جميله كاسمها- مع خصم لها إلى الشعبى -و هو قاضى عبد الملك- ففضى لها، فقال هذيل الأشجعى:

فتن الشعبى لَمَا رفع الطرف إليها

فتنته بثناياها و قوسى حاجبيها

و مشت مشيا رويدا ثم هزت منكبيها

ففضى جورا على الخصم و لم يقض عليها

فقبض الشعبى عليه و ضربه ثلاثين سوطا، ثم انصرف يوما من مجلس القضاء و قد شاعت الأبيات و تناشدها الناس و جمع معه، فمّر بخادم تغسل الثياب و تقول «فتن الشعبى لَمَا» و لا تحفظ تتمه البيت، فوقف عليها و لقنها «رفع الطرف إليها»، ثم ضحك و قال: أبعده الله، و الله ما قضينا لها إلا بالحق (٢).

قلت: و فى (العقد) ان المرأه لَمَا أدلت بحجتها قال الشعبى للزوج: هل عندك من مدفع، فأنشأ «فتن الشعبى» الأبيات -ثم دخل الشعبى على عبد الملك فلَمَّا نظر إليه تبسّم و قال: «فتن الشعبى لَمَا رفع الطرف إليها» ثم قال له:

ما فعلت بقائل هذه الأبيات؟ فقال: أوجعته ضربا بما انتهك من حرمتى فى مجلس الحكومه و بما افترى به علىّ. قال: أحسنت.

«و لا يتمادى فى الزلّه» فى (مختلف أخبار ابن قتيبه) قال حمّاد بن يزيد:

ص: ٥٤٦

١-١) عيون الأخبار ١:٢٨- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٦٦:١٧-٦٧. [٢]

شهدت أبا حنيفة و قد سئل عن محرم لم يجد إزارا، فلبس سراويل، فقال: عليه الفديه. فقلت: سبحان الله، حدثنا عمرو بن دينار عن جابر بن يزيد عن ابن عباس قال سمعت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي الْمَحْرَمِ: إِذَا لَمْ يَجِدْ إِزَارًا لَبَسَ سَرَاوِيلًا، وَ إِذَا لَمْ يَجِدْ نَعْلَيْنِ لَبَسَ خَفَيْنِ. فقال: دعنا من هذا، حدثنا حماد عن إبراهيم أنه قال: عليه الكفاره (١).

«و لا يحصر» أي: لا يضيق صدرا (من الفيء) أي الرجوع.

«إلى الحق إذا عرفه» روى ابن قتيبه أيضا عن أبي عوانه قال: كنت عند أبي حنيفة، فسئل عن رجل سرق و ديا. فقال: عليه القطع. فقلت له: حدثنا يحيى بن سعيد عن ابن حبان عن رافع بن خديج عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: لَا قَطْعَ فِي ثَمَرٍ وَ لَا كَثْرَ. فقال: ما بلغني هذا. فقلت: فالرجل الذي أفتيته رده. قال: دعه، فقد جرت به البغال الشهب (٢).

«و لا تشرف نفسه على طمع» قال أبو عبد الله عليه السلام: الرشاء في الحكم هو الكفر بالله (٣).

«و لا يكتفى بأدنى فهم دون أقصاه» في الموضوعات و الأحكام، قال بعضهم: إذا أتاك الخصم و قد فقئت عينه فلا تحكم له حتى يأتي خصمه فلعله قد فقئت عيناه جميعا .

«و أوقفهم في الشبهات و آخذهم في الحجج» عن الشعبي قال: كنت جالسا عند شريح إذ دخلت عليه امرأة تشتكى زوجها و هو غائب و تبكى بكاء شديدا.

فقلت: ما أراها إلا مظلومه. قال: و ما علمك؟ قلت: لبكائها. قال: لا تفعل فإن إخوه

ص: ٥٤٧

١- ١) تأويل مختلف الحديث: ٥٢.

٢- ٢) تأويل مختلف الحديث: ٥٢.

٣- ٣) الكافي ١٢٧: ٥ ح ٣. [١]

يوسف جاءوا أباهم عشاء يبكون و هم له ظالمون (١).

«و أقلهم تبرّما» أي: ضجرا و ملالا.

«بمراجعة الخصم» في (العيون) قدم أياس الشام و كان غلاما فقدّم خصما له شيخا كبيرا إلى قاض لعبد الملك، فقال له القاضي: أ تقدّم شيخا كبيرا إليّ؟ فقال أياس: الحق أكبر منه. قال: اسكت. قال: فمن ينطق بحجتي؟ قال: ما أظنّك تقول حقا حتى تقوم. قال: أشهد ألا إله إلاّ الله. فقام القاضي فدخل على عبد الملك فأخبره بالخبر فقال: اقض حاجته و أخرج من الشام لا يفسد على الناس (٢).

«و أصبرهم على تكشّف الأمور» في (أذكياء ابن الجوزي) قال أبو السائب:

كان ببلدنا همدان رجل مستور فأحبّ القاضي قبول قوله، فسأل عنه فزكى له سرّا و جهرا، فراسله في حضور المجلس ليقبل قوله و أمر بأخذ خطّه في كتب ليحضر فيقيم الشهاده فيها، و جلس القاضي و حضر الرجل مع الشهود، فلما أراد إقامة الشهاده لم يقبله القاضي، فسئل عن سبب ذلك فقال: انكشف لي أنّه مرء فلم يسعني قبول قوله، فقيل له: و كيف؟ قال: كان يدخل إليّ في كلّ يوم فأعد خطواته من حيث تقع عيني عليه من داري إلى مجلسي، فلما دعوته اليوم للشهاده جاء فعددت خطاه من ذلك المكان فإذا هي قد زادت خطوتين أو ثلاثا فعلمت أنّه متصنّع فلم أقبله (٣).

«و أصرمهم» أي: أقطعهم.

«عند اتّضح الحكم» في (الأذكياء) أيضا: باع رجل من أهل خراسان

ص: ٥٤٨

١- ١) ربيع الأبرار ١: ٦٩٦- انتشارات الشريف [١] الرضى- قم.

٢- ٢) عيون الأخبار ١: ١٣٩- [٢] دار الكتب العلميه- بيروت.

٣- ٣) الأذكياء: ٨٠- دار الكتب العلميه بيروت-.

جمالاً- بثلاثين ألف درهم من وكيل زييده فمطله بثمانها،فأتى بعض أصحاب حفص بن غياث فشاوره فقال له:اذهب إليه فقل له:أعطني ألف درهم و أحيل عليك بالمال الباقي و أخرج إلى خراسان،فإذا فعل هذا فأتني حتى أشاور عليك.ففعل فأعطاه ألف درهم فرجع فأخبره،فقال:عد إليه فقل له:إذا ركبت غدا فطريقك على القاضي فأحضر و أوكل رجلا بقبض المال و أخرج فإذا جلس إلى القاضي فادع عليه بما بقى لك.ففعل،فحبسه القاضي فقالت زييده لهارون:قاضيك حبس و كيلى فمره لا ينظر فى الحكم،فأمر لها بالكتاب و بلغ حفصا الخبر فقال للرجل:أحضر لى شهودا حتى اسجل لك على الوكيل قبل ورود كتاب الخليفه،فحضر فقال للرجل:مكانك فلما فرغ من السجل أخذ الكتاب فقرأه فقال للخادم:قل للخليفه إن كتابه ورد و قد أنفذت الحكم (١).

«ممن لا يزدهيه» أى:لا يستخفه،قال عمر بن أبى ربيعه:

فلما توافقنا و سلمت أقبلت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا (٢)

«اطراء» أى:مدح،فى (الجهشياري):كان يحيى بن خالد يقول:لست ترى أحدا تكبر فى إماره إلا و قد دلّ على أن الذى نال فوق قدره،و لست ترى أحدا تواضع فى إماره إلا و هو فى نفسه أكثر ممّا نال فى سلطانه.

«و لا يستميله إغراء» أى:تحضيض و تحريص،فى (العيون)كان المغيره بن عبيد الله الثقفى قاضيا على الكوفه فأهدى إليه رجل سراجا من شبه و بلغ ذلك خصمه فبعث إليه ببغله،فلما اجتمعا عنده جعل يحمل على صاحب السراج و جعل صاحب السراج يقول:إن أمرى أضوء من السراج،فلما أكثر

ص:٥٤٩

١- ١) الأذكياء:٧٩-دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) لسان العرب ١٤:٣٦١، [١]ماده:(زها).



عليه قال: ويحك إن البغلة رمحت السراج فكسرتة (١).

«و أولئك قليل» و فى روايه (التحف): «فولّ قضاءك من كان كذلك و هم قليل» (٢).

و كلامه عليه السلام مأخوذ من قوله تعالى «وَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَ قَلِيلٌ مَا هُمْ» (٣).

«ثم أكثر تعاهد» و فى روايه (التحف) «تعهد» (٤).

«قضائه و افسح» أى: أوسع «له فى البذل ما يزيل» و فى روايه (التحف) «يزيح».

«علته» زاد فى (التحف) «و يستعين به» (٥).

«و تقلّ معه حاجته إلى الناس، و أعطه من المنزل له ليدىك ما لا- يطمع فيه غيره من خاصتك ليأمن بذلك اغتيال الرجال»  
أى: شرهم.

«له عندك فانظر فى ذلك نظرا بليغا فإنّ هذا الدين قد كان أسيرا فى أيدي الأشرار يعمل فيه بالهوى و يطلب به الدنيا».

قال ابن أبي الحديد: هذه إشارة إلى قضاء عثمان و حكّامه و أنّهم لم يكونوا يقضون بالحق عنده، بل بالهوى لطلب الدنيا، و أمّا أصحابنا فيقولون:

إنّ عثمان كان ضعيفا و استولى عليه أهله، و قطعوا الامور دونه، فإثمهم عليهم و عثمان برىء منهم (٦).

قلت: لم يعلم إرادته عليه السلام لخصوص زمان عثمان، و من أين إنّه لم يرد

ص: ٥٥٠

١- ١) عيون الأخبار ١١٤: ١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) تحف العقول: ١٣٥ و ١٣٦.

٣- ٣) ص: ٢٤.

٤- ٤) تحف العقول: ١٣٦.

٥- ٥) تحف العقول: ١٣٦.

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٦٠. [٢]

زمان جميع المتقدمين عليه، و تشهد له كلماته عليه السّلام فيهم في غير مقام، و منها في الشقشقيه، كما أن المسلم من ضعف عثمان عدم قدرته الدفع عن نفسه لما أجمع المهاجرون و الأنصار على قتله و استحلوا دمه و خذله معاويه لحبه صيروره دمه و سيله لنيل الأمر إليه، و أمّا استيلاء أهله عليه فلا فمن و لأهم و كان راضيا بأفعالهم حتى بفعل أخيه لامه الوليد بن عقبه الذى شرب و صلّى بالناس الصبح أربعاً فى سكره و غنى فى صلاته و تكلم فيها فقال للناس: ان شئتم أزيدكم الصبح على الأربع، فلم يرد إقامه الحد عليه بعد إقامه أهل الكوفه الشهود على شربه حتى اقامه أمير المؤمنين عليه السّلام عليه رغماً لأنفه.

و قال ابن عبد البر فى (استيعابه) قال الحسن البصرى: إن أبا سفيان دخل على عثمان حين صارت الخلافه إليه فقال: قد صارت إليك بعد تيم و عدى، فأدرها كالكره و اجعل أوتادها بنى اميه، فإنّما هو الملك و لا أدرى ما جنّه و لا نار... (١). و قد قبل منه عثمان ذلك فعلاً و ان رووا أنّه أنكر قوله فى الظاهر مقالا.

و قال ابن أبى الحديد نفسه فى موضع آخر: مرّ أبو سفيان أيام عثمان بقبر حمزه، فضر به برجله و قال: يا أبا عماره! إنّ الأمر الذى اجتلدنا عليه بالسيف، أمسى فى يد غلماننا اليوم يتلعبون به (٢).

و أما ما نقله عن أصحابه من كون إثمهم عليهم و عثمان لا إثم عليه، فقد قال محمد بن أبى بكر لمعاويه بن حديج لما أراد قتله و قال له: أقتلك بعثمان:

ما أنت و عثمان؟! إنّ عثمان عمل بالجور و نبذ حكم القرآن و قد قال تعالى

ص: ٥٥١

١-١ (١) الإستيعاب ٨٧: ٤. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٣٦: ١٦. [٢]

«وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (١) فنقمنا ذلك عليه فقتلناه و حسنت أنت له ذلك و نظراؤك فقد برّأنا الله تعالى-إن شاء الله-من ذنبه و أنت شريكه فى عظم ذنبه و جاعلك على مثاله .

«ثم انظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختبارا» فى (العيون) عن معمر: قال والى اليمن لابن شبرمه: قد دعيت لأمر عظيم للقضاء. قال: ما أيسر القضاء.

فقال له ابن شبرمه: فنسألك عن شىء يسير منه. قال: سل. قال: ما تقول فى ضرب بطن شاه حامل فألقت ما فى بطنها. فسكت الرجل فقال له: أنا بلوناك فما وجدنا عندك شيئا. قال: فما القضاء فيها. فقال: تقوم حاملا و حائلا و يغرم قدر ما بينهما (٢).

هذا، و(فيه أيضا) كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء فقال لرجل: ما تقول فى رجلين زوج كل واحد منهما الآخر أمه فولد لكل واحد امرأته ولد ما قرابه بين الوالدين، فلم يعرفها فقال له يحيى: كل واحد من الولدين عم الآخر لأمه (٣).

«و لا تولهم محاباه» قال (الجوهري): الحباء العطاء، قال الفرزدق: «و إليه

كان حبا جفنه ينقل»

و حابيته فى البيع محاباه (٤).

«و أثره» بفتحيتين، أى: استبدادا.

فى (العيون): السلطان الحازم ربما أحب الرجل فأقصاه و أطرحه مخافه ضره فعل الذى يلسع الحيه إصبغه فيقطعها لئلا ينتشر سمها فى جسده، و ربما أبغض الرجل فأكره نفسه على توليته و تقريبه لغناء يجده

ص: ٥٥٢

١-١ (١) المائدة: ٤٧. [١]

٢-٢ (٢) عيون الأخبار ١: ١٣١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣-٣ (٣) عيون الأخبار ١: ١٣١- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

٤-٤ (٤) الصحاح ٦: ٢٣٠٨. [٤]

عنده كتكاره المرء على الدواء البشع لنفعه.

و في (العقد)- في مجاوبه ابن عباس و معاويه- قال معاويه لابن عباس:

استعملك عليّ على البصره و قد استعمل أخاك عبيد الله على اليمن و استعمل أخاك قثما على المدينه، فلما كان من الأمر هنا تكم ما في أيديكم و لم أكشفكم عما وعت غرائزكم- إلى أن قال- فقال له ابن عباس: و أما استعمال عليّ عليه السلام إيانا فلنفسه دون هواه، و قد استعملت أنت رجالا لهواك لا لنفسك منهم ابن الحضرمي على البصره فقتل، و بسر بن أرطاه على اليمن فخان، و الضحاك بن قيس الفهري على الكوفه فحصب، و لو طلبت ما عندنا وقينا أعراضنا (١).

«فانهم» هكذا في (المصريه) و هو غلط و الصواب: (فانهما) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢)، و الضمير راجع إلى المحاباه و الأثره، و به صرح في روايه (التحف ففيه): «فإن المحاباه و الأثره» (٣).

«جماع من شعب الجور و الخيانه» و في روايه (التحف) «جماع الجور و الخيانه، و إدخال الضروره على الناس، و ليست تصلح الأمور بالإدغال» (٤).

في (العيون): قدم بعض عمال السلطان من عمل فدعا قوما فأطعمهم و جعل يحدثهم بالكذب، فقال بعضهم: نحن كما قال عزّ و جلّ: «سَمَاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ» (٥).

و فيه: ولى حارثه بن بدر «سرق» فكتب إليه أبو الأسود الدؤلي:

أحار بن بدر قد وليت ولايه فكن جرذا فيها تخون و تسرق

و بارز تميما بالغنى إن للغنى لسانا به المرء الهيوبه ينطق

ص: ٥٥٣

١- ١) العقد الفريد ٤: ٩٣- [١] دار الكتب العلميه- بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٦٨.

٣- ٣) تحف العقول: ١٣٧.

٤- ٤) تحف العقول: ١٣٧.

٥- ٥) عيون الأخبار ١: ١٢٢- [٢] دار الكتب العلميه- بيروت، و الآية من سوره المائده: ٤٢. [٣]

فان جميع الناس اما مكذب يقول بما يهوى و اما مصدق

يقولون أقوالا و لا يعلمونها و ان قيل هاتوا حقوقا لم يحققوا

و لا تحقرن يا حار شيئا أصبته فحظك من ملك العراقين سرق

فقال حارثه: لا يعمى عليك الرشد (١).

و كان عبيد الله بن أبي بكره قاضيا و كان يميل فى الحكم إلى اخوانه، فقيل له فى ذلك فقال: و ما خير رجل لا يقطع من دينه لإخوانه (٢)؟! و فى (كامل الجزرى): ان أهل إفريقيه كانوا أطوع أهل البلدان إلى زمن هشام و كانوا يقولون: لا نخالف الأئمه بما يجنى العمّال، فقال لهم أهل العراق الذين دبّوا فيهم: إنّما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا: حتى نختبرهم، فخرج ميسره فى بضع و عشرين رجلا فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم، فدخلوا على الأبرش فقالوا: أبلغ الخليفه أنّ أميرنا يغزو بنا و بجنده فإذا غنمنا نفلهم و حرمننا و يقول: هذا أخلص لجهادكم، و إذا حاصرنا مدينه قدّمنا و آخرهم و يقول: هذا ازدياد فى الأجر، ثم إنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعوا يبقرون بطونها عن سخالها يطلبون الفراء الأبيض للخليفه فيقتلون ألف شاه فى جلد فاحتملنا ذلك، ثم إنهم سامونا أن يأخذوا كلّ جميله من نباتنا فقلنا: لم نجد هذا فى كتاب و لا سنّه و نحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم أ عن رأى الخليفه هذا؟ فطال عليهم المقام و نفدت نفقاتهم فرجعوا و خرجوا على عامل هشام فقتلوه و استولوا على إفريقيه (٣).

و فى (المروج): ركب أحمد بن الخصيب وزير المنتصر ذات يوم فتظلم

ص: ٥٥٤

- 
- ١-١) عيون الأخبار ١:١٢٤- [١] دار الكتب العلميه-بيروت، معجم البلدان للحموى ٣:٢١٤ [٢] بتفصيل أكثر و تغيير فى ترتيب الأبيات، إضافه إلى أبيات جوابيه لحارثه. فراجعها إن شئت.
- ٢-٢) عيون الأخبار ١:١٣٨- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.
- ٣-٣) الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى ٩٢:٣-٩٣، (٤) عام ٢٧).

إليه متظلم بقصه، فأخرج رجله من الركاب فرجّ بها في صدر المتظلم فقتله (١)، فتحدّث الناس بذلك فقال بعض الشعراء:

قل للخليفة يا ابن عمّ محمّد أشكل وزيرك إنّه ركّال

(و فيه): كان المنصور جالسا في مجلسه المبنى على طاق باب خراسان من مدينته مدينه المنصور مشرفا على دجله - و كان بنى على كلّ باب من أبواب المدينه فى الأعلى من طاقه المعقود مجلسا يشرف منه على ما يليه من البلاد أولها باب الدوله باب خراسان ثم باب الشام ثم باب الكوفه ثم باب البصره كل تلقاء بلده - يوما إذ جاءه سهم عائر حتى سقط بين يديه، فذعر فأخذه فإذا عليه مكتوب «همذان منها رجل مظلوم فى حبسك» فبعث من فوره ففتشوا الحبوس فوجدوا شيخا فى بنيه من الحبس فيه سراج يسرج و على بابه باريه مسبله، و إذا الشيخ موثق بالحديد متوجه نحو القبله يردد «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٢) فسألوه عن بلده فقال «همذان» فحمل و وضع بين يدي المنصور فسأله فقال: أنا رجل من أرباب نعم همذان، ولى ضيعه فى بلدى تساوى ألف ألف درهم أراد و إليك أخذها منى فامتنعت فكبلنى فى الحديد و حملنى و كتب إليك إنّه عاص فطرحت فى هذا المكان. فقال:

منذكم؟ قال: منذ أربعه أعوام، فأمر بفكّ الحديد عنه و قال له: رددت عليك ضيعتك بخراجها ما عشت و عشت (٣).

«و توحّ» أى: تحرّ.

«منهم أهل التجربه و الحياء من أهل البيوتات الصالحه و القدم فى الإسلام

ص: ٥٥٥

١- ١) مروج الذهب ٤: ٤٨. [١]

٢- ٢) الشعراء: ٢٢٧. [٢]

٣- ٣) مروج الذهب ٣: ٢٨٧-٢٨٨. [٣]

المتقدمه) صفه القدم بفتحتين فإنها مؤنث، قال ذو الرّمه:

لكم قدم لا ينكر الناس أنّها مع الحسب العادى تطمّ على البحر

فى (ابن خلكان): لّمّا ولى عمر بن عبد العزيز الخلافه كتب إليه طاوس:

إن أردت أن يكون عملك خيرا كلّه فاستعمل أهل الخير. فقال عمر: كفى بى موعظه (١).

«فإنّهم أكرم أخلاقا و أصحّ أعراضا و أقلّ فى المطامع اشرافا و أبلغ فى عواقب الامور نظرا» زاد فى روايه (التحف) «من غيرهم فليكونوا أعوانك على ما تقلدت» (٢).

فى (العيون): أحضر الرشيد رجلا ليوليه القضاء فقال له: إننى لا احسن القضاء و لا أنا فقيه. فقال له: فيك ثلاث خصال: لك شرف و الشرف يمنع صاحبه من الدناءه، و لك حلم يمنعك من العجله و من لم يعجل قلّ خطأه، و أنت رجل تشاور فى أمرك و من شاور كثر صوابه، و أما الفقه فسينضم إليك من تتفقه به، فولى فما وجدوا فيه مطعنا (٣).

و فى (الجهشياري): كان يحيى بن خالد يقول لولده: لا بدّ لكم من كتاب و عمّال و أعوان فاستعينوا بالأشرف، و إيّاكم و سفله الناس فإنّ النعمه على الأشرف أبقى و هى بهم أحسن و المعروف عندهم أشهر و الشكر منهم أكثر.

و فى (الطبرى): قال إسحاق بن إبراهيم الموصلى: قال لى المعتصم: فى قلبى أمر أنا مفكّر فيه منذ مدّه طويله. فقلت: يا سيدى إفاّننى إنّما عبدك و ابن عبدك. قال: نظرت إلى أخى المأمون و قد اصطنع أربعة أنجبوا، و اصطنعت أنا

ص: ٥٥٤

١- ١) وفيات الأعيان ٥٠٩: ٢- [١] دار صادر-بيروت.

٢- ٢) تحف العقول: ١٣٧.

٣- ٣) عيون الأخبار ٧١: ١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

أربعة لم يفلح أحد منهم. قلت: و من الذين اصطنعهم أخوك. قال: طاهر بن الحسين، فقد رأيت و سمعت، و عبد الله بن طاهر فهو الرجل الذى لم ير مثله، و أنت فأنت و الله لا يعتاض السلطان منك أبدا، و أخوك محمد و أين مثل محمد، و أنا اصطنعت الافشين فقد رأيت إلى ما صار أمره، و اشناس ففشل آيه، و إيتاخ فلا شىء، و وصيف فلا معنى فيه. فقلت: أجيب على أمان من غضبك؟ قال: قل: قلت: نظر أخوك إلى الأ-صول فاستعملها فأنجبت فروعها، و استعملت فروعها لم تنجب إذ لا أصول لها. قال: يا إسحاق! المقاساه ما مرّ بى من طول هذه المده أسهل على من هذا الجواب (١).

«ثم أسبغ» أى: أكمل.

«عليهم الأرزاق فإن ذلك قوّه لهم على استصلاح أنفسهم و غنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم و حجّه عليهم إن خالفوا أمرك أو ثلموا» أى: أوقعوا خلا.

«أمانتك» فى (العيون) كان بعض ملوك العجم إذا شاور مرزبته فقصّير فى الرأى دعا الموكّلين بأرزاقهم فعاقبهم فيقولون تخطىء مرزبتهك و تعاقبنا؟! فيقول: نعم. إنهم لم يخطئوا إلا لتعلّق قلوبهم بأرزاقهم و إذا اهتموا أخطئوا، و كان يقول: إن النفس إذا أحرزت قوتها اطمأنت (٢).

«ثم تفقد أعمالهم و ابعث العيون من أهل الصدق و الوفاء عليهم فإنّ تعاهدك فى السرّ لأمرهم حدوده» أى: سوق لهم.

«على استعمال الأمانه و الرفق بالرعيه» فى (تاريخ اليعقوبى): كتب أمير المؤمنين إلى كعب بن مالك: أمّا بعد فاستخلف على عملك و اخرج فى طائفه من أصحابك حتى تمرّ بأرض كوره السواد فتسأل عن عمّالى و تنظر

ص: ٥٥٧

١-١) تاريخ الطبرى ١٢٢:٩- [١] دار سويدان-بيروت.

٢-٢) عيون الأخبار ٨٧:١- [٢] دار الكتب العلميه بيروت-.



سيرتهم فيما بين دجله و العذيب، ثم ارجع إلى البهقباذات فتولّ معونتها و اعمل بطاعه الله في ما ولاك منها، و اعلم أنّ كل عمل ابن آدم محفوظ عليه مجزى به، فاصنع خيرا-صنع الله بنا و بك خيرا-و أعلمنى الصدق فيما صنعت (١).

«و تحفظ» بلفظ الأمر من التحفظ.

«من الأعوان فإن أحد منهم بسط يده خيانه اجتمعت بها عليه عندك أخبار عيونك اكتفيت بذلك شاهدا فبسطت عليه العقوبه في بدنه، و أخذته بما أصاب من عمله» شرط عليه السلام اجتماع أخبار العيون ليأمن بذلك من التصنّع.

و في (وزراء الجهشيارى): صرف المنصور خالد بن برمك عن الديوان و قلده أبا أيوب و قلده خالد فارس، فأقام بها خالد سنين و أبو أيوب يسعى عليه و يحضّ المنصور على مكروهه و يسعى به ليسقطه من عينه لأنه كان يعرف فيه من الفضل ما يتخوفه على محله و أن يرده المنصور إلى الديوان الذى كان يتقلده، فلما كثر ذلك على المنصور صرف خالد عن فارس و نكبه و ألزمه ثلاثه ألف درهم فلم يكن عنده إلا سبعمائه ألف درهم، فصدقه عن ذلك فلم يصدقه و أمر بمطالبته بالمال فأسعفه صالح صاحب المصلّى بخمسين ألف دينار و أسعفه مبارك التركى بألف ألف درهم و وجهت الخيزران بجوهر قيمته ألف ألف و مائتا ألف درهم رعايه للرضاع بين الفضل ابن ابنه و بين هارون ابنها، و اتصل ذلك بالمنصور فتحقق عنده قوله أنه لا يملك إلا ما حكى، فصفح له عن المال فشق ذلك على أبي أيوب و أحضر بعض الجهابذه و دفع إليه مالا و أمره أن يعترف أنه لخالد، و دسّ إلى المنصور من سعى بالمال، فأحضر الجهبذ فسئل عن المال فاعترف به فأحضر خالد فسأله عن ذلك فحلف أنه لم

ص: ٥٥٨

يجمع مالا قط و لا آذخره و أنه لا يعرف هذا الجهيد و دعا إلى كشف الحال.

فتركه المنصور بحضرته و أحضر النصراني فقال له: أتعرف خالدا إن رأيتَه؟ قال: نعم. فالتفت المنصور إلى خالد و قال: قد أظهر الله براءتك و هذا مال أصبناه بسبيك. ثم قال للنصراني: هذا الجالس خالد فكيف لم تعرفه. فقال، الأمان و أخبره الخبر، فكان بعد ذلك لا يقبل من أبي أيوب شيئا في خالد....

و أما مع الاجتماع فلا تحصل التوطئه.

في (الجهشياري): كان موسى بن عيسى الهاشمي يتقلد للرشيد و كثر التظلم منه و اتصلت السعايات به، و قيل أنه قد استكثر من العبيد و العده، فقال الرشيد ليحيى: اطلب لي كتابا عفيفا يكمل لمصر و يستر خبره فلا- يعلم موسى حتى يفجأه قال: قد وجدته. قال: من هو؟ قال: عمر بن مهران- و كان يكتب للخيزران و لم يكتب لغيرها قط و كان من عينيه أحول مشوه الخلق خسيس اللباس- فأمر بإحضاره فعزفه يحيى ما جرى و راح به الرشيد. قال:

فاستدناني و نحى الغلمان و أمرني أن استر خبري حتى افاجيء موسى فأتسلم العمل منه. فأعلمته أنه لا يقرأ لي ذكرا في كتب أصحاب الأخبار حتى اداني مصر. ثم كتب لي كتابا بخطه إلى موسى بالتسليم، فعدت إلى منزلي فخرجت منه من غد بكره على بغله لي و معي غلام أسود على بغل استأجرته معه خرج فيه قميص و مبطنه و طيلسان و شاشيه و خف و مفرش صغيره، و اكترت لثلاثه من أصحابي أثق بهم ثلاثه أبغل مياومه و ليس يعرف أحد خبري من أهل البلدان التي أمر بها في نزولي و نفوذى، حتى وافيت الفسطاط فنزلت جنابا و خرجت منه و حدى في زى متظلم تاجر، فدخلت دار الإمارة و ديوان البلد و بيت المال و سألت و بحثت عن الأخبار و جلست مع المتظلمين و غيرهم، فمكثت ثلاثه أيام أفعل ذلك حتى عرفت جميع ما احتجت إليه، فلما

نام الناس فى ليله اليوم الرابع دعوت أصحابى فقلت للذى أردت استكتابه على الديوان: قد رأيت مصر و قد استكتبتك على الديوان فبكر إليه فاجلس فيه، فإذا سمعت الحركة فاقبض على الكاتب و وكل به و بالكتاب و الأعمال و لا يخرج أحد من الديوان حتى أوافيك، و دعوت بآخر فقلدته بيت المال و أمرته بمثل ذلك، و قلدت الآخر عملاً بالحضره، و بكرت فلبست ثيابى و وضعت الشاشيه على رأسى و مضيت إلى دار الإمارة، فأذن موسى للناس إذنا عاماً فدخلت فيمن دخل، فإذا موسى على فرش و القواد و قوف عن يمينه و شماله و الناس يدخلون فيسلمون و يخرجون و أنا جالس بحيث يرانى و يقيمنى حاجبه ساعه بساعه و يقول لى تكلم بحاجتك، فأعتل عليه حتى خف الناس، فدنوت منه و أخرجت إليه كتاب الرشيد فقبله و وضعه على عينه ثم قرأه فامتقع لونه و قال: السمع و الطاعة تقرأ أبا حفص السلام و تقول له ينبغى أن تقيم بمنزلك حتى نعد لك منزلاً يشبهك و يخرج غدا أصحابنا يستقبلونك فتدخل مدخل مثلك فقلت له: أنا عمر بن مهران و قد أمرنى الخليفه بإقامتك للناس و انصاف المظلوم منك و أنا فاعل ذلك، فمن أوضح ظلامته و وجب له عليك حق غرمته عنك من مالك، و من وجدته كاذباً عاملته بحسب ما يستحقه.

فقال: أنت عمر بن مهران. قلت: نعم. فقال: لعن الله فرعون حيث يقول: «أليس لى ملك مصر» و اضطرب الصوت فى الدار فقبض كاتبى على الديوان و صاحبى الآخر على بيت المال و ختما عليهما و وردت عليه رقاع أصحاب أخباره بذلك، فنزل عن فرشه و قال: لا إله إلا الله هكذا تقوم الساعه، ما ظننت أن أحدا بلغ من الحزم و الحيله ما بلغت، قد تسلمت الأعمال و أنت فى مجلسى. ثم نهضت إلى الديوان فقطعت أمور المتظلمين منه و أزلت ظلاماتهم.

«ثم نصبته» أى: أقمته.

«بمقام الذلّه و وسّمته» من وسم دابته بالميسم، قال الفرزدق:

لقد قلّدت جلف بني كليب مواسم في السوالف ثابتات

أيضا:

إنّي امرؤ أسم القصائد للعدا إنّ القصائد شرّها أغفالهـا (١)

«بالخيانه و قلّدتّه» أي: جعلته كقلاده في عنقه.

«عار التّهمه» في (العيون): قرأت في كتاب أبرويز إلى ابنه: اجعل عقوبتك على اليسير من الخيانه كعقوبتك على الكثير منها، فإذا لم يطمع منك في الصغير لم يجترىء عليك في الكبير (٢).

و قرأت أن ابرويز قال لصاحب بيت المال: إنّي لا أحتملك على خيانه درهم ولا أحمدك على حفظ ألف ألف درهم لأنك إنّما تحقن بذلك دمك و تعمر به أمانتك فإنّك إن خنت قليلا خنت كثيرا.

و في (وزراء الجهشيارى): حكى أنّ الجور كثر في أيام أنوشروان، فقال له موبدان: أيها الملك! إنّي سمعت فقهاءنا يقولون: إنّه متى لم يغمر العدل الجور في بلده ابتلى أهلها بعدوّ يغزوهم، و خيف تتابع الآفات، و قد خفنا ذلك بشيء فشا من الجور، فنظر أنوشروان في ذلك فاستقرّ عنده أنّ ظلما و جورا قد جرى، فصلب ثمانين رجلا، من الكتّاب خمسين، و من العمّال ثلاثين.

هذا، و صديّقهم كان بالصدّد من ذلك، فإن سيفه خالد بن الوليد قتل مسلما ظلما و زنى بامرأته فابلق صديقهم بعض من مع خالد هذه الخيانه العظمى التي لا خيانه أعظم منها، فغضب على المبلّغ و ردّه إلى الخائن. و حتى أن عمر مع كونه كنفس واحده مع أبي بكر أنكر ذلك عليه و ألح عليه في

ص: ٥٦١

١-١) أساس البلاغه: ٤٩٩، [١] مادة: (وهم).

٢-٢) عيون الأخبار ١: ١٢٤-١- [٢] دار الكتب العلميه-بيروت.

مؤاخذه خالد فلم يفعل أبو بكر و قال: لا أشيم هذا السيف.

ففى (الطبرى): ان خالدًا لما قتل مالك بن نويرة و قال له أبو قتاده هذا عملك زبره خالد فغضب أبو قتاده و أتى أبا بكر فغضب عليه أبو بكر حتى كلمه عمر فيه فلم يرض إلا- أن يرجع إلى خالد، فرجع إلى خالد حتى قدم المدينة مع خالد- إلى أن قال- و أقبل خالد قافلا حتى دخل المسجد و عليه قباء له عليه صدا الحديد معتجرا بعمامه له قد عرز فى عمامته أسهما، فلما أن دخل المسجد قام إليه عمر فانترع الأسهم من رأسه فحطمها ثم قال له: قتلت امرأ مسلما ثم نزوت على امرأته، و الله لأرجمنك بأحجارك، و خالد لا- يكلمه و لا- يظن إلا أنّ رأى أبى بكر على مثل رأى عمر فيه، حتى دخل على أبى بكر فلما أن دخل عليه أخبره الخبر و اعتذر إليه فعذره أبو بكر و تجاوز عمّا كان فى حربته تلك، فخرج خالد حين رضى أبو بكر عنه و عمر جالس فى المسجد فقال لعمر:

هلمّ إلىّ يا ابن امّ سلمه، فعرف عمر أن أبا بكر قد رضى عنه فلم يكلمه و دخل بيته (١).

«و تفقد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ فى صلاحه و صلاحهم صلاحا لمن سواهم، و لا صلاح لمن سواهم إلاّ بهم، لأنّ الناس كلّهم عيال على الخراج و أهله» .

فى (العيون) قرأت فى كتاب أبرويز إلى ابنه شيرويه: انتخب لخراجك أحد ثلاثة: إمّا رجلا يظهر زهدا فى المال و يدعى ورعا فى الدين فإنّ من كان كذلك عدل على الضعيف و أنصف من الشريف و وفرّ الخراج و اجتهد فى العماره، فإن هو لم يرع و لم يعفّ إبقاء على دينه و نظرا لأمانته كان حرّيا أن يخون قليلا- و يوفر كثيرا استسرارا بالزياء و اكتتاما بالخيانة، فإن ظهرت على ذلك منه عاقبته على ما خان و لم تحمده على ما وفرّ، و إن هو جلع فى الخيانة

ص: ٥٦٢

و بارز بالرّياء نكّلت به في العذاب و استنظفت ماله مع الحبس، و إمّا رجلا عالما بالخراج غتّيا في المال مأمونا في العقل، فيدعوه علمه بالخراج إلى الإقتصاد في الجلب و العماره للأرضين و الرفق بالرعيه، و يدعوه غناه إلى العفه، و يدعوه عقله إلى الرغبه فيما ينفعه و الرهبه ممّا يضرّه، و إمّا رجلا عالما بالخراج مأمونا بالأمانه مقترا من المال فتوسّع عليه في الرزق فيغتنم لحاجته الرزق، و يستكثر لفاخته اليسير، و يزجي بعلمه الخراج، و يعفّ بأمانته عن الخيانه (1).

هذا، و في كتاب (فضل هاشم على عبد شمس) للجاحظ قال هاشم: لو لم يكن من بركه دعوتنا إلا أنّ تعذيب الامراء لعمال الخراج بالتعليق و الرهق و التجريد و التسهير و المسال و النوره و الجورتين و العذراء و الجامعه و التشطيب قد ارتفع لكان ذلك خيرا كثيرا .

«و ليكن نظرك في عماره الأرض أبلغ من نظرك في استجلاب الخراج، لأنّ ذلك لا يدرك إلا بالعماره، و من طلب الخراج بغير عماره أخرج البلاد و أهلكت العباد و لم يستقم أمره إلا قليلا» في (الجهشياري): في عهد سابور بن أردشير ابنه: و اعلم أنّ قوام الملك بدرور الخراج و دروره بعماره البلاد، و بلوغ الغايه في ذلك يكون باستصلاح أهله بالعدل عليهم و المعاونه لهم، فإنّ بعض الامور لبعض سبب، و عوام الناس لخواصهم عده، و بكلّ صنف منهم إلى الآخر حاجه، فاختر لذلك أفضل من تقدر عليه من كتابك و ما يكونوا من أهل البصر و العفاف و الكفايه، و أسند إلى كلّ امرئ شقصا يضطلع به...

و في (المروج): أقبل بهرام بن بهرام بن هرم بن سابور بن أردشير في أول ملكه على القصف و اللذات و الصيد و النزّه لا يفكر في مهلكه و لا ينظر في

ص: ٥٦٣

أمر رعيته، وأقطع الضياع لخواصه و من لاذ به من خدمه و حاشيته، فخربت الضياع و خلت من عمّارها، فقلّت العماره إلا ما أقطع من الضياع و سقطت عنهم المطالبه و الخراج بممايله الوزراء و خواص الملك، و كان تدبير الملك مفضّلاً إلى وزرائه، فخربت البلاد و قلّ ما فى بيوت الأموال فضعف القوى من الجنود و هلك الضعيف منهم، فلما كان فى بعض الأيام ركب الملك إلى بعض متزهاته و صيده فجئته الليل و هو يسير نحو المدائن - و كانت ليله قمراء - فدعا بالموبدان لأمر خطر بياله فلحق به و سايره و أقبل على محادثته مستخبراً له عن سير أسلافه، فتوسطوا فى مسيرهم خرابات كانت من أمهات الضياع قد خربت فى مملكته و لا أنيس بها إلا البوم، و إذا بوم يصيح و آخر يجاوبه من بعض تلك الخرابات، فقال الملك للموبدان: أ ترى أحداً من الناس اعطى فهم منطوق هذا الطير المصوّت فى هذا الليل الهادىء. فقال له الموبدان: أنا ممّن خصه الله بفهم ذلك، فقال له: فما يقول هذا الطائر؟ و ما الذى يقول الآخر؟ قال الموبدان: هذا بوم ذكر يخاطب بومه و يقول لها: أمتعيني من نفسك حتى يخرج منّا أولاد يسبحون الله و يبقى لنا فى هذا العالم عقب يكثرون ذكرنا و الترحّم علينا، فأجابته البومه: إن الذى دعوتنى إليه هو الحظّ الأكبر إلا أنّى اشترط عليك خصالاً. قال: و ما تلك؟ قالت: اولاها أن تعطيني من خرابات أمهات الضياع عشرين قرية ممّا قد خرب فى أيام هذا الملك السعيد. فقال له الملك: فما الذى قال لها الذكر؟ قال: قال: إن دامت أيام هذا الملك السعيد أعطيتك ممّا يخرب من الضياع ألف قرية فما تصنعين بها؟ قالت: نقطع كلّ واحد من أولادنا قرية من هذه الخرابات. قال لها: هذا أسهل أمر فهاتى ما بعد ذلك. فلما سمع الملك هذا الكلام من الموبدان استيقظ من نومه و فكّر فيما خوطب به، فنزل من ساعته و خلا بالموبدان فقال له: أيّها القيمّ بالدين

و الناصح للملك، اكشف لى عن هذا الغرض الذى رميت. قال: أيها الملك! إن الملك لا يتمّ عزّه إلاّ بالشريعة و القيام لله بطاعته و التصرف تحت أمره و نهيه، و لا- قوام للشريعة إلاّ- بالملك، و لا عزّ للملك إلاّ بالرجال، و لا قوام للرجال إلاّ بالمال، و لا سبيل للمال إلاّ بالعماره، و لا سبيل للعماره إلاّ بالعدل، و العدل الميزان المنصوب بين الخلق نصبه الرب. قال الملك: أمّا ما وصفت فحق فأبن لى عمّا تقصد، و أوضح لى فى البيان. قال نعم أيها الملك. عمدت إلى الضياع فانترعتها من أربابها و عمّارها و هم أرباب الخراج و من يؤخذ منهم الأموال فأقطعها الحاشيه و الخدم و أهل البطانه، فعمدوا إلى ما تعجّل من غلاتها و تركوا العماره و النظر فى العواقب و ما يصلح الضياع، و سومحوا فى الخراج لقربهم من الملك و وقع الحيف على من بقى من أرباب الخراج و عمّار الضياع فانجلوا عن ضياعهم و رحلوا عن ديارهم و اووا إلى ما تعزّز من الضياع بأربابه فسكنوه، فقلّت العماره و خربت الضياع و قلّت الأموال فهلكت الجنود و الرعيه و طمع فى ملكنا من طاف بها من الامم لعلمهم بانقطاع المواد التى بها تستقيم دعائم الملك. فلما سمع الملك ذلك أقام فى موضعه ثلاثا و أحضر الوزراء و الكتّاب و أرباب الدواوين، و أحضرت الجرائد فانترعت الضياع من أيدي الخاصه و الحاشيه، و ردّت على أربابها على رسومهم السالفه، و أخذوا فى العماره فأخصب البلاد و كثرت الأموال عند جبايه الخراج، و قويت الجنود و قطعت مواد الأعداء و شحنت الثغور، و أقبل الملك يباشر الامور بنفسه فى كلّ وقت، فحسنت أيامه حتى كانت تدعى عيدا لَمّا عمّ الناس من الخصب و شملهم من العدل (1).

و قال ابن أبى الحديد: رفع إلى أنوشروان أنّ عامل الأهواز قد حمل من

ص: ٥٦٥



مال الخراج ما يزيد على العاده-و ربّما يكون ذلك قد أجحف بالرعيه-فوقّع بردّ هذا المال على من استوفى منه، فإنّ تكثير الملك ماله بأموال رعيته بمنزله من يحصن سطوحه بما يقتلعه من قواعد بنيانه (١).

«فإنّ شكوا ثقلا في الخراج، أو علّه أو انقطاع شرب أو بالّه» أي: قلّه شرب، يقال ما في سقائه بلال، و هو ما يبلّ به، و يقال: «لا يبلّك عندى بالّه» أي: لا يصيبك منى شيء حتى قليل، و فسره (ابن أبي الحديد) بالمطر (٢) فلا بدّ أنّه قرأها مجروره عطفا على «شرب» و لم نقف على من فسر الباله بالمطر.

و كيف كان فروايه (التحف) خاليه من الكلمه كما أنها بدلت ب «أو انقطاع شرب» بقوله «من انقطاع شرب» و هو الأصح حتى يكون انقطاع الشرب كالذي بعده «إحاله الأرض» بيانا للعله، ففي الروايه «فإن كانوا شكوا ثقلا أو علّه من انقطاع شرب أو إحاله أرض» (٣).

«أو إحاله أرض» أي: تغيّرها عن سابقها.

«اغتمرها غرق أو أجحف» أي: أضربّ و ذهب.

«بها عطش خفت» جواب «فإن شكوا».

«عنهم بما ترجو أن يصلح به أمرهم» و زاد في روايه (التحف). «و إن سألوا معونه على إصلاح ما يقدرون عليه بأموالهم فاكفهم مئونه، فإنّ في عاقبه كفايتك إياهم صلاحا» (٤).

و في (تاريخ يعقوبى): «إنّه عليه السّلام كتب إلى قرظ بن كعب الأنصاري: أمّا بعد فإنّ رجلا من أهل الذّمّه من عملك ذكروا نهرا في أرضهم قد عفى و اذفن

ص: ٥٦٦

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١٧:٧١. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ١٧:٧٢. [٢]

[٣-٣] تحف العقول: ١٣٨.

[٤-٤] تحف العقول: ١٣٨.

و فيه لهم عماره على المسلمين فانظر أنت و هم و اعمر و أصلح النهر، فلعمري لئن يعمرُوا أحبَّ إلينا من أن يخرجوا و أن يعجزوا أو يقصروا في واجب من صلاح البلاد (١).

في (وزراء الجهشيارى): زاد الماء في أيام الرشيد-و كان غائبا في بعض متصدياته-و يحيى البرمكى ببغداد، فركب يحيى و معه القواد ليفرقهم على المواضع المخوفة من الماء يحفظونها، ففرق القواد و أمر بإحكام المسنّيات و صار إلى الدور فوقف ينظر إلى قوّه الماء و كثرته، فقال قوم: ما رأينا مثل هذا المدّ. فقال يحيى: قد رأيت مثله في سنه كان أبو العباس أبى قد وجهنى عماره بن حمزه في أمر رجل كان يعنى به من أهل خراسان و كانت له ضياع بالرّى، فورد عليه كتابه يعلمه أن ضياعه تحيقت فخرت، و إنّ نعمته قد نقصت و إنّ صلاح أمره في تأخيره بخراجه لسنته-و كان مبلغه مائتى ألف درهم- ليتقوى بها على عماره ضيعته و يؤديه في السنه المستقبليه، فلمّا قرأ الكتاب غمّه و بلغ منه و كان بعقب ما ألزمه المنصور من المال الذى خرج عليه فخرج به عن كلّ ما يملكه و استعان بجميع إخوانه فيه، فقال لى: يا بنى! من هاهنا يفرع إليه في أمر هذا الرجل فقلت: لا- أدرى. فقال: بلى. عماره بن حمزه، فصر إليه و عرفه حال الرجل، فصرت إليه و قد مدت دجله و كان ينزل الجانب الغربى، فدخلت عليه و هو مصطجع على فراشه، فأعلمته ذلك فقال: قف لى غدا بباب الجسر. و لم يزد على ذلك فنهضت ثقيل الرجلين و عدت إلى أبى بالخبر.

فقال: يا بنى تلك سجيّته، فإذا أصبحت فاغد لموعده، فغدوت فوقفت بباب الجسر و قد جاءت دجله تلك الليله بمدّ عجيب قطع الجسور و انتظم الناس من الجانبين جميعا ينظرون إلى زياده الماء، فيينا أنا واقف أقبل زورق و الموج

ص: ٥٦٧

يخفيه مره و يظهره اخرى و الناس يقولون: غرق غرق نجا نجا، حتى دنا من الشاطيء فإذا عماره و ملاح معه و قد خلف غلمانه و دوابه فى الموضوع الذى ركب منه، فلما رأته نبل فى عينى و ملأ صدرى، فنزلت فعدوت إليه و قلت:

جعلت فداك فى هذا اليوم! و أخذت بيده. فقال: أ كنت أعدك و اخلف يا بن أخى، اطلب لى برذونا أتكاراه. فقلت له: فاركب برذونى. قال: فأى شىء تركب. قلت:

برذون الغلام. فقال: هات فركب و توجه يريد أبا عبيد الله و هو إذ ذاك على الخراج، و المهدى ببغداد خليفه للمنصور و المنصور فى بعض أسفاره، فلما طلع عماره على حاجب أبى عبيد الله دخل بين يديه إلى نصف الدار، فلما رآه أبو عبيد الله قام من مجلسه و أجلسه فيه و جلس بين يديه، فأعلمه عماره حال الرجل و سأله إسقاط خراجه و هو مائتا ألف درهم، و إسلامه من بيت المال مائتى ألف درهم يردّها فى العام المقبل. فقال، هذا لا - يمكننى، و لكننى أؤخره بخراجه إلى العام المقبل. فقال: لست أقبل غير ما سألت. فقال له: فاقنع بدونه لتوجد لى السبيل إلى قضاء الحاجه، فأبى عماره و تلوم أبو عبيد الله قليلا، فنهض عماره فأخذ أبو عبيد الله بكّمه و قال: إننى أتحمل ذلك من مالى، فعاد لمجلسه و كتب أبو عبيد الله إلى عامل الخراج بإسقاط خراج الرجل لسنته و الاحتساب به على أبى عبيد الله و إسلافه مائتى ألف درهم ترتجع منه العام المقبل، فأخذت الكتاب و خرجنا، فقلت: لو أقتت عند أخيك و لم تعبر فى هذا المد. فقال: لست أجد بدا من العبور، فصرت معه إلى الموضوع و وقفت حتى عبر .

«و لا يثقلنّ عليك شىء خفت به المئونه عنهم فأنه ذخر يعودون به عليك فى عماره بلادك و تزيين و لايتك مع استجلابك حسن ثنائهم و تبجحك» بتقديم الجيم أى: تفاخرك، يقال «النساء يتباحجن فيما بينهن» إذا

تفاخرن بينهن بعد حظوتهن.

«باستفاضه» أى: شيوخ العدل.

«فيهم» .

فى (الجهشيارى): قال الجاحظ قال ثمامه: كان أصحابنا يقولون: لم يكن يرى لجلس خالد البرمكى دار إلا و خالد بناها له، و لا ضيعه إلا و خالد ابتاعها له، و لا ولد إلا و خالد ابتاع امه إن كانت أمه أو أدى مهرها إن كانت حره، و لا دابه إلا و خالد حمله عليها اما من نتاجه أو من غير نتاجه، و كان أول من سمى المستمحين الزوار، و كانوا من قبل يسمون السؤال، فقال: أستقبح لهم هذا الاسم و فيهم الأحرار و الأشراف، فقال بعضهم:

حذا خالد فى جوده حذو برمك فجود له مستطرف و أثيل

و كان بنو الأعلام يدعون قبله باسم على الأعدام فيه دليل

فسماهم الزوار ستر عليهم فاستاره فى المجتدين سدول

«معتمدا فضل قوتهم» الظاهر كون «معتمدا» حالا من «خففت».

«بما ذخرت عندهم من إجمامك» أى: إراحتك، من أجمّ الفرس إذا ترك أن يركب، أو من «استجمّ البئر» إذا تركها حتى يجتمع ماؤها.

«و التّقه منهم» الظاهر كونه عطفًا على «فضل قوتهم».

«بما عوّدتهم من عدلك عليهم فى رفقك بهم» .

فى (وزراء الجهشيارى): كان أهل الخراج قبل خلافة المهدي يعذبون بصنوف من العذاب من السباع و الزنابير و السنانير، فلما تقلد الخلافة شاور محمد بن مسلم- و كان خاصًا به- فيهم فقال له: هذا موقف له ما بعده و هم غرماء المسلمين فالواجب أن يطالبوا مطالبه الغرماء، فتقدم المهدي إلى وزيره أبى عبيد الله بالكتاب إلى جميع العمال برفع العذاب عن أهل الخراج .

«فربما حدث من الامور ما إذا عوّلت فيه عليهم من بعد احتملوه طيبه أنفسهم به» لتخفيفك المئونه عنهم و إفاضه العدل فيهم و تسيبيك عمران بلادهم «فإن العمران محتمل ما حملته» من الأثقال.

و في (المروج) في مكاتبات أردشير التي حفظت هذه: من أردشير بن بهمن ملك الملوك إلى الكتاب الذين بهم تدير المملكة، و الفقهاء الذين هم عماد الدين، و الأساوره الذين هم حماه الحرب، و الحرّاث الذين هم عمره البلاد.

سلام عليكم. قد رفعنا أتاوتنا عن رعينتنا بفضل رأفتنا و رحمتنا، و نحن كاتبون إليكم بوصيه فاحفظوها، و لا تستشعروا الحقد فيكم فيدهمكم العدو، و لا- تحبوا الاحتكار فيشملكم القحط، و كونوا لأبناء السبيل مأوى ترووا غدا في المعاد، و تزوجوا في الأقارب فإنه أمس للرحم و أقرب للنسب، و لا تركنوا للدنيا فإنها لا تدوم لأحد، و لا تهتموا لها فلم يكن إلا ما شاء الله، و لا ترفضوها مع ذلك فإن الآخره لا تنال إلا بها (١).

«و إنما يؤتى خراب الأرض من إعواز» أي: افتقار.

«أهلها، و إنما يعوز أهلها لإشراف أنفس الولاة على الجمع و سوء ظنهم بالبقاء» على العمل.

«و قلّه انتفاعهم بالعبر» من الدنيا.

و زاد في روايه (التحف) «فاعمل فيما وليت عمل من يحب أن يدخر حسن الثناء من الرعيه، و المثوبه من الله تعالى، و الرضا من الإمام، و لا قوه إلا بالله» (٢).

في (الطبرى): كتب عمر بن عبد العزيز إلى عبد الحميد أنّ أهل الكوفه قد

ص: ٥٧٠

١-١ (١) مروج الذهب ٢٧٢: ١. [١]

٢-٢ (٢) تحف العقول: ١٣٨.

أصابهم بلاء و شدّه و جور في أحكام الله و سنّه خبيثه استنّها عليهم عمّال السوء، و أنّ قوام الدين، العدل و الإحسان، فلا يكوننّ شىء أهمّ إليكم من نفسكم فإنّه لا- قليل من الإثم، و لا تحمل خرابا على عامر و لا عامرا على خراب، انظر الخراج فخذ منه ما أطاق و أصلحه حتى يعمر، و لا يؤخذ من العامر وظيفه الخراج إلّا في رفق، و لا تأخذنّ في الخراج إلّا وزن سبعة ليس لها آيين، و لا أجور الضرايين و لا هديه النيروز و المهرجان، و لا ثمن الصحف و لا أجور الفيوج و لا أجور البيوت، و لا دراهم النكاح و لا خراج على من أسلم (١).

و في (الجهشياري): كان الحجّاج حمل إلى عبد الملك هديه و مالا عظيما، فلمّا نظر إلى المال و الهديه قال: هذا و الله الأمانة و الحزم و النصيحة، إني استعملت هذا- و أشار إلى خالد بن عبد الله بن أسيد- على البصره فاستعمل كلّ فاسق فجبى عشره و اختان تسعه و رفع إلى هذا درهما و دفع هذا من الدراهم إلى سدسا، و استعملت هذا- و أشار إلى أخيه اميه- على خراسان و سجستان فبعث إلى بمفتاح من ذهب زعم أنّه مفتاح مدينه، و بفيل و برذونين حطيمين، و استعملت الحجّاج ففعل كذا فإن استعملتكم ضيّعتم و إذا عزلتكم قلتكم قطع أرحامنا، فقال خالد: استعملتني على البصره و أهلها رجلا من مطيع ناصح و مخالف مشايخ، فأما المطيع فإني جزيته بطاعته فازداد رغبه، و أما المخالف فإني داويت عداوته و استللت ضغينته و حشوت صدره و دّاء، و علمت أنّي متى اصلح الرجال أجب الأموال، و استعملت الحجّاج فجبى لك الأموال و كنز العداوه في قلوب الرجال فكأنّك بالعداوه التي كنزها قد ثارت و أنفقت الأموال و لا مال و لا رجال. فسكت عبد الملك، فلمّا كان هيج الجماجم جلس عبد الملك على باب ذى الأكارع و معه خالد يندب الناس إلى الفريضة و يتأمل

ص: ٥٧١

خالدًا و يذكر قوله و يضحك «ثم انظر في حال كتابك» زاد في روايه (التحفة): «فاعرف حال كل امرئ منهم فيما يحتاج إليه منهم، فاجعل لهم منازل و رتبًا» (١).

«فول على أمورك خيرهم، و اخصص رسائلك التي تدخل فيها مكائدهك و أسرارك بأجمعهم» أي: أكثرهم جمعًا متعلق بقوله «و اخصص».

«لوجود صالح الأخلاق» و في روايه (التحفة): «صالح الأدب» و زاد بعده «ممن يصلح للمناظره في جلائل الامور من ذوى الرأى و النصيحة و الذهن، أطواهم عندك لمكنون الأسرار كشحا» (٢).

«ممن لا تبطره» أي: لا تحمله على شدة المرح.

«الكرامه» منك له، و زاد في روايه (التحفة) «و لا تمحق به الداله» (٣).

«فيجتري بها عليك في خلاف لك بحضره ملاء» في روايه (التحفة) «فيجتري بها عليك في خلاء، أو يلتمس إظهارها في ملاء» و روايته أنسب من روايه النهج، و الظاهر أن «في خلاف» في النهج محرف «في خلاء» و ان «لك بحضره» مصحف «أو يلتمس اظهارها في» كما لا يخفى.

في (الطبرى): ظفر المنصور برجل من كبار بنى اميه فقال له: من أين أتى بنو اميه حتى انتشر أمرهم. قال: من تضييع الأخبار.

و قالوا: الملوكة تحتل كل شيء إلا التعرض للحرمه و القدح في الملك و إفشاء السر.

في (وزراء الجهشيارى): كان عبد الله بن سعد بن أبى سرح يكتب للنبي صلى الله عليه و آله ثم ارتد و لحق بالمشركين و قال: إن محمدا ليكتب بما شئت، فسمع

ص: ٥٧٢

١-١ تحفة العقول: ١٣٨.

٢-٢ تحفة العقول: ١٣٩.

٣-٣ تحفة العقول: ١٣٩.

بذلك رجل من الأنصار فحلف بالله إن أمكنه الله منه ليضربنه ضربه بالسيف، فلما كان يوم فتح مكة جاء به عثمان إلى النبي صلى الله عليه وآله - وكان بينهما رضاع- وقال: أقبل تائبا والأنصاري يطيف به و معه سيفه، فأعاد عليه عثمان القول فمد النبي يده فبايعه وقال للأنصاري: لقد تلومتك أن توفي بنذرك. فقال: هلا أو مضت إلي. فقال صلى الله عليه وآله: لا ينبغي لي أن اومض.

و في (الإستيعاب) أنه لما ارتدّ قال لقريش بمكة: إني كنت أصرف محمدا حيث أريد، كان يملئ علي «عزيز حكيم» فأقول أو «عليم حكيم» فيقول:

نعم كلّ صواب (١).

«و لا تقصر به الغفله عن ايراد مكاتبات عمالك عليك و إصدار جواباتها على الصواب: عنك فيما يأخذ لك» من الناس.

«و يعطى منك» لهم.

«و لا يضعف عقدا اعتقده» أي: عقده.

«لك و لا يعجز عن اطلاق» أي: حل.

«ما عقد عليك و لا يجهل مبلغ قدر نفسه في الامور فإنّ الجاهل بقدر نفسه يكون بقدر غيره أجهل» .

في (وزراء الجهشيارى): كانت ملوك فارس تسمى كتياب الرسائل تراجمه الملوك، و كانوا يقولون لهم: لا- تحملكم الرغبة و تخفيف الكلام على حذف معانيه و ترك ترتيبه و الإبلاغ فيه و توهين حججه، و كان الرسم جاريا في أيام الفرس أن تجتمع أحداث الكتياب من نشأتهم بباب الملوك متعرضين للأعمال، فيأمر الملك رؤساء كتيابه بامتحانهم و التفتيش عن عقولهم، فمن ارتضى منهم عرض عليه اسمه و أمر بملازمه الباب ليستعان به، ثم يأمر

ص: ٥٧٣



الملك بضمتهم العمال و تصريفهم فى الأعمال و تنقلهم على قدر آثارهم و كفاياتهم من حال إلى حال حتى ينتهى بكل واحد منهم إلى ما يستحقه من المنزله، و لم يكن يتهياً لأحد ممن عرفه الملك و عرض عليه اسمه أن يتصرف مع أحد من الناس إلا عن أمر الملك و إذنه، و كانت الملوك تقدم الكتاب و تعرف فضل صنعه الكتابه و تحظى أهلها لما يجمعونه من فضل الرأى إلى الصناعه و تقول هم نظام الامور و كمال الملك و بهاء السلطان، و هم الألسنه الناطقه عن الملوك و خزّان أموالهم و أمنائهم على رعيّتهم و بلادهم، و كان ملوك فارس إذا أنفذوا جيشاً أنفذوا معه وجهاً من وجوه كتابهم و أمروا صاحب الجيش ألاّ يحل و يرتحل إلاّ برأيه يبتغون بذلك فضل رأى الكاتب و حزمه، ثم يقول الملك للكاتب المندوب للنفوذ معه: قد علمت أن الأساوره سباع الإينس و إنه لا- عقوبه عليهم إلاّ- فى خلع يد عن طاعه أو فشل عن لقاء أو هرب من عدو و ما سوى ذلك فلا لوم عليهم فيه، و عليك أعتمد فى تدبير هذا الجيش. فينفذ الكاتب مدبراً له فإذا احتاج إلى مكاتبه بإعذار أو إنذار أو إخبار أو استخبار كتب فيه عن صاحب الجيش .

«ثم لا يكن اختيارك إيّاهم على فراستك» بكسر الفاء الاسم من قولك «تفرّست فيه خيراً» «و استنامتك» أى: سكونك سكون النائم.

«و حسن الظن منك، فإنّ الرجال يتعرّفون لفراسات الولاة بتصنّعهم و حسن خدمتهم و ليس وراء ذلك من النصيحه و الأمانه شىء» .

فى (الطبرى): لمّا هزم أبو مسلم عبد الله بن على و جمع ما كان فى عسكره من الأموال صيّره فى حظيره- و كان أصاب عينا و متاعاً و جوهرًا كثيرًا- فكان منشوراً فى تلك الحظيره و وكل بحفظها قائداً من قواده، قال أبو حفص الأزدى: فكنت فى أصحابه فجعلها نواب بيننا، فكان إذا خرج رجل من

الحظيره فتشه، فخرج أصحابي يوما من الحظيره و تخلفت، فقال لهم الأمير:

ما فعل أبو حفص؟ فقالوا: هو في الحظيره، فجاء فاطلع من الباب و فطنت له فتزعت خفي و هو ينظر فنفضتها و هو ينظر و نفضت سراويلي و كمي ثم لبست خفي و هو ينظر، ثم قام و قعد في مجلسه و خرجت فقال: ما حبسك؟ قلت: خير، فخلا- بي فقال: قد رأيت ما صنعت فلم صنعت هذا. قلت: إن في الحظيره لؤلؤا مثورا و دراهم مثوره و نحن نتقلب عليها، فخفت أن يكون قد دخل في خفي منها شيء، فتزعت جوربي و خفي فأعجبه ذلك و قال: انطلق، فكنت أدخل الحظيره مع من يحفظ فأخذ من الدراهم فأجعل بعضها في خفي و يخرج أصحابي فيفتشون و لا افتش حتى جمعت مالا (1).

و في (وزراء الجهشيارى): كان سليمان بن عبد الملك ولى الخراج بمصر رجلا من موالى معاويه يقال له اسامه بن زيد من أهل دمشق- و كان كاتباً بليغاً- فبلغه أن عمر بن عبد العزيز يغمض عليه في سيرته، فقدم على سليمان بمال اجتمع عنده و توخى وقتنا يكون فيه عمر عند سليمان، فقال لسليمان: إنني ما جئتك حتى نهكت الرعيه و جهدت، فإن رأيت أن ترفق بها و ترفه عليها و تخفف من خراجها ما تقوى به على عماره بلادها و صلاح معاشها فافعل فإنه يستدرك ذلك في العام المقبل. فقال له سليمان: هبلك أمك احلب الدر فإذا انقطع فاحلب الدم. فخرج اسامه فوقف لعمر حتى خرج فقال له: بلغني أنك تدمني، سمعت مقالتي لابن عمك و ما رد علي. فقال: سمعت كلام رجل لا يعنى عنك من الله شيئاً، فلما توفي سليمان كتب عمر و هو على القبر بعزله .

«و لكن اختبرهم بما ولوا للصالحين قبلك فاعمد» أي: اقصد.

ص: ٥٧٥

«لأحسنهم كان في العامه أثرا و أعرفهم بالأمانه وجها فإن ذلك» أي: عمدك لمن وصف.

«دليل على نصيحتك لله و لمن وليت أمره» .

قال ابن أبي الحديد: قالوا: ليس الحرب الغشوم بأسرع في اجتياح الملك من تضييع مراتب الكتاب حتى يصيبها أهل النذاله، و يزهد فيها أولو الفضل (١).

«و اجعل لرأس كل أمر من أمورك رأسا منهم لا- يقهره كبيرها و لا- يتشتت عليه كثيرها» في (الوزراء) كان لملوك فارس ديوانان: أحدهما ديوان الخراج و الآخر ديوان النفقات. و من عهد سابور بن اردشير إلى ابنه «و أسند إلى كل امرئ من كتابك شقفا يضطلع به و يمكنه الفراغ منه».

«و مهما كان في كتابك من عيب فتغايبت» أي: تغافلت.

«عنه ألزمته» يعني يصير ذلك العيب لازما لك دون كاتبك.

في (الجهشياري)- في عهد سابور بن اردشير إلى ابنه- ليس شيء أفسد لسائر العمال و الكتاب إلى خراب أماناتهم و هلاك ما تحت أيديهم من جهاله الملك و قلّه معرفته بحالهم، و تركه مكافأه المحسن بإحسانه و المسيء بإساءته فأكثر الفحص.

(و فيه): كان الفضل و الحسن ابنا سهل -و المأمون ولي عهد- عند بعض الخدم المتقلدين للأعمال من قبل الرشيد، فدخل على الخادم فتى كان يلي له شيئا، فلما رآه ضحكك ثم قال له: هذه مشيه تعلمتها بعدك فانظر أهي أحسن أم ما كنت أمشي حتى أنتقل عنها، ثم غير مشيته و جاء فجلس فأتى برعونات كثيره، فلم يزل الخادم يحتال له حتى خرج ثم قال لهما: ان بعض

ص: ٥٧٦

الناس يحب أن يظهر خاصيه ليست له، فلما خرجا من عنده قال الحسن للفضل: تعذب نفسك ثلاثين سنه من ذى قبل بالصيانه و المروه و طلب الأدب و مثل هذا يلي الأعمال. فقال له الفضل: لو حمل هذا على الصلاح- و ضرب استه بالدره- خرج منه عون صدق، ان الناس جميعا لو حملوا على صلاح صلحوا و لكنهم يؤتون من قله التفقد و الترك بغير أدب.

و حكى أنّ الفضل ولى إنسانا شيئا فأساء فيه فأمر بحمله ف ضرب استه بالدره ثم قال له: أدبتك بهذا فإن صلحت و إلا أطر حناك.

هذا، (و فيه): أمر الرشيد لحمدونه باقطاع غله مائه ألف درهم و ألف ألف درهم صلح، فصار كاتبها بالتوقيع إلى ديوان الضياع ففارقهم على برّ دافعهم عنه و لم يف لهم بحمله، فزاد بعضهم فى التوقيع عند موضع الواو من «و ألف ألف درهم» ألفا فصارت «أو ألف ألف درهم» فذكر الكاتب ذلك لحمدونه فشكته إلى الرشيد فقال لها: أحسب ان كاتب هذا لجاهل لم يبر الكتاب و أعاد التوقيع و أمرها أن ترضيهم.

(و فيه) دخل الرشيد على أمّ جعفر فقال لها: قد تهتكت كاتب سعدان فاعزليه. قالت: و بأى شىء تهتكت. قال: بالمرافق و الرشا حتى قال فيه الشاعر:

صب فى قنديل سعد مع التسليم زيتا و قنديل بنيه قبل أن تحفى الكميّتا

قالت: و قال الشاعر فى كاتبك أبى صالح أشنع. قال: و ما قال؟ قالت: قال:

قنديل سعد على ضوئه خرج لقنديل أبى صالح

تراه فى مجلسه أخواصا من لمححه للدرهم اللائح

فقال لها: كذب علىّ كاتبى و كاتبك.

و قيل: انها قالت هذا الشعر فى تلك الساعه.

«ثم استوص بالتجار و ذوى الصناعات» كالحَدَّادِينَ و الصَّفَّارِينَ و الصَّائِغِينَ و النَّسَّاجِينَ و الخِيَّاطِينَ و النَّدَّافِينَ و غيرهم.

«و أوص بهم خيراً، المقيم منهم و المضطرب بماله» و أصل المضطرب المضطرب فقلب التاء طاء كما هو القاعده فى الافتعال من مثله، و المراد منه الضرب فى الأرض بماله، و لذا جعل مقابل المقيم، و منه مال المضاربه.

«و المترقِّق ببدنه» كعمله البناء الذين يحصلون ببدنهم مرافق الإنسان فى سكناه، و قال تعالى فى الجنه و النار «و حَسِبْتُمْ مُرْتَفِقًا» (١) «و سَاءَتْ مُرْتَفِقًا» (٢).

«فانهم» أى: التجار و ذوى الصناعات و المترقِّقين بأبدانهم.

«مواد المنافع و أسباب المرافق» و قال تعالى حاكياً عن أهل الكهف «فَأُوتُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرُ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَ يَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقًا» (٣).

فى (الكافى) عنه عليه السلام: إن الله تعالى يحب المحترف الأمين.

و إن سدير الصيرفى قال للباقر عليه السلام: بلغنى أن الحسن البصرى كان يقول: لو على دماغه من حرّ الشمس ما استظلّ بحائط صيرفى، و لو تفرّث كبده عطشاً لم يستسق ماء من دار صيرفى - و إني الصيرفى عملى و تجارتي و فيه نبت لحمى و دمي و منه حجى و عمرتى. فقال عليه السلام: كذب الحسن. خذ سواء و أعط سواء، فإذا حضرت الصلاه فمدع ما بيدك و انهض إلى الصلاه، أما علمت أن أصحاب الكهف كانوا صيارفه (٤).

ص: ٥٧٨

١- ١) الكهف: ٣١. [١]

٢- ٢) الكهف: ٢٩. [٢]

٣- ٣) الكهف: ١٦. [٣]

٤- ٤) الكافى ١١٣: ٥-١ و ٢. [٤]

و عن الصادق عليه السلام:التجاره تزيد في العقل،و تسعه أعشار الرزق في التجاره (١).

«و جلابها» أى:جلاب المرافق.

«من المباعد» جمع المبعد المكان البعيد «و المطارح» جمع المطرح، و الأصل فيه المكان الخفض، و هو كناية عن المكان الصعب و يعتبر عنه في الفارسيه بقولهم «پرتگاه» و قال ذو الرمه:

أَلْمَا بَمَيِّ قَبْلَ أَنْ تَطْرَحَ النُّوَى بِنَا مَطْرَحًا أَوْ قَبْلَ بَيْنِ يَزِيلِهَا (٢)

«في برك و بحرك» في الخبر:إن معلى بن خنيس سأل الصادق عليه السلام عن سفر البحر فقال:كان أبى يقول:إنه يضرب بدينك هو ذا الناس يصيبون أرزاقهم و معيشتهم (٣).

«و سهلك و جبلك» و في الخبر:إن رجلا قال للباقر عليه السلام:إننا نتجر إلى هذه الجبال فنأتى منها على أمكنه لا نقدر أن نصلى إلا على الثلج.فقال:ألا تكون مثل فلان يرضى بالدون و لا يطلب تجاره لا يستطيع أن يصلى إلا على الثلج (٤)؟ «و حيث لا يلتئم الناس لمواضعها و لا- يجترونها عليها» زاد في روايه (التحف)«من بلاد أعدائك من أهل الصناعات التي أجرى الله الرفق منها على أيديهم،فاحفظ حرمتهم،و آمن سبلهم،و خذلهم بحقوقهم» (٥).

قال ابن بطوطه في (رحلته)-و العهده عليه-و بين بلغار و أرض الظلمه

ص:٥٧٩

١-١ (١) الكافي ١٤٨:٥-٢ و ٣. [١]

٢-٢ (٢) أساس البلاغه:٢٧٧ [٢] طرح.

٣-٣ (٣) الكافي ٢٥٧:٥ ح ٥. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٢٥٧:٥ ح ٦. [٤]

٥-٥ (٥) تحف العقول:١٤٠.

أربعون يوماً و السفر إليها لا يكون إلا في عجلات صغار تجرّها كلاب كبار، فإنّ تلك المفازة فيها الجليد فلا يثبت قدم الآدمي و لا حافر الدابة فيها، و الكلاب لها الأظفار فتثبت أقدامها في الجليد، و لا يدخلها إلا الأقوياء من التجار الذين يكون لأحدهم مائه عجله أو نحوها موفره بطعامه و شرابه و حطبه فإنها لا شجر فيها و لا حجر و لا مدر، و الدليل بتلك الأرض هو الكلب الذي قد سار فيها مرارا كثيره، و تنتهي قيمته إلى ألف دينار و نحوها، و تربط العربيه إلى عنقه و يقرن معه ثلاثه من الكلاب و يكون هو المقدم و تتبعه سائر الكلاب بالعربات، فإذا وقف و قفت، و هذا الكلب لا يضربه صاحبه و لا ينهره و إذا حضر الطعام أطعم الكلاب أولا قبل بني آدم و إلا غضب الكلب و فرّ و ترك صاحبه للتلف.

فإذا كملت للمسافرين بهذه الفلاة أربعون مرحله نزلوا عند الظلمه و ترك كل واحد منهم ما جاء به من المتاع هنالك و عادوا إلى منزلهم المعتاد، فإذا كان من الغد عادوا لتفقد متاعهم، فيجدون بإزائه من السمّمور و السنجاب و القاقم، فإن رضى صاحب المتاع ما وجده أزاء متاعه أخذه و إن لم يرضه تركه فيزيدونه و ربّما رفعوا-أى أهل الظلمه-متاعهم و تركوا متاع التجار و هكذا بيعهم و شراؤهم و لا يعلم الذين يتوجهون إلى هنالك من يبايعهم و يشاريهم أمن الجن هو أم من الانس، و لا يرون أحدا. و القاقم هو أحسن أنواع الفراء و تساوى الفروه منهم ببلاد الهند ألف دينار، و صرفها من ذهبنا مائتان و خمسون، و هى شديده البياض من جلد حيوان صغير فى طول الشبر و ذنبه طويل يتركونه فى الفروه على حاله. و السمّمور دون ذلك تساوى الفروه منه أربعمائه دينار فما فوقها، و من خاصّيته هذه الجلود أنّها لا يدخلها القمل، و أمراء الصين و كبارها يجعلون منه الجلد الواحد متصلا بفرواتهم

عند العنق و كذلك تجار فارس و العراقين.

«فإنهم سلم لا تخاف بائقته» أى: شرّه.

«و صلح لا تخشى غائلته» أى: داهيته و منكريته بخلاف سلم الدول و صلحهم فقد يتفق فيهما بائقه و غائله .

«فتفقد أمورهم بحضرتك و فى حواشى» أى: جوانب.

«بلادك، و اعلم مع ذلك» أى: مع ما يترتب على وجودهم من الفوائد.

«أن فى كثير منهم ضيقا فاحشا و شحا» أى: بخلا.

«قبيحا، و احتكارا» أى: حبسا.

«للمنافع و تحكما فى البياعات» من دون رعايه ميزان للربح.

«و ذلك باب مضره للعامة» أى: العموم.

«و عيب على الولاة» .

روى (الكافى) أن أبا عبد الله عليه السّلام أعطى مولى له يقال له مصادف ألف دينار و قال له تجهّز حتى تخرج إلى مصر فإن عيالى قد كثروا، فتجهّز بمتاع و خرج مع التجار إلى مصر، فلما دنوا منها استقبلتهم قافله خارجة منها، فسألوهم عن المتاع الذى معهم ما حاله فى المدينة- و كان متاع العامه- فأخبروهم أنه ليس بمصر منه شىء، فتحالفوا على أن لا ينقصوا متاعهم من ربح الدينار ديناراً فلما انصرفوا دخل مصادف عليه عليه السّلام و معه كيسان فى كلّ واحد ألف دينار، فقال له عليه السّلام: هذا رأس المال و هذا الآخر ربح. فقال: ان هذا الربح كثير و لكن ما صنعتم فى المتاع، فحدّثه كيف صنعوا و كيف تحالفوا، فقال: سبحان الله تحلفون على قوم مسلمين ألاّ تبعوهم إلاّ بربح الدينار ديناراً. ثم أخذ أحد الكيسين و قال: هذا رأس مالى و لا حاجه لى فى هذا الربح،



ثم قال: يا مصادف! مجالده السيوف أهون من طلب الحلال (١).

«فامنع من الاحتكار فإن رسول الله صَلَّى الله عليه وآله منع منه» روى (الكافي) أن حكيم بن حزام كان إذا دخل الطعام المدينة اشتراه كله، فمَرَّ عليه النبي صَلَّى الله عليه وآله فقال له:

إِيَّاكَ أَنْ تَحْتَكِرَ. وقال صَلَّى الله عليه وآله الجالب مرزوق والمحتكر ملعون.

و روى عن الصادق عليه السَّلام: الحكره فى الخصب أربعون يوماً و فى الشدّه ثلاثه أيام، فما زاد على الأربعين فى الخصب و على الثلاثه فى العسره فصاحبه ملعون. و قال عليه السَّلام: ليس الحكره إلاّ فى الحنطه و الشعير و التمر و الزبيب و السمن (٢).

فى (وزراء الجهشياري): كان ابن مهران كاتب الخيزران يأمر الوكلاء و العمّال الذين يعملون معه أن يكتبوا على الرشوم التى يرشمون بها الطعام «اللهم احفظ من يحفظه».

«و ليكن البيع بيعا سمحا بموازين العدل و أسعار لا تجحف» بتقديم الجيم أى: لا تضر.

«بالفريقين من البائع و المبتاع» كلامه عليه السَّلام أعمّ من التقويم، روى (توحيد ابن بابويه) ان النبي صَلَّى الله عليه وآله مَرَّ بالمحتكرين فأمر بحكرتهم أن تخرج بطون الأسواق و حيث تنظر الأبصار إليها، فقليل له صَلَّى الله عليه وآله: لو قومت عليهم فغضب حتى عرف فى وجهه و قال: انا أقوم عليهم إتما السعر إلى الله عز و جل يرفعه إذا شاء و يخفضه إذا شاء.

و قيل له صَلَّى الله عليه وآله: لو أسعرت لنا سعرا فإن الأسعار تزيد و تنقص. فقال:

ما كنت لألقى الله تعالى ببدعه لم يحدث لى فيها شيئا، فدعوا عباد الله

ص: ٥٨٢

١-١) الكافي ٥: ١٦١ ح ١. [١]

٢-٢) الكافي ٥: ١٦٤-١٦٥ ح ١ و ٤ و ٦ و [٢] ٧.

يأكل بعضهم من بعض (١).

و روى (كافي الكليني) أنّ الطعام نفذ على عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَّا عِنْدَ رَجُلٍ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لَهُ: مَرَهُ بِيَعُهُ. فَقَالَ لَهُ: يَا فُلَانُ! إِنَّ الْمُسْلِمِينَ ذَكَرُوا أَنَّ الطَّعَامَ قَدْ نَفَدَ إِلَّا شَيْئًا عِنْدَكَ فَأَخْرَجَهُ وَبَعَهُ كَيْفَ شِئْتَ وَ لَا تَحْبِسْهُ (٢).

و روى أنّ يوسف لما صارت الأشياء له جعل الطعام في بيوت و أمر بعض و كلائه فكان يقول بع بكذا و السعر قائم. فلما علم أنّه يزيد في ذلك اليوم كره أن يجري الغلاء على لسانه، فذهب الوكيل فجاء أوّل من اكتال فلما كان دون ما كان بالأمس بمكيال قال: حسبك إنّما أردت بكذا و كذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال، ثم جاء آخر فقال له «كل لي» فكان فلما كان دون الذي كان للأول بمكيال قال له المشتري حسبك إنّما أردت بكذا و كذا، فعلم الوكيل أنّه قد غلا بمكيال حتى صار إلى واحد بواحد (٣).

هذا، و فصل الصدوق تفصيلا فقال: الغلاء هو الزيادة في أسعار الأشياء حتى يباع الشيء بأكثر ممّا كان يباع في ذلك الموضع، و الرخص هو النقصان في ذلك، فما كان من الرخص و الغلاء عن سعة الأشياء و قلتها فإن ذلك من الله تعالى يجب الرضا به و التسليم له، و ما كان من الغلاء و الرخص ممّا يؤخذ به الناس لغير قلة الأشياء و كثرتها من غير رضی منهم به أو كان من جهة شراء واحد من الناس جميع طعام بلد فذلك من المسعّر و المتعدّي بشراء طعام المصر كما فعله حكيم بن حزام ... (٤).

«فمن قارف» أي: ارتكب.

ص: ٥٨٣

١- ١) التوحيد: ٣٨٨ ح ٣٣.

٢- ٢) الكافي ١٦٤: ٥-٢. [١]

٣- ٣) الكافي ١٦٣: ٥-٥. [٢]

٤- ٤) توحيد: ٣٨٩.

«الحكره بعد نهيك إِيَّاه فنكّل به و عاقب في غير إسراف» زاد في روايه (التحف): «فإنّ رسول الله صلّى الله عليه وآله فعل ذلك» (١).

هذا، و في (الطبرى) كان في عهد المنصور و لاه البريد في الآفاق كلّها يكتبون إليه كلّ يوم بسعر القمح و الحبوب و الأدم و بسعر كلّ مأكول، و بكلّ ما يقضى به القاضى في نواحيهم و بما يعمل به الوالى، و بما يرد بيت المال من المال و كلّ حدث كانوا إذا صلّوا المغرب يكتبون إليه بما كان في اليوم، و إذا صلّوا الغداه يكتبون بما كان في كلّ ليله، فإذا وردت كتبهم فإن رأى الأسعار على حالها أمسك، و إن تغير شىء منها عن حاله كتب إلى الوالى و العامل هناك و سأل عن العلّه التى نقلت ذاك عن سعره، فإذا ورد الجواب بالعلّه تلطف لذلك برفقه حتى يعود سعره إلى حاله، و إن شك في شىء ممّا قضى به القاضى كتب إليه و سأل من حضرته فإن أنكر شيئاً كتب إليه يوبّخه .

«ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا- حيله لهم من المساكين و المحتاجين» فقد قال تعالى في وصف أهل الجحيم: «وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» (٢) و قال في المكذبين بالدين «فَذَلِكِ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ وَلَا يَحُضُّ عَلَى طَعَامِ الْمِسْكِينِ» (٣) و حكى عن أهل سقر في علل انسلاهم فيها: «وَلَمْ نَكُ نَطْعُمُ الْمِسْكِينِ» (٤).

«و أهل البؤسى» و فى روايه (التحف) «و ذوى البؤس» (٥).

ص: ٥٨٤

١- ١) تحف العقول: ١٤١.

٢- ٢) الماعون: ٣. [١]

٣- ٣) الماعون: ٢-٣. [٢]

٤- ٤) المدثر: ٤٤. [٣]

٥- ٥) تحف العقول: ١٤١.

و عن الصادق عليه السلام: الفقير الذي لا يسأل، والمسكين أجهد منه، والبائس أجهدهم (١).

«و الزمنى» جمع الزمن، و عن الصادق عليه السلام فى قوله تعالى: «فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ» (٢) البائس الفقير الزمن الذى لا يستطيع أن يخرج من زمانته (٣).

«فإن فى هذه الطبقة قانعا و معترا» و قد قال تعالى: «وَ الْيَدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافَّ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ» (٤) و القانع الذى يقنع بما رزق و لا يعترى لك، قال:

و قالوا: قد زهيت، فقلت: كلاً و لكنى أعزنى القنوع (٥)

و المعتز الذى يعترض لك لتعطيه و لا يسأل .

«و احفظ لله ما استحفظك» أى: طلب منك الحفظ.

«من حقوقهم» أى: المساكين و من ذكر بعدهم، و فى روايه (التحفة) «من حقه فيها» (٦) فىكون المعنى من حق الله تعالى فى القانع و المعتز، و مرّ قوله تعالى: «وَ أَطْعَمُوا الْقَانِعَ وَ الْمُعْتَرَّ» .

«و اجعل لهم قسما من بيت مالك» يا مالك يمكن أن يراد به من بيت المال الذى بيدك و قد فرض الله تعالى لهم سهما فى بيت المال، فقال تعالى: «إِنَّمَا»

ص: ٥٨٥

١-١ (١) الكافى ٥٠١:٣، روايه ١٦. [١]

٢-٢ (٢) الحج: ٢٨. [٢]

٣-٣ (٣) الكافى ٤:٤٦، روايه ٤. [٣]

٤-٤ (٤) الحج: ٣٦. [٤]

٥-٥ (٥) لسان العرب ٢٩٨:٨، [٥] ماده: (قنع).

٦-٦ (٦) تحفة العقول: ١٤١.

«الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَ الْمَسَاكِينِ» (١). و يمكن أن يراد به من مال شخصك.

و في (وزراء الجهشياري): أنفذ ملك الروم رسولا إلى المنصور فورد عليه عند فراغه من الجانبين من مدينة السلام، و أمر المنصور عماره بن حمزه أن يركب معه إلى المهدي و هو نازل بالرصافة، فلمّا صار إلى الجسر رأى رسول الروم من عليه من الزمى و السؤال، فقال لترجمانه: قل لهذا -يعنى عماره- إني أرى عندكم قوما يسألون و قد كان يجب على صاحبك أن يرحم هؤلاء و يكفيهم مئونتهم و عيالاتهم. فقال له عماره: إن الأموال لا- تسعهم، و مضى إلى المهدي و عاد فخبّر المنصور بذلك فقال له: كذبت.

الأموال واسعة فأحضرنيه، فأحضر فقال له: بلغني ما قلت لصاحبنا و ما قال لك و كذب لأن الأموال واسعة و لكني أكره أن أستأثر على أحد من رعيتي و أهل سلطاني بشيء من حظ أو فضل في دنيا أو آخرة، و أحب أن يشركوني في ثوابي السؤال و الزمى و أن يسألوهم من ذوات أيديهم ليكون ذلك نجاه لهم في آخرتهم.

قلت: و لكن كما كذب عماره كذب المنصور، و إن عذره في عدم كفايته لاولئك المساكين بخله الشديد، و من بخله أنه ولى رجلا- كما في (الطبري)- باروسما فلما انصرف أراد أن يتعلل عليه لثلا يعطيه شيئا، فقال له:

أشركتك في أمانتى و وليتك فيئا من فيء المسلمين فخنثه. فقال: أعيدك بالله ما صحبني من ذلك شيء إلا درهم منه مثقال صررته في كمي إذا خرجت من عندك أكريت به بغلا- إلى عيالي فأدخل بيتي ليس معي شيء لا- من مال الله و لا- من مالك. فقال له: ما أظنك إلا صادقا لهم درهمنا، فأخذه منه فوضعه تحت لبدته فقال: ما مثلي و مثلك إلا مجير أم عامر- و ذكر قصه الضبع

ص: ٥٨٦

و مجيرها لثلا يعطيه شيئا.

«و قسما من غلات صوافى الإسلام فى كل بلد» الظاهر أنّ المراد بها غلات الأراضى المفتوحة عنوه.

و فى روايه حماد: «و الأرض التى اخذت عنوه بخيل و رجال فهى موقوفه متروكه فى يد من يعمرها و يحييها و يقوم عليها على صلح ما يصلحهم الوالى- إلى أن قال بعد ذكر عشر الصدقات- و يؤخذ بعد ما بقى من العشر، فيقسم بين الوالى و بين شركائه العذنين هم عمال الأرض و أكرتها، فيدفع إليهم أنصباؤهم على قدر ما يصلحهم عليه، و يؤخذ الباقي، فيكون ذلك أرزاق أعوانه على دين الله، و فى مصلحه ما ينوبه من تقويه الإسلام و تقويه الدين فى وجوه الجهاد، و غير ذلك ممّا فيه مصلحه العامه ليس لنفسه من ذلك قليل و لا كثير... (١).

و ضبط ابن أبى الحديد فقال: صوافى الإسلام، الأرضون التى لم توجف عليها بخيل و لا ركاب كانت صافيه للنبي صلى الله عليه و آله، فلما قبض صارت لفقراء المسلمين، و لما يراه الإمام من مصالح الإسلام (٢)، كما أنّه خبط فقال:

و إنهم من الأصناف المذكورين فى قوله تعالى «و اعلموا أنّما عنمتكم من شىءٍ فإنّ لله خمسهُ و للرّسول و لذي القربى و اليتامى و المساكين» (٣) إلاّ أنّه استند فى مقاله إلى فعال أئمته فى تصرّفهم فى فدك و الخمس باسم مصالح الإسلام و مصرف المساكين.

«فإنّ للأقصى منهم» عن بلد الغله.

ص: ٥٨٧

١-١ (١) تهذيب ٤: ١٣٠-الكافى ١: ٥٤١، روايه ٤. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٨٦. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٨٦، و [٣] الآية من سوره الانفال: ٤١. [٤]

«مثل الذى للأذنى، و كلّ» و من الأذنى و الأقصى.

«قد استرعت حقه فلا يشغلنك عنهم بطر» أى: شدّه المرح، و فى روايه (التحف) «نظر» (١) و هو الأنسب.

«فإنك لا تعذر بتضييعك التافه» أى: الحقير اليسير.

«لإحكامك» بكسر الهمزة أى: جعله محكما.

«الكثير المهمّ فلا تشخص» أى: لا تذهب.

«همك عنهم» فمن أصبح و لم يهتمّ بأمر المسلمين فليس منهم.

«و لا تصغر» أى: لا تمل من الكبر.

«خذك لهم» و زاد فى روايه (التحف): «و تواضع لله يرفعك الله، و اخفض جناحك للضعفاء» (٢).

«و تفقد أمور من لا يصل إليك منهم ممن تقتحمه» أى: تنظره نظر الهوان.

«العيون و تحقره الرجال» و يمكن أن يكون عند الله جليلا.

«ففرغ لأولئك ثقتك من أهل الخشيه و التواضع» حتى يهتمّ فى البحث عنهم.

«فليرفع إليك أمورهم ثم اعمل فيهم بالإعذار» أى: تعمل معهم عملا يكون عذر ك بعده مقبولا.

«إلى الله» هكذا فى (المصريه) و فيها سقط فزاد (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و الخطيه بعد لفظ الجلاله «سبحانه» (٣).

«يوم تلقاه» يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم.

«فإن هؤلاء من بين الرعيه» لضعفهم و عدم اكتراث الناس بهم.

«أحوج إلى الإنصاف من غيرهم» من الأقوياء.

ص: ٥٨٨

١-١) تحف العقول: ١٤١.

٢-٢) تحف العقول: ١٤١.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٨٥: ١٧. [١]

«وكلّ» من الضعيف و القوى.

«فاعذر إلى الله في تأديته حقّه إليه» لوجوب أن يؤتى كل ذي حقّ حقّه.

قال ابن أبي الحديد: كان بعض الأكاسره يجلس للمظالم بنفسه، ولا يثق إلى غيره، ويقعد بحيث يسمع الصوت، فإذا سمعه أدخل المتظلم فاصيب بصمّم في سمعه، فنادى مناديه إنّ الملك يقول: أيها الرعيه إن أصبت بصمّم في سمعى فلم أصب في بصرى، كلّ ذى ظلامه فليلبس ثوبا أحمر، ثم جلس لهم فى بيت مستشرف له. و كان لأمير المؤمنين عليه السلام بيت سمّاه بيت القصص، يلقي الناس فيه رقاعهم، وكذلك كان فعل المهدي محمد بن هارون الواثق (١).

«و تعهد أهل اليتيم و ذوى الرقه» أى: الضعف، قال الشاعر:

لم تلق فى عظمها و هنا و لا رققا (٢)

«ممن لا- حيله له و لا- ينصب نفسه للمساله» لأنه ذل فى الدنيا و حساب طويل فى العقبى، قال تعالى: «لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِلْحَافًا وَ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (٣).

«و ذلك على الولاه ثقيل» لتوليد الولايه فيهم كبرا.

«و الحقّ كلّه ثقيل» كما أن الباطل كلّه خفيف.

«و قد يخففه الله على أقوام طلبوا العافيه» «تلمك الدار الآخرة نجعلها للذين لا- يريدون علواً فى الأرض و لا- فساداً و العاقبه للمتقين» (٤).

ص: ٥٨٩

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٨٧. [١]

٢- ٢) لسان العرب ١٠: ١٢٢، [٢] ماده: (رقق).

٣- ٣) البقره: ٢٧٣. [٣]

٤- ٤) القصص: ٨٣. [٤]



«فصبروا» أى: حملوا على الصبر (أنفسهم) و فى روايه (التحفة) «نفوسهم» (١) و هو أقرب.

«و وثقوا بصدق موعود الله لهم» و فى روايه (التحفة) «لمن صبر و احتسب» و هو أنسب، و زادت تلك الروايه: «فكن منهم و استعن بالله».

«و اجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرغ لهم شخصك» زاد فى روايه (التحفة): «و ذهنك من كل شغل، ثم تأذن لهم عليك» (٢).

فى (وزراء الجهشياري): قال على بن الجنيد كانت بينى و بين يحيى البرمكى مودّه و أنس، فكنت أعرض عليه الرقاع فى الحوائج، فكثرت رقاع الناس عندى و اتصل شغله، فقصدته يوما و قلت له: يا سيدى! قد كثرت الرقاع و امتلأ خفى و كمى فأما تطوّلت بالنظر و إما رددتها، فقال لى: أقم عندى حتى أفعل ما سألت فأقمت عنده و جمعت الرقاع فى خفى و أكلنا و غسلنا أيدينا و قمنا النوم و استحيت من إذكاره إياها لأننى قد علمت أنا نقوم فتشاغل بالشرب فنمت و دعا هو بالرقاع من خفى فوقّع فى جميعها و ردها إليه و نام و اتبه و دخلت إليه و هو فى مجلس الشرب و قد أعدت آله فيه، فلم أستجز ذكر الرقاع له و شربت و انصرفت بالعشى، فبكر إلى أصحاب الرقاع لَمّا وقفوا على إقامتى عنده فاعتذرت إليهم و ضاق صدرى بهم، فدعوت بالرقاع لا ميزها و أخفف منها ما ليس بهم فوجدت التوقيع فى جميعها فلم يكن لى همّ إلا- تفريقها و الركوب إليه لشكره، فلَمّا رأته قلت: قد تفضلت فلم لم تعرّفنى حتى يتكامل سرورى؟ فقال: سبحان الله! أردت منى أن أمنّ عليك بأن أخبرك بما لم يكن يجوز أن يخفى عنك.

ص: ٥٩٠

١-١) تحفة العقول: ١٦٢. [١]

٢-٢) تحفة العقول: ١٦٢. [٢]

«و تجلس لهم مجلسا عامًا فتتواضع فيه لله الذى خلقك» و فى روايه (التحف) «رفعك» (١) و هو الأنسب بقوله «فتتواضع».

و فى (العقد): ذكر عن النجاشى أمير الحبشه أنه أصبح يوما جالسا على الأرض و التاج على رأسه، فأعظم ذلك أساقفته فقال: إئتى وجدت فيما أنزل تعالى على عيسى «إذا أنعمت على عبدى نعمه فتواضع لى اتممها عليه» و إئتى ولد لى الليله غلام فتواضعت لذلك شكرا لله تعالى (٢).

«و تقعد عنهم جندك و أعوانك من أحراسك و شرطك» بالضمّ فالفتح جمع شرطه، قال الجوهرى: قال الأصمعى: سُمى الجند شرطا لأنهم جعلوا لأنفسهم علامه يعرفون بها (٣).

فى (عيون ابن قتيبه): بينما المنصور يطوف ليلا إذ سمع قائلا يقول:

«اللهم إئتى أشكو إليك ظهور البغى و الفساد و ما يحول بين الحق و أهله من العدل» فخرج المنصور و جلس ناحيه من المسجد و أرسل إلى الرجل يدعوه، فأقبل فقال له: ما الذى سمعتك تذكر؟ قال: إن آمنتنى على نفسى أنبأتك بالامور من أصولها فقال له: أنت آمن. فقال: إن الذى دخله الطمع حتى حال بينه و بين ما ظهر من الفساد لأنت. قال: ويحك و كيف؟ قال: و هل دخل أحدا من الطمع ما دخلك، إن الله تعالى استرعاك المسلمين و أموالهم فأغفلت أمورهم و أهملت بجمع أموالهم و جعلت بينك و بينهم حجابا من الجص و الآجر و أبوابا من الحديد و حجه معهم السلاح، ثم سترت نفسك فيها عنهم و بعثت عمالك فى جبايه الأموال و جمعها و قويتهم بالرجال و السلاح و الكراع

ص: ٥٩١

١-١) تحف العقول: ١٤٢.

٢-٢) العقد الفريد ٣٥:١- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٣-٣) الصحاح ١١٣٦:٣- [٢] دار العلم للملايين-بيروت.

و أمرت ألا يدخل عليك إلا فلان و فلان-نفر سميتهم-و لم تأمر بإيصال المظلوم و لا الملهوف و لا الجائع العارى و لا الضعيف الفقير و لا- أحد إلا- و له فى هذا المال حق، فلما رآك هؤلاء نفر الذين استخلصتهم لنفسك تجبى الأموال و تجمعها و لا تقسمها قالوا: هذا خان الله فما بالناس لا- نخونه و قد سجن لنا نفسه، فائتمروا أن لا يصل إليك من علم أخبار الناس إلا شىء أرادوا، و لا يخرج لك عامل فيخالف أمرهم إلا قصوه عندك حتى يصغر قدره، فلما انتشر ذلك عنك و عنهم أعظمهم الناس و هابوهم، و كان أول من صانعهم عمالك بالهدايا و الأموال ليقووا بها على ظلم رعيتك، ثم فعل ذلك ذوو القدره و الثروه من رعيتك لينالوا به ظلم من دونهم، فامتألت بلاد الله بالطمع بغيا و فسادا و صار هؤلاء القوم شركاؤك فى سلطانك و أنت غافل، فإن جاء متظلم حيل بينه و بين دخول مدينتك، فإن أراد رفع قصه عند ظهورك وجدك قد نهيت عن ذلك و أوقفت للناس رجلا ينظر فى مظالمهم، فإن جاء ذلك الرجل فبلغ بطانتك خبره سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك لأن المتظلم منه له بهم حرمه فأجابهم خوفا منهم، فلا يزال المظلوم يختلف إليه و يلوذ به و يشكو إليه و يعتل عليه، فإذا أجهد و ظهرت، صرخ بين يديك فضرب ضربا مبرحا ليكون نكالا لغيره و أنت تنظر، فما بقاء الإسلام على هذا، و قد كنت اسافر إلى الصين فقدمتها مره و قد اصيب ملكها بسمعه فبكى بكاء شديدا فحثه جلساؤه على الصبر فقال: أما إننى لست أبكى للبيته النازل به، و لكنى أبكى لمظلوم بالباب يصرخ و لا أسمع صوته. ثم قال: أما إن ذهب سمعى فإن بصرى لم يذهب نادوا فى الناس ألا يلبس ثوبا أحمر إلا متظلم. ثم كان يركب الفيل طرفى النهار ينظر هل يرى مظلوما.

إلى أن قال: قال المنصور فكيف أحتال لنفسى؟ قال: إن للناس أعلاما

يفزعون إليه في دينهم و يرضون به فاجعلهم بطانتك يرشدوك و شاورهم في أمرك يسدّوك. قال: قد بعثت إليهم فهربوا مني. قال: خافوا أن تحملهم على طريقتك، و لكن افتح بابك و سهّل حجابك، و انصر المظلوم و اقمع الظالم، و خذ الفىء و الصدقات ممّا حل و طاب و اقسمه بالحق و العدل على أهله و أنا الضامن عنهم أن يأتوك و يسعدوك على صلاح الامه. و عاد المنصور و طلب الرجل فلم يوجد (١).

(و فيه): كَلِم الأوزاعى أيضا المنصور فقال له: أنّك قد أصبحت من هذه الخلافه بالذى أصبحت به و الله سائلك عن صغيرها و كبيرها و فتيلها و نقيرها، و لقد حدّثنى عروه بن رويم أنّ النبى صَلَّى الله عليه و آله قال: ما من راع بيت غاشا لرعيته إلا حرّم الله عليه رائحه الجنّه، فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا، و لما استطاع من عوراتهم ساترا، و بالقسط فيما بينهم قائما، لا يتخوف محسنهم منه رهقا، و لا مسيئهم عدوانا، و قد كانت بيد النبى صَلَّى الله عليه و آله جريده يستاك بها و يردع عنه المنافقين، فأتاه جبرئيل و قال: يا محمّد ما هذه الجريده بيدك؟! اذفها لا تملأ قلوبهم رعبا. فكيف من سفك دماءهم و شفق أبشارهم و أنهب أموالهم، إنّ المغفور له ما تقدّم من ذنبه و ما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعهّده، فهبط جبرئيل و قال: يا محمّد! إنّ الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون امتك (٢).

«حتى يكلمك متكلمهم غير متع» أى: متردد «فإنى سمعت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله يقول فى غير موطن: لن تقدّس امه لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوى غير متع». روى (المناقب) عن الباقر عليه السّلام قال: رجع أمير المؤمنين عليه السّلام داره فى

ص: ٥٩٣

١- ١) عيون الأخبار ٣٦٠: ٢- [١] دار الكتب العلميه-بيروت.

٢- ٢) عيون أخبار ٣٦٦: ٢- دار الكتب العلميه بيروت-.

وقت القيظ فاذا امرأه قائمه تقول: ان زوجي ظلمني و أخافني و تعدى عليّ و حلف ليضربني. فقال: يا أمه الله اصبري حتى يبرد النهار ثم أذهب معك.

فقال: يشتد غضبه عليّ، فطأ رأسه ثم رفعه و هو يقول: أو يؤخذ للمظلوم حقه غير متع، أين منزلتك؟ فمضى إلى بابه فوقف فقال: السلام عليكم، فخرج شاب فقال عليه السلام له: يا عبد الله اتق الله! فإنك أخفتها و أخرجتها. فقال الفتى:

و ما أنت و ذاك، و الله لأحرقها لكلامك. فقال عليه السلام مسلنا سيفه: أمرك بالمعروف و أنهاك عن المنكر و تستقبلني بالمنكر و تنكر المعروف. و أقبل الناس من الطرق يقولون «السلام عليك يا أمير المؤمنين» فسقط الرجل في يده و قال: أقلني عثرتي يا أمير المؤمنين! فو الله لأكونن لها أرضا تطأني، فأغمد عليه السلام سيفه و قال: يا أمه الله! ادخلي إلى منزلتك و لا تلجئي زوجك إلى مثل هذا (١).

و في (العقد): جلس المأمون للمظالم فكان آخر من تقدّم إليه - و قد همّ بالقيام - امرأه عليها هيئه السفر و عليها ثياب رثه فقالت:

تشكو إليك عميد القوم أرمله عدا عليها فلم يترك لها سبد

و ابتز مني ضياعي بعد منعها ظلما و فرق مني الأهل و الولد

فقال لها المأمون: فأين الخصم؟ قالت: الواقف على رأسك - و أمأت ابنه العباس - فقال: يا أحمد بن أبي خالد! خذ بيده فاجلسه معها مجلس الخصوم، فجعل كلامها يعلو كلام العباس، فقال لها أحمد: إنك بين يدي الخليفة و إنك تكلمين الأمير فاحفضي من صوتك. فقال له المأمون: دعها فإن الحق أنطقها و أخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها (٢).

ص: ٥٩٤

١-١) مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب ١٠٦: ٢. [١]

٢-٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ١: ٢٧ - [٢] دار الكتب العلميه - بيروت.

و في (الحليه) عن الزهري، قال سليمان بن عبد الملك لطاوس اليماني:

لو ما حدثتنا. فقال طاوس: حدثني رجل من أصحاب النبي صلى الله عليه وآله - قال الزهري ظننت أنه أراد عليًا - قال النبي صلى الله عليه وآله: إن لكم على قريش حقًا ولهم على الناس حق ما استرحموا فرحموا واستحكموا فعدلوا وائتمنوا فأدوا، فمن لم يفعل ذلك فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفًا ولا عدلاً.

فتغير وجه سليمان .

«ثم احتمل الخرق» بالضم فالسكون ضد الرفق، و بفتحين الدهش من الخوف أو الحياء.

«منهم والعى» أى: العجز عن البيان، و فى المثل «أعيبى من باقل» (١) قالوا اشترى عنزا بأحد عشر درهما فقالوا له: بكم اشتريته، ففتح كفيه و فرق أصابعه و أخرج لسانه فأفلت العنز منه و هرب.

فى (العقد): دخل الحارث بن مسكين على المأمون فقال له: أقول فيها كما قال مالك بن أنس لأبيك هارون. فقال: لقد تبست فيها و تبست مالك. فقال الحارث: فالسامع من التيسين. فتغير وجه المأمون و أيقن بالشر و لبس ثياب أكفانه ثم دخل عليه فقربه فقال له: يا هذا ان الله قد أمر من هو خير منك بالإینه القول لمن هو شر منى فى إرسال موسى و هارون إلى فرعون فقال لهما:

«فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنَا لَعَلَّهُ يَنْذَرُكَ أَوْ يَخْشَى» (٢) قال: أبوء بالذنب. قال: عفا الله عنك، انصرف إذا شئت (٣).

هذا، و قالوا تقدمت امرأه إلى عمر فقالت: «يا أبا عمر حفص» أرادت أن

ص: ٥٩٥

١- ١) الميدانى ٢: ٤٣، [١] الزمخشري ١: ٢٥٦. [٢]

٢- ٢) طه: ٤٤. [٣]

٣- ٣) العقد الفريد ١: ٥٤- [٤] دار الكتب العلمية-بيروت.

تقول: «يا أبا حفص عمر». فقال لها: أدهشت. فقالت: صلعت فرقتك أردت أن تقول: «فرقت صلعتك».

و في (أخبار نحاء السيرافي) قال الكسائي: فزع أعرابي من الأسد فجعل يلوذ و الأسد من وراء عوسجه، فجعل يقول: «يعسجني بالخوتله يبصرني لأحبسه» أراد يختلني بالعوسجه يحسبني لا أبصره (١).

«و نَح» أي: بَعْد.

«عنهم» هكذا في (المصريه) و الصواب: (عنك) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

«الضيق» أي: ضيق الصدر.

«و الأنف» أي: الاستنكاف.

«يبسط الله عليك بذلك أكتاف رحمته، و يوجب لك ثواب طاعته» قال أبو العتاهيه:

يا من تشرف بالدنيا و بالدين ليس التشرف رفع الطين بالطين

إذا أردت شريف الناس كلهم فانظر إلى ملك في زي مسكين

و في (الجهشياري): كان في صحابه المهدي رجل يعرف بالثقي البصري و كان أبو عبيد الله وزيره له متقلا و كان محبا لأن يضع منه، فتكلم الثقي يوما فلحن، فقال له أبو عبيد الله: أ تجالس الخليفه بالملحون من الكلام، أما كان يجب عليك أن تقوم من لسانك. فقال له الثقي: إنما يحتاج إلى استعمال الإعراب في جميع الكلام المعلمون لينفقوا عند من التمسهم لتعليم ولده - يعرض بأبي عبيد الله لأنه كان معلما من أول أمره -

ص: ٥٩٦

١-١) أخبار النحويين البصريين: ٥١-معهد المباحث الشرقيه-الجزائر.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧:٨٨. [١]

فضحك المهدي حتى غطى وجهه.

«و اعط ما أعطيت هنيئاً» أى: ليكن عطاؤك هنيئاً لمن أعطيته بعدم المنّ عليه و الأذى له، و عدم كشفه للناس و عدم مظه.

قال أبو عبد الله عليه السلام: رأيت المعروف لا يصلح إلا بثلاث خصال:

تصغيره و تستيره و تعجيله، فإنك إذا صغرت عظمته عند من تصنعه إليه، و إذا سترته تمّمته، و إذا عجلته هتأتته، و إذا كان غير ذلك سخفته و نكّته (١).

«و امنع فى إجمال و إعدار» عن أبى جعفر عليه السلام: كان فيما ناجى الله تعالى موسى: أكرم السائل ببذل يسير أو برّد جميل، لأنّه يأتيك من ليس بإنس و لا- جانّ ملائكة من ملائكة الرحمن يبلونك فيما خولتك و يسألونك عمّا نولتك، فانظر كيف أنت صانع يا بن عمران (٢).

و عن أبى عبد الله عليه السلام: ما منع النبىّ صلّى الله عليه و آله سائلاً قطّ، إن كان عنده أعطاه و إلا قال: يأتي الله به (٣).

«ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها، منها إجابته عمالك بما يعينى» أى:

يعجز.

«عنه كتابك» فى (الجهشياري): ورد على المنصور كتاب من محمد بن عبد الله بن الحسن أغلظ له فيه، فقال له أبو أيوب: دعنى اجيبه. فقال له: ليس ذلك إليك إذا نحن تقارعنا عن الأحساب فدعنى و إياه.

و ذكر (الطبرى) جواب المنصور لكتابه و فيه: و زعمت أنّك لم تعرّق فيك امهات الاولاد و ما خيار بنى أبيك خاصه و أهل الفضل منهم إلا بنو امهات

ص: ٥٩٧

[١-١] الكافى ٤:٣٠ ح ١. [١]

[٢-٢] الكافى ٤:١٥ ح ٣. [٢]

[٣-٣] الكافى ٤:١٥ ح ٥. [٣]



أولاد، و ما ولد فيكم بعد وفاه رسول الله صَلَّى الله عليه و آله أفضل من علي بن الحسين و هو لأم ولد، و ما كان فيكم بعده مثل ابنه محمد بن علي و جدته أم ولد، و لا مثل ابنه جعفر و جدته أم ولد- إلى أن قال- و لقد طلب الإمامه أبوك- أي علي- بكل وجه فأخرجها- أي: فاطمه بنت النبي صَلَّى الله عليه و آله نهارا و مرّضها سرّاً و دفنها ليلاً فأبى الناس إلا الشيخين... (١).

«و منها إصدار الناس يوم» هكذا في (المصريه) و الصواب: (عند) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

«ورودها عليك بما تخرج» أي: تضيق.

«به صدور أعوانك، و أمض لكلّ يوم ما فيه» في (العقد) ذكروا أنّ ملكاً من ملوك العجم كان معروفاً بحسن السياسه، و كان إذا أراد محاربه ملك من الملوك وّجّه إليه من يبحث عن أخباره فيكشف عن ثلاث خصال من حاله، يقول لعيونه: انظروا هل ترد على الملك أخبار رعيته على حقائقها أم يخدع عنها؟ و إلى الغنى في أي صنف من رعيته أفي من اشتدّ أنفه و قلّ شرهه أم في من قلّ أنفه و اشتدّ شرهه؟ و انظروا في القوام بأمره أ من نظر ليومه و غده؟ أم من شغله يومه عن غده. فإن قيل له: لا يخدع عن أخباره، و الغنى في من قلّ شرهه و اشتدّ أنفه، و قوام أمره من نظر ليومه و غده، قال: اشتغلوا عنه بغيره، و إن قيل له ضدّ ذلك قال: نار كامنه تنتظر موقداً، و أضغان مزملّه تنتظر مخرجا، اقصدوا له فلاحين أحين من سلامه مع تضيق، و لا عدوّ أعدى من أ من أدّى إلى اعترار (٣).

ص: ٥٩٨

١- ١) تاريخ الطبرى ٥٦٩: ٧- [١] دار سويدان-بيروت.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٨٨. [٢]

٣- ٣) العقد الفريد ١١٣: ١- [٣] دار الكتب العلميه-بيروت.

«و اجعل لنفسك فيما بينك و بين الله أفضل تلك المواقيت و أجزل» أى: أكثر «تلك الأقسام، و ان كانت كلها لله إذا صلحت فيها النيه و سلمت منها الرعيه» .

فى (الخصال) عن الصادق عليه السلام: مكتوب فى حكمه آل داود: «لا يظعن الرجل إلا فى ثلاث: زاد لمعاد، أو مرّمه لمعاش، أو لذه فى غير محرم» (١).

«و ليكن فى خاصه ما تخلص به لله» هكذا فى (المصريه) و وقع فيها تقديم و تأخير فالصواب (لله به) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) و الخطيه (٢).

«دينك إقامه فرائضه التى هى له خاصه» فقالوا عليهم السلام: أعبد الناس من أقام الفرائض (٣).

«فأعط الله من بدنك فى ليلك و نهارك» زاد فى روايه (التحفة) «ما يجب» (٤).

«و وفّ ما تقرّب به إلى الله من ذلك كاملا غير مثلوم» من ثلم يثلم بالكسر، و الثلمه الخلل.

«و لا منقوص بالغا من بدنك ما بلغ» و فى الخبر: أسرق السراق من سرق من صلاته (٥).

«و إذا قمت فى صلاتك للناس» و فى روايه (التحفة) (بالناس) (٦) و هو أصح.

«فلا- تكونن منفرا و لا- مضيعا» فى الخبر: ينبغى للإمام أن تكون صلاته على صلاه أضعف من خلفه (٧) و كان معاذ يؤم فى مسجد على عهد النبيّ صلى الله عليه و آله و يطيل القراءه، و مرّ به رجل فافتتح سورة طويله، فقرأ الرجل

ص: ٥٩٩

١-١ (الخصال: ١٢٠ ح ١١٠).

٢-٢ (٢ شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٨٩ [١]).

٣-٣ (٣ بحار الأنوار ٧: ٣٠٥ روايه ٢٥، [٢] نقلا عن الخصال ١: ١١).

٤-٤ (٤ تحفة العقول: ١٤٣).

٥-٥ (٥ بحار الأنوار ٨٤: ٢٦٤، الروايه ٦٦ [٣]).

٦-٦ (٦ تحفة العقول: ١٤٤).

٧-٧ (٧ من لا يحضره الفقيه ١: ٢٥٥ ح ٦٢، ٦٣، ٦٤ بتصرف يسير).

لنفسه و صَلَّى ثم ركب راحلته، فبلغ ذلك النبي صَلَّى الله عليه و آله فبعث إلى معاذ، فقال له:

إيّاك أن تكون فتّاناً، عليك بالشمس و ضحاها و ذواتها (١).

و كان النبي صَلَّى الله عليه و آله أمّ أصحابه يوماً، فسمع بكاء صبي، فخفف الصلاة (٢).

«و قد سألت رسول الله صَلَّى الله عليه و آله حين وجهني إلى اليمن كيف أصلي بهم فقال صلّ بهم كصلاه أضعفهم» في خبر السكوني عنه عليه السلام قال: آخر ما فارقت عليه حبيبي أن قال: يا علي! إذا صلّيت فصلّ صلاه أضعف من خلفك (٣).

«و كن بالمؤمنين رحيماً» و في روايه التحف «و كانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا» (٤) و هو لفظ القرآن في وصف النبي صَلَّى الله عليه و آله (٥).

«و أمّا بعد» هكذا في (المصريه) و الصواب: من النهج (و أما بعد هذا) كما يشهد به (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) و الخطيبه (٦)، ثم الصواب: من كلامه عليه السلام ما في روايه (التحف) (و بعد هذا) بدون (أمّا) (٧) لعدم المحل لها هنا.

«فلا تطولنّ احتجاجك عن رعيتك فإنّ احتجاج الولاه شعبه من الضيق» و هو مذموم. و في (العقد) قال بعضهم:

ما بال بابك محروسا ببوّاب يحميه من طارق يأتي و منتاب

لا تحتجب وجهك الممقوت من أحد فالمقت يحجبه من غير حجاب

فاعزل عن الباب من قد ظل يحجبه فإنّ وجهك طلسام على الباب

و في (العيون) قال بعضهم:

ص: ٦٠٠

١-١) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٥٥ ح ٦٢، ٦٣، ٦٤ بتصرف يسير.

٢-٢) من لا يحضره الفقيه ١: ٢٥٥ ح ٦٢، ٦٣، ٦٤ بتصرف يسير.

٣-٣) التهذيب ٢: ٢٨٣ ح ٣١.

٤-٤) الاحزاب: ٤٣. [١]

٥-٥) تحف العقول: ١٤٤.

٦-٦) شرح ابن أبي الحديد: ١٧-٩٠.

٧-٧) تحف: ١٤٤.

ما لى أرى أبوايهم مهجوره و كأن بابك مجمع الأسواق

أرجوك أم خافوك أم شاموا الحيا لحراك فانتجعوا من الآفاق

و فى (المروج) قال عبيد بن أبى المخارق: استعملنى الحجّاج على الفلّوجه فقلت: أ هاهنا دهقان يستعان برأيه؟ فقالوا: جميل بن صهيب، فأرسلت إليه فجاءنى شيخ كبير قد سقط حاجباه على عينيه فقال: ما حاجتك؟ قلت:

استعملنى الحجّاج على الفلّوجه و لا يؤمن شره فأشر علىّ. فقال له: أيما أحبّ إليك رضى الحجّاج أو رضى بيت المال أو رضى نفسك؟ قلت: أن ارضى كلّ هؤلاء و أخاف الحجّاج فإنّه جيّار عنيد. قال: فاحفظ عنى أربع خلال: افتح بابك و لا يكن لك حاجب فيأتيك الرجل و هو على ثقة من لقائك و هو أجدر أن يخاف عمّا لك، و أطل الجلوس لأهل عملك فإنّه قلّ ما أطال عامل الجلوس إلّا- هيب مكانه، و لا يختلف حكمك بين الناس و ليكن حكمك على الشريف و الوضيع سواء فلا يطمع فيك أحد من أهل عملك، و لا تقبل من أهل عملك هديّه فإن مهديها لا يرضى من ثوابها إلّا بأضعافها مع ما فى ذلك من مقاله القبيحه، ثم اسلخ ما بين أقيتهم إلى عجب أذناهم فيرضوا عنك و لا يكون للحجاج عليك سبيل (1).

«و قلّه علم بالامور، و الاحتجاب منهم» و فى نسخه (ابن ميثم) عنهم.

«يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه، فيصغر عندهم الكبير و يعظم الصغير، و يقبح الحسن و يحسن القبيح».

فى (الجهشياري): لّمّا انصرف الفضل البرمكى من خراسان- و كان أزال الجور و بنى الحياض و المساجد و الرباط، و أحرق دفاتر البقايا و زاد الجند و القواد، و وصل الزوّار و الكتاب بعشره ألف ألف درهم، و أمر بهدم

ص: ٦٠١

البيت المعروف بالنوبهار-و كان وثيقا-فهدم منه قطعه و بنى فيها مسجدا، تلقاه الرشيد بيستان أبى جعفر و جمع له الناس و أكرم غاية الإكرام و أمر الشعراء بمدحه و الخطباء بذكر فضله، فكثرت المادحون له، فأمر الفضل أحمد بن سيار الجرجاني أن يميز أشعار الشعراء و يعطيهم على قدر استحقاقهم، فمشى داود ابن رزين و مسلم بن الوليد و أبان اللاحقى و أشجع السلمى و جماعه من الشعراء إليه فسألوه أن يضع من شعر أبى نؤاس و لا- يلحقه بنظرائه منهم، و تحمّلوا عليه بغالب بن السعدى و كان يتعشقه، فلما عرض أبو نؤاس شعره على الجرجاني رمى به و قال: هذا لا يستحق قائله درهمين، فهجاه أبو نؤاس و قال:

بما أهجوك لا أدرى لسانى فيك لا يجرى

إذا فكّرت فى قدرك أشفقت على شعرى

و اتصل الخبر بالفضل فوصل أبا نؤاس و أرضاه و صرف الجرجاني عن تمييز الشعر.

(و فيه): لَمَّا انقضى أمر البرامكة و حصل التدبير فى يد الفضل بن الربيع، قصد لخدمه الرشيد بحضرتة و أضع ما وراء بابه و صارت أمور البريد و الأخبار مختله، كان مسرور الخادم يتقلّد البريد و الخرائط و يخلفه عليه ثابت الخادم و توفى الرشيد و عندهم أربعة آلاف خريطه لم تفضّ.

«و يشاب» أى: يمزج .

«الحق بالباطل، و إنّما الوالى بشر لا- يعرف ما توارى عنه الناس من الامور، و ليست على الحق» و فى روايه (التحف) (1) «على القول».

«سمات» أى علامات.

ص: ٦٠٢

«تعرف بها ضروب» أى: أقسام.

«الصدق من الكذب» و فى روايه (التحفة) (١) «يعرف بها الصدق من الكذب».

«وإنما أنت أحد رجلين: إما امرؤ سخت» أى: جادت.

«نفسك بالبدل فى الحق ففيم احتجاجك من واجب حق تعطيه أو فعل كريم» و فى روايه (التحفة) (٢) «أو خلق كريم».

«تسديه» أى: توضحه، قال عمر بن أبى ربيعه (٣):

لمن الديار كأنهن سطور تسدى معالمها الصبا و تنير (٤)

فى (العيون): قال خالد بن عبد الله لحاجبه: لا تحجب عني إذا أخذت مجلسي، فإن الوالى لا يحجب إلا عن ثلاث: عني يكره أن يطلع عليه، أو ريبه أو بخل. فأخذ ذلك منه الوراق فقال:

إذا اعتصم الوالى بإغلاق بابه و ردّ ذوى الحاجات دون حجابيه

ظننت به إحدى ثلاث و ريبا نزعت بظن واقع بصوابه

فقلت به مس من العي ظاهر ففى إذنه للناس إظهار ما به

فإن لم يكن عي اللسان فغالب من البخل يحمى ماله عن طلابه

فإن لم يكن هذا و لا ذا فريبه يصر عليها عند إغلاق بابه (٥)

هذا، و فى (تاريخ بغداد): وقف شاعر بباب معن بن زائده حولاً لا يصل إليه - و كان معن شديد الحجاب - فلما طال مقامه سأل الحاجب أن يوصل له رقعه فأوصلها فإذا فيها:

ص: ٦٠٣

١-١) تحفة العقول: ١٤٤.

٢-٢) تحفة العقول: ١٤٤.

٣-٣) عيون الأخبار لابن قتيبة ٨٤: ١. [١]

٤-٤) عيون الأخبار لابن قتيبة ٨٤: ١. [٢]

٥-٥) اورد هذه الأبيات باختلاف فى بعض الكلمات فى شرحه ٩٣: ١٧ من غير ذكر لمصدرها.

إذا كان الجواد له حجاب فما فضل الجواد على البخيل

فألقى معن الرقعه إلى كتابه و قال: أجيبوه عن بيته، فخلطوا و أكثروا و لم يأتوا بمعنى، فأخذ الرقعه و كتب فيها:

إذا كان الجواد قليل مال و لم يعذر تعلل بالحجاب

فقال: أؤيسنى من معروفه، ثم ارتحل فأتبعه معن بعشره آلاف و قال:

هى لك عندنا فى كل زوره (١).

«أو مبتلى» و فى روايه (التحف) (٢) «و إما مبتلى».

«بالمنع، فما أسرع كف الناس عن مسألتك إذا أيسوا بذلك» قال بعضهم:

إذا تغدى فزّ بوابه و ارتد من غير يد بابه

و مات من شهوه ما يحتسى عياله طرا و أصحابه

«مع أن أكثر حاجات الناس مما» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (ما) كما فى (ابن أبى الحديد) (٣) و (ابن ميثم) (٤) و (الخطيه).

«لا مؤونه فيه عليك من شكاه» و فى روايه (التحف) (٥) «من شكايه».

«مظلمه أو طلب إنصاف فى معامله» و فى روايه (التحف) (٦) بدل «فى معامله» «فانتفع بما و صفت لك».

و فى (الطبرى) (٧): قال مسور بن مسور: ظلمنى و كيل للمهدى و غضبى ضييعه، فأتيت سلاما صاحب المظالم فتظلمت منه و أعطيته  
رقعه

ص: ٦٠٤

١-١ (١) تاريخ بغداد ٢٣٧:١٣-٢٣٨. [١]

٢-٢ (٢) تحف العقول: ١٤٤.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٩١:١٧. و [٢] كذلك فى تحف العقول: ١٤٤.

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ١٧٣:٥. [٣]

٥-٥ (٥) تحف العقول: ١٤٤.

٦-٦ (٦) تحف العقول: ١٤٤.

٧-٧ (٧) تاريخ الطبرى ١٧٣:٨. [٤]

مكتوبه، فأوصل الرقعه إلى المهدي و عنده عمه العباس بن محمد و ابن علائه و عافيه القاضي، فقال له المهدي: أدنه فدنوت فقال: ما تقول؟ قلت: ظلمتني.

قال: فترضى بأحد هذين. قلت: نعم. قال: فدنوت منه حتى التزقت بالفراش قال: تكلم. قلت: أصلح الله القاضي أنه ظلمني في ضيعتي. فقال القاضي للمهدي: ما تقول؟ قال ضيعتي و في يدي. قلت: أصلح الله القاضي سله صارت الضيعة إليه قبل الخلافه أو بعدها. فسأله فقال: صارت إلى بعد الخلافه. قال:

فأطلقها له. قال: قد فعلت: فقال العباس عمه: و الله لهذا المجلس أحب إلي من عشرين ألف ألف درهم .

«ثم إنَّ للوالي خاصه و بطانه فيهم استتار» أي: استبداد.

«و تطاول» أي: تكبر.

«و قلّه إنصاف في معامله، فاحسم» أي: اقطع.

«ماده» هكذا في (المصريه) و الصواب: (مئونه) كما في (ابن أبي الحديد) (١) و (ابن ميثم) (٢) و (الخطيه).

«أو لئلك بقطع أسباب تلك الأحوال» و في روايه (التحف) (٣) «تلك الأشياء».

و في (العيون) (٤): قال الحجاج: دلّوني على رجل للشّرط. فقيل: أيّ الرجال تريد؟ فقال: أريده دائم العبوس طويل الجلوس، سمين الأمانه أعجف الخيانه، لا يحقن في الحق على جره و يهون عليه سبال الأشراف في الشفاعة.

فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي، فأرسل إليه يستعمله فقال له:

لست أقبلها إلا أن تكفيني عيالك و ولدك و حاشيتك. قال: يا غلام ناد في الناس

ص: ٦٠٥

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٩٦:١٧. [١]

[٢-٢] شرح ابن ميثم ١٧٣:٥. [٢]

[٣-٣] تحف العقول: ١٤٤.

[٤-٤] عيون الاخبار لابن قتيبه ١٦:١. [٣]



من طلب إليه منهم حاجه فقد برئت منه الذمه. قال الشعبي: فو الله ما رأيت مثله صاحب شرطه قط، كان لا يحبس إلا في دين، و كان إذا أتى برجل قد نقب على قوم، ووضع منقبه في بطنه حتى تخرج من ظهره، وإذا أتى بتباش، حفر له قبرا فدفنه فيه، وإذا أتى برجل لقد أحرق على قوم منزلهم، أحرقه، وإذا أتى برجل قاتل بحديده أو شهر سلاحا، قطع يده، فكان ربّما أقام أربعين ليله لا يؤتى إليه أحد، فضم الحجاج إليه شرطه البصره مع الكوفه .

«و لا تقطنن لأحد من حاشيتك» أي: من في أطرافك.

«و حامتك» أي: أوداءك.

«قطيعه» أرض يقطعها له تكون غلتها له.

«و لا يطمعن منك في اعتقاد» أي: عقد.

«عقده» أي: معاملة.

«تضر بمن يليها من الناس في شرب» أي: سقى أرضهم.

«أو عمل مشترك» كتنقيه نهر يكون مصرفها على جميع من يشرب أرضه من ذاك النهر.

«يحملون مؤنته على غيرهم فيكون مهنا ذلك» عيشا رغدا يحصل من محصوله.

«لهم دونك و عيبه عليك في الدنيا و الآخرة» لأنهم فعلوا ذلك بسلطانك .

«و الزم الحق من لزمه من القريب و البعيد، و كن في ذلك صابرا محتسبا، واقعا ذلك من قرابتك و خواصك حيث وقع، و ابتغ عاقبته بما يثقل عليك فإنّ مغبه» أي:

عاقبه.

«ذلك محموده» .

ص: ٦٠٦

قال ابن أبي الحديد (١): روى جويريه بن أسماء عن اسماعيل بن أبي حكيم قال: قال عمر بن عبد العزيز على المنبر: إن هؤلاء - يعني خلفاء بني أمية قبله - قد كانوا أعطونا عطايا ما كان ينبغي لنا أن نأخذها منهم و ما كان ينبغي لهم أن يعطوناها، و إنى قد رأيت الآن أنه ليس على في ذلك دون الله حسيب، و قد بدأت بنفسى و الأقربين من أهل بيتى، اقرأ يا مزاحم، فجعل يقرأ كتابا فيه الاقطاعات بالضياح و النواحي ثم يأخذه عمر بيده فيقصه بالجلم، لم يزل كذلك حتى نودى بالظهر.

و قال: و روى سهل بن يحيى المرورى عن أبيه قال: لما دفن سليمان أمر عمر بن عبد العزيز بالستور فهتكت و الثياب التى كانت تبسط للخلفاء فحملت إلى بيت المال، ثم خرج و نادى مناديه: من كانت له مظلمه على قريب أو بعيد من عمر بن عبد العزيز فليحضر. فقام رجل ذمى من أهل حمص أبيض الرأس و اللحية فقال: أسألك كتاب الله! قال: ما شأنك. قال: العباس بن الوليد اغتصبنى ضيعتى - و العباس جالس - فقال له: ما تقول يا عباس؟ قال:

أقطعنيها الوليد و كتب لى بها سجلا. فقال عمر: ما تقول أنت أيها الذمى. قال:

أسألك كتاب الله! فقال عمر بن عبد العزيز: لعمرى إن كتاب الله لأحق أن يتبع من كتاب الوليد أردد عليه يا عباس ضيعته، و جعل لا يدع شيئا مما كان فى أيدى أهل بيته من المظالم إلا ردّها (٢).

قال: و كتب عمر بن الوليد إلى عمر بن عبد العزيز لما أخذ بنى مروان برد المظالم كتابا أغلظ له فيه - إلى أن قال - فكتب فى جوابه: ... أما أول أمرك يا بن الوليد فإن أمك بنانه أمه الشكون كانت تطوف فى أسواق حمص و تدخل

ص: ٦٠٧

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٧:٩٩. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧:٩٩-١٠٠ [٢] بتصرف يسير.

حوانيتها ثم الله أعلم بها، فاشتراها ذبيان بن ذبيان من فيء المسلمين فأهداها إلى أبيك فحملت بك فبئس الحامل و بئس المحمول، ثم نشأت فكنت جيرا عنيدا و تزعم أنى من الظالمين لأننى حرمتك و أهل بيتك فيء الله الذى حق القرابه و المساكين و الأراامل، و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعملك صيبا سفيها على جند المسلمين تحكم فيهم برأيك و لم يكن له نيه فى ذلك إلا حبّ الوالد ولده، فويل لك و ويل لأبيك! ما أكثر خصماؤك كما يوم القيامة، و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعمل الحجاج بن يوسف على خمسى العرب يسفك الدم الحرام و يأخذ المال الحرام، و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعمل قرّه ابن شريك أعرابيا جافيا على مصر، و أذن فى المعازف و الخمر و الشرب و اللهو، و إن أظلم منى و أترك لعهد الله من استعمل عثمان بن حيان على الحجاز، فينشد الأشعار على منبر النبى صلى الله عليه و آله و من جعل للعاليه البربريه سهما فى الخمس، فرويدا يا ابن نباته، و لو التقت حلقتا البطان و ردّ الفىء إلى أهله لتفرّغت لك و لأهل بيتك فوضعتكم على المحجّه البيضاء، فطالما تركتم الحق و أخذتم فى بتيات الطريق، و من وراء هذا من الفضل ممّا أرجو أن أعمله، بيع رقتك و قسم ثمنك بين الأراامل و اليتامى و المساكين، فإنّ لكلّ فيك حقا، و السلام علينا و لا ينال سلام الله الظالمين (١).

قال: و روى الأوزاعى أن عمر بن عبد العزيز لما قطع عن أهل بيته ما كان من قبل يجرونه عليهم من أرزاق الخاصه، تكلم فى ذلك عنبسه بن سعيد و قال: إنّ لنا قرابه. فقال له: إن يتسع مالى لكم، و أمّا هذا المال فحقّكم فيه كحق رجل بأقصى برك العماد و لا يمنع من أخذه إلا بعد مكانه، و الله إنى لأرى امورا لو استحالت حتى يصبح أهل الأرض يرون مثل رأيكم

ص: ٦٠٨

لنزلت بهم بائقته من عذاب الله.

قال: وروى أيضا أن عمر بن عبد العزيز قال يوما-وقد بلغه عن بنى اميه كلاما أغضبه-إنّ لله في بنى اميه يوما-أو قال ذبحا-والله لئن كان ذلك على يدى لأعدرن الله فيهم. فلما بلغهم ذلك كفوا و كانوا يعلمون صرامته و أنّه إذا وقع فى أمر مضى فيه (١).

قال: وروى نوفل بن الفرات أن بنى مروان شكوا إلى عاتكة بنت مروان -و كانت عظيمه عندهم- فقالوا: إنّه يعيب أسلافنا و يأخذ أموالنا، فذكرت له ذلك فقال: يا عمه! إنّ النبىّ -صلّى الله عليه و آله قبض و ترك الناس على نهر مورود، فولى ذلك النهر بعده رجلا لم يستخصا أنفسهما و أهلهما منه بشيء، ثم وليه ثالث فكرى منه ساقيه ثم لم تزل الناس يكرون منه السواقى حتى تركوه يابسلا لا قطره فيه، و أيم الله لئن أبقانى الله لأسكرنّ تلك السواقى حتى أعيد النهر إلى مجراه الأول.

قلت (٢): و كما ردّ عمر بن عبد العزيز مظالم خلفاء بنى اميه كذلك ردّ مظلّمه أبى بكر و عمر فى فدك، روى الطبرى-كما فى (خصال ابن بابويه)- عن أبى صالح الكنانى عن يحيى بن عبد الحميد الحمانى عن شريك عن هشام بن معاذ قال: كنت جليسا لعمر بن عبد العزيز حين دخل المدينة، فأمر مناديه من كانت له مظلّمه أو ظلامه فليأت الباب، فأتى محمد بن على فدخل إليه مولاه مزاحم فقال له: إنّ محمد بن على بالباب. فقال: أدخله، فدخل و عمر يمسح دموعه، فقال له: ما أبكاك؟ فقال: أبكاه كذا و كذا يا ابن رسول الله. فقال له محمد بن على: إنّما الدنيا سوق من الأسواق منها خرج قوم بما ينفعهم و منها خرج

ص: ٦٠٩

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٠٢:١٧-١٠٣. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٣:١٧-١٠٤. [٢]

قوم بما يضّرهم-إلى أن قال-فاتق الله و افتح الأبواب و سهّل الحجاب،و انصر المظلوم و ردّ المظالم-إلى أن قال-فدعا عمر بدواه و قرطاس و كتب:«بسم الله الرحمن الرحيم،هذا ما ردّ عمر بن عبد العزيز ظلامه محمد بن علي فدك» (١).

و في (أوائل أبي هلال العسكري) كما في (الطرائف)-أن أول من رد فدكا على ورثه فاطمه عليها السّلام عمر بن عبد العزيز،و كان معاوية أقطعها لمروان و عمرو بن عثمان و يزيد بن معاوية و جعلها بينهم أثلاثا ثم قبضت فردّها عليهم السفاح... (٢).

ثم إنّه كما كان المناسب هنا في شرح كلامه عليه السّلام نقل ما فعل عمر بن عبد العزيز من ردّ مظالم بني اميه كذلك كان المناسب نقل إتيان عثمان بتلك المظالم،و قد صرّح عمر بن عبد العزيز بكون عثمان الأصل في خلفاء بني اميه -في قوله في الخير المتقدم-:«ثم وليه ثالث فكري منه ساقيه ثم لم يزل الناس منه يكرون حتى تركوه يابسا لا قطره فيه»،و منها-كما في (خلفاء ابن قتيبه) (٣)-هبتة خمس إفريقيه لمروان ابن عمه،و بني سبع دور متطاوله لامرأته نائله و بنته عائشه و غيرهما من أهله و بناته،و بني لمروان القصور بذي الخشب،و حمى حول المدينه لنفسه،و أعطى-كما في (معارف ابن قتيبه)-عمه الحكم بن أبي العاص الذي سيّره النبي صلّى الله عليه و آله إلى الطائف مئه ألف درهم،و أقطع مهزورا-موضع سوق المدينه الذي تصدّق به النبي على المسلمين-عمّه الحارث بن الحكم،و أعطى عبد الله بن خالد بن أسيد من بني عمه أربعمائنه ألف درهم.

ص: ٦١٠

١-١) الخصال لابن بابويه: ١٠٤ ح ٦٤.

٢-٢) الطرائف ٢٥٢: ١. [١]

٣-٣) خلفاء ابن قتيبه ٣٢: ١.

«وإن ظننت الرعيه بك حيفا» أي: جورا.

«فأصحر» أي: أظهر.

«لهم بعدرك واعدل» أي: ادفع.

«عنك ظنونهم بإصهارك» الباء للسببيه، فمن جعل أمره مكشوفاً كالشيء الملقى بالصحراء لا يبقى مجال لأن يظنّ به أمر آخر.

«فإن في ذلك رياضه منك لنفسك ورفقا برعيتك وإعذارا» هكذا في (المصريه)، مع ان النهج إنّما فيه «فإنّ في ذلك إعذارا» لخلوّ (ابن أبي الحديد) (١) و(ابن ميثم) (٢) و(الخطيه) و هي النسخ الصحيحه من النهج عمّا بينهما من «رياضه» إلى «و» ولكنه كلامه عليه السلام كما رواه (التحفة) (٣)، ولا بد انه كتب في أول نسخه الزيادة حاشيه أخذنا من التحف ثم خلطت بالمتن.

«تبلغ به» هكذا في (المصريه) و الصواب: «فيه» كما في (ابن أبي الحديد) (٤) و(ابن ميثم) (٥).

«حاجتك من» بيانيه.

«تقويمهم» أي: جعلهم مستقيما على الحق، و زاد في (التحفة) (٦) «في خفض وإجمال» و هو من تمام الكلام و قد خفي على النهج في روايته.

في (الطبري): هلك يزدجرد الأثيم و ابنه (بهرامجور) غائب عند المنذر

ص: ٦١١

١-١ شرح ابن أبي الحديد ١٧:٩٧. [١]

٢-٢ شرح ابن ميثم ٥:١٧٤. [٢]

٣-٣ تحفة العقول: ١٤٥.

٤-٤ شرح ابن أبي الحديد ١٧:٩٧. [٣]

٥-٥ شرح ابن ميثم ٥:١٧٤.

٦-٦ تحفة العقول: ١٤٥.

ملك الحيره، فتعاقد ناس من العظماء و أهل البيوتات أن لا يملكوا أحدا من ذريه يزدجرد لسوء سيرته و قالوا ان يزدجرد لم يخلف ولدا يحتمل الملك غير بهرام و لم يل بهرام ولايه قط يعرف بها حاله و لم يتأدب بأدب العجم و انما أدبه أدب العرب و خلقه كخلقهم لنشوته بين أظهرهم، و اجتمعت كلمتهم و كلمه العامه على صرف الملك عن بهرام إلى رجل من عتره أردشير بابك يقال له كسرى و لم يقيموا أن ملكوه، فانتهى هلاك يزدجرد و الذى كان من تمليكهم كسرى إلى بهرام و هو بياديه العرب، فدعا بالمنذر و النعمان ابنه و ناس من عليه العرب و قال لهم: انى لا أحسبكم تجحدون خصيصى والدى كان أتاكم معشر العرب بإحسانه و انعامه كان عليكم مع فظاظته و شدته كانت على الفرس، و أخبرهم بالذى أتاه من نعى أبيه و تمليك الفرس من ملكوا عن تشاور منهم فى ذلك، فقال له المنذر: لا يهولنك ذلك حتى أطف للحيله فيه، و ان المنذر جهز عشره آلاف رجل من فرسان العرب و جههم مع ابنه النعمان إلى «طيسبون» و «به اردشير» مدينتى الملك و أمره أن يعسكر قريبا منهما و يدمن ارسال طلائعه إليهما، فأوفد من بالباب من العظماء و أهل البيوتات «جوانى»-صاحب رسائل يزدجرد- إلى المنذر فى ابنه النعمان، فلما ورد جوانى على المنذر قال له: التى الملك بهرام، فدخل عليه فراعته ما رأى من وسامته و بهائه و أغفل السجود له دهشا، فكلمه بهرام و وعده من نفسه أحسن الوعد و رده إلى المنذر، فقال له المنذر: انما وجه النعمان إلى ناحيتكم ملك بهرام حيث ملكه الله بعد أبيه، فلما سمع «جوانى» مقاله المنذر و تذكر ما عاين رواء بهرام و هيئته و ان جميع من شاور فى صرف الملك عن بهرام مخصوص محجوج قال للمنذر: انى لست مخبرا جوابا و لكن سر ان رأيت إلى محله الملوك فيجتمع اليك من بها من العظماء و تشاوروا فى ذلك فانهم لن

يخالفوك فى شىء مما تشير به.

و سار «جوانى» و استعد المنذر بعده بيوم و سار ببهرام فى ثلاثين ألف رجل من العرب و ذوى النجده منهم إلى مدينتى الملك حتى إذا و ردهما أمر فجمع الناس و جلس بهرام على منبر من ذهب مكلل بجوهر و جلس المنذر عن يمينه و تكلم عظماء الفرس و أهل البيوتات و فرشوا للمنذر بكلامهم فظاظه يزدجرد أبى بهرام و سوء سيرته و انه أخرب بسوء رأيه الأرض و أكثر القتل ظلما حتى قد قتل الناس فى البلاد التى يملكها و أمورا غير ذلك فظيعه و انهم انما تعاقدوا على صرف الملك عن ولد يزدجرد لذلك، و سألوا المنذر الا يجبرهم فى أمر الملك على ما يكرهونه.

فوعى المنذر ما بثوا من ذلك و قال لبهرام: أنت أولى بإجابه القوم منى.

فقال لهم بهرام: انى لست أكذبكم معشر المتكلمين فى شىء مما نسبتهم إلى يزدجرد لما استقر عندى من ذلك، و لقد كنت زاريا عليه لسوء هديه، و لم أزل أسأل الله أن يمنّ على بالملك فأصلح كلّ ما أفسد و أرأب ما صدع، فان أتت لملكى سنه و لم أف لكم بهذه الامور التى عدت لكم تبرأت من الملك طائعا و قد أشهدت بذلك علىّ الله و ملائكته و موبدان موبذ و ليكن هو فيها حكما بينى و بينكم، و أنا مع الذى بينت لكم على ما أعلمكم من رضاي بتمليكم من تناول التاج و الزينه من بين أسدين ضارين مشبلين فهو الملك.

فلما سمع القوم مقاله بهرام هذه و ما وعد من نفسه استبشروا بذلك و انبسطت آمالهم و قالوا فيما بينهم إنّنا لسنا نقدر على رد قول بهرام مع أنّا ان تممنا على صرف الملك عن بهرام نتخوف أن يكون فى ذلك هلاكنا لكثره من استمد و استجاش من العرب، و لكنّا نمتحنه بما عرض علينا مما لم يدعه إليه الا ثقه بقوته و بطشه و جرأته، فان يكن على ما وصف به نفسه فليس لنا رأى

ص: ٦١٣



إلا- تسليم الملك إليه و السمع و الطاعة له و ان يهلك تعجزه فنحن من هلكته برآء و لشره و غائلته آمنون. و تفرقوا على هذا الرأى، فعاد بهرام و جلس كمجلسه الذى كان فيه بالأمس و حضره من كان يحاده فقال لهم: اما أن تجيوني فيما تكلمت أمس و اما أن تسكتوا باخعين لى بالطاعة. فقال القوم:

أما نحن فقد اخترنا لتدبير الملك كسرى و لم نر منه إلا ما نحب، و لكننا قد رضينا مع ذلك أن يوضع التاج و الزينه كما ذكرت بين أسدين و تتازعانهما أنت و كسرى فأيكما تناولهما من بينهما سلمنا له الملك، فرضى بهرام بمقاتلهم و أتى بالتاج موبدان مؤبد الموكل بعقد التاج على رأس كل ملك يملك فوضعهما فى ناحيه و جاء بسطام أصهبه بأسدين ضارين مجوعين مشبلين، فوقف أحدهما عن جانب الموضع الذى وضع فيه التاج و الآخر بحدائه و أرخى وثاقهما، ثم قال بهرام لكسرى: دونك التاج و الزينه. فقال كسرى: أنت أولى بالبدء و بتناولهما منى لأنك تطلب الملك بورائه و أنا فيه مغتصب، فلم يكره بهرام قوله لثقتة ببطشه و قوته و حمل جرزا و توجه نحو التاج و الزينه، فقال له موبدان موبد: استماتتك فى هذا الأمر الذى أقدمت عليه انما هو تطوع منك لا عن رأى أحد من الفرس و نحن برآء إلى الله من اتلافك نفسك. فقال له بهرام: أنتم من ذلك برآء و لا و زر عليكم فيه.

ثم أسرع نحو الأسدين، فلما رأى موبدان موبد جده فى لقائهما هتف به بح بدنوبك و تب إلى الله منها ثم أقدم ان كنت لا محاله مقدا، فباح بهرام بما سلف من ذنوبه ثم مشى نحو الأسدين فبدر إليه أحدهما فلما دنا من بهرام وثب و ثبه فعلا ظهره و عصر جنبى الأسد بفخذه عصره أثخنه، و جعل يضرب على رأسه بالجرز الذى كان حمل، ثم شد الأسد الآخر عليه فقبض على اذنيه و عركهما بكلتى يديه فلم يزل يضرب رأسه برأس الأسد الذى كان

راكبه حتى دماغهما ثم قتلتهما كليهما، و كان ذلك من صنيعه بمرأى من كسرى و من حضر ذلك المحفل فتناول بهرام بعد ذلك التاج و الزينه، فكان كسرى أول من هتف به و قال: عمرك الله بهرام ثم الذين حولهم قائلون نحن سامعون مطيعون و رزقت ملك أقاليم السبعه، ثم هتف به جميع من حضر قد أذعنا للملك بهرام و رضينا به ملكا، و أكثروا الدعاء له. ثم ان العظماء و الوزراء لقوا المنذر بعد ذلك اليوم و سألوه أن يكلم بهرام في التغمد لاساءتهم في أمره و التجاوز عنهم، فكلمه المنذر في ذلك فأسعه فيما سأل و بسط آمالهم ملك و هو ابن عشرين سنه (١).

«و لا تدفعن صلحا دعاك إليه عدوك و لله» هكذا في (المصريه) و الصواب:

«لله» كما في (ابن أبي الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣).

«فيه رضى» انما شرط عليه السلام ذلك لأن كل صلح لم يكن لله فيه رضى.

ففي (صفيين نصر): خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفيين: يا أبا الحسن ابرز لي، فخرج عليه السلام إليه حتى إذا اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفيين فقال: يا على ان لك قدما في الاسلام و هجره فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن دماء و تأخير هذه الحروب حتى ترى من رأيك. فقال: و ما ذاك؟ قال: ترجع إلى عراقك فنخلى بينك و بين العراق و نرجع إلى الشام فتخلى بيننا و بين شامنا فقال عليه السلام له: لقد عرفت انك انما عرضت هذا نصيحه و شفقه، و لقد أهمنى هذا الأمر و أسهرنى و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلا القتال أو الكفر بما أنزل على محمد صلى الله عليه و آله، ان الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى

ص: ٦١٥

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٢:٧١. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠٦:١٧. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١٧٤:٥.

فى الأرض و هم ساكتون مدعون لا يأمرن بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون على من معالجه الأغلال فى جهنم. فرجع الشامى مسترجعا (١).

و كذلك الصلح فى المعاملات، فقالوا: الصلح جائز بين المسلمين إلا ما أحل حراما أو حرّم حلالا.

«فان فى الصلح دعه» أى: استراحه.

«لجنودك و راحه لهمومك و أمانا لبلادك» فى (ديوان النعمانى): من أبلغ ما حدّر به من الحرب قول بعض العجم: «دافع بالحرب ما أمكن، فإنّ النفقه فى كلّ شىء من الأموال إلا الحرب، فإنّ النفقه فيها من الأرواح». و قال النابغه الجعدى:

و تسلب المال الذى كان ربها ضنينا بها و الحرب فيها الحرائب

و قال جدل الطعان:

دعانى أشبّ الحرب بينى و بينه فقلت له: لا بل هلمّ إلى السلم

و إياك و الحرب التى لا أديمها صحيح و ما تنفك تأتى على الرغم

فإن يظفر الحزب الذى أنت منهم و ينقلبوا ملأى الأكفّ من الغنم

فلا بدّ من قتلى لعلك فيهم و إلا فجرح لا يكون على العظم

فلما أبى خلّيت فضل ردائه عليه فلم يرجع بحزم و لا عزم

و كان صريع الخيل أول وهله فبعدا له مختار جهل على علم

فى (الطبرى): سأل عمرو بن الليث الصقّار السلطان أن يولّيه ما وراء النهر فولّاه و وجه إليه- و هو مقيم بنيسابور- بالخلع و اللواء على ما وراء النهر، فخرج لمحاربه إسماعيل السامانى، فكتب إليه إسماعيل: إنك وليت دنيا

ص: ٤١٤

عريضه و إنما فى يدى ما وراء النهر و أنا فى ثغر، فافنع بما فى يدك و اتركنى مقيما فى هذا الثغر، فأبى إجابته فذكر له شدّه عبور نهر بلخ فقال: لو أشاء أن أسكره بيدر الأموال و أعبره لفعلت. فلما أيس إسماعيل عبر النهر إلى الجانب الغربى و جاء عمرو فنزل بلخ و أخذ إسماعيل عليه النواحي فصار كالمحاصر و ندم على ما فعل و طلب المحاجزه فأبى عليه إسماعيل، و لم يكن بينهما كثير قتال حتى هزم و مر بأجمه فى طريقه قيل له انها أقرب فقال لعامه من معه:

أمضوا فى الطريق الواضح، و مضى فى نفر يسير فدخل الاجمه فوحت دابته و مضى من معه، و جاء أصحاب إسماعيل فأخذوه أسيرا، فلما ورد الخبر على المعتضد مدح إسماعيل و ذم عمرا .

(و لكن الحذر كلّ الحذر من عدوك بعد صلحه فان العدو ربما قارب) العدو (ليتغفل) و يغدر بك (فخذ بالحزم) و الاحتياط فى أمرك (و اتهم فى ذلك حسن الظن) لأنّه يمكن أن يؤدى إلى هلاكك. قال البحرى:

أوجلتنى بعد أمن غرتى و اغترار الأمن يستدعى الوجل

فى الطبرى فى قصه محاربه نصر بن سيار و الكرمانى فى خراسان أيام خروج ابى مسلم: بعث أبو مسلم إلى الكرمانى - حين عظم الأمر بينه و بين نصر - انى معك، فقبل الكرمانى ذلك و انضم إليه أبو مسلم فاشتد ذلك على نصر، فأرسل إلى الكرمانى و يلك لا تغتر فوالله انى لخائف عليك و على أصحابك منه و لكن هلم إلى الموادعه فندخل مرو و نكتب كتابا بصلح - و هو يريد أن يفرّق بينه و بين أبى مسلم، فدخل الكرمانى منزله و أقام أبو مسلم فى المعسكر و خرج الكرمانى حتى وقف فى الرحبه فى مائه فارس و عليه قرطق خشكشونه، ثم أرسل إلى نصر اخرج لنكتب بيننا ذلك الكتاب، فأبصر نصر

منه غره فوجّه إليه ابن الحارث بن سريج في نحو من ثلاثمائة فارس فالتقوا في الرحبه فطعن في خاصره الكرمانى فخر عن دابته و حماه أصحابه حتى جاءهم ما لا قبل لهم به فقتل نصر الكرمانى و صلبه (١).

و فى السير: حاصر قتيبه بن مسلم سمرقند أشهراً بعد فتح بخارى فلم يقدر على فتحها، فهياً صناديق و جعل لها أبواباً من أسافلها تغلق من داخل و تفتح، و جعل فى كلّ صندوق رجلاً مستلثماً معه سيفه و أقفل أبوابها العليا ثم أرسل إلى دهقانها انى راحل عنك إلى الصغانيان و ناحيتها و معى فضول أموال و سلاح فوادعنى و احرز هذه الصناديق عندك إلى عودى ان سلمت، فأجابه و تقدم قتيبه إلى الرجال أن يفتحوا فى جوف الليل أبواب الصناديق فيخرجوا ثم يصيروا إلى باب المدينة فيفتحوه، و أمر الدهقان بالصناديق فأدخلت المدينة، فلما جن الليل و هدد الناس خرج الرجال بأيديهم السيوف لا يستقبلهم أحد إلا قتلوه حتى أتوا باب المدينة فقتلوا الحرس و فتحوا الباب و دخل قتيبه فصارت فى يده (٢).

و فى العيون: أوصى بعض الحكماء ملكاً فقال له: لا يكن العدو الذى قد كشف لك عن عداوته بأخوف عندك من الظنين الذى يستتر لك بمخاتلته، فانه ربما تخوف الرجل السم الذى هو أقتل الأشياء ثم يقتله الماء الذى يحيى الأشياء و ربما تخوف أن يقتله الملوكة التى تملكه ثم تقتله العبيد التى يملكها، فلا تكن للعدو الذى تناصب أحذر منك للطعام الذى تأكل، و انا لكل أمر أخذت منه نذيرك و ان عظم آمن منى من كل أمر عربته من نذيرك و ان صغر (٣).

ص: ٦١٨

١-١ (١) تاريخ الطبرى. [١]

٢-٢ (٢) سير العجم

٣-٣ (٣) عيون القتيبي ١: ١١٧.

و فيه فى سىر العجم: ان فىروز بن يزدرجى بن بهرام لما ملك سار بجنوده نحو خراسان لىغزو أخصنوار ملك الهىاطله بىلخ، فلما انتهى إلى بلاده اشتد رعب اخصنوار. فناظر أصحابه فى أمره، فقال له رجل منهم:

أعطى موثقا و عهدا تطمئن إليه نفسى أن تكفىنى أهلى و ولدى و تحسن إليهم و تخلفنى فىهم، ثم اقطع يدى و رجلي و القنى على طريق فىروز حتى يمرّ بى هو و أصحابه فأكفىك مؤنتهم و أورطهم مورطا تكون فىه هلكتهم. فقال له اخصنوار: و ما الذى تنتفع به من سلامتنا و صلاح حالنا إذا أنت هلكت و لم تشركننا فى ذلك؟ إقال: إئنّى قد بلغت ما كنت أحب أن أبلغه من الدنيا و أنا موقن بأن الموت لا- بدّ منه فأحبّ أن أختم عمرى بأفضل ما تختم به الأعمار من النصيحة لإخوانى و النكايه فى عدوى فىشرف بذلك عقبى و اصيب سعادة و حظوه فىما أمامى. ففعل به ذلك و أمر به فألقى حيث وصف له، فلما مرّ به فىروز سأله عن أمره، فأخبره ان اخصنوار فعل ذلك و قال له: إئنّى احتلت حتى حملت إلى هذا الموضع لأدلك على عورته و غرّته، إئنّى أدلك على طريق هو أقرب من هذا الذى تريدون سلوكه و أخفى فلا يشعر اخصنوار حتى تهجموا عليه فىنتقم الله لى منه بكم فىلس فى هذا الطريق إلا- تفوز يومين ثم تفضون إلى كلّ ما تحبّون. فقبل فىروز قوله بعد أن أشار عليه وزراؤه بالاتهام له و الحذر منه، فخالفهم و سلك الطريق حتى انتهى بهم إلى موضع من المفازة لا- صدر عنه، ثم بىن لهم أمره فتفرقوا فى المفازة يمينا و شمالا- يلتمسون الماء فقتل العطش أكثرهم و لم يخلص مع فىروز منهم إلا- عدّه يسيره فىأنتهم انطلقوا معه حتى أشرفوا على أعدائهم و هم مستعدون لهم، فواقعهم على تلك الحاله و على ما بهم من الضرّ و الجهد فاستمكنوا منهم و أعظموا النكايه فىهم (١).

ص: ٦١٩

«و ان عقدت بينك و بين عدوك عقده أو ألبسته منك ذمه» أى:عهدا.

«فحط» من حاط يحوط أى:رعى.

«عهدك بالوفاء» «و أَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعِيدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقَضَتْ غَزْلَهُمَا مِنْ بَعِيدٍ قُوَّةٍ أَنْكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْتَلُواكُمُ اللَّهُ بِهِ» (١).

«و اراع ذمتك بالأمانه» و فى قصه فيروز و أخشنوار المتقدمه-بعد ما مر- ثم رغب فيروز إلى أخشنوار و سأله أن يمنّ عليه و على من بقى من أصحابه على أن يجعل لهم عهد الله و ميثاقه ألا يغزوه أبدا فيما يستقبل من عمره، و على أنه يحدّ فيما بينه و بين مملكته، حدّا لا تجاوزه جنوده، فرضى أخشنوار بذلك و خلّى سبيله و انصرف إلى مملكته، فمكث فيروز برهه من دهره كئيبا ثم حملة الأنف على أن يعود لغزوه و دعا أصحابه إلى ذلك فردوه عنه و قالوا له:

انك قد عاهدته و نحن نتخوّف عليك عاقبه البغى و الغدر مع ما فى ذلك من العار و سوء المقاله. فقال لهم: إنى إنما شرطت ألا أجوز الحجر الذى جعلته بينى و بينه فأنا أمر بالحجر ليحمل على عجله أمانا. فقالوا له: أيها الملك ان العهود و المواثيق التى يتعطاها الناس بينهم لا تحمل على ما يسر المعطى لها و لكن على ما يعلن المعطى، و انك انما جعلت له عهد الله و ميثاقه على الأمر الذى عرفه لا على أمر لم يخطر بباله، فأبى فيروز و مضى فى غزاته حتى انتهى إلى الهياطله و تصافّ الفريقان للقتال، فأرسل اخشنواز إلى فيروز يسأله أن يبرز فيما بين صقّيهم ليكلّمه فخرج إليه فقال له اخشنواز: أظنّ أنه لم يدعك إلى غزونا إلاّ الأنف ممّا أصابك، و لعمري لئن كُنّا احتلنا لك بما رأيت لقد النحل

ص: ٦٢٠

كنت التمسست منيا أعظم منه و ما ابتدأناك ببغى و لا ظلم، و لا أردنا إلا دفعك عن أنفسنا و عن حريمنا، و لقد كنت جديرا أن تكون من سوء مكافأتنا بمننا عليك و على من معك من نقض العهد و الميثاق الذى و كدت على نفسك أعظم أنفا مما نالك منيا فاننا أطلقناكم و أنتم اسراء و حقنا دماءكم و بنا قدره على سفكها، و إننا لم نجبرك على ما شرطت مع اتى قد ظننت أنه يزيدك نجاحا ما تثق به من كثره جنودك، و ما أشك ان أكثرهم كارهون لشخصك لعرفانهم أنك دعوتهم إلى ما يسخط الله فانظر ما قدر غناء من يقاتل على مثل هذه الحال و ما عسى أن تبلغ نكايته فى عدوه إذا كان عارفا بأنه ان ظفر فمع عار و ان قتل فالى النار- إلى أن قال- فلما كان فى اليوم الثانى أخرج اخشنوار الصحيفه التى كتبها لهم فيروز فرفعها على رمح لينظر إليها أهل عسكر فيروز فيعرفوا غدره، فانتفض عسكر فيروز و ما لبثوا إلا يسيرا حتى انهزموا و قتل منهم خلق كثير و هلك فيروز، فقال اخشنوار: لقد صدق الذى قال «لا راد لما قدر و لا أشد احاله لمنافع الرأى من الهوى و اللجاج و لا أضيع من نصيحه تمنح من لا يوطن نفسه على قبولها و لا- أسرع عقوبه و أسوأ عاقبه من البغى و الغدر و لا- أجلب لعظيم العار و الفضوح من افراط الفخر و الأنفه» (١).

«و اجعل نفسك جنة دون ما أعطيت» فى الطبرى- بعد ذكر أن محمد بن الأشعث أعطى مسلم بن عقيل الامان و أتى به ابن زياد و أراد قتله- فقال مسلم:

يا ابن الأشعث أما و الله لو أنك آمنتنى ما استسلمت قم بسيفك دونى فقد أخفرت ذمتك.

و رضى السموأل بقتل ابنه دون أن يؤدى الامانه إلى غير أهلها.

ص: ٦٢١



«فإنه ليس من فرائض الله شيء» و في روايه (التحفة) (١) «شيء من فرائض الله».

«الناس أشد عليه اجتماعا-مع تفرق أهوائهم و تشتت آرائهم-من تعظيم الوفاء بالعهود» لأنه من الواجبات التي يعتقد بها كل مله و نحله الموحد و الملحد و المسلم و الكافر، و قد أكد فرضه الشريعة، قال النبي صلى الله عليه و آله بعثت إلى الوفاء بالعهد للبر و الفاجر (٢).

«و قد لزم ذلك المشركون في ما بينهم دون المسلمين» أي: لا اختصاص بذلك بالمسلمين.

«لما استوبلوا» أي: عدوه و خيما.

«من عواقب الغدر» .

في (العقد): قال مروان بن محمد لعبد الحميد الكاتب حين أيقن بزوال ملكه: قد احتجت إلى ان تصير مع عدوى و تظهر الغدر بي فإن إعجابهم بأدبك و حاجتهم إلى كتابك تدعوهم إلى حسن الظن بك، فإن استطعت أن تنفعني في حياتي و إلا لم تعجز عن حفظ حرمتي بعد مماتي. فقال عبد الحميد: إن الذي أمرت به أنفع الأشياء لك و أقبحها بي، و ما عندي غير الصبر معك حتى يفتح الله عليك أو أقتل معك (٣).

و قال المدائني: قتل عبد الملك عمرو بن سعيد بعد ما صالحه و كتب له كتابا و أشهد شهودا ثم قال لرجل كان يستشيريه و يصدر عن رأيه إذا ضاق به الأمر: ما رأيك في الذي كان مني؟ قال: أمر قد فات دركه. قال: لتقولن. قال:

ص: ٦٢٢

١-١) تحفة العقول: ١٤٥.

٢-٢) تحفة العقول: ١٤٦.

٣-٣) العقد الفريد ١: ٧٣. [١]

حزم لو قتلته و حيتت. قال: أو لست بحَيّ؟ فقال، من أوقف نفسه موقفا لا- يوثق له بعهد و لا بعقد فليس بحَيّ. قال: كلام لو سبق سمعه فعلى لأمسكت (١).

و قال عمرو بن العلاء: كانت بنو سعيد بن تميم أغدر العرب، و كانوا يسمون الغدر فى الجاهليه كيسان، فقال فيهم الشاعر:

إذا كنت فى سعد و خالك منهم غريبا فلا يغررك خالك من سعد

إذا ما دعوا كيسان كانت كهولهم إلى الغدر أدنى من شبابهم المرد (٢)

و كان المنصور غدر بـابن هبيرة و عمّه عبد الله بن على و أبى مسلم فأعطاهم الأمان ثم قتلهم، فلما كتب إلى محمد بن عبد الله بن الحسن كتابا ذكر فيه اعطاءه الأمان أجابه محمد أى الأمانات تعطيني أمان ابن هبيرة أم عمّك أم أبى مسلم .

«فلا تغدرن بدمتك و لا تخيسن» أى: لا تنكثن.

«بعهدك و لا تختلن» أى: لا تخدعن.

«عدوك فأنه لا يجترىء على الله» بنقض حرمة العهد.

«إلا جاهل شقى» فى الخبر (٣): من أمن رجلا على دمه، فقتله، فإنه يحمل لواء غدر يوم القيامة .

«و قد جعل الله عهده و ذمته أمنا أفضاه» أى: جعله فضاء واسعا.

«بين العباد برحمته و حرима» أى: شيئا محترما.

«يسكنون إلى منعتة» بفتح النون.

ص: ٦٢٣

١- ١) العقد الفريد ١: ٧٣. [١]

٢- ٢) العقد الفريد ١: ٧٤. [٢]

٣- ٣) اخرجه ابن ماجه ٢: ٨١٦ ح ٣٦٨٨.

«و يستفيضون» أى: ينتشرون.

«إلى جواره» بالكسر مصدر جاور.

فى (المعجم): عن سيف فى فتح نيشابور: افتتحها المسلمون سنة (١٩) سنة فتح نهاوند حاصروها مده فلم يفجأهم إلا و أبوابها تفتح و خرج السرح و فتحت الأسواق و انبث أهلها، فأرسل المسلمون ان ما خبركم؟ قالوا: انكم رميتم الينا بالأمان فقبلناه و أقررنا لكم بالجزاء على أن تمنعونا. فقالوا: ما فعلنا. فقالوا: ما كذبنا، فسأل المسلمون فيما بينهم فاذا عبد يدعى مكتفا كان أصله منها هو الذى كتب لهم الأمان، فقال المسلمون: ان الذى كتب اليكم عبد. قالوا: لا نعرف عبدكم من حرّكم فقد جاء الأمان و نحن عليه قد قبلناه فان شئتم فاغدروا. فأمسكوا عنهم.

هذا، و فى (العقد): كان الاسكندر لا- يدخل مدينه إلا- هدمها و قتل أهلها حتى مر بمدينه كان مؤدبه فيها فخرج إليه فأطلقه الإسكندر و أعظمه، فقال له المؤدب: ان أحق من زين لك أمرك و أعانك على كل ما هويت لأنا و ان أهل هذه المدينه قد طمعوا فيك لمكانى منك فأحب أن لا تسعبنى فيهم و ان تخالفنى فى كل ما سألتك لهم، فأعطاه من العهود على ذلك ما لا يقدر على الرجوع عنه، فلما توثق منه قال: فان حاجتى اليك أن تهدمها و تقتل أهلها. قال: ليس إلى ذلك سبيل و لا بد من مخالفتك (١).

«فلا ادغال» قال الجوهري: قد أدغل فى الأمر ادخل فيه ما يخالفه و يفسده.

«و لا مدالسه» الدلس الظلمه، و المدالسه أن يأتيك بالشىء فى الظلام

ص: ٦٢٤

(١-١) العقد الفريد ١: ١١١. [١]

«و لا خداع فيه» الخداع مصدر خادعه إذا أراد به المكروه من حيث لا يعلم (١).

في (العقد): صالح سعيد بن العاص حصنا من حصون فارس على أن لا يقتل منهم رجلا واحدا فقتلهم كلهم إلا رجلا واحدا (٢).

و في (الطبرى): بعث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حِينَ افْتَتِحَ مَكَّةُ دَاعِيًا وَ لَمْ يَبْعَثْهُ مَقَاتِلًا وَ مَعَهُ قِبَائِلٌ مِنَ الْعَرَبِ سَلِيمٌ وَ مَدَلِجٌ وَ قِبَائِلٌ مِنْ غَيْرِهِمْ، فَلَمَّا نَزَلُوا عَلَى الْغَمِيصَاءِ - مَاءٌ مِنْ مِيَاهِ بَنِي جَذِيمَةَ - وَ كَانُوا قَدْ أَصَابُوا فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَوْفًا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ وَ الْفَاكِهِةَ بِنَ الْمَغِيرَةَ عَمَّ خَالِدٌ - وَ كَانَا قَدْ أَقْبَلَا - تَاجِرِينَ مِنَ الْيَمَنِ فَلَمَّا نَزَلَا بِهِمْ قَتَلُوهُمَا وَ أَخَذُوا أَمْوَالَهُمَا - فَلَمَّا رَأَى الْقَوْمُ خَالِدًا أَخَذُوا السِّلَاحَ، فَقَالَ لَهُمْ خَالِدٌ: ضَعُوا السِّلَاحَ فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ أَسْلَمُوا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَوَضَعُوا الْقَوْمُ السِّلَاحَ لِقَوْلِ خَالِدٍ، فَلَمَّا وَضَعُوهُ أَمَرَ بِهِمْ خَالِدٌ عِنْدَ ذَلِكَ فَكَتَفُوا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى السَّيْفِ فَقَتَلَ مِنْ قَتْلِهِمْ مَنْ قَتَلَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبْرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ «اللَّهُمَّ إِنِّي أBRَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعَ خَالِدٌ»، ثُمَّ دَعَا عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ لَهُ: أَخْرِجْ إِلَى هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ فَانظُرْ فِي أَمْرِهِمْ وَ اجْعَلْ أَمْرَ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيْكَ، فَخَرَجَ وَ مَعَهُ مَالٌ فَوَدَى لَهُمُ الدَّمَاءَ حَتَّى أَنَّهُ لِيَدِي مِيلَغَةَ الْكَلْبِ - إلخ (٣).

و في (الطبرى) أيضا: ان أبا بكر كان من عهده إلى جيوشه ان إذا غشيتم دارا من دور الناس فسمعتم إذانا للصلاه فأمسكوا عن أهلها حتى تسألوهم

ص: ٦٢٥

١-١) جوهرى ١٤:١٦٩٧.

٢-٢) العقد الفريد ١:١١٢. [١]

٣-٣) تاريخ الطبرى ٣:٦٦ و ٦٧. [٢]

ما الذى نقموا و ان لم تسمعوا أذانا فشنوا الغاره و اقتلوا و احرقوا،و كان مَمَّن شهد لمالك ابن نويره بالإسلام أبو قتاده السلمى،و قد كان عاهد الله أن لا يشهد مع خالد بعدها حربا أبدا،و كان يحدث أنهم لما غشوا القوم راعوهم تحت الليل فأخذ القوم السلاح،قال أبو قتاده.فقلنا أنا المسلمون.فقالوا و نحن المسلمون.قلنا لهم:فما بال السلاح معكم.قالوا لنا:فما بال السلاح معكم.قلنا:

فان كنتم كما تقولون فضعوا السلاح،فوضعه ثم صلينا و صلوا.و كان خالد يعتذر فى قتله أنه قال و هو يراجعه ما أخال صاحبكم إلا و قد كان يقول كذا كذا قال أو ما تعده لك صاحبا؟ثم قدمه فضرب عنقه و أعناق أصحابه،فلما بلغ قتلهم عمر تكلم فيه عند أبى بكر فأكثر فقال:عدوّ الله عدا على امرىء مسلم فقتله ثم نزا على امرأته-إلى أن قال-فقال أبو بكر:خالد سيف سلّه الله لا أشيمه (١).

و فى (الطبرى) أيضا:قتل الحجاج يوم الزاويه من وقائعه مع ابن الأشعث لما انهزموا أحد عشر ألفا خدعهم بالأمان،أمر مناديا فنادى لا أمان لفلان بن فلان و فلان بن فلان-فسمى رجالا-فقال العامه:قد آمن الناس فحضروا عنده فأمر بهم فقتلوا (٢).

«و لا يدعونك ضيق أمر لزمك فيه عهد الله إلى طلب انفساخه بغير الحق فإنّ صبرك على ضيق أمر» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) (٣) و ليس «أمر» فى (ابن ميثم) (٤) و (الخطيه) و الظاهر كونه حاشيه خلطت بالمتن فروايه

ص:٦٢٦

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٣:٢٧٩ و ٢٨٠. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٦:٣٨١. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٧:١٠٧. [٣]

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٥:١٧٥. [٤]

التحفة (١) أيضا منه خاليه.

«ترجو انفراجه» قال الشاعر:

عسى الكرب الذى أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

«و فضل عاقبته» بحصول ثواب كثير له، قال تعالى: «إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ» (٢).

«خير من غدر تخاف تبعته» من خصمك.

«و أن تحيط بك من الله فيه» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (فيه من الله) كما فى (ابن أبى الحديد) (٣) و (ابن ميثم) (٤) و (الخطيه).

«طلبه فلا تستقبل» جعله (ابن ميثم) (٥) بالموحده، قال: و روى «تستقبل» بالمشناه.

«فيها دنياك و لا آخرتك».

فى (الطبرى) فى صلح الحديبيه-بعثت قريش سهيل بن عمرو-أخا بنى عامر بن لؤى-إلى النبىِّ صلى الله عليه و آله و قالوا له: إيت محمدا فصالحه و لا يكن فى صلحه إلا أن يرجع عنا عامه هذا-إلى أن قال-فلما التأم الأمر و لم يبق إلا الكتاب و ثب عمر فأتى أبا بكر فقال: أ ليس برسول الله؟ قال: بلى. قال: أ و لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أ و ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلى م نعطى الدينه فى ديننا-إلى أن قال-ثم أتى عمر النبىِّ فقال له: أ لست برسول الله؟ قال:

بلى. قال: أ و لسنا بالمسلمين. قال: بلى. قال: أ و ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى.

قال: فعلى م نعطى الدينه فى ديننا. فقال النبىِّ: أنا عبد الله و رسوله لن أخالف

ص: ٦٢٧

١-١) تحفة العقول: ١٤٦.

٢-٢) الزمر: ١٠. [١]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠٧: ١٧. [٢]

٤-٤) شرح ابن ميثم ١٧٥: ٥. [٣]

٥-٥) شرح ابن ميثم ١٧٥: ٥. [٤]

أمر الله و لن يضيّعني-إلى أن قال-فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله لعلي بن أبي طالب:اكتب «هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو اصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين يأمن فيهن الناس و يكفّ بعضهم عن بعض، على أنه من أتى النبي من قريش بغير إذن وليه ردّه عليهم و من جاء قريشا ممّن مع النبي لم تردّه عليه،و أن بيننا عيبه مكفوفه،و أنه لا اسلال و لا-إغلال، و أن من أحب أن يدخل في عقد النبي و عهده دخل فيه و من أحب أن يدخل في عقد قريش و عهدهم دخل فيه»فتواثبت خزاعه فقالوا:نحن في عقد النبي و عهده و تواثبت بنو بكر فقالوا:نحن في عقد قريش و عهدهم-إلى أن قال-قال الزهري:فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه،انما كان القتال حيث التقى الناس فلما كانت الهدنه و وضعت الحرب أوزارها و آمن الناس كلّهم و آمن بعضهم بعضا التقوا و تفاوضوا في الحديث و المنازعه،فلم يكلم أحد بالاسلام يعقل شيئا إلاّ دخل فيه،فقد دخل في الاسلام في تينك السنين مثل ما كان دخل في الاسلام قبل ذلك و أكثر.

إلى أن قال:فلما قدم النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله المدينة جاءه أبو بصير-رجل من قريش و كان ممّن حبس بمكه-فكتب فيه أزهري بن عبد عوف و الأحنس بن شريق الثقفي و بعثا رجلا من بني عامر بن لؤي و معه مولى لهم فقدموا على النبي بكتاب الأزهري و الأحنس،فقال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله:يا أبا بصير قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت و لا يصلح لنا في ديننا الغدر و ان الله جاعل لك و لمن معك من المستضعفين فرجا و مخرجا،فانطلق معهما حتى إذا كان بذي الحليفة جلس إلى جدار و جلس معه صاحبا،فقال أبو بصير:أ صارم سيفك هذا يا أخا بني عامر؟قال:نعم.قال:أنظر إليه.قال:ان شئت فاستله أبو بصير ثم علاه به فقتله.و خرج المولى سريعا حتى أتى النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و هو في المسجد،فلما رآه

طالعا قال: ان هذا رجل قد رأى فرعا، فلما انتهى إليه قال له: ويلك مالك. قال:

قتل صاحبكم صاحبى، فو الله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على النبي صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله وقت ذمتك رددتني اليهم ثم أنجاني الله. فقال النبي: ويل امه مسعر حرب لو كان معه رجال، فلما سمع أبو بصير ذلك علم أنه سيرده اليهم، فخرج حتى نزل بالعيص من ناحيه ذى المروه على ساحل بحر بطريق قريش الذى كانوا يأخذون إلى الشام وبلغ المسلمين الذين كانوا احتبسوا بمكة قول النبي صلى الله عليه وآله لأبى بصير «محش حرب لو كان معه رجال»، فخرجوا إلى أبى بصير بالعيص ولاحق به أبو جندل بن سهيل بن عمرو فاجتمع إليه قريبا من سبعين رجلا منهم، فكانوا قد ضيقوا على قريش فو الله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلا اعترضوا لهم فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي صلى الله عليه وآله وآله يناشدونه بالله والرحم لما أرسل اليهم فمن أتاه فهو آمن، فأواه النبي فقدموا عليه المدينة (١).

«اياك و الدماء و سفكها بغير حلها فانه ليس شىء أدنى» هكذا فى المصرىه و الصواب: «أدعى» كما فى ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه (لنقمه و لا أعظم لتبعه و لا أخرى بزوال نعمه و انقطاع مده من سفك الدماء بغير حقها) قال تعالى «وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» (٤).

و فى غريب ابن قتيبه قال على عليه السلام «لما قتل ابن آدم أخاه غمص الله

ص: ٦٢٩

١- (١) تاريخ الطبرى ٢:٦٣٣ و ٦٣٤. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧:١١٠. [٢]

٣- (٣) شرح ابن ميثم [٣] النساء ١٧٥:٥.

٤- (٤) ٩٣.



الخلق و نقص الأشياء» و معنى الحديث ان الله تعالى نقص الخلق من عظم الابدان و طولها من القوه و البطش و طول العمر و نحو ذلك.

و عن الصادق عليه السلام: أوحى الله تعالى إلى موسى قل للملأ من بنى اسرائيل إياكم و قتل النفس الحرام بغير حق فان من قتل منكم نفسا فى الدنيا قتله فى النار مائه ألف قتله مثل قتل صاحبه (١).

و عن الباقر عليه السلام فى قوله تعالى «مَنْ أُخِيلَ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا» (٢) انه يوضع فى موضع من جهنم إليه ينتهى شدّه عذاب أهلها لو قتل الناس جميعا كان انما يدخل ذلك المكان (٣).

و عن أحدهما عليهما السلام قيل للنبي صلى الله عليه و آله قتل فى مسجد جهينه، فقام يمشى حتى انتهى إلى مسجدهم و تسامع الناس فأتوه، فقال: من قتل ذا؟ فقالوا لا ندرى. فقال: و الذى بعثنى بالحق لو أن أهل السماوات و الأرض شركوا فى دم مسلم أو رضوا به لأكبهم الله على مناخرهم أو قال على وجوههم (٤).

و عن الصادق عليه السلام: فى من قتل مؤمنا يقال له مت أى ميتة شئت يهوديا و ان شئت نصرانيا و ان شئت مجوسيا (٥).

«و الله سبحانه مبتدئ بالحكم بين العباد فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامة» .

ص: ٦٣٠

١-١ (١) عقاب الاعمال: ٣٢٧ ح ٨.

٢-٢ (٢) المائدة: ٣٢. [١]

٣-٣ (٣) اخرج الكلىنى فى الكافى ٧:٢٧١ ح ١، و [٢] فى عتاب: ٣٢ ح ٢.

٤-٤ (٤) اخرج الكلىنى فى الكافى ٧:٢٧٢ ح ٨. [٣]

٥-٥ (٥) اخرج الكلىنى فى الكافى ٧:٢٧٣ ح ٩٨، و [٤] عتاب: ٣٢٧ ح ٤.

عن الصادق عليه السلام: أول ما يحكم الله تعالى في القيامة الدماء فيقوم ابنا آدم فيفصل بينهما، ثم الذين يلونهما من أصحاب الدماء حتى لا يبقى منهم أحد، ثم الناس بعد ذلك، فيأتي المقتول قاتله فيشخب دمه في وجهه فيقول:

هذا قتلنى. فيقول: أنت قتلته، فلا يستطيع أن يكتب الله حديثاً (١).

(فلا تقوين سلطانك بسفك دم حرام فان ذلك مما يضعفه و يوهنه بل يزيله و ينقله).

فى المروج كان معاويه بعث فى سنه أربعين بسر بن ارطأه فى ثلاثه آلاف رجل حتى قدم المدينه و عليها أبو أيوب الأنصارى، فتنحى و جاء بسر فصعد المنبر و تهدد أهل المدينه بالقتل فأجابوه إلى بيعه معاويه، ثم سار إلى اليمن و كان عبید الله بن العباس بها فخرج عنها و خلف ابنه عند امهما، فقتلها بسر و قتل معها خالا لهما من ثقيف و قتل بالمدينه و بين المسجدين خلقا كثيرا من خزاعه و غيرهم، و كذلك بالجرف قتل بها خلقا كثيرا من رجال همدان. و قتل بصنعاء خلقا كثيرا من الأبناء و لم يبلغه عن أحد أنه يماليء عليا أو يهواه إلا قتله (٢).

«و لا عذر لك عند الله و لا عندى فى قتل العمد لأن فيه قود» بفتحيتين أى:

القصاص.

«البدن» قال تعالى: «التَّفَسُّسِ بِالنَّفْسِ» (٣) و قال «و لَكُمْ فى الْقِصَاصِ حَيَاةٌ» (٤).

«و إن ابتليت بخطأ و أفرط عليك سوطك أو سيفك» هكذا فى (المصريه)

ص: ٦٣١

١- (١) اخرج الكافى ٧: ٢٧١ ح ٢، و [١] عقاب الأعمال: ٣٢٦ ح ٣. [٢]

٢- (٢) مروج الذهب ٢: ٢١ و ٢٢. [٣]

٣- (٣) المائدة: ٤٥. [٤]

٤- (٤) البقره: ١٧٩. [٥]

و الكلمة «أو سيفك» زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد) (١) و(ابن ميثم) (٢) و(الخطيب)، و الظاهر أن الكلمة كانت حاشيه زادها بعض المحشين اجتهادا فخلطت بالمتن، إلا أن اجتهاده كان خطأ فالسيف لا يستعمل إلا في العمد دون الخطأ، و ليست الكلمه في روايه (التحفة) (٣) أيضا.

«أو يدك بعقوبه فإن في الوكزه» قال ابن دريد: الوكز: الضرب باليد و هي مجموعه (٤).

«فما فوقها مقتله» أي: سببا للقتل كما اتفق لموسى عليه السلام مع القبطي قال تعالى «فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ» (٥).

«فلا تطمحن» أي: لا ترفع.

«بك نخوه» أي: عظمه.

«سلطانك عن أن تؤدى إلى أولياء المقتول حقهم» من الديه لأن في مثله من قتل يحصل بسبب إفراط سوط أو يد في العقوبه-و هو الخطأ شبيه العمد- الديه على القاتل و إنما الديه على العاقله في الخطأ المحض.

روى الكافي أنه عليه السلام أمر قنبرا أن يضرب رجلا حدا فغلط قنبر فزاده ثلاثة أسواط فأقاده عليه السلام من قنبر ثلاثة أسواط.

و روى: أن امرأه كانت تؤتى فبلغ ذلك عمر فبعث إليها فروعها و أمر أن يجاء بها إليه، ففرغت المرأة فأخذها الطلق و ذهبت إلى بعض الدور فولدت غلاما فاستهل الغلام ثم مات، فدخل عليه من روعه المرأة و من موت الغلام

ص: ٦٣٢

١-١ شرح ابن أبي الحديد ١١١: ١٧. [١]

٢-٢ شرح ابن ميثم ١٧٥: ٥. [٢]

٣-٣ تحفة العقول: ١٤٧.

٤-٤ جمهره اللغه ٨٢٥: ٢. [٣]

٥-٥ القصص: ١٥. [٤]

ما شاء الله، فقال له بعض جلسائه: ما عليك من هذا شيء، و قال بعضهم و ما هذا؟! فقال عمر: سلوا أبا الحسن. فقال عليه السلام: إن كنتم اجتهدتم ما أصبتم، و إن كنتم برأيكم قلمت لقد اخطأتم، ثم قال لعمر عليك دية الصبي (١).

قال ابن أبي الحديد: كلامه عليه السلام لمالك يدل على أنّ المؤدب من الولاة إذا تلف تحت يده إنسان في التأديب فعليه الدية، و قال لى قوم من فقهاء الاماميه:

إنّ مذهبنا أن لا دية عليه، و هو خلاف مقتضى كلامه عليه السلام هنا (٢).

قلت: فصلّ الشيخان في (المقنعه) و (الاستبصار) بين حقوق الله و حقوق الناس استنادا إلى خبر الكافي عن ابن حى عن الصادق عليه السلام كان على يقول: من ضربناه حدا من حدود الله فمات ديه له علينا، و من ضربناه فى حقوق الناس فمات فان ديته علينا (٣).

و كلامه عليه السلام هنا لمالك لا ينافى ذلك لأن مورده التعدى لقوله عليه السلام «و أفرط عليك سوطك أو يدك بعقوبه» و يمكن حمل خبر (الكافي) فى ضمان حقوق الناس أيضا على التعدى لعدم تعيين الضرب فيه و إلا فمن حقوق الناس القصاص فى غير النفس.

و فى خبر زيد الشحام عن الصادق عليه السلام فى رجل قتله القصاص، هل له ديه؟ قال: لو كان ذلك لم يقتص من أحد (٤).

و فى خبر الحلبي عنه عليه السلام أيضا أنّ من قتله الحدّ و القصاص

ص: ٦٣٣

١- ١) الكافي ٧:٢٦٠ ح ١، و ٧:٣٧ [١] ح ٤ ح ١١.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٧:١١٢.

٣- ٣) الاستبصار ٤:٢٧٩-٣، المقنعه: ١١٦، من لا يحضره الفقيه ٤:٥١ ح ٥، الكافي ٧:٢٩٢ ح ١٠، [٢] التهذيب ١٠:٢٠٨ ح ٢٧.

٤- ٤) الاستبصار ٤:٢٧٦ ح ٢، الكافي ٧:٢٩١ ح ٣، [٣] التهذيب ١٠:٢٠٧ ح ٢٠، من لا يحضره الفقيه ٤:٣٧٩ ح ٢.

«وإياك والإعجاب بنفسك والثقة بما يعجبك منها» في (المروج): قيل لقتيبة ابن مسلم - وهو وال للحجاج على خراسان محاربا للترك: لو وجهت فلانا - لرجل من أصحابه - أميرا على الجيش إلى الحرب، فقال: إنّه رجل عظيم الكبر، و من عظم كبره اشتدّ عجبه، و من أعجب برأيه لم يشاور كفيًا و لم يؤامر نصيحا، و من تبخّج بالإعجاب و فخر بالاستبداد كان من الصّنع بعيدا و من الخذلان قريبا، و من تكبر على عدوّه حقره، و من حقره تهاون بأمره، و من تهاون بأمر عدوه وثق بقوّته و سكن إلى عدّته فقلّ احتراسه و كثر عثاره، و ما رأيت عظيما تكبر على صاحب حرب قطّ إلا كان مخذولا، لا و الله حتى يكون أسمع من فرس و أبصر من عقاب، و أهدى من قطاه و أحذر من عقعق، و أشدّ اقداما من أسد و أوثب من فهد، و أحقد من جمل و أروغ من ثعلب، و أسخى من ديك و أشح من ظبي و أحرس من كركى، و أحفظ من كلب و أصبر من ضب و أجمع من النمل، و ان النفس إنما تسمح بالعناية على قدر الحاجه و يتحفظ على قدر الخوف و يطمع على قدر السبب، و قد قيل: ليس لمعجب رأى و لا لمتكبر صديق، و من أحبّ أن يحبّ تحبّ (٢).

و في (الطبرى): كان يزدجرد الاثيم بن سابور ذى الأكناف ذا عيوب كثيرة، و كان من أشدّ عيوبه و أعظمها ذكاء ذهن و حسن أدب و صنوفا من العلم قد مهرها و علمها، و شدّه عجبه بما عنده من ذلك و استخفافه بكلّ ما كان فى أيدي الناس من علم و أدب، و احتقاره له و قلّه اعتداده به و استطالته على

ص: ٦٣٤

١-١) الاستبصار ٢٧٨:٤-٢٧٩ ح ١: الكافي ٢٩٠:٧-٢٩١ ح ١، [١] التهذيب ٢٠٦:١٠-١٨، من لا يحضره الفقيه ٤: ٢٧٨.

٢-٢) مروج الذهب ٢٣٧:٤. [٢]

الناس بما عنده منه (١).

«و حَبَّ الإِطْرَاءِ» أى: مدح الناس له. فى (العقد): قدم على عمر بن عبد العزيز ناس من أهل العراق فنظر إلى شاب منهم يتحوّش للكلام، فقال: أكبروا أكبروا. فقال الشاب: ليس بالسن و لو كان الأمر كلّهُ بالسن لكان فى المسلمين من هو أسن منك. فقال عمر: صدقت تكلم. فقال: إنّنا لم نأتك رغبة و لا رهبة، أمّا الرغبة فقد دخلت علينا منازلنا و قدمت علينا بلادنا، و أمّا الرهبة فقد آمننا الله بعد لك من جورك. قال: فما أنتم. قال: وفد الشكر. فنظر محمد بن كعب القرظى إلى وجه عمر يتهلّل، فقال له: لا يغلبنّ جهل القوم بك معرفتك بنفسك فإنّ اناسا خدعهم الثناء و غرهم شكر الناس فهلكوا و أنا أعيدك بالله أن تكون منهم. فألقى عمر رأسه على صدره.

و قد يطرى أهل الدنيا من فوقهم بما يكون كفرا، فقالوا كتب الحجاج إلى عبد الملك: كما أن خليفه الرجل فى أهله أكرم عليه من رسوله كذلك الخلفاء أعلى منزله من المرسلين (٢).

«فان ذلك من أوثق» أى: أحكم.

«فرص الشيطان فى نفسه» قال أبو عبد الله عليه السّلام قال إبليس لجنوده: إذا استمكنت من ابن آدم فى ثلاث لم ابال ما عمل، فإنّه غير مقبول منه: إذا استكثر عمله و نسى ذنبه و دخله العجب (٣).

جعل عليه السّلام الإعجاب و حبّ الاطراء من أوثق فرصه، لأن فرصه كثيره فى إضلال ابن آدم. و فى الخبر: قال إبليس لنوح - بعد أن دعا على قومه -

ص: ٦٣٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٢: ٦٣. [١]

٢- ٢) العقد الفريد ٢: ١٧. [٢]

٣- ٣) الخصال: ١١٢ ح ٨٦.

أرحتنى و أنا أريد أن اكافئك على ذلك، اذكرنى فى ثلاثه مواطن: إذا غضبت و إذا حكمت بين اثنين، و إذا كنت مع امرأه خاليا ليس معكما أحد (١).

أيضا قال إبليس: ما أعيانى فى ابن آدم فلن يعينى منه واحده من ثلاث:

أخذ مال من غير حلّه، أو منعه من حقّه، أو وضعه فى غير وجهه (٢).

«ليمحق» أى: يبطل.

«ما يكون من احسان المحسنين» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(المحسن) كما فى (ابن أبى الحديد) (٣) و (ابن ميثم) (٤) و (الخطيه).

و فى الخبر: سيئه تسوؤك خير من حسنه تعجبك.

و فى (تفسير القمى): لما كلم الله تعالى موسى و أنزل عليه الألواح رجع إلى بنى إسرائيل فصعد المنبر فأخبرهم أن الله كلمه و أنزل عليه التوراه، ثم قال فى نفسه: ما خلق الله خلقا هو أعلم منى. فأوحى تعالى إلى جبرئيل ان أدرك موسى فقد هلك و أعلمه أن عند ملتقى البحرين عند الصخره الكبيره رجلا أعلم منك فصر إليه و تعلم منه، فنزل جبرئيل على موسى فأخبره بذلك... (٥).

و فى (عقاب الأعمال) عن أبى جعفر عليه السلام: إن الله عز و جل فوّض الأمر إلى ملك من الملائكه، فخلق سبع سماوات، و سبع أرضين، و أشياءهما، فلما رأى ان الأشياء قد انقادت له قال: من مثلى! فأرسل الله عز و جل نويره- نار مثل

ص: ٦٣٦

١- (١) الخصال: ١٣٢ ح ١٤٠.

٢- (٢) الخصال: ١٣٢ ح ١٤١.

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ١١٢: ١٧.

٤- (٤) شرح ابن ميثم ١٧٥: ٥.

٥- (٥) تفسير القمى ٣٦: ٢. [١]

أنمله-فاستقبلها بجميع ما خلق حتى وصلت إليه لما دخله العجب (١).

«وإياك و المنّ على رعيتك بإحسانك أو التزيّد» في (الصحاح) التزيّد في الحديث: الكذب (٢)، و كان سعيد بن عثمان يلقب بالزوائد لأنه كان له ثلاث بیضات.

«فيما كان من فعلك أو أن تعدهم فتتبع موعذك بخلفك فإنّ المنّ يبطل الإحسان» كما يبطل الصدقات. قال الشاعر:

أفسدت بالمنّ ما أسديت من حسن ليس الكريم إذا أسدى بمنّان

في (العيون): قال رجل لبنیه: إذا اتّخذتم عند رجل يدا فانسوها.

و قال رجل لابن شبرمه: فعلت بفلان كذا و كذا و كذا. فقال له: لا خير في المعروف إذا احصى.

و قد وصف النابغه الاحسان مع المن بنعمه ذات عقارب، فقال في عمرو بن الحدث الغساني:

علی لعمرو نعمه بعد نعمه لوالده ليست بذات عقارب

«و التزيّد يذهب بنور الحق» فكل باطل خلط مع الحق يذهب بالحق.

و كان الصادق عليه السلام يقول لطلاب العلم: لا تكونوا علماء جبارين فيذهب باطلكم بحقكم (٣).

«و الخلف» للوعد.

«يوجب المقت» أي: المبعوضيه.

«عند الله و الناس. قال الله تعالى» هكذا في (المصريه) و الصواب:

ص: ٦٣٧

١-١ (١) عقاب الأعمال: ٢٩٩ ح ١.

٢-٢ (٢) الصحاح ٤٨٢: ٢. [١]

٣-٣ (٣) أخرجه ابن بابويه في أماليه: ٣٩٤ ح ٩ المجلس ٥٧. [٢]



(سبحانه) كما في (ابن أبي الحديد) (١) و(ابن ميثم) (٢) و(الخطيبه) «كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ» و قبله «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ» (٣)، وقد أكثروا في ذم الخلف فمنها:

يا أكثر الناس وعدا حشوه خلف و أكثر الناس قولاً حشوه كذب

أيضا:

يا جواد اللسان من غير فعل ليت جود اللسان في راحتك

أيضا:

قد بلوناك بحمد الله ان أغنى البلاء فإذا جل مواعيدك و الجحد سواء

أيضا:

لله درك من فتى لو كنت تفعل ما تقول

أيضا:

لسانك أحلى من جنى النحل موعدا و كفك بالمعروف أضيق من فعل

«و إِيَّاكَ و العجله بالامور قبل أو انها» قال تعالى: «خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ سَأُرِيكُمْ آيَاتِي فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ» (٤) و قال: «و يَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَ كَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا» (٥).

«أو التسقط» هكذا في (المصريه) و الصواب: (أو التساقط) كما في (ابن أبي الحديد) (٦) و(ابن ميثم) (٧) و(الخطيبه).

ص: ٦٣٨

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١١٣: ١٧. [١]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ١٧٦: ٥. [٢]

٣- ٣) الصف: ٢- ٣. [٣]

٤- ٤) الأنبياء: ٣٧. [٤]

٥- ٥) الاسراء: ١١. [٥]

٦- ٦) شرح ابن أبي الحديد ١١٣: ١٧.

٧- ٧) شرح ابن ميثم ١٧٦: ٥.

«فيها عند امكانها» .

قال ابن أبي الحديد: هو عبارته عن النهي عن الحرص و الجشع، قال الشنفرى:

و إن مدّت الأيدى إلى الزاد لم أكن بأعجلهم إذ أجشع القوم أعجل

(١)قلت: أين ما قال من مراده عليه السلام، فان مراده النهي عن الاسترخاء و البطء فى الامور عند إمكان أدركها فى مقابل العجله بها قبل وقتها، قال الشاعر:

فإذا أمكنت فبادر إليها حذرا من تعذر الإمكان

«أو اللجاجة فيها إذا تنكرت» قال الشاعر:

و رب ملّح على بغيه و فيها مئته لو شعر

قال آخر:

كناطح صخره يوما ليفلقها فلم يضرها و أوهى قرنه الوعل

«أو الوهن عنها إذا استوضحت» و فى روايه (التحف) (أوضحت)، (٢) و الفرق بين هاتين الفقرتين و اللتين قبلهما أن هاتين من حيث عرفان الامور و نكرها و وضوحها و لبسها و الأوليان من حيث بلوغ وقتها و عدمه.

«فضع كلّ أمر موضعه و أوقع كلّ أمر» هكذا فى (المصريه) و الصواب:

(عمل) كما فى (ابن أبي الحديد) (٣) و (ابن ميثم) (٤) و (الخطيه).

«موقعه» .

رأى دريد بن الصّمّه الخنساء بنت عمرو بن شريد تهنا الابل كما ينبغى فقال فيها:

ص: ٦٣٩

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١١٦:١٧. [١]

٢- ٢) تحف العقول: ١٤٧.

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١١٣:١٧. [٢]

٤- ٤) شرح ابن ميثم ١٧٦:٥.

ما ان رأيت ولا سمعت به كاليوم هانى أينق جرب

متبذلاً تبدو محاسنه يضع الهناء مواضع النقب

وقالوا:الحكمه وضع كل شىء موضعه،والعقل هو الذى يضع الأشياء مواضعها .

«وإياك والاستثار» أى:الاستبداد.

«بما الناس فيه أسوه» أى:سواء،أى:جعلله الله لعامه عباده كالكلأ،وقد حمى عثمان الكلأ الذى حول المدينه لنفسه و هو أحد مطاعنه.

وفى (خلفاء ابن قتيبه):اجتمع ناس من الصحابه فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف عثمان من السنه-إلى أن قال فيها-وما كان من الحمى الذى حمى حول المدينه.وقال:قال له رجل من المهاجرين يا عثمان أ رأيت ما حميت عن الحمى «اللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى اللَّهِ تَفْتَرُونَ» (١).

هذا،واستشهد ابن أبى الحديد لكلامه:«وإياك والاستثار بما الناس فيه أسوه»بأنّ النبى صلّى الله عليه وآله لَمَّا غنائم من خيبر غنائم،ركب راحلته و سار،فتبعه الناس يطلبون قسمتها،فمرّ بشجره فخطفت رداءه،فالتفت اليهم وقال:ردّوا علىّ ردائى،فلو ملكت بعدد رمل تهامه مغنما لقسمته بينكم،ثم لا تجدوننى بخيلا ولا جباناً،ونزل وقسم ذلك المال عن آخره عليهم كلّه،لم يأخذ لنفسه وبره (٢).

وهو كما ترى لا-ربط له،فإن الغنائم ليس الناس فيها أسوه بل خمس منها للنبى صلّى الله عليه وآله وأقربائه وأربعة أخماس منها للمجاهدين،والنبى ما استأثر على الناس بسهامهم بل آثرهم بسهم نفسه.

ص:٦٤٠

١-١) الخلفاء لابن قتيبه ١:٣٢ و ٣٣.والآيه ٥٩ من سوره يونس. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١١٦:١٧. [٢]

«والتغابى» أى: التغافل و هو عطف على «الاستئثار»، أى: وإياك و التغافل «عما يعنى» بلفظ المجهول «به» أى: يهتم به.

«مما قد وضح للعيون فإنه مأخوذ منك لغيرك» كما كان عثمان يعمل أقاربه أعمالا شنيعة بمراى و مسمع من الناس و يتغابى عنها.

و فى (خلفاء ابن قتيبه)-فى كتاب جمع الصحابه فيه بدع عثمان-إلى أن قال-و ما كان من إفشائه العمل و الولايات فى أهله و بنى عمه من بنى أميه أحداث و غلمه لا- صحبه لهم من الرسول و لا- تجربه لهم بالامور، و تركه المهاجرين و الأنصار لا يستعملهم على شىء و لا يستشيرهم و استغنى برأيه عن رأيهم، و ما كان من الوليد بن عقبه بالكوفه إذ صلّى بهم الصبح و هو أمير عليهم سكران أربع ركعات ثم قال إن شئتم أزيدكم ركعه زدتمكم، و تعطيله إقامه الحدّ عليه-إلى أن قال-ثم قام رجل من الأنصار فقال: يا عثمان! ما بال هؤلاء نفر من أهل المدينه يأخذون العطايا و لا يغزون فى سبيل الله، و إنّما هذا المال لمن غزا فيه و قاتل عليه؟-إلى أن قال-فما بال هذا القاعد الشارب لا تقيم الحدّ عليه؟ يعنى الوليد بن عقبه (١).

«و عمّا قليل تنكشف» و فى روايه (التحف) (تكشف) (٢) و هو أصح.

«عنك أغطيه الأمور» «هُنَالِكَ تَبْلُوا كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ» (٣)، «يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ» (٤).

«و ينتصف منك للمظلوم» و فى روايه (التحف) (٥) «فينتصف المظلومون

ص: ٦٤١

١- (١) الخلفاء لابن قتيبه ١: ٣٢ و ٣٤.

٢- (٢) تحف العقول: ١٤٨.

٣- (٣) يونس: ٣٠. [١]

٤- (٤) الطارق: ٩. [٢]

٥- (٥) تحف العقول: ١٤٨.

من الظالمين» وروايته أصح، فقال عليه السلام ذلك عامًا كما في قوله تعالى: «فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَبُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَأَمَّا مَنْ طَغَى وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى وَ أَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَ نَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ» (١).

و كيف كان ففي (الطبرى): لما دخل المنصور آخر منزل نزله من طريق مكة نظر في صدر البيت الذى نزل فيه فاذا فيه مكتوب:

أبا جعفر حانت و فاتك و انقضت سنوك و أمر الله لا بدّ واقع

أبا جعفر هل كاهن أو منجم لك اليوم من حرّ المتيه مانع

فدعا بالمتولى لإصلاح المنازل فقال: أ لم آمرك ألا- يدخل المنزل أحد من الدعار؟ قال: و الله ما دخلها أحد منذ فرغ منها. فقال: اقرأ ما فى صدر البيت. قال ما أرى شيئاً. فدعا برئيس الحجة فقال: اقرأ ما على صدر البيت. فقال: ما أرى على صدر البيت شيئاً. فأملى البيتين فكتبا عنه، فالتفت إلى حاجبه فقال له: اقرأ آية من كتاب الله جل و عزّ تشوقنى إلى الله عز و جل فتلا «و سَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ» (٢) فأمر بفكيه فوجئا و قال له ما وجدت شيئاً تقرأ غير هذه الآية. فقال: محى القرآن من قلبى غير هذه الآية. فأمر بالرحيل من ذلك المنزل تطيراً ممّا كان و ركب فرساً، فلما كان فى الوادى الذى يقال له «سقر» - و كان آخر منزل بطريق مكة - كبا به الفرس فدقّ ظهره و مات فدفن ببئر ميمون، و حفر له مئة قبر و ما دفن فى كلّها لئلا يعرف موضع قبره الذى هو ظاهر للناس و دفن فى غيرها للخوف عليها، و كذلك قبور خلفاء ولد

ص: ٦٤٢

[١-١] (١) النازعات: ٣٤-٣٩. [١]

[٢-٢] (٢) الشعراء: ٢٢٧. [٢]

العباس لا يعرف لأحد منهم قبر (١).

«أملكك» فى روايه (التحف) «ثم أملكك» (٢).

«حميه أنفك» و فى الخبر: المؤمن كالجمل الأنف. أى: الموجع أنفه بالخزامة.

«و سوره» أى: سطوه.

«حدك» أى: بأسك، و فى روايه (التحف) «حدتك» (٣).

«و سطوه يدك» قال هود لقومه: «وَ إِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَارِينَ» (٤).

«و غرب» أى: حده.

«لسانك و احترس» أى: احتفظ.

«من كل ذلك» الأربعة المذكوره.

«بكفّ البادره» ما تبدر من الإنسان عند حدته.

«و تأخير السطوه» أى: العقوبه.

«حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار» عن النبى صلى الله عليه و آله: «إن الغضب جمره توقدت فى جوف ابن آدم، ألا ترون

إلى حمرة عينيه و انتفاخ أوداجه» (٥).

و قال صلى الله عليه و آله: «ليس الشديد بالصرعه إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب» (٦).

هذا، و فى روايه (التحف): «و ارفع بصرك إلى السماء عند ما يحضرك

ص: ٦٤٣

١- ١) تاريخ الطبرى ١٠٧: ٨. [١]

٢- ٢) تحف العقول: ١٤٨.

٣- ٣) تحف العقول: ١٤٨.

٤- ٤) الشعراء: ١٣٠. [٢]

٥- ٥) الكافى ٣٠٤: ٢ ح ١٢. [٣]

٦- ٦) أخرجه الطبرى و مسلم فى صحيحيهما و أحمد فى مسنده، عنهم الجامع الصغير ١٢٥: ٢.

منه حتى يسكن غضبك فتملك الاختيار» (١).

وقال ابن أبي الحديد: كان لكسرى أنوشروان من يقف على رأسه يوم جلوسه، فإذا غضب على إنسان قرع سلسله تاجه بقضيب في يده و قال له:

إنما أنت بشر، فارحم من في الأرض يرحمك من في السماء (٢).

«و لن تحكم» من الأحكام.

«ذلك من نفسك حتى تكثر همومك» أي: خيالاتك.

«بذكر المعاد» أي: العود.

«إلى ربك» .

و في (الطبرى): سار الهادى بين أبيات جرجان و بساتينها، فسمع صوتا من بعض تلك البساتين من رجل يتغنى، فقال لصاحب شرطته: عليّ بالرجل الساعة. فقال له سعيد بن مسلم: ما أشبه قصه هذا الحائن بقصه سليمان بن عبد عبد الملك. قال: و كيف؟ قال: كان سليمان في منتزه له و معه حرمه فسمع من بستان آخر صوت رجل يتغنى فدعا صاحب شرطته فقال علي بصاحب الصوت، فأتى به فلما مثل بين يديه قال له: ما حملك على الغناء و أنت إلى جنبى و معى حرمى، أما علمت أنّ الرماك إذا سمعت صوت الفحل حنت إليه، يا غلام جبّه فجبّ الرجل، فلما كان في العام المقبل رجع سليمان إلى ذلك المنتزه فجلس مجلسه الذى فيه فذكر الرجل و ما صنع به فقال لصاحب شرطته: عليّ بالرجل الذى كنا جبيناه، فأحضره فلما مثل بين يديه قال له: إمّا بعت فوفيناك و إمّا وهبت فكافأناك، فو الله ما دعاه بالخلافه و لكنّه قال له: يا سليمان! الله الله، قطعت نسلى فذهبت بماء وجهى و حرمتى لذتى ثم

ص: ٦٤٤

١-١) تحف العقول: ١٤٨.

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١٧. [١]

تقول: «إمّا وهبت فكافأناك وإمّا بعت فوفيناك» لا والله! حتى نقف بين يدي الله.

فقال الهادي: يا غلام! ردّ صاحب الشرطه. فقال له: لا تتعرّض للرجل (١).

«و الواجب عليك أن تتذكّر ما مضى لمن تقدّمك» و في روايه (التحفة) (٢): «أن تتذكّر ما كان من كلّ ما شاهدت منّا».

«من حكمه عادله أو سنّه فاضله أو أثر عن نبينا» و في روايه (التحفة) (٣):

«عن نبيك».

و منه في (الأنساب) قوله صلّى الله عليه و آله: الولد للفراس و للعاهر الحجر (٤).

و في (الطبري): كتب المهدي إلى عمّاله: ردّوا نسب بني زياد إلى عبيد، لقد قال معاوية فيما يعلمه أهل الحفظ للأحاديث عند كلام نصر بن الحجاج السلمى و من كان معه من موالى بني مخزوم- وقد أعدّ لهم معاوية حجرا تحت بعض فرشه فألقاه إليهم فقالوا له يسوغ لك ما فعلت في زياد و لا تسوغ لنا ما فعلنا في صاحبنا فقال: قضاء النبي خير لكم من قضاء معاوية (٥).

«أو فريضه في كتاب الله» فلا يجوز صرف الصدقات إلى غير الأصناف الثمانية، قال تعالى بعد عدّها «فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ» (٦).

«فتفتدى بما شاهدت ممّا عملنا به فيها» هذا يدل على أن عمل المتقدمين عليه لم يكن على مقتضى الشريعة، و أمّا عمله عليه السلام فكان على حاقّ الحقّ، و قد قال النبي صلّى الله عليه و آله في المتواتر عنه «عليّ على الحق يدور مداره» (٧) و قد أقرّ بذلك

ص: ٦٤٥

١- ١) تاريخ الطبري ٢١٤: ٨-٢١٥. [١]

٢- ٢) تحفة العقول: ١٤٨.

٣- ٣) تحفة العقول: ١٤٨.

٤- ٤) الجامع الصغير ١٩٨: ٢.

٥- ٥) تاريخ الطبري ١٣١: ٨. [٢]

٦- ٦) التوبه: ٦٠. [٣]

٧- ٧) أخرجه الحاكم ١٢٤: ٣، و الخطيب ٣٢١: ١٤، و [٤] الترمذى ٦٣٢: ٥ ح ٣٧١٤.



الثانى فقال فى شوره بأنه لو ولى الناس ليحملنهم على المحجّه البيضاء فيحتج عليهم بالبرهان الذى ذكره القرآن «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (١).

«و تجتهد لنفسك فى اتباع ما عهدت إليك فى عهدى هذا و استوثقت به من الحججه لنفسى عليك لكيلا تكون لك عله عند تسرع نفسك إلى هواها» هو كقوله تعالى: «رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَ مُنذِرِينَ لِيَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَ كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» (٢)، «وَ لَوْ لَا أَنْ تُصَيِّبَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْ لَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَتَنَعَ آيَاتِكَ وَ نَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» (٣).

و زاد فى روايه (التحفة) «فليس يعصم من السوء، و لا يوفق للخير إلا الله جل ثناؤه، و قد كان ممّا عهد إلى رسول الله فى وصايته تحضيضا على الصلاة و الزكاه و ما ملكت أيمانكم، فبذلك أختم لك ما عهدت، و لا حول و لا قوه إلا بالله العلي العظيم» (٤).

«و أنا أسأل الله» هكذا فى (المصريه) و فيها سقط و الأصل «و من هذا العهد- و هو آخره- و أنا أسأل الله» كما فى (ابن أبى الحديد) (٥) و (ابن ميثم) (٦) و زاد الثانى «سبحانه».

«بسعه رحمته و عظيم قدرته على إعطاء كل رغبه» دون خلقه.

«أن يوفقنى و إياك لما فيه رضاه من الإقامه على العذر الواضح إليه» باتقائه

ص: ٦٤٦

[١-١] يونس: ٣٥. [١]

[٢-٢] النساء: ١٦٥. [٢]

[٣-٣] القصص: ٤٧. [٣]

[٤-٤] تحفة العقول: ١٤٨.

[٥-٥] شرح ابن أبى الحديد ١١٧: ١٧. [٤]

[٦-٦] شرح ابن ميثم ١٨٦: ٥. [٥]

حسب الوسع كما قال عز وجل «فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتِطَعْتُمْ» (١) وإلى خلقه بإصلاح أمورهم بقدر الجهد كما حكى تعالى عن شعيب عليه السلام: «إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتِطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» (٢).

«مع حسن الثناء فى العباد وجميل الأثر فى البلاد» فكل منهما نعمه عظيمه و الثانى عباده معنويه أيضا.

و فى الجهشياري كان جبرئيل بن بختيشوع صنيعة البرامكة، و كان يقول للمؤمن كثيرا هذه النعمة لم أهدا منك و لا من أبيك هذه أهدتها من يحيى بن خالد و ولده.

و فيه سارت الركبان فى الافاق بغدر الأمين و بحسن سيره المؤمن، فاستوحش الناس من الأمين و انحرفوا عنه و سكنوا إلى المؤمن و مالوا إليه.

«و تمام النعمة و تضعيف الكرامه» قال حد «و تمام» معطوف على «ما» فى قوله عليه السلام «لما فيه رضاه» (٣).

قلت: بل معطوف على «حسن الثناء» كما هو واضح، و لا يصح ما قال لأنه يصير المعنى على ما قال «اسأل الله أن يوفقنى لتمام النعمة و تضعيف الكرامه» و لا معنى له، و توجيهه بأن المراد للأعمال الصالحة التى يستوجهما بها تعسف.

«و ان يختم لى و لك بالسعادة و الشهاده» استجيب دعاؤه عليه السلام للاشتر ففضى نجه مسموما فى طاعته عليه السلام و كفاه شرفا و فضلا.

ص: ٦٤٧

١-١ (١) التغابن: ١٦. [١]

٢-٢ (٢) هود: ٨٨. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١١٨: ١٧. [٣]

و في (الطبرى): لما انقضى أمر الحكومه كتب على عليه السّلام إلى الأشتر - و هو يومئذ بنصيبين - : «أما بعد فانك ممن استظهر به على إقامه الدين و أقمع به نخوه الأثيم و أشد به الثغر المخوف، و كنت وليت محمد بن أبى بكر مصر فخرجت عليه بها خوارج و هو غلام حدث ليس بذى تجربه للحرب و لا بمجرب للأشياء، فاقدّم علىّ لنظر فى ذلك فيما ينبغى و استخلف على عملك أهل الثقه و النصيحه من أصحابك». فأقبل الأشتر حتى دخل عليه عليه السّلام فحدّثه حديث أهل مصر و قال له: ليس لها غيرك. أخرج رحمك الله فإننى إن لم أوصك اكتفيت برأىك، و استعن بالله على ما أهمك، فاختلط الشّدّه باللين و ارفق ما كان الرّفق أبلغ، و اعترم بالشّدّه حين لا يغنى عنك إلا الشده. فخرج الأشتر من عنده فأتى رحله فتهيأ للخروج إلى مصر، و أتت معاويه عيونه فخبّروه بولايه الأشتر، فعظم ذلك عليه - و قد كان طمع فى مصر - فعلم أن الأشتر إن قدمها كان أشدّ عليه من محمد بن أبى بكر، فبعث إلى «الجايستار» - رجل من أهل الخراج - فقال له: إن الأشتر قد ولى مصر فإن أنت كفيتيه لم آخذ منك خراجا ما بقيت، فاحتل له بما قدرت عليه، فخرج الجايستار حتى أتى قلزم و أقام به، و خرج الأشتر من العراق إلى مصر، فلما انتهى إلى القلزم استقبله الجايستار فقال: هذا منزل و هذا طعام و علف و أنا رجل من أهل الخراج، فنزل به الاشر فأتاه الدهقان بعلف و طعام حتى إذا طعم أتاه بشربه من عسل قد جعل فيها سمّا فسقاه إيّاه، فلما شربها مات، و أقبل الذى سقاه إلى معاويه فأخبره، فقام معاويه خطيبا فقال: كانت لعلى بن أبى طالب يدان يمينان قطعت إحداهما - يعنى عمّارا - يوم صفين و قطعت الاخرى - يعنى الأشتر - اليوم (١).

«انا لله و أنا إليه راجعون» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (راغبون) كما

ص: ٦٤٨

فى (ابن أبى الحديد) (١) و ابن ميثم (٢) و الخطيه بل فى روايه (التحف) (٣) أيضا .

«و السّلام على رسول الله صلّى الله عليه و آله الطيبين الطاهرين و سلّم تسليمًا كثيرًا، و السّلام» هكذا فى (المصريه) لكن «و سلم» الاولى و «السّلام» فى الآخر زائدتان قطعًا لعدم وجودهما فى (ابن أبى الحديد) (٤) و (ابن ميثم) (٥) و (الخطيه)، مع أنّ «و سلّم» لا يصلح فصلها بين الموصوف و الصفه، و أما باقيةا فاختلف ابن أبى الحديد و ابن ميثم على ما فى النسخه فيهما، ففى (ابن أبى الحديد) (٦) هكذا «و السّلام على رسول الله صلّى الله عليه و آله الطيبين الطاهرين» و فى (ابن ميثم) (٧) «و السّلام على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم تسليمًا كثيرًا» و مثله (الخطيه)، و هو الصحيح من النهج لكون نسخه ابن ميثم بخط مصنفه، و فى روايه (التحف) (٨): «و السّلام على رسول الله، و على آله الطيبين الطاهرين».

هذا، و نقل ابن أبى الحديد بعد عهده عليه السّلام هذا إلى الأثر و صايا جمع من كبراء العرب كأوس بن حارثه و الحارث بن كعب و أكثم بن صيفى و قيس بن عاصم و عمرو بن كلثوم و يزيد بن المهلب (٩).

و نقل أيضا وصيه أردشير إلى من بعده من الملوك، فقال: قال فى

ص: ٦٤٩

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١١٧: ١٧. و [١] فيه: «إنا إلى الله راغبون»، و فى صبحى الصالح: «إنا إليه راجعون».

٢- ٢) شرح ابن ميثم ١٨٦: ٥. [٢]

٣- ٣) تحف العقول: ١٤٩. و فيه: «و إنا إليه راجعون».

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١١٧: ١٧. [٣]

٥- ٥) شرح ابن ميثم ١٨٦: ٥. [٤]

٦- ٦) شرح ابن أبى الحديد ١١٧: ١٧. [٥]

٧- ٧) شرح ابن ميثم ١٨٦: ٥. [٦]

٨- ٨) تحف العقول: ١٤٩.

٩- ٩) شرح ابن أبى الحديد ١١٨: ١٧-١٢٤. [٧]

وصيته:رشاد الوالى خير للرعيه من خصب الزمان،الملك و الدين توأمان لا قوام لأحدهما إلا بصاحبه،فالدين أسّ الملك و عماده،ثم صار الملك حارس الدين و لا بدّ للملك من أسّه و لا بدّ للدين من حارسه،فأنا ما لا حارس له فضائع و ما لا أسّ له فمهذوم.إنّ رأس ما أخاف عليكم مبادره السفله إيّاكم إلى دراسه الدين و تأويله و التفقّه فيه،فتحملكم الثقه بقوه الملك على التهاون بهم، فتحدث فى الدين رياضات منتشرات سرا فيمن قد و ترتم و جفوتهم،و حرمتهم، و أخفتم،و صغرتهم من سفله الناس و الرعيه و حشو العامه،ثم لا تنشب تلك الرئاسات أن تحدث خرقا فى الملك و وهنا فى الدوله.

و اعلموا أنّ سلطانكم على أجساد الرعيه لا- على قلوبها،و إن غلبتم الناس على ما فى أيديهم فلا تغلبوهم على ما فى قلوبهم و آرائهم و مكايدهم.

و اعلموا أنّ العاقل المحروم سألّ عليكم لسانه و هو أقطع سيفيه،و إنّ أشدّ ما يضرّ بكم من لسانه على ما صرف الحيله فيه إلى الدين،فكان للدنيا يحتج و للدين فيما يظهر يتعصب،فيكون للدين بكاؤه و إليه دعاؤه،ثم هو أوحدهم للتابعين و المصدّقين و المناصحين و المؤازرين،لأنّ تعصّب الناس موكلّ بالملوك،و رحمتهم و محبتهم موكلّ بالضعفاء المغلوبين،فاحذروا هذا المعنى كلّ الحذر.

و اعلموا أنّه ليس ينبغى للملك أن يعرّف للعبياد و النسيّاك بأن يكونوا أولى بالدين منه و لا- أحدهم عليه و لا أغضب له،و لا ينبغى أن يخلّى النسيّاك و العباد من الأمر و النهى فى نسكهم و دينهم،فإنّ خروج النساك و غيرهم من الأمر و النهى عيب على الملوك و على المملكه و ثلمه بينه الضرر على الملك و على من بعده.

و اعلموا أنّه قد مضى قبلنا من أسلافنا ملوك كان الملك يتعهد حمايه

بالتفتيش و الجماعه بالتفضيل و الفراغ بالاشتغال كتعهده جسده بقصّ فضول الشعر و الظفر و غسل الدرن و الغمص و مداواه ما ظهر من الأدواء و ما بطن، و قد كان من أولئك الملوك من صحه ملكه أحبّ إليه من صحه جسده، فتتبع تلك الأملاك بذلك كأنهم ملك واحد، و كأن أرواحهم روح واحد يمكن أولهم لآخرهم و يصدق آخرهم أولهم، يجتمع أبناء أسلافهم و موارث آرائهم و ثمرات عقولهم عند الباقي منهم بعدهم، و كأنهم جلوس معه يحدثونه و يشاورونه، حتى كان على رأس دارا بن دارا ما كان من غلبه الاسكندر الرومي عليه و كان إفساده أمرنا و تفرقة جماعتنا و تخريبه عمران مملكتنا أبلغ له فيما أراد من سفك دمائنا، فلمّا أذن الله تعالى في إعادته أمرنا كان من بعثه إيانا ما كان، و بالاعتبار يتقى العثار، و التجارب الماضيه دستور يرجع إليه في الحوادث الآتية.

و اعلموا أنّ طباع الملوك على غير طباع الرعيه و السوقه، فإن الملك يطيف به العزّ و الأمن و السرور و القدره على ما يريد، و الأنفه و الجره و العبث و البطر، و كلّما ازداد في العمر تنفسا و في الملك سلامه ازداد من هذه الطبائع حتى يسلمه ذلك إلى سكر السلطان الذي هو أشد من سكر الشراب، فينسى النكبات و العثرات و الغير و الدوائر و فحش تسلط الأيام و لؤم غلبه الدهر، فيرسل يده بالفعل و لسانه بالقول، و عند حسن الظن بالأيام تحدث الغير و تزول النعم، و قد كان من أسلافنا و قدماء ملوكنا من يذكّره عزّه الذل و أمنه الخوف و سروره الكآبه و قدرته المعجزه، و ذلك هو الرجل الكامل قد جمع بهجه الملوك و فكره السوقه و لا كمال إلا في جمعهما.

و اعلموا أنّ كثيرا من وزراء الملوك من يحاول استبقاء دولته و أيامه بإيقاع الاضطراب و الخبط في أطراف مملكته ليحتاج الملك إلى رأيه و تدبيره،

فإذا عرفتم هذا من وزير من وزرائكم فاعزلوه فإنه يدخل الوهن و النقص على الملك و الرعيه لصالح حال نفسه و لا تقوم نفسه بهذه النفوس كلها.

و اعلموا أنّ بدء ذهاب الدوله ينشأ من قبل إهمال الرعيه بغير أشغال معروفه و لا أعمال معلومه، فإذا نشأ الفراغ تولد منه النظر فى الامور و الفكر فى الفروع و الاصول، فإذا نظروا فى ذلك نظروا فيه بطباع مختلفه فتختلف بهم المذاهب و يتولد من اختلاف مذاهبهم تعاديبهم و تضاعفهم، و هم مع اختلافهم هذا متفقون و مجتمعون على بغض الملوك، فكل صنف منهم إنما يجرى إلى فجيعة الملك بملكه، و لكنهم لا يجدون سلماً إلى ذلك أوثق من الدين و الناموس، ثم يتولد من تعاديبهم أنّ الملك لا يستطيع أن يجمعهم على هوى واحد، فان انفرد باختصاص بعضهم صار عدوّ بقيتهم، و فى طباع العامه استئثار الولاه و ملالهم و النفاسه عليهم و الحسد لهم، و فى الرعيه المحروم و المضروب و المقام عليه الحدود، و يتولد من كثرتهم مع عداوتهم أن يجبن الملك عن الإقدام عليهم، فإنّ فى إقدام الملك على الرعيه كلها كافه تغريرا بملكه، و يتولد من جبن الملوك عن الرعيه استعجالهم و هم أقوى عدو له و أخلقه بالنظر لأنه حاضر مع الملك فى دار ملكه، فمن أفضى إليه الملك بعدى فلا يكوننّ بإصلاح جسده أشدّ اهتماما منه بهذه الحال، و لا يكوننّ لشىء من الأشياء أكره و أمكر لرأس صار ذنبا و ذنب صار رأسا، و يد مشغوله صارت فارغه أو غنى صار فقيرا، أو عامل مصروف أو أمير معزول.

و اعلموا أنّ سياسه الملك و حراسته ألا يكون ابن الكاتب إلاّ كاتباً و ابن الجنديّ إلاّ جندياً و ابن التاجر إلاّ تاجراً و هكذا فى جميع الطبقات، فإنه يتولد من تنقل الناس عن حالاتهم أن يلتمس كل امرىء منهم فوق مرتبته، فإذا انتقل أو شك أن يرى شخصاً أرفع ممّا انتقل إليه فيحسده أو ينافسه و فى ذلك من

الضرر المتوَلَّد ما لا خفاء به، فان عجز ملك منكم عن إصلاح رعيته كما أوصيناه فلا يكون للقميص القمل أسرع خلعا منه لما لبس من قميص ذلك الملك.

و اعلموا أنَّه ليس للملك أن يحلِّف لأئنه لا- يقدر أحد على استكراهه، و ليس له أن يغضب لأئنه قادر، و الغضب لقاح الشر و الندامه، و ليس له أن يعبث و يلعب لأنَّ اللَّعب و العبث من عمل الفِرَّاغ، و ليس له أن يفرغ لأنَّ الفراغ من أمر السَّوقه، و ليس له أن يحسد أحدا إلاَّ على حسن التدبير، و ليس له أن يخاف لأئنه لا يد فوق يده.

و اعلموا أنكم لن تقدرُوا أن تختموا أفواه الناس من الطَّعن و الإزراء عليكم و لا قدره لكم على أن تجعلوا القبيح من أفعالكم حسنا، فاجتهدوا في أن تحسن أفعالكم كلَّها و ألاَّ تجعلوا للعامة إلى الطعن عليكم سبيلا.

و اعلموا أنَّ لباس الملك و مطعمه مقارب للباس السَّوقه و مطعمهم، و ليس فضل الملك على السَّوقه إلاَّ- بقدرته على اقتناء المحامد و استفاده المكارم، فان الملك إذا شاء أحسن، و ليس كذلك السَّوقه.

و اعلموا أن لكلِّ ملك بطانه و لكلِّ رجل من بطانته بطانه، ثم لكلِّ امرئ من بطانه الباطنه بطانه حتى يجتمع من ذلك أهل المملكه، فإذا أقام الملك بطانته على حال الصواب فيهم أقام كلَّ امرئ منهم بطانته على مثل ذلك حتى تجتمع على الصلاح عامه الرعيه.

و اعلموا أنَّ في الرعيه صنفا أتوا الملوک من قبل النَّصائح له، و التمسوا إصلاح منازلهم بإفساد منازل الناس، فأولئك أعداء الناس و أعداء الملوک، و من عادى الملوک و الناس كلَّهم فقد عادى نفسه.

و اعلموا أن الدهر حاملكم على طبقات، فمنها حال السَّخاء حتى يدنو



أحدكم من السرف، و منها حال التقدير حتى يدنو من البخل، و منها حال الأناه حتى يدنو من البلاء، و منها حال انتهاز الفرصه حتى يدنو من الخفّه، و منها حال الطلاقه فى اللسان حتى يدنو من الهدر، و منها حال الأخذ بحكمه الصّيمت حتى يدنو من العي، فالملك منكم جدير أن يبلغ من كلّ طبقه فى محاسنها حدّها، فإذا وقف عليه الجم نفسه عما وراءها.

و اعلموا أن ابن الملك و أخاه و ابن عمه يقول «كدت أن أكون ملكا و بالحرى الا أموت حتى أكون ملكا» فإذا قال ذلك قال ما لا يسر الملك و ان كتمه فالداء فى كلّ مكتوم و إذا تمنى ذلك جعل الفساد سلما إلى صلاح و لم يكن الفساد سلما إلى صلاح قط، و قد رسمت لكم مثالا اجعلوا الملك لا ينبغى الا لأبناء الملوك من بنات عمومتهم و لا يصلح من أولاد بنات العم إلا كامل غير سخيّف العقل و لا- عازب الرأى و لا ناقص الجوارح و لا مطعون عليه فى الدين، فانكم إذا فعلتم ذلك قلّ طلاب الملك و إذا قلّ طلابه استراح كلّ امرىء إلى ما يليه و نزع إلى حد يليه و عرف حاله و رضى معيشته و طاب زمانه (1).

قلت: و الأناهب بعهدده عليه السّلام إلى الأشر عهد ذى اليمينين إلى ابنه و ان كان عهد أردشير أجمع عهد فى سياسه الدوله ففى (الطبرى): لما ولى المأمون عبد الله بن طاهر بن الحسين ديار ربيعه كتب له أبوه ذو اليمينين كتابا نسخته:

عليك بتقوى الله وحده لا شريك له و خشيته و مراقبته و مزايله سخطه و حفظ رعيتك و الزم ما ألبستك الله من العافيه بالذكر لمعادك و أنت صائر إليه و موقوف عليه و مسئول عنه، و العمل فى ذلك كلّ بما يعصمك الله و ينجيك يوم القيامه من عذابه و أليم عقابه، فان الله قد أحسن اليك و أوجب عليك الرأفه بمن استرعاك أمرهم من عباده و ألزمك العدل عليهم و القيام بحقه و حدوده

ص: ٦٥٤

---

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٢٤:١٧-١٣٠، [١] باختزال لبعض فقرات الوصيه.

فيهم و الذب عنهم و الدفع عن حريمهم و بيضتهم و الحقن لدمائهم و الأيمن لسيلهم و ادخال الراحة عليهم في معاشهم، و مؤاخذك بما فرض عليك من ذلك و موقفك عليه و مسائلك عنه و مثييك عليه بما قدمت و أخرت، ففرغ لذلك فكرك و عقلك و بصرك و رؤيتك و لا يذهلك عنه ذاهل و لا يشغلك عنه شاغل فانه رأس أمرك و ملاك شأنك و أول ما يوفقك الله لرشدك.

و ليكن أول ما تلزم به نفسك و تنسب إليه فعالك المواظبه على ما افترض الله عليك من الصلوات الخمس و الجماعه عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها في اسباغ الوضوء لها و افتتاح ذكر الله فيها و ترتل في قراءتك و تمكن في ركوعك و سجودك و تشهدك و لتصديق فيها لربك نيتك و احضض عليها جماعه من معك و تحت يدك و ادأب عليها فانها كما قال الله تعالى تأمر بالمعروف و تنهى عن المنكر.

ثم اتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و المثابره على خلائقه و اقتفاء آثار السلف الصالح من بعده، و إذا ورد عليك أمر فاستعن بالله باستخاره الله و تقواه و لزوم ما أنزل الله في كتابه من أمره و نهيه و حلاله و حرامه و ايتمام ما جاءت به الآثار عن النبي صَلَّى الله عليه و آله، ثم قم فيه بما يحق لله عليك و لا تمل عن العدل فيما أحببت أو كرهت لقريب من الناس أو بعيد، و أثر الفقه و أهله و الدين و حملته و كتاب الله و العاملين به، فان أفضل ما تزين به المرء الفقه في دين الله و الطلب له و الحث عليه و المعرفه بما يتقرب فيه منه إلى الله، فانه الدليل على الخير كله و القائد له و الامر به و الناهي عن المعاصي و الموبقات كلها، و بها مع توفيق الله تزداد العباد معرفه بالله عز و جل و اجلالا له و دركا للدرجات العلى في المعاد مع ما في ظهوره للناس من التوقير لأمرك و الهيبه لسلطانك و الانسه بك و الثقة بعدلك.

و عليك بالاقتصاد فى الامور كلها،فليس شىء أبين نفعاً و لا أحضر أمناً و لا أجمع فضلاً من القصد و القصد داعيه إلى الرشد و الرشد دليل على التوفيق و التوفيق منقاد إلى السعادة،و قوام الدين و السنن الهاديه بالاقتصاد فأثره فى دنياك كلها و لا تقصر فى طلب الآخره و الأجر و الأعمال الصالحه و السنن المعروفه و معالم الرشد،فلا غايه للاستكثار من البر و السعى له إذا كان يطلب به وجه الله و مرضاته و مرافقه أوليائه فى دار كرامته.

و اعلم أن القصد فى شأن الدنيا يورث العز و يحصن من الذنوب،و انك لن تحوط نفسك و من يليك و لا تستصلح أمورك بأفضل منه فآته و اهتد به تتم أمورك و تزد مقدرتك و تصلح خاصتك و عامتك.

و أحسن الظن بالله عز و جل يستقم لك رعيتك،و التمس الوسيله إليه فى الامور كلها تستدم به النعمه عليك،و لا تنهض أحداً من الناس فيما توليه من عملك قبل تكشف أمره بالتهمه،فان ايقاع التهم بالبرآء و الظنون السيئه بهم مأثم،و اجعل من شأنك حسن الظن بأصحابك و اطرده عنهم سوء الظن بهم و ارفضه عنهم يعنك ذلك على اصطناعهم و رياضتهم و لا يجدون لعدو الله الشيطان فى أمرك مغمزا،فانه انما يكتفى بالقليل من وهنك فيدخل عليك من الغم فى سوء الظن ما ينغصك لذاذه عيشك.

و اعلم أنك تجد بحسن الظن قوه و راحه و تكفى به ما أحببت كفايه من أمورك و تدعو به الناس إلى محبتك و الاستقامه فى الامور كلها لك،و لا- يمنعك حسن الظن بأصحابك و الرأفه برعيتك أن تستعمد المسأله و البحث عن أمورك و المباشره لامور الأولياء و الحياطه للرعيه و النظر فى حوائجهم و حمل مئوناتهم آثر عندى مما سوى ذلك فإنه أقوم للدين و أحيى للسنه و أخلص نيتك فى جميع هذا،و تفرد بتقويم نفسك تفرد من يعلم أنه مسئول

عمياً صنع و مجزى بما أحسن و مأخوذ بما أساء، فان الله جعل الدين حرزا و عزا و رفع من اتبعه و عززه، فأسألك بمن تسوسه و ترعاه نهج الدين و طريقه الهدى.

و أقم حدود الله فى أصحاب الجرائم على قدر منازلهم و ما استحقوه، و لا- تعطل ذلك و لا تهاون به، و لا تؤخر عقوبه أهل العقوبه فان فى تفریطك فى ذلك لما يفسد عليك حسن ظنك، و اعزم على أمرك فى ذلك بالسنن المعروفه و جانب الشبهه و البدعات يسلم لك دينك و يقيم لك مروتك.

و إذا عاهدت عهدا فف به و إذا وعدت الخير فأنجزه، و اقبل الحسنه و ادفع بها، و اغمض عن عيب كلّ ذى عيب من رعيتك، و اشدد لسانك عن قول الكذب و الزور و ابغض أهله، و اقص أهل النميمه فان أول فساد أمرك فى عاجل الامور و آجلها تقريب الكذوب و الجراء على الكذب، لأن الكذب رأس المأثم و الزور و النميمه خاتمتها، لأن النميمه لا يسلم صاحبها و قابلها لا يسلم له صاحب و لا يستقيم لمطيعها أمر، و أحب أهل الصدق و الصلاح و أعن الاشراف بالحق و واصل الضعفاء وصل الرحم و ابتغ بذلك وجه الله و عزه أمره و التمس فيه ثوابه و الدار الاخره، و اجتنب سوء الأهواء و الجور و اصرف عنهما رأيك و أظهر براءتك من ذلك لرعيتك، و أنعم بالعدل سياستهم و قم بالحق فيهم و بالمعرفه التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى و املك نفسك عند الغضب و آثر الوقار و الحلم. و اياك و الحده و الطيره و الغرور فيما أنت بسبيله، و اياك أن تقول انى مسلط أفعل ما أشاء، فان ذلك سريع فيك إلى نقص الرأى و قلّه اليقين بالله و حده لا شريك له و أخلص لله النيه فيه و اليقين به.

و اعلم ان الملك لله يعطيه من يشاء و ينزعه ممن يشاء، و لن تجد تغير النعمه و حلول النقمه إلى أحد أسرع منه إلى حمله النعمه من أصحاب السلطان

والمبسوط لهم في الدوله إذا كفروا بنعم الله و احسانه و استطالوا بما آتاهم الله من فضله، و دع عنك شره نفسك، و لتكن ذخائرك و كنوزك التي تدخر و تكثر البر و التقوى و المعدله و استصلاح الرعيه و عماره بلادهم و التفقد لامورهم و الحفظ لدمائهم و الاغاثه لملهوفهم.

و اعلم ان الأموال إذا كثرت و ذخرت في الخزائن و تزينت بها الولاه و طال به الزمان و اعتقد فيه العز و المنعه فليكن كنز خزائلك تفريق الأموال في عماره الاسلام و أهله، و وفر منه على أولياء الخليفه قبلك حقوقهم و اوف رعيتك من ذلك حصصهم و تعهد ما يصلح أمورهم و معاشهم، و جمع أموال رعيتك و عملك أقدر و كان الجمع لما شملهم من عدلك و احسانك أسلس لطاعتك و أطيب أنفسا لكل ما أردت، فاجهد نفسك فيما حددت لك في هذا الباب و لتعظم حسبتك فيه، فانما يبقى من المال ما أنفق في سبيل حقه و اعرف للشاكرين شكرهم و أثبهم عليه.

و إياك أن تنسيك الدنيا و غرورها هول الآخره فتهاون بما يحق عليك، فان التهاون يوجب التفريط و التفريط يورث البوار، و ليكن عملك لله و فيه تبارك و تعالى أرج الثواب، فان الله قد اسبغ عليك نعمته في الدنيا و أظهر لديك فضله، فاعتصم بالشكر و عليه فاعتمد يزدك الله خيرا و احسانا، فان الله يثيب بقدر شكر الشاكرين و سيره المحسنين و اقض الحق فيما حمل من النعم و البس من العافيه و الكرامه و لا- تحقرن ذنبا و لا- تمايلن حاسدا و لا- ترحن فاجرا و لا تصلن كفورا و لا تداهنن عدوا و لا تصدقن ناما و لا- تأمنن غدارا و لا- تولين فاسقا و لا- تتبعن غاويا و لا تحمدن مرائيا و لا تحقرن انسانا و لا تجيين باطلا و لا تلاحظن مضحكا و لا تخلفن وعدا و لا ترهبن فجرا و لا تعملن غصبا و لا تأتين بدخا و لا تمشين مرحا و لا تركبن سفها و لا تفرطن في طلب الآخره

و لا تدفع الأيام عيانا و لا تغمضن عن الظالم رهبه منه أو مخافه و لا تطلبن ثواب الآخره بالدنيا.

و اكثر مشاوره الفقهاء و استعمل نفسك بالحلم، و خذ عن أهل التجارب و ذوى العقل و الرأى و الحكمة، و لا تدخلن فى مشورتك أهل الدقه و البخل و لا تسمعن لهم قولا فان ضررهم أكثر من منفعتهم و ليس شىء أسرع فسادا لما استقبلت فى أمر رعيتك من الشح.

و اعلم انك إذا كنت حريصا كنت كثيرا الأخذ قليل العطيه، و إذا كنت كذلك لم يستقم لك أمرك إلا قليلا، فان رعيتك انما تعتقد على محبتك بالكف عن أموالهم و ترك الجور عنهم، و يدوم صفاء أوليائك لك بالإفضال عليهم و حسن العطيه لهم فاجتنب الشح.

و اعلم أنه أول ما عصى به الإنسان ربه و ان العاصى بمنزله خزى و هو قول الله عز و جل «وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ» (١) فسهل طريق الجود بالحق و اجعل للمسلمين كلهم من بيتك حظا و نصيبا، و أيقن ان الجود من أفضل أعمال العباد، فاعدهد نفسك خلقا و ارض به عملا و مذهبا.

و تفقد أمور الجند فى دواوينهم و مكاتبهم، و اردد عليهم أرزاقهم و وسع عليهم فى معاشهم ليذهب بذلك الله فاقتهم و يقوم لك أمرهم و يزيد به قلوبهم فى طاعتك و أمرك خلوصا و انشراحا، و حسب ذى سلطان من السعاده أن يكون على جنده و رعيتة رحمه فى عدل له و حيطة و انصافه و عنايته و توسعته، فزایل مكروه احدى البليتين باستشعار تكمله الباب الاخر و لزوم العمل به تلق إن شاء الله نجاحا و صلاحا و فلاحا.

و اعلم ان القضاء من الله بالمكان الذى ليس به شىء من الامور، لأنه

ص: ٦٥٩

ميزان الله الذى يعتدل عليه الأحوال فى الأرض، و بإقامه العدل فى القضاء و العمل تصلح الرعيه و تأمن السبل و تنتصف للمظلوم و يأخذ الناس حقوقهم و تحسن المعيشه و يؤدى حق الطاعه و يرزق الله العافيه و السلامه و يقوم الدين و تجرى السنن و الشرائع، و على مجاريها ينتجز الحق و العدل فى القضاء، و اشتد فى أمر الله و تورع عن النطف و امض لإقامه الحدود و أقلل العجله و أبعد من الضجر و القلق و اقنع بالقسم و لتسكن ريحك و يقرّ جدك و اقنع بتجربتك و انتبه فى صمتك و سدّد فى منطقك و انصف الخصم و وقف عند الشبهه و أبلغ فى الحجّه، و لا يأخذك فى أحد من رعاياك محاباه و لا محاماه و لا لوم لائم و تثبت و تأن و راقب و انظر و تدبّر و تفكّر و اعتبر و تواضع لربك و ارأف بجميع الرعيه و سلّط الحق على نفسك، و لا تسرعن إلى سفك دم فان الدماء من الله بمكان عظيم انتهاكا لها بغير حقّها.

و انظر هذا الخراج الذى قد استقامت عليه الرعيه و جعله الله للاسلام عزا و رفعه و لأهله سعه و منعه و لعدوه و عدوهم كبتا و غيظا و لأهل الكفر من معاهدتهم ذلا و صغارا، فوزعه بين أصحابه بالحق و العدل و التسويه و العموم فيه، و لا ترفعن منه شيئا عن شريف لشرفه و عن غنى لغناه و لا عن كاتب لك و لا أحد من خاصتك، و لا تأخذن منه فوق الاحتمال له و لا تكلفن أمرا فيه شطط، و احمل الناس كلهم على مر الحق فان ذلك أجمع لالفتهم و ألزم لرضى العامه.

و اعلم انك جعلت بولايتك خازنا و حافظا و راعيا، و انما سمي أهل عملك رعيّتك لأنك راعيتهم و قيمهم تأخذ منهم ما أعطوك من عفوهم و مقدرتهم و تنفقه فى قوام أمرهم و صلاحهم و تقويم أودهم، فاستعمل عليهم فى كور عملك ذوى الرأى و التدبير و التجربه و الخبره بالعمل و العلم بالسياسه

و العفاف، و وسع عليهم في الرزق فان ذلك من الحقوق اللازمه لك فيما تقلدت و أسند اليك، و لا يشغلنك عنه شاغل و لا يصرفنك عنه صارف، فانك متى آثرته و قمت فيه بالواجب استدعيت به زياده النعمه من ربك و حسن الاحدوثه في أعمالك و احتزت النصيحه من رعيته و أعنت على الصلاح، فدرت الخيرات ببلدك و فشت العماره بناحيتهك و ظهر الخصب في كورك فكثر خراجك و توفرت أموالك و قويت بذلك على ارتباط جندك و ارضاء العامه بإقامه العطاء فيهم من نفسك و كنت محمود السياسه مرضى العدل في ذلك عند عدوك و كنت في أمورك كلها ذا عدل و قوه و آله و عده، فنافس في هذا و لا تقدم عليه شيئا تجد مغبه أمرك إن شاء الله.

و اجعل في كل كوره من عملك أمينا يخبرك أخبار عمالك و يكتب اليك بسيرتهم و أعمالهم حتى كأنك من كل عامل في عمله معين لأمره كله، و ان أردت أن تأمره بأمر فانظر في عواقب ما أردت من ذلك، فان رأيت السلامه فيه و العافيه و رجوت فيه حسن الدفاع و النصح و الصنع فامضه و إلا فتوقف عنه و راجع أهل البصر و العلم ثم خذ فيه عدته، فانه ربما نظر الرجل في أمر من أمره قد و اتاه على ما يهوى فقواه ذلك و أعجبه و ان لم ينظر في عواقبه أهلكه و نقض عليه أمره، فاستعمل الحزم في كل ما أردت و باشر بعد عون الله بالقوه، و أكثر استخاره ربك في أمور أو حوادث تلهيك عن عمل يومك الذي أخرت.

و اعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه و إذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين فشغلك ذلك حتى تعرض عنه، فاذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك و بدنك و أحكمت أمور سلطانك.

و انظر أحرار الناس و ذوى الشرف منهم ثم استبق صفاء طوبيتهم



و تهذيب مودتهم لك و مظاهرتهم بالنصح و المخالصة على أمرك فاستخلصهم و أحسن اليهم و تعاهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجه فاحتمل مئونتهم و اصلح حالهم حتى لا يجدوا لخلتهم مسًا.

و انفرد نفسك للنظر فى امور الفقراء و المساكين و من لا- يقدر على رفع مظلومه اليك و المحترق الذى لا- علم له بطلب حقه، فاسأل عنه أحفى مسأله و و كمل بأمثاله أهل الصلاح من رعيتك و مرهم برفع حوائجهم و حالاً-تهم اليك لتنظر فيها بما يصلح الله أمرهم، و تعاهد ذوى البأساء و يتاماهم و أراملهم و اجعل لهم أرزاقاً من بيت المال اقتداء بالخليفه أعزه الله فى العطف عليهم و الصله لهم ليصلح الله بذلك عيشتهم و يرزقك به بركه و زياده، و أجر للاضراء من بيت المال و قدم حملة القرآن منهم و الحافظين لأكثره فى الجرايه على غيرهم، و انصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم و قواماً يرفقونها و أطباء يعالجون أسقامهم، و أسعفهم بشهواتهم ما لم يؤد ذلك إلى سرف فى بيت المال.

و اعلم ان الناس إذا أعطوا حقوقهم و أفضل أمانيتهم لم يرضهم ذلك و لم تطلب أنفسهم دون رفع حوائجهم إلى ولايتهم طمعاً فى نيل الزيادة و فضل الرفق منهم، و ربما برم المتصفح لامور الناس لكثرة ما يرد عليه و يشغل فكره و ذهنه منها ما يناله به مثونه و مشقه، و ليس من يرغب فى العدل و يرفع محاسن أموره فى العاجل و فضل ثواب الاجل كالذى يستقبل ما يقربه إلى الله و يلتمس رحمته به.

و أكثر الاذن للناس عليك و ابرز لهم وجهك و سكن لهم أحرامك و اخفض لهم جناحك و أظهر لهم بشرك و لن لهم فى المسأله و المنطق و اعطف عليهم بجودك و فضلك، و إذا أعطيت فاعط بسماحه و طيب نفس و التمس الصنيعه

و الأجر غير مكدر و لا منان،فان العطيه على ذلك تجاره مريحه إن شاء الله.

و اعتبر بما ترى من امور الدنيا و من مضى من قبلك من السلطان و الرياسه فى القرون الخاليه و الامم البائده،ثم اعتصم فى أحوالك كلها بأمر الله و الوقوف عند محبته و العمل بشريعته و سنته و إقامه دينه و كتابه.

و اجتنب ما فارق ذلك و خالفه و دعا إلى سخط الله،و اعرف ما تجمع عمالك من الأموال و ينفقون منها و لا تجمع حراما و لا تنفق إسرافا.

و أكثر مجالسه العلماء و مشاهدتهم و مخالطتهم،و ليكن هواك اتباع السنن و إقامتها و ايثار مكارم الامور و معاليها،و ليكن أكرم دخلائك و خاصتك عليك من إذا رأى عيبا فيك لم يمنعه هيبتك من انهاء ذلك اليك فى سر و اعلامك ما فيك من النقص،فان أولئك أنصح أوليائك و مظاهريك.و انظر عمالك الذين بحضرتك و كتابك فوقت لكل رجل منهم فى كل يوم وقتا يدخل عليك فيه بكتبه و مؤامرتة و ما عنده من حوائج عمالك و أمر كورك و رعيتك، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك و بصرك و فهمك و عقلك،و كرر النظر إليه و التدبير له،فما كان موافقا للحزم و الحق فامضه و استخر الله فيه و ما كان مخالفا لذلك فاصرفه إلى التثبيت فيه و المسأله عنه.

و لا- تمتن على رعيتك و لا- على غيرهم بمعروف تأتيه اليهم،و لا- تقبل من أحد منهم إلا الوفاء و الاستقامه و العون فى أمور الخليفه و تفهم كتابى اليك، و أكثر النظر فيه و العمل به،و استعن بالله على جميع أمورك و استخره فان الله مع الصلاح و أهله.

و ليكن أعظم سيرتك و أفضل رغبتك ما كان لله رضى و لدينه نظاما و لأهله عزا و تمكينا و للذمه و المله عدلا و صلاحا،و أنا أسأل الله أن يحسن عونك و توفيقك و رشدك و كلاءك،و ان ينزل عليك فضله و رحمته بتمام فضله

عليك و كرامته لك حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيبا و أوفرهم حظًا و أسناهم ذكرا و أمرا،و ان يهلك عدوك و من ناواك و بغى عليك،و يرزقك من رعيتك العافيه و يحجز الشيطان عنك و و ساسه حتى يستعلى أمرك بالعز و القوه و التوفيق،أنه قريب مجيب.

قال الطبرى:و ذكروا أن طاهرا لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد تنازعه الناس و كتبوه و تدارسوه و شاع أمره حتى بلغ المأمون فدعا به حتى قرئ عليه فقال:ما أبقي أبو الطيب شيئا من أمر الدين و الدنيا و التدبير و الرأى و السياسه و إصلاح الملك و الرعيه و حفظ البيضه و طاعه الخلفاء و تقويم الخلافه إلا و قد أحكمه و أوصى به،و أمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال فى نواحي الأعمال.

قلت:و هو كما ترى جله بل كلّه مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى عهده هذا إلى الأشر بألفاظ اخر.

هذا،و نقل ابن أبى الحديد فى شرح قوله عليه السلام«و قد أردت توليه مصر هاشم بن عتبه»الخطبه(٦٥)عن غارات الثقفى أنه عليه السلام لما ولى محمد بن أبى بكر مصر كتب له:أمره بتقوى الله فى السر و العلانيه و خوف الله تعالى فى المغيب و المشهد و باللين على المسلمين و بالغلظه على الفاجر و بالعدل على أهل الذمه و بانصاف المظلوم و الشده على الظالم و بالعفو عن الناس و بالاحسان ما استطاع و الله يجزى المحسنين و يعذب المجرمين،و أمره أن يدعو من قبله إلى الطاعه و الجماعه،فإنّ لهم فى ذلك من العاقبه و عظيم المثوبه ما لا يقدر قدره و لا يعرف كنهه،و أمره أن يجبى خراج الأرض على ما كانت تجبى عليه من قبل و لا ينتقص منه و لا يبتدع،ثم يقسمه بين أهله على ما كانوا يقسمون عليه

من قبل، و أن يلين لهم جناحه و أن يواسى بينهم فى مجلسه و وجهه، و ليكن القريب و البعيد فى الحق سواء و أمره أن يحكم بين الناس بالحق و أن يقوم بالقسط و لا يتبع الهوى و لا يخاف فى الله لومه لائم، فإن الله جل ثناؤه مع من اتقى و آثر طاعته و أمره على من سواه...

ثم نقل عنه أنه روى أن محمداً كان ينظر فى هذا الكتاب و يتأدب به، فلما ظهر عليه عمرو بن العاص و قتله أخذ كتبه أجمع فبعث بها إلى معاوية، فكان معاوية ينظر فى هذا الكتاب و يتعجب منه، فقال الوليد بن عقبة له: مر بهذه الأحاديث أن تحرق. فقال له: مه، لا- رأى لك. فقال له الوليد: أ فمن رأى أن يعلم الناس أن أحاديث أبى تراب عندك تتعلم منها؟ قال معاوية: ويحك! تأمرنى أن أحرق علماً مثل هذا! فقال الوليد: إن كنت تعجبت من علمه و قضائه فعلى م تقاتله؟! فقال: لو لا أنه قتل عثمان و أفنانا لأخذنا عنه. ثم قال: لا نقول هذه من كتب على بل من كتب أبى بكر كانت عند ابنه، فلم تزل تلك فى خزائن بنى اميه حتى ولى عمر بن عبد العزيز فهو الذى أظهر أنها من أحاديث على عليه السلام.

ثم قال ابن أبى الحديد: الأليق أن الكتاب الذى ينظر فيه معاوية و يعجب منه و يفتى بأحكامه هو عهده عليه السلام إلى الأشر، فإنه نسيج وحده و منه تعلم الناس الآداب و القضاء و السياسه، و هذا العهد صار إلى معاوية لما سم الأشر، و تحقيق لمثله أن يقتنى فى خزائن الملوك (1).

قلت: مضافاً إلى أنه اجتهاد فى مقابل النص فإن هذا الخبر و خبراً آخر رواه الثقفى أيضاً مسنداً عن عبد الله بن سلمه قال: صلى بنا على عليه السلام فلما انصرف قال:

لقد عثرت عثره لا أعتذر سوف أكيس بعدها و أستم

ص: ٦٦٥

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ٦٥:٦-٧٣، [١] باختزال و تصريف يسير.

فقلنا: ما بالك يا أمير المؤمنين؟ فقال:

إني استعملت محمد بن أبي بكر على مصر فكتب إليّ أنه لا علم لي بالسنة، فكتبت إليه كتابا فيه أدب و سنة فقتل و أخذ الكتاب (١). لا يصح في نفسه، لأن الأشر سم في القلزم في طريق مصر خفيه و كان مصر و القلزم في تصرفه عليه السلام فمن قدر أن يأخذ عهد الأشر و كان سلطانه باقيا، و إنما محمد صار أسيرا في أيديهم فأخذوا كتبه، و ذاك الكتاب إلى محمد بن أبي بكر و إن كان أيضا يكفي نفاسه إلا أن الظاهر كون ما أخذه معاويه غير ذاك، ففي الخبر الأول أخذ كتبه أجمع، و في الخبر الثاني كان كتابا فيه أدب و سنة و تأسف عليه السلام على صيرورته إلى معاويه، و يأتي كتابه عليه السلام إلى محمد بطرقه في الآتي.

ص: ٦٦٦

---

(١ - ١) شرح ابن أبي الحديد ٧٣: ٦. [١]

الفصل الثالث و العشرون-فى عتاباته عليه السلام لعمّاله و غيرهم ١

العنوان ١ من الكتاب ٥:«...و إنّ عملك ليس لك بطعمه...»٣

العنوان ٢ من الخطبه ١٩:«...و ما يدريك ما علىّ ممّا لى...»٧

العنوان ٣ من الكتاب ٧٨:«...فانّ الناس قد تغير كثير منهم عن كثير...»٣٢

العنوان ٤ من الكتاب ٢٠:«...و إنّى أقسم بالله قسما صادقا لئن بلغنى...»٣٦

العنوان ٥ من الكتاب ٢١:«فدع الاسراف مقتصدا و اذكر فى اليوم غدا...»٣٩

العنوان ٦ الحكمة ٤٧٦:«...استعمل العدل، و احذر العسف و الحيف...»٤٢

العنوان ٧ من الكتاب ٤٤:«...و قد عرفت أنّ معاويه كتب إليك يستنزل لّبك...»٥٣

العنوان ٨ من الكتاب ٤٣:«...بلغنى عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت...»٧٤

العنوان ٩ من الكتاب ٤٠:«...أما بعد، فقد بلغنى عنك أمر...»٧٨

العنوان ١٠ من الكتاب ٤١:«...أما بعد، فإنّى كنت أشركتك فى أمانتى...»٨١

العنوان ١١ من الكتاب ٧١:«...أما بعد، فإنّ صلاح أيبك غزنى منك...»١٠٧

الفصل الرابع و العشرون-فى حلفه عليه السلام و تعليمه أحلاف الظالم و تقية ١١٧

العنوان ١ الحكمة ٢٧٧:«لا و الذى أمسينا منه فى غبر ليله دهماء...»١١٩

العنوان ٢ الحكمة ٢٥٣:«احلفوا الظالم إذا أردتم يمينه بأنّه برىء...»١٢٤

العنوان ٣ من الخطبه ٢٧٢:«لو قد استوت قدمى من هذه المداحض...»١٣٥

الفصل الخامس و العشرون-فى شكايته عليه السلام من أهل عصره ١٤٣

العنوان ١ من الخطبه ٣١:«أيها الناس إنا قد أصبحنا فى دهر عنود...» ١٤٥

العنوان ٢ من الخطبه ١٢٥:«عباد الله أنكم و ما تأملون من هذه الدنيا...» ١٦٦

العنوان ٣ من الخطبه ٢٢٨:«و اعلموا رحمكم الله أنكم فى زمان القائل فيه...» ١٨٦

العنوان ٤ من الخطبه ٤١:«إنّ الوفاء توأم الصدق...» ١٩١

العنوان ٥ من الخطبه ٩٩:«و ذلك زمان لا ينجو فيه إلاّ كلّ مؤمن نومه...» ١٩٩

العنوان ٦ من الخطبه ١١٣:«فلا أموال بذلتموها للذى رزقها...» ٢٠٤

الفصل السادس و العشرون-فى نقص الناس و اختلافهم و عجائب قلوبهم و صفه أرذالهم ٢٠٩

العنوان ١ الحكمة ٣٤٣:«الأقويل محفوظه، و السرائر مبلّوّه...» ٢١١

العنوان ٢ الحكمة ٢٨٣:«جاهلكم مزاد، و عالمكم مسوّف...» ٢١٩

العنوان ٣ من الخطبه ٢٢٩:«إنّما فرّق بينهم مبادئ طينتهم...» ٢٣٣

العنوان ٤ الحكمة ١٠٨:«لقد علّق بنيات هذا الانسان بضعه...» ٢٣٣

العنوان ٥ الحكمة ٧٠:«لا ترى الجاهل إلاّ مفترّطاً أو مفترّطاً...» ٢٤٦

العنوان ٦ الحكمة ١٩٩:«...هم الذين إذا اجتمعوا غلبوا...» ٢٤٨

العنوان ٧ الحكمة ٢٠٠:«و أتى بجان و معه غوغاء...» ٢٥١

العنوان ٨ الحكمة ١٥٠:«لا تكن ممّن يرجوا الآخره بغير العمل...» ٢٥٤

العنوان ٩ الحكمة ٢٨٥:«كلّ معاجل يسأل الأنظار و كلّ مؤجّل يتعلّل...» ٢٧١

الفصل السابع و العشرون-فى القضاء و القدر ٢٧٣

العنوان ١ من الحكمة ٧٨:«...ويحك لعلك ظننت قضاء لازماً...» ٢٧٥

العنوان ٢ من الحكمة ٢٨٧:«...طريق مظلم فلا تسلكوه...» ٢٨٩

الفصل الثامن و العشرون-فى كلامه عليه السّلام الجامع لمصالح الدّين و الدّنيا ٢٩٣

العنوان ١ من الكتاب ٢٢:«...أما بعد، فإنّ المرء قد يسره درك...» ٢٩٥

-من الكتاب ٦٦:«أما بعد فإنّ المرء ليفرح بالشّئ الذى لم يكن ليفوته...» ٢٩٥

العنوان ٢ من الكتاب ٣١:«...من الوالد الفان، المقرّ للزمان...» ٣٠١

العنوان ٣ من الكتاب ٥٣:«...بسم الله الرّحمن الرّحيم. هذا ما أمر به...» ٤٧٢

ص: ٦٦٨



## تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم  
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ  
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : [www.ghbook.ir](http://www.ghbook.ir)

البريد الالكترونى : [Info@ghbook.ir](mailto:Info@ghbook.ir)

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز  
للبحوث والتحريات الكمبيوترية  
اصبحان  
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى  
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم  
**www.Ghaemiyeh.com**

[www.Ghaemiyeh.net](http://www.Ghaemiyeh.net)

[www.Ghaemiyeh.org](http://www.Ghaemiyeh.org)

[www.Ghaemiyeh.ir](http://www.Ghaemiyeh.ir)

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

